

# الوسيلة إلى الأديب

إلى العلوم العربية

تأليف

المؤلف اللغوي الناقد الأديب

جُحَيْسَيْن بن أَحْمَد بن جُحَيْسَيْن المَرْصِفِي

مَدْرَسُ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَطُلُومِ الْأَدَبِ بِدَارِ الْعُلُومِ الْخَدِيوِيَّةِ الْمَصْرِيَّةِ

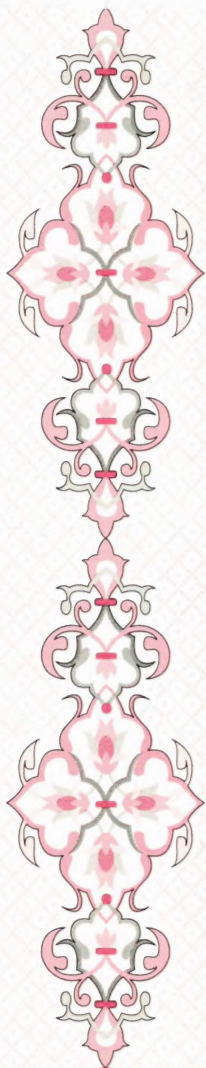
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

لُجْلُكُ الرُّسُومِ

دارُ الْمِلَّةِ الْبَيْتِيَّةِ





الوسيلة الأكاديمية

إلى العلوم العربية







# الوسيلة للاختيار

إلى العلوم العربية

تأليف

الدكتورة الفغوي النافذ الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمة الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميله الأهدل





الطبعة الأولى  
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م  
جميع الحقوق محفوظة للنَّاشِر

## دار المنهاج للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع الملك فهد - جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 00966 12 6326666

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص. ب 22943 - جدة 21416

[www.alminhaj.com](http://www.alminhaj.com)

E-mail: [info@alminhaj.com](mailto:info@alminhaj.com)

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6



الكتاب الأول الذي راض خيال شوقي ، وصقل طبعه  
وصحَّ نشأته الأدبية .. هو بعينه الذي كانت منه بصيرة حافظ  
أي : كتاب « **الوسيلة الأدبية** » للمصطفى

مصطفى صادق الرافعي





# [ فنّ نفت‌داشمر ]





## [ الناسُ في نقدِ الشعرِ وسائرِ الكلامِ صنفانِ ]

ثمَّ اعلمُ : أنَّ الناسَ في نقدِ الشعرِ وسائرِ الكلامِ صنفانِ :

**الصِّنْفُ الأوَّلُ :** الشعراءُ والكتَّابُ ورُواةُ المنظومِ والمنثورِ مِنَ العلماءِ : لغرضِ التعليمِ والتأديبِ ، وهؤلاءِ إنَّما انتقدوا بما ظهرَ قبْحُهُ ، وتَبَيَّنَ فيه المخالفةُ للحكمةِ في تشريفِ النوعِ الإنسانيِّ بالكلامِ ؛ كنوعَيِ التعقيدِ والحشوِّ والتطويلِ ، والخطأِ في المعاني ، واستعمالِ ألفاظٍ لائقةٍ بمَقامٍ في غيرِهِ . . . إلى ما يشاكلُ ذلكَ ، وكفَّاكَ ما سلفَ مُنبِّهاً عليه ، وربَّما تسامحوا في أشياءَ لیسَتْ بتلكَ المنزلةِ ؛ لِمَا عرفوا مِنَ القصورِ الطبيعيِّ الذي لا يمكنُ معه الاستكمالُ على الإطلاقِ .



**الصِّنْفُ الثاني :** أولئك العلماءُ الذين تكلَّموا في إثباتِ إعجازِ القرآنِ الشريفِ مِنْ جهةِ البلاغةِ ، ووضعوا لذلكَ مُصنَّفاتٍ ، وهؤلاءِ حيثُ إنَّهم قرنوا بينَ الكلامِ البريءِ مِنْ كلِّ عيبٍ جلَّ أو دقَّ ، ظهرَ أو خفي ، وهو كلامٌ مَنْ لا تخفى عليه خافيةٌ ، وبينَ كلامِ الناسِ الذين هم موضعُ السَّهْوِ والنِّسيانِ ، لا يكادُ يَسَلِّمُ لَهُمْ كلامٌ مِنْ مُتعلِّقٍ . . لزمَّهم أن يبالغوا في البحثِ والتفتيشِ ، وألَّا يَتَغاضَوْا عن شيءٍ يمكنُ أن يُؤثِّرَ في سلامةِ الكلامِ وبراءتِهِ مِنَ المطاعنِ .





## [ نقد الإمام الباقلاني لمعلقة امرئ القيس ]

وهنا مورد لك من ذلك أنموذجاً : قال أحد المصنّفين في ذلك الغرض حيث انتهى من القول إلى إبانة سقوط درجة الشعر كيفما كان عن درجة الكتاب العزيز من البلاغة<sup>(١)</sup> : فنرجع الآن إلى ما ضمّناه من الكلام على الأشعار المتّفق على جودتها وتقدّم أصحابها في صناعتهم ؛ لبيان لك تفاوت أنواع الخطاب ، وتباعّد مواقع البلاغة ، وتستدلّ على مواضع البراعة .

وأنت لا تشكّ في جودة شعر امرئ القيس ، ولا ترتاب في براعته ، ولا تتوقّف في فصاحته ، وتعلم أنّه قد أبدع في طرق الشعر أموراً اتّبع فيها ؛ من ذكر الديار ، والوقوف عليها ، إلى ما يتصل بذلك من البديع الذي أبدعه ، والتشبيه الذي أحدثه ، والمليح الذي تجدّ في شعره ، والتصرّف الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي ينقسم إليها كلامه ؛ من صناعة وطبع ، وسلاسة وعفو ، ومتانة ورقة ، وأسباب تحمّد ، وأمور تؤثر وتمدح .

وقد ترى الأدباء أولاً يوازنون به فلاناً وفلاناً ، ويضمّون أشعارهم إلى شعره ، حتى ربّما وازنوا بين شعر من لقيناه وبينه في أشياء لطيفة وأمور بديعة ، وربّما فضّلوه عليه ، أو سوّوا بينهم وبينه ، أو قرّبوا موضع تقدّمه عليهم ، [ وبرّزوه ] بين أيديهم .

ولمّا اختاروا قصيدته في السبعيّات . . أضافوا إليها أمثالها ، وقرنوا بها نظائرها ، ثمّ تراهم يقولون : فلان لامية مثلها ، ثمّ ترى أنفس الشعراء تشوّق إلى معارضته ، وتساوويه في طريقته ، وربّما غبّرت في وجهه في أشياء كثيرة ، وتقدّمت عليه في أسباب عجيبة .

(١) انظر « إعجاز القرآن » للباقلاني ( ص ١٥٨ - ١٨٣ ) .

وإذا جاؤوا إلى تعدادِ محاسنِ شعرِهِ . . كَانَ أَمراً محصوراً ، وشيئاً معروفاً ،  
 أَنْتَ تَجِدُ مِنْ ذَلِكَ الْبَدِيعِ أَوْ أَحْسَنَ مِنْهُ فِي شَعْرِ غَيْرِهِ ، وتشاهدُ مثلَ ذَلِكَ  
 الْبَارِعِ فِي كَلَامِ سِوَاهُ ، وتنظرُ إلى الْمُحَدِّثِينَ كَيْفَ تَوَغَّلُوا إلى حِيَاظَةِ الْمَحَاسَنِ ؛  
 مِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ رِصَانَةَ الْكَلَامِ إلى سِلَاسَتِهِ ، وَمَتَانَتَهُ إلى عَذُوبَتِهِ ، وَالْإِصَابَةَ  
 فِي مَعْنَاهُ إلى تَحْسِينِ بَهْجَتِهِ ، حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ قَصَرَ عَنْهُ فِي بَعْضٍ . .  
 تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فِي بَعْضٍ ؛ لِأَنَّ الْجِنْسَ الَّذِي يَرْمُونَ إِلَيْهِ وَالْغَرَضَ الَّذِي يَتَوَارَدُونَ  
 عَلَيْهِ مِمَّا لِلْأَدَمِيِّ فِيهِ مَجَالٌ ، فَكُلٌّ يَضْرِبُ فِيهِ بِسَهْمٍ ، وَيَفُوزُ فِيهِ بِقَدْحٍ ، ثُمَّ  
 قَدْ تَفَاوَتْ السَّهَامُ تَفَاوُتاً ، وَتَبَايَنُ تَبَايُناً ، وَقَدْ تَقَارَبُ تَقَارُباً ، عَلَى حَسَبِ  
 مُشَاكَلَتِهِمْ فِي الصَّنَائِعِ ، وَمَسَاهَمَتِهِمْ فِي الْحِرَفِ .

وَنَظْمُ الْقُرْآنِ جِنْسٌ مُتَمَيِّزٌ ، وَأَسْلُوبٌ مُتَخَصِّصٌ ، فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ عَظَمَ  
 شَأْنِهِ . . فَتَأَمَّلْ مَا نَقُولُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ لَامِرِئِ الْقَيْسِ فِي أَجُودِ أَشْعَارِهِ ، وَمَا  
 [ نُبَيِّنُ ] لَكَ مِنْ عَوَارِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ ، **وَذَلِكَ قَوْلُهُ<sup>(١)</sup>** : [ مِنْ الطَّوِيلِ ]

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ      بِسْقَطِ أَلْلَوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ  
 فَتُوضَحَ فَأَلْمَقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا      لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ  
 الَّذِينَ يَتَعْصَّبُونَ لَهُ وَيَدَّعُونَ الْمَعْرِفَةَ بِمَحَاسَنِ الشَّعْرِ . . يَقُولُونَ : هَذَا  
 مِنَ الْبَدِيعِ ؛ لِأَنَّهُ وَقَفَ وَاسْتَوْقَفَ ، وَبَكَى وَاسْتَبَكَى ، وَذَكَرَ الْعَهْدَ وَالْحَبِيبَ  
 وَالْمَنْزَلَ فِي نَصْفِ بَيْتٍ ، وَنَحَوَ ذَلِكَ .

وَأِنَّمَا بَيَّنَّا هَذَا لِئَلَّا يَقَعَ لَكَ ذَهَابُنَا عَنْ مَوَاضِعِ الْمَحَاسَنِ إِنْ كَانَتْ .  
 تَأَمَّلْ - أَرَشِدَكَ اللَّهُ - أَنْتَ . . تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْبَيْتَيْنِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ فِي  
 مِيدَانِهِ شَاعِراً ، وَلَا تَقَدَّمَ بِهِ صَانِعاً ، وَفِي لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ خَلَلٌ :

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٨ ) وما بعدها ، وسيسرِد الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى جُلَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ .



**فَأَوَّلُ ذَلِكَ :** أَنَّهُ اسْتَوْقَفَ ثُمَّ اسْتَبَكَى لَذِكْرِ الْحَبِيبِ ، وَذَكَرَاهُ لَا تَقْتَضِي  
بِكَاءِ الْخَلِيِّ ، وَإِنَّمَا يَصْحُحُ طَلَبُ [ الْإِسْعَادِ ] فِي مِثْلِ هَذَا عَلَى أَنْ يَبْكِيَ  
لِبُكَائِهِ ، وَيَرْقَّ لَصَدِيقِهِ فِي شِدَّةِ بُرْحَائِهِ ، فَأَمَّا أَنْ يَبْكِيَ عَلَى حَبِيبِ صَدِيقِهِ  
وَعَشِيقِ رَفِيقِهِ . . فَأَمْرٌ مُحَالٌ !!

فَإِنْ كَانَ الْمَطْلُوبُ وَقُوفُهُ وَبُكَاءُهُ أَيْضاً عَاشِقاً . . صَحَّ الْكَلَامُ [ مِنْ وَجْهِ ] ،  
وَفَسَدَ الْمَعْنَى مِنْ وَجْهِ آخَرَ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ السَّخْفِ أَنْ يَدْعُو غَيْرَهُ إِلَى التَّوَاجُدِ مَعَهُ  
فِي حَبِيبِهِ .

ثُمَّ فِي الْبَيْتَيْنِ مَا لَا يَفِيدُ ، مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَتَسْمِيَةِ هَذِهِ  
الْأَمَاكِنِ ؛ مِنَ الدَّخُولِ وَخَوْمَلٍ وَتَوْضِيحٍ وَالْمِقْرَاةِ وَسَقَطِ اللَّوِيِّ ، وَقَدْ كَانَ  
يَكْفِيهِ أَنْ يَذْكُرَ فِي التَّعْرِيفِ بَعْضَ هَذَا ، وَهَذَا التَّطْوِيلُ إِذَا لَمْ يَفِدْ . . كَانَ  
ضَرْباً مِنَ الْعِيِّ .

**ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ :** ( لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ) ذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ مُحَاسِنِهِ أَنَّهُ بَاقٍ ،  
فَنَحْنُ نَحْزَنُ عَلَى مَشَاهِدَتِهِ ، فَلَوْ عَفَا . . لَاسْتَرْخْنَا .

وَهَذَا بَأَنْ يَكُونَ مِنْ مَسَاوِيهِ أَوْلَى ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ صَادِقَ الْوَدِّ . . فَلَا يَزِيدُهُ  
عَفَاءُ الرُّسُومِ إِلَّا جِدَّةَ عَهْدٍ ، وَشِدَّةَ وَجْدٍ .

وَإِنَّمَا فَرَعَ الْأَصْمَعِيُّ لَذِكْرِ أَنَّهُ أَفَادَ هَذِهِ الْفَائِدَةَ ؛ خَشْيَةً أَنْ يُعَابَ عَلَيْهِ  
فَيُقَالُ : أَيُّ فَائِدَةٍ لَأَنْ يُعَرِّفَنَا أَنَّهُ لَمْ يَعْفُ رَسْمَ مَنَازِلِ حَبِيبِهِ ؟! وَأَيُّ مَعْنَى  
لِهَذَا الْحَشْوِ ؟! فَذَكَرَ مَا يُمْكِنُ أَنَّهُ يُذَكِّرُ ، وَلَكِنْ لَمْ يُخْلِصْهُ بَانْتِصَارِهِ مِنَ  
الْخَلَلِ .

ثُمَّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ خَلَلٌ آخَرٌ ؛ لِأَنَّهُ عَقَّبَ الْبَيْتَ بِأَنْ قَالَ <sup>(١)</sup> :

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ .....

(١) سِيَذْكُرُ الْبَيْتَ تَاماً بَعْدَ نَهَايَةِ هَذَا الْمَقْطَعِ مَعَ بَيْتٍ قَبْلَهُ ، فَلْيَنْتَبِهْ .

ذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير<sup>(١)</sup> : [من البسيط ]

قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ      بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحَ وَالْدِيَمُ  
وقال غيره : أراد بالبيت الأول أنه لم ينطمس أثره كله ، وبالثاني أنه ذهب  
بعضه ، حتى لا يتناقض الكلامان ، وليس في هذا انتصار ؛ لأن معنى ( عفا )  
( درس ) واحد ، فإذا قال : لم يعف رسمها ، ثم قال : قد عفا . . فهو تناقض  
لا محالة ، واعتذار أبي عبيدة أقرب لو صح ، ولكن لم يرد هذا القول مورد  
الاستدراك على ما قاله زهير ، فهو إلى الخل أقرب .

**وقوله :** ( لِمَا نَسَجْتَهَا ) كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : لِمَا نَسَجَهَا ، وَلَكِنَّهُ تَعَسَّفَ  
فَجَعَلَ ( مَا ) فِي تَأْوِيلِ تَأْنِيثٍ ؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الرِّيحِ ، وَالْأُولَى التَّذْكِيرُ دُونَ  
التَّأْنِيثِ ، وَضُرُورَةُ الشَّعْرِ قَدْ دَلَّتْهُ عَلَى هَذَا التَّعَسُّفِ .

**وقوله :** ( لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ) كَانَ الْأُولَى أَنْ يَقُولَ : لَمْ يَعْفُ رَسْمُهُ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ  
الْمَنْزَلَ ، فَإِنْ كَانَ رَدُّ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْبِقَاعِ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي الْمَنْزَلُ وَاقِعٌ بَيْنَهَا . .  
فَذَلِكَ خَلَلٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُ صِفَةَ الْمَنْزَلِ الَّذِي نَزَلَهُ حَبِيبُهُ بَعْفَائِهِ ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ  
يَعْفُ دُونَ مَا جَاوَرَهُ ، وَإِنْ أَرَادَ بِالْمَنْزَلِ الدَّارَ حَتَّى أَتَتْ . . فَذَلِكَ أَيْضًا خَلَلٌ .  
وَلَوْ سَلِمَ مِنْ هَذَا كَلِّهِ وَمِمَّا نَكَرَهُ ذَكَرَهُ كَرَاهِيَةَ التَّطْوِيلِ . . لَمْ نَشْكُ فِي أَنَّ  
شَعَرَ أَهْلِ زَمَانِنَا لَا يَقْصُرُ عَنِ الْبَيْتَيْنِ ، بَلْ يَزِيدُ عَلَيْهِمَا وَيَفْضُلُهُمَا .

**ثُمَّ قَالَ :**

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ      يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ  
وَأَنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ      فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » ( ص ١١٦ ) بشرح ثعلب ، وفيه النقل عن أبي عبيدة لهذا المعنى .



ليسَ في البيتينِ أيضاً معنىً بديعٌ ، ولا لفظٌ حسنٌ ؛ كالأولينِ .

والبيتُ الأولُ منهما مُتعلِّقٌ بقوله : ( قفا نبك ) ، فكأنَّه قالَ : قفا وقوفَ  
صحبي بها عليّ مطيَّهم ، أو قفا حالَ وقوفِ صحبي .

**وقوله :** ( بها ) مُتأخَّرٌ في المعنى وإن تَقَدَّمَ في اللفظِ ، ففي ذلكَ تَكَلُّفٌ  
وخروجٌ عن اعتدالِ الكلامِ .

والبيتُ الثاني مُختلٌّ مِنْ جهةٍ أَنَّهُ قد جعلَ الدَّمْعَ في اعتقاده شافياً كافياً ،  
فما حاجتُه بعدَ ذلكَ إلى طلبِ حيلةٍ أخرى ، ومُعَوَّلٍ عندَ الرُّسومِ ، ولو أرادَ  
أن يُحسِّنَ الكلامَ . . لوجبَ أن يَدُلَّ على أنَّ الدَّمْعَ لا يَشْفِيهِ ؛ لِشِدَّةِ ما بِهِ مِنَ  
الحزنِ ، ثمَّ يسأَلُ : هل عندَ الربعِ مِنْ حيلةٍ أخرى ؟

**وقوله :**

كَذَّابِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا      وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ  
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا      نَسِيمَ اللَّصْبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْنُفَلِ  
أَنْتَ لَا تَشْكُ فِي أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ ، ليسَ لَهُ مَعَ ذلكَ بهجةٌ ،  
فقد يكونُ الكلامُ مصنوعَ اللفظِ وإن كَانَ منزوعَ المعنى .

وأما البيتُ الثاني . . فوجهُ التكلُّفِ فيه قوله : ( إذا قامتا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ  
منهما ) ، ولو أرادَ أن يُجَوِّدَ . . أفادَ أنَّ بهما طيباً على كلِّ حالٍ ، فأما في حالِ  
القيامِ فقط . . فذلكَ تقصيرٌ .

ثمَّ فيه خللٌ آخرٌ ؛ لأنَّه بعدَ أن شَبَّهَ عَرَفَهَا بِالْمِسكِ . . شَبَّهَ ذلكَ بَرِيًّا  
القرنفلِ ، وذكرَ ذلكَ بعدَ ذكرِ الْمِسكِ نقصٌ .

## وقوله :

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً      عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي  
أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ      وَلَا سِيَّماً يَوْماً بِدَارَةِ جُلْجُلٍ  
**قوله :** ( ففاضت دموع العين ) ، ثم استعانته بقوله : ( مني ) استعانة  
ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة ، وهو حشو غير مليح ولا بديع .

**وقوله :** ( على النحر ) حشو آخر ؛ لأن قوله : ( بل دمعي محملي ) يغني  
عنه ويدل عليه ، وليس بحشو حسن .

**ثم قوله :** ( حتى بل دمعي محملي ) إعادة ذكر الدمع حشو آخر ، وكان  
يكفيه أن يقول : حتى بلت محملي ، فاحتاج في إقامة الوزن إلى هذا كله ، ثم  
تقديره أنه قد أفرط في إفاضة الدمع حتى بل محمله . . تفريط منه وتقصير ،  
ولو كان أبدع . . لكان يقول : حتى بل دمعي مغانيهم وعراضهم ، ويشبه أن  
يكون غرضه إقامة الوزن والقافية ؛ فإن الدمع يبعد أن يبُلَّ المحمل ، وإنما  
يقطر من الواقف والقاعد على الأرض ، أو على الدليل ، وإن بَلَّه . . فلقلته ،  
وأنه لا يقطر .

وأنت تجد في شعر الخبزري ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب  
منه .

والبيت الثاني خال من المحاسن والبديع خلوه من المعنى ، وليس له لفظ  
يروق ، ولا معنى يروغ ، ولا يرعك تهويله باسم موضع غريب .

## وقال :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي      فَيَا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ  
فَظَلَّ الْعَذَارَى يَزْتَمِينَ بِلَحْمِهَا      وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدِّمَقْسِ الْمُفْتَلِ



**تقديرُهُ:** اذكر يومَ عقرتُ مطيتي ، أو يَرُدُّهُ على قولِهِ : ( [ يوماً ] بدارة جُلْجُلٍ ) .

قالَ بعضُ الأدباءِ : قولُهُ : ( يا عجباً ) يُعَجِّبُ مِنْ سَفَهِهِ فِي شَبَابِهِ مِنْ نَحْرِهِ نَاقَتَهُ لَهُنَّ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِاللَّامِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ هَذَا الْمِصْرَاعِ مَنْقُطِعاً عَنِ الْأَوَّلِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُلَائِماً لَهُ .

وهذا الذي ذكرَهُ بعيدٌ ، وهو مَنْقُطِعٌ مِنَ الْأَوَّلِ ، **وظاهرُهُ:** أَنَّهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَحْمُلِ الْعَذَائِي رَحْلَهُ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا عَجَبٌ كَبِيرٌ ، وَلَا فِي نَحْرِ النَاقَةِ لَهُنَّ تَعَجُّبٌ .

وإن كَانَ يَعْنِي بِهِ أَنَّهُنَّ حَمَلْنَ رَحْلَهُ ، وَأَنَّ بَعْضَهُنَّ حَمَلَتْهُ ، فَعَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِرَحْلِهِ . . فهذا قليلاً يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ عَجَباً ، لَكِنَّ الْكَلَامَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَيَتَجَافَى عَنْهُ .

ولو سَلِمَ الْبَيْتُ مِنَ الْعَيْبِ . . لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ غَرِيبٌ ، وَلَا مَعْنَى بَدِيعٌ ، أَكْثَرُ مِنْ سَلَامَتِهِ مَعَ قِلَّةِ مَعْنَاهُ ، وَتَقَارِبِ أَمْرِهِ ، وَمَشَاكَلَتِهِ طَبَعَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا .

وإلى هذا الموضعِ لَمْ يَمُرَّ لَهُ بَيْتٌ رَائِعٌ وَكَلَامٌ رَائِقٌ .

وأمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَيَعْدُونَهُ حَسَنًا ، وَيَعْدُونُ التَّشْبِيهَ مَلِيحًا وَاقِعًا ، وَفِيهِ شَيْءٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَرَفَ اللَّحْمَ وَنَكَرَ الشَّحْمَ ، فَلَا يُعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ شَحْمَهَا ، وَذَكَرَ تَشْبِيهَ أَحَدِهِمَا بِشَيْءٍ وَاقِعٍ ، وَعَجَزَ عَنْ تَشْبِيهِ الْآخَرِ ، وَهَذَا نَقْصٌ فِي الصَّنْعَةِ ، وَعَجَزٌ عَنِ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ .

وفِيهِ شَيْءٌ آخَرُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى ؛ وَهُوَ أَنَّهُ وَصَفَ طَعَامَهُ الَّذِي أَطْعَمَ مَنْ أَضَافَ بِالْجُودَةِ ، وَهَذَا قَدْ يُعَابُ ، وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ الْعَرَبَ تَفْتَخِرُ بِذَلِكَ ، وَلَا يَرُونَهُ عَيْبًا ، وَإِنَّمَا الْفَرَسُ هُمُ الَّذِينَ يَرُونَ هَذَا عَيْبًا شَنِيعًا .

وأما تشبيه الشحم بالدمقس . . فشيء يقع للعامة ويجري على ألسنتهم ،  
فليس بشيء قد سبق إليه ، وإنما زاد ( المُفْتَل ) للقافية .

وفيه شيء آخر ؛ وهو أن تبجحه بما أطعم الأحاب مدموم ، وإن ساع  
التبجح بما أطعم الأضياف ، إلا أن يكون أورد الكلام مورد المجون والمزاح .



### وقوله :

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنِيزَةٍ      فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي  
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعَا      عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أَمْرًا الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ  
**قوله :** ( دخلت الخدر خدر عنيزة ) ، تكريره لإقامة الوزن ، لا فائدة فيه  
غيرها ، ولا ملاسة له ولا رونق .

**وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت :** ( فقالت لك الويلات إنك  
مرجلي ) كلام مؤنث من كلام النساء ، نقله على جهته إلى شعره ، وليس  
فيه غير هذا .

وتكريره بعد ذلك : ( تقول وقد مال الغبيط ) يعني : قتب الهودج بعد  
قوله : ( فقالت لك الويلات إنك مرجلي ) . . لا فائدة فيه غير تقدير الوزن ،  
وإلا . . فحكاية قولها الأول كاف ، وهو في النظم قبيح ؛ لأنه ذكر مرة  
( فقالت ) ، ومرة : ( تقول ) في معنى واحد وفصل خفيف ، وفي مصراع  
الثاني أيضاً تأنيث من كلامهن .

وذكر أبو عبيدة أنه قال : ( عقرت بعيري ) ، ولم يقل : ( ناقتي ) لأنهم  
يحملون النساء على ذكور الإبل ؛ لأنها أقوى ، وفيه نظر ؛ لأن البعير اسم  
للذكر والأنثى ، واحتاج إلى ذكر البعير لإقامة الوزن .





### وقوله :

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ      وَلَا تُبْعِدِينِي عَنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ  
فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعٍ      فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُغِيلِ  
البيت الأول قريب النَّسَج ، ليس له معنى بديع ، ولا لفظ شريف ، كأنه  
من عبارات المنحطين في الصنعة .

**وقوله :** ( فمثلك حبلى قد طرقت ) عابه عليه أهل العربية ، ومعناه عندهم  
حتى يستقيم الكلام : فرب مثلك حبلى قد طرقت ، **وتقديره :** أنه زير نساء ،  
وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن ؛ لأن الحبلى والمرضعة أبعد  
من الغزل وطلب الرجال .

والبيت الثاني غير منتظم مع المعنى الذي قدّمه في البيت الأول ؛ **لأنَّ**  
**تقديره :** لا تبعدينى عن نفسك ؛ فإني أغلب النساء وأخدعن عن رأيهن ،  
وأفسدن بالتغازل ، وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن وترك إبعادهن  
إياه ، بل يوجب هجره والاستخفاف به ؛ لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش ،  
وركوبه كل مركب فاسد ، وفيه من الفحش ما يستنكف الكريم من مثله ،  
ويأنف من ذكره .

### وقوله :

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا أَنْصَرَفَتْ لَهُ      بِشَقٍّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ  
وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الْكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ      عَلَيَّ وَالَّتِ حَلْفَةٌ لَمْ تُحَلَّلِ  
فالبيت الأول غاية في الفحش ، ونهاية في السخف ، وأي فائدة لذكره لعشيقته  
كيف كان يركب هذه القبائح ، ويذهب هذه المذاهب ، ويرد هذه الموارد ؟!

إِنَّ هَذَا لِيَبْغِضُهُ إِلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ ، وَيُوجِبُ لَهُ الْمَقْتَ ، وَهُوَ لَوْ  
صَدَقَ . . لَكَانَ قَبِيحاً ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ كَاذِباً ؟! ثُمَّ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ لَفْظٌ بَدِيعٌ  
وَلَا مَعْنَى حَسَنٌ ، وَهَذَا الْبَيْتُ مُتَّصِلٌ بِالْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ الْمَرْضَعِ الَّتِي  
لَهَا وَلَدٌ مُحْوَلٌ .

فَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ : ( وَيَوْمًا ) يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا تَشَدَّدَتْ  
وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ وَحَلَفَتْ عَلَيْهِ . . **فَهُوَ كَلَامٌ رَدِيءُ النَّسَجِ** ، لَا فَائِدَةَ لَذِكْرِهِ  
لَنَا أَنَّ حَبِيبَتَهُ تَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ يُسَمِّيهِ وَيَصِفُهُ ، وَأَنْتَ تَجِدُ فِي  
شَعْرِ الْمُحَدَّثِينَ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ فِي التَّغَزُّلِ مَا يَذُوبُ مَعَهُ اللَّبُّ ، وَتَطَرَّبُ  
عَلَيْهِ النَّفْسُ ، وَهَذَا مِمَّا تَسْتَنْكِرُهُ النَّفْسُ ، وَيَشْمَتُّ مِنْهُ الْقَلْبُ ، وَلَيْسَ فِيهِ  
شَيْءٌ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْحَسَنِ .

### وقوله :

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ      وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي  
أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي      وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي أَلْقَلْبَ يَفْعَلِ  
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِيهِ رَكَاكَةٌ جَدًّا وَتَأْنِيثٌ وَرَقَّةٌ ، وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ يَقُولَ : كَلَامُ  
النِّسَاءِ بِمَا يَلَائِمُهُنَّ مِنَ الطَّبَعِ أَوْقَعَ وَأَغْزَلَ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّكَ تَجِدُ الشُّعْرَاءَ  
فِي الْمُؤَنَّثِ لَمْ يَعْدِلُوا عَنْ رِصَانَةِ قَوْلِهِمْ .

وَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي مُنْقَطِعٌ عَنِ الْأَوَّلِ ، لَا يَلَائِمُهُ وَلَا يُوَافِقُهُ ، وَهَذَا بَيِّنٌ لَكَ  
إِذَا عَرَضْتَ مَعَهُ الْبَيْتَ الَّذِي تَقْدِّمُهُ ، وَكَيْفَ يَنْكَرُ تَدَلُّلَهَا وَالْمُتَغَزَّلُ يَطَرَّبُ عَلَى  
دَلَالِ الْحَبِيبِ وَتَدَلُّلِهِ ؟!

وَالْبَيْتُ الثَّانِي قَدْ عِيبَ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ مِنْ سَبِيلِهَا أَلَّا تَغْتَرَّ بِمَا



يَدُلُّهَا مِنْ أَنَّ حَبَّهَا يَقْتُلُهُ ، وَإِنَّمَا تَمْلِكُ قَلْبَهُ ، فَمَا أَمَرْتُهُ فَعَلَهُ ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ ذَلِكَ ؟!

وإن كَانَ المعنى غيرَ هذا الذي عِيبَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا ذَهَبَ مَذْهَباً آخَرَ ؛ وَهُوَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ التَّجَلُّدَ . . فلهذا خِلَافٌ مَا أَظْهَرَ مِنْ نَفْسِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَبْيَاتِ ؛ مِنَ الْحَبِّ وَالْبُكَاءِ عَلَى الْأَحَبَّةِ ، فَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْهِ آخَرَ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ وَالْإِحَالَةِ فِي الْكَلَامِ .

**ثُمَّ قَوْلُهُ :** ( تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ ) كَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يَقُولَ : تَأْمُرِينِي ؛ [ إِذِ ] الْقَلْبُ لَا يُؤْمَرُ ، فَالاستِعَارَةُ فِي ذَلِكَ غَيْرُ وَاقِعَةٍ وَلَا حَسَنَةٍ .

### وقولُهُ :

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ      فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ [ تَنْسُلِ ]  
وَمَا [ ذَرَفْتُ ] عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي      بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ  
الْبَيْتُ الْأَوَّلُ قَدْ قِيلَ فِي تَأْوِيلِهِ : إِنَّهُ ذَكَرَ الثَّوْبَ وَأَرَادَ الْبَدَنَ ؛ مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هَذَا مِثْلُ اللَّهْجَرِ ، **وَتَنْسُلُ :** تَبِينُ وَتَنْفَصِلُ ، وَهُوَ بَيْتٌ رَكِيكُ الْمَعْنَى وَضِيعُهُ ، وَكُلُّ مَا أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ وَوَصَفَهَا بِهِ . . سَقُوطٌ وَسَفَهٌ وَسَخْفٌ ، وَيُوجِبُ قِطْعَهُ ، فَلِمَ لَمْ يَحْكَمْ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ يُورِدُهُ مُورِدَ أَنْ لَيْسَتْ لَهُ خَلِيقَةٌ تُوجِبُ هَجْرَانَهُ [ وَالتَّفْصِي ] مِنْ وَصْلِهِ ، وَأَنَّهُ مُهَذَّبُ الْأَخْلَاقِ ، شَرِيفُ الشَّمَائِلِ ، فَذَلِكَ يُوجِبُ إِلَّا يَنْفَكَ مِنْ وَصَالِهِ .

وَالاستِعَارَةُ فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي فِيهَا تَوَاضُعٌ وَتَقَارُبٌ وَإِنْ كَانَتْ غَرِيبَةً .

(١) سورة المدثر : ( ٤ ) .

وأما البيت الثاني . . فمعدودٌ مِنْ محاسنِ القصيدةِ وبدائعِها ، **ومعناه :**  
ما بكيتِ إِلَّا لتَجْرَحِي قلباً مُعَشَّراً - أي : مُكْسَراً - مِنْ قولِهِمْ : برمةٌ أعشارٌ ؛  
إذا كانتَ قطعاً ، هذا تأويلٌ ذكره الأصمعيُّ رضيَ اللهُ عنه ، وهو أشبهُ عندَ  
أكثرِهِمْ .

وقالَ غيرُهُ : وهذا مثلٌ للأعشارِ التي تقسمُ الجَزورُ عليها ، ويعني  
( بسهميكِ ) : المُعلَى ؛ ولهُ سبعةٌ أنصباء ، والرقيبُ ؛ ولهُ ثلاثةٌ ، فأرادَ  
أنَّكَ ذهبتِ بقلبي أجمعَ .

**ويعني بقوله :** ( مُقْتَلٍ ) : مُذَلِّلٍ ، وأنتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ على ما يعني به فهو  
غيرُ موافقٍ للآياتِ المُتَقَدِّمةِ ؛ لِمَا فيها مِنَ التناقضِ الذي بيَّنَّا .

ويشبهُ أن يكونَ مَنْ قالَ بالتأويلِ الثاني فزعَ إليه لَأَنَّهُ رأى اللفظَ مُستَكْرَهاً  
على المعنى الأولِ ؛ لأنَّ القائلَ إذا قالَ : ضربَ فلانٌ بسهمِهِ في الهدفِ ؛  
بمعنى : أصابَهُ . . كانَ كلاماً ساقطاً مردوفاً ، وهو يرى أنَّ معنى الكلمةِ  
أَنَّ عَيْنِيها كالسَّهْمَيْنِ النافذَيْنِ في إصابةِ قلبِهِ المجروحِ ، فلمَّا بكتا وذرفتَا  
بالدموعِ . . كانتا ضاربتَيْنِ في قلبِهِ .

ولكنَ مَنْ حملَ على التأويلِ الثاني . . سَلِمَ مِنَ الخَلَلِ الواقعِ في اللفظِ ،  
ولكنَّهُ إذا حملَ على الثاني . . فسَدَ المعنى واختلَّ ؛ لَأَنَّهُ إن كانَ مُجَبَّاً على  
ما وصفَ بِهِ نفسَهُ مِنَ الصَّبابَةِ . . فقلْبُهُ كُلُّهُ لها ، فكيفَ يكونُ بكاؤُها هوَ  
الذي يُخْلِصُ قلبَهُ لها ؟!

**واعلم بعدَ هذا :** أنَّ البيتَ غيرُ ملائمٍ للبيتِ الأولِ ولا مُتَّصِلٌ بِهِ في  
المعنى ، وهو منقطعٌ عنه ؛ لَأَنَّهُ لم يَسْبِقْ كلامٌ يقتضي بكاءَها ، ولا سببٌ  
يُوجِبُ ذلكَ ، فتركيبُهُ هذا الكلامَ على ما قبلَهُ فيه اختلالٌ .

ثمَّ لو سَلِمَ لَهُ بيتٌ مِنْ عشرينَ بيتاً ، وكانَ بديعاً ولا عيبَ فيه . . فليسَ



بعجيب ؛ لأنه لا يُدعى على مثله أن كلامه كله متناقض ، ونظمه كله متباين ،  
وإنما يكفي أن نبين أن ما سبق من كلامه إلى هذا البيت ممّا لا يمكن أن  
يقال : إنه يتقدّم فيه أحداً من المتأخرين ، فضلاً عن المتقدمين ، وإنما قدّم  
في شعره لأبيات قد برع فيها ، وبأن حذفه بها .

وإنما أنكرنا أن يكون شعره متناسباً في الجودة ، ومتشابهاً في صحّة  
المعنى واللفظ ، قلنا : إنه يتصرّف بين وحشي غريب مُستنكر ، وبين كلام  
سليم مُتوسّط ، وبين عامّي سُوقي في اللفظ والمعنى ، وبين حكمة حسنة ،  
وبين سخف مستشنع ، ولهذا قال الله عزّ اسمه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
لُوجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

### وقوله :

وَبَيْضَةِ خَدِرٍ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا      تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِ بِهَا غَيْرِ مُعْجَلٍ  
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ      عَلَيَّ حِرَاصٍ لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي  
فقد قالوا : عنى بذلك أنها كبيضة خدرٍ في صفائها ورقّتها ، وهذه  
كلمة حسنة ، ولكن لم يسبق إليها ، بل هي دائرة في أفواه العرب ، وتشبيه  
سائر .

**ويعني بقوله :** ( غير مُعْجَلٍ ) أنه ليس ذلك ممّا يتفوّق قليلاً وأحياناً ،  
بل يتكرّر له الاستمتاع بها ، وقد يحملّه غيره على أنه رابط الجأش ، فلا  
يستعجل إذا دخل إليها خوف حصانيتها [ ومنعتها ] ، وليس في البيت كبير  
فائدة ؛ لأنّ الذي حكى في سائر أبياته قد تضمّن مطاولته في المغازلة ،

(١) سورة النساء : ( ٨٢ ) .

واشغاله بها ، فتكريره في هذا البيت مثل ذلك .. قليل المعنى ، ليس فيه إلا الزيادة التي ذكر من [ منعيتها ] .

والبيت الثاني ضعيف ، **وقوله** : ( لو يُسرّون مقتلي ) أراد أن يقول : لو أسروا ، فإذا نقله إلى هذا .. ضَعَفَ ، ووقع في مضمار الضرورة ، والاختلال على نظمه بين ، حتى إن المحترز يحترز من مثله .



### وقوله :

إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ      تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْصَلِ  
قد أنكر عليه قوم قوله : ( إذا ما الثريا في السماء تعرّضت ) وقالوا :  
الثرى لا تعرّض ، حتى قال بعضهم : سمى الثرى وإنما أراد الجوزاء ؛ لأنها  
تعرّض ، والعرب تفعل ذلك ، كما قال زهير : ( كأحمر عادٍ )<sup>(١)</sup> ، وإنما هو  
أحمر ثمود ، وقال بعضهم في تصحيح قوله : تعرّض أول ما تطلع ، كما أن  
الوشاح إذا طرح .. يلقاك بعرضه ؛ وهو ناحيته .

وقال أبو عمرو : يعني : إذا أخذت الثريا في وسط السماء كما يأخذ  
الوشاح وسط المرأة ، **والأشبه عندنا** : أن البيت غير معيب من حيث عابوه  
به ، وأنه من محاسن هذه القصيدة ، وإن كان فيه ضرب من التكلف ؛  
لأنه قال : ( إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح ) فقوله :  
( تعرّضت ) من الكلام الذي يستغنى عنه ؛ لأنها تشبه أثناء الوشاح سواء  
كانت في وسط السماء وعند الطلوع والمغيب ، والتهويل بالتعرّض والتطويل  
بهذه الألفاظ .. لا معنى له .

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » ( ص ٢٨ ) ، والبيت بتمامه :

فَتَنْتِجَ لَكُمْ غُلْمَانٌ أَشْأَمَ كُلُّهُم      كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُزْضِعُ فَتَقْطِمْ



وفيه : أَنَّ الثَّيَّاءَ كَقِطْعَةٍ مِنَ الْوِشَاحِ الْمُفْضَلِ ، فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ : ( تَعَرَّضَ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ ) ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : تَعَرَّضَ قِطْعَةً مِنْ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ ، فَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ اللَّفْظُ .

### وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضَّلِ  
انظر إلى هذا البيت والأبيات التي قبله كيف خلط في النظم ، وفرط في التأليف ، فذكر التمتع بها ، وذكر الوقت والحال والحراس ، ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها ؛ من نزعها ثيابها إلا ثوباً واحداً ، **والمُتَفَضَّلُ** : الذي في ثوب واحد ؛ وهو الفضل ، فما كان من سبيله أن يُقَدِّمَهُ . . ذكره مؤخراً .

### وقوله : ( لَدَى السِّتْرِ ) حشو ، وليس بحسن ولا بديع .

### وقوله :

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلٍ  
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى بِنَا بَطْنٌ خَبَتْ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ  
البيت الأول ذكر فيه مساعدتها إياه حتى قامت معه [ ليخلوا ] ، وكانت تَجُرُّ على الإثرِ أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلٍ ، **والمُرَحَّلُ** : ضربٌ مِنَ الْبُرُودِ يُقَالُ لَوْشِيهِ : الترحيل ، وفيه تَكْلُفٌ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : ( وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا ) وَلَوْ قَالَ : عَلَى إِثْرِنَا . . كَانَ كَافِيًا ، وَالذَّيْلُ : إِنَّمَا يُجَرُّ وَرَاءَ الْمَاشِي ، فَلَا فَائِدَةَ لَذِكْرِهِ ( وَرَاءَنَا ) ، **وتقدير القول** : فقمْتُ أَمْشِي بها ، وهذا أيضاً ضربٌ مِنَ التَّكْلُفِ .

**وقوله:** ( أذِيَالِ مِرْطٍ ) كَانَ مِنْ سَبِيلِهِ أَنْ يَقُولَ : ذِيلَ مِرْطٍ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ . . كَانَ قَرِيبًا ، لَيْسَ مِمَّا يَفُوتُ بِمَثَلِهِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَتَقَدَّمُ بِهِ سِوَاهُ ، وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ أَحْسَنُ مِنْهُ <sup>(١)</sup> :

فَبِتْ أَفْرِشُ خَدِي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَكْمَامِي عَلَى الْأَثَرِ  
وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . **فقوله:** ( أَجْزَنَا ) بِمَعْنَى : قَطَعْنَا ، **وَالْحَبْتُ** : بَطْنٌ مِنَ الْأَرْضِ ، **وَالْقَفُّ** : رَمْلٌ مُتَعَرِّجٌ ، **وَالْعَقْنَقُلُ** : الْمُنْعَقِدُ مِنَ الرَّمْلِ الدَّخَلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .

وهذا البيتُ نافرٌ عن الأبياتِ الْمُتَقَدِّمَةِ ؛ لِأَنَّ فِيهَا مَا هُوَ سَلْسٌ قَرِيبٌ يُشَبِّهُ كَلَامَ الْمُؤَلِّدِينَ ، وَهَذَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ ، وَأَتَى بِهِذِهِ اللَّفْظَةَ الْوَحْشِيَّةَ الْمُتَعَقِّدَةَ ، وَلَيْسَ فِي ذِكْرِهَا وَإِلْحَاقِهَا بِسَوَاقِهَا مِنَ الْكَلِمَاتِ فَائِدَةٌ ، وَالْكَلَامُ الْغَرِيبُ وَاللَّفْظَةُ الشَّدِيدَةُ الْمَبَايِنَةُ لِنَسْجِ الْكَلَامِ قَدْ تُحَمَّدُ إِذَا وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْحَاجَةِ فِي وَصْفٍ مَا يَلَائِمُهَا ؛ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَصْفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فَأَمَّا إِذَا وَقَعَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْقِعِ . . فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ مَذْمُومَةٌ بِحَسَبِ مَا تُحَمَّدُ فِي مَوْضِعِهَا .

وَرُوي أَنَّ جَرِيرًا أَنْشَدَ بَعْضَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ قَصِيدَتَهُ <sup>(٣)</sup> :

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا      أَوْكَلَّمَا جَدُّوَا لِبَيْنِ تَجَزَّعُ  
كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بِنْتُمْ      قَلْبًا يَقَرُّ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ  
فَكَانَ يَزْحَفُ مِنْ حَسَنِ هَذَا الشَّعْرِ حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ :

وَتَقُولُ بَوَزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى الْعَصَا      هَلَّا هَزِئْتَ بِغَيْرِنَا يَا بَوَزَعُ

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » ( ١٩٦/٢ ) ، وفيه : ( ذيلي ) بدل ( خدي ) .

(٢) سورة الإنسان : ( ١٠ ) .

(٣) انظر « ديوان جرير » ( ٩٠٩/٢ ) .

فقال : أفسدت شعرك بهذا الاسم .

### وقوله :

هَصْرْتُ بِغُضْنِي دَوْحَةً فَتَمَايَلْتُ      عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا أَلْمُخْلَخِلِ  
مُهِفْهَفَةٌ بَيَضاءَ غَيْرُ مُفَاضَةٍ      تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ

**فمعنى قوله :** ( هَصْرْتُ ) : جذبتُ وثنيْتُ ، **وقوله :** ( بغضني دوحه )  
تعسُفُ ، ولم يكن من سبيله أن يجعلها اثنيْن ، والمِصرَاعُ الثاني أصحُّ ،  
وليس فيه شيءٌ إلا ما يتكرَّرُ على ألسنة الناس من هاتين الصِّفَتَيْنِ وأنت تجدُ  
ذلك في وصفِ كلِّ شاعرٍ ، ولكنه مع تكررِه على الألسنِ صالحٌ .

**وأما معنى قوله :** ( مُهْفَهَفَةٌ ) : أنها مُخَفَّفَةٌ ليستْ مُثْقَلَةٌ ، **والمُفَاضَةُ :** التي  
اضطربَ طولُها ، والبيتُ مع مخالفته في الطَّبعِ الأبياتِ المُتَقَدِّمَةِ ، ونزوعه فيه  
إلى الألفاظِ المُستَكْرَهَةِ ، وما فيه من الخَلَلِ من تخصيصِ الترائبِ بالضَّوءِ ،  
بعدَ ذكرِ جميعِها بالبياضِ .. ليسَ بظائلٍ ، ولكنه قريبٌ مُتَوَسِّطٌ .

### وقوله :

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي      بِنَازِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِلِ  
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ      إِذَا هِيَ نَصَّتُهُ وَلَا بِمُعْطَلِ

**معنى قوله :** ( عن أسيلٍ ) أي : بأسيلٍ ، وإنما يريدُ خدًّا ليسَ بكِرٍّ ، **وقوله :**  
( تتقي ) يُقالُ : اتقاهُ بحَقِّهِ ؛ أي : جعله بينه وبينه ، **وقوله :** ( تصدُّ وتبدي  
عن أسيلٍ ) متفاوتٌ ؛ لأنَّ الكشفَ عن الوجهِ مع الوصلِ دونَ الصِّدِّ ، **وقوله :**  
( تتقي بنازرةً ) لفظةٌ مليحةٌ ، ولكنْ أضافها إلى ما نظمَ به كلامه ، وهو



مُختلٌّ ؛ وهوَ قولُهُ : ( مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ ) ، ويجبُ أن تكونَ العبارةُ بخلافِ هذا ، كانَ مِنْ سَبِيلِهِ أَنْ [ يَضِيفَ ] إِلَى عِيونِ الظُّبَاءِ أَوِ الْمَهَا دُونَ إِطْلَاقِ الْوَحْشِ ، ففِيهِنَّ مَا تَسْتَنْكِزُ عِيونَهَا ، **وقولُهُ** : ( مُطْفِلٍ ) فَسَّرُوهُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصَبِيَةٍ ، وَأَنَّهَا قَدْ اسْتَحْكَمَتْ ، وَهَذَا اعْتِذَارٌ مُتَعَسِّفٌ .

**وقولُهُ** : ( مُطْفِلٍ ) زِيَادَةٌ لَا فَائِدَةَ فِيهَا عَلَى هَذَا التفسيرِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، وَلَكِنْ قَدْ يَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يَفِيدَ غَيْرَ هَذِهِ الْفَائِدَةِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُطْفِلًا .. لَحَظَتْ أَطْفَالَهَا بِعَيْنِ رَقَّةٍ ، ففِي نَظَرِ هَذِهِ رَقَّةٌ نَظَرِ الْمَوَدَّةِ ، وَيَقَعُ الْكَلَامُ مُعْلَقًا تَعْلِيْقًا مُتَوَسِّطًا .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي .. **فمعنى قولِهِ** : ( لَيْسَ بِفَاحِشٍ ) أَي : لَيْسَ بِفَاحِشِ الطُّولِ ، **ومعنى قولِهِ** : ( نَصَّتُهُ ) رَفَعَتْهُ ، **وقولُهُ** : ( لَيْسَ بِفَاحِشٍ ) فِي مَدْحِ الْأَعْنَاقِ كَلَامٌ وَحْشٌ <sup>(١)</sup> مَوْضُوعٌ مِنْهُ ، وَإِذَا نَظَرْتَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ .. رَأَيْتَ فِي وَصْفِ الْأَعْنَاقِ مَا يَشْبَهُ السَّحَرِ ، فَكَيْفَ وَقَعَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَدُفِعَ إِلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ ؟! وَهَلَّا قَالَ كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ <sup>(٢)</sup> :

مِثْلُ الظُّبَاءِ سَمَتْ إِلَى رَوْضِ صَوَادِرَ عَنْ غَدِيرِ  
لَسْتُ أَطْوُلُ عَلَيْكَ فَتَسْتَقِلَّ ، وَلَا أَكْثَرُ الْقَوْلِ فِي ذِمِّهِ فَتَسْتَوْحِشَ ، وَأَكْلُكُ  
إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْقَوْلِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّنْعَةِ .. فَطَنْتَ وَاکْتَفَيْتَ ، وَعَرَفْتَ  
مَا رَمِينَا إِلَيْهِ وَاسْتَغْنَيْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَنِ الطَّبَقَةِ خَارِجًا ، وَعَنِ الْإِتْقَانِ بِهِذَا  
الشَّأْنِ خَالِيًا .. فَلَا يَكْفِيكَ الْبَيَانُ وَإِنْ اسْتَقْرَيْنَا جَمِيعَ شَعْرِهِ ، وَتَبَعْنَا عَامَّةَ  
الْفَاضِلِ ، وَدَلَّلْنَا عَلَى مَا فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ .

(١) فِي « إِعْجَازِ الْقُرْآنِ » ( ص ١٧٩ ) : ( فَاحِشٍ ) بَدَلَ ( وَحْشٍ ) .

(٢) انْظُرْ « دِيْوَانَ أَبِي نُوَّاسٍ » ( ص ٢٩١ ) .

**اعلم :** أن هذه القصيدة قد تَرَدَّدَتْ بين أبياتِ سُوقِيَّةٍ مبتدَلةٍ ، وأبياتِ مُتوسِّطةٍ ، وأبياتِ ضعيفةٍ مرذولةٍ ، وأبياتِ وحشيَّةٍ غامضةٍ مُستكرَهةٍ ، وأبياتِ معدودةٍ بديعةٍ ، وقد دللنا على المُبتدَلِ منها ، ولا يشتبهُ عليك الوحشيُّ المُستنكِرُ الذي يروغُ السمعُ ، ويهولُ القلبُ ، ويكدُّ اللسانُ ، ويعبسُ معناه في وجهِ كلِّ خاطِرٍ ، ويكفهرُ مطلعُهُ على كلِّ مُتأملٍ أو ناظرٍ ، ولا يقعُ بمثله التمدُّحُ والتفاصحُ ، وهو مجانبٌ لِمَا وُضِعَ لَهُ أصلُ الإفهامِ ، ومخالفٌ لِمَا بُنِيَ عليه التفاهمُ بالكلامِ ، فيجبُ أن يسقطَ عن الغرضِ المقصودِ ، ويلحقَ باللغزِ والإشاراتِ المُستبهمَةِ .

فأما الذي زعموا أنَّه من بديعِ هذا الشعرِ .. **فهو قوله :**

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكَ فَوْقَ فِرَاشِهَا      نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ  
والمِصْرَاعُ الأخيرُ عندهم بديعٌ ، **ومعنى ذلك :** أنها مُتَرَفَةٌ مُتَنَعِّمَةٌ ، لها مَنْ يكفيها ، **ومعنى قوله :** ( لم تَنْتَطِقْ عن تَفْضُلِ ) يقولُ : لم تَنْتَطِقْ وهي فَضْلٌ ، و ( عن ) هي بمعنى ( بعد ) ، قال أبو عبيدة : لم تَنْتَطِقْ فتعملُ ، ولكنها تَفْضُلُ .

**ومما يَعُدُّونه من محاسنها :**

وَلَيْلِ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ      عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي  
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِضُلْبِهِ      [ وَأَرْدَفَ ] أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكَلِ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي      بِضُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْثَلِ

وكان بعضهم يعارضُ هذا بقولِ النابغة<sup>(١)</sup> :

كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ      وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بِطِيءِ الْكَوَكِبِ  
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ      تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ      وَلَيْسَ الَّذِي يَتَلَوُ النُّجُومَ بِأَيِّ

وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء ، فقدَّم أبيات امرئ القيس ،  
واستحسن استعارتها ، وقد جعلَ لليلِ صدرًا يثقلُ تنجيه ، ويُبطئُ تقضيهِ ،  
وجعلَ له أردافاً كثيرةً ، وجعلَ له صُلْباً يمتدُّ ويتطاوَلُ ، ورأوا هذا بخلافِ  
ما يستعيرُهُ أبو تمامٍ مِنَ الاستعاراتِ الوحشيةِ البعيدةِ المُستنكرةِ ، ورأوا أنَّ  
الألفاظَ جميلةٌ .

**واعلم :** أنَّ هذا صالحٌ جميلٌ ، وليسَ مِنَ البابِ الذي يُقالُ : إنَّه متناهٍ  
عجيبٌ ، وفيه إلمامٌ بالتكلفِ ، ودخلٌ في التعمُّلِ .

وقد خرَّجوا له في البديعِ مِنَ القصيدةِ **قوله :**

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا      بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ  
مَكْرٍ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا      كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلِ  
**وقوله أيضاً :**

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ      وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقَرِيبُ تَتْفُلِ  
**فأما قوله :** ( قَيْدِ الْأَوَابِدِ ) فهوَ مليحٌ ، ومثلهُ في كلامِ الشعراءِ وأهلِ  
الفصاحةِ كثيرٌ ، والتعمُّلُ بمثلهِ ممكنٌ ، وأهلُ زماننا الآنَ يُصَنِّفُونَ نحوَ هذا

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ٤٠ ) .



تصنيفاً ، ويؤلفون المحاسن تأليفاً ، ثم يوشحون به كلامهم ، والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك ، إنما كان يتفق لهم اتفاقاً ، ويطرّد في كلامهم اطراداً .

**وأما قوله** في وصفه : ( مكرّ مفرّ ) . . فقد جمع فيه طباقاً وتشبيهاً ، وفي سرعة جرّي الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا والطف ، وكذلك في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ، ولكن قد عورض فيه وزوجم ، والتوصل إليه يسيّر ، وتطلبه سهل قريب .

وقد بيّنّا لك أنّ هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتاً بيّناً ؛ في الجودة والرداءة ، والسلاسة والانعقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكّن [ والاستصعاب ] ، والتسهّل والاسترسال ، والتوحّش والاستكراه ، وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في محاسنها ، ومعارضون في بدائعها ، ولا سواء بين كلام ينحّث من الصخر تارة ، ويدوب تارة ، ويتلون تلوّن الحبراء ، ويختلف اختلاف الأهواء ، ويكثر في تصرفه اضطرابه ، وتتقاذف به أسبابه ، وبين قول يجري في سبكه على نظام ، وفي رصفه على منهاج ، وفي وضعه على حدّ ، وفي صفائه على باب ، وفي بهجته ورونقه على طريق ، مختلفه مؤلف ، ومؤلفه متّحد ، ومتباعد متقارب ، وشارده مطيع ، ومطيعه شارد ، وهو على متصرفاته واحد ، لا يستصعب في حال ، ولا يتعقّد في شأن<sup>(١)</sup> .



(١) إلى هنا ينتهي النقل عن « إعجاز القرآن » ( ص ١٨٣ ) للعلامة القاضي الباقلاني .

## [ إِنْصَافُ الْمُعَلَّقَةِ مِمَّا وَرَدَ عَلَيْهَا مِنَ الْإِنْتِقَادِ ]

فَأَنْتَ تَرَى هَذَا الشَّيْخَ كَيْفَ عَمَدَ إِلَى قَصِيدَةٍ قَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْأَدَبِ عَلَى تَقَدُّمِهَا فِي الْجُودَةِ ، وَعُلُوِّهَا فِي الْبَلَاغَةِ ، حَتَّى جَعَلُوهَا رَأْسَ الْقَصَائِدِ السَّبْعِيَّاتِ ، فَأَفْسَدَ بِالنَّقْدِ صَوْرَتَهَا ، وَغَبَّرَ فِي وَجْهِهَا بَهْجَتَهَا .

**وَلَكِنْ أَقُولُ :** إِنَّهُ مَعَ نُورَانِيَّةِ كَلَامِهِ ، وَسَلَاسَةِ عِبَارَاتِهِ ، وَحَسَنِ سُلُوكِهِ فِي تَقْرِيرِ أَغْرَاضِهِ . . . قَدْ تَحَامَلَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ بَعْضَ التَّحَامُلِ ، وَمَا كَانَ يَنْبَغِي ؛ فَإِنَّ التَّحَامَلَ فِي مَقَامِ الْبَرْهَنَةِ يُوجِبُ نَفْرَةً عَنِ الْإِسْتِمَاعِ ، وَاسْتِصْعَاباً عَنِ الْإِنْقِيَادِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَباً لُضْيَاعِ الْحَقِّ .

**وَلَسْتُ أَقُولُ :** إِنَّ كَلَامَ الْمَخْلُوقِ أَيْنَمَا بَلَغَ مِنْ رَتَبِ الْبَلَاغَةِ يَكَادُ يَدَانِي كَلَامَ الْخَالِقِ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، **وَلَكِنْ أَقُولُ :** إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُبَخَسَ كَلَامُ حَقِّهِ ، وَلَا يُؤَفَّقَى قِسْطُهُ ، وَيُعْتَرَفَ لَهُ بِحِظِّهِ مِنْهَا .

وَهَلْأَنَا مُقْتَفٍ أَثَرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى بَعْضِ مَا تَكَلَّمَ عَلَيْهِ بِمَا يَتَلَاشَى مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ انتِقَادَاتِهِ ، وَمُفْصِّلٌ مَا فِيهِ الْكَلَامُ مِنْهَا تَفْصِيلُهُ الَّذِي أَرَادَهُ الشَّاعِرُ .

**قَوْلُهُ :** ( قَفَا نَبِكَ . . . ) الْبَيْتَيْنِ ، فَصَلُّ أَرَادَ فِيهِ بِالْحَبِيبِ وَالْمَنْزِلِ الْجَنَسَ ، فَالْتَنَكِيرُ فِيهِ لِلتَّنَوُّعِ ، لَا لِلْإِفْرَادِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لِيَقِفْ كُلُّ مَنْأٍ يَبْكِي صَفَاءَ عَيْشِهِ الْمَاضِي ، وَسُرُورَ أَوْقَاتِهِ السَّالِفَةِ ، وَتَمَتُّعَهُ بِحَبِيبِهِ فِي تِلْكَ الْمَنَازِلِ الشَّاعِلَةِ لِتِلْكَ النُّوَاحِي الَّتِي سَمَّاهَا ، وَطَوَى فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ عَنْ كَثْرَةِ الْعُمُرَانِ وَعَظَمِ الْمَجْتَمَعِ ؛ وَذَلِكَ سَبَبٌ لِقُوَّةِ الْأَمْنِ ، وَاتِّسَاعِ دَائِرَةِ السُّرُورِ ، وَالتَّمَكُّنِ مِنَ الْإِسْتِتَارِ بِاللَّدَّاتِ ، وَفِيهِ إِقَامَةُ الْعُذْرِ فِي اشْتِدَادِ الْوَجْدِ وَكَثْرَةِ

الحزن ؛ إذ بقَدْرِ الأُنْسِ بالشَّيْءِ تَقَعُ الوَحْشَةُ عِنْدَ ذَهَابِهِ ، ولإظهارِ الجزعِ ،  
والمبالغةِ في الإبانَةِ عنِ العذرِ .

**قَالَ :** ( لم يعفُ رَسْمُهَا ) ، وذلك مِنْ إيجازِ الإشارةِ ، الذي هُوَ معدودٌ مِنْ  
أكبرِ دعائمِ البلاغةِ ، فليسَ ذكرُهُ لتلكِ المواضعِ فضلاً .

وتأَمَّلْ عطفَهُ فيها بالفاءِ دونَ الواوِ كما يقتضيه ظاهرُ الكلامِ ، فالكنايةُ إذا  
مِنْ قولِهِ : ( رَسْمُهَا ) تعودُ للمنازلِ .

ثمَّ إِنَّ مناقشتَهُ في الألفاظِ ، معَ كونهِ مِنْ رؤوسِ أهلِ اللغةِ الذينَ تُنْقَلُ  
عَنهُم ، وبكلامِهِمْ يُحْتَجُّ . . فيه خروجٌ .

**وقولُهُ :** ( وقوفاً . . . ) إلى قولِهِ : ( إذا قامتا ) فصلٌ يبينُ فيه ما كانَ مِنْ وعظِ  
صحابتِهِ إِيَّاهُ ونصحِهِم لَهُ ، فكانَ مِنْ كلامِهِم : ( لا تهلكِ أَسَى وتَجَمَّلِ ) ،  
( فهل عِنْدَ رَسْمِ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ) ، ذلكَ مِنْكَ الآنَ كدأبِكَ وحالكِ فيما  
مضى مِنْ فلانةَ وفلانةَ ، واعترضَ بينَ أجزاءِ ما حكاهُ عَنْهُم بقولِهِ : ( وإنَّ  
شفائي عِبْرَةٌ ) ودعوى كَوْنِ البكاءِ شافياً وإطلاقِ الدموعِ مريحاً . . أمرٌ مشهورٌ  
بينَ الشعراءِ ، قالَ بعضُهُم <sup>(١)</sup> :

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً  
مِنْ أَلْوَجْدٍ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ أَلْبَابِلِ

وقالتِ الخنساءُ <sup>(٢)</sup> :

إِنَّ أَلْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا  
مِنْ أَلْجَوَى بَيْنَ أَلْجَوَانِحِ

(١) هو ذو الرمة . انظر « ديوانه » ( ١٣٣٣/٢ ) .

(٢) تقدم ( ١٣٢/٢ ) .



وذلك أمرٌ يُعرفُ بالوجدانِ ، فقوله : ( عندَ رسمِ دارسٍ ) ليسَ مِنْ كلامِهِ ، وعَبَّرَ بلفظِ ( دارسٍ ) على معنى المشاركةِ على الدروسِ والقربِ منه ، وهو مجازٌ مشهورُ الاستعمالِ ، حملوا عليه قوله تعالى : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، قالوا : أي : المشارفينَ للتقوى الصائرينَ لها ، فلا تناقضَ .

فلَمَّا سَمِعَ مِنْ صَحْبِهِ هَذَا الْكَلَامَ وَقَدْ هَتَفُوا بِذِكْرِ حَبِيبَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ .. تَذَكَّرَ حَالَهُمَا ، فَأَشَارَ إِلَى صِفَةٍ مَا كَانَتَا عَلَيْهِ ؛ مِنْ حَسَنِ الْحَالِ ، وَطَيِّبِ النِّعَمِ ، وَرِيعَانِ الشَّبَابِ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي الْغَزْلِ وَالصَّبَابَةِ ؛ بِقَوْلِهِ : ( إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ ) ، وَالْبَيْتُ وَحْدَهُ فَصْلٌ ، وَإِنَّمَا خَصَّ حَالَةَ الْقِيَامِ لِمَكَانِ الْحَرَكَةِ الْمَوْجِبَةِ لَتَمُوجِ الْهَوَاءِ الَّذِي تَنْتَشِرُ بِهِ الرَّائِحَةُ وَتَبْلُغُ لِلْبَعِيدِ ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بُعْدَ مَوْقِعِهِ ، فَلَيْسَ غَرَضُهُ أَنْ يَصِفَهُمَا بِالطَّيِّبِ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ ذَلِكَ لَا يَخْصُ حَالَةً دُونَ حَالَةٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : ( تَضَوَّعَ ) ، وَلَمْ يَقُلْ : إِنَّهُمَا إِذَا قَامَتَا .. فَهُمَا [ طَيِّبَتَا ] الرَّائِحَةِ ، فَالتَّشْبِيهُ بَيْنَ انْتِشَارِ الرَّائِحَةِ وَالْمُرُورِ مَعَ النَّسِيمِ ، وَلَيْسَ تَشْبِيهُ رَائِحَةٍ بِرَائِحَةٍ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّهُ نَقْصٌ ، وَشَبَّهَ الْقَوِيَّ بِالضَّعِيفِ .

ثُمَّ أَبَانَ كَيْفِيَّةَ بَكَائِهِ وَمَقْدَارَ دُمُوعِهِ ، وَهُوَ حِكَايَةٌ عَمَّا وَقَعَ لَهُ كَمَا هُوَ الْعَادَةُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ ؛ مِنْ كَوْنِهَا فِي الْغَالِبِ حِكَايَةٌ عَنِ الْوَاقِعِ ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ تَخْيِيلٍ كَمَا هُوَ حَالُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَتَّبِعُوا الْعَرَبَ فِي عَمَلِ الشَّعْرِ .. تَأَمَّلُوا مَذَاهِبَهُمْ فِيهِ ، وَجَمَعُوا تَصَرُّفَاتِهِمْ فِي أَنْوَاعِهِ ، ثُمَّ أَخَذُوا فِي الْجَمْعِ وَالتَّأْلِيفِ عَلَى سَبِيلِ الْخِيَالِ ، لَا عَلَى سَبِيلِ حِكَايَةِ الْوَاقِعِ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُكْذِّبَهُ فِي صِفَةِ حَالِهِ ، وَلَا أَنْ يُكَلِّفَهُ الْكَذِبَ

(١) سورة البقرة : ( ٢ ) .

بأن يقول : إِنَّ الدَّمَعَ بَلَّ [ المِغَانِي ] ، وجرى مثل البحر ... إلى غير ذلك مِنْ المبالغة .

وقد فات هذا الشيخ أن يذكر السبب في انحطاط قوله : ( دموع العين مِنِّي ) ، والسبب في ارتفاع قوله عز ذكره : ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ <sup>(١)</sup> ، والعبارتان مِنْ وادٍ واحدٍ ، وأن يُبين الفرق بينهما كما تستحضره إذا ذكرت ما سلف من الكلام على الآية في علم المعاني .

**وقوله :** ( ألا رب يوم ... ) إلى قوله : ( ويوماً على ظهر الكتيب ) فصلٌ حكى فيه بعض الوقائع التي كانت له أيام شبابه ، وهو كلامٌ متلائمٌ آخذٌ بعضه ببعض ، يجمعه غرضٌ واحدٌ كما تعرفه من سياق قصته ، فذكر يومَ دارةٍ جلجل ؛ وهو يومٌ عقر الناقة ، ويومَ دخوله الخدر ، فعطف للاختلاف بالإضافة ، وليست أياماً متعدّدة ، كأنه قال : يوماً بدارةٍ جلجل ؛ يومَ عقرت ، يومَ دخلت .

**وقصة هذا اليوم على ما حكوه عن الفرزدق قالوا** <sup>(٢)</sup> : خرج الفرزدق يوماً إلى ظاهر البصرة صبيحة ليلة باتت السماء تكف بها ، فرأى آثار دوابٍ ذاهبةٍ إلى ناحية ، فقال : إن هذه الآثار تخبر عن خروج قومٍ إلى ذلك الوادي ، وما أراهم إلا قد اجتمعوا للنزهة وطعامٍ وشرابٍ ، فعزم على أن يلحق بهم ؛ لعله يصيب معهم بعض مآربه ، فانتهى به السير على تلك الآثار إلى غدير ، وإذا به نسوةٌ قد نزعن ثيابهنّ ودخلن فيه ، فنزل عن بغلته وجلس على الثياب وقال : يومٌ كيوم دارةٍ جلجل .

(١) سورة مريم : ( ٤ ) .

(٢) انظر « خزنة الأدب » ( ٤٥٧/٣ - ٤٥٩ ) .

فتضحك منه النساء وقالوا : حدّثنا بحديث ذلك اليوم ، فأخبر أنّ جماعة امرئ القيس عزموا يوماً على الانتقال من موضع إلى موضع ، فسبق الرجال ليصلحوا المنزل ويُمهّدوا موضع الإقامة ، وتخلّف النساء وما يكفينّ من الخدم ، فاستخفى امرؤ القيس حتى خرج على آثار النسوة ، حتى إذا كان نصف النهار . . وصلن إلى غدير ، فقال بعضهن لبعض : لو نزلنا في هذا الموضع فاسترحنا واستجممنا نشاطنا بالاستنقع في هذا الغدير ، فنزلن ونزعن ثيابهنّ ، ودخلن الماء ، وأدركنهنّ امرؤ القيس ، فجلس على ثيابهنّ ، وحلف أنّه لا يعطي واحدة ثيابها حتى تخرج وتأخذها بنفسها ، فبعد أن امتنعن برهة وخفنّ ذهاب الوقت . . تتابعن في الخروج واحدة بعد واحدة ، حتى بقيت عشيقته تُقسّم عليه وتستعطفه وتتذلّل له وهو يأبى ، حتى خرجت ، فرآها مقبلة ومدبرة .

ثمّ قلن له : حبستنا وأجعتنا ، فاغنم ذلك منهنّ ، ورأى مكان الحيلة في وصوله إلى حبيبته ، فقال : أأكلن إذا نحرث ناقتي ؟ فقلن : نعم ، فقام إليها وعقرها ، وجمع الخدم الحطب ، وأججوا ناراً عظيمةً ، فجلسن وجلسن يشتوون ويأكلون ، ويترامون ويتلاعبون ، حتى قضوا غرضهم من الطعام ، وقاموا لتتميم السفر ، فتوزّعوا متاع ناقتيه ، وبقي هو ، فركب مع حبيبته ، وكان هذا قصده ، فهو يتعجّب من تمام حيلته ، وبلوغه غرضه ، وتراه يقتصر في الكلام على مواضع النكت .

ثمّ حكى ما جرى بينه وبين حبيبته بعد ركوبه معها ، وأنّه أخذ في مغازلتها وملاعبتها ، واقتطف ثمراتها ، ونقل أنّها قالت له : ( لك الويلات إنك مرجلي ) .

وليس في نقل كلام الغير على وجهه عيبٌ ، ألا ترى إلى قوله تعالى



شأنه : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ... ﴾ إلى آخره <sup>(١)</sup> ،  
مع ما اشتمل عليه من وقاحتهم وسفههم وجهلهم بالله .

**وقوله :** ( قالت ) و ( تقول ) تأدية للمعاني بعبارتها ، فالقول الأول حصل  
منها مرة ، والثاني تكرر ، ولولا ذلك .. ما كان يُعجزه أن يقول : وقالت وقد  
مال الغيظ بنا معاً ، وتعرف تعين ذلك إذا تلوت قوله تعالى : ﴿ أَرْسَلَ الرِّيحَ  
فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، مع ذكر ما سلف في علم المعاني .

**وأما قوله :** ( فمثلك حبل ) فذلك ما من شأنه أن يقوله في هذا المقام ؛  
فإنه لا يقول عن نفسه أنه راهب في صومعة ، بل يخبر بأنه زير نساء مُستعمل  
حيلة في خدعهن ، كما يقتضيه استحسان الشباب أهل الترف والنعيم ؛ فإنه  
لمّا أراد أن يزيل حيائها ، ويكسر حدتها ، ويثير من شهوتها ؛ ليتمكن من  
التمتع بها .. لم يجد إلا أن يكلّمها بما يقتضي ذلك .

**وقوله :** ( ويوماً على ظهر الكتيب ... ) إلى قوله : ( وقد أغتدي والطير  
في وكناتها ) فصل أخبر فيه أنها غضبت منه يوماً ، واشتد امتناعها عليه ،  
وحلفت دون استثناء ، فأخذ في عتابها وترضيها ، وتصرف في ذلك تصرف  
مثله في خضوع وتذلل ، وإذا افتخر أو اشتد .. جعل ذلك في ضمن  
تواضع لها ، واستسلام واعتراف لها بملكه ، واستيلائها عليه ، وانقياده  
لها ، والمضي مع مرضاتها ، وتفهمه إيّاها أنها قد انفردت به ، مع تمكنه

(١) سورة الإسراء : ( ٩٠ ) .

(٢) سورة فاطر : ( ٩ ) .

مِنَ التَّمَتُّعِ بِغَيْرِهَا مِنْ ذَوَاتِ الشَّرَفِ وَالتَّرَفِ وَالنَّعِيمِ ، مَعَ إِقْدَامِهِ فِي ذَلِكَ  
وَجَرَاءَتِهِ وَمُسَاعَدَتِهِنَّ إِيَّاهُ .



فَأَنْتِ إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي فُصُولِ الْقَصِيدَةِ عَلَى مَا أَشْرْنَا بِهِ إِلَيْكَ . . **عَرَفْتَ أَنَّ**  
**لَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ مِنْ الْإِنْتِقَادَاتِ إِلَّا الْقَلِيلُ** ، وَإِنَّمَا وَقَفْتُ مَعَكَ هَذَا الْمَوْقِفَ ؛  
لِيُوَلِّدَ فِيكَ الْإِطْلَاعُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ جَرَاءَةً وَإِقْدَاماً عَلَى اسْتِعْمَالِ ذَوْقِكَ ،  
وَإِطْلَاقِ فِكْرِكَ ؛ فِي تَمْيِيزِ جَيِّدِ الْكَلَامِ وَرَدِيئِهِ ، وَصَحِيحِهِ وَفَاسِدِهِ ، وَرَفِيعِهِ  
وَوَضِيعِهِ ، وَلَا تَتِمَّكَنْ مِنْكَ مَهَابَةٌ أَنَّ هَذَا شَعْرُ فَلَانٍ الْمَشْهُورِ ، فَيَسْتَوْلِي  
عَلَيْكَ حَالُ التَّقْلِيدِ .



## [ نقدُ لبعضِ قصائدِ البحتريِّ ]

ثمَّ قالَ هذا الشيخُ في موضعٍ آخرَ مِنْ كتابِهِ<sup>(١)</sup> : ونحنُ نَعِمِدُ إلى بعضِ قصائدِ البحتريِّ ، فتكلَّمُ عليها كما تكلَّمنا على قصيدةِ امرئِ القيسِ ، وتلكَ القصيدةُ التي نتكلَّمُ عليها أجودُ شعرِهِ ، سمعتُ أبا مسلمٍ الرستميَّ يقولُ : سمعتُ البحتريَّ يذكرُ أنَّ أجودَ شعرٍ قالَهُ<sup>(٢)</sup> :

[ من الكامل ]

أَهْلًا بِذَلِكُمْ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ .....

قالَ : وسمعتُ أبا الفضلِ بنَ العميدِ يقولُ : أجودُ شعرِهِ هوَ قولُهُ<sup>(٣)</sup> :

[ من البسيط ]

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ .....

قالَ : وسُئِلْتُ عن ذلكَ ، فقلتُ : البحتريُّ أعرفُ بشعرِ نفسه مِنْ غيره .

**قلتُ<sup>(٤)</sup> :** لعلَّ البحتريَّ قالَ ذلكَ قبلَ أن يقولَ قصيدَتَهُ الثانيةَ .

فنحنُ الآنَ نقولُ في هذهِ القصيدةِ ما يَصْلُحُ في مثلِها .

**قولُهُ :**

[ من الكامل ]

أَهْلًا بِذَلِكُمْ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ	فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ
بَرَقَ سَرَى فِي بَطْنٍ وَجَرَةٌ فَاهْتَدَتْ	بَسَنَاهُ أَغْنَاكَ الرِّكَابِ الضَّلَلِ

(١) انظر « إعجاز القرآن » للباقلائي ( ص ٢١٩ - ٢٤٣ ) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » ( ١٧٤١/٣ ) ، والبيت بتمامه :

أَهْلًا بِذَلِكُمْ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ      فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ

(٣) انظر « ديوان البحتري » ( ٩٥٣/٢ ) ، والبيت بتمامه :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ      وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ

(٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام الإمام الباقلائي .



البيت الأول في قوله : ( ذلَّكُمُ الخيالِ ) ثقلُ روحٍ ، وتطويلُ وحشٍ ، وغيرُهُ  
أصلحُ لَهُ ، وأخفُ مِنْهُ قولُ الصَّنوبريِّ :  
[ من السريع ]

أَهْلًا بِذَاكَ الزَّوْرِ مِنْ زَوْرٍ شَمْسٌ بَدَتْ فِي فَلَكِ الدَّوْرِ  
وعذوبةُ الشعرِ تذهبُ بزيادةِ حرفٍ أو نقصانِ حرفٍ ، فيصيرُ إلى الكزازةِ ،  
وتعودُ ملاحظتهُ بذلكِ ملحوظةٌ ، وفصاحتهُ عيًّا ، وبراعتهُ تكلفًا ، وسلاستهُ  
تعسفًا ، وملاستهُ تلويًّا وتعقُّدًا ، فهذا فصلٌ .

وفيه شيءٌ آخرٌ ؛ وهو أنَّ هذا الخطابَ إنما يستقيمُ مهما حُوْطِبَ به الخيالُ  
حالَ إقبالِهِ ، فأما أنْ يحكيَ الحالَ التي كانتْ وسلَفَتْ على هذهِ العبارةِ ..  
ففيه عُهْدَةٌ ، وفي تركُّبِ الكلامِ عن هذا المعنى عُقْدَةٌ ، وهو لبراعتهِ وحذقهِ  
في هذه الصَّنعةِ يتعمَّدُ نحوَ هذا الكلامِ .

**ثمَّ قوله :** ( فعلَ الذي نهواه أو لم يفعلِ ) ليستْ بكلمةٍ رشيقةٍ ، ولا لفظيةٍ  
ظريفةٍ ، وإنْ كانتْ كسائرِ الكلامِ .

فأما بيئتهُ الثاني .. فهو عظيمُ الموقعِ في البهجةِ ، وبديعُ المآخذِ ، حسنُ  
الرواءِ ، أنيقُ المنظرِ والمسمعِ ، يملأُ القلبَ والفهمَ ، ويفرِّحُ خاطرَ ، وتسري  
بشاشتهُ في العروقِ .

وكانَ البحرِيُّ يُسمِّي هذه الأبياتَ : عروقَ الذهبِ .

وفيه مِنَ الخلِّ معَ الديباجةِ الحسنةِ والرونقِ المليحِ ؛ وذلكَ أنَّه جعلَ  
الخيالَ كالبرقِ لإشراقِهِ في [ مسراه ] ؛ كما يُقالُ : إنَّه يسري كنسيمَ الصَّبا ،  
فيُطَيِّبُ ما مرَّ بهِ ، كذلكَ أضاءَ ما حولهُ ، ونوَّرَ ما مرَّ بهِ ، وهذا غُلُوٌّ في  
الصَّنعةِ إلَّا أنَّ ذكرَهُ بطنَ وجرةٍ .. حشوٌ ، وفي ذكرِهِ خللٌ ؛ لأنَّ النورَ القليلَ  
يؤثرُ في بطونِ الأرضِ وما اطمأنَّ منها ، بخلافِ ما يؤثرُ في غيرها ، فلم  
يكنْ مِنْ سبيله أنْ يربطَ ذلكَ بطنَ وجرةٍ ، وتحديدُهُ المكانَ على الحشوِ

أحمدٌ مِنْ تحديدِ امرئِ القيسِ بذكرِ سقطِ اللوى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ  
فتوضَّحَ فالمِقرأةِ ، لم يقنعْ بذكرِ حدٍّ حتى حدَّه بأربعةِ حدودٍ ؛ كأنَّه يريدُ  
بيعَ المنزلِ ، فيخشى إنْ أخلَّ بحدِّ . . أنْ يكونَ بيعُهُ فاسداً ، وشرطُهُ باطلاً ،  
فهذا بابٌ .

ثمَّ إنَّما يُذكرُ الخيالُ بخفاءِ الأثرِ ، ودقَّةِ المطلبِ ، ولطفِ المسلكِ ،  
وهذا الذي ذكرَ يُضادُّ هذا الوجهَ ، ويخالفُ ما يوضعُ عليه أصلُ البابِ ، ولا  
يجوزُ أنْ يُقدَّرَ مُقدَّرُ أنَّ البحتريَّ قطعَ الكلامَ الأوَّلَ ، وابتدأَ بذكرِ برقي لمعٍ  
مِنْ ناحيةِ حبيبهِ مِنْ جهةِ بطنِ وجرةٍ ؛ لأنَّ هذا القطعَ إنْ كانَ فعلُهُ . . كانَ  
خارجاً بهِ عنِ النظمِ المحمودِ ، ولم يكنْ مُبدعاً ، ثمَّ كانَ لا تكونُ فيه فائدةٌ ؛  
لأنَّ كلَّ برقي شملٌ وتكرَّرَ . . وقعَ الاهتداءُ بهِ في الظلامِ ، وكانَ لا يكونُ بما  
نظمَهُ [ مفيداً ] ولا مُتقدِّماً ، وهو على ما كانَ مِنْ مقصدهِ ذو لفظٍ محمودٍ ،  
ومعنى مستجلبٍ غيرِ مقصودٍ ، ويُعلَمُ بمثلهِ أنَّه طلبَ العباراتِ ، وتعليقَ  
القولِ بالإشاراتِ .

وهذا مِنْ الشعرِ [ الحسنِ ] الذي يحلو لفظُهُ وتقلُّ فوائدهُ ؛ كقولِ  
القائلِ <sup>(١)</sup> :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ      وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ  
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا      وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ  
هذه ألفاظٌ بديعةٌ المطالعِ والمقاطعِ ، حلوةٌ المجاني والمواقعِ ، قليلةٌ  
المعاني والفوائدِ .



(١) تقدم (٤١٦/٣) .

فَأَمَّا قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا      فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ  
كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ وَالْغُصْنِ غَيْرَ مُمَيَّلٍ      وَالِدَّعْصِ غَيْرَ مُهَيَّلٍ  
.. فالبيت الأول على ما تكلف فيه من المطابقة .. ألفاظه أوفر من معانيه ،  
وكلماته أكثر من فوائده ، ونعلم أن القصد وضع العبارات في مثله ، ولو  
قال : هي ممنوعة مانعة .. كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ،  
ثم هو معنى متداول مكرّر على كل لسان .

وأما البيت الثاني .. فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر  
منقول متداول ، ولا فضيلة في التشبيه بنحو ذلك ، وإنما يبقى تشبيهه بثلاثة  
أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضاً قريب ؛ لأن المعنى مكرّر ، ويبقى  
له بعد ذلك شيء آخر ؛ وهو تعمُّله بالترصيع في البيت كله ، إلا أن هذه  
الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كافٍ ، فإذا زاد  
فقال : كالغصن غير مُعْجَج .. كان ذلك من باب التكلف ، وكان ذلك زيادة  
يُستغنى عنها ، وكذلك : ( والدعص غير مُهَيَّل ) لأنه إذا انهال .. خرج عن  
أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى .



وَأَمَّا قَوْلُهُ :

مَا الْحُسْنُ عِنْدَكَ يَا سَعَادُ بِمُحْسِنٍ      فِيمَا أَتَاهُ وَلَا الْجَمَالَ بِمُجْمِلٍ  
عَذِلَ الْمَشُوقُ وَإِنْ مِنْ سِيمَا الْهَوَى      فِي حَيْثُ تَجْهَلُهُ لَجَاجِ الْعُذَلِ  
**قوله** في البيت الأول : ( عندك ) حشو ، وليس بواقع ولا بديع ، وفيه  
كلفة ، والمعنى الذي قصده أنت تعلم أنه مُتَكَرِّرٌ على لسان الشعراء .



وفيه شيء آخر : أنه يذكر أن حسنَهَا لم يحسنْ في تهيجِ وجدِهِ وتهيمِ قلبِهِ ، وضدُّ هذا المعنى هو الذي يميلُ إليه أهلُ الهوى والحبِّ ، وبيتُ كُشاجمٍ أسلمَ مِنْ هذا وأبعدُ مِنَ الخَلَلِ ؛ وهو قوله <sup>(١)</sup> :

بِحَيَاةِ حُسْنِكَ أَحْسَنِي وَبِحَقِّ مَنْ جَعَلَ الْجَمَالَ عَلَيْكَ وَقَفًّا أَجْمَلِي  
**قلتُ** : إنَّه لم يُوفِّ الكلامَ على ثقلِ قوله : ( عندك ) حقُّه ، فإنَّها لم تثقلْ لكونِها حشواً فقط ، بل هي غيرُ صحيحة الاستعمالِ ؛ فإنَّه إنَّما يُقالُ : الكتابُ الذي عندك مثلاً ، وأمَّا أن يُقالَ : الحسنُ الذي عندك واللُّطفُ . . فلا ، وإنَّما يُقالُ : حسنُك ولطفُك ، أو الحسنُ الذي لك .

وأمَّا البيتُ الثاني . . فإنَّ قوله : ( في حيثُ ) حشاً بقوله في كلامِهِ ، ووقعَ ذلكَ مستنكراً وحشياً ، نافراً عن طبعِهِ ، جافياً في وضعِهِ ، فهو كرقعةٍ مِنْ جلدٍ في ديباجٍ حسنٍ ، فهو يمحو حسنه ، ويأتي على جماله .

ثمَّ في المعنى شيءٌ ؛ لأنَّ لجاجِ العُدَلِ لا يدُلُّ على هوىٍ مجهولٍ ، ولو كانَ مجهولاً . . لم يهتدِ العُدَلُ إليه ، فعُلمَ أنَّ المَقْصِدَ استجلابُ العباراتِ دونَ المعاني ، ثمَّ لو سلِمَ مِنْ هذا الخَلَلِ . . لم يكنْ في البيتِ معنىٌ بديعٌ ولا شيءٌ يفوتُ قولَ الشعراءِ في العُدَلِ ؛ فإنَّ ذلكَ جملُهُمُ الذَّلُولُ ، وقولُهُمُ المُكْرَرُ .

**قلتُ** : إنَّ البحرَ تَريَّ أخرجَ هذا البيتَ مُخَرَّجَ التَّأْسُفِ والتَّحَسُّرِ وشكوى الحالِ في الهوى ، **وتقديرُ كلامِهِ** : وإنَّ مِنْ سيما الهوى ولوازمِهِ لجاجِ العُدَلِ في حيثُ تجهلُهُ ، دونَ تأمُّلٍ في قُوَّةِ أسبابِ الهوى وعذرِ صاحِبِهِ ؛ فقد أدمَجَ في كلامِهِ ما فَضَّلَهُ الآخَرُ حيثُ يقولُ <sup>(٢)</sup> :

أَبْصَرُهُ عَاذِلِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَأَهُ

(١) انظر « ديوان كُشاجم » ( ص ٣٢٧ ) .

(٢) الأبيات لابن وكيع التنيسي ، كما في « وفيات الأعيان » ( ١٠٦/٢ ) .

فَقَالَ لِي لَوْ هَوَيْتَ هَذَا مَا لَأَمَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ  
[فَظَلَّ] مِنْ حَيْثُ لَيْسَ يَذَرِي [يَأْمُرُ] بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاها

### وقوله :

مَاذَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْتَظَارٍ مُتَيَّمٍ بَلْ مَا يَضُرُّكَ وَقَفَّةٌ فِي مَنْزِلٍ  
إِنْ سِيلَ عَيٍّ عَنِ الْجَوَابِ فَلَمْ يُطِقْ رَجْعاً فَكَيْفَ يَكُونُ إِنْ لَمْ يُسْأَلِ  
لَسْتُ أَنْكُرُ حَسْنَ الْبَيْتَيْنِ وَظَرْفَهُمَا ، وَرِشَاقَتَهُمَا وَلَطْفَهُمَا ، وَمَاءَهُمَا  
وَبَهْجَتَهُمَا ، إِلَّا أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مَنْقُطَعٌ عَنِ الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ ضَرْباً مِنَ الْانْقِطَاعِ ؛  
لأنَّهُ لَمْ يَجِرْ لِمُشَافَهَةِ الْعَاذِلِ ذَكَرٌ ، وَإِنَّمَا جَرَى ذَكَرُ الْعُذَالِ عَلَى وَجْهِ لَا يَتَصَلُّ  
هَذَا الْبَيْتُ بِهِ وَلَا يَلِائِمُهُ .

ثُمَّ الَّذِي ذَكَرَهُ مِنَ الْانْتِظَارِ وَإِنْ كَانَ مُلِحِجاً فِي اللَّفْظِ . . فَهُوَ فِي الْمَعْنَى  
مُتَكَلِّفٌ ؛ لِأَنَّ الْوَاقِفَ فِي الدَّارِ لَا يَنْتَظِرُ أَمِراً ، وَإِنَّمَا يَقِفُ تَحَسُّراً وَتَلَذُّذاً  
وَتَحْيِيراً ، وَالشَّطْرُ الْأَخِيرُ مِنَ الْبَيْتِ وَقَعَ ، وَالْأَوَّلُ مُسْتَجَلِبٌ وَفِيهِ تَعْلِيْقٌ عَلَى  
أَمْرٍ لَمْ يَجِرْ لَهُ ذَكَرٌ ؛ لِأَنَّ وَضَعَ الْبَيْتِ يَقْتَضِي تَقَدُّمَ عَذَلٍ عَلَى الْوَقُوفِ ، وَلَمْ  
يَحْصُلْ ذَلِكَ مَذْكُوراً فِي شَعْرِهِ مِنْ قَبْلُ .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَإِنَّهُ مُعَلَّقٌ بِالْأَوَّلِ ، لَمْ يَسْتَقِلَّ إِلَّا بِهِ ، وَهُمْ يَعْيُونَ  
وَقُوفَ الْبَيْتِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَيُرُونَ أَنَّ الْبَيْتَ التَّامَّ هُوَ الْمَحْمُودُ ، وَالْمِصْرَاعُ  
التَّامُّ بِنَفْسِهِ بِحَيْثُ لَا يَقِفُ عَلَى الْمِصْرَاعِ الْآخِرِ أَفْضَلُ وَأَتَمُّ وَأَحْسَنُ .  
وَفِيهِ شَيْءٌ آخَرُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ سَبَباً لِأَنْ يَعْيَا عَنِ الْجَوَابِ ،  
وَزَاهِرُ الْقَوْلِ يَقْتَضِيهِ .

## فَأَمَّا قَوْلُهُ :

لَا تَكْلَفَنَّ لِي الدُّمُوعَ فَإِنَّ لِي دَمْعاً يَنْتُمُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَفْضُلِ  
وَلَقَدْ سَكَنْتُ مِنَ الصُّدُودِ إِلَى النَّوَى وَالشَّرِي أَرِي عِنْدَ أَكْلِ الْحَنْظَلِ  
وَكَذَلِكَ طَرْفَةٌ حِينَ أَوْجَسَ ضَرْبَةً فِي الرَّأْسِ هَانَ عَلَيْهِ فَضْدُ الْأَكْحَلِ

.. فالبيت الأول مخالف لما عليه مذهبهم في طلب الإسعاد بالدموع ،  
والإسعاد بالبكاء ، ومخالف لأول كلامه ؛ لأنه يفيد مخاطبة العذل ،  
وهذا يفيد مخاطبة الرفيق ، وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ  
وتصنيعها ، دون ضبط المعاني وترتيبها ، ولذلك قال الله عز وجل :  
﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا  
لَا يَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فأخبر أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم ، واللفظ كيف  
أطاعهم ، والمعاني حيث تتبع ألفاظهم ، وذلك [ خلاف ] ما وُضِعَ عليه  
الإبانة عن المقاصد بالخطاب .

ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا .. لم يكن  
في ذلك شيء يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم .

**وَأَمَّا قَوْلُهُ :** ( والشري أري ) .. فإنه وإن كان قد تصنع له من جهة الطباق ،  
ومن جهة التجنيس المقارب .. فهي كلمة ثقيلة على اللسان ، وهم يذمون  
نحو هذا ، كما عابوا على [ أبي ] تمام قوله <sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي  
ذكر لي الصاحب ابن عباد : أنه جارى الفضل بن العميد في محاسن

(١) سورة الشعراء : ( ٢٢٤ - ٢٢٦ ) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » ( ١١٦/٢ ) .



القصيدة حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له : أن قوله : ( أمدحه ) معيب ؛  
لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين تكلموا في هذه النكتة ، فعلمت أن ذلك  
شيء عند أهل الصنعة معروف .

ثم إن قوله : ( عند أكل الحنظل ) ليس بحسن ولا واقع .

وأما البيت الثالث .. فهو أجنبي من كلامه ، غريب في طباعه ، نافر من  
جملة شعره ، وفيه كزازة وفجاجة ، وإن كان المعنى صالحاً .

**قلت** : إن العاذل هو الرفيق ، وما يصدر منه يكون في رأيه نصيحة توجبها  
الشفقة ، وهو عند المحب عدل ، إلا أن استحسان الشيخ قوله : ( ماذا عليك  
من انتظار ) .. لم تظهر إصابته ؛ فإن في معناه - جرياً على شدة مناقشته -  
نوعاً من الخلل ؛ وذلك أنه يدعي أن ليس على الرفيق ضرر في وقوفه  
بالمنزل ، وكيف وله أن يقول : علي في ذلك إضاعة الوقت في غير طائل ،  
وثقل الشغل بغير شاغل ، ثم إن قوله : ( إن سيل عي عن الجواب ) كونه  
حجة للعاذل أولى من أن يكون عليه ، وأما قوله : ( وكذاك طرفه ) .. فهو  
منتظم مع سابقه ؛ فإنه من نوع اختيار أخف الضررين ، وضرب المثل به  
صحيح ، وبديع التلميح بالقصة المشهورة داع لإيراده .

**وأما قوله :**

وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ      قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَرِّ مُحَجَّلٍ  
كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ      فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلٍ  
.. فالبيت الأول لم يتفق له فيه خروج حسن ، بل هو مقطوع عما سلف

مِنَ الكلامِ ، وعامةً خروجِهِ نحوُ هذا ، وهوَ غيرُ بارِعٍ في هذا البابِ ، وهذا مذمومٌ معيبٌ منه ؛ لأنَّ مَنْ كَانَ صِنَاعَتُهُ الشَّعْرَ وهوَّ يَأْكُلُ بِهِ ، وَتَغَافَلَ عَمَّا يَدْفَعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ ، وَاسْتَهَانَ بِأَحْكَامِهِ وَتَجْوِيدِهِ ، مَعَ تَتَبُّعِهِ لِلصَّنْعَةِ الْكَثِيرَةِ ، وَتَرْكِيبِ الْعِبَارَاتِ ، وَتَنْقِيحِ الْأَلْفَاظِ وَتَزْوِيرِهَا . . كَانَ ذَلِكَ أَدْخَلَ فِي عَيْبِهِ ، وَأَدَلَّ عَلَى تَقْصِيرِهِ أَوْ قُصُورِهِ .

**وَأَمَّا قَوْلُهُ :** ( وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ ) . . فَإِنَّ ذَكَرَ التَّحْجِيلَ فِي الْمَمْدُوحِ لَيْسَ بِالْجَيِّدِ ، وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهُ إِذَا قُرِنَ بِالْأَغَرِّ . . حَسَنٌ ، وَجَرَى مَجْرَاهُ ، وَانْخَرَطَ فِي سَلَكِهِ ، وَأَهْوَى إِلَى مِضْمَارِهِ ، وَلَمْ يَنْكَرْ ؛ لِمَكَانِ مَنْ [ جَاوَرَهُ ] . . فَهَذَا عَذْرٌ ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ أَحْسَنُ .

وإنَّما أَرَادَ أَنْ يَرُدَّ الْعَجَزَ [ عَلَى ] الصَّدْرِ ، وَيَأْتِي بَوَجْهِ فِي التَّجْنِيسِ .

**قُلْتُ :** وَكَيْفَمَا كَانَ . . فَالتَّحْجِيلُ فِي كَلَامِهِ لَمْ يَقَعْ مَوْقَعُهُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ » <sup>(١)</sup> ؛ فَالْغَرَّةُ وَالتَّحْجِيلُ فِيهِ حَقِيقَتَانِ ، وَيَسْتَتَبَعَانِ شَرَفَ الشَّهْرَةِ ، وَالْغَرَّةُ فِي كَلَامِهِمْ لِمَجَرَّدِ الشَّهْرَةِ ، وَظُهُورِ التَّمْيِيزِ ، وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ <sup>(٢)</sup> : [ مِنْ الطَّوِيلِ ] وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ . . . . .

وَفِيهِ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّ ظَاهَرَ كَلَامِهِ يُوهِمُ أَنَّهُ قَدْ صَارَ مَمْتَطِيًّا الْأَغَرَّ الْأَوَّلَ وَرَائِحًا عَلَيْهِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ ( مِنْ ) التَّجْرِيدِيَّةَ لِكثَرَةِ اسْتِعْمَالِهَا فِي الشَّعْرِ . . تَكُونُ أَسْرَعَ تَمْثُلًا لِلْوَهْمِ مِنْ [ مِنْ ] الْإِبْتِدَائِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْمُرَادَةُ ، وَالِدَقَّةُ تَقْتَضِي التَّحَرُّزَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ( ١٣٦ ) ، وَمُسْلِمٌ ( ٢٤٦ ) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) هُوَ لِأَبِي طَالِبٍ عَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انْظُرْ « صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ » ( ١٠٠٨ - ١٠٠٩ ) ، وَالْبَيْتُ بِتَمَامِهِ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

عن مثله ، ولو سلمَ مِنْ ذلكَ .. لم يكنْ فيه ما يفوتُ حدودَ الشعراءِ وأقاويلِ الناسِ .

فأمّا ذكرُ الهيكلِ في البيتِ الثاني ، وردُّه عجزَ البيتِ عليه ، وظنُّه أنّه قد ظفرَ بهذه اللفظةِ وعملَ شيئاً حتّى كرَّرها .. فهي كلمةٌ فيها ثقلٌ ، ونحنُ نجدُهم إذا أرادوا أن يصفوا بنحوٍ هذا .. قالوا : ما هو إلّا صورةٌ ، وما هو إلّا تمثالٌ ، وما هو إلّا دميةٌ ، وما هو إلّا ظبيّةٌ ، ونحو ذلكَ مِنَ الكلماتِ الخفيفةِ على القلبِ واللسانِ .

وقد استدركَ هو أيضاً على نفسه ، فذكرَ أنّه كصورةٍ في هيكلٍ ، ولو اقتصرَ على ذكرِ الصورةِ وحذفَ الهيكلَ .. كانَ أولى وأجملَ .

ولو أنّ هذه الكلمةَ كرَّرها أصحابُ العزائمِ على الشياطينِ .. لرأعوهم بها ، وأفزعوهم بذكرها ، وذلكَ مِنْ كلامهم ، وشبيهٌ بصناعتهم .



### وأما قوله :

وَإِذَا الضُّلُوعُ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ      يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَى مُعَمِّ مُخَوِلِ  
أَخْوَالُهُ لِلرُّسْتَمِينَ بِفَارِسٍ      وَجُدُودُهُ لِلتَّبَعِينَ بِمَوْكِلِ  
نبلُ المحزمِ ممّا يمدحُ به الخيلُ ، فهو لم يأتِ فيه ببديعٍ .

**وقوله :** ( يشدُّ عقدَ حزامه ) داخلٌ في التكلفِ والتعسفِ ، لا يُقبلُ مِنْ مثله وإن قبلناه مِنْ غيره ؛ لأنّه يتبعُ الألفاظَ وينقدها نقداً شديداً ، فهلاً قال : يشدُّ حزامه ، أو يأتي بحشوٍ آخرٍ سوى العقدِ ؟! فقد عقدَ هذا البيتَ بذكرِ العقدِ .

**ثمّ قوله :** ( يومَ اللقاءِ ) حشوٌ آخرٌ لا يُحتاجُ إليه .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَمَعْنَاهُ أَصْلَحُ مِنْ أَلْفَاظِهِ ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُجَانِسَةٍ لَطْبَاعِهِ ،  
وَفِيهَا غَلْظٌ وَنَفَازٌ .

### وَأَمَّا قَوْلُهُ :

يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ      صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ أَنْتِصَابَ الْأَجْدَلِ  
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا      تُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ  
مَا إِنْ يِعَافُ قَذَى وَلَوْ أَوْرَدَتْهُ      يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ الْأَحْوَلِ  
الْبَيْتُ الْأَوَّلُ صَالِحٌ وَقَدْ قَالَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَقُلْ مَا لَمْ يَقُولُوهُ ،  
بَلْ هُوَ مَنْقُولٌ .

وَفِي سُرْعَةِ عَدُوِّ الْفَرَسِ تَشْبِيهَاتٌ لَيْسَ هَذَا بِأَبْدَعِهَا ، وَقَدْ يَقُولُونَ : يَفُوتُ  
الْطَرَفَ ، وَيَسْبِقُ الرِّيحَ ، وَيَجَارِي الْوَهْمَ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْإِتْيَانَ عَلَى مُحَاسِنِ مَا  
قَالُوهُ فِي ذَلِكَ يُخْرِجُ الْكَلَامَ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ . . لَنَقَلْتُ لَكَ جُمْلَةً مِمَّا  
ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَتَعَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ مِنْهَا بِمَا يَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ ،  
أَوْ يَفُوتُ مِنْتَهَى الْحَدِّ ، عَلَى أَنَّ الْهُوِيَّ يَذْكُرُ عِنْدَ الْانْقِضَاكِ خَاصَّةً ، وَلَيْسَ  
لِلْفَرَسِ هَذِهِ الصِّفَةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَنْ يُشَبَّهَ جَدَّهُ فِي الْعَدُوِّ بِحَالَةِ انْقِضَاكِ  
الْبَازِي وَالْعُقَابِ ، وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ بِأَسْرَعَ أَحْوَالِ طَيْرَانِهَا .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَقَوْلُهُ : إِنَّ الْأُذُنَيْنِ كَأَنَّهُمَا مِنْ وَرَقٍ مُوَصَّلٍ ، وَإِنَّمَا  
أَرَادَ بِذَلِكَ حَدَّتَهُمَا ، وَسُرْعَةَ حَرَكَتِهِمَا ، وَإِحْسَاسَهُمَا بِالصَّوْتِ كَمَا يَحْسُ  
الْوَرَقُ بِحَفِيفِ الرِّيحِ ، وَظَاهِرُ التَّشْبِيهِ غَيْرُ وَاقِعٍ ، وَإِذَا ضَمَنْ مَا ذَكَرْنَا مِنْ  
الْمَعْنَى . . كَانَ الْمَعْنَى حَسَنًا ، وَلَكِنْ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ .

وَلَيْسَ هَذَا الْبَيْتُ بِرَائِقِ اللَّفْظِ ، وَلَا مُشَاكِلٍ فِيهِ لَطْبَعِهِ ، غَيْرَ قَوْلِهِ :  
( مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ ) فَإِنَّ هَذَا الْقَدْرَ حَسَنٌ .



وأما البيت الثالث . . فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد ، ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره ، وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى .

والذي وقع للبحرّي في هذا البيت عندي ليس بجيد في لفظ ولا معنى ، وهو بيتٌ وحشٌ جداً ، قد صار قذّي في عين هذه القصيدة ، بل وخزاً فيها ووبالاً عليها ، قد كدّر صفاءها ، وأذهب بهاءها وماءها ، وطمس بظلمته سناها ، وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعاف قذّي من المياه إذا وردّها ؟! كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله <sup>(١)</sup> :

..... وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وإذا كان لهذا الباب مجانباً ، وعن هذا السمت بعيداً . . فهلا وصفه بعزة الشرب كما وصفه المتنبي في قوله <sup>(٢)</sup> :

وَصُورٌ إِلَى الْمُسْتَضْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا

وهلاً سلك فيه مسلك القائل :

وَإِنِّي لِلْمَاءِ الَّذِي شَابَهُ الْقَذَى إِذَا كَثُرَتْ وُرَادُهُ لَعَيُوفُ

**ثمّ قوله :** ( ولو أوردته يوماً ) حشوٌ باردٌ .

**ثمّ قوله :** ( حمدويه الأحوال ) وحشٌ جداً ، فما أمقت هذا البيت وأبغضه !! وما أثقله وأسخفه !! وإنّما غطّي على عينه عيبه ، وزين له إيرادَه . . طمعه في الاستطراد ، وهلاً طمع فيه على وجه لا يعُضُّ من بهجة كلامه ، ولا معنى ألفاظه ؟! فقد كان يمكن ذلك ، ولا يتعذّر .

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » ( ١٨٢/٤ ) ، والبيت بتمامه :

فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى نَأْرِهِ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

(٢) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٢٨٠ ) .

قولُ الشيخ <sup>(١)</sup> : ( فهلا وصفهُ بعِزَّةِ الشربِ ) وإيرادُ بيتِ المتنبي . .  
عجيبٌ !! فإنَّ ذلكَ ليسَ مِنْ صفَةِ الفرسِ بعِزَّةِ الشربِ ، وإنَّما هوَ مِنْ صفَةِ  
الممدوحِ بأنَّه يطلبُ معاليَ الأمورِ ، وأبعدَ درجاتِ المجدِ ، وأنَّه يصلُ إلى  
ما قصدَ منها ، وبالعَ في ذلكَ حتى جعلَهُ قادراً على أن يوردَ خيلَهُ الشمسَ  
لو صلحتَ لذلكَ ، وليسَ معناهُ أنَّه يَتَخَيَّرُ لخيَلِهِ المُستَقَى ، وقطعةُ أبي تمامٍ  
التي يقولُ الشيخُ أنَّه أوردَها في ضمنٍ ما سبقَ مِنْ كلامِهِ في نوعِ الاستطرادِ ؛  
فهِيَ فيما حكاها بقوله <sup>(٢)</sup> : كَتَبَ لي الحسنُ بنُ عبدِ الله قالَ : أَخْبَرَنِي  
محمدُ بنُ يحيى ، حَدَّثَنِي محمدُ بنُ عليٍّ الأنباريُّ قالَ : سمعتُ البحريَّ  
يقولُ : أنشدني أبو تمامٍ لنفسِهِ <sup>(٣)</sup> :

وَسَابِحِ هَاطِلِ التَّعْدَاءِ هَتَّانِ      عَلَى الْجِرَاءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَّانِ  
أَظْمَى الْفُصُوصِ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ      فَخَلَّ عَيْنِيكَ فِي رِيَانِ ظُمَّانِ  
وَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَى فِلَقُ      بَيْنَ السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوُحْدَانِ  
أَيَقْنَتَ أَنْ لَمْ تَثَبَّتْ أَنْ حَافِرُهُ      مِنْ صَخْرٍ تَدُمَّرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ

وقالَ لي : ما هذا مِنَ الشعرِ ؟ قلتُ : لا أدري ، قالَ : هذا المستطردُ ، أو  
قالَ : الاستطرادُ ، قلتُ : وما معنى ذلكَ ؟ قالَ : يُري أنَّه يصفُ الفرسَ ويريدُ  
هجاءَ عثمانَ ، فقالَ : وقالَ البحريُّ :

مَا إِنْ يِعَافُ قَذَى وَلَوْ أوردَتْهُ      يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ  
قالَ : فقليلَ للبحريِّ : إِنَّكَ أَخَذْتَ هذا مِنْ أبي تمامٍ ، فقالَ : ما يُعَابُ  
عليَّ أن أَخَذَ مِنْهُ وَأَتَّبَعَهُ فيما يقولُ ؟!

(١) أراد المؤلف الإمام الباقلائي .

(٢) انظر « إعجاز القرآن » ( ص ١٠٤ - ١٠٥ ) .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٤٣٤/٤ ) .

**قلتُ :** وإذا كانوا يجعلونَ مِنْ أدبِ الفرسِ أَنَّهُ يَرِدُ ما أُورِدَ ، لا يَتَخَيَّرُ مورداً دونَ موردٍ ، وبذلكَ يقوى الانتفاعُ به ، وتشتدُّ الثقةُ بصحبتهِ في الأسفارِ ومضايِقِ الأمورِ ، كما هو أدبُ في الإنسانِ أيضاً . . لم يكنْ لانتقادِ الشيخِ موضعٌ ، **وقولهُ :** ( ولو أوردتهُ ) هي العبارةُ التي يحسنُ أن يتوصَّلَ بها إلى الهجاءِ ، ولفظُ ( حمدويه الأحولِ ) اسمُ المَهْجُو وصفتهُ ، لا يمكنُ تبديلُهُما ، فإذا لا عيبَ في البيتِ .

### فأَمَّا قولُهُ :

ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ      عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَأَلْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ  
تَتَوَهَّمُ الْجَوَازُءُ فِي أَرْسَاعِهِ      وَالْبَدْرُ فَوْقَ جَبِينِهِ الْمُتَهَلِّلِ  
. . فالبيتُ الأوَّلُ وحِشُّ الابتداءِ ، مُنْقَطِعٌ عَمَّا سَبَقَ مِنَ الكلامِ ، وقد ذكرنا أَنَّهُ لا يهتدي لوصلِ الكلامِ ، ونظامِ بعضِهِ إلى بعضٍ ، وإِنَّمَا يَتَصَنَّعُ لغيرِ هذا الوجهِ ، وكانَ مِنْ سبيلِهِ أَلَّا يخفى عليه ، ولا يذهبَ عن مثلهِ .

**ثمَّ قولُهُ :** ( كما سُحِبَ الرِّدَاءُ ) قبيحٌ في تحقيقِ التشبيهِ ، وليسَ بواقعٍ ولا مستقيمٍ في العبارةِ ، إلَّا على إضمارِ أَنَّهُ ذَنْبٌ يسحبهُ كما يُسحَبُ [ الرِّدَاءُ ] .

**وقولهُ :** ( يذبُّ عن عُرْفٍ ) ليسَ بحسنٍ ولا صادقٍ ، والمحمودُ ما ذكره امرؤ القيسِ ، وهو قولُهُ في صفةِ الذنبِ <sup>(١)</sup> :

.....      ضَافٍ فُؤَيْقَ الْأَرْضِ .....

**وأَمَّا قولُهُ :** ( تُتَوَهَّمُ الجوزاءُ في أرساعِهِ ) فهو تشبيهٌ مليحٌ ، ولكنه لم

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٢٣ ) ، والبيت بتمامه :

وَأَنْتَ إِذَا اسْتَذْبَرْتَهُ سَدَّ مَرْجَهُ      بِضَافٍ فُؤَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ

يَسْبِقُ إِلَيْهِ ، ولا انفردَ به ، ولو نسختُ لك ما قالَهُ الشُّعراءُ في تشبيهِ الغرةِ  
بالهلالِ والبدرِ والنجمِ وغيرِ ذلكَ مِنَ الأمورِ ، وتشبيهِ الحجولِ . . لتعجَّبتَ  
مِنْ بدائعِ قد وقعوا عليها ، وأُمورٍ مليحةٍ قد ذهبوا إليها ، وليسَ ذلكَ موضوعَ  
كلامنا ، فتتبعْ ذلكَ في أشعارِهِمْ ؛ لتعلمَ ما وصفتُ لك .

**واعلم :** أنا تركنا بقيةَ كلامِهِ في وصفِ الفرسِ ؛ لأنَّهُ ذَكَرَ عشرينَ بيتاً في  
ذلكَ ، والذي ذكرناه في المعنى يدلُّ على ما بعده ، ولا يعدو ما تركناه أن  
يكونَ مُتوسِّطاً إلى حدٍّ [ لا ] يفوتُ طريقةَ الشُّعراءِ .

ولو تتبعْتَ أقاويلَ الشُّعراءِ في وصفِ الخيلِ . . علمتَ أَنَّهُ وإن جمعَ  
فأوعى ، وحشَرَ فنادى . . **ففيهم** : مَنْ سبقَهُ في ميدانِهِ ، **ومنهم** : مَنْ ساواه  
في شأوهِ ، **ومنهم** : مَنْ دانهُ ، فالقبيلُ واحدٌ ، والنسيجُ متساكُلٌ ، ولولا كراهَةُ  
التطويلِ . . لنقلْتُ جملةً مِنْ أشعارِهِمْ في ذلكَ ؛ لتقفَ على ما قلتُ .



فتجاوزنا إلى الكلامِ على ما قالَهُ في المدحِ في هذه القصيدة ، **قال :**

لِمَحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّرَفُ الَّذِي      لَا يَلْحَظُ الْجَوَراءُ إِلَّا مِنْ عِلِّ  
وَسَمَاحَةً لَوْلَا تَتَابُعُ مُزْنِهَا      فِينَا لَرَّاحَ الْمُزْنُ غَيْرَ مُبْخَلِّ  
وَالْجُودُ يَعْذِلُهُ عَلَيْهِ حَاتِمٌ      سَرَفاً وَلَا جُودَ لِمَنْ لَمْ يُعْذَلِ

البيتُ الأوَّلُ منقطعٌ عمَّا قبلَهُ على ما وصفنا به شعرُهُ مِنْ قطعِهِ المعاني ،  
وفصلِهِ بينها ، وقِلَّةِ تأتِيهِ لتجويدِ الخروجِ والوصلِ ، وذلكَ نقصانٌ في  
الصِّناعةِ ، وتخلُّفٌ في البراعةِ ، وهذا إذا وقعَ في مواضعَ قليلةٍ . . عُذِرَ فيها ،  
وأما إذا كانَ بناءُ الغالبِ مِنْ كلامِهِ على هذا . . فلا عذرَ لَهُ .

وأما المعنى الذي ذكرَهُ . . فليسَ بشيءٍ ممَّا سَبَقَ إِلَيْهِ ، وهو شيءٌ مُشْتَرَكٌ



فيه ، وقد قالوا في نحوه الكثير الذي يصعب نقل جميعه ، وفي المعنى قال المتنبي <sup>(١)</sup> :

وَعَزَمَهُ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٍ مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ الثَّرْبِ مِنْ زُحَلٍ

**قلت** : لا معنى لإيراد قول المتنبي مع تأخيره عن البحري ، وكان عليه حيث أراد أن يذكر شيئاً من كلام المتقدمين كأن يقول : قال زهير مثلاً ، وينقل مثل قوله <sup>(٢)</sup> :

لَوْ كَانَ يُفَعَّدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

وَأَيْنَ زُحَلٌ فِي كَلَامِ الْمَتْنِيِّ مِنَ الْجُوزَاءِ فِي كَلَامِ الْبَحْرِيِّ ؟! قال الشيخ <sup>(٣)</sup> : وحدَّثني إسماعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل بن العميد قام لرجل ، ثم قال لِمَنْ حضره : أتدرون مَنْ هذا ؟ ثم قال : هذا الذي قال في أبيه البحري :

لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّرَفُ الَّذِي .....

فذلك منه استعظامٌ للبيت بما مدح به من البيت .

والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب ، وهو حديث مكرّر ، ليس ينفك مديح شاعر منه ، وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة إبداع ، كما قد يقع لهم في نحو هذا ، ولكن لم يتصنع له ، وأرسله إرسالاً .

والبيت الثالث وإن كان معناه مكرّراً . فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم ، يشبه ألفاظ المبتدئين ؛ يعني : أن ترتيب الكلام هكذا : والجود سرفاً يعذله حاتم عليه ؛ وذلك أن ( سرفاً ) يجب أن يكون مفعولاً مطلقاً للجود ؛ أي :

(١) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٢١٢ ) .

(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » ( ص ٢٠٤ ) .

(٣) انظر « إعجاز القرآن » ( ص ٢٣٣ ) وما بعدها .

والجودُ جودٌ سرفٍ ، ولا يَصِحُّ أن يكونَ مفعولاً له لـ ( يعذلُ ) لعدم اتحادِ  
الفاعلِ .

### وَأَمَّا قَوْلُهُ :

فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى      بَعْدَ الْمَدَى كَالْفَاضِلِ الْمُتَفَضِّلِ  
سَارٍ إِذَا أَدْلَجَ الْعُفَاءُ إِلَى النَّدَى      لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعَجَّلِ  
.. فالبيتُ الأوَّلُ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ ، وليسَ فيه شيءٌ غيرَ التَّجْنِيسِ الذي ليسَ  
ببديعٍ ؛ لتكرُّره على كلِّ لسانٍ ، **وقوله** : ( ما أخذَ المدى ) فَإِنَّهُ لَفْظٌ مَلِيحٌ ،  
وهو كقولِ امرئ القيسِ <sup>(١)</sup> :

سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ .....  
ولكنَّها طريقةٌ مذللةٌ ، فهو فيها تابعٌ .

وَأَمَّا البيتُ الثاني .. فقريبٌ في اللفظِ والمعنى ، **وقوله** : ( لا يصنعُ  
المعروفَ ) ليسَ بلفظٍ محمودٍ .

**قلت** : لم يصبِ الشيخُ في دعواه انقطاعَ البيتِ عن سابقِهِ ؛ فَإِنَّهُ إِجْمَالٌ  
لَهُ ، وجمعٌ لمُفْضَلِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الشَّرْفَ وَكَرَمَ الْأَعْمَالِ .. عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :  
إِنَّهُ جَامِعٌ بَيْنَ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ ، لَا كَمَنْ يَنْفَرِدُ بِأَحَدِهِمَا .

### وَأَمَّا قَوْلُهُ :

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْحَسُودِ كَأَنَّمَا      جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَحْبَلِ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٣١ ) ، والبيت بتمامه :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا      سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ      فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ  
.. فالبَيْتُ الْأَوَّلُ مُنْكَرٌ جَدًّا فِي جَرِّ النُّجُومِ بِالْأَحْبَلِ [ مِنْ ] مَوْضِعِهِ إِلَى الْعُلُوِّ ،  
وَالْتَكْلُفُ فِيهِ وَاقِعٌ .

والبَيْتُ الثَّانِي أَجْنَبِيٌّ عَنْهُ ، بَعِيدٌ مِنْهُ ، وَافْتِتَاحُهُ رَدِيٌّ ، وَمَا وَجْهُ الاسْتِفْهَامِ  
وَالْتَقْرِيرِ وَالِاسْتِبَانَةِ [ وَالتَّوْقِيفِ ] [ وَالبَيْتَانِ ] أَجْنَبِيَّانِ مِنْ كَلَامِهِ ، غَرِيبَانِ فِي  
قَصِيدَتِهِ ، وَلَمْ يَقَعْ لَهُ فِي الْمَدْحِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ شَيْءٌ جَيِّدٌ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ  
قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ فَتَى      يُوفِي عَلَى ظَلَمِ الْخُطُوبِ فَتَنْجَلِي  
إِنِّي أُرِيدُ أَبَا سَعِيدٍ وَالْعِدَا      بَيْنِي وَبَيْنَ سَحَابِهِ الْمُتَهَلِّلِ  
كَأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ طَبْعِهِ ، وَلَا مِنْ سَبْكِهِ .



### وقوله :

مُضَرُّ الْجَزِيرَةِ كُلُّهَا وَرَبِيعَةُ الْـ      خَابُورِ تُوعِدُنِي وَأَزْدُ الْمَوْصِلِ  
قَدْ جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَثَنَّهُ      لِأَخِيكَ مِنْ أَدَدِ أَبِيكَ بِمُنْصُلِ  
البَيْتُ الْأَوَّلُ حَسَنُ الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهُ بِذِكْرِ الْأَمَاكِنِ لَا يَتَأَتَّى فِيهِ  
التَّحْسِينُ ، وَهَذَا الْمَعْنَى قَدْ يُمْكِنُ إِيرَادُهُ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ وَأَبْدَعَ مِنْهُ  
وَأَرْقَ مِنْهُ ؛ كَقَوْلِهِ (١) :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ      حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا  
والبَيْتُ الثَّانِي قَدْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ وَصْلُهُ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى وَجْهِ

(١) تقدم (٤٦٠/٣) .

يلطفُ وهوَ قبيحُ اللفظِ حيثُ يقولُ فيه : ( فثَنِهِ لِأَخِيكَ مِنْ أَدَدِ أَبِيكَ ) ،  
مِنْ أَخَذِهِ بِهَذَا التَّعَرُّضِ لِهَذَا السَّجَعِ ، وَذَكَرَ هَذَا النَّسَبِ ، حَتَّى أَفْسَدَ بِهِ  
شَعْرَهُ .

في قولِ الشيخِ : ( وهذا المعنى يمكنُ ... ) إلى آخِرِهِ .. نَظَرٌ .

**وَأَمَّا قَوْلُهُ** بَعْدَ ذَلِكَ فِي وَصْفِ السَّيْفِ ، يَقُولُ :

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالُهُ      عَفَوًا وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ الْمُقْفَلِ  
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتَفٍ مُظْلِمٍ      وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ  
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ      بَطَلٍ وَمَصْقُولٍ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ  
ليسَ لفظُ البيتِ الأوَّلِ بُمُضَاهِ لِدِيَابَجَةِ شَعْرِهِ ، وَلَا لَهُ بِهَجَةِ نَظْمِهِ ؛ لظهورِ  
أثرِ التَّكْلُفِ عَلَيْهِ ، وَتَبَيَّنَ الثَّقَلُ فِيهِ .

وَأَمَّا الْقَضَاءُ الْمُقْفَلُ وَفَتْحُهُ .. فَكَلَامٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ وَلَا مَرْضِيٍّ ، وَاسْتِعَارَةٌ  
لَوْ لَمْ يَسْتَعْرِهَا .. كَانَ أَوْلَى بِهِ ، وَهَلَّا عِيبٌ عَلَيْهِ كَمَا عِيبٌ عَلَى أَبِي تَمَامٍ  
قَوْلُهُ <sup>(١)</sup> :

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ      ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا  
وَقَالُوا : يَسْتَحِقُّ بِهَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ أَنْ يُصَفَّعَ فِي أَخْدَعِيهِ ، وَقَدْ اتَّبَعَهُ الْبَحْتَرِيُّ  
فِي اسْتِعَارَةِ الْأَخْدَعِ وَلَوْعًا بِاتِّبَاعِهِ ، فَقَالَ فِي الْفَتْحِ <sup>(٢)</sup> :

وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي .....

(١) انظر « ديوان أبي تمام » ( ١٦٦/١ ) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » ( ١٢٤١/٢ ) ، والبيت في الفتح بن خاقان ، وهو بتمامه :

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْعُلَا      وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي



أي : فَإِنَّ العَادَةَ أَنْ يُقَالَ : أَعْتَقْتَنِي أَوْ أَعْتَقْتَ عَنقِي ، قَالَ الشَّيْخُ : إِنَّ شَيْطَانَهُ - حَيْثُ زَيْنَ لَهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ، وَتَابَعَهُ حِينَ حَسَّنَ عِنْدَهُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ - لَخَبِيثٌ مَارِدٌ ، وَرَدِيٌّ مُعَانِدٌ ، أَرَادَ أَنْ يَطْلُقَ أَعْنَةَ الدِّمِّ فِيهِ ، وَيُسْرِحَ جِيوشَ الْعَتَبِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِقِفْلِ الْقَضَاءِ حَتَّى جَعَلَ لِلْحَتَفِ ظُلْمَةً تُجَلِّيُ بِالسَّيْفِ ، وَجَعَلَ السَّيْفَ هَادِيًا فِي النَّفْسِ الْمَجْهَلِ الَّذِي لَا يُهْتَدَى إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا مَعَ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَنْمِيقِهِ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّ السَّلَاحَ وَإِنْ كَانَ مَعِيًّا فَإِنَّهُ يَهْتَدِي إِلَى النَّفْسِ ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَبْدَعَ فِي هَذَا إِبْدَاعَ الْمُتَنَبِّي فِي قَوْلِهِ <sup>(١)</sup> : [ مِنْ الْوَافِرِ ]

كَأَنَّ أَلْهَامَ فِي أَلْهَيْجَا عِيُونَ      وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ  
وَقَدْ صُغِتْ أَلْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ      فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ

فَالَاهْتِدَاءُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فِي التَّشْبِيهِ بِدِيْعٍ حَسَنٌ .

وَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ شَيْءٌ آخَرٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ : ( وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حَشْوٌ رَدِيٌّ يَلْحَقُ بِصَاحِبِهِ اللَّكْنَةُ ، وَيَلْزِمُهُ الْهَجْنَةُ .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّلَاثُ . . فَإِنَّهُ أَصْلَحُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَإِنْ كَانَ ذِكْرُ الْفَارَسِ حَشْوًا وَتَكْلُفًا وَلَغْوًا ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَتَغَيَّرُ بِالْفَارَسِ وَالرَّاجِلِ ، عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ بِدِيْعٍ .

**يعني :** كَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ : ( مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تَمْضِهِ يَدٌ بَطَلِ ) كَمَا قَالَ الطُّغْرَايِّي <sup>(٢)</sup> :

فَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ      وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيِّ بَطَلِ

(١) انظر « ديوان المتنبّي » ( ص ٦١ ) .

(٢) انظر « ديوان الطغرائي » ( ص ٣٠٧ ) .

## وَأَمَّا قَوْلُهُ :

يَغْشَى الْوَعَا فَالْتَرُسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ      مِنْ حَدِّهِ وَالْدِرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ  
مُصْغٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى      لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلْ  
مُتَوَقِّدٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ      مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَذْبُلِ

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه ؛ وهي طريقتُهُ التي لا يتجنبُها ، وذلك من السبك الكتابي والكلام المعتدل ، إلا أنه لم يبدع فيهما بشيء ، وقد زيد عليه فيهما .

ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات في وصفِ السيف . . فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة وأمرٍ مذكورة ، وسبيله أن يُغربَ ويبدع كما أبدع المتنبي في قوله <sup>(١)</sup> :

سَلَهُ الرِّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بَنَجِدٍ      فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ

هذا في بابِ صقاله وأضوائه وكثرة مائه ، وكقوله <sup>(٢)</sup> :

رِيَّانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتُهُ      لَجَرَى مِنَ الْمَهَجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ

**وقوله :** ( مصغٍ إلى حكم الردى ) - إن تأملته - مقلوبٌ ، كان ينبغي أن يقول : يصغي الردى إلى حكمه ، كما قال الآخر <sup>(٣)</sup> :

فَالسَّيْفُ يَأْمُرُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ .....

(١) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ١٥٩ ) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٣٤ ) .

(٣) البيت لصريع الغواني في « ديوانه » ( ص ٣١٤ ) ، والبيت بتمامه :

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ      فَالسَّيْفُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ  
هكذا في « الديوان » : ( يلحظ ) بدل : ( يأمر ) .

**وقوله:** ( وإذا قضى . . لم يعدل ) مُتَكَرِّرٌ عَلَى أَلْسِنِهِمْ فِي الشَّعْرِ خَاصَّةً فِي نَفْسِ هَذَا الْمَعْنَى .

والبَيْتُ الثَّالِثُ سَلِيمٌ ، وَهُوَ كَالأَوَّلَيْنِ فِي خُلُوهٍ عَنِ الْبَدِيعِ .

قَوْلُ الْمُتَنَبِّي : ( سَلَّهَ الرَّكْضُ . . . ) الْبَيْتُ فِي صِفَةِ السَّيْفِ بِالْإِضَاءَةِ وَاللِّمَعَانِ ، **ومعناه:** اتَّفَقَ أَنَّهُ انْسَلَّ بِسَبَبِ رَكْضٍ مُتَقَلِّدِهِ وَهُوَ بَنَجِدٍ ، فَبَرَقَ حَتَّى بَلَغَ أَرْضَ الْحِجَازِ بَرِيقُهُ وَلِمَعَانُهُ ، فَحَسَبُوهُ بَرَقًا ، فَتَصَدَّوْا لِمَا يَعْقِبُهُ مِنَ الْمَطَرِ .

**وقوله:** ( رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ ) صِفَةٌ لَهُ بِكَثْرَةِ الْقَتْلِ بِهِ ، فَيَعْنِي أَنَّهُ شَرَبَ نَفُوسَ قَتْلَاهُ ، فَلَوْ قَذَفَ مَا شَرَبَهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ . . لَجَرَى مِنْهَا بَحْرٌ ، فَهُوَ فِي مَعْنَاهُ كَقَوْلِهِ <sup>(١)</sup> :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ      لَهِنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

قَالَ الشَّيْخُ <sup>(٢)</sup> : **وَأَمَّا قَوْلُهُ :**

فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ      وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ  
وَكَأَنَّمَا سُودُ النِّمَالِ وَحُمُرُهَا      دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلٍ

الْبَيْتُ الْأَوَّلُ يَقْصِدُ بِهِ صِنْعَةَ اللَّفْظِ ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُتَفَاوِتٌ ؛ لِأَنَّ الْمَضْرِبَ قَدْ لَا يَكُونُ مَقْتَلًا ، وَقَدْ يُطْلَقُ الشَّعْرَاءُ ذَلِكَ ، وَيُرُونَ أَنَّ هَذَا أَبْدَعُ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي ، وَأَنَّهُ بَضِيهٌ <sup>(٣)</sup> :

يُقْتَلُ السَّيْفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ      وَلِلْسُيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ

(١) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٢٤٥ ) .

(٢) عودٌ إِلَى « إعجاز القرآن » ( ص ٢٣٨ ) وما بعدها .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٣٦٧ ) ، وفيه : ( القاتل ) بدل ( يقتل ) .

وهذه طريقة لهم يَتَمَدَّحُونَ بها في [ قَصَفِ ] الرمحِ طعنًا ، وتقطيعِ السيفِ ضرباً .

**وفي قوله :** ( وإذا أُصِيبَ فما لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ ) تَعَسَّفُ ؛ لَأَنَّهُ يريدُ بذلك أَنَّهُ لَا يَنكسِرُ ، فالتعبيرُ بما عَبَّرَ بِهِ عنِ المعنى الذي ذكرنا يَتَضَمَّنُ التَّكَلُّفَ وضرباً مِنَ الْمُحَالِ ، وليسَ بالنادرِ ، والذي عليه الجملةُ ما حكينا عن غيره ، ونحوهُ قَالَ بعضُ أَهْلِ الزَّمانِ :

يُقَصِّفُ فِي الْفَارِسِ السَّمْهَرِيِّ وَصَدَرَ الْحُسَامِ فَرِيقًا فَرِيقًا  
والبيتُ الثاني أيضاً هُوَ معنَى مُكْرَّرٌ على ألسنة الشعراءِ ، [ وأما ] تصنيعُهُ بسودِ النِّمالِ وحمريها . . فليسَ بشيءٍ ، ولعلَّهُ أرادَ بالحمْرِ الذَّرَّ ، والتفصيلُ باردٌ ، والإغرابُ بِهِ منكرٌ ، وهُوَ كما حُكِيَ عن بعضهم أَنَّهُ قَالَ : كَانَ كَذَا حِينَ كَانَتِ الثَّريَّا بحذاءِ رَأْسِي على سِوَاءٍ ، أو مُنحَرِفَةً قَدَرَ شَبْرٍ ، أو نَصْفِ شَبْرٍ ، أو إصْبَعٍ ، أو ما يقاربُ ذَلِكَ ، فقليلٌ لَهُ : هَذَا مِنَ الْوَرَعِ الذي يَبْغِضُهُ اللَّهُ ويمقتُّهُ النَّاسُ ، ورُبَّ زيادةٍ كَانَتْ نقصاناً .

وصفةُ النملِ بالسوادِ والحمرةِ في هذا مِنْ ذَلِكَ الجنسِ ، وعليهِ خرجَ بقيةُ البيتِ في قولِهِ : ( دَبَّتْ بِأَيْدِي فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلٍ ) ، وكانَ يكفي ذِكْرَ الْأَرْجُلِ عن ذِكْرِ الْأَيْدِي ، ووصفُ الْفِرْنَدِ بِدَبِّ النملِ شيءٌ لَا يَشِدُّ عن أَحَدٍ مِنْهُمْ .

**قلتُ :** بل كَانَ يكفي ذِكْرُ دَبِّبِ النملِ دونَ الْأَيْدِي والأَرْجُلِ ، كما قَالَ أبو العلاء<sup>(١)</sup> :

وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حَمْرًا أَلْمَنَايَا وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نِمَالًا

(١) انظر « شروح سقط الزند » ( ١٠٤/١ ) .



## وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَكَانَ شَاهِرُهُ إِذَا أَسْتَضَوَى بِهِ الْزَّ  
حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ  
الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّكْلِيفِ ، وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ أَشْعَارِهِمْ  
وَأَلْفَظِهِمْ ، كَمَا قِيلَ <sup>(١)</sup> :

[ قَمَرًا ] يَشْدُ عَلَى الرِّجَالِ بِكُوكَبٍ .....

فَجَعَلَ ذَلِكَ الْكُوكَبَ السِّمَّاكَ ، وَاحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَجْعَلَهُ أَعْزَلَ لِلْقَافِيَةِ ، وَلَوْ  
لَمْ يَحْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ . . كَانَ خَيْرًا لَهُ ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَغْضُّ مِنْهُ ،  
وَمَوْضِعُ التَّكْلِيفِ الَّذِي ادْعَيْنَاهُ الْحَشْوُ الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ : ( إِذَا اسْتَضَوَى بِهِ  
الزَّحْفَانِ ) ، وَكَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ : كَانَ صَاحِبُهُ يَعْصِي بِالسِّمَّاكِ ، وَهَذَا وَإِنْ  
كَانَ قَدْ يَعْمَلُ فِيهِ اللَّفْظُ . . فَهُوَ لَغَوٌّ عَلَى مَا بَيَّنَّا .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَفِيهِ لَغَوٌّ مِنْ جِهَةِ قَوْلِهِ : ( حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةُ ) وَلَا  
فَضِيلَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ تَشْبِيهُ السِّيفِ بِالْقَلْبَةِ مِنْ تَشْبِيهَاتِ الْعَامَّةِ ، وَالْكَلَامِ  
الرَّذْلِ النَّذْلِ ؛ لِأَنَّ الْعَامَّةَ قَدْ يَتَّفَقُ مِنْهَا تَشْبِيهُ وَاقِعٌ حَسَنٌ .

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى هَذَا الْمَقْطَعِ الَّذِي هُوَ بِالْعِيِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْفَصَاحَةِ ، وَإِلَى  
الْلكِنَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْبَرَاعَةِ .

وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مِرَاعَةَ الْفَوَاتِحِ وَالْخَوَاتِمِ وَالْمَطَالِعِ وَالْمَقَاتِعِ وَالْفَصْلِ وَالْوَصْلِ  
بَعْدَ صَحَّةِ الْكَلَامِ وَوُجُودِ الْفَصَاحَةِ فِيهِ . . مِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْإِخْلَالَ بِذَلِكَ  
يُخِلُّ بِالنِّظْمِ ، وَيُذْهِبُ رَوْنَقَهُ ، وَيُحِيلُ بِهِجَتَهُ ، وَيَأْخُذُ مَاءَهُ وَبِهَاءَهُ .

(١) والبيت بتمامه :

وَتَرَاهُ فِي ظُلَمِ الْوَعَى فَتَخَالُهُ قَمَرًا يَشْدُ عَلَى الرِّجَالِ بِكُوكَبٍ

وقد أطلت عليك فيما نقلت ، وتكلّفت ما سطرْتُ ؛ لأنَّ هذا القبيلَ قبيلُ موضوعٍ ، مُتعمِّلُ مصنوعٍ .

**وأصلُ البابِ في الشعرِ :** على أن ينظرَ إلى جملةِ القصَّةِ ، ثمَّ يتعمَّلَ الألفاظَ ، ولا ينظرَ بعدَ ذلكَ إلى مواقعِها ، ولا يتأمَّلَ مطارحَها ، وقد يقصدُ تارةً إلى تحقيقِ الأغراضِ وتصويرِ المعاني التي في النفوسِ ، ولكنهَّ يلحقُ بأصلِ بابِه ، [ ويميلُ ] بكَ إلى موضِعِه ، وبحسَبِ الاهتمامِ بالصنعةِ يقعُ فيها التفاضلُ .

وإن أردتَ أن تعرفَ أوصافَ الفرسِ . . فقد ذكرْتُ لك أنَّ الشعراءَ قد تصرَّفوا في ذلكَ بما يقعُ إليك - إن كنتَ من أهلِ الصَّنعةِ - ممَّا يطولُ عَلَيَّ نقلُهُ وكذلكَ في السيفِ .

وذكرَ بعضُ أهلِ الأدبِ أنَّ أحسنَ قطعةٍ في السيفِ قولُ أبي الهولِ الحميريِّ<sup>(١)</sup> :

حَازَ صَمْصَامَةً الزُّبَيْدِيَّ مِنْ بَيْدٍ	نِ جَمِيعِ الْأَنَامِ مُوسَى الْأَمِينُ
سَيْفَ عَمْرٍو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا	خَيْرَ مَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِ الْجُفُونُ
أَخْضَرَ اللَّوْنِ بَيْنَ بُرْدِيهِ حَدُّ	مِنْ دُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ أَلْمُونُ
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا	ثُمَّ شَابَتْ لَهُ الدُّعَافُ الْقُيُونُ
فَإِذَا مَا شَهَرَتْهُ بَهَرِ الشَّمْسِ	سَ ضِيَاءٍ فَلَمْ تَكْذُ تَسْتَبِينُ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارُ [ كَالْقَبَسِ ] أَلْمَشُ	عَلِ لَا تَسْتَقِيمُ فِيهِ أَلْعُيُونُ
وَكَأَنَّ الْفَرْنَذَ وَالرَّوْنَقَ الْجَا	رِي فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ

(١) انظر « الحيوان » للجاحظ ( ٨٧/٥ - ٨٨ ) .

نَعَمْ مَخْرَاقُ ذِي الْحَفِيزَةِ فِي الْهَيْ  
جَاءَ يَعْصِي بِهِ وَنَعَمْ الْقَرِينُ  
مَا يُبَالِي إِذَا أَنْتَضَاهُ لِضَرْبِ  
أَشْمَالٍ سَطَّتْ بِهِ أُمِّ يَمِينٍ  
وَأِنَّمَا يُوَارِزُ شَعْرُ الْبَحْتَرِيِّ بِشَعْرِ شَاعِرٍ مِنْ طَبَقَتِهِ ، وَمِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَمَنْ  
هُوَ فِي مَضْمَارِهِ وَفِي مَنْزِلَتِهِ .

ومعرفةً أجناسِ الكلامِ ، والوقوفُ على أسرارِهِ ، والوقوفُ على مقدارِهِ . .  
شيءٌ وإن كَانَ عَزِيزاً وَأَمْرٌ وَإِنْ كَانَ بَعِيداً ، فَهُوَ سَهْلٌ عَلَى أَهْلِهِ ، مُسْتَجِيبٌ  
لأَصْحَابِهِ ، مُطِيعٌ لِأَرْبَابِهِ ، يَنْقُدُونَ الْحُرُوفَ ، وَيَعْرِفُونَ الصُّرُوفَ .

وَأِنَّمَا تَبْقَى الشُّبْهَةُ فِي تَرْتِيبِ الْحَالِ مِنَ الْبَحْتَرِيِّ وَأَبِي تَمَامٍ وَابْنِ الرُّومِيِّ  
وغيرِهِ ، وَنَحْنُ وَإِنْ كُنَّا نَفْضِلُ الْبَحْتَرِيَّ بِدِيَابِجَةِ شَعْرِهِ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ  
وغيرِهِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَنُقَدِّمُهُ بِحَسَنِ عِبَارَتِهِ ، وَسَلَاسَةِ كَلَامِهِ ، وَعَذُوبَةِ  
أَلْفَاظِهِ ، وَقِلَّةِ تَعَقُّدِ قَوْلِهِ . . فَالشَّعْرُ قَبِيلٌ مَلْتَمِسٌ مُسْتَدْرِكٌ ، وَأَمْرٌ مُمَكِّنٌ  
مُطِيعٌ <sup>(١)</sup> .



(١) إلى هنا النقل عن « إعجاز القرآن » ( ص ٢٤٣ ) للإمام الباقلاني .

## [ ذكر قصيدتين مُستجادتين للبحرِيّ ]

وهذه القصيدة التي تكلّم بانتقاد بعضها هذا الشيخ رضي الله عنه ،  
ونقل عن البحرِيّ أنّها أجود شعره . . قد امتدح بها أحد أعيان زمانه من  
الكتّبة محمد بن عليّ [ بن ] عيسى القميّ ، وأيّد إثباتها هنا ، وتعقيبها  
بالقصيدة التي استجادها الأستاذ أبو الفضل بن العميد أحد مشايخ الكتاب ،  
وشيخ الصّاحب إسماعيل بن عبّاد في دولة بني بويه تعجيلاً للفائدة .

## [ القصيدة الأولى : ( أهلاً بذلكم الخيال المقبل ) ]

هذه القصيدة الأولى :

أَهْلًا بِذَلِكُمْ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ      فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ  
بَرَقَ سَرَى فِي بَطْنٍ وَجَرَّةً فَاهْتَدَتْ      بِسَنَاهُ أَغْنَاكَ الرِّكَابِ الضَّلَلِ  
**الأعناق هنا :** جمع عنق ؛ وهو الجماعة من الناس ، أو العضو المخصوص ،  
فيكون مجازاً بعلاقة الجزئية ؛ إذ العنق موضع استبانة الهداية ، فإنه أوّل ما  
يميل ويعتدل عند سلوك السبل ، فكأنه قال : فاهتدت بسناه إبل الركاب ،  
أو جمل الركاب .

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا      فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ  
كَالْبَذْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ وَالْغُصْنِ غَيِّ      رَمَمَيْلٍ وَالِدِّعْصِ غَيْرَ مُهَيَّلِ  
مَا الْحُسْنُ عِنْدَكَ يَا سَعَادَ بِمُحْسِنِ      فِيمَا أَتَاهُ وَلَا الْجَمَالَ بِمُجْمَلِ  
عَذَلِ الْمَشُوقِ وَإِنَّ مِنْ سِيمَا الْهَوَى      فِي حَيْثُ تَجْهَلُهُ لَجَاجِ الْعُذَلِ  
مَاذَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْتِظَارِ مُتَيَّمِ      بَلْ مَا يَضُرُّكَ وَفَقَّةٌ فِي مَنْزِلِ



إِنَّ سِيلَ عَيِّ عَنِ الْجَوَابِ وَلَمْ يُطِقْ  
 لَا تَكْلَفَنَّ لِي الدُّمُوعَ فَإِنَّ لِي  
 وَلَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى الصُّدُودِ مِنَ النَّوَى  
 وَكَذَاكَ طَرْفُهُ حِينَ أَوْجَسَ ضَرْبَهُ  
 وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلِ  
 كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ  
 وَفِي الضُّلُوعِ يَشْدُ عَقْدَ حِزَامِهِ  
 أَخْوَالُهُ لِلرُّسْتَمِينَ بِفَارِسِ  
 يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ  
 تُتَوَّهُمُ الْجُوزَاءُ فِي أَرْسَاعِهِ  
 مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا  
 ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ  
 جَذْلَانِ يَنْفُضُ عُذْرَةً فِي غُرَّةِ

**العُدْرَةُ** : الشعرُ النازلُ مِنْ ناحيةِ الرأسِ ، **ويَقْقُ** : شديدُ البياضِ ، والإضافةُ  
 في ( حجلوها ) - أي : الغرَّة - لأدنى ملابسٍ ؛ لجريانِ العادةِ بجمعِ الغرَّةِ  
 والتحجيلِ في الذكرِ .

كَالرَّائِحِ النَّشْوَانِ أَكْثَرُ مَشْيِهِ  
 عَرْضاً عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ  
 ذَهَبُ الْأَعَالِي حَيْثُ تَذَهَبُ مُقْلَةً  
 فِيهِ بِنَاطِرِهَا حَدِيدُ الْأَسْفَلِ

أي : أعاليه ذهبية اللون ، وأسفله حديدي القوة .

صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُنِيَتْ بِهِ      لَصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقَلِ  
**النُّقْبَةُ** - بضم فسكون - : اللُّونُ ، **والمُدوسُ** : آله الصقال .

وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا      صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ أَوْ قُطْرُبُلِ  
**الْبَرْدَانِ** - بفتحيتين - : قرية بناحية بغداد .

لَبِسَ [ الْقُنُو ] مُزْعَفَرًا وَمُعْضَفَرًا      يَذْمَى فَرَّاحٌ كَأَنَّهُ فِي خَيْعَلِ  
وَكَأَنَّمَا كُسِيَ الْخُدُودَ نَوَاعِمًا      مَهْمَا تُوَاصِلَهَا بِلَحْظٍ تَخْجَلِ  
**الْخَيْعَلُ** : قميصٌ ليس له كَمَانٍ .

وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِي الْغُبَارِ لَهَيْبُهُ      لُونًا وَشَدًّا كَالْحَرِيقِ الْمُشْعَلِ  
وَتَظُنُّ رِيْعَانَ الشَّبَابِ يَزُوعُهُ      مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ  
هَزَجُ الصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي نَعْمَاتِهِ      نَبْرَاتٌ مَعْبَدَ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ  
مَلِكُ الْعُيُونِ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَنَّهُ      نَظَرَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ  
مَا إِنْ يِعَافُ قَذَى وَلَوْ أَوْرَدَتْهُ      يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ  
لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّرَفُ الَّذِي      لَا يَلْحَظُ الْجُوزَاءُ إِلَّا مِنْ عِلِ  
وَسَمَاحَةٌ لَوْ لَا تَتَابَعُ مُزْنَهَا      فِينَا لَرَّاحِ الْمُزْنِ غَيْرِ مُبْخَلِ  
وَالْجُودُ يَغْذِلُهُ عَلَيْهِ حَاتِمٌ      سَرَفًا وَلَا جُودَ لِمَنْ لَمْ يُعْذَلِ  
فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى      بَعْدَ الْمَدَى كَالْفَاضِلِ الْمُتَفَضِّلِ  
سَارٍ إِذَا أَدْلَجَ الْعُفَاةُ إِلَى النَّدَى      لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعْجَلِ  
عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْعُيُونِ كَأَنَّمَا      جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَخْبَلِ  
أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ      فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

ضَيْفٌ لَهُمْ يَقْرِي الضُّيُوفَ وَنَازِلٌ  
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ فَتَى  
 إِنِّي أُرِيدُ أَبَا سَعِيدٍ وَالْعَدَا  
 مُضِرُّ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا وَرَبِيعَةُ أَلْ  
 قَدُ جُدْتُ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَثَنَّهُ  
 يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالُهُ  
 بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ [ حَتَفٍ ] مُظْلِمٍ  
 مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ  
 يَغْشَى الْوَعَى فَالْتَرُسُ لَيْسَ بِجَنَّةٍ  
 مُصْغٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى  
 مُتَالِقٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ  
 وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ  
 وَكَأَنَّمَا سُودُ النَّمَالِ وَحُمُرُهَا  
 وَكَأَنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَضَوَّى بِهِ الزَّرَّ  
 حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ  
**السِّمَّاكُ الْأَعَزُّ** : أَحَدُ السِّمَّاكَيْنِ .

والآخر : السِّمَّاكُ الرَّامِحُ .

**فَالْأَعَزُّ** : مَا لَا رَمَحَ مَعَهُ ، **وَالرَّامِحُ** : مَا مَعَهُ رَمَحٌ ، وَلَأَبَى الْعَلَاءِ الْمَعَرِيُّ

وفيه ذكرُ السِّمَّاكَيْنِ<sup>(١)</sup> :

[ من الكامل ]

لَا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ حَظٍّ آلَةً      قَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ  
سَكَنَ السِّمَّاكَانِ السَّمَاءَ كِلَاهُمَا      هَذَا لَهُ رُمُحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ

### [ القصيدةُ الثانيةُ : ( في الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ ) ]

وهذه القصيدةُ الثانيةُ مدحٌ بها أحدُ أمراءِ زمانِهِ عليّ الأرميني<sup>(٢)</sup> : [ من البسيط ]

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ      وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ  
إِبْيَضٌ مَا أَسْوَدَ مِنْ فَوْدِيهِ وَأَرْتَجَعَتْ      جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ  
وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الْحُبِّ وَاسِعَةٌ      مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ  
قَالَتْ مَشَيْبٌ وَعَشَقْتُ أَنْتَ بَيْنَهُمَا      وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ  
وَعَيَّرْتَنِي سَجَالَ الْعُدْمِ جَاهِلَةً      وَالنَّبْعُ عُرْيَانٌ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرُ

**النَّبعُ** : شَجَرٌ تَعْمَلُ مِنْهُ الْقِسِيُّ ، فَإِنْ نَبَتَ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ . . كَانَ صُلْبًا ؛  
لَا سِتِفَاءَ حَظَّهُ مِنَ الشَّمْسِ وَجَفَافِ الْهَوَاءِ ، وَخُصَّ بِاسْمِ النَّبْعِ ، وَإِنْ نَبَتَ فِي  
وَسْطِ الْجَبَلِ . . كَانَ مُتَوَسِّطًا وَسُمِّيَ بِالشُّوْحِ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ ، وَإِنْ نَبَتَ فِي أَسْفَلِ  
الْجَبَلِ . . كَانَ رِخْوًا ، وَسُمِّيَ غَرْبًا بِفَتْحَتَيْنِ .

وفي الرِّدِّ عَلَى الْبَحْتَرِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْمَغَالِطَةِ الْأَدْبِيَةِ حَيْثُ قَالَ : إِنَّهُ لَا ثَمَرَ  
لِلنَّبْعِ ، وَقَدْ صَدَقَ . . يَقُولُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ<sup>(٣)</sup> :

[ من الطويل ]

وَقَالَ الْوَلِيدُ النَّبْعُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ      وَأَخْطَأَ سِرْبُ الْوَحْشِ مِنْ ثَمَرِ النَّبْعِ

(١) انظر « معاهد التنصيص » ( ١٥٢/١ ) ، وعزاهما فيه لأبي العلاء المعري .

(٢) انظر « ديوان البحتري » ( ٩٥٣/٢ - ٩٥٨ ) ، وفيه أن الممدوح - كما سيأتي التصريح به - هو علي بن مِرِّ الطائي .

(٣) انظر « شروح سقط الزند » ( ١٣٤٨/٣ ) .



**يعني :** أَنَّهُ تَتَّخَذُ مِنْهُ الْقِسْيُ ، فَيُصَادُّ بِهَا الْوَحْشُ ، فَذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِهِ وَثَمَرَاتِهِ ، **وَالسَّجَالُ :** النُّوبُ ، كَمَا يُقَالُ : الْحَرْبُ سِجَالٌ ؛ أَي : مَرَّةً لِهَؤُلَاءِ ، وَمَرَّةً لِأُولَئِكَ .

عَزَى عَنِ الْحَظِّ أَنَّ الْعَجْزَ يُدْرِكُهُ  
وَمَا الْفَقِيرُ الَّذِي عَيَّرَتْ آوَنَهُ  
لَمْ يَبْقَ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ  
جَهْلٌ وَبُخْلٌ وَحَسْبُ الْمَرْءِ وَاحِدَةٌ  
إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا  
أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَاماً ذَوِي وَسَنٍ  
عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا  
لَا زَحْلَنَ وَأَمَالِي مُطَرَّحَةٌ  
وَهَوْنُ الْعُسْرِ عِلْمِي فِيمَنْ أَلْيَسُ  
بَلِ الزَّمَانُ إِلَى الْأَحْرَارِ مُفْتَقِرُ  
يَنَالُهَا الْفَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ  
مَنْ تَيْنَ حَتَّى يُعْفَى خَلْفَهُ الْأَثَرُ  
كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ اعْتَذِرُ  
فِي الْجَهْلِ لَوْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا  
وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ  
بِسُرٍّ مَنْ رَأَى مُسْتَبْطِطاً لَهَا الْقَدَرُ

**سُرٌّ مَنْ رَأَى :** بَلَدٌ بَنَاهَا الْمَعْتَصِمُ ، فَلَمَّا نَزَلَهَا . . قَالُوا اسْتَحْسَاناً لَهَا :  
سُرٌّ مَنْ رَأَى ؛ أَي : حَصَلَ الشُّرُورُ لِمَنْ رَأَى تِلْكَ الْبَلَدَ ، فَصَارَ لَهَا اسماً ،  
وَيُقَالُ : سُرٌّ مَنْ رَأَى ، بِالْقَلْبِ الْمَكَانِي كَمَا هُوَ فِي الشَّعْرِ ، وَسُرٌّ مَرَأً ، بِحَذْفِ  
الْهَمْزَةِ .

أَبْعَدَ عَشْرِينَ شَهْراً لَا جَدَى فَيَرَى  
لَوْلَا عَلَيَّ بَنُ مُرٍّ لَا سَتَمَرَّ بِنَا  
عُذْنَا بِأَرْوَعِ أَقْصَى نَيْلِهِ كَثَبُ  
أَلَحَّ جُوداً وَلَمْ تَضُرُّ سَحَائِبُهُ  
لَا يُتَعَبُ النَّائِلُ الْمَبْدُولُ هِمَّتَهُ  
بِهِ أَنْصِرَافٌ وَلَا وَعْدٌ فَيُنْتَظَرُ  
خَلْفُ مَنْ أَلْعِيشَ فِيهِ الصَّابُ وَالصَّبِرُ  
عَلَى الْعُقَاةِ وَأَدْنَى سَعْيِهِ سَفَرُ  
وَرُبَّمَا ضَرَّ فِي الْحَاجَةِ الْمَطَرُ  
وَكَيْفَ يُتَعَبُ عَيْنَ النَّاطِرِ النَّظَرُ

بَدَتْ عَلَى الْبَدْوِ نُعْمَى مِنْهُ سَابِغَةٌ  
 مَوَاهِبٌ مَا تَجَشَّمْنَا السُّؤَالَ لَهَا  
 يُهَابُ فِينَا وَمَا فِي لَحْظِهِ شَزْرٌ  
 بَزْدُ الْحَشَا وَهَجِيرُ الرُّوْعِ مُحْتَفِلٌ  
 إِذَا أَرْتَقَى فِي أَعَالِي الرَّاْيِ لَاحَ لَهُ  
 تَوَسَّطَ الدَّهْرَ أَحْوَالًا فَلَا صِغَرٌ  
 كَالرُّمَحِ أَذْرَعُهُ عَشْرٌ وَوَاحِدَةٌ  
 مُجَرَّبٌ طَالَمَا أَشْجَتْ عَزَائِمُهُ  
 آرَاؤُهُ الْيَوْمَ أَسْيَافٌ مُهَنَّدَةٌ  
 وَمُضْعِدٌ فِي هِضَابِ الْمَجْدِ يَطْلُعُهَا  
 مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ  
 حُلُوْ حَمِيَّتٍ مَتَى تَجْنِي الرِّضَا خُلُقًا

**حميت :** شديد الحلاوة ، **ومقر:** شديد المرارة .

نَهَيْتُ حُسَادَهُ عَنْهُ وَقُلْتُ لَهُمْ  
 كُفُّوا وَإِلَّا كَفَفْتُمْ مُضْمِرِي أَسْفِ  
 أَلَوَى إِذَا شَابَكَ الْأَعْدَاءَ كَدَّهُمْ  
 وَاللُّؤْمُ أَنْ تَدْخُلُوا فِي حَدِّ سَخَطَتِهِ  
 جَافِي الْمَضَاجِعِ مَا يَنْفَكُ فِي لَجَبِ  
 إِذَا خُطَامُهُ سَارَتْ فِيهِ آخِذَةٌ  
 السَّيْلُ بِاللَّيْلِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ  
 إِذَا تَنَمَّرَ فِي إِقْدَامِهِ النَّمِرُ  
 حَتَّى يَرُوحَ وَفِي أَظْفَارِهِ الظَّفَرُ  
 عَلِمًا بِأَنْ سَوْفَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ  
 يَكَادُ يُقْمِرُ مِنْ لَأَلَائِهِ الْقَمَرُ  
 خِطَامَ نَبْهَانَ وَهِيَ الشَّوْكُ وَالشَّجَرُ

رَأَيْتَ مَجْدًا عَيَانًا فِي بَنِي أُدَدٍ إِذْ مَجْدُ كُلِّ قَبِيلٍ دُونَهُمْ خَبِرُ

**خُطَامَةٌ** - بَضْمٌ أَوَّلُهُ - : اسْمُ قَبِيلَةٍ الْمَمْدُوحِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، **وَسَارَتْ فِيهِ** ؛

أَي : فِي ذَلِكَ اللَّجَبِ الَّذِي يَكَادُ يَقْمَرُ الْقَمَرُ مِنْ ضَوْءِ سِلَاحِهِ ، **وَأَخَذَ خُطَامِ**

**نَبْهَانَ** : وَهُوَ مَقُودُ الْجَمَلِ ، اسْتِعَارَةً ؛ أَي : إِذَا تَقَدَّمَتْهُمْ وَكَانَتْ فِي أَوَائِلِهِمْ ؛

لِرئاستِهَا عَلَيْهِمْ .

عَلَيْكَ أَنْجُمُهُ بِالْمَدْحِ تَنْتَثِرُ

أَحْسَنُ أَبَا حَسَنِ بِالشَّعْرِ إِذْ جَعَلَتْ

كَمَا تَفْتَحُ غَبَّ الْوَابِلِ الزَّهَرُ

فَقَدْ أَتَتْكَ الْقَوَافِي غَبَّ فَائِدَةٍ

يَوْمَ التَّبَاهِي وَفِيهَا الْوَشْيُ وَالْحَبْرُ

فِيهَا الْعَقَائِقُ وَالْعَقِيَانُ إِنْ لُبِسَتْ

أَضْعَافِهِ فَبِكَ الْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِالشَّعْرِ يُمدِّحُ فِي



## [ أقسامُ الشِّعرِ أربعةٌ ]

وقد استبانَ لك ممَّا سلفَ - وخصوصاً مِنْ كلامِ هذا الشيخِ المُنتقِدِ -  
أنَّ الشِّعرَ وسائرَ الكلامِ بحَسَبِ براعةِ العباراتِ ، واشتمالِها على الفوائدِ ..  
ينقسمُ أربعةَ أقسامٍ :

**قسمٌ حَسَنَ لفظُهُ ، وكَثُرَتْ فوائدهُ .**

**وقسمٌ حَسَنَ لفظُهُ ، وقلَّتْ فوائدهُ .**

**وقسمٌ كَثُرَتْ فوائدهُ ، ولم يَحسُنْ لفظُهُ .**

**وقسمٌ فقدَ الأمرينِ ، وهو الذي قيلَ فيه :** [ من الطويل ]

وَشِعْرٌ كَبَعْرِ التَّيْسِ فَرَّقَ بَيْنَهُ      لِسَانٌ دَعِيَ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلُ

وعلى هذا التقسيمِ قولُ بعضهم :

الشُّعْرَاءُ فَأَعْلَمَنَ أَرْبَعَهُ

فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهُ

وَشَاعِرٌ مُسْتَوْجِبٌ أَنْ نَرْفَعَهُ

وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ نَسْمَعَهُ

وَشَاعِرٌ مُسْتَأْهِلٌ أَنْ نَضْفَعَهُ

ولا نزاعَ في شرفِ القسمِ الأولِ ، وانحطاطِ الأخيرِ ، وإنَّما هي في المفاضلةِ  
بينَ شعرٍ حَسَنَ لفظُهُ وقلَّتْ فوائدهُ ، وما يقابلهُ .

**وعندي :** أنَّ الأولَ لسلامتِهِ مِنْ إيداءِ المستمعِ أَفْضَلُ وأَجْمَلُ ، وصاحبُهُ



أَحَقُّ بالتقديم والإجلال ، والمثلُ في ذلك : أَنَّ الصوتَ الجميلَ المضطربَ بموافقةِ النفوسِ يَمْلؤها التذاذُ وإن كَانَ خالياً مِنْ صناعةِ الغناءِ ، بقَدْرِ ما يُنْفِرها ويوحِّشُها الصَّوتُ القبيحُ معَ استيفاءِ الصَّنعةِ فيه ، وَمَنْ غلبَ عليه رعايَةُ الصَّناعةِ ، والالتذاذُ بملاحظَتِها ، وإدراكُ دقائقِها . . يُفْضِلُ القسمَ الثاني ، فالرأيُ مختلفٌ .

واستبانَ لكَ أيضاً أَنَّ جودةَ الكلامِ تعتمدُ صحَّةَ المعنى وشرْفَهُ ، [ وتخيَّرْ ] الألفاظَ في أنفسِها ، وَمِنْ جهةِ تجاورِها وموافقتِها للمَقامِ ، وإجادةَ التركيبِ على ما شَرَحَ في علمِ المعاني وغيرِه ؛ بحيثُ تكونُ الألفاظُ سلسلةً في المنطقِ ، خاليةً مِنَ التنافرِ وشِدَّةِ الغرابةِ ، يَأْلَفُ بعضها بعضاً ، حتَّى تكونَ الكلماتُ المتواليةُ بمنزلةِ كلمةٍ واحدةٍ ، وتكونَ الألفاظُ التي تورِّدُها في مقامِ الحماسةِ ليستُ كالألفاظِ التي تورِّدُها في مقامِ الغزلِ والتشبيبِ ، فلكلِّ فنٍّ مِنْ تلكَ الفنونِ ألفاظٌ توافقهُ مِنْ جهةِ شِدَّتِها وليِّنِها ، ولذلكَ تسمِعُهُم يقولونَ : الجزلُ والرقيقُ .

**وإجادةُ التركيبِ :** بسلامتِهِ ممَّا يبعُدُ فهمُ المعنى منه ، وليسَ كلُّ تركيبٍ صدرَ عن شعراءِ العربِ وغيرِهِم مِنَ المشاهيرِ جيداً ؛ فربَّما تَعَسَّفَ الواحدُ منهمُ اغتراراً بفهمِ نفسه ، وغفلةً عن رعايَةِ غيرِه ، ومسارعةً بإيرادِ ما ظهرَ لَهُ مِنَ المعنى .

فعليكَ إِذاً أَنْ تجيدَ الفكرةَ ؛ باستصحابِ ما سلفَ مِنَ القوانينِ والوصايا في تمييزِ جيدِ التراكيبِ مِنْ رديئِها ، ويزيدُكَ استحضاراً لها وتمكُّناً مِنْ اعتبارِها ما سَأْنَقُلُهُ لَكَ عن ابنِ خلدونَ رحمهَ اللهُ تعالى .

قالَ في « مُقَدِّمةِ تاريخِهِ » حيثُ انتهى مِنَ القولِ في العلومِ إلى التكلُّمِ على صناعةِ الشعرِ وكيفيةِ تعلُّمِها :

## فصلٌ في صناعة الشعرِ ووجهِ تعلُّمِهِ

( هذا الفنُّ مِنْ فنونِ كلامِ العربِ ، وهو المُسمَّى بالشعرِ عندهُمْ ، ويُوجدُ في سائرِ اللُّغاتِ ، إلا أنا الآنَ إنَّما نتكلَّمُ في الشعرِ الذي للعربِ ، فإنَّ أمكنَ أن تجدَ فيه أهلُ الألسنِ الأخرى مقصودَهُمْ مِنْ كلامِهِمْ ، وإلا . . فلكلِّ لسانٍ أحكامٌ في البلاغةِ تخصُّهُ .

وهو في لسانِ العربِ غريبُ النزعةِ ، عزيزُ المنحى ؛ إذ هو كلامٌ مُفصَّلٌ قطعاً قطعاً ، متساويةً في الوزنِ ، مُتحدةً في الحرفِ الأخيرِ مِنْ كلِّ قطعةٍ ، وتُسمَّى كلُّ قطعةٍ مِنْ هذهِ القطعاتِ عندهُمْ **بيتاً** ، ويُسمَّى الحرفُ الأخيرُ الذي تتفقُ فيه **روياً وقافيةً** ، ويُسمَّى جملةُ الكلامِ إلى آخرِهِ **قصيدةً وكلمةً** .

وينفردُ كلُّ بيتٍ مِنْهُ بإفادتهِ في تركيبِهِ ، حتى كأنَّهُ كلامٌ وحدهُ ، مُستقلٌّ عمَّا قبلَهُ وما بعدهُ ، وإذا أُفردَ . . كانَ تاماً في بابِهِ ؛ في مدحٍ ، أو تشبيبٍ ، أو رثاءٍ ، فيحرصُ الشاعرُ على إعطاءِ ذلكَ البيتِ ما يَستقلُّ في إفادتهِ ، ثمَّ يستأنفُ في البيتِ [ الآخرِ ] كلاماً آخرَ كذلكَ ، ويستطرِدُ للخروجِ مِنْ فِنِّ إلى فِنٍّ ، وَمِنْ مقصودٍ إلى مقصودٍ ، بأن يُوَطِّئَ المقصودَ الأوَّلَ ومعانيه إلى أن يُناسِبَ المقصودَ الثاني ، ويُبعدَ الكلامَ عَنِ التناهِ ؛ كما يستطرِدُ مِنَ التشبيبِ إلى المدحِ ، وَمِنْ وصفِ البِداءِ والطلُّولِ إلى وصفِ الركابِ أو الخيلِ أو الطَّيفِ ، وَمِنْ وصفِ الممدوحِ إلى وصفِ قومهِ وعساكرِهِ ، وَمِنْ التفجُّعِ والعزاءِ في الرثاءِ إلى التأثُّرِ ، وأمثالِ ذلكَ ويُراعي فيه اتفاقَ القصيدةِ كُلِّها في الوزنِ الواحدِ ؛ حذراً مِنْ أن يتساهلَ الطبعُ في الخروجِ مِنْ وزنٍ إلى وزنٍ يقارِبُهُ ، فقد يخفى ذلكَ مِنْ أجلِ المقاربةِ على كثيرٍ مِنَ الناسِ .

ولهذهِ الموازينِ شروطٌ وأحكامٌ تضمَّنْها علمُ العَروضِ ، وليسَ كلُّ وزنٍ

اتَّفَقَ فِي الطَّبَعِ اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مَخْصُوصَةٌ تُسَمِّيْهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ : **البحور** ، وقد حصروها في خمسة عشر بحراً أو ستة عشر ، بمعنى أَنَّهُمْ لم يجدوا للعرَبِ في غيرها مِنَ الموازينِ الطَّبِيعِيَّةِ نظماً <sup>(١)</sup> .

**قلتُ** : وما ذُكِرَ مِنْ انفرادِ كُلِّ بَيْتٍ بِمعناه عن سابقه ولاحقه إِنَّمَا هو في صفةِ جيدِ الشعرِ ، كَأَنَّهُ لم يَعُدَّ غَيْرُهُ شعراً ، على أَنَّهُ رَبَّما أُوجِبَتْ جُودَةُ الشعرِ اغتفارَ افتقارِ كُلِّ مِنَ الْبَيْتَيْنِ لِصاحبه ، أَلَا تَرَى أَنَّ ذَلِكَ لم ينقص مِنْ حسنِ قولِ عمرَ بنِ أبي ربيعة <sup>(٢)</sup> :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ      وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ  
وَأُسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِنَّمَا أَلْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ  
زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا      وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ  
أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي      عَمُرُكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَفْتَصِدُ  
فَتَضَاحَكُنَّ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا      حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ  
حَسَدًا حُمِلْنَهُ مِنْ أَجْلِهَا      وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ  
لَا أَرَاكَ تَشْكُ فِي أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ بِالْغُ مِنْ الْحَسَنِ غَايَةً مَا يُمْكِنُ ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ افْتِقَارُ الْبَيْتِ لِصَاحِبِهِ ؛ إِذْ كَانَ الْمَعْنَى مُسْتَدْعِيًا ذَلِكَ .

### [ الشعرُ ديوانُ علومِ العربِ ]

ثُمَّ قَالَ ابْنُ خَلْدُونَ : ( **واعلم** : أَنَّ فَنَّ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفاً

(١) انظر « مقدمة ابن خلدون » ( ص ٥٦٩ - ٥٧٠ ) .

(٢) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » ( ص ١٠٦ ) .

عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشواهد صوابهم وخطئهم ، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم ، وكانت ملكته مستحكمة فيهم ، شأن الملكات كلها ، والمَلَكات اللسانية كلها إنما تُكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم ، حتى يحصل شبه في تلك المَلَكَة .

والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين ؛ لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ، ويصلح أن ينفرد دون ما سواه ، فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك المَلَكَة ، حتى يُفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ، ويبرزه مُستقلاً بنفسه ، ثم يأتي بيت آخر كذلك ، ثم بيت ، ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ، ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض ؛ بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة .

ولصعوبة منحاه ، وغبابة فنه . . كان محكاً للقرائح في استجادة أساليبه ، وشحذ الأفكار في تنزيل الكلام في قوالبه ، ولا يكفي فيه مَلَكَة الكلام العربي على الإطلاق ، بل يحتاج بخصوصه إلى تلطف ، ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها واستعمالها .

### [ مراد أهل صناعة الكلام بالأساليب ]

ولندكر هنا ما يريده أهل الصناعة بالأساليب :

**فاعلم :** أنها عبارة عن المنوال الذي يُنسج فيه التراكيب ، والقلب الذي يُفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو



وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض ، فهذه العلوم خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كليات باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرصها فيه رصاً كما يفعل البناء في القالب ، والنساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به ، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة ؛ **فسؤال الطلؤل في الشعر يكون بخطاب الطلؤل** ؛ كقوله <sup>(١)</sup> :

[ من البسيط ]

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلَيَاءِ فَالْسَّنَدِ .....

**ويكون باستدعاء الصَّحْبِ للوقوف والسؤال** ؛ كقوله <sup>(٢)</sup> :

[ من الطويل ]

قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا .....

**أو باستكاء الصَّحْبِ على الطَّلَل** ؛ كقوله <sup>(٣)</sup> :

[ من الطويل ]

قِفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ .....

(١) صدر معلقة النابغة الذبياني . انظر « ديوانه » ( ص ١٤ ) ، والبيت بتمامه :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلَيَاءِ فَالْسَّنَدِ أَفَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ

(٢) هو لدعلب الخزاعي كما في « ديوانه » ( ص ٣٠٠ ) ، والبيت بتمامه :

قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ

(٣) البيت لامرئ القيس ، كما في « ديوانه » ( ص ٨ ) ، والبيت بتمامه :

قِفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

أَوْ بِالاسْتِفْهَامِ عَنِ الْجَوَابِ لِمُخَاطَبٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ ؛ كَقَوْلِهِ <sup>(١)</sup> : [ من الوافر ]

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ أَلْرُسُومُ .....  
ومثل تحية الطُّلُولِ بِالْأَمْرِ لِمُخَاطَبٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ بِتَحِيَّتِهَا ؛ كَقَوْلِهِ : [ من السريع ]

حَيِّ الدِّيارَ بِجَانِبِ الْحَجَرِ .....  
أَوْ بِالِدَّعَاءِ لَهَا بِالسُّقْيَا ؛ كَقَوْلِهِ <sup>(٢)</sup> : [ من الكامل ]

أَسْقَى طُلُولَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمُ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ  
أَوْ سَوَالِهِ السُّقْيَا لَهُ مِنَ الْبَرَقِ ؛ كَقَوْلِهِ : [ من الكامل ]

يَا بَزْقُ طَالِعَ مَنْزِلًا بِالْأَبْرِقِ وَأَخَذُ السَّحَابَ لَهَا حُدَاءَ الْأَيْنُقِ  
أَوْ مِثْلَ التَّفَجُّعِ بِالْجَزْعِ بِاسْتِدْعَاءِ الْبَكَاءِ ؛ كَقَوْلِهِ <sup>(٣)</sup> : [ من الطويل ]

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَأْوَها عُدْرُ  
أَوْ بِاسْتِعْظَامِ الْحَادِثِ ؛ كَقَوْلِهِ <sup>(٤)</sup> : [ من الكامل ]

أَرَأَيْتَ مَنْ حُمِلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ .....  
أَوْ بِالتَّسْجِيلِ عَلَى الْأَكْوَانِ بِالصِّبَةِ لِفَقْدِهِ ؛ كَقَوْلِهِ <sup>(٥)</sup> : [ من البسيط ]

مَنَابِتَ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّمَحِ وَالْبَاعِ

(١) البيت من شواهد النحاة ، يجوز في قوله : ( فتخبرك ) الجزم والنصب ، والبيت بتمامه :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ أَلْرُسُومُ عَلَى فِرْزَاجٍ وَالْطَّلَلُ الْقَدِيمُ

(٢) البيت لأبي تمام ، كما في « معاهد التنصيص » ( ٢٧٠ / ١ ) .

(٣) البيت لأبي تمام ، كما في « معاهد التنصيص » ( ٤٠ / ١ ) .

(٤) هو للشريف الرضي ، كما في « ديوانه » ( ٣٨١ / ١ ) ، والبيت بتمامه :

أَعْلِمْتَ مَنْ حُمِلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي

(٥) البيت للشريف الرضي ، كما في « ديوانه » ( ٦٢٧ / ١ ) .

أَوْ بِالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَفَجَّعْ لَهُ مِنَ الْجُمَادَاتِ ؛ كَقَوْلِ  
الخارجية<sup>(١)</sup> :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ  
أَوْ بتهنئة فريقيهِ بالراحة مِنْ ثَقْلِ وَطْأَتِهِ ؛ كَقَوْلِهِ<sup>(٢)</sup> :

أَلْقَى الرِّمَاحَ رَبِيعَهُ بُنْ نِزَارٍ      أَوْدَى الرَّدَى بِفَرِيقِكَ أَلْمِغُورِ  
وأمثال ذلك كثيرٌ في سائر فنون الكلام ومذاهبه ، وينتظم التراكيب فيه  
بالجمل وغير الجمل ، إنشائية وخبرية ، اسمية وفعلية ، متفقة وغير متفقة ،  
مفصولة وموصولة ، على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان  
كل كلمة من الأخرى ، يُعرَّفُك فيه ما تستفيدُه بالارتياض في أشعار العرب  
من القالبِ الكليِّ المُجَرَّد في الذَّهْنِ مِنَ التراكيبِ المعينة التي ينطبق ذلك  
القالبُ على جميعها ؛ فإنَّ مؤلَّفَ الكلام هو كالبَنَاءِ والنَّسَاجِ ، والصورة  
الذهنية المنطبعة كالقالب الذي يُبنى فيه أو المنوال الذي يُنسَجُ عليه ؛ فإن  
خرج عن القالب في بنائه أو عن المنوال في نسجه .. كان فاسداً .

**ولا تقولنَّ :** إنَّ معرفةَ قوانينِ البلاغةِ كافيةٌ في ذلك ؛ **لأنَّا نقولُ :** القوانينُ  
إنَّما هي قواعدٌ علميَّةٌ قياسيَّةٌ تفيدُ جوازَ استعمالِ التراكيبِ على هيئاتها  
الخاصَّةِ بالقياسِ ، وهو قياسٌ علميٌّ صحيحٌ مُطَرَّدٌ كما هو قياسُ القوانينِ  
الإعرابيةِ ، وهذه الأساليبُ التي نحنُ نُقرِّرها ليست من القياسِ في شيءٍ ،  
إنَّما هي هيئةٌ ترسُّخٌ في النفسِ مِنْ تَتَبُّعِ التراكيبِ في شعرِ العربِ بجريانها  
على اللسانِ حتَّى تستحكمَ صورتُها ، فيستفيدَ بها العملُ على مثالها  
والاحتذاء بها في كلِّ تركيبٍ من الشعرِ كما قدَّمنا ذلك في الكلام بإطلاقٍ ،  
وإنَّ القوانينَ العلميَّةَ مِنَ العربيَّةِ والبيانِ لا تفيدُ تعليمه بوجهٍ .

(١) البيت لأخت الوليد بن طريف تربيته ، كما في « العقد الفريد » ( ٢٦٩/٣ ) .

(٢) ذكره ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » ( ٤٠٢/٤ ) وعزاه للشريف الرضي .

وليسَ كُلُّ ما يَصِحُّ في قياسِ كلامِ العربِ وقوانينه العِلْمِيَّةِ استعملوه ،  
وإنَّما المُستعملُ عندهم مِنْ ذلكَ أنحاءٌ معروفةٌ يَطَّلِعُ عليها الحافظونَ  
لكلامِهِم ، تندرُجُ صورتُها تحتَ تلكَ القوانينِ القياسِيَّةِ .

فإذا نظرَ في شعرِ العربِ على هذا النحوِ ، وبهذه الأساليبِ الذهنية التي تصيِّرُ  
كالقوالِبِ . . كانَ ناظراً في المُستعملِ مِنْ تراكيبيهِم ، لا فيما يقتضيه القياسُ ،  
ولهذا قلنا : إنَّ المُحصِّلَ لهذه القوالِبِ في الذِّهنِ إنّما هوَ حفظُ أشعارِ العربِ  
وكلامِهِم ، وهذه القوالِبُ كما تكونُ في المنظومِ تكونُ في المنثورِ ؛ فإنَّ العربَ  
استعملوا كلامَهُم في كلا الفئتينِ ، وجاؤوا به مُفصَّلاً في النوعينِ ؛ ففي الشعرِ  
بالقِطْعِ الموزونةِ ، والقوافي المقيدةِ ، واستقلالِ الكلامِ في كلِّ قِطْعَةٍ ، وفي  
المنثورِ يعتبرونَ الموازنةَ والتشابهَ بينَ القِطْعِ غالباً ، وقد يقيدونَهُ بالأسجاعِ ،  
وقد يرسلونَهُ ، وكلُّ واحدةٍ مِنْ هذه معروفةٌ في لسانِ العربِ .

والمُستعملُ منها عندهم هوَ الذي يبني مُؤلِّفُ الكلامِ عليه تأليفَهُ ،  
ولا يَعْرِفُهُ إلاَّ مَنْ حفظَ كلامَهُم حتى يَتَجَرَّدَ في ذهنِهِ مِنَ القوالِبِ المعينةِ  
الشخصيةِ قالِبُ كُلِّ مُطَلِّقٍ ، يحدو حدوَهُ في التأليفِ ، كما يحدو البناءُ على  
القالِبِ والنَّسَاجُ على المِنوالِ ؛ فلهذا كانَ مَنْ يُؤلِّفُ الكلامَ مُنفرداً عن نظرِ  
النحويِّ والبيانيِّ والعروضيِّ .

**نعم** ؛ إنَّ مراعاةَ قوانينِ هذه العلومِ شرطٌ فيه لا يَتِمُّ بدونها ، فإذا تحَصَّلَت  
هذه الصِّفاتُ كُلُّها في الكلامِ . . اختصَّ بنوعٍ مِنَ النظرِ لطيفٍ في هذه  
القوالِبِ التي يُسمُّونها أساليبَ ، ولا يفيدُهُ إلاَّ حفظُ كلامِ العربِ نظماً ونثراً .

### [ حَدُّ الْمُؤَلِّفِ لِلشَّعْرِ ]

وإذا تَقَرَّرَ معنى الأسلوبِ ما هوَ . . فلنذكرُ بعده حَدّاً أو رسماً للشَّعْرِ  
به تَفْهَمُ حقيقَتَهُ على صعوبةِ هذا الغرضِ ؛ فإنَّا لم نقفْ عليه لأحدٍ مِنَ  
الْمُتَقَدِّمينَ فيما رأيناهُ ، وقولُ العروضيينَ في حَدِّهِ : إنَّهُ الكلامُ الموزونُ



المُقَفَّى . . ليسَ بحدِّ لهذا الشعرِ الذي نحنُ بصدده ولا رسمٍ له ، وصناعتُهُم  
إنَّما تنظرُ في الشعرِ باعتبارِ ما فيه مِنَ الإعرابِ والبلاغةِ والوزنِ والقوالبِ  
الخاصَّةِ ، فلا جرمَ أنَّ حدَّهم ذلكَ لا يصلُحُ له عندنا ، فلا بدَّ مِنْ تعريفِ  
يعطينا حقيقتهُ مِنْ هذهِ الحيثيَّةِ .

**فنقولُ : الشعرُ :** هو الكلامُ البليغُ المبنيُّ على الاستعارةِ والأوصافِ ،  
المُفصَّلُ بأجزاءٍ متفقَةٍ في الوزنِ والرويِّ ، مُستقلُّ كلُّ جزءٍ منها في غرضِهِ  
ومَقْصِدِهِ عَمَّا قبلَهُ وبعْدَهُ ، الجاري على أساليبِ العربِ المخصوصَةِ بِهِ .

**فقولنا :** « الكلامُ البليغُ » جنسٌ .

**وقولنا :** « المبنيُّ على الاستعارةِ والأوصافِ » فصلٌ عَمَّا يخلو مِنْ هذهِ ،  
فإنَّه في الغالبِ ليسَ بشعرٍ .

**وقولنا :** « المُفصَّلُ بأجزاءٍ متفقَةٍ الوزنِ والرويِّ » فصلٌ لَهُ عن الكلامِ  
المنثورِ الذي ليسَ بشعرٍ عندَ الكلِّ .

**وقولنا :** « مُستقلُّ كلُّ جزءٍ منها في غرضِهِ ومَقْصِدِهِ عَمَّا قبلَهُ وبعْدَهُ » بيانٌ  
للحقيقةِ ؛ لأنَّ الشعرَ لا تكونُ أبياتُهُ إِلَّا كَذَلِكَ ، ولم يُفصَّلْ بِهِ شيءٌ .

**وقولُهُ :** « الجاري على الأساليبِ المخصوصَةِ بِهِ » فصلٌ لَهُ عَمَّا لم يجرِ  
منهُ على أساليبِ العربِ المعروفةِ ؛ فإنَّه حينئذٍ لا يكونُ شعراً ، إنَّما هو كلامٌ  
منظومٌ ؛ لأنَّ الشعرَ لَهُ أساليبٌ تَخْصُهُ لا تكونُ للمنثورِ ، وكذا أساليبُ المنثورِ  
لا تكونُ للشعرِ ، فما كانَ مِنَ الكلامِ منظوماً وليسَ على تلكَ الأساليبِ . .  
فلا يكونُ شعراً .

وبهذا الاعتبارِ كانَ الكثيرُ ممَّنْ لقيناهُ مِنْ شيوخنا في هذهِ الصَّنَاعَةِ  
الأدبيةِ يرونَ أنَّ نظمَ المتنبي والمَعْرِي ليسَ هوَ مِنَ الشعرِ في شيءٍ ؛ لأنَّهُما

لم يجريا على أساليب العرب من الأمم عند من يرى أن الشعر يُوجد للعرب وغيرهم ، ومن يرى أنه لا يُوجد لغيرهم .. فلا يحتاج إلى ذلك ، ويقول : مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة .

### [ كيفية عمل الشعر ]

وإذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر .. فلنرجع إلى الكلام في **كيفية عمله ، فنقول :**

**اعلم :** أن لعمل الشعر وأحكام صناعته شروطاً ؛ **أولها :** الحفظ من جنسه ؛ أي : من جنس شعر العرب ؛ حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحرّ النقي الكثير الأساليب ، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين ؛ مثل ابن أبي ربيعة ، وكثير ، وذو الرمة ، وجري ، وأبي نواس ، وحبيب ، والبحرّي ، والرضي ، وأبي فراس ، وأكثره شعر كتاب « الأغاني » لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كلّها ، والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خالياً من المحفوظ .. فنظمه قاصر رديء ، ولا يعطيه رونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ ، فمن قلّ حفظه أو عدم .. لم يكن له شعر ، وإنما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ .

**ثم بعد الامتلاء من الحفظ ،** وشحذ القريحة للنسج على المنوال .. **يقبل على النظم ،** وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ ، وربما يقال : إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ؛ لتُمحى رسوم الحرفية الظاهرة ؛ إذ هي صادة عن استعمالها بعينها ، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها .. انتقش الأسلوب فيها ، كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة .

**ثُمَّ لَا بَدْلَ لَهُ مِنَ الْخُلُوعِ** ، واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار ، وكذا المسموع ؛ لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذِّ السُّرور .

**ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ : فِشْرُطُهُ** : أن يكون على جَمَامٍ ونشاطٍ ، فذلك أجمعُ له وأنشطُ للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المِنوال الذي في حفظه ، قالوا : وخيرُ الأوقاتِ لذلك أوقاتُ الذِّكرِ عندَ الهُبوبِ مِنَ النومِ ، وفراغِ المعدة ، ونشاطِ الفكرِ ، وفي هؤلاءِ الجَمَامِ .

وربَّما قالوا : إنَّ مِنْ بواعثِ العشق والانتشاء ، ذكرَ ذلك ابنُ رشيقي في كتابِ « العمدَةِ » ، وهو الكتابُ الذي انفردَ بهذه الصِّناعة وإعطاءِ حقِّها ، ولم يَكُتُبْ فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله .

قالوا : فإن استصعبَ عليه بعدَ هذا كُلِّهِ . . فليتركه إلى وقتٍ آخرَ ، ولا يُكرِهَ نفسَه عليه .

وليكنْ بناءُ البيتِ على القافيةِ مِنْ أَوَّلِ صوغِهِ ونسجِهِ ، يضعُها ويبني الكلامَ عليها إلى آخرِهِ ؛ لأنَّه إنْ غفلَ عن بناءِ البيتِ على القافيةِ . . صَعُبَ عليه وضعُها في محلِّها ، فربَّما تجيءُ نافرةً قلقَةً .

وإذا سمَحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يناسبِ الذي عندهُ . . فليتركه إلى موضعه الأليقِ به ، فإنَّ كلَّ بيتٍ مُستَقِلٌّ بنفسِهِ ، ولم تبقَ إلَّا المناسبةُ ، فليتخيَّرْ فيها كما يشاءُ .

**وليراجعْ شعرَهُ بعدَ الخلاصِ منه بالتنقيحِ والنقدِ** ، ولا يَضَنَّ به على التركِ إذا لم يبلغِ الإجابة ؛ فإنَّ الإنسانَ مفتونٌ بشعرِهِ إذْ هو بناتُ فكرِهِ ، واختراعُ قريحَتِهِ .

**ولا يَسْتَعْمِلْ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ** ، والخالصَ مِنَ

الضَّروراتِ اللسانية ، فليهجّزها ؛ فإنَّها تنزلُ بالكلامِ عن طبقةِ البلاغةِ ، وقد حَظَرَ أئمةُ اللسانِ على المؤلِّدِ ارتكابَ الضَّرورةِ ؛ إذ هوَ في سعةٍ منها بالعدولِ عنها إلى الطريقةِ المثلى مِنَ المَلَكَةِ .

**ويجتنب أيضاً المُعقَّدَ مِنَ التراكيبِ جهدهُ** ، وإنَّما يَقصِدُ منها ما كانتِ معانيه تسابقُ ألفاظُهُ إلى الفهمِ ، وكذلكِ كثرةُ المعاني في البيتِ الواحدِ ، فإنَّ فيه نوعَ تعقيدٍ على الفهمِ ، وإنَّما المختارُ منه ما كانتِ ألفاظُهُ طبقاً على معانيه أو أوفى ، فإنَّ كانتِ المعاني كثيرةً . . [ كانَ حشواً ، واستُعْمِلَ الذَّهْنُ بالغوصِ عليها ، فمَنَعَ ] ذلِكَ الذوقَ عنِ استيفاءِ مدركِهِ مِنَ البلاغةِ ، ولا يَكونُ الشعرُ سهلاً إلا إذا كانتِ معانيه تسابقُ ألفاظُهُ إلى الذَّهْنِ .

ولهذا كانَ شيوخنا رحمَهُمُ اللهُ يعيبونَ شعرَ أبي بكرٍ بنِ خفاجةَ شاعرٍ شرقِ الأندلسِ ؛ لكثرةِ معانيه وازدحامِها في البيتِ الواحدِ ، كما كانوا يعيبونَ شعرَ المتنبي والمَعَرِّيَ بعدمِ النسيجِ على الأساليبِ العربيةِ كما مرَّ ، فكانَ شعرُهُما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقةِ الشعرِ ، والحاكمُ بذلكَ هوَ الذوقُ .

**وليُجتنبَ الشاعرُ أيضاً الحُوشيَّ مِنَ الألفاظِ والمُقَصِّرَ** ، وكذلكِ السُّوقيَّ المُبتَدَلَ بالتداولِ بالاستعمالِ ؛ فإنَّه ينزلُ بالكلامِ عن طبقةِ البلاغةِ أيضاً ، فيصيرُ مُبتَدَلاً ، وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الإفادةِ ؛ كقولِهِمُ : النارُ حارةٌ ، والسماءُ فوقنا .

وبِمقدارِ ما يَقْرُبُ مِنْ طبقةِ عَدَمِ الإفادةِ يَبْعُدُ عن رتبةِ البلاغةِ ؛ إذ هما طرفانِ ؛ ولهذا كانَ الشعرُ في الربانيَّاتِ والنبويَّاتِ قليلَ الإجادةِ في الغالبِ ، ولا يحذَقُ فيه إلا الفحولُ ؛ لأنَّ معانيها متداولةٌ بينَ الجمهورِ ، فتصيرُ مبتذلةً لذلكِ .



وإذا تَعَذَّرَ الشعرُ بعدَ هذا كَلِّهِ . . فليراوضهُ ويعاودهُ ؛ فإنَّ القريحةَ مثلُ  
الضَّرْعِ ، يَدُرُّ بالامتراءِ ، وَيَجِفُّ بالتركِ والإهمالِ (١) .

### [ معنى كلمة ( الذَّوقِ ) عند ابنِ خلدون ]

وقال ابنُ خلدون أيضاً في تفسيرِ كلمةِ ( الذَّوقِ ) الدائرةُ على ألسنةِ  
المُتَكَلِّمينِ في هذا الشأنِ :

( اعلم : أنَّ لفظةَ « الذَّوقِ » يتداولها المعتنونُ بفنونِ البيانِ ، ومعناها :  
حصولُ ملكةِ البلاغةِ للسانِ ، وقد مرَّ تفسيرُ البلاغةِ ، وأنها مطابقةُ الكلامِ  
للمعنى مِنْ جميعِ وجوهِهِ بخواصِّ تقعُ للتراكيبِ في إفادةِ ذلك ؛ فالمُتَكَلِّمُ  
بلسانِ العربِ والبلغِ فيه يَتَحَرَّى الهيئةَ المفيدةَ لذلكَ على أساليبِ العربِ  
وأنحاءِ مخاطباتِهِمْ ، وينظمُ الكلامَ على ذلكَ الوجهِ جهدهُ ، فإذا اتَّصَلَتْ  
مَقَامَاتُهُ بمخالطةِ كلامِ العربِ . . حَصَلَتْ لَهُ الملكةُ في نظمِ الكلامِ على ذلكَ  
الوجهِ ، وسَهِّلَ عليه أمرُ التركيبِ ، حتى لا يكادُ ينحو فيه غيرَ مَنْحَى البلاغةِ  
التي للعربِ ، وإن سمعَ تركيباً غيرَ جارٍ على ذلكَ الْمَنْحَى . . مَجَّهَ ونبا عنه  
سمعهُ بأدنى فكرٍ ، بل وبغيرِ فكرٍ ، إلَّا بما استفادَهُ مِنْ حصولِ هذهِ الْمَلَكَةِ ؛  
فإنَّ الْمَلَكَاتِ إذا استقرَّتْ ورَسَخَتْ في محالِّها . . ظهرتْ كأنَّها طبيعةٌ وجِبَلَّةٌ  
لذلكَ الْمَحَلِّ ، ولذلكَ يظنُّ كثيرٌ مِنَ الْمُغْفَلِينَ مِمَّنْ لم يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ  
أَنَّ الصَّوَابَ للعربِ في لغَتِهِمْ إعراباً وبلاغةً أمرٌ طَبِيعِيٌّ ، ويقولُ : كَانَتْ  
العربُ تنطقُ بالطَّبْعِ ، وليسَ كذلكَ ، وإنما هي مَلَكَةٌ لسانيةٌ في نظمِ الكلامِ  
تَمَكَّنَتْ ورَسَخَتْ ، فظهرتْ في بادئِ الرأيِ أَنَّها جِبَلَّةٌ وطَبْعٌ .

وهذهِ الْمَلَكَةُ كما تَقَدَّمَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بممارسةِ كلامِ العربِ ، وتَكَرُّرهِ

(١) مقدمة ابن خلدون ( ص ٥٧٠ - ٥٧٥ ) .

على السَّمْعِ ، والتفطُّنِ لخواصِّ تراكيبِهِ ، وليستْ تحصلُ بمعرفَةِ القوانينِ العلميةِ في ذلكَ التي استنبطَها أهلُ صناعةِ اللسانِ ؛ فإنَّ هذهِ القوانينَ إنّما تفيدُ علماً بذلكَ اللسانِ ، ولا تفيدُ حصولَ الملكةِ بالفعلِ في محلِّها ، وقد مرَّ ذلكَ .

وإذا تَقَرَّرَ ذلكَ . . فمَلَكَةُ البلاغةِ في اللسانِ تهدي البليغَ إلى وجوهِ النظمِ ، وحسنِ التركيبِ الموافقِ لتراكيبِ العربِ في لغَتِهِم ونظمِ كلامِهِم ، ولو رامَ صاحبُ هذهِ المَلَكَةِ حيداً عن هذهِ السبيلِ المعينةِ والتراكيبِ المخصوصةِ . . لَمَّا قَدَّرَ عليه ، ولا وافقَهُ عليه لسانُهُ ؛ لأنَّهُ لا يعتادهُ ، ولا تهديه إليه ملكتُهُ الراسخةُ عندهُ ، وإذا عُرِضَ عليه الكلامُ حائداً عن أسلوبِ العربِ وبلاغَتِهِم في نظمِ كلامِهِم . . أعرضَ عنه ومَجَّهْهُ ، وعلمَ أنَّه ليسَ مِنْ كلامِ العربِ الذينَ مارسَ كلامَهُم ، وربَّما يَعْجُزُ عن الاحتجاجِ لذلكَ كما تصنعُ أهلُ القوانينِ النحويةِ والبيانيةِ ، فإنَّ ذلكَ استدلالٌ بما حصلَ مِنَ القوانينِ المفادةِ بالاستقراءِ ، وهذا أمرٌ وجدانيٌّ حاصلٌ بممارسةِ كلامِ العربِ ، حتى يصيرَ كواحدٍ مِنْهُمْ .

**ومثالهُ :** لو فرضنا صبيّاً مِنْ صبيانِهِم نشأَ وَرَبِيَ في جيلِهِم . . فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لغَتَهُم ، ويُحَكِّمُ شأْنَ الإعرابِ والبلاغةِ فيها حتى يستوليَ على غايَتِها ، وليسَ مِنَ العلمِ القانونيِّ في شيءٍ ، وإنَّما هوَ بحصولِ هذهِ المَلَكَةِ في لسانِهِ ونطقِهِ ، وكذلكَ تَحْصُلُ هذهِ الملكةُ لِمَنْ بعدَ ذلكَ الجيلِ ؛ بحفظِ كلامِهِم وأشعارِهِم وخُطَبِهِم ، والمداومةِ على ذلكَ ؛ بحيثُ يُحْصِلُ المَلَكَةَ ، ويصيرُ كواحدٍ مِمَّنْ نشأَ في جيلِهِم ، وَرَبِيَ بَيْنَ أَجْيَالِهِم ، والقوانينِ بِمَعزِلِ عن هذا .

واستُعِيرَ لهذهِ المَلَكَةِ عندما ترسَّخُ وتَسْتَقَرُّ اسمُ « الذَّوقِ » الذي اصطَلَحَ

عليه أهل صناعة البيان ، وإنّما هو موضوع لإدراك الطّعم ، لكنّ لما كان محلّ هذه المَلَكَة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محلّ لإدراك الطّعم . . استُعيرَ لها اسمُهُ ، وأيضاً فهو وجدانيّ اللسان كما أنّ الطّعم محسوسٌ له ، فقليلٌ له : ذوقٌ ، وإذا تبيّن لك ذلك . . علمتَ منه أنّ الأعاجم الداخلين في اللسان العربيّ ، الطارئین عليه ، المضطّرينّ إلى النطق به لمخالطة أهلِهِ ؛ كالفرس والروم والترك بالمشرق ، وكالبربر بالمغرب . . فإنّهُ لا يحصلُ لَهُم هذا الذّوق ؛ لقصورِ حظّهم في هذه المَلَكَة التي قرّنا أمرها ؛ لأنّ قصاراهم بعد طائفة من العمرِ وسبقِ مَلَكَة أخرى إلى اللسان وهي لغاتُهُم . . أن يعتنوا بما يتداولُهُ أهلُ مصرٍ بينهم في المحاورَةِ مِنْ مفردٍ ومركّبٍ ، ويضطّرونّ إليه مِنْ ذلك ، وهذه المَلَكَة قد ذهبَتْ لأهلِ الأمصار ، وبعُدوا عنها كما تقدّم ، وإنّما لَهُم في ذلك مَلَكَة أخرى ، وليست هي مَلَكَة اللسان المطلوبة .

ومن عرف تلك المَلَكَة من القوانينِ المُسطّرة في الكتب . . فليس من تحصيلِ المَلَكَة في شيءٍ ، إنّما حصّلَ أحكامها كما عرفت ، وإنّما تحصلُ هذه المَلَكَة بالممارسة والاعتیاد والتكرّر لكلام العرب .

فإن عرضَ لك ما تسمعه من أنّ سيبويه والفراسيّ والزمخشريّ وأمثالَهُم من فرسانِ الكلام كانوا أعجماً مع حصولِ هذه المَلَكَة لَهُم . . **فاعلم** : أنّ أولئك القوم الذين تسمعُ عنهم إنّما كانوا عجماء في نسبِهِم فقط ، وأمّا المَرْبِيّ والنشأة . . فكانت بين أهلِ هذه المَلَكَة من العرب ومن تعلّمها منهم ، فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا [ شيء ] وراءها ، وكأنّهم في أوّل نشأتِهِم من العرب الذين نشؤوا في أجيالِهِم ، حتّى أدركوا كنهَ اللغة ، وصاروا من أهلها ، فهُم وإن كانوا عجماء في النّسب . . فليسوا بأعجام في اللغة والكلام ؛ لأنّهم أدركوا المِلَّة في عنفوانها ، واللغة في شبابها ، ولم

تذهب آثار المَلَكَةِ ولا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصارِ ، ثُمَّ عَكفُوا عَلَى الْمَمارِسَةِ وَالْمَدارسَةِ  
لِلْكَلامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوْلَوْا عَلَى غَايَتِهِ (١) .



**قُلْتُ :** وَحَاصِلُ هَذَا الْكَلَامِ وَاخْتِصَارُ الطَّرِيقِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْغَرَضِ مِنْهُ :  
هُوَ أَنَّ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَصَدَّى لِإِنْشَاءِ الْكَلَامِ نَشْراً كَانَ أَوْ نَظْماً يَجِبُ أَنْ يَكُونَ  
فِيهِ اسْتِعْدَادٌ طَبِيعِيٌّ لِأُمُورٍ اخْتِيَارِيَّةٍ ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ ذَا حَافِظَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَفَهْمٍ  
ثَاقِبٍ ، وَذَاكِرَةٍ مَطِيعَةٍ ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ لَيْسُوا سَوَاءً .

قَالَ الْحُكَمَاءُ عَنْ خُبْرَةٍ تَامَّةٍ وَتَجَرِبَةٍ كَافِيَةٍ وَمَعْرِفَةٍ صَحِيحَةٍ : **إِنَّ الْإِنْسَانَ**  
**ذُو طَبَائِعٍ أَرْبَعٍ :** الدَّمُ ، وَالصَّفْرَاءُ ، وَالسُّودَاءُ ، وَالْبَلْغَمُ ، وَإِذَا غَلَبَ عَلَى مِزَاجِهِ  
إِحْدَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ . . نُسِبَ إِلَيْهَا ، فَقِيلَ : دَمَوِيٌّ ، وَصَفْرَاوِيٌّ ، وَسُودَاوِيٌّ ،  
وَبَلْغَمِيٌّ ، وَلِكُلِّ أَمَارَاتٍ ظَاهِرَةٌ .

**وَالدَّمَوِيُّ :** يَكُونُ مَمْتَلِئاً الْأَعْضَاءِ ، مَكْتَنِزاً اللَّحْمَ ، صَافِيًّ اللَّوْنَ نَيِّرَهُ ،  
صَحِيحَ الْجَمَالِ .

**وَالصَّفْرَاوِيُّ :** يَكُونُ نَحِيفاً يَابِساً ، فِي لَوْنِهِ صَفْرَةً .

**وَالسُّودَاوِيُّ :** يَكُونُ يَابِساً ، فِي لَوْنِهِ كَمْدَةً ، شَدِيدُ الشَّبَقِ .

**وَالْبَلْغَمِيُّ :** يَكُونُ رَخِواً مَائِياً ، فِي لَوْنِهِ نَوْعُ زُرْقَةٍ .

**وَمِنْ خَوَاصِّ الدَّمَوِيِّ :** سُرْعَةُ الْحَفْظِ ، وَبَطْءُ النِّسيانِ .

**وَمِنْ خَوَاصِّ الصَّفْرَاوِيِّ :** سُرْعَةُ الْحَفْظِ ، وَسُرْعَةُ النِّسيانِ .

**وَمِنْ خَوَاصِّ السُّودَاوِيِّ :** بَطْءُ الْحَفْظِ ، وَبَطْءُ النِّسيانِ .

**وَالْبَلْغَمِيُّ :** بَطِيءُ الْحَفْظِ ، سَرِيعُ النِّسيانِ .

(١) مقدمة ابن خلدون ( ص ٥٦٢ - ٥٦٤ ) .



فإذا كَانَ الإنسانُ ذا حافظَةٍ قويَةٍ ، واستعملَهَا في حفظِ ما اتفقَ أسلافُهُ ومعلموهُ على استجدَاتِهِ ، مهتدياً بفهمِهِ إلى معاني محفوظَاتِهِ ومقاصدِهَا ، وتمييزِ كُلِّ فريقٍ منها بما لَهُ مِنَ المحاسنِ وما لغيرِهِ مِنَ المساوي ، حَسَبَ ما سلفَ إرشادُكَ لَهُ ، ثُمَّ استخدمَ ذاكرَتَهُ في إحضارِ ما أرادَ مِنْ ذَلِكَ متى شاءَ . . فهو حينئذٍ مُتَهَيِّئٌ لتحصيلِ تلكَ الصِّناعةِ ، وبالغُ منها بتوفيقِ الله غايةَ منيَّتِهِ ، ومنتهى مقصوده .

فَمَنْ لم يجدْ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ الاستعدادَ . . فعليه أَلَّا يُورِطَ نَفْسَهُ ويستعملَهَا في ما يكدرُهَا مِنْ غيرِ عاقبةٍ حميدةٍ ، بل عليه أَنْ ينظرَ فيما يسهلُ عليه ويمكنُهُ الانتفاعُ بِهِ ، كما قيلَ <sup>(١)</sup> :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ  
وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ هَوًى وَالبهائمُ سواءً ، لا يهتدي لمعرفةِ ما هُوَ الأصْلَحُ مِنَ الأحوالِ حتَّى يَتَعَوَّدَهَا ، وَيُرَبِّيَ فِيهَا مَلَكَتَهُ . . فعلى مَنْ يَتَوَلَّى تربيَتَهُ أَنْ يختبرَهُ ، وَيَتَرَصَّدَ رَغْبَاتِهِ ، وَيَتَأَمَّلَ مِيلَهُ وما يمكنُ أَنْ يَقْوَى فِيهِ ، حَسَبَ طبيعَتِهِ ، وَوَفْقَ جِبَلَّتِهِ ، ويأخذَهُ بمزاولةِ ذَلِكَ حتَّى يَتِمَّ .

فإذا جرى العملُ على ذَلِكَ . . حَسَنَ أَمْرُ الْأُمَّةِ ، وانتظمتْ مسالكُهُمْ ، وقويتْ منافعُهُمْ ، وبلغوا الدرجةَ التي هِيَ لِلْأُمَّةِ كَمَالٌ ، ولجميعِ طوائفِهَا وأشخاصِهَا أتمُّ جمالٍ .

**وَأَمَّا قَوْلُهُ** في تفسيرِ ( الذَّوْقِ ) . . فأبينُ مِنْهُ ما سألقيه عليك ؛ وذلكَ أَنَّ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ تناسباً ، بحيثُ متى استوفتْ عندَ اجتماعِهَا حظُّهَا مِنْهُ . . قَامَتْ مِنْهَا صورةٌ يتفاوتُ النَّاسُ في إدراكِ حُسْنِهَا طبعاً وتعلُّماً ؛ **فمنهُمُ** : مَنْ لا يدركُ ذَلِكَ ولا يلتفتُ إِلَيْهِ ، وليسَ مدركوهُ سواءً فِيهِ ؛ **فمنهُمُ** : مَنْ

(١) انظر « معاهد التنصيص » ( ٢٣٦/٢ ) ، وعزاه لعمر بن معديكرب .

يقنعُ بإدراكِ ظواهرِ الأشياءِ ، **ومنهم** : مَنْ ينتهي إدراكُهُ إلى اعتبارِ دقائقِها وخوافيها .

وتعتبرُ ذلكَ بما تشاهدُهُ مِنْ شِدَّةِ سرورِ بعضِ الناسِ عندَ رؤيتِهِ للأشياءِ المناسبةِ التي يلائمُ بعضها بعضاً ، وشِدَّةِ نفرتِهِ وانقباضِهِ عندَ رؤيةِ خلافِها ، لا يَخْتَصُّ ذلكَ بشيءٍ دونَ شيءٍ ، فتراهُ يتأملُ الأبنيةَ وأوضاعِها ، وما اشتمَلَتْ عليه مِنْ مُكَمِّلاتِ الانتفاعِ بها ، فإذا أدركَ فيها التناسَبَ اللائقَ بها . . رأيتُهُ قد انشرحَ صدرُهُ ، وتجدَّدَ سرورُهُ ، وأخذَ في نعتِها والثناءِ على صنائعِها .

وذلكَ مثلُ تعتبرُ به غيرُهُ ، وتَأمَلُ تفاوتَ الناسِ في ذلكَ الإدراكِ ، **فالإدراكُ الذي يَتعلَّقُ بتناسِبِ الأشياءِ ، ويوجبُ الاستحسانَ والاستقباحَ . .** هو المُسمَّى بالذوقِ ، وهوَ طبعيٌّ ، ينمو ويَتربَّى بالنظرِ في الأشياءِ والأعمالِ مِنْ جهةِ موافقتِها للغايةِ المقصودةِ منها .

**وأما قولُهُ** في الأساليبِ العربيةِ واختصاصِها ، حتى إِنَّه أخرجَ نظمَ المتنبي وأبي العلاءِ المَعريَّ عن أن يكونَ شعراً : فذلكَ حَجَرٌ واسعٌ وحظَرٌ مباحٌ ؛ فإنَّ أنفُسَ الشعراءِ مِنَ العربِ لم يَتَّفَقُوا على سلوكِ طريقٍ بعينِها ، وإنَّما هي مذاهبٌ مختلفةٌ ، وطرقٌ متشعبةٌ ، كما قالَ اللهُ تعالى في صفتِهِمْ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فليسَ هناكَ طريقٌ معينٌ يلتزمُها السالكُ ، وإنَّما المَدَارُ على أن توافَقَ التراكيبُ التي يستعملُها المُستعملُ تراكيبَ العربِ حَسَبَ ما بَيَّنَّتهُ القوانينُ العلميةُ على أَنَّهُ لا يَصِحُّ تقليدُ العربِ في جميعِ ما نطقوا بهِ ، فقد عرفتَ مما سلفَ أَنَّ بعضَ كلامِهِمْ يجبُ اجتنابُ مثلهِ ، وأنَّهُمْ لا يُتَابَعُونَ إِلَّا فيما كانَ أَوْفَقَ للغرضِ مِنَ الكلامِ ؛ وهوَ التفاهُمُ ،

(١) سورة الشعراء : ( ٢٢٥ ) .

وفي خصوص الشعرِ والإنشاءِ مِنَ التأثيرِ في الطِّبَاعِ وتحويلِها إلى الميلِ الذي يريدهُ الشاعرُ والكاتبُ .

**ففي الحماسِ مثلاً :** يكونُ الكلامُ مُهيَّجاً للقوى ، مثيراً للغضبِ ، باعثاً على الحميَّةِ ، **وفي الغَزَلِ :** يكونُ سارّاً للنفوسِ ، مريحاً للخواطرِ ، **وفي العتابِ :** هادياً للموافقةِ ، ومؤلِّداً للرضا . . . إلى غيرِ ذلكَ ، ممَّا تَضَطَّرُّكَ إلى معرفتِهِ مطالعةُ الأحوالِ مِنْ جهةِ الإيصالِ إلى المرغوبِ ، والحمايةِ مِنَ المرهوبِ .



**فتقرَّرَ بجميعِ ما سلفَ :** أَنَّهُ لا طريقَ لتعلُّمِ صناعةِ الإنشاءِ إِلَّا حفظُ كلامِ الغيرِ وفهمُهُ ، وتمييزُ مقاصدهِ .

وهأنا مُستشهدٌ على ذلكَ بما هوَ حاضرٌ معنا في هذا العصرِ المخالفِ بالكليةِ للعصورِ التي كانَ أمرُ الشعرِ والكتابةِ الصِّناعيةِ قائماً ، ورغباتُ الملوكِ وأعيانِ الأمراءِ فيهما متوفرةً ؛ إذ كانتِ الدولةُ عربيَّةً ، وأمراؤها مِنْ العربِ أو مِنْ غيرِهِم ، وهُم مُضطَرُّونَ لإتقانِ معرفةِ لسانِهِم ، حَسَبَ ما كانتِ تبعثُ الحاجةُ إليه ، ويتوقَّفُ تحصيلُ الأغراضِ عليه ، وبتغيُّرِ الدولةِ تَتَغَيَّرُ الأحوالُ ؛ فَإِنَّ الكتابةَ الصِّناعيةَ بلسانِ الدولةِ القائمةِ بالغةٌ درجتها باللسانِ العربيِّ أو أعلى ، كما تسمعهُ مِنَ العارفينَ بطرائفِ اللسانينِ ومحاسنِ اللغتينِ ، وليسَ يقوى أمرٌ - كما هوَ بديهيٌّ - إِلَّا بحَسَبِ قُوَّةِ الحاجةِ إليه .



## [ نَبذةٌ مِنْ أَشعارِ الباروديِّ في مُحاكاةِ بعضِ قصائدِ السابقين ]

هذا الأميرُ الجليلُ ، ذو الشرفِ الأصيلِ ، والطَّبعِ البالغِ نقاؤه ، والدَّهْنِ المتناهي ذكاؤه ؛ **محمود سامي باشا الباروديُّ** ، لم يقرأ كتاباً في فنِّ مِنْ فنونِ العربيةِ ، غيرَ أَنَّهُ لَمَّا بلغَ سنَّ التعقُّلِ . . وجدَ مِنْ طبعِهِ ميلاً إلى قراءةِ الشعرِ وعملِهِ ، فكانَ يستمعُ بعضَ مَنْ لَهُ درايةٌ وهو يقرأ بعضَ الدواوينِ ، أو يُقرأُ بحضرتهِ ، حتَّى تصوَّرَ في برهةٍ يسيرةٍ هيئاتِ التراكيبِ العربيةِ ، ومواقعِ المرفوعاتِ منها والمنصوباتِ والمخفوضاتِ ، حَسَبَ ما تقتضيه المعاني والتعلُّقاتُ المختلفةُ ، فصارَ يقرأُ ولا يكادُ يلحنُ .

وسمعتُهُ مرَّةً يُسكِّنُ ياءَ المنقوصِ والفعلِ المعتلِّ بها المنصوبينِ ، فقلتُ لَهُ في ذلكَ ، فقالَ : هوَ كذا في قولِ فلانٍ ، وأنشدَ شعراً لبعضِ العربِ ، فقلتُ : تلكَ ضرورةٌ ، وقالَ علماءُ العربيةِ : إِنَّها غيرُ شاذةٍ .

ثمَّ استقلَّ بقراءةِ دواوينِ مشاهيرِ الشعراءِ مِنَ العربِ وغيرِهِمْ ، حتَّى حفظَ الكثيرَ منها دونَ كلفةٍ ، واستثبتَ جميعَ معانيها ، ناقداً شريفها مِنْ خسيسِها ، واقفاً على صوابِها وخطئِها ، مدركاً ما كانَ ينبغي وَفْقَ مقامِ الكلامِ وما لا ينبغي ، ثمَّ جاءَ مِنْ صنعةِ الشعرِ اللائقِ بالأمراءِ ولشعرِ الأمراءِ ؛ كأبي فراسٍ ، والشريفِ الرضيِّ ، والطُّغرائيِّ . . تميَّزَ عن شعرِ الشعراءِ كما ستراهُ .

**ومِصادقُ ذلكَ :** ما سألقِيهِ عليكِ مِنْ قصائدِ أنشأها في وزنِ قصائدَ لبعضِ مشاهيرِ المُتقدِّمينَ وروَّيَها .

## [ قصيدةٌ لأبي نواسٍ يمدحُ فيها أميرَ مصرَ ]

قالَ أبو نواسٍ يمدحُ الخصيبَ بنَ عبدِ الحميدِ العجميِّ أميرَ مصرَ



[ من الطويل ]

مِنْ طَرَفِ الرِّشِيدِ وَقَصَدَهُ مِنْ بَغْدَادَ (١) :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورٌ      وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ  
فَإِنْ كُنْتَ لَا خِلْمًا وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ      فَلَا بَرَحَتْ دُونِي عَلَيْكَ سُتُورٌ  
وَجَاوَزْتَ قَوْمًا لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ      وَلَا وَضَلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورٌ  
فَمَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرْبَةَ لَازِبٍ      وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَيَّ قَدِيرٌ  
وَإِنِّي لَطَرْفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ      فَقَدْ كِدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرٌ  
كَمَا نَظَرْتُ وَالرِّيحُ سَاكِنَةٌ لَهَا      عَقْنَبَاهُ أَرْسَاغِ الْيَدَيْنِ نَزُورٌ  
طَوْتُ لَيْلَتَيْنِ الْقُوتَ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ      أَرْيَغِبُ لَمْ يَنْبُتْ عَلَيْهِ شَكِيرٌ  
فَأَوْفَتْ عَلَى عَلِيَاءَ حَتَّى بَدَا لَهَا      مِنْ الشَّمْسِ قَرْنٌ وَالضَّرِيبُ يَمُورُ  
تُقَلِّبُ طَرْفًا فِي حِجَاكِ مَغَارَةٍ      مِنْ الرُّأْسِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ دُورُ

هَذَا فِي فِصْلَانِ .

**أولهُما :** في شكوى الزمان وقساوة الحرمان ، فهو يقول خطاباً لامرأة وجدَّ هواها ، ولم يَقْدِرْ على الوصولِ إلى مرادِهِ منها ؛ لفقْرِهِ وعدمِ تمكُّنِهِ مِنَ الطَّرِيقِ . . . إلى ذلك : أَيَّتُهَا الْجَارَةُ ؛ إِنِّي غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْكَ ، وَأَنَا مُقِيمٌ بِأَرْضِكَ عَلَى مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ ، لَا عَلَى وَجْهِ الْخَلَّةِ ، وَلَا عَلَى وَجْهِ التَّزَوُّجِ ، فَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى التَّغَرُّبِ لِتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْوَصُولِ إِلَيْكَ ؛ فَإِمَّا أَبْلُغُ مَا تَمْنِيْتُ ، وَإِمَّا أَمُوتُ مَعْذُورًا ، وَهَذَا الْمَعْنَى نَطَقَ بِهِ الشُّعْرَاءُ ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

دَعِينِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي      أَصَادِفُ حُرًّا أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذَرَا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ) .

وقولٍ آخَرَ<sup>(١)</sup> :

[ من الطويل ]

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

إلى غير ذلك ، أخرجَهُ هُوَ مُخْرَجَ القسمِ بالدُّعاءِ على تصميمِهِ وعزمِهِ على فراقِ أرضِهِ ، وتغرُّبِهِ في طلبِ حسنِ الحالِ ، ثم قوله : ( خِلْمًا ) و ( زوجةً ) ما كان ينبغي أن يصدرَ منه ، وقوله : ( فما أنا بالمشغوفِ ) مخالفٌ لمذهبِ العُشَّاقِ .

**والفصلُ الثاني :** في الافتخارِ بِحِدَّةِ الذَّهْنِ ، وشدةِ الفطنةِ ، وكثرةِ التجربةِ . . مشبهٌ نفسهُ بالعُقَابِ التي وصفَهَا ، وبينَ الفصلَيْنِ انقطاعٌ يسمَّى مثلهُ طغرةَ الشعرِ<sup>(٢)</sup> ، **وقوله :** ( عَقْنَبَاءُ ) هُوَ مِنْ صِفَةِ الْعُقَابِ ، قالَ في « القاموس » : ( **عُقَابٌ عَقْنَبَاءُ** : ذاتُ مخالبٍ حِدَادٍ )<sup>(٣)</sup> ، فإضافتها في كلامِهِ إلى ( الأرساغِ ) غيرُ ظاهرةٍ .

ثمَّ شرعَ في صفةِ حالِهِ ، وما دارَ بينَهُ وبينَ أهلِ بيتِهِ عندَ عزمِهِ على السفرِ فقال :

تَقُولُ أَلْتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي      عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ  
أَمَّا دُونَ مِصْرَ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبُ      بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الْغِنَى لَكَثِيرُ  
فَقُلْتُ لَهَا وَأَسْتَعَجَلْتُهَا بَوَادِرُ      جَرَتْ فَجَرَّتْ فِي جَرِيهِنَّ عَبِيرُ  
ذَرِينِي أَكْثَرُ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ      إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ  
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابُنَا      فَأَيَّ فَتَى بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ  
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

بعثهُ على هذا الكلامِ المزعجِ إِدْلَالُهُ بمكانِهِ .

(١) انظر « معاهد التنصيص » ( ٥١/١ ) ، وعزاه للعباس بن الأحنف .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله أراد : ( الطرة ) وهي اسم للشيء المقطوع ، والله أعلم .

(٣) انظر « القاموس المحيط » ( ٢٥٩/١ ) ، مادة ( ع ق ب ) .

فَمَا جَاذَهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ      وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

هَذَا الْبَيْتُ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي كَثُرَ لَفْظُهُ وَقُلَّ مَعْنَاهُ ؛ **إِذْ مَعْنَاهُ** : أَنَّهُ لَا يَفَارِقُهُ  
الْجُودُ ، وَعَلَيْهِ فِيهِ مُؤَاخَذَةٌ ؛ فَإِنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّنْفَرِيِّ <sup>(١)</sup> : [ مِنْ الْمَدِيدِ ]

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا      [ حَلٌّ ] حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ

وَنَقَلَ الْعِبَارَةَ مِنَ الْحَزْمِ نَقْلًا غَيْرَ صَحِيحٍ إِلَى الْجُودِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَزْمَ  
يَتَعَلَّقُ بِالسَّيْرِ وَالْحُلُولِ ، بِحَيْثُ يُقَالُ : مَنْ حَزَمَهُ وَحَسَنَ رَأْيِهِ يَظْعُنُ فِي  
الْأَوْقَاتِ الَّتِي تَقْتَضِي الْأَحْوَالَ أَنْ يَظْعُنَ فِيهَا ، فَلَا يُؤَخَّرُ وَاجِبًا ، وَلَا يَفْعَلُ مَا  
لَيْسَ لَازِمًا ، وَيَحُلُّ بِالْأَمْكَنَةِ الَّتِي تَصْلَحُ لِلْحُلُولِ ؛ لِأَمْنِهَا وَاشْتِمَالِهَا عَلَى مَا  
يَلْزَمُ لِلْإِقَامَةِ ، وَأَمَّا الْجُودُ . . فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ رِبْطُهُ بِالسَّيْرِ وَالْإِقَامَةِ ، وَإِنَّمَا يَرْبُطُ  
بِالْأَحْوَالِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ جَوَادٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ عَسِرٍ وَيَسِرٍ .

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي سُودَدًا مِثْلَ سُودَدِ      يَحُلُّ أَبُو نَضْرٍ بِهِ وَيَسِيرُ

[ وَأَطْرُقُ ] حَيَاتِ الْبِلَادِ لِحَيَّةِ      خَصِيبِيَّةِ التَّضْمِيمِ حِينَ تَسُورُ

سَمَوْتَ لِأَهْلِ الْحَوْفِ فِي دَارِ أَمْنِهِمْ      فَأَضْحَوْا وَكُلُّ فِي الْوِثَاقِ أَسِيرُ

إِذَا قَامَ غَنَّتُهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَّةُ <sup>(٢)</sup>      لَهَا خُطْوَةٌ عِنْدَ الْقِيَامِ قَصِيرُ

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جَاهِلًا بِمَقَالَتِي      فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَبِيرُ

وَمَا زِلْتُ تُؤَلِّيهِ النَّصِيحَةَ يَافِعًا      إِلَى أَنْ بَدَا فِي الْعَارِضِينَ قَتِيرُ

إِذَا غَالَهُ أَمْرٌ فَأَمَّا كَفَيْتَهُ      وَإِمَّا عَلَيْهِ بِالْكَفِيِّ تُشِيرُ

**الْحَوْفُ** : نَاحِيَةٌ بِمَصْرَ ظَهَرَ مِنْ أَهْلِهَا عَصِيَانٌ ، فُورَدَ لَهُ الْأَمْرُ بِحَرْبِهِمْ  
وَتَأْدِيبِهِمْ ، فَظَفَرَ بِهِمْ .

(١) انظر « ديوان الشنفرى » ( ص ١١٨ ) .

(٢) في « ديوان أبي نواس » ( ص ٢٨٧ ) : ( غَنَّتُهُ ) .

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ هُوجٌ كَأَنَّمَا جَمَاجِمُهَا تَحْتَ الرِّحَالِ قُبُورُ  
رَحَلْنَ بِنَا مِنْ عَقَرُقُوفٍ وَقَدْ بَدَا مِنْ الصُّبْحِ مَفْتُوقُ الْأَدِيمِ شَهِيرُ  
أَخَذَ يَذْكُرُ الْأَمَاكِنَ الَّتِي مَرَّ بِهَا فِي سَفَرِهِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ .

فَمَا أَنْجَدَتْ بِالْمَاءِ حَتَّى رَأَيْتُهَا مَعَ الشَّمْسِ فِي عَيْنِي أَبَاغَ تَغُورُ  
وَعَمَّرَنَ مِنْ مَاءِ النَّقِيبِ بِشْرِيَّةٍ وَقَدْ حَانَ مِنْ دِيكَ الصَّبَاحِ زَمِيرُ  
**التغميرُ** : الشربُ دونَ الريِّ .

وَوَافَيْنِ إِشْرَاقًا كَنَائِسَ تَذْمِيرِ وَهْنٍ إِلَى رَعْنِ الْمُدَخِّنِ صُورُ  
يُؤَمِّمَنَ أَهْلَ الْغُوطَتَيْنِ كَأَنَّمَا لَهَا عِنْدَ أَهْلِ الْغُوطَتَيْنِ ثُورُ  
وَأَصْبَحْنَ بِالْجَوْلَانِ يَرْضَخْنَ صَخْرَهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْرَامِهِنَّ شُطُورُ  
وَقَاسَيْنَ لَيْلًا دُونَ بَيْسَانَ لَمْ يَكْذَ سَنَا صُبْحِهِ لِلنَّاظِرِينَ يُنِيرُ  
وَأَصْبَحْنَ قَدْ فَوَّزْنَ مِنْ أَهْلِ [ فُطْرُسِ ] وَهْنٌ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ زُورُ  
طَوَالِبُ بِالرُّكْبَانِ غَزَّةَ هَاشِمٍ وَفِي الْفَرَمَا مِنْ حَاجِهِنَّ شُقُورُ

**الشقورُ** : المهماتُ مِنَ الْحَاجَاتِ ، **والفرما** : مِنْ بِلَادِ مِصْرَ الَّتِي كَانَتْ  
مَشْهُورَةً بِالصَّنَائِعِ [ كَتْنِيسَ ] ، وَقَدْ زَالَتْ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ .

وَلَمَّا أَتَتْ فُسْطَاطَ مِصْرَ أَجَارَهَا عَلَى رَكْبِهَا أَلَّا تُذَالَ مُجِيرُ  
هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالَ فِيهِ وَكَرَّرَهُ فِي عِبَارَاتٍ : [ مِنَ الْكَامِلِ ]

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّحَالِ حَرَامُ  
وَقَدْ سَلَفَ هُوَ وَأَصْلُهُ ، **وَأَذَالَ المصونُ** : أَهَانَهُ .

مِنْ الْقَوْمِ بَسَامٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَنَا الْفَجْرِ يَسْرِي ضَوْؤُهُ وَيُنِيرُ



زَهَا بِالْخَصِيبِ السَّيْفُ وَالرُّمْحُ فِي الْوَعْيِ      وَفِي السِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ  
جَوَادٌ [ إِذَا ] الْأَيْدِي كَفَفْنَ عَنِ النَّدَى      وَمِنْ دُونِ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ غَيُورُ  
عبارةٌ باردةٌ .

لَهُ سَلَفٌ فِي الْأَعْجَمِينَ كَأَنَّهُمْ      إِذَا اسْتُؤْذِنُوا يَوْمَ السَّلَامِ بُدُورُ  
فَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْغِنَى      وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ  
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ      وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

**يُحْكِي :** أَنَّ الرشيذَ عزلَ الخصيبَ عن عملِ مصرَ ، فخرجَ منها مُجَرِّدًا ،  
وَاتَّفَقَ أَنْ لَقِيَ أَبَا نُوَّاسٍ لَيْلًا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ  
عَجَفَاءَ وَأَبُو نُوَّاسٍ فِي رَكْبٍ حَافِلٍ ، فَسَمِعَهُ يَتَغَنَّى ، فَدَنَا مِنْهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ،  
فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَبُو نُوَّاسٍ لِرِثَاثَةِ حَالِهِ ، فَعَرَفَهُ بِنَفْسِهِ .

فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَصَارَكَ يَا سَيِّدِي لِهَذَا الْحَالِ ؟! فَقَالَ : قَوْلُكَ : ( الدَّائِرَاتُ  
تَدُورُ ) ؛ فَأَرَادَ أَبُو نُوَّاسٍ أَنْ يُوَاسِيَهُ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَخَذَ مَمَّنْ أُعْطِيتُ ،  
وَاِفْتَرَقَا .

وَلَمَّا وَصَلَ الْخَصِيبُ بَغْدَادَ . . أَقَامَ بِهَا فَقِيرًا فِي هَيْئَةٍ سَائِلٍ ، يَجْلِسُ إِلَى  
جَوَانِبِ الْجُدُرَانِ ، فَعَلِمَ بِهِ شَاعِرٌ ، وَأَنَّهُ الْخَصِيبُ ، فَلَقِيَهُ بِأَبْيَاتٍ يَمْتَدِّحُهُ  
بِهَا ، فَأَخْرَجَ لَهُ مِنْ تَحْتِ رَقْعَةٍ مِنْ رِقَاعِ ثِيَابِهِ لَوْلُؤَةً فَرِيدَةً ، وَأَجَازَهُ بِهَا ،  
وَسَأَلَهُ الْعَذَرَ لَضِيقِ الْحَالِ ، فَأَخَذَهَا وَنَزَلَ بِهَا السُّوقَ ، فَعَجِبَ مِنْهَا التَّجَّارُ ،  
وَأَوْصَلُوهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَسَأَلَ عَنْهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ ؟

فَوَقَفَ عَلَى الْخَبَرِ وَعَلَى طَرِيهِ بِهِمَّةِ الْخَصِيبِ ، أَعَادَهُ لِحَسَنِ الْحَالِ ،  
وَرَضِيَ عَنْهُ .

## [ الأُميرُ الباروديُّ يحاكي أبا نواسٍ في قصيدته ]

وهذه قصيدة الأُميرِ التي في وزنِ قصيدة أبي نواسٍ ورويتها<sup>(١)</sup> : [ من الطويل ]

تَلَاهَيْتُ إِلَّا مَا يُجِنُّ ضَمِيرُ	وَدَارَيْتُ إِلَّا مَا يَنْمُ زَفِيرُ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانَ أَمْرِهِ	وَفِي الصَّدْرِ مِنْهُ بَارِحٌ وَسَعِيرُ
فَيَا قَاتِلَ اللَّهِ أَلْهَوَى مَا أَشَدَّهُ	عَلَى الْمَرْءِ إِذْ يَخْلُو بِهِ فَيُغِيرُ
تَلِينُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَهِيَ أَبِيَّةٌ	وَيَجْزَعُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَهُوَ صَبُورُ
نَبَذْتُ لَهُ رُمَحِي وَأَغْمَدْتُ صَارِمِي	وَنَهَنْهْتُ مُهْرِي وَالْمُرَادُ غَزِيرُ
وَأَصْبَحْتُ مَغْلُولَ الْمَخَالِبِ بَعْدَمَا	سَطَوْتُ وَلِي فِي الْخَافِقَيْنِ زَيْرُ
فَيَا لَسْرَاةِ الْقَوْمِ دَعْوَةٌ عَائِدِ	أَمَا مِنْ سَمِيعٍ فِيكُمْ فَيُجِيرُ
لَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى مَلِلْتُهُ	وَعَهْدِي بِهِ فِيمَا عَلِمْتُ قَصِيرُ
أَلَا فَرَعَى اللَّهُ الصِّبَا مَا أَبْرَهُ	وَحَيًّا شَبَاباً مَرَّ وَهُوَ نَضِيرُ
إِذْ أَلْعَيْشُ أَفَوَافُ تَرْفُ ظِلَالُهُ	عَلَيْنَا وَسَلَسَالُ الْوَفَاءِ نَمِيرُ
وَإِذْ نَحْنُ فِيمَا بَيْنَ [ إِخْوَانٍ ] لَذَّةٍ	عَلَى شِيمٍ مَا إِنْ بِهِنَ نَكِيرُ
تَدُورُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَلَاعِبِ	بِهَا أَلَلَهُوْ خِذْنُ وَالشَّبَابُ سَمِيرُ
فَأَلْحَاطْنَا بَيْنَ التُّفُوسِ رَسَائِلُ	وَرِيحَانْنَا بَيْنَ الْكُؤُوسِ سَفِيرُ
عَقَدْنَا جَنَاحِي لَيْلِنَا بِنَهَارِنَا	وَطَرْنَا مَعَ اللَّذَاتِ حَيْثُ تَطِيرُ
وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرَهَا فَإِنَّمَا	بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبَابِ يَسِيرُ
فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةٌ لَهَبِيَّةٌ	لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُؤُورُ

(١) انظر « ديوان البارودي » ( ٢٦/٢ - ٣٣ ) .

إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقَمْنَا مَكَانَنَا  
وَكَمْ لَيْلَةٍ أَفْنَيْتُ عُمْرَ ظَلَامِهَا  
شَعَلْتُ بِهَا قَلْبِي وَمَتَّعْتُ نَاطِرِي  
صَنَعْتُ بِهَا صُنْعَ الْكَرِيمِ بِأَهْلِهِ  
فَمَا رَاعَنَا إِلَّا حَفِيفُ حَمَائِمِ  
تُجَاوِبُ أَتْرَابٍ لَهَا فِي خَمَائِلِ  
نَوَاعِمُ لَا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ  
تَوَسَّدُ هَامَاتٍ لَهْنٌ وَسَائِدًا  
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيبِكِهَا  
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكَ دَوَاحِلُ غَيْرِهِ  
إِذَا غَارَزَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا  
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدْ رَفَّ جِيدُهُ  
خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ تَيْهًا وَإِنَّمَا  
وَلِي شِيَمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ  
إِذَا سِرْتُ فَلَا أَرْضُ أَلْتِي نَحْنُ فَوْقَهَا  
فَلَا عَجَبٌ إِنْ لَمْ يَصُرْنِي مَنْزِلُ  
هَمَامَةٍ نَفْسٍ لَيْسَ يَنْفِي رِكَابَهَا  
مُعَوَّدَةٌ إِلَّا تَكُفَّ عِنَانُهَا  
لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أَذُنٌ سَمِيعَةٌ

وَوَظَلْتُ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ  
إِلَى أَنْ بَدَا لِلصُّبْحِ فِيهِ قَتِيرُ  
وَنَعَّمْتُ سَمْعِي وَالْبَنَانُ طَهُورُ  
وَجِيرَتِهِ وَالْغَادِرُونَ كَثِيرُ  
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْغُصُونِ هَدِيرُ  
لَهْنٌ بِهَا بَعْدَ الْحَنِينِ صَفِيرُ  
وَلَا دَائِرَاتِ الدَّهْرِ كَيْفَ تَدُورُ  
مِنْ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ  
تَمَائِمُ لَمْ تُعْقِدْ لَهْنٌ سُيُورُ  
زَهَاهُنَّ ظِلُّ سَابِغٍ وَغَدِيرُ  
عَلَى صَفْحَتَيْهَا سُندُسٌ وَحَرِيرُ  
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسْجِ الظَّلَامِ سُتُورُ  
يَتِيهِ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهُوَ قَدِيرُ  
تَرُدُّ لِهَامِ الْجَيْشِ وَهُوَ يَمُورُ  
مَرَادٌ لِمُهْرِي وَالْمَعَاقِلُ دُورُ  
فَلَيْسَ لِعِقْبَانِ الْهَوَاءِ وَكُورُ  
رَوَاحٍ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَبُكُورُ  
عَنِ الْجِدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ  
وَعَيْنُ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ بَصِيرُ

وَفَيْتُ بِمَا ظَنَّ الْكَرَامَ فِرَاسَةً  
وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودَ الْجَلَالِ كَأَنِّي  
إِذَا صَلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلُوائِهِ  
مَلَكَتُ مَقَالِيدَ الْكَلَامِ وَحِكْمَةً  
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلَامِ الَّذِي أَنْقَضَى  
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرَكْتُ النُّوَاسِيَّ لَمْ يَقُلْ  
وَمَا ضَرَّنِي أَتَيْ تَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ  
فَيَا رَبِّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوَّلُ

بِأَمْرِي وَمِثْلِي بِأَلُوفَاءِ جَدِيرُ  
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي الزَّمَانِ أَمِيرُ  
وَإِنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ  
لَهَا كَوَكَبُ فَخْمِ الضِّيَاءِ مُنِيرُ  
لِبَاءَ بِفَضْلِي جَزُولٌ وَجَرِيرُ  
أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورُ  
وَفَضْلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ  
وَبَدَّ الْجِيَادِ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ

**لَمْ أَكُنْ لَادَعٍ أَنْ أَقُولَ :** انظر هداك الله لأبيات هذه القصيدة ، فأفردھا بيتاً بيتاً . . تجد ظروف جواهر ، أفردت كل جوهرة لنفاستها بظرف ، ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق ؛ فإنك لا تجد بيتاً يصح أن يُقدَّم أو يُؤخَّر ، ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث ، وأكملك إلى سلامة ذوقك وعلو هممتك إن كنت من أهل الرغبة في الاستكمال لتتبع هذه الطريقة المثلّية .

ثم قول ابن هانئ : ( فتى يشتري ... )<sup>(١)</sup> سبقه إلى النطق به الراعي النميري حيث قال<sup>(٢)</sup> :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ  
وَنُطْقَ بِهِ قَبْلَهُ الْأَبِيرُ دُ أَيضاً :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ  
إِذَا أَلْسَنَةُ الشَّهْبَاءِ أَعَوَزَهَا الْقَطْرُ

(١) أي : قول أبي نواس فيما تقدم قريباً ( ٩٤/٤ ) .

(٢) انظر « ديوان الراعي الثُميري » ( ص ١٨٠ ) .

ومثل هذا لا يعيبه أهل الأدب كما نقله عنهم بعض سُراح « لامية العجم » ، عند ذكره توافق الطُّغرائيِّ وصاحب « المَقاماتِ » الحريريِّ في قولهما <sup>(١)</sup> :

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مُعْتَقِلٍ      بِمِثْلِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكِلٍ  
[ وقال الحريري ] <sup>(٢)</sup> :

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ قَامَتُهُ      صَادَفْتُهُ بِمَنَى يَشْكُو مِنَ الْحَرْبِ  
قالوا : إذا لم يكن الكلام ذا معنى غريب ، ولم يشتمل على نكتة بديعة . . تسامح الشعراء في تناوله والتوافق فيه ، فالمعيب إذاً مثل قوله في هذه القصيدة : ( فأجازه جودٌ ) فإنه كما سبق التنبيه عليه منقولٌ من الحزم إلى الجود ، وقد سبقه أيضاً بعض بني يربوع بالعبارة في الجود حيث قال :

مَا قَصَرَ الْجُودُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَطَرٍ      وَلَا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ  
يَحِلُّ حَيْثُ حَلَلْتُمْ لَا يُفَارِقُكُمْ      مَا عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ  
**وقوله :** ( زها بالخصيب السيف والرمح ) بعد قول ابن ميادة : [ من الطويل ]

وَيُزْهَى بِهِ فِي الرَّدْعِ عَضْبٌ مُهَنْدٌ      وَفِي السِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ  
**وقوله :** ( فإن تولني منك الجميل ) وقد قال بعض بني منقر : [ من الطويل ]  
فَإِنْ جُدْتَ كَانَ الْجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةً      وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ لَكَ شَاكِرٌ



(١) انظر « الأغاني » ( ١٣ / ٤٦٤٨ ) ، ذكر أن الأبيد رثى أخاه بريدأ بقصيدة ذكر أولها ، ومنها هذا البيت .

(٢) مقامات الحريري ( ص ٣٥١ ) ، وفيها : ( يشكو من الحذب ) وهو تقوس الظهر .



## [ قصيدة لأبي نواسٍ يمدح الأمير محمد بن الرشيد ]

وقال أبو نواسٍ أيضاً يمدحُ الأميرَ محمدَ بنَ الرشيدِ<sup>(١)</sup> : [ من الكامل ]

يَا دَارَ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ      لَمْ تُبْقِ مِنْكَ بَشَاشَةً تُسْتَامُ  
تُسْتَامُ : تُطَلَّبُ ، وقيل : تُكَلَّفُ ، يُقَالُ : سَامَهُ يَسُومُهُ سَوْماً وَسِيمَةً ،  
وكذلك في البيع ، وقيل : سَمْتُهُ وَأَسْمَتُهُ ؛ إِذَا سَأَلْتَهُ وَكَلَفْتَهُ ، وقيل : تَشْتَامُ ،  
مِنَ الشِّيمِ ؛ وَهُوَ النَّظَرُ .

وروى بعضهم : [ من الكامل ]

يَا دَارَ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ      ضَامَتِكَ وَالْأَيَّامُ لَيْسَ تُضَامُ  
[ عودٌ للقصيدة ] :

عَرَمَ الزَّمَانُ عَلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ      بِكَ قَاطِنِينَ وَلِلزَّمَانِ عُرَامُ  
يُقَالُ : عَرَمَ يَعْرُمُ عَرَامَةً وَعُرَاماً ؛ بَضَمَ أَوَّلَهُ ، وَقَدْ نُطِقَ بِالْفَعْلِ مِنْ بَابِ  
نَصَرَ وَضَرَبَ وَكَرَّمَ وَعَلِمَ ؛ وَهُوَ التَّخَابُثُ وَالْإِفْسَادُ .

أَيَّامَ لَا أَغْشَى لِأَهْلِكَ مَنَزِلاً      إِلَّا مُرَاقَبَةً عَلَيَّ ظَلَامُ  
عليّ ظلامُ ؛ أَي : مُسْتَخْفِياً بِاللَّيْلِ ؛ لِيَخْتَلِسَ بَغِيَّتَهُ اخْتِلَاساً ، وَهَذَا  
التركيبُ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ ؛ هُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُسَافِراً  
مَرَّةً صَائِماً ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ . . قَالَ لِصَاحِبِ طَعَامِهِ : « أَنْزِلْ فَأَجِدْخُ  
لَنَا » أَي : هَيِّئِ السَّوِيقَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ عَلَيْكَ نَهَاراً ، فَقَالَ : « أَنْزِلْ  
فَأَجِدْخُ لَنَا »<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٣٤١ - ٣٤٢ ) .

(٢) أخرجه البخاري ( ١٩٤١ ) ، ومسلم ( ١١٠١ ) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما .

وقال بشار :

[ من الطويل ]

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بَلَدَةً أَوْ نَكِرْتُهَا  
فَهِىَ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُسْتَمْلَحَةِ الَّتِي يَغْيُرُ عَلَيْهَا الشَّعْرَاءُ .

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْغَوَاةِ بِدَلْوِهِمْ  
وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ أُمُرُو بِشَبَابِهِ  
وَتَجَشَّمْتُ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ  
تَذُرُّ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا  
وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً  
قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى  
رَفَعَ الْحِجَابَ لَنَا فَلَا حَ لَنَاظِرٍ  
مَلِكُ إِذَا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِهِ  
مَلِكُ تَوَحَّدَ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا  
مَلِكُ أَغْرُ إِذَا شَرِبْتَ بِوَجْهِهِ  
فَالْبَهُوُ مُشْتَمِلٌ بِبَدْرِ خِلَافَةٍ  
سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا اخْتَبَى بِنَجَادِهِ

**فرع الجماجم :** أجود من ( غمر [ الجماجم ] ) وهي رواية ؛ لأن ( غمر )  
إنما يستعمل في معنى الكثرة ، يقال : قد غمر جود هذا ، وغمر الماء الحصى .  
إِنَّ الَّذِي يَرْضَى إِلَالَهُ بِهِدِيهِ  
وَيُرَوَّى : ( يرضى السماء ) أي : من في السماء ؛ يعني : الله عز وجل .

مَلِكُ إِذَا أَعْتَبَرَ الْأُمُورَ مَضَى بِهِ  
رَأْيُ يَفْلُ السَّيْفَ وَهُوَ حُسَامُ

دَاوَى بِهِ اللَّهُ الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى  
أَصْبَحْتَ يَا بَنَ زُبَيْدَةَ بِنَةَ جَعْفَرٍ  
فَسَلِمْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي تُرْجَى لَهُ  
حَتَّى أَفْقَنَ وَمَا بِهِنَّ سَقَامُ  
أَمَلًا لِعَقْدِ حِبَالِهِ أَسْتَحْكَامُ  
وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ

### [ محاكاة الأمير البارودي لأبي نواس في قصيدته ]

فَقَالَ الْمُسَمَّى فِي الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ <sup>(١)</sup> :  
[ من الكامل ]  
ذَهَبَ الصِّبَا وَتَوَلَّتْ الْأَيَّامُ  
تَاللَّهِ أَنْسَى مَا حَيَّتْ عُهْدَهُ  
إِذْ نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَرِفٌ ظِلَالُهُ  
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ  
فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمْ  
ذَهَبَتْ بِهِمْ شَيْمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي  
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى  
مِنْ كُلِّ أَبْلَجٍ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ  
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسَهُ  
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحْسَبُ أَنَّهُ  
تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي أَفْعَالِهِ  
فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالْرُّؤُوسُ خَوَاضِعُ  
نَلْهُوٍ وَنَلْعَبُ بَيْنَ خُضِرِ حَدَائِقِ  
فَعَلَى الصِّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامُ  
وَلِكُلِّ عَهْدٍ فِي الْكِرَامِ ذِمَامُ  
وَلَنَا بِمُعْتَرِكِ الْهَوَى آثَامُ  
فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَقُ وَلِزَامُ  
وَنَمَاهُمُ التَّبَجِيلُ وَالْإِعْظَامُ  
تَلْعَابُهُمْ هَذَرٌ وَلَا إِبْرَامُ  
سُمُحُ النَّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامُ  
كَالْبَدْرِ حَلَّى صَفْحَتَيْهِ غَمَامُ  
بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَامُ  
مَوْلَى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهُوَ هُمَامُ  
وَتَسِيرُ تَحْتَ لَوَائِهِ الْأَقْوَامُ  
وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالْصُّفُوفُ قِيَامُ  
لَيْسَتْ بِغَيْرِ خِيُولِنَا تُسْتَامُ

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » ( ٣٣٣/٣ - ٣٤٠ ) .

حَتَّىٰ اُنْتَبَهْنَا بَعْدَ اَنْ ذَهَبَ الصَّبَا  
لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ  
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي سَاعَاتُهَا  
وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدُ  
لَا طَائِرٌ يَنْجُو وَلَا ذُو مَخْلَبٍ  
فَادْرَأْ هُمُومَ النَّفْسِ عَنْكَ إِذَا اعْتَرَتْ  
فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي الْوَانِهِ  
مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا اُنْتَشَى  
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا فَغَادَرَ جِسْمَهَا  
حُمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ  
لَا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا  
تَعْشُو الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا  
حُبِسَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَصِلْ لِفَنَائِهِ

إِنَّ اللَّذَاذَةَ وَالصِّبَا أَحْلَامُ  
هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ  
لَمَعَ السَّرَابِ وَتَنَقَّضِي الْأَعْوَامُ  
أَوْ صَادِرُ تَجْرِي بِهِ الْأَيَّامُ  
يَبْقَى وَعَاقِبَةُ الْحَيَاةِ حِمَامُ  
بِالْكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهُمُومِ حُسَامُ  
إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَامُ  
بَعْدَ أَشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غُلَامُ  
شَبَحًا تَهَافَّتَ دُونَهُ الْأَوْهَامُ  
فَلَكَا تَحُفُّ سَمَاءُهُ الْأَجْرَامُ  
وَتَزِلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا الْأَقْدَامُ  
سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا  
نُورُ وَلَمْ يَسْرَحْ عَلَيْهِ ظَلَامُ

**يعني :** ليست مكشوفةً فيتعاقب عليها الليل والنهار ، وإنما هي في مخبأة ، فهي دائماً في حال واحدة .

حَتَّىٰ إِذَا أَصْطَفَقَتْ وَطَارَ فِدَامُهَا  
وَقَدَّتْ حَمِيَّتُهَا فَلَوْلَا مَرْجُهَا  
تَسِمُ الْعُيُونُ بِنُورِهَا لَكِنَّهَا  
فَاصْقُلْ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلَا تَكُنْ

وَثَبَتْ فَلَمْ تَثْبُتْ لَهَا الْأَجْسَامُ  
بِالْمَاءِ بَعْدَ الْمَاءِ شَبَّ ضِرَامُ  
بَرْدٌ عَلَى شُرَابِهَا وَسَلَامُ  
غِرّاً تَطِيْشُ بِلَبِّهِ الْأَلَامُ

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ  
يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا  
فَاطِمَحْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ  
هَذَا الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا  
لَا شَيْءَ يَخْلُدُ غَيْرَ أَنَّ خَدِيعَةَ  
وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ الْأُمُورَ بِغَيْرِهَا  
فَإِذَا السُّكُونُ تَحَرُّكَ وَإِذَا الْخُمُ  
وَإِذَا الْحَيَاةُ وَلَا حَيَاةَ مَنِيَّةٍ  
هَذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهَاً  
فَالنُّورُ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ظُلْمَةً  
وَالدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامٌ  
دَاءٌ لَهُ لَوْ يَسْتَبِينَ عُقَامٌ  
خَلَدَتْ وَهَلْ لِابْنِ السَّبِيلِ مُقَامٌ  
بَعْدَ النِّظَامِ وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ  
فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الْأَحْلَامُ  
وَأَتَى عَلَيَّ التَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ  
دُ تَلْهُبُ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلَامُ  
تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَادُ وَهِيَ رِمَامُ  
عَنْهُ فَضْلُحُ تَارَةً وَخِصَامُ  
وَالْبَدءُ لَوْ فَكَرْتَ فِيهِ خِتَامُ

فهذه ضعفُ تلك ، أكرزُ أَمْرَكَ بدقَّةِ النظرِ فيها ، وتأملِ تواليا . . تجدُ  
الإجادةَ فيها واضحةً ، والسلامةَ مِنْ أدنى مُتعلِّقٍ ظاهرةً ؛ بحيثُ لا تجدُ فيها  
موضعاً للواوِ وليتَ ، ولتكنْ عنايتُكَ برعايةِ تخييرِ الألفاظِ ؛ بأنْ تُبدِّلَها بما  
تتخيَّلُ أنَّه يقومُ مقامَها ، ويفيدُ إفادتها ، ثمَّ تعرفُ سببَ العدولِ عنه . . يكنْ  
ذلكَ أبلغَ نافعٍ لك .





## [ قصيدة للشريف الرضي في مدح آل البيت ]

وقال الشريف محمد الرضي يفتخر ويمدح أسلافه من أهل البيت  
صلوات الله وسلامه على من شرفه<sup>(١)</sup> : [ من الطويل ]

لغير العلاء مني القلي والتجنب  
إذا الله لم يعذرك فيما ترومه  
ملكك بحلمي فُرصة ما أسترَقها  
فإن تك سني ما تطاول باعها  
بحسبي أني في الأعادي مبغض  
وللحلم أوقات وللجهل مثلها  
يصول علي الجاهلون وأعتلي  
يرون أحتمالي غصة ويزيدهم  
وأعرض عن كأس النديم كأنها  
وقور فلا ألالحان تأسر عزمتي  
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها  
تحلم عن كر القوارص شيمتي  
لساني حصاة يفرع الجهل بالحجا  
ولست براضي أن تمس عزائمي

ولولا العلاء ما كنت في الحب أزغب  
فما الناس إلا عاذل أو مؤنب  
من الدهر مفتول الذراعين أغلب  
فلي من وراء المجد قلب مدرب  
وأنني إلى غير المعالي محبب  
ولكن أيامي إلى الحلم أقرب  
ويعجم في القائلون وأعرب  
لواعج ضغن أنني لست أغضب  
وميض غمام غائر المزن [ خلّب ]  
ولا تمكر الصهباء [ بي ] حين أشرب  
ولا أنطق العوراء والقلب مغضب  
كأن معيد الذم بالمدح مطنب  
إذا نال مني العاضه المتأوب  
فضالات ما يعطي الزمان ويسلب

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » ( ١٠٧/١ - ١١٢ ) .

غَرَائِبُ آدَابِ حَبَانِي بِحِفْظِهَا  
تُرَيِّسُنَا الْأَيَّامُ ثُمَّ تَهِيضُنَا  
نَهَيْتُكَ عَنْ طَبْعِ اللَّئَامِ فَإِنِّي  
تَعَلَّمُ فَإِنَّ الْجُودَ فِي النَّاسِ فِطْنَةٌ  
تُضَافِرُنِي فِيكَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا  
نَصَحْتُ وَبَعْضُ النُّصَحِ لِلْقَوْمِ هُجْنَةٌ  
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُعْطِ النَّصِيحَةَ حَقَّهَا  
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً جَاوَزَ الْقَطْرُ رَوْضَهَا  
ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ الشَّبَابِ فَحَسْرَةٌ  
وَيُعْجِبُنِي مِنْهَا النَّسِيمُ إِذَا هَفَا  
سَكَنْتُكَ وَالْأَيَّامُ بِيضٌ كَأَنَّهَا  
وَبَرَقَ رَفِيقِ الطَّرْتِينِ لَحِظَّتُهُ  
نَظَرْتُ وَالْحَاطُ النُّجُومِ كَلِيلَةٌ  
فَمَا اللَّيْلُ إِلَّا فَحْمَةٌ [مُسْتَشْفَةٌ]  
أَمِنْ بَعْدِ أَنْ جَلَلَتْهَا وَرَقَ الدُّجَا  
وَعَدْنَا بِهَا [مَمْعُوطَةٌ] بِنُسُوعِهَا  
كَأَنَّ تَرَاجِيْعَ الْحُدَاةِ وَرَاءَهَا  
تَهْزُ ظُنُونِي فِي الْمَارِبِ إِرْبَةٌ

زَمَانِي وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعَمَ الْمُؤَدِّبِ  
أَلَا نِعَمَ [ذَا] الْبَادِي وَبِئْسَ الْمُعَقِّبِ  
أَرَى الْبُخْلَ يُؤْبَى وَالْمَكَارِمُ تُطْلَبُ  
تَنَاقَلَهَا الْأَحْرَارُ وَالطَّبْعُ أَغْلَبُ  
وَيَضْحِكُنِي مِنْكَ أَلْعَذِيقُ الْمَرْجَبِ  
وَبَعْضُ التَّنَاجِي بِالْعِتَابِ تَعْتَبُ  
فَرُبَّ جَمُوحٍ كَلَّ عَنْهُ الْمُؤَدِّبُ  
إِذِ الْمُزْنُ تَسْقِي وَالْأَبَاطِيحُ تَشْرَبُ  
أَفَدْتُ وَقَدْ فَاتَ الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ  
أَلَا كُلُّ مَا سَرَى عَنِ الْقَلْبِ مُعْجِبُ  
مِنَ الطَّيِّبِ فِي أَثْوَابِهَا تَتَقَلَّبُ  
إِذِ الْجَوْ خَوَّارُ الْمَصَابِيحِ أَكْهَبُ  
وَهِيَهَاتَ دُونَ الْبَرْقِ شَأْوٌ مُغَرِّبُ  
وَمَا الْبَرْقُ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَلَهَّبُ  
سِرَاعاً وَأَغْصَانُ الْأَزِمَةِ تُجَذَّبُ  
كَمَا صَافَحَ الْأَرْضَ الْغِرَاءُ الْمُعَقِّبِ<sup>(١)</sup>  
صَفِيرُ تَعَاطَاهُ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ  
وَيَجْنُبُ عَزْمِي فِي الْمَطَالِبِ مَطْلَبُ

(١) في « ديوان الشريف الرضي » ( ١٠٩/١ ) : ( السراء المععب ) ، أراد شجراً طويلاً .

وَرَدْنَا بِهَا مَاءَ الظَّلَامِ سَوَاغِبًا  
تُنْفِرُ ذُودَ الطَّيْرِ عَنْ وَكَرَاتِهَا  
وَنَلْتَذُّ رَشْفَ الْمَاءِ رَنْقًا كَأَنَّهُ  
أَدْعَنَا لَهَا سِرَّ الْكَرَى مِنْ عُيُونِنَا  
حَرَامٌ عَلَى الْمَجْدِ ابْتِسَامِي لِقُرْبِهِ  
وَدَهْمَاءَ مِنْ لَيْلِ التِّمَامِ قَطَعْتُهَا  
وَلَوْ شِئْتُ غَنَّتْنِي [الْحَمَامُ] عَشِيَّةً  
أَقُولُ إِذَا خَاضَ السَّمِيرَانِ فِي الدُّجَا  
أَلَا غَنِيَانِي بِالْحَدِيثِ فَإِنِّي  
غَنَاءٌ إِذَا خَاضَ الْمَسَامِعَ لَمْ يَكُنْ  
وَنَشْوَانٌ مِنْ [خَمِرِ] النُّعَاسِ ذَعْرُتُهُ  
لَهُ مُقْلَةٌ يَسْتَنْزِلُ النَّوْمَ جَفْنُهَا  
سَرِيَتْ فِجَاجُ الْأَرْضِ غُفْلًا وَمَعْلَمًا  
وَمَا شَهْوَتِي لَوْمِ الرَّفِيقِ وَإِنَّمَا  
عَجِبْتُ لِغَيْرِي كَيْفَ سَايَرَ نَجْمَهَا  
أَسِيرُ وَسَرَجِي بِالنَّجَادِ مُقْلَدٌ  
وَمَصْقُولَةٌ الْأَعْطَافِ فِي جَنَابَاتِهَا  
تَجُرُّ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ عَجَاجَةً  
نَهَارًا بِأَلَاءِ السُّيُوفِ مُفَضَّضٌ

وَلَلَّيْلِ جَوْ بِالذَّرَارِيِّ مُعْشِبُ  
وَكُلُّ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَغَرِّبُ  
مَعَ الْعِزِّ ثَغْرُ بَارِدِ الظُّلَمِ أَشْنَبُ  
وَسِرُّ الْعُلَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ يَحْجُبُ  
وَمَا هَزَنِي فِيهِ الْعَنَاءُ الْمُقْطَبُ  
أَغْنِي حُدَاءً وَالْمَرَّاسِيلُ تَطْرُبُ  
وَلَكِنِّي مِنْ مَاءِ عَيْنِي أَشْرَبُ  
أَحَادِيثَ تَبْدُو طَالِعَاتٍ وَتَغْرُبُ  
رَأَيْتُ أَلَذَّ الْقَوْلِ مَا كَانَ يُطْرِبُ  
أَمِينًا عَلَى جِلْبَابِهِ الْمُتَجَلِبِبُ  
وَطَيْفُ الْكَرَى فِي الْعَيْنِ يَطْفُو وَيَرُسُبُ  
إِلَيْهِ كَمَا أُسْتَرْخَى عَلَى النَّجْمِ هَيْدُبُ  
تَجِدُ بِهَا أَيْدِي الْمَطَايَا وَتَلْعَبُ  
كَمَا يَلْتَقِي فِي السَّيْرِ ظِلْفٌ وَمِخْلَبُ  
وَسِيرِي فِيهَا يَا بَنَةَ الْقَوْمِ أَعْجَبُ  
وَأَثْوِي وَبَيْتِي بِالْعَوَالِي مُطَنَّبُ  
مَرَّاحٍ لِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَمَلْعَبُ  
يُطَارِدُهَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ أَعْضَبُ  
وَجَوْ بِحَمَرَاءِ الْأَنَابِيِبِ مُذْهَبُ

تَرَى الْيَوْمَ مُحَمَّرَ الْحَوَاشِي كَأَنَّمَا  
صَدَمْنَا بِهَا الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ  
أَخَذْنَا عَلَيْهِمِ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا  
يُرَاعُونَ أَسْفَارَ الصَّبَاحِ وَإِنَّمَا  
وَكُلُّ ثَقِيلِ الصَّدْرِ مِنْ حَلَبٍ<sup>(١)</sup> الْقَنَا  
يَجْمُ إِذَا مَا أَسْتَرْعَفَ الْكُرَّ جَهْدُهُ  
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالْقِدَاحِ يُجِيلُهَا  
دَعُوا شَرَفَ [ الْأَحْسَابِ ] يَا آلَ ظَالِمٍ  
لَيْنَ كُنْتُمْ فِي آلٍ فَهَرِ كَوَاكِبًا  
فَنَعْتِي كَنَعَتِ الْبَدْرِ يُنْسَبُ بَيْنَكُمْ  
صَحْبَتُمْ خِضَابَ الزَّاعِبِيَّاتِ نَاصِلًا  
أَهْدَبُ فِي مَدْحِ اللَّيَامِ خَوَاطِرِي  
وَمَا الْمَدْحُ إِلَّا فِي النَّبِيِّ وَآلِهِ  
وَأُولِي بِمَدْحِي مَنْ أَعَزُّ بِفَخْرِهِ  
أَرَى الشَّعْرَ فِيهِمْ بَاقِيًا وَكَأَنَّمَا  
وَقَالُوا عَجِيبُ عَجْبٍ مِثْلِي بِنَفْسِهِ  
لَعَمْرُكَ مَا أَعْجَبْتُ إِلَّا بِمَدْحِهِمْ  
أَعَدُّ لِفَخْرِي فِي الْمَقَامِ مُحَمَّدًا

عَلَى الْجَوِّ غَرْبٌ مِنْ دَمٍ يَتَصَبَّبُ  
بِأَرْوَاقِهِ جَوْنُ الْمَلَاطِينَ أَخْطَبُ  
وَرَاعِي نُجُومِ اللَّيْلِ حَيْرَانُ مُغْرِبُ  
وَرَاءَ لِثَامِ اللَّيْلِ يَوْمٌ عَصَبَصُ  
خَفِيفِ الشَّوَى وَالْمَوْتُ عَجَلَانُ مُقْرِبُ  
كَمَا جَمَّتِ الْغُدْرَانُ وَالْمَاءُ يَنْضُبُ  
لِغْنِمٍ فَايَّمَا فَائِزٌ أَوْ مُخَيَّبُ  
فَلَا الْمَاءُ مَوْرُودٌ وَلَا الثُّرْبُ طَيِّبُ  
إِذَا غَاضَ مِنْهَا كَوَكَبٌ فَاضَ كَوَكَبُ  
جَهَارًا وَمَا كُلُّ الْكَوَاكِبِ تُنْسَبُ  
وَمِنْ عَلَقِ [ الْأَقْرَانِ ] مَا لَا يُخْضِبُ  
فَأَصْدُقُ فِي حُسْنِ الْمَعَانِي وَأَكْذِبُ  
يُرَامُ وَبَعْضُ الْقَوْلِ مَا يُتَجَنَّبُ  
وَلَا يَشْكُرُ النِّعْمَاءَ إِلَّا الْمُهْذَبُ  
تُحَلِّقُ بِالْأَشْعَارِ عَنَقَاءُ مُغْرِبُ  
وَأَيْنَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلُ أَبِي أَبٍ  
وَيَحْسَبُ أَنِّي بِالْقَصَائِدِ مُعْجَبُ  
وَأَدْعُو عَلَيَّ لِلْعُلَا حِينَ أَرْكَبُ

(١) في « ديوان الشريف الرضي » ( ١١١/١ ) : ( جلب ) .

## [ محاكاة الأمير البارودي للشريف الرضي في قصيدته ]

فقال وترجم لها بقوله : وقال بروض القول على روي قصيدة

الشريف<sup>(١)</sup> :

سِوَايَ بِتَحْنَانِ الْأَغَارِيدِ يَطْرُبُ	وَعَيْرِي بِاللَّدَاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ	وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ
وَلَكِنْ أَخُوهُمْ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ	بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَدَابُ
نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسُ أَبِيَّةٍ	لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
بَعِيدُ مَنَاطِ الْأَهَمِّ فَالْغَرْبُ مَشْرِقُ	إِذَا مَا رَمَى عَيْنَيْهِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ
لَهُ غُدُوَاتٌ يَتَّبِعُ الْوَحْشُ ظِلَّهَا	وَتَغْدُو عَلَى آثَارِهَا [الطَيْرُ] تَنْعَبُ
هَمَامَةٌ نَفْسٍ أَضْغَرَتْ كُلَّ مَأْرَبٍ	فَكَلَّفَتْ الْأَيَّامَ مَا لَيْسَ يُوْهَبُ
وَمَنْ تَكُنِ الْعُلَيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ	فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا	فَلَا عَزَّي خَالٌ وَلَا ضَمْنِي أَبُ
وَلَا حَمَلْتُ دِرْعِي كُمَيْتُ طِمْرَةٍ	وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُذْرَبُ
خُلِقْتُ عَيْوُفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ	لَدَيَّ يَدًا أَغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ
فَلَسْتُ لِأَمْرِ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا	وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعْتَبُ
أَسِيرٌ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ	لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يُحَاوَلُ مَذْهَبُ
وَإِنِّي إِذَا مَا أَلْشَكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرِي تَشْعَبُ
صَدَعْتُ حِفَافِي طُرْتِيهِ بِكَوْكَبٍ	مِنْ الرَّاْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ

(١) أراد الأمير البارودي في « ديوانه » ( ٣٨/١ - ٤٤ ) .



وَبَحْرٍ مِّنَ الْهَيْجَاءِ خُضْتُ عَجَاجَهُ  
تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا  
تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي  
فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيَّنَ الْكَرُّ مَوْقِفِي  
لَدُنْ غُدُودَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ وَالْتَقَى  
كَذَلِكَ دَأْبِي فِي الْمِرَاسِ وَإِنِّي  
وَفَتِيَانٍ لَّهُوَ قَدْ دَعَوْتُ وَلِلْكَرَى  
إِلَى مَرْبَعٍ يَجْرِي النَّسِيمُ خِلَالَهُ  
فَلَمْ يَمْضِ أَنْ جَاؤُوا مُلَبِّينَ دَعْوَتِي  
بِخَيْلٍ [كَارَامٍ] الصَّرِيمِ وَرَاءَهَا  
مِنَ الْأَلَاءِ لَا يَأْكُلْنَ زَادًا سِوَى الَّذِي  
تَرَى كُلَّ مُحَمَّرٍ الْحَمَالِيقِ فَاعْرِ  
يَكَادُ يَفُوقُ الْبَرْقَ شَدًّا إِذَا انْبَرَتْ  
فَمِلْنَا إِلَى وَادٍ كَأَنَّ تِلَاعَهُ  
تُرَاحَ بِهِ الْأَمَالُ بَعْدَ كَلَالِهَا  
فَبَيْنَا نَزُودُ الْأَرْضَ بِالْعَيْنِ إِذْ رَأَى  
فَقَمْنَا إِلَى خَيْلٍ كَأَنَّ مُتُونَهَا  
فَلَمَّا أَنْتَهَيْنَا حَيْثُ أَخْبَرَ أُطْلِقَتْ  
فَمَا كَانَ إِلَّا لَفْتُهُ الْجِيدِ أَنْ [غَلَتْ]

وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُسْطَبُّ  
حَوَاسِرُ فِي الْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ  
وَبَيْضُ الظُّبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ  
لَدَى سَاعَةٍ فِيهَا الْعُقُولُ تُغَيَّبُ  
عَلَى غَيْهَبٍ مِّنْ سَاطِعِ النَّقْعِ غَيْهَبُ  
لَأَمْرُحٍ فِي غَيِّ التَّصَابِي وَالْعَبُ  
خَبَاءٌ بِأَهْدَابِ الْجُفُونِ مُطَنَّبُ  
بِنَشْرِ الْخُزَامَى وَالنَّدَى يَتَصَبَّبُ  
سِرَاعًا كَمَا وَافَى عَلَى الْمَاءِ رَبْرُبُ  
ضَوَارِي سَلُوقٍ عَاطِلٌ وَمُلَبَّبُ  
يُضَرِّسْنَهُ وَالصَّيْدُ أَشْهَى وَأَعْدَبُ  
إِلَى الْوَحْشِ لَا يَأْلُو وَلَا يَتَنَصَّبُ  
لَهُ بِنْتُ مَاءٍ أَوْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ  
مِنَ الْعَصَبِ مَوْشِي الْحَبَائِكِ مُذْهَبُ  
وَيَضْبُو إِلَيْهِ ذُو الْحِجَا وَهُوَ أَشْيَبُ  
رَبِئْتُنَا سِرْبًا فَقَالَ أَلَا أَرْكَبُوا  
مِنَ الضُّمْرِ خُوطُ الضَّيْمَرَانِ الْمُشْدَبُ  
بُرَاةٌ وَجَالَتْ فِي الْمَقَاوِدِ أَكْلُبُ  
قُدُورٌ وَفَارَ اللَّحْمُ وَأَنْفَضَ مَارَبُ

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرِهَا فَإِنَّمَا  
فَقَامَ إِلَى رَاقُودٍ خَمِرٍ كَأَنَّهُ  
يَمُجُّ سُلَافًا فِي إِنَاءٍ كَأَنَّهُ  
فَلَمْ نَأَلْ أَنْ دَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ دَوْرَةً  
إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْيَوْمُ إِلَّا أَقْلَهُ  
فَرُحْنَا نَجْرُ الدَّيْلَ تَيْهًا لِمَنْزِلِ  
مَسَارِخٍ سَكِيرٍ وَمَرْبُضٍ فَاتِكِ  
فَلَمَّا رَأَى صَاحِبُ الدَّارِ أَشْرَقَتْ  
وَقَالَ أَنْزِلُوا يَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ  
وَرَاخَ إِلَى دَنْ تَكَامَلَ سِنُهُ  
فَمَا زَالَ حَتَّى أَسْتَلَّ مِنْهُ سَبِيكَةٌ  
يَحُومُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
فَيَا حُسْنَ ذَاكَ الْيَوْمِ لَوْ كَانَ بَاقِيًا  
يَوَدُّ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً  
وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ  
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا  
نَظْنُ بِأَنَّا قَادِرُونَ وَأَنَّنَا  
فَرَحْمَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى أَمْرِي

**يقول الشريف في مطلع قصيدته والذي يليه :** طلب الإنسان ما أحب من

أعلى الرتب وأرفع الأحوال طلب حق أو فضيلة ، وذلك مرضي لله ، مندوب إليه ، ليس للناس فيه موضع عدل أو تأنيب ، بخلاف غيره من الطلب ؛ فإنه يوجب سخط الله ، فلا يُعذرُ صاحبه ، وإذا وجد الناس موضعاً للعدل والتأنيب ؛ وهو التعنيف .

**أو معنى البيت الثاني :** إذا لم تكتفِ بالله عاذراً . . فلا تأمله في الناس ؛ فإنما هم بين عاذل أو مؤنب ، ويكونُ شكايةً من قلة الإنصاف .

**وفي قوله** وقد شرع في ذكر فضائله : ( ملكت بحلمي ) بديع التجريد ، واستعمال حرفين من أحرفه ( الباء ) و ( من ) ، فالحلم هو الفرصة ، والدهر هو مفتول الذراعين الأغلب ، وتلك صفة الأسد ؛ أي : مندمج الذراعين ، غليظ العنق ، وهو تصوير الموهوم بالمحسوس ، **وحاصل المعنى :** أن شدائد الدهر لا تذهب بحلمه .

ثم قال فيما بعد : إنه على صغر سنه كبير الهمة ، واسترسل في ذكر مناقب نفسه حتى أتم الفصل ، ثم خاطب صاحبه ، ثم طلب السقيا ؛ الأرض أعطشت وسقي غيرها ، وتأسف عليها ، وأتبع ذلك بذكر برقي لحظه ، ثم ذكر طلباً وإخفاقاً في قوله : ( أمن بعد أن جللتها ) ، ثم وصف ليلة سارها في قوله : ( [ ودهماء ] من ليل التمام ) ، والتمام فيه بكسر التاء ؛ وهو التمام بفتحها ، ولكن اللغة استعملته في هذا الموضع بالكسر ؛ أي : من أطول الليالي .

ثم وصف خيلاً قصد بها الأعداء في قوله : ( ومصقولة الأعطاف ) ، ثم هجا ومدح في قوله : ( دعوا شرف الأحساب . . . ) إلى آخره ، وقوله : ( ممعونة بنسوعها ) أي : أزالَت النسوع ، وهي السيور المجدولة عريضة شعرها لطول حركها ، فهو يصفها بالتأثر وما أدركها من نصب السفر ،

**والمعطُ** فيه بالعين ، وأما **المعطُ** - بالعين - . . فهو أن تَمُدَّ الشيءَ تستطيْلُهُ ، وهو المذكورُ في قولِ المتنبي <sup>(١)</sup> :

أَنسَأُهَا مَمْغُوطَةً وَخِيفَافُهَا مَنكُوحَةً وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ  
يصفُ المتنبي إبلَهُ بالهزالِ ، وأنَّ نسوعَهَا فضَلَّتْ عنها ، **والتعقيبُ** : تَكَرَّارُ  
الغزوِ في سنةٍ واحدةٍ ، والتردُّدُ في طلبِ المجدِ ، **والأخطبُ** : مِنَ الخُطْبَةِ ؛  
وهو لونٌ كَدِرٌ مشربٌ حمرةً في صفرةٍ ، أو غبرةٌ ترهقُها خضرةٌ ، **والزاعبياتُ**  
- بالعين - : الرماحُ نُسِبَتْ إلى بلدٍ .

فانظر - هداك الله - بنور البصيرةِ إلى هاتين القصيدتين . . تَجِدُهُمَا قد  
ابتدَرَتَا في البلاغةِ وحسنِ السياقِ غايةً بلغتاها معاً ، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه  
مَنْ يَشَاءُ .

ومطلعُ الثانيةٍ وإن كان مُولِّداً مِنْ مطلعِ الأولى . . فهو أنورٌ ؛ كما  
قيلَ <sup>(٢)</sup> :

وَأَنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ .....  
**وقوله** بعدهُ : ( وما أنا مَمَّنْ تأسرُ الخمرُ ) يريدُ أَنَّ الهَزْلَ لا يشغلهُ عنِ  
الجدِّ ، ولا يَمْنَعُهُ الترفُّ والنعيمُ عن مباشرةِ الشدائدِ في طلبِ المجدِ .



(١) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٩٤ ) .

(٢) هو للمتنبي في « ديوانه » ( ص ٣٢٨ ) ، والبيت بتمامه :

وَأَنَّ تَكُنْ تَغْلِبُ الْعُلَبَاءَ عُنْصَرَهَا فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ

## [ قصيدة أبي فراس الحمداني يشتكى فيها إلى سيف الدولة ]

وقال أبو فراس الحارث بن سعيد عم سيف الدولة علي بن حمدان ، وكان يتولّى له رئاسة الجيوش ، فاتفق أن أسرته الروم في بعض غزواته ، وبقي هنالك مدةً ، وكان يكتب لابن عمّه قصائد يعتذر فيها من الأسر ، ويشتكى شدة الحال ، ويطلب الفداء ، وسُميت تلك القصائد لذلك بالروميات ، **وهذه القصيدة إحداها<sup>(١)</sup>** :

[ من الطويل ]

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِمْتُكَ الصَّبْرُ	أَمَّا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ
بَلَى أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِي لَوْعَةٌ	وَلَكِنَّ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرٌّ
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الْهَوَى	وَأَذَلْتُ دَمْعًا مِنْ خَلَائِقِهِ الْكِبْرُ
تَكَادُ تُضِيءُ النَّارَ بَيْنَ جَوَانِحِي	إِذَا هِيَ أَذَكَّتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ
مُعَلِّلَتِي بِالْوَعْدِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ	إِذَا مِتُّ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ
بَدَوْتُ وَأَهْلِي حَاضِرُونَ لِأَتْنِي	أَرَى أَنَّ دَارًا لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا قَفْرُ
وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ وَإِنَّهُمْ	وَإِيَّايَ لَوْلَا حُبُّكَ الْمَاءُ وَالْحَمْرُ
وَإِنْ كَانَ مَا قَالَ الْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ	فَقَدْ يَهْدِمُ الْإِيمَانَ مَا شَيَّدَ الْكُفْرُ
وَفَيْتُ وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ	لِإِنْسَانَةٍ فِي الْحَيِّ شِمْتُهَا الْغَدْرُ
وَقُورٌ وَرَيْعَانُ الصَّبَا يَسْتَفْرِزُهَا	فَتَارُنُ أَحْيَانًا كَمَا أَرْنَ الْمُهْرُ
تُسَائِلُنِي مَنْ أَنْتَ وَهِيَ عَلِيمَةٌ	وَهَلْ بَفْتَى مِثْلِي عَلَى حَالَةٍ نُكْرُ
فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى	قَتِيلُكَ قَالَتْ أَيُّهُمْ فَهُمْ كَثُرُ

(١) انظر « ديوان أبي فراس الحمداني » ( ص ١٢٦ - ١٣٠ ) .



فَقُلْتُ لَهَا لَوْ شِئْتَ لَمْ تَتَعَنَّتِي  
وَلَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ لَوْلَاكَ مَسْلَكَ  
فَأَيْقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ  
فَقَالَتْ لَقَدْ أَزْرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا  
وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً  
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا  
تَجَقَّلُ حِينًا ثُمَّ تَذْنُو وَإِنَّمَا  
وَإِنِّي لَنَزَالُ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ  
وَإِنِّي لَجَزَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ  
فَأَصْدَى إِلَى أَنْ تَزْتَوِيَ الْأَرْضُ وَالْقَنَا  
وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْغَيُورَ لِعَادَةٍ <sup>(١)</sup>  
وَيَا رَبَّ دَارٍ لَمْ تُخَفِّنِي مَنِيعةٍ  
وَسَاحِبَةِ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيَتْهَا  
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ  
وَلَا رَاحَ يُطْغِينِي بِأَنْوَابِهِ الْغِنَى  
وَمَا حَاجَتِي فِي الْمَالِ أَبْغِي وَفُورُهُ  
أَسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بَعَزْلٍ لَدَى الْوُغَى  
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي

وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكَ بِي خُبْرُ  
إِلَى الْقَلْبِ لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلَى جِسْرُ  
وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ  
فَقُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ وَالْدَّهْرُ  
إِذَا الْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلَحَّ بِي الْهَجْرُ  
لَهَا الدَّنْبُ لَا تُجْزِي بِهِ وَلِي الْعُذْرُ  
تُرَاعِي طَلًّا بِالْوَادِ أَعْجَزُهُ الْخُضْرُ  
كَثِيرٌ إِلَى نُزَالِهَا النَّظَرُ [الشَّرُّ]  
مُعَوَّدَةٌ إِلَّا يُخِلَّ بِهَا النَّصْرُ  
وَأَسْغَبَ حَتَّى يَشْبَعَ الدِّثْبُ وَالنَّسْرُ  
وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النُّذْرُ  
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ  
فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي الْإِلْقَاءِ وَلَا وَعْرُ  
وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِتْرُ  
وَلَا بَاتَ يَثْنِيَنِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ  
إِذَا لَمْ أَفِرْ عَرْضِي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ  
وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غَمْرُ  
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ

(١) في «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص ١٢٨) : (الحي الخلود بغارة) .

وَقَالَ أَصِيحَابِي الْفِرَارَ أَوْ الرَّدَى  
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِيبُنِي  
وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمِثْلِهِ  
يَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا  
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ دَقُّ نَضْلِهِ  
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ  
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ أَكْتَفَوْا بِهِ  
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطَ بَيْنَنَا  
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا  
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى دَوِي الْعُلَا

فَقُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرٌّ  
وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ  
كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوْءَتِهِ عَمُرُو  
عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمُرُ  
وَأَعْقَابُ رُمَحٍ فِيهِمْ حُطَمَ الصَّدْرُ  
وَفِي الدَّلِيلَةِ الظَّلَمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ  
وَمَا كَانَ يُغْنِي التَّبَرُّ لَوْ نَفَقَ الصَّفَرُ  
لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ  
وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلِهَا مَهْرُ  
وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ الثَّرَابِ وَلَا فَخْرُ

### [ محاكاة الأمير البارودي لأبي فراس الحمداني في قصيدته ]

[ من الطويل ]

فقال في الوزن والروي (١) :

طَرِبْتُ وَعَادَتْنِي الْمَخِيلَةُ وَالسُّكْرُ  
كَأَتَيْ مَخْمُورٌ سَرْتُ بِلِسَانِهِ  
صَرِيحُ هَوًى يُلْوِي بِي الشُّوقُ كُلَّمَا  
إِذَا مَالَ مِيزَانُ النَّهَارِ رَأَيْتُنِي  
يَقُولُ أَنْاسٌ إِنَّهُ السِّحْرُ ضَلَّةٌ  
فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسُ أَمْرِي وَلَيْسَ لِي

وَأَصْبَحْتُ لَا يُلْوِي بِشِيمَتِي الزَّجْرُ  
مُعْتَقَّةٌ مِمَّا يَضُنُّ بِهَا التَّجْرُ  
تَلَالًا بَرَقَ أَوْ سَرَتْ دِيمَةٌ غَزُرُ  
عَلَى حَسَرَاتٍ لَا يُقَاوِمُهَا صَبْرُ  
وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ دُونَهَا السَّحَرُ  
وَلَا لِأَمْرِي فِي الْحُبِّ نَهْيٌ وَلَا أَمْرُ

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » ( ٤٠/٢ - ٤٦ ) .

وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ دِفَاعُهُ  
وَلَكِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي لَوْ تَعَلَّقْتُ  
عَلَى أَنَّنِي كَاتَمْتُ صَدْرِي حُرْقَةً  
وَكَفَكَفْتُ دَمْعًا لَوْ أَسَلْتُ شُؤُونَهُ  
حَيَاءً وَكِبَرًا أَنْ يُقَالَ تَرَجَّحْتُ  
وَإِنِّي أَمْرُؤُ لَوْلَا أَلْعَوَاتِقُ أَذْعَنْتُ  
مِنَ النَّفْرِ الْغُرِّ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ  
إِذَا أَسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيْدٌ غَرَبَ سَيْفِهِ  
لَهُمْ عُمْدٌ مَرْفُوعَةٌ وَمَعَاقِلُ  
وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ  
تَمُدُّ يَدًا نَحْوَ السَّمَاءِ خَضِيبَةً  
وَخَيْلٌ يَرْجُ الْخَافِقِينَ صَهِيلُهَا  
مُعَوَّدَةٌ قَطَعَ الْفَيَافِي كَأَنَّهَا  
أَقَامُوا زَمَانًا ثُمَّ بَدَدَ شَمْلَهُمْ  
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ آثَارٍ نِعْمَةٍ  
وَقَدْ تَنَطَّقُ الْآثَارُ وَهِيَ صَوَامِتُ  
لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ  
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ  
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ فِيهَا بِخَالِدٍ

لَأَلَوْتُ بِهِ أَلْبِيضُ الْمَبَاتِيرُ وَالسُّمُرُ  
شَرَارَتُهُ بِالْجَمْرِ لَأَخْتَرَقَ الْجَمْرُ  
مِنْ أَلُوجِدٍ لَا يَقْوَى عَلَى مَسِّهَا صَدْرُ  
عَلَى الْأَرْضِ مَا شَكَّ أَمْرُؤُ أَنَّهُ الْبَحْرُ  
بِهِ صَبُوءٌ أَوْ فَلَّ مِنْ غَرِبِهِ الْهَجْرُ  
لِسُلْطَانِهِ أَلْبَدُؤُ الْمُغِيرَةُ وَالْحَضْرُ  
لَهَا فِي حَوَاشِي كُلِّ دَاجِيَةٍ فَجْرُ  
تَفَرَّعَتِ الْأَفْلَاكُ وَالتَفَتَ الدَّهْرُ  
وَأَلْوِيَةُ حُمُرٍ وَأَفْنِيَّةٌ خُضْرُ  
لِمُدَّرِعِ الظُّلَمَاءِ أَلْسِنَةُ حُمُرُ  
تُصَافِحُهَا الشَّعْرَى وَيَلْتَمُّهَا الْغَفْرُ  
نَزَائِعُ مَعْقُودٍ بِأَعْرَافِهَا النَّصْرُ  
خُدَارِيَّةٌ فَتَخَاءَ لَيْسَ لَهَا وَكُرُ  
أَخُو فَتَكَاتٍ بِالْكَرَامِ أَسْمُهُ الدَّهْرُ  
تَضُوعُ بَرِّيَّاهَا الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ  
وَيُثْنِي بَرِّيَّاهُ عَلَى الْوَابِلِ الزَّهْرُ  
يُعَدُّ طَلِيقًا وَالْمُنُونُ لَهُ أَسْرُ  
يَحُلُّ بِهَا سَفَرٌ وَيَتْرُكُهَا سَفَرُ  
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى وَغَايَتُهُ الْعُمُرُ

**أقول :** مَنْ آتَاهُ اللَّهُ فَهَمًّا ، وتَأَمَّلَ مِثْلَ هَذَا الشَّعْرِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي أَرْفَعِ رَتَبِهَا . . عَرَفَ كَيْفَ تَتَفَاضَلُ الْعُقُولُ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَخْتَصُّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ .

هَذَا مَطْلَعُ قَصِيدَةِ أَبِي فِرَاسٍ ؛ هَلْ تَجِدُ أَصْدَقَ شَاهِدٍ مِنْهُ فِي بَابِ بَرَاعَتِي الْمَطْلَعِ وَالِاسْتِهْلَالِ ؟ ! فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ الْغَزَلِ أَنَّهُ فِي حَالَةٍ تَقْتَضِي الْبُكَاءَ وَالْجَزَعَ ، وَأَيُّ حَالَةٍ أَشَدُّ اقْتِضَاءً لَهُمَا مِنْ كَوْنِهِ أَسِيرًا فِي يَدِ أَعْدَاءِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، مَمْنُوعًا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى هَوَاهُ فِي أَرْضِ عِزِّهِ وَدَارِ سُلْطَانِهِ .

وَبَعْدَ أَنْ تَتَأَمَّلَ الْمَطْلَعَ بِذَلِكَ النَّظَرِ . . تَتَمَشَّى فِي تَأْمُلٍ مَا اخْتَارَ مِنْ عِبَارَاتِ الْغَزَلِ ، فَتَجِدُهَا بَعَيْنَهَا هِيَ عِبَارَاتِ الشَّكْوَى ؛ مِنْ بَقَائِهِ فِي الْأَسْرِ ، وَتَأْخُرُ ابْنِ عَمِّهِ عَنِ الْمَسَارَعَةِ إِلَى فِدَائِهِ بَعْدَ وَعْدِهِ بِذَلِكَ ، وَاسْتِحْقَاقِهِ بَعْدَ مَا ظَهَرَ مِنْ بَلَائِهِ ، وَبِذَلِكَ مُهْجَتِهِ فِي خِدْمَتِهِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ ؛ أَلَّا تَلْتَفَتَ الْعَنَاءُ إِلَّا لِتَخْلِيصِهِ وَإِبْلَاغِهِ أُخْرَى مِنْهُ ، وَمَعَ تَأْمُلٍ تِلْكَ الْمَعَالِي تُحَسِّنُ اعْتِبَارَ بَرَاعَةِ تِلْكَ الْعِبَارَاتِ ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُنَايَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ وَالِإِشَارَاتِ .

فَإِذَا فَرِغْتَ مِنْ تَأْمُلِهَا عَلَى ذَلِكَ الْحَدِّ . . مَشَيْتَ بِنُورِ فِكْرِكَ فِي الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ ؛ تَعْتَبِرُهَا بَيْتًا بَيْتًا ، وَمَا أَسْكَنْتَ مِنَ الْمَعَانِي ، وَبِذَلِكَ تَحْصُلُ عَلَى الْغَايَةِ الَّتِي تَسْعَى إِلَيْهَا .



## [ قصيدة النابغة الذبياني ]

وقال النابغة الذبياني - واسمه زياد - يصف المتجردة زوج النعمان بأمره ، ويُقال : إنَّ النعمان مع ذلك لما سمع القصيدة . . غضب على النابغة وجفاه ، وظنَّ به حتى اختفى منه ، ثمَّ ظهرت براءته له ، وعاد إلى موضعه من منادمتِه<sup>(١)</sup> :

[ من الكامل ]

أَمِنْ أَلِ مَيَّةَ رَائِحٍ أَوْ مُغْتَدٍ      عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مُزَوِّدٍ  
أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا      لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ  
زَعَمَ الْهُمَامُ بِأَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا      وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الْغَدَاةُ الْأَسْوَدُ  
سَبَقَ أَنَّهُ غَيَّرَهُ : ( وبذاكَ تنعاب الغراب الأسود ) هرباً من ذلك العيب ،  
ولكنَّ الرواة أثبتوه على أصله .

لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ      إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحِبَّةِ فِي غَدٍ  
حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُودَّعْ مَهْدَدًا      وَالصُّبْحُ وَالْإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعِدِي  
فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا      فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ  
غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لَكَ جِيرَةٌ      مِنْهَا بَعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدَّدِ  
وَلَقَدْ أَصَابَ فُؤَادَهُ مِنْ حُبِّهَا      عَنْ ظَهْرِ مِزْنَانٍ بِسَهْمٍ مُضْرِدِ  
نَظَرْتُ بِمُقْلَةٍ شَادِنٍ مُتَرَبِّبٍ      أَخَوَى أَحَمَّ الْمُقْلَتَيْنِ مُقْلَدِ  
وَالنَّظْمُ فِي سِلْكِ يُزَيِّنُ نَحْرَهَا      ذَهَبُ تَوَقَّدَ كَالشَّهَابِ الْمُوقَدِ

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ٨٩ - ٩٧ ) .



صَفَرَاءُ كَالسَّيْرَاءِ أَكْمَلَ خَلْقَهَا      كَالْغُضَنِ فِي غُلَوَائِهِ الْمُتَأَوَّدِ  
وَالْبَطْنُ ذُو عُكْنٍ لَطِيفٌ طَيْهٌ      وَالْأَتْبُ تَنْفُجُهُ بِشَدِيٍّ مُقْعَدِ  
**الْأَتْبُ** : ثوبٌ رقيقٌ ، **وتنفجُهُ** : مِنْ نَفَجَ ؛ ترفعُهُ وتبعدهُ .

مَخْطُوطَةٌ أَلْمَتْنَيْنِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ      رِيًّا الرَّوَادِفِ بَضَّةُ الْمُتَجَرَّدِ  
قَامَتْ تُرَائِي بَيْنَ سِجْفِي كَلَّةٍ      كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ  
**الْأَسْعَدُ** : برجُ الحملِ .

أَوْ دُرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاضُهَا      بِهِجٌ مَتَى يَرَهَا يُهَلَّ وَيَسْجُدِ  
أَوْ دُمِيَّةٌ مِنْ مَزْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ      بُنِيَتْ بِأَجَرٍ يُشَادُ وَقَرَمَدِ  
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ      فَتَنَاوَلْتَهُ وَأَتَّقْتَنَا بِالْيَدِ  
بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ      عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ  
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا      نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ  
تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةٍ أَيْكَةٍ      بَرَدًا أَسْفَ [ لِشَأْنِهِ ] بِالْإِثْمِ  
كَأَلْفُحْوَانٍ غَدَاةٍ غِبِّ سَمَائِهِ      جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [ نَدِي ]  
زَعَمَ الْهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ      عَذَّبُ مُقَبِّلُهُ شَهِيٍّ الْمَوْرِدِ  
زَعَمَ الْهُمَامُ وَلَمْ أَذْفُهُ أَنَّهُ      عَذَّبُ إِذَا مَا دُفَّتُهُ قُلْتُ أَزْدَدِ  
زَعَمَ الْهُمَامُ وَلَمْ أَذْفُهُ أَنَّهُ      يُشْفَى بِرِيًّا رِيْقَهَا الْعَطَشُ الصَّدِي  
أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهُ فَنَظَّمْنَهُ      مِنْ لَوْلُو مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدِ  
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ      عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ

**صَرُورَةٌ** - بِالضَّادِ - قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : مَنْ لَمْ يَذْنَبْ قَطُّ ، أَوْ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ

مكانه ، **وقيل** : هو في الجاهلية : مَنْ لم يتزوّج ، وفي الإسلام : مَنْ لم يحجّ ،  
ولدفع التكرار في البيت يُحمَلُ على غير هذا المعنى .

لَرْنَا لِرُؤُوتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا      وَلَخَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ  
بِتَكَلُّمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ      لَدَنْتَ لَهُ أَرْوَى الْهَضَابِ الصُّخْدِ  
**الصُّخْدُ** : جمعُ صاخِدٍ ؛ وهي الملساء .

وَبِفَاحِمِ رَجُلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ      كَأَلْكَرَمِ مَالٍ عَلَى الدِّعَامِ الْمُسْنَدِ  
وَإِذَا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَجْثَمَ جَائِمًا      مُتَحَيِّزًا بِمَكَانِهِ مِلءَ أَلِيدِ  
وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدَفٍ      رَابِيِ الْمَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدِ  
وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ      نَزَعَ الْحَزَّورِ بِالرِّشَاءِ الْمُحْصَدِ  
وَإِذَا يَعَضُّ يَشُدُّ مِنْ أَعْضَائِهِ      عَضَّ الْكَبِيرِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَدْرَدِ  
وَيَكَادُ يَنْزِعُ جِلْدَ مَنْ أَضَلَّى بِهِ      بِلَوَافِحِ مِثْلِ السَّعِيرِ الْمُوقَدِ  
لَا وَارِدٌ مِنْهَا يَحُورُ لِمَصْدَرٍ      عَنْهَا وَلَا صَدِرٌ يَحُورُ لِمَوْرِدِ

### [ محاكاة الأمير البارودي للنابغة الذبياني في قصيدته ]

فمشى على أثره ، وترجم لها بقوله <sup>(١)</sup> : وقال على روي قصيدة النابغة  
الذبياني التي أولها ( أَمِنْ آلِ مَيَّةَ ) ، وقد سلك فيها مسالك العرب فيما كانت  
تتمدح به ؛ مِنْ مباشرة الحروب ، وارتياذ المنابت ، وركوب الخيل ، وشرب  
الخمير ، ومزاولة النساء :

ظَنَّ الظُّنُونُ فَبَاتَ غَيْرَ مُوسَّدِ      حَيْرَانَ يَكْلَأُ مُسْتَنِيرَ الْفَرْقَدِ

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » ( ١٤٨ / ١ - ١٥٦ ) .

تَلَوِي بِهِ الذُّكْرَاتِ حَتَّى إِنَّهُ  
طَوْرًا يَهُمُّ بِأَنْ يَزِلَّ بِنَفْسِهِ  
فَكَأَنَّمَا أَفْتَرَسَتْ بِطَائِرِ حِلْمِهِ  
قَالُوا غَدًا يَوْمَ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ  
هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشَغَافِهَا  
يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ  
إِنِّي فَقَدْتُ الْعَامَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ  
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ  
بَلْ يَا أَخَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ  
هَلْذِي لِحَاظُ الْغِيْدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ  
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصَّبَا بِدَوِيَّةِ  
هَيْفَاءٍ إِنْ خَطَرْتُ سَبْتُ وَإِذَا رَنْتِ  
يَخْفِضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَخْتُلَا  
فَإِذَا أَصْبَنَ أَخَا الشَّبَابِ سَلَبْنَهُ  
وَإِذَا لَمَحْنَ أَخَا الْمَشِيبِ قَلَيْنَهُ  
فَلَيْنَ غَدَوْتُ دَرِيَّةً لِعُيُونِهَا  
وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَانِهَا  
تَتَقَصَّفُ الْمُرَانُ فِي حَجَرَاتِهَا  
عَصَفَتْ بِهَا رِيحُ الرَّدَى فَتَدَفَّقَتْ

لَيَظَلُّ مُلْقَى بَيْنَ أَيْدِي الْعُودِ  
سَرَفًا وَتَارَاتٍ يَمِيلُ عَلَى الْيَدِ  
مَشْمُولَةً أَوْ سَاعَ سُمْ الْأَسْوَدِ  
خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ  
مَعْمُودَةً إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدِ  
أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمُ دَعْوَةَ مُقْصَدِ  
عَقْلِي فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِي  
حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي  
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَأَغْمِدِ  
فَتَكْتُ بِنَا خَلْسًا بِغَيْرِ مُهَنْدِ  
رِيَّا الشَّبَابِ سَلِيمَةِ الْمُتَجَرَّدِ  
سَلَبْتُ فُؤَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ  
لِلنَّفْسِ فَعَلَ الْقَانِتَاتِ الْعُبْدِ  
وَرَمَيْنَ مُهْجَتَهُ بِطَرْفِ أَضِيدِ  
وَسَتَرْنَ ضَاحِيَةَ الْمَحَاسَنِ بِالْيَدِ  
فَلَقَدْ أَفْلُ زَعَارَةَ الْمُتَمَرِّدِ  
وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدِ  
وَيَعُودُ فِيهَا السَّيْفُ مِثْلَ الْأَذْرَدِ  
بِدَمِ الْفَوَارِسِ كَالْآتِيِ الْمُزِيدِ

مَا زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَهَا حَتَّى أَنْثَنْتُ  
وَلَقَدْ هَبَطْتُ أَلْعَيْتُ يَلْمَعُ نُورُهُ  
تَجْرِي بِهِ الْأَرَامُ بَيْنَ مَنَاهِلٍ  
بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سَرَاتَهُ  
خَلَصَتْ لَهُ أَلْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ  
فَكَأَنَّمَا أَنْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ  
زَجَلٌ يُرَدِّدُ فِي أَلْهَاتِ صَهِيلِهِ  
مُتَلَقِّتًا عَنْ جَانِبِيهِ يَهْزُهُ  
فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ أَلْعِنَانَ وَجَدْتَهُ  
وَإِذَا أَطَعْتَ لَهُ أَلْعِنَانَ رَأَيْتَهُ  
يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا اسْتَحَسَّ بِنَبَأَةٍ  
صَلَبُ السَّنَابِكِ لَا يَمُرُّ بِجَلْمَدٍ  
نِعَمَ أَلْعَتَادُ إِذَا الشِّفَاهُ تَقَلَّصَتْ  
وَلَقَدْ شَرِبْتُ أَلْخَمَرَ بَيْنَ غَطَارِفٍ  
يَتَلَاعَبُونَ عَلَى الْكُؤُوسِ إِذَا جَرَتْ  
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ أَلْهَوَى  
مَنْ كُلِّ وَضَّاحِ أَلْجَبِينِ كَأَنَّهُ  
بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَفْتُ خِبَاءَهَا  
قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي

عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجَسَّدِ  
فِي كُلِّ وَضَّاحِ الْأَسِرَّةِ أَغْيَدِ  
طَابَتْ مَشَارِبُهَا وَظِلٌّ أَبْرَدِ  
بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةٍ مِنْ عَسَجِدِ  
مِنْهُ أَلْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْرَدِ  
سَلْبًا وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدِ  
دَفْعًا كَزَمْزَمَةِ الْحَبِيِّ الْمُرْعِدِ  
مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَغَرِّدِ  
يَمْطُو كَسِيدِ الرِّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ  
يَطْوِي أَلْمَهَامَةَ فَذَفْدَا فِي فَذَفِدِ  
شَدًّا كَالْهُوبِ الْأَبَاءِ الْمُؤَقِدِ  
فِي الشَّدِّ إِلَّا رَضَّ فِيهِ بِجَلْمَدِ  
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرْبَدِ  
شَمَّ أَلْمَعَاطِسِ كَالْغُصُونِ أَلْمِيدِ  
لِعِبَا يَرُوحُ أَلْجَدُّ فِيهِ وَيَعْتَدِي  
فَكَلَامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَصْقُولٌ نَدِي  
قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ أَسْوَدِ  
وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَوَاحِظِ أَرْمَدِ  
فَارْجِعْ لِسَانِكَ فَالرِّجَالُ بِمَرْصَدِ

فَخَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رَضَتْهَا  
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا أَلْمَنَامَ غَوَايَةَ  
رَوْعَاءُ تَفْزَعُ مِنْ عَصَافِيرِ الضُّحَى  
حَتَّى إِذَا نَمَّ الصَّبَا وَتَتَابَعَتْ  
قَالَتْ دَخَلْتُ وَمَا إِخَالُكَ بَارِحًا  
فَمَسَحْتُهَا حَتَّى أَطْمَأَنَّ فُؤَادَهَا  
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا  
فَلَنِعْمَ ذَاكَ الْعَيْشُ لَوْ لَمْ يَنْقُضِي  
يَرْجُو الْفَتَى فِي الدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِهِ  
وَطَوَيْتُهَا طَيِّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ  
حَتَّى لَقَدْ بَثْنَا بَلِيلَ الْأَنْقَدِ  
تَرْفًا وَتَجَزَعُ مِنْ صِيَاكِ الْهَدُودِ  
زَيْمُ الْكَوَاعِبِ كَأَلَمِهَا الْمُتَبَدِّدِ  
إِلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ الْمُسْنَدِ  
وَنَفَيْتَ رَوْعَتَهَا بِرَأْيِ مُحْصَدِ  
مُتَلَثِّمًا وَالسَّيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي  
وَلَنِعْمَ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ لَمْ يَنْفَدِ  
وَنَعِيمِهِ وَالْمَرْءُ غَيْرُ مُخَلَّدِ





## [ خوضُ الباروديَّ حربينِ ضدَّ جزيرةِ أقرِيطشَ وروسيا ]

وقد باشرَ هذا الأميرُ الحربَ مرَّتَيْنِ بصدقِ شهامةٍ وعُلُوِّ هِمَّةٍ ، حتَّى إنَّ الناسَ كانوا يَتَعَجَّبُونَ - كما أَخْبَرَنِي مَنْ حضرَهُ في تلكَ المواطنِ - مِنْ خَشُونَةِ بَاسِهِ عَلَى تَرْفِ نَشَاتِهِ ، وَلُطْفِ حِسِّهِ .

## [ قصيدةُ الباروديَّ يصفُ سفرَهُ للحربِ وتشوُّقَهُ إلى مصرَ ]

**المَرَّةُ الأولى :** حربُ سُكَّانِ جزيرةِ أقرِيطشَ المعروفةِ الآنَ بجزيرةِ جريدٍ ، حينَ خرجوا عنِ الطاعةِ سنةَ ثنتينِ وثمانينَ ومئتينَ وألفٍ ، فقالَ يصفُ الحالَ ، وَيَتَشَوَّقُ إلى مصرَ<sup>(١)</sup> :

[ من الكامل ]

وَهَفَا السُّرَى بِأَعِنَّةِ الْفُرْسَانِ	أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ
فَوْقَ الْمَتَالَعِ وَالرُّبَا بِجِرَانِ	وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَائِبِ ضَارِبُ
إِلَّا أَشْتَعَالَ أَسِنَّةُ الْمُرَّانِ	لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظُلُمَائِهِ
تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ	نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِثْنَةٍ
تَهْدَارُ سَامِرَةٌ وَعَزْفُ قِيَانِ	فِي كُلِّ مَرْبَاةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ
وَتَصِيحُ أَحْرَاسُ وَيَهْتِفُ عَانِي	تَسْتَنُّ عَادِيَّةٌ وَيَضْهَلُ أَجْرَدُ
فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ	قَوْمُ أَبِي الشَّيْطَانِ إِلَّا خُسْرَهُمْ
غَيْرُ الْتِمَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ	مَلَأُوا الْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاضِرٍ

**الخُرْصَانُ :** جمعُ خُرْصٍ بضمِّ أو كسرٍ فسكونٍ ؛ السنانُ .

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » ( ٤٣/٤ - ٥٥ ) .

وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ وَالرِّمَاحُ دَوَانِي  
لِطَرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ  
يَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسَنِ النَّيِّرَانِ  
عَيْنَايَ بَيْنَ [رُبَا] وَبَيْنَ مَحَانِي  
دُاعِنَةٌ وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي  
لِتَهَابٍ فَاُمْتَنَعْتُ عَلَى الْأَرْسَانِ  
تَحْنَانُهَا شَجَنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ  
مَاءٍ بِمِصْرٍ مَنَازِلُ الرُّومَانِ  
خَلْفًا بِأَوَّلِ صَاحِبٍ وَمَكَانِ  
فِي مِصْرٍ كُلِّ رَوِيَّةٍ مِرْنَانِ  
شَتَّى النَّمَاءِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ  
وَطَرَحْتُ فِي يُمْنَى الْغَرَامِ عِنَانِي  
أَلْمَى الظِّلَالِ وَزَهْرَهَا مُتَدَانِي  
وَالْمَرْءُ طَوْعُ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ  
إِنَّ الْأُمَاثِلَ عُرْضُهُ الْخَدَّانِ  
إِنَّ الشَّجَاعَةَ حَلِيَّةُ الْفِتْيَانِ  
عَنْ مِصْرٍ وَلْتَهْدَأْ صُرُوفُ زَمَانِي  
بِاللَّهِ أَعْلَمْتُ الزَّمَانَ مَكَانِي  
وَحَفِظْتُ مِنْهُ مَغِيبَهُ فَرَمَانِي

فَالْبَدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ  
وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا  
وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبِلُوا  
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَسْفَرَ وَأَزْتَمَتْ  
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسِنَّةٌ وَإِذَا الْوُهَا  
فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ  
فَزِعَتْ فَرَجَعَتْ الْحَنِينِ وَإِنَّمَا  
ذَكَرْتُ مَوَارِدَهَا بِمِصْرٍ وَأَيْنَ مِنْ  
وَالنَّفْسُ لَاهِيَةٌ وَإِنْ هِيَ صَادَفَتْ  
فَسَقَى السَّمَاءُ مَحَلَّةً وَمَقَامَةً  
حَتَّى تَعُودَ الْأَرْضُ بَعْدَ ذُبُولِهَا  
بَلَدٌ خَلَعْتُ بِهَا عِذَارَ شَبِيبَتِي  
فَصَعِيدُهَا أَخَوَى النَّبَاتِ وَسَرَّحُهَا  
فَارَقْتُهَا طَلَبًا لِمَا هُوَ كَائِنُ  
حَمَلَ الزَّمَانُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَجْنِهِ  
نَقَمُوا عَلَيَّ وَقَدْ فَتَكَتْ شَجَاعَتِي  
فَلِيَهْنًا الدَّهْرُ الْغَيُورُ بِرِخْلَتِي  
فَلَيْنٌ رَجَعْتُ وَسَوْفَ أَرْجِعُ وَاثِقًا  
صَادَفْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ حَتَّى خَانَنِي

زَعَمَ النَّصِيحَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ بِهِ  
فَلْيَجْرِ بَعْدُ كَمَا أَرَادَ بِنَفْسِهِ  
وَكَذَا اللَّيْمُ إِذَا أَصَابَ كَرَامَةً  
كُلُّ أَمْرٍ يُجْرِي عَلَى أَغْرَاقِهِ  
فَعَلَامَ يَلْتَمِسُ الْعَدُوَّ مَسَاءَتِي  
أَنَا لَا أَذِلُّ وَإِنَّمَا يَزْعُ الْفَتَى  
فَلْيَعْلَمَنَّ أَخُو الْجَهَالَةِ قَضْرَهُ  
فَلَرُبَّمَا رَجَحَ الْخَسِيسُ مِنَ الْحَصَى  
شَرَفٌ خُصِصْتُ بِهِ وَأَخْطَأَ حَاسِدٌ  
غِشًّا وَجَازَى الْحَقَّ بِالْبُهْتَانِ  
إِنَّ الشَّقِيَّ مَطِيَّةُ الشَّيْطَانِ  
عَادَى الصَّدِيقَ وَمَالَ بِالْإِخْوَانِ  
وَالطَّبْعُ لَيْسَ يَحُولُ فِي الْإِنْسَانِ  
مَنْ بَعْدَ مَا عَرَفَ الْخَلَائِقُ شَانِي  
فَقَدْ أَلْرَجَاءِ وَقِلَّةُ الْأَعْوَانِ  
عَنِّي وَإِنْ سَبَقْتُ بِهِ قَدَمَانِ  
بِالدَّرِّ عِنْدَ تَرَاجُحِ الْمِيزَانِ  
مَسْعَاتُهُ فَهَذِي بِهِ وَقَلَانِي

### [ قصيدةٌ مِنَ الباروديِّ للمؤلفِ أثناء حربِ الروسِ ]

**والثانية:** حربُ الروسِ حينَ قصدوا الدولة سنة أربع وتسعين ومئتين  
وألفٍ ، وكانَ - حرسُهُ اللهُ - كتبَ لأبناءِ وُدِّهِ كُتُباً ولم تصلْ إليهم ، وظنَّ  
وصولَها وتقصيرَهم عن المبادرةِ بالإجابة ، وقد وصلَ إليَّ أحدُ كتابينِ  
كتبَهُما لي يومَ قدومِهِ إلى مصرَ بعدَ مُدَّةٍ طويلةٍ مِنْ كتابتِهِ ، **وهذه**  
**أبياتُهُ** <sup>(١)</sup> :

[ من السريع ]

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامُ  
أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقُضِي  
أَسْهَرَتَنِي فِيكَ وَنَامَ الْأَنَامُ  
وَالْعَيْنُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامِ  
فِيكُمْ وَقَلْبٌ قَدْ بَرَاهُ الْغَرَامُ  
اللَّهُ فِي عَيْنِ جَفَاهَا الْكَرَى

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » ( ٣ / ٣٥٤ - ٣٦٢ ) .

قَدْ رَحِمَ الْعَاذِلُ حَالِي فَمَا  
وَيْلَاهُ مِنْ ظَنِّي الْحَمَى إِنَّهُ  
يَغْضَبُ مِنْ قَوْلِي آهٍ وَهَلْ  
لَا كُتِبَهُ تَتَرَى وَلَا رُسْلُهُ  
طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَأَنْقَضَتْ  
أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا  
يَا لَيْتَنِي فِي السِّلَكِ حَرْفٌ سَرَى  
حَتَّى أُوَافِيَ مِصْرَ فِي لَحْظَةٍ  
مَوْلَايَ قَدْ طَالَ مَرِيرُ النَّوَى  
أَنْظُرْ حَوْلِي لَا أَرَى صَاحِبًا  
وَدِيدَبَانًا صَارِخًا فِي الدُّجَى  
يُقْتَبَلُ الصُّبْحُ وَيَمْضِي الدُّجَى  
وَلَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبٍ أَتَى  
فِي هَضْبَةٍ مِنْ أَرْضِ دَبْرِجَةٍ  
مَنْ خَلَفْنَا الْبَحْرَ وَتَلَقَّاءَنَا  
فَتِلْكَ حَالِي لَا رَمْتُكَ النَّوَى

يَرْضَى لِدُلِّي فِي الْهَوَى بِالْمَلَامِ  
جَرَعَنِي بِالصَّدِّ مَرَّ الْحِمَامِ  
قَوْلِي آهٍ يَا بَنَ وَدِّي حَرَامِ  
تَأْتِي وَلَا الطَّيْفُ يُوَافِي لِمَامِ  
بَشَاشَةُ الْعَيْشِ وَسَاءَ الْمَقَامِ  
وَالْبُزْءُ لِي فِيهِ مَعًا وَالسَّقَامِ  
أَوْ رِيْشَةً بَيْنَ خَوَافِي الْحِمَامِ  
أَقْضِي بِهَا فِي اللَّهِ حَقَّ الذِّمَامِ  
فَكُلُّ يَوْمٍ مَرَّ بِي أَلْفُ عَامِ  
إِلَّا جَمَاهِيرَ وَخَيْلًا صِيَامِ  
إِرْجِعْ وَرَاءَ إِنَّهُ لَا أَمَامِ  
وَيَنْقَضِي النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلَامِ  
وَلَا أَخُو صِدْقٍ يَرُدُّ السَّلَامِ  
لَيْسَ بِهَا غَيْرُ بُغَاثٍ وَهَامِ  
سَوَادُ جَيْشٍ مُكْفَهَرٍ لِهَامِ  
فَكَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدَنَا يَا هُمَامِ

## [ قصيدة أخرى من البارودي للمؤلف ]

فقال في نعت الحال وضمن ذلك بعض فصولها <sup>(١)</sup> :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لَا سَلَامٌ وَلَا رَدُّ      وَلَا نَظْرَةٌ يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ  
لَقَدْ نَعَبَ الْوَابُورُ بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ      فَسَارُوا وَلَا زَمُوا جَمَالاً وَلَا شَدُّوا  
سَرَى بَيْنَهُمْ سَيْرَ الْعَمَامِ كَأَنَّمَا      لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ  
فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهْيَ عَيْنٍ مِنَ الْبُكَاءِ      وَلَا خَدَّ إِلَّا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ  
فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى      فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالْأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ  
لَعَلَّ حَدِيثَ الشُّوقِ يُطْفِئُ لَوْعَةً      مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ  
هُوَ النَّارُ فِي الْأَخْشَاءِ لَكِنْ لَوْعَتِهَا      عَلَى كَبِدِي مِمَّا أَلَذُّ بِهِ بَرْدُ  
لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ      بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ  
لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنٌ نَاطِرٍ      وَأُضْحَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الْأَسَى وَفْدُ  
خَلَاءٍ مِنَ الْأَلْفِ إِلَّا عَصَابَةٌ      حَدَاهُمْ إِلَى عِرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ  
دَعَتْهُمْ إِلَيْهَا نَفْحَةٌ عَنَبْرِيَّةٌ      وَبِالتَّفَحَّةِ الْحَسَنَاءِ قَدْ يُعْرِفُ الْوَرْدُ  
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِالْسُّنِّ      صَوَامِتَ إِلَّا أَنَّهَا أَلْسُنٌ لُدُّ  
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَمِنْ لَفْحٍ زَفَرَةٍ      لَهَا شَرَرٌ بَيْنَ الْحَشَا مَا لَهُ زَنْدُ  
فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ أَضَرَّ بِكَ النَّوَى      فَكُلُّ فِرَاقٍ أَوْ تَلَاقٍ لَهُ خَدُّ  
فَقَدْ يُشْعَبُ الْإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى      وَيَلْتَمِ الْضِدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحَقْدُ  
عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا      فَأَوْنَةٌ قُرْبٌ وَأَوْنَةٌ بُعْدُ

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » ( ١٦١/١ - ١٧٢ ) .



وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْحُبُّ أَخْضَعُ لِلَّتِي  
فَعُودِي صَلِيبٌ لَا يَلِينُ لِغَامِرٍ  
إِبَاءٍ كَمَا شَاءَ الْفَخَّارُ وَصَبُوءَ  
وَإِنَّا أَنَاسٌ لَيْسَ فِينَا مَعَابَةٌ  
نَلِينُ وَإِنْ كُنَّا أَشِدَّاءَ لِلْهَوَى  
وَحَسْبُكَ مِنَّا شِيْمَةٌ عَرَبِيَّةٌ  
وَبِي ظَمًا لَمْ يَبْلُغِ الْمَاءُ رِيَّهُ  
أَوْدٌ وَمَا وُدُّ أَمْرِي نَافِعًا لَهُ  
وَمَا بِي مِنْ فَقْرٍ لِدُنْيَا وَإِنَّمَا  
وَكَمْ مِنْ يَدِ اللَّهِ عِنْدِي وَنِعْمَةٌ  
أَنَا الْمَرْءُ لَا يُطْغِيهِ عَزٌّ لِثَرْوَةٍ  
أَصْدُ عَنِ الْمَوْفُورِ يُذْرِكُهُ الْخَنَا  
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ  
وَمِنْ شِيْمِي حُبُّ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ  
وَلَكِنَّ إِخْوَانًا بِمَضَرٍّ وَرِفْقَةٍ  
أَحْنُ لَهُمْ شَوْقًا عَلَى أَنْ دُونَنَا  
فَيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتُبِنَا  
أَفِي الْحَقِّ أَنَا ذَا كِرُونَ لِعَهْدِكُمْ  
فَلَا ضَيْرَ إِنَّ اللَّهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً  
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ جَزَانِي بِمِثْلِهِ

تُسِيءُ وَلَكِنَّ الْفَتَى لِلْهَوَى عَبْدُ  
وَقَلْبِي سَيْفٌ لَا يُفْلُ لَهُ حَدٌ  
[ يَذُلُّ ] لَهَا فِي خَيْسِهِ الْأَسَدُ الْوَرْدُ  
سَوَى أَنْ وَادِينَا بِحُكْمِ الْهَوَى نَجْدُ  
وَنَغْضَبُ فِي شَرَوَى نَقِيرٍ فَنَشْتَدُ  
هِيَ الْخَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِهَا حَزْدُ  
وَفِي النَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُذْرِكُهُ الْجَهْدُ  
وَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ جَدُ  
طَلَابُ الْعِلْمَا مَجْدُ وَإِنْ كَانَ لِي مَجْدُ  
يَعْضُ عَلَيْهَا كَفَّهُ الْحَاسِدُ الْوَعْدُ  
أَصَابَ وَلَا يَلْوِي بِأَخْلَاقِهِ الْكَدُ  
وَأَقْنَعُ بِالْمَيْسُورِ يَعْقِبُهُ الْحَمْدُ  
لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا وَذَلَّتْ لَهُ الْأَسَدُ  
لِيَخْلُصَ وَدُّ لَمْ يُحِطْهُ الْوَفَا بَعْدُ  
نَسُوا عَهْدَنَا حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ عَهْدُ  
مَهَامِهِ تَعْيَا دُونَ أَقْرَبِهَا الرُّبْدُ  
ثَوْتُ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ  
وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يُعْطِفُكُمْ وَدُّ  
يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُوَاصَلَةِ الصَّدُّ  
عَلَى شُقَّةٍ غَزُرُ الْحَيَاةِ بِهَا تَمُدُّ

أَبَيْتُ لِدِذْرَاكُمْ بِهَا مُتَمَلِّمًا  
فَلَا تَحْسَبُونِي غَافِلًا عَنْ وِدَادِكُمْ  
هُوَ الْحُبُّ لَا يُثْنِيهِ نَأْيٌ وَرُبَّمَا  
[ نَأَتْ ] بِي عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ  
أَدُورٌ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ  
جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِغَارَةٍ  
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَخَ الشَّرُّ بِأَسْمِهِ  
فَأَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً  
عَلَى الْأَرْضِ مِنْهَا بِالْذِمَاءِ جَدَاوِلُ  
إِذَا أَشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا الزَّخْفَ خِلَتْهُمْ  
نَشْلُهُمْ شَلَّ الْعِطَاشِ وَنَتْ بِهَا  
فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ  
نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى  
وَنَفَعَ كُلِّجِ الْبَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ  
صَبَرْتُ بِهِ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً  
فَمَا كُنْتُ إِلَّا أَلَيْتُ أَنْهَضَهُ الطَّوَى  
صَوُولٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى  
فَمَا مُهْجَةٌ إِلَّا وَرْمَحِي ضَمِيرُهَا  
وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ  
إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ [ مَشَتْ ] نَحْوَهُ الْوَرْدُ  
رُويْدًا فَمَا فِي مُهْجَتِي حَجَرٌ صَلْدُ  
تَأَرَّجَ مِنْ مَسِّ الضَّرَامِ لَهُ النَّدُّ  
بِوَجْهِي أَيَّامٌ خَلَاثُفُهَا نُكْدُ  
مِنَ الرُّوسِ بِالْبُلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُّ  
يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو  
وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ  
يُحَدِّثُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَطْلُ الْجَعْدُ  
وَفَوْقَ سِرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ  
بُحُورًا تَوَالِي بَيْنَهَا الْجَزُرُ وَالْمَدُّ  
مُرَاغِمَةُ السُّقْيَا وَمَاطَلُهَا الْوَرْدُ  
طَلِيحٌ وَمَأْسُورٌ يُجَادِبُهُ الْقِدُّ  
وَنَغْدُو عَلَيْهِمُ بِالسُّيُوفِ إِذَا نَغْدُو  
وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ  
وَيَنْغَلُّ طُورًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا أَلَيْتُ فَارَقَهُ الْغَمْدُ  
ضُرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَغْدُو  
وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسَيْفِي لَهَا عِقْدُ  
وَلَا كُلُّ طَلَابٍ يُصَاحِبُهُ الرُّشْدُ  
فَمَا السَّيْفُ إِلَّا آلَةٌ حَمْلُهَا إِدُّ

فَنَاءٌ فَمَكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُوَ الْخُلْدُ  
وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُدُّ  
لَا نَافِعِهِمْ رَغْمٌ وَأَكْبَادِهِمْ وَقْدُ  
وَمِنْ شِيَمَةِ الْفَضْلِ الْعَدَاوَةُ وَالْضِدُّ  
وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ الْعَضْدُ  
فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتَى وَلَهُ نِدُّ

إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَ  
فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَوْمِهِ  
لِيَضْنَ بِي الْحُسَادُ غَيْظًا فَإِنِّي  
أَنَا الْقَائِلُ الْمَحْسُودُ مِنْ غَيْرِ سُبَّةٍ  
فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ أَبْنَهُ وَهُوَ نَفْسُهُ  
فَلَا زِلْتُ مُحْسُودًا عَلَى الْمَجْدِ وَالْعَلَا



وقد شَرَفَتْ عنايةً وَدَّه اسمي بهذه القصيدة<sup>(١)</sup> : [ من الطويل ]

وَوَلَّى الصِّبَا إِلَّا بَوَاقٍ قَلَائِلُ  
[ يُؤَرِّثُهَا ] فِكْرٌ عَلَى النَّأْيِ شَاغِلُ  
وَحَبْلُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّونَ خَابِلُ  
بِي الْبُرءُ غَالَتَنِي لِذَاكَ الْغَوَائِلُ  
أَسَالَ بِنَا حَتَّى كَأَنَّا نُقَاتِلُ  
لَلدُّ إِذَا أَلْتَفَّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ  
بَنُوهَا وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ  
سَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَّانِ مَعَاقِلُ  
أَلَمْ يَذِرْ أُنْبَى الشَّمَرِيِّ الْحَلَا حِلُ  
إِذَا أَخَذَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ الْأَفَاكِلُ

مَضَى اللَّهُو إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلُ  
بَوَاقٍ تُمَارِيهَا أَفَانِينَ لَوْعَةٍ  
فَلِلشُّوقِ مِنبَى عَبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ  
أَلْفَتْ الضَّنَى إِلْفَ الشُّهَادِ فَلَوْ سَرَى  
فَلِلَّهِ هَذَا الشُّوقُ أَيَّ جِرَاحَةٍ  
رَضِينَا بِحُكْمِ الْحَبِّ فِينَا وَإِنَّا  
وَإِنَّا رِجَالٌ تَعْلَمُ الْحَرْبُ أَنَّنا  
إِذَا مَا أُبْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونُ فَمَا لَنَا  
فَمَا لِلْهَوَى يَقْوَى عَلَيَّ بِحُكْمِهِ  
وَإِنِّي لَتُبْتُ الْجَاشِ مُسْتَحْصِدُ الْقَوَى

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » ( ٦١/٣ - ٧٣ ) .

إِذَا مَا أَعْتَقَلْتُ الرُّمَحَ وَالرُّمَحُ صَاحِبِي  
 لَطَاعَنْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ مُطَاعِنٍ  
 وَشَاغَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنِّي بِعَزْمَةٍ  
 إِذَا أَنْتَ أَعْطَنْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا  
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَعِيشَ مُحْسَدًا  
 لَعَمْرُكَ مَا الْأَخْلَاقُ إِلَّا مَوَاهِبُ  
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَادِحَانِ فَعَالِمٌ  
 فَذُو الْعِلْمِ مَا أَخُوذُ بِأَسْبَابِ عِلْمِهِ  
 فَلَا تَطْلُبْنِ فِي النَّاسِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
 مِنْ أَلْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى غَيْرَ طَبْعِهِ  
 بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طُرًّا فَلَمْ يَكُنْ  
 هُمَامٌ أَرَانِي الدَّهْرَ فِي طَيِّ بُرْدِهِ  
 أَخٌ حِينَ لَا يَبْقَى أَخٌ وَمُجَامِلٌ  
 بَعِيدٌ مَجَالِ الْفِكْرِ لَوْ خَالَ خَيْلَةً  
 طَرَحْتُ بَنِي الْأَيَّامِ لَمَّا عَرَفْتُهُ  
 فَلَوْ سَامَنِي مَا يُورِدُ النَّفْسَ حَتْفَهَا  
 فَلَا بَرَحْتُ مِنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ  
 وَلَا زَالَ غَضُّ الْعُمَرِ مُمْتَنِعِ الذُّرَا

عَلَى الشَّرِّ قَالَ الْقِرْنُ إِنِّي هَازِلٌ  
 وَنَازِلْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَازِلُ  
 أَرْتَنِي سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالْغَيِّ حَائِلُ  
 فَأَضِيعُ شَيْءٌ مَا تَقُولُ [الْعَوَازِلُ]  
 تَنَازَعُ فِيهِ النَّاجِذِينَ الْأَنَامِلُ  
 مُقَسِّمَةٌ بَيْنَ الْوَرَى وَفَوَاضِلُ  
 يَسِيرُ عَلَى قَصْدٍ وَآخِرُ جَاهِلُ  
 وَذُو الْجَهْلِ مَقْطُوعُ الْقَرِينَةِ جَافِلُ  
 مِنَ الْوُدِّ أَمْ الْوُدِّ فِي النَّاسِ هَابِلُ  
 وَأَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُشَاكِلُ  
 سِوَى الْمَرْصِفِيِّ الْحَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ  
 وَفَقَّهَنِي حَتَّى اتَّقَانِي الْأُمَاثِلُ  
 إِذَا قَلَّ عِنْدَ النَّائِبَاتِ الْمُجَامِلُ  
 أَرَاكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الدَّهْرُ فَاعِلُ  
 وَمَا النَّاسُ عِنْدَ الْبَحْثِ إِلَّا مَخَايِلُ  
 لَأُورِدْتُهَا وَالْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ  
 يُنَاقِلُهَا عَنِّي الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ  
 مَرِيعَ الْفِنَا تُطَوِّى إِلَيْهِ الْمَرَاحِلُ

وعلى أن ليس من طبعي أن أقول الشعر ؛ إمّا لفوت أوانٍ تحصيل وسائله ،

ولم تكن إذ ذاك دواع ترشد إليه ، وإما لأن الاستعداد الذي سلف التنبيه على  
أن لا بد منه لم يكن في خليقتي . . **أنطقني حُبّه بأبيات أجملت فيها صفته ؛**  
**وهي هذه :**

زَكَا أَمِيرِي طَبْعاً وَأَعْتَلَى شَرْفاً      فَدَارَ حَيْثُ تَدُورُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
وَنَالَ مَا نَالَ عَنْ كَدِّ الرِّجَالِ فَلَا      مَنْ عَلَيْهِ لَشَخْصٍ حِينَ يَفْتَخِرُ  
بِفَضْلِهِ كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ مُعْتَرِفٌ      كَمَا تَصَادَقَ فِيهِ الْخُبْرُ وَالْخَبَرُ  
لَا يَجْهَلُ الرُّتْبَةَ أَلْعَلِيَاءِ يَعْمُرُهَا      وَلَا يَتِيَهُ بِهَا مَا أَعْظَمَ الْخَطَرُ  
صَحْبَتُهُ وَهُوَ سِرٌّ فِي مَخَايِلِهِ      حَتَّى تَخَيَّرَ مِنْ إِعْلَانِهِ الْكِبَرُ  
فَمَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ شِبْهَ بَادِرَةٍ      وَلَا تَخَيَّلْتُ أَمْراً مِنْهُ يُعْتَذَرُ  
أَدَامَهُ اللَّهُ نَقْنَى مِنْ فَضَائِلِهِ      وَمِنْ فَوَاضِلِهِ مَا أَنْبَتَ الشَّجَرُ

وإلى هنا ما أظنُّ إلا أَنَّكَ تَحَقَّقْتَ بمعرفةٍ تميّز شعر الأمراء بما يظهر عليه  
من آثار عِزَّةٍ لنفسي ، ويشمل نواحيه من البراعة والمتانة ، ويلوح فيه من تخيير  
الألفاظ برعاية ما هو أوفق بالأدب ، أو الأليق بالمدح ، أو الأوقع في الزجر ،  
أو الأجلب للعطف والرضا ، أو الأدخل في النصيحة ، أو الأنسب بالغزل ،  
أو الأهيّج في الحماس . . . إلى غير ذلك من المقامات ، وبانحصار أغراضه  
فيما أمر بقصره عليه أبو [ فراس ] حيث يقول<sup>(١)</sup> :

الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ      أَبْدَأُ وَعُنْنُوَانُ الْأَدَبِ  
لَمْ أَعْدُ فِيهِ مَفَاخِرِي      وَمَدِيحَ آبَائِي النُّجُبِ  
وَمُقَطَّعَاتِ رُبَّمَا      حَلَّيْتُ مِنْهُنَّ الْكُتُبِ

(١) انظر « ديوان أبي فراس الحمداني » ( ص ٢٨ ) .



لَا فِي الْمَدِيحِ وَلَا الْهَجَا ۚ وَلَا الْمُجُونِ وَلَا اللَّعِبِ  
وتبعه المترجم في هذا المعنى ، وزاد عليه في الإحسان ؛ حيث  
يقول<sup>(١)</sup> :

الشَّعْرُ زَيْنُ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ      وَسِيلَةً لِّلْمَدْحِ وَالذَّمِّ  
قَدْ طَالَ مَا عَزَّ بِهِ مَعَشَرٌ      وَرَبَّمَا أَرْزَى بِأَقْوَامِ  
فَأَجَعَلَهُ فِيمَا شِئْتَ مِنْ حِكْمَةٍ      أَوْ عِظَةٍ أَوْ حَسَبٍ نَامِ  
وَاهْتَفَ بِهِ مِنْ قَبْلِ تَسْرِيجِهِ      فَالَسَّهْمُ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّامِي

**ونبة بقوله :** ( واهتف به من قبل تسريجه ) على أنه لا ينبغي أن يكتفي  
الشاعر بالنظرة الأولى ؛ فللنفس خداع ، وربما تنبّهت بعد أن غفلت ،  
واستقبحت ما استحسنت ، ولذلك يقول الأول<sup>(٢)</sup> :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً      مَا لَمْ تُبَالِغْ قَبْلُ فِي تَهْذِيبِهَا  
فَإِذَا عَرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ      عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا

**ويروى :** أن زهيراً أحد مشاهير شعراء الجاهلية كان يقول القصيدة في  
سته أشهر ، ثم يردّها في نفسه ويكرّر النظر فيها ستة أشهر ، ولذلك تسمّى  
قصائده بالحوليات ، ولمكان صعوبة الشعر - والنثر أشد منه في ذلك من  
جهة تخير الألفاظ وتلاؤمها ، وتناسب المعنى لتبين جودة السياق - يقول  
الحطيئة<sup>(٣)</sup> :

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلَّمُهُ

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » ( ٥٣١/٣ - ٥٣٢ ) .

(٢) هو الحاكم المطوعي ، كما في « أنوار الربيع » ( ١٠٣/١ ) .

(٣) تقدم ( ١٥٦/٣ ) .

إِذَا أُرْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ  
هَوَتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ  
وَالشَّعْرُ لَا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ  
وَلَمْ يَزَلْ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي يُحْرِمُهُ  
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ  
مَنْ يَسِمُ الْأَعْدَاءَ يَبْقَ مِيسَمُهُ

**مَنْ يَظْلِمُهُ ؛ أي :** يَتَكَلَّفُهُ ، ولا يأتي به في إبانة ، **ويريدُ أن يُعْرِبَهُ ؛ أي :**  
يأتي به عربياً ؛ بوضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها ، وسلامة التركيب ممّا  
يُبعدُ فهمَ المعنى منه .

**وقوله :** ( مَنْ يَسِمُ الْأَعْدَاءَ ) إشارةٌ إلى أنَّ وضع الشيء في موضعه كما  
يعترفُ به ذوو الإدراك إذا وقفوا عليه . . مُوجِبٌ لبقائه ، وارتباطاتِ العنايات  
به .



## [ قصائدٌ منتخبةٌ لمشاهير الشعراءِ حَسَبَ طبقاتِهِم ]

وإذ قد عرفتَ أن لا سبيلَ لمعرفةِ الصِّناعةِ إلَّا بكثرةِ الحفظِ ، ورعايةِ ما نبَّهناكَ على رعايتهِ . . فقد آنَ أن نوردَ لك ما يكونُ مثلاً لِمَا ينبغي أن تحصِّلَهُ للحفظِ وترديدِ النظرِ فيه ؛ مِنْ قصائدَ لمشاهيرِ الشعراءِ .

وينبغي بحَسَبِ نشأةِ الشعرِ ، وما عرضَ لَهُ مِنَ التغيُّرِ . . أن نجعلَ الشعراءَ في ثلاثِ طبقاتٍ :

**الطبقةُ الأولى :** للعربِ جاهليينَ وإسلاميينَ ؛ مِنَ المُهلِهْلِ إلى بشارِ بنِ بردٍ .



**والثانيةُ :** للمُحدثينَ الذين كانوا يحرصونَ على موافقةِ العربِ ، ويجتهدونَ في سلوكِ طرائقِهِم ؛ مِنْ أبي نُواسٍ إلى مَنْ قَبْلَ عبدِ الرحيمِ المعروفِ بالقاضي الفاضلِ .



**والثالثةُ :** بالشُّعراءِ الذي غلبَ عليهمُ استعمالُ النِّكاتِ ، والإفراطُ في مراعاةِ البديعِ ؛ وهُم مِنَ القاضي الفاضلِ إلى هذا الوقتِ .



## الطَّبقَةُ الْأُولَى

قِيلَ : إِنَّ عَدِيَّاً الْمُلقَّبَ بِالْمُهْلِهِلِ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَطَالَ الشَّعْرَ وَرَقَّقَهُ ؛  
**ولذلك لُقِّبَ الْمُهْلِهِلُ** ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : ثَوَّبْ هَلْهَلْ ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَدَامَجَ  
الْخِيوطِ ؛ بَحِيثٌ يَشِفُّ عَمَّا وَرَاءَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الشُّعْرَاءُ قَبْلَهُ تَقُولُ قِطْعاً  
تَذَكَّرُ فِيهَا الْوَقَائِعَ وَتَفْخَرُ ، وَلَكِنْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ  
مَنْ جَوَّدَ الشَّعْرَ ، وَأَطَالَ الْقَصَائِدَ ، وَجَعَلَهَا مُشْتَمِلَةً عَلَى أَصْنَافٍ مِنَ  
الْمَعَانِي . . **هُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ** ، وَمِنْ هُنَا وَرَدَ فِيهِ : « هُوَ حَامِلٌ لِيَوَاءِ الشُّعْرَاءِ  
إِلَى النَّارِ » <sup>(١)</sup> .

وَقَالَ الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ : ( **بُدِيَ الشَّعْرُ بِمَلِكٍ ، وَخُتِمَ بِمَلِكٍ** ) <sup>(٢)</sup> ؛ يَعْنِي :  
امْرَأَ الْقَيْسِ ؛ إِذْ كَانَ ابْنُ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الْعَرَبِ ، وَطَلَبَ الْمُلُوكَ بَعْدَ أَبِيهِ ،  
وَكَانَ يُلقَّبُ بِالْمَلِكِ الضَّلِيلِ ، وَأَبَا فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي .

فَامْرُؤُ الْقَيْسِ وَمَنْ يُذَكَّرُ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعَلَّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ . . هُمْ أَئِمَّةُ  
الشَّعْرِ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ ، وَيُصْنَعُ عَلَى مَا مَثَلُوهُ ؛ إِذْ كَانُوا هُمْ الْمَخْتَرَعِينَ ،  
وَكَانَتْ عِبَارَاتُهُمْ حِكَايَةً عَنِ الْوَاقِعِ ، وَصَنَعَةً لِلْمَشَاهِدِ ، لَمْ تَكُنِ الصَّنَعَةُ  
غَالِبَةً عَلَيْهِمْ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ ، وَإِنْ كَانَ الشَّعْرُ كَيْفَمَا كَانَ مِنْ  
الْأُمُورِ الْمَصْنُوعَةِ الَّتِي يَتَفَاوَتْ النَّاسُ فِي إِتْقَانِهَا ، وَرِعَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِهَا ،  
لَكِنْ مِنْ حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ ابْتِدَاءً لَمْ يُحْتَدَ فِيهِ مِثَالٌ . . **قِيلَ لَشَعْرِهِمْ** : إِنَّهُ  
مَطْبُوعٌ ، **وَلَشَعْرِ الْمُتَأَخِّرِينَ** : إِنَّهُ مَصْنُوعٌ ؛ لِكُونِهِمْ احْتَدَوْا فِيهِ الْأَمْثَلَةَ الَّتِي  
اخْتَرَعَهَا هَؤُلَاءِ .

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ( ٢٢٨/٢ ) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) انْظُرْ « وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ » ( ٥٩/٢ ) .

## [ المفاضلة بين امرئ القيس وعلقمة الفحل في صفة جري الفرس ]

فمن شعر امرئ القيس قصيدته التي وافقه في وزنها ورويها علقمة الفحل ، وتحاكما في المفاضلة بينهما وتقدير أحدهما إلى أم جندب ؛ وهي امرأة من ذوات العقل والمعرفة ، كان تزوجها امرؤ القيس ، فحكمت لعلقمة عليه بالبيتين اللذين توافيا فيهما على معنى واحد في صفة جري الفرس ، فكان ذلك سبباً لأن طلقها امرؤ القيس ، وخلفه عليها علقمة .

## [ قصيدة امرئ القيس ]

[ من الطويل ]

وهي هذه <sup>(١)</sup> :

لِتَقْضِي لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذِّبِ	خَلِيلِي مُرَا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ
مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ	فَإِنَّكُمْ إِن تَنْظِرَانِي سَاعَةً
وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ	أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً
وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْتَ جَانِبِ	عَقِيلَةَ أَتْرَابٍ لَهَا لَا دَمِيمَةٌ
وَكَيْفَ تُرَاعِي وَصْلَةَ الْمُتَغَيِّبِ	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَادِثُ وَصْلِهَا
أُمِيمَةٌ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ الْمُحَبِّبِ	أَقَامْتُ عَلَى مَا بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ
فَإِنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ بِالْمُجَرَّبِ	فَإِنْ تَنَأَ عَنْهَا حِقْبَةً لَا تُلَاقِهَا
يَسْؤُكَ وَإِنْ يُكْشَفَ غَرَامُكَ تَدْرِبِ	وَقَالَتْ مَتَى يَبْخُلَ عَلَيْكَ وَيَعْتَلِلُ
سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَبِ	تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ
كَجِزْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَشْرِبِ	عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عَقْمَةٍ
أَشْتِ وَأُنَائِي مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ	وَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقِ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٤١ - ٥٥ ) .



فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَازِعُ بَطْنٍ نَخْلَةٍ  
فَعَيْنَاكَ غَرْبًا جَدُولٍ فِي مَفَاضَةٍ  
وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَعَاجِزٍ  
وَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ  
بِأَدْمَاءِ حُرْجُوجٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا  
يُغَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدْفَةٍ  
أَقْبُ رِبَاعٍ مِنْ حَمِيرٍ عَمَايَةٍ  
بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالُّ نَبْتَهَا  
وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي [وُكْنَائِهَا]  
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ لَاحَهُ  
عَلَى الْأَيْنِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ سَرَاتَهُ  
يُبَارِي الْخُنُوفَ الْمُسْتَقِيلَ زِمَاعُهُ  
لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ  
وَيَخْطُو عَلَى صُمِّ صِلَابٍ كَأَنَّهَا  
لَهُ كَفَلٌ كَالِدِعْصِ لَبْدُهُ النَّدَى  
وَعَيْنٌ كَمِرَّاةِ الصَّنَاعِ تُدِيرُهَا  
لَهُ أُذْنَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا  
وَمُسْتَفْلِكُ الذِّفْرِى كَأَنَّ عِنَانَهُ  
وَأَسْحَمُ رِيَّانِ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ

وَأَخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعُ نَجْدٍ كَبْكَبٍ  
كَمَرِ الْخَلِيجِ فِي صَفِيحِ الْمُصَوَّبِ  
ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ  
بِمِثْلِ غُدُوٍّ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبِ  
عَلَى أَبْلَقِ الْكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمُغْرَبٍ  
تَغَرَّدُ مَيَّاحِ النَّدَامَى الْمُطْرَبِ  
يَمُجُّ لِعَاعِ الْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ  
مَجَرَّ جِيُوشِ غَانِمِينَ وَخُيْبِ  
وَمَاءِ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ  
طِرَادُ الْهَوَادِي كُلِّ شَأٍ مُغْرَبِ  
عَلَى الضُّمْرِ وَالتَّغْدَاءِ سَرْحَةُ مَرْقَبِ  
تَرَى شَخْصَهُ كَأَنَّهُ عُودٌ مِشْجَبِ  
وَصَهْوَةٌ عَيْرٍ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبِ  
حِجَارَةٌ غَيْلٍ وَارِسَاتٍ [بِطُخْلَبِ]  
إِلَى حَارِكٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمُذْأَبِ  
بِمَحْجِرِهَا مِنَ النَّصِيفِ الْمُتَنْقَبِ  
كَسَامِعَتَي مَذْعُورَةٍ وَسَطَ رَبْرَبِ  
وَمَثَنَاتُهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ مُشْدَبِ  
عَشَاكِيلُ قِنُوٍّ مِنْ سَمِيحَةِ مُرْطَبِ

إِذَا مَا جَرَى شَاوَيْنِ وَأَبْتَلَّ عِطْفُهُ  
 يُدِيرُ قَطَاةً كَالْمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ  
 فَيَوْمًا عَلَى سِرْبٍ نَقِيٍّ جُلُودُهُ  
 فَبَيْنَا نِعَاجٌ يَزْتَعِينَ خَمِيلَةً  
 فَكَانَ تَنَادِينَا وَعَقْدَ عِذَارِهِ  
 فَلَأْيَا بِلَايٍ مَا حَمَلْنَا غُلَامَنَا  
 وَوَلَّى كَشُؤْبُوبِ الْعَشِيِّ بَوَابِلِ  
 فَلِلْسَاقِ الْهُوبِ وَلِلْسَوِّطِ دِرَّةٌ  
 فَأَذْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَشْنِ شَاوُهُ  
 تَرَى الْفَارَ فِي مُسْتَيْفَعِ الْقَقَاعِ لَاحِبًا  
 خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا  
 فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ  
 وَظَلَّ لِثِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاجِمُ  
 [فَكَابِ] عَلَى حَرِّ الْجَبِينِ وَمُتَّقٍ  
 وَقُلْتُ لِفَتْيَانِ كِرَامٍ أَلَا أَنْزِلُوا  
 وَأَوْتَادُهُ [مَاذِيَّةٌ] وَعِمَادُهُ  
 وَأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ خُوصٍ نَجَائِبِ  
 فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَنَّا طُهُورَنَا  
 كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا  
 تَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَنْفَابِ  
 إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الْعَبِيطِ الْمَذَابِ  
 وَيَوْمًا عَلَى بَيْدَانَةٍ أُمِّ تَوْلَبِ  
 كَمَشِي الْعِدَارَى فِي الْمَلَاءِ الْمُهْدَبِ  
 وَقَالَ صَحَابِي قَدْ شَاؤُنَكَ فَاطْلُبِ  
 عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ مُجَنَّبِ  
 وَيَخْرُجْنَ مِنْ جَعْدٍ تَرَاهُ مُنْصَبِ  
 وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجٍ مِنْعَبِ  
 يَمُرُّ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثَقَّبِ  
 عَلَى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهَبِ  
 خَفَاهُنَّ وَدَقُّ مِنْ عَشِيٍّ [مُجَلَّبِ]  
 وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهَبِ  
 يُدَاعِشُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمُعَلَّبِ  
 بِمَذْرِيَّةٍ كَأَنَّهَا ذَلَقُ مِشْعَبِ  
 فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ ثَوْبٍ مُطَنَّبِ  
 رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعْصَبِ  
 وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتَحْمِيٍّ مُشْرَعَبِ  
 إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشْطَبِ  
 وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

نَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَا      إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضَهَّبِ  
وَرُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جُؤَائِي عَشِيَّةً      [نُعَالِي] أَلْتَعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ وَمُحَقَّبِ  
وَرَاحٍ كَتَيْسٍ الرَّبْلِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ      أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحَلِّبِ  
كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ      عَصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُخَضَّبِ  
وَأَنْتَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ      بِضَافٍ فُؤَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَصْهَبِ

### [ شرح وضبط قصيدة امرئ القيس ]

وهذا الشعرُ محتاجٌ إلى الشرح والضبط ؛ لتحصل الفائدة بحفظه ؛  
فنقولُ :

**قوله :** ( خليلي ... ) البيت ، **اللُّبَانَاتُ** : جمع لبانة بضم اللام ؛ ما يتشهاه  
الإنسانُ بعد الحوائج الأصلية .

**وقوله :** ( ألم ترياني ) يتعلَّقُ به حكايةٌ تُعرفُ منها المفاضلةُ بين  
الشاعرين ؛ **يُحكي** : أَنْ كَثِيرَ عَزَّةٍ لَمَّا قَالَ <sup>(١)</sup> :

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ غَبَّ سَمَائِهَا      يَمْجُجُ النَّدَى جَشَجَائِهَا وَعَرَازِهَا  
بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةٍ مَوْهِنَا      وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالْمَنْدِلِ الرَّطْبِ نَارَهَا

جاءتُه عجوزٌ ومعها روثٌ ، عليها نارٌ ، فيها عودٌ هنديٌّ ، وقالتُ له : لم  
تزدُ في صفةِ عَزَّةٍ على هذه ، ألا قلتُ كما قال امرؤ القيسِ : [ من الطويل ]

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا      وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ  
وصفها بأنَّ طيبها مِنْ ذاتِها ، وكثيِّرٌ جعلَ طيبها مِنْ غيرِها ، وكلُّ

(١) تقدم ( ٤٣٤/٣ ) ، وفي « ديوانه » : ( طيبة الزرع ) بدل : ( غب سمائها ) ، وفي بعض المصادر :  
( طيبة الثرى ) .

شيء يطيّب بالطيّب تطيّب رائحته ، والفضل للطيّب لا للشيء .

**وقوله :** ( عقيلة أتراب ... ) البيت ، **العقيلة :** الكريمة ، عقلها أهلها ومنعوها من التبذل ؛ لجمالها ، **والأتراب :** جمع تراب ؛ وهو المساوي في العمر ، مأخوذ من التراب ؛ لأنّهما جاءا من تراب واحد ، واللدة مثله ؛ لأنّهما ولدا معاً ، **والجأنب :** المتجنّب المحقور ، أو الغليظ القصير .

**وقوله :** ( أقامت ) تفصيل لقوله : ( وكيف تراعي وصلة المتغيّب ) يقول : هل بقيت على ما نعهد ، أو تغيّرت بتغيير المفسد ؛ **وهو المخيّب :** من التخييب ؛ وهو إفساد عبد الرجل عليه أو امرأته .

**وقوله :** ( فإن تنأ ... ) البيت ، رجوع منه إلى معروفه من أخلاقها بعد استفهام التجاهل ، فهو يقول : فإن تغب عنها مدّة .. فإنّه لا يخفى عليك أمرها ، ولا ما تصير إليه ، فأنت منه بموضع التجريب ، **فالمجرّب :** اسم مكان في زنة اسم المفعول كما هو شأنه من غير الثلاثي .

وبيّن تجنيها وتخشين القول له المنبئ عن التغيّر في قوله : ( وقالت متى يبخل عليك ... ) البيت ، **وتدرب :** من الدربة ؛ وهي العادة ، درب في الأمر ؛ اعتاده ومرن عليه ، فهي تقول له : إنك طموع ، لا تقف عند حدّ .

**وقوله :** ( تبصر خليلي ... ) البيت ، **الظعينة :** الجمل عليه المسافرة ؛ وهي ظعينة أيضاً ، **والنقب :** الطريق في الجبل ، **والحزم :** بالميم - أغلظ من الحزن بالنون ، وكلاهما بفتح فسكون : الأمكنة الوعرة .

**وشععب :** بالعين وبالغين ؛ مكان من أرض بني تميم .

**وقوله :** ( علون بأنطاكية ) يصف هيئة الرحال على الإبل ، ويذكر أنّها من

نفائس الثياب ؛ تنويهاً بعظم أهلها ، وأنهم من أهل الثروة ، وأنطاكية من بلاد الشام تُنسب إليها ثياب تُصنع بها ، **والعقمة** - بكسر فسكون - : الوشي ، وشبه الإبل بما عليها من الملونات بمزرعة نخل ؛ وهي [ الجزمة ] بكسر فسكون ، وأضرب عن التشبيه بمكان غير مُعَيَّن إلى مكان مُعَيَّن ؛ لظهوره واستقراره في خيال السامع ، **ويثرب** : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بلد نخل ، وهناك بلد نخل أيضاً يُقال لها : يَثْرَبُ بفتح الياء والراء بينهما تاءٌ ، وهي المذكورة في قوله <sup>(١)</sup> :

..... مَوَاعِيدَ عُزُوبٍ أَخَاهُ [ يَثْرَبُ ]

**وقوله** : ( والله [ عَيْنًا ] ... ) البيت وما بعده ، يصف بهما اجتماع الحاج وملتقى الأحبة وافتراقهم ، ويبيد أسفه في ذلك ، **والمُحَصَّب** : من أمكنة تلك الناحية ، **وجزغ الأرض وقطعها** : معانها واحدٌ ، **وبطن نخلة ونجد كبك** : مكانان إلى جهتين مختلفتين .

**وقوله** : ( فعيناك ) صفة لبكائه على أثرِ الظاعنين ، **والغرب** : الدلو العظيمة ، **والمفاضة** : موضع إفاضة الماء وإساليته ؛ أي : تنهمل دموعه كمرّ الخليج ، **والصفائح** : الحجارة ، **والمصوب** : الممائل ، وهنالك تكون سرعة جري الماء .

**وقوله** : ( وإنك لم يفخر ) لما افتخرت عليه بأنها تكشف غرامه ، وقرعته بالطمع وترك الوقوف عند حدٍّ ، وهو لا يقدر على الإجابة ؛ لمكان الحبّ الموجب لتسليم كلِّ ما يقوله المحبوب . . تذكّر أنّه ربّما يفتخر على الإنسان مهين عاجز ضعيف ، ولا يجد الشريف أن يجيبه ويردّ عليه ، حتى يُخيّل أنّه

(١) انظر « خزنة الأدب » ( ٥٨/١ ) ، والبيت بتمامه :

وَعَدْتُ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُزُوبٍ أَخَاهُ يَثْرَبُ



مغلوبٌ ، فتشتدُّ حزازةُ صدره ، ولسانُهُ لا ينطلقُ ، فرمى بكلامٍ هو أكبرُ من الغزل ، ولذلك يتمثَّلُ به للترُّوح عند حصولِ مثلِ ذلك .

**وقوله :** ( وإنك لم تقطعْ لُبانةً . . . ) البيت ، انتقالٌ منه لذكرِ الحيلةِ في السلوِّ وكسرِ سورةِ العشقِ ، فادَّعى أنَّ السفرَ والذهابَ في البلادِ يكونُ سبباً لذلك ، وشرطَ في السفرِ الإبعادَ ، ولذلك أوجبَ أن تكونَ راحلتهُ على ما وصفَ من الشدةِ والصلابةِ ؛ حتى تساعدَهُ على ما أرادَ ، **والغدوُّ** : الذهابُ أولَ النهارِ ، **والرَّواحُ** : الذهابُ في آخرِهِ ، **والتأويُّ** : السيرُ نهاراً ، **والإدلاجُ** : السيرُ ليلاً ، **والخرجُوجُ** - كعُصفورٍ - : الصلبةُ ، **والقَتْدُ** - بفتحِينِ - : عُدَّةُ الراحلةِ ، **والأبلقُ** : ذو اللونينِ ، **والمُغْرَبُ** - على زنةِ اسمِ المفعولِ - : الأبيضُ كلُّهُ ، **والأقْبُ** : الضامرُ **ورباعُ** : منقوصٌ ؛ إذا نصبتهُ . . أظهرتِ الياءُ ؛ فقلتُ : ركبتُ رباعياً ؛ وهو الذي أُسقطَ رباعيتهُ ، وزنةُ الكلمةِ : ثَمَانٍ وَثَمَانِيَّةٌ ، **مِنْ حَمِيرٍ عَمَايَةٍ** : جبلٌ بناحيةِ نجدٍ تُعرفُ حميرُهُ بالشدةِ ، **واللُّعاعُ** - كغُرَابٍ - : نبتٌ ناعمٌ في أوَّلِ ما يبدو ، والمحنةُ : ما انعطَفَ مِنَ الوادي ، وهو أخصبُهُ ، ولذلك قالَ : إنَّ نبتَهُ علا ، وكانَ كالشجرِ المُسمَّى بالضَّالِ ، ووصفُهُ بكونِهِ موفراً . . لم ينزلهُ الناسُ حتى يرعَوْا نباتَهُ ، فهو على جانبٍ بحيثُ يمرُّ عليه الناسُ مروراً ، ويَبَيِّنُ ذلكَ في قولِهِ : ( ممرٌ جيوشٍ غانمينِ وخِيَبٍ ) أي : جيوشٍ خِيَبٍ ، فالغانمُ فرحٌ بالقُفولِ إلى أهْلِهِ ، فهو لا يُعْرِجُ على مكانٍ ، والخائبُ ساعٍ ليغنمَ ، وإذا كانَ حالُ الموضعِ ذلكَ . . وجدتِ الحميرُ مرعىً رعداً ، فنمتْ أجسامُها ، وتزايدتْ قواها .

**وقوله :** ( قد أغتدي . . . ) البيت ، هو وقتُ الخروجِ إلى الصَّيدِ ، وله كانتْ شبابُ العربِ المُترفونَ يَستعملونَ الخيلَ ، ويذكرونَ ذلكَ في عدادِ ملاذِّهِم ، **والمِذْنَبُ** - كمنبرٍ - : مسيلُ الماءِ إلى الأرضِ ، كالمزرعةِ والبستانِ .

**وقوله :** ( بمنجرد ) **المنجرد :** قصير الشعر ، وذلك محمود في الخيل ،  
**وقيد الأوابد ؛** وهي الوحش ، جمع أبدع : استعارة معدودة من حسنات امرئ  
القيس ، **ولاحه :** غيرة من السمن إلى الضمور ، **والطراذ :** الاتباع ، **والهوادي :**  
السوابق ، جمع هادية ؛ كأنها دليلة ما وراءها ، وفي قوله : ( طراذ الهوادي )  
إبانة لحسن طلبه ، وأنه فات الوحش ، وأتاه من قبل وجهه ، فمنعها السلوك  
إلى وجهتها ، **والشأؤ :** الطلق يجريه الفرس إلى غاية ما ، قرئت أو بعدت ،  
ولذلك قيّد بالمغرب ؛ وهو البعيد .

**وقوله :** ( على الأين ... ) البيت ، **الأين :** التعب ، **والجيشان :** غليان  
القدر ، وفي الفرس : هيجانه نشاطاً ووفور قوة ، **وسراة كل شيء :** أعلاه ،  
حتى في الناس ، قال قيس<sup>(١)</sup> :

وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا      تَنْفَحُ بِأَلْمِسِكِ أَرْدَانُهَا  
**والسرحة :** واحدة السرح ؛ الشجر لا شوك فيه ، ويقابله العضة للشجر  
الشائك ، **والمَرَقَب :** الموضع يُرَقَب منه ، وكانوا يرقبون في الشجر العالي  
الكثير الفروع ، ولهذه الصفة قيّد السرحة ليظهر الفرس في صورة عظمه التي  
يحاول نعتها .

**وقوله :** ( يباري ) **المباراة :** المسابقة ، **وأصله :** أن من يبري القوس يغالب  
آخر في عجلة العمل ، **والخنوف :** اللين القوائم بحيث يرمي بها في العدو  
رمياً ؛ يريد : ثوراً وحشياً ؛ وهو معروف بشدة العدو ، **والزمامع :** جمع زمعة  
بفتحيتين ؛ شعر يكون في أسفل الأرجل ، **واستقلاله :** ارتفاعه ؛ فإنه إذا  
طال .. عطل عن شدة الجري ، **وعود المشجب :** خشب ينصبه القصائر ينشر  
عليه الثياب ، والمشجب بزنة منبر .

(١) انظر « ديوان قيس بن الخطيم » ( ص ٦٩ ) .

**وقوله:** ( له أَيْطَلَا ظَبِيّ ... ) البيت ، **الْأَيْطَلُ** : الجانب ، **وَالصَّهْوَةُ** : موضعُ  
الراكِبِ مِنَ الْفَرَسِ ، وقَصَرَ في هَذَا الْبَيْتِ عَنْ بَيْتِ الْمُعْلَقَةِ ؛ حَيْثُ أَتَى فِي  
ذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ تَشْبِيهَاتٍ ، وَبَيْتِ الْمُعْلَقَةِ <sup>(١)</sup> :

لَهُ أَيْطَلَا ظَبِيّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلٍ  
**وتتفل:** بَزَنَةٌ تَنْصُرُ ، وَأَتَى هُنَا بِثَلَاثَةِ تَشْبِيهَاتٍ ، كُلُّهَا فِي الْجِسْمِ .

**وقوله:** ( ويخطو ... ) البيت ، **الْحَافِزُ الْأَصْمُ** : الَّذِي لَا خَلَوَ فِيهِ ، وَمِنْهُ :  
الصَّخْرَةُ الصَّمَاءُ ، **وَالْغَيْلُ** - بَفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ - : الْمَاءُ يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ،  
**وَالْوَارِسَاتُ** : جَمْعُ وَارِسَةٍ ؛ أَي : ذَاتِ وَرَسٍ ، وَهُوَ بَفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ ؛ نَبْتُ أَصْفَرٍ  
يَصْبُغُ بِهِ كَالزَّعْفَرَانِ ، وَالْحِجَارَةُ إِذَا تَلَوَّنَتْ بِهَذَا اللَّوْنِ .. كَانَتْ [ قَدْ ] قَدِمَتْ  
وَبَلَغَتْ الْغَايَةَ فِي الصَّلَابَةِ .

**وقوله:** ( له كفلٌ ... ) البيت ، **الدِّعْصُ** - بِكَسْرِ فَسْكَوْنٍ - : أَكْمَةٌ صَغِيرَةٌ  
مِنَ الرَّمْلِ تُشَبَّهُ بِهَا الْأَكْفَالُ ، وَاسْتَعْمِلَتْ فِي غَزَلِ الْعَرَبِ ، وَقَلَّدَهُمْ غَيْرُهُمْ ،  
**وَالْحَارَكُ** : طَرَفُ الْوَرِكِ الْمَشْرِفُ مِنْ أَعْلَاهُ ، **وَالْغَبِيطُ** : قَتَبُ الْهُودَجِ ، **وَالْمَذَابُ** :  
الَّذِي لَهُ أَطْرَافٌ بَارِزَةٌ مُشْرِفَةٌ .

**وقوله:** ( وعينٌ ... ) البيت ، **الصَّنَاعُ** لِلْأُنْثَى ، وَلِلذَّكَرِ : صَنَعٌ بَفَتْحَتَيْنِ ؛  
مِنَ الصَّنْعَةِ لِلْحَاقِيقِ وَالْحَاقِظَةِ فِيهَا ، **وَمِرَاةُ الصَّنَاعِ** : مَشُوفَةٌ مُجَلَّوَةٌ ، لَيْسَ  
عَلَيْهَا صَدَأٌ وَلَا غَبَارٌ كَمَا تَكُونُ مِرَاةُ الْخِرْقَاءِ ، **وَالْمَحْجَرُ** : بَفَتْحٍ الْمِيمِ وَكَسْرِ  
الْجِيمِ فِي لُغَةٍ ، وَفِي أُخْرَى بَزَنَةٌ مِنْبَرٍ ، وَفِي تَفْسِيرِهِ خِلَافٌ ؛ أَهْوَا مَا بَانَ مِنْ  
أَسْفَلِ الْعَيْنِ ، أَوْ الْبَيَاضُ الْمَحِيطُ بِالسَّوَادِ ؟ **وَالنَّصِيفُ** : الْخِمَارُ .

**وقوله:** ( له أذنان ... ) البيت ، **الْعَتَقُ** : كَرُمُ الْأَصْلِ وَالنَّجَابَةُ ، وَأَذَانُ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٢١ ) .

أصلاء الخيلِ صغارٌ منتصباتٌ ، تُشَبَّهُ بِالْأَلَّةِ ؛ أي : الحربة ، وبورقِ الآسِ ،  
وبريةِ القلمِ ، **والربربُ** : جماعةُ الظَّباءِ ، والمذعورةُ تنصبُ أذنيها وترفعُ  
رأسها ، **والعتقُ** : بكسرِ فسكونٍ .

**وقوله** : ( ومستفلِكُ الدِّفرى ... ) البيت ؛ أي : ذفراه ؛ وهو العظمُ خلفَ  
الأذنِ مستديرةٌ كفلَكَةِ المِغزَلِ ، **والمثناةُ** : عِذارُ الفرسِ ، **والمُشدَّبُ** : المُجرَّدُ  
عنِ الأشياءِ الناتئةِ عليه .

**وقوله** : ( وأسحُمُ ... ) البيت ، **السُّحمةُ** : السوادُ ، يصفُ ذنبَهُ ، **والعسيبُ** :  
منبتُ شعرِهِ ، **والعناكيلُ** : جمعُ عُثْكَولٍ ؛ شماريخُ البلحِ ، **والقنؤُ** : مجموعُها ،  
**وسميحةُ** : ناحيةٌ بها نخلٌ ، ولعلَّهُ لَهُ خصوصيةٌ حتى قَيَّدَ بِهِ ، وقَيَّدَ بالمرطَبِ  
لسوادِ الذنبِ ، فيتمُّ التشبيهُ .

**وقوله** : ( إذا ما جرى ... ) البيت ، **أَنَابُ** : شجرٌ للريحِ فيه حفيفٌ ، وهو  
بفتحِ الهمزتين .

**وقوله** : ( يديرُ قطاةً ... ) البيت ، **القطاةُ** : مقعدُ الرديفِ ، **والمحالةُ** :  
بكرةُ البئرِ ، **والسَّندُ** هنا : أرادَ بِهِ الحاركُ ، أعادَ وصفَهُ .

**وقوله** : ( فيوماً على سِرْبٍ ... ) البيت ، **السِّرْبُ** - بكسرِ فسكونٍ - : القطيعُ  
مِنَ البقرِ ، والجماعةُ مِنَ الطيرِ ، **والبيدانةُ أُمُّ التَّوَلَبِ** : الأتانُ أُمُّ الجحشِ ،  
والتَّوَلَبُ بسكونٍ بينَ فتحَينِ .

**وقوله** : ( فلأياً بلأى ) **اللأى** : البطءُ ، **والمُجنَّبُ** : مِنَ التحنيطِ ؛ وهو  
احديدابٌ في وظيفيِ الفرسِ وصلبِها ، **أو المُحنَّبُ** : مِنَ التحنيطِ ؛ وهو بُعْدُ  
ما بينَ الرجلينِ بلا فحجٍ .

**وقوله** : ( وولَّى كشؤوبِ العشيِّ ... ) البيت ، **شؤبوبُ العشيِّ** : الدفعةُ مِنَ

المطر، ويُقال: وبل؛ أي انهمل، ووصف البقر بشدة العدو، حتى إنها تثير التراب الندي المتلبّد، ولا يثير ذلك إلا قوّة الرّكض بالأظلاف، **والمُنصّب**: المرتفع كالخباء.

**وقوله**: (فللساق...) البيت، قسم العدو بأقسامه، **والأهوج المنعب**: الطائر الذي اعتاد النعيب؛ أي: التصويت، وهو بزنة منبر، ويروى: (أخرج مذهب) وهو من صفة النعام.

**وقوله**: (تري الفأر...) البيت وما بعده، يقول: إنّه يخرج الفيران إلى اليفاع فتكون ظاهرة، وهو معنى **لاحب**، **وخفاهن**: أظهرهنّ، **والأنفاق**: جمع نفق؛ شقوقها، **والودق**: المطر، **والمجلّب**: اسم فاعل؛ أي: ذو جلبات وأصوات، **وحاصلهُ**: أن الفئران تظنّه عند مرّه مطراً، فتخرج من مطمئن الأرض إلى مرتفعها تطلب السلامة منه.

**وقوله**: (فعادى...) البيت، **عادى بين الشيئين**: والى بينهما، **والشّبوب**: الفتى، **والقضيمة**: الصّحيفة البيضاء، وثيران الوحش بيض، **والقرهب هنا** - بسكون بين فتحين - : البدين.

**قوله**: (وظل لثيران) **المداعسة**: موالاة الطّعن، **والسمّهري**: من ألقاب الرمح، **والمعلّب**: اسم مفعول من علب الرمح؛ إذا لفّ عليه سيراً متخذاً من علباء البعير؛ وهو عصب عنقه؛ تقوية له ألا ينشق.

**وقوله**: (فكأب على حرّ الجبين...) البيت، **كبا**: سقط لوجهه، **والمدرية**: أراد بها هنا القرن، [ **والذلّق** ]: الطرف، **والمشعب**: ما يُشعب به الجلد المشقوق.

**وقوله**: (وقلت لفتيان...) البيت، **فعالوا**؛ أي: فنزلوا فنصبوا لنا خباءً.



**وقوله :** ( وأوتأده ) وما بعده ، يذكر أن ذلك الخباء قام من ثيابهم وسلاحهم ، وكذلك يفعلون إذا كانوا في الصيد ، **والمادية :** الدرع البيضاء أو اللينة ، **ورديئة :** من ألقاب الرماح ، **وقعضب :** اسم رجل كان يركب أسنة الرماح ، **والأشطان :** جمع شطن ؛ الحبال ، **والخوص :** جمع خوصاء ؛ غائرة العين ، **وصهوة الخباء :** أعلاه .

**والأتحمي المشرع :** نوع من الثياب الفاخرة فيه تماثيل الشرع - بسكون بين فتحين - لنبات ، ويقال : ثوب مطير ومخيل ومرحل ؛ إذا رسم فيه تماثيل تلك الأشياء .

**وقوله :** ( فلما دخلناه ... ) البيت ، **أضاف ظهره ؛** أي : أسنده .

**والحاري :** المنسوب إلى الحيرة ، ويقال : حيري على القياس ، وأراد به الرجل المصنوع بها ، **والمشط :** الذي فيه الشطب ؛ جمع شطبة بضم أو كسر فسكون ؛ للخطوط والطرائق ، وتذكر في صفة السيف ؛ لما فيه من الخطوط .

**وقوله :** ( كأن عيون الوحش ... ) البيت ، **الجرع :** نوع من خرز اليمن فيه خطوط ، قيل : إن عيون البقر وهي حية ترى سوداء لا يظهر فيها البياض ، فإذا ماتت .. ظهر .

**وقوله :** ( نمش بأعراف الجياد ... ) البيت ، **مش الكف :** مسحها من أثر الطعام ، والمشوش - بفتح الميم - : ما يمسح به ؛ كالمنديل ، **والمضهب :** الذي أعجل أن ينضج .

**يحاكي :** أن عبد الملك سأل جلساءه يوماً عن أفضل مناديل العرب ، فكل ذكر مناديل ناحية من نواحي الأرض ونعتها ، فلما فرغوا .. قال عبد الملك : لم تصيبوا ، ألم تسمعوا لقول الشاعر - وفي الأبيات بيان المعنى الذي قصده

امرؤ القيس<sup>(١)</sup> - :

[ من البسيط ]

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلًّا أَخْبِيَةً      وَفَارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَوْمِ الْمَرَاجِيلُ  
وَرَدُّ وَأَشَقَرُّ مَا يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ      مَا غَيَّرَ الْغَلْيُ مِنْهُ فَهُوَ مَا أَكُولُ  
ثَمَّتَ قُمْنًا إِلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ      أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

**وقوله:** ( ورحنا ... ) البيت ، **جُؤائِي** - كُجبارِي - : قريةٌ يُحْمَلُ منها التمرُ ، **ونُعالي** : نرفعُ رفعَ الحملِ ، وجعلَ الحملَ بينَ عدلٍ - وهو الموضوعُ على ظهرِ الحاملةِ - وجانبَيْها ، **والمُحَقَّبُ** : الموضوعُ على مؤخرِها .

**وقوله:** ( وراحَ كَتِيسِ الربلِ ... ) البيت ، **الربلُ** : نبتٌ يظهرُ في آخرِ الصَّيفِ ينبُتُ على بردِ الليلِ ، لا يحتاجُ للماءِ ، وهو يفتحُ فسكونٍ ، والتيسُ إذا رعاهُ بعدَما رعى نباتَ الصَّيفِ .. يكونُ في أوفرِ قُوَّتِهِ ، **وأداةٌ به** ؛ أي : مِنْ أذِيَّةٍ فِيهِ يَنْفُضُهُ ، وَإِنَّمَا يَتَأَذَّى مِنَ الْعَرَقِ الْمُتَغَيَّرِ ؛ وَهُوَ الصَّائِكُ ، **الْمُتَحَلِّبُ** : الْمُتَصَبِّبُ .



(١) انظر « معاهد التنصيص » ( ١٠٣/١ ) ، عزاها لأخي بني سعد عبدة بن الطبيب .

## [ قصيدةُ علقمةَ الفحل ]

وهذه قصيدةُ علقمةَ<sup>(١)</sup> :

[ من الطويل ]

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ      وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ  
لِيَالِي لَا تَبْلَى نَصِيحَةً بَيْنَنَا      لِيَالِي حَلُّوا بِالسِّتَارِ فَعُزِّبِ  
أَيُّ : اذكري ليالي لا تُمتَحَنُ نَصِيحَةُ بَيْنَا ؛ لَخُلُوصِهَا ؛ يَعْنِي : لِيَالِي  
التصافي ، يَحْتُهَا عَلَى بَقَاءِ الْوَفَاءِ .

مُبْتَلَةٌ كَأَنَّ أَنْضَاءَ حَلِيهَا      عَلَى شَادِنٍ مِنْ صَاحَةِ مُتْرَبِّبِ  
مَحَالٌّ كَأَجَوَازِ الْجَرَادِ وَلَوْلُؤُ      مِنْ الْقَلَقِيِّ وَالْكَبِيسِ الْمُلوَّبِ  
**المُبْتَلَةُ** : التي انفردت بالحسن ، فهي تُذَكِّرُ وحدها في النعت  
والصفة ، وشبَّهها بالغزال المترعرع مِنْ غِزْلَانِ ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُتْرَبِّبِ ؛  
أَيُّ : الْمُرَبَّى الْمُعْتَنَى بِهِ ، **وَأَنْضَاءُ الْحَلِيِّ** : منظومُهُ ، وَفَصَّلُهُ بِقَوْلِهِ :  
( مَحَالٌّ ) بِفَتْحِ الْمِيمِ ؛ لِنَوْعِ مِنَ الْحَلِيِّ ، وَكَذَا الْقَلَقِيُّ وَالْمُلوَّبُ ؛ الْمَلُوءُ  
كَالسَّوَارِ .

إِذَا أَلَحَمَ الْوَأَشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنَا      تَبَلَّغَ رَمْسُ الْحُبِّ غَيْرَ الْمُكَدِّبِ  
هُوَ تَفْسِيرٌ وَبَيَانٌ لِقَوْلِهِ : ( لَا تَبْلَى نَصِيحَةُ بَيْنَا ) أَيُّ : إِذَا اجْتَهَدَ الْوُشَاءُ  
أَنْ يَبْلُغُوا مَا رَبَّهُمْ . . تَأَكَّدَ الْحُبُّ الْمَرْمُوسُ ؛ أَيُّ : الْمَكْتُومُ ، فَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ  
الصفة .

وَمَا أَنْتَ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبْعِيَّةٌ      تَحُلُّ بِإِيرٍ أَوْ بِأَكْنَافِ شُرْبِ

(١) انظر « ديوان علقمة بن عبدة » ( ص ٩ - ٢٠ ) .

عَاتَبَ نَفْسَهُ فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ وَمَا شَأْنُ ذِكْرِهَا رَبِيعَةً مِنْ رَبِيعَةٍ .

**وَإِيزْ - بكسر الهمز - وَشُرْبُ :** موضعان .

أَطَعْتَ الْوُشَاةَ وَالْمُشَاةَ بِضَرْمِهَا      فَقَدْ أَنَهَجْتَ حِبَالَهَا لِلتَّقْضِبِ  
وَقَدْ وَعَدْتِكَ مَوْعِدًا لَوْ وَفَّتْ بِهِ      كَمْوَعُودِ عُرْقُوبِ أَخَاهُ بِيَتْرَبِ  
وَقَالَتْ مَتَى [ يَبْخُلُ ] عَلَيْكَ وَيَعْتَلِلُ      يَسُوكُ وَإِنْ يَكْشِفْ غَرَامَكَ تَذَرِبِ  
فَقُلْتُ لَهَا فَيَيْي فَمَا تَسْتَفِرُّنِي      ذَوَاتُ الْعُيُونِ وَالْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ  
فَفَاءَتْ كَمَا فَاءَتْ مِنَ الْأَدَمِ مُغْزِلُ      بَبِيشَةَ تَزْعَى فِي أَرَاكِ وَحُلْبِ  
تخاشنَ في هذه الأبيات ، وذكرَ أَنَّهُ جازاها بعملِها ، فأعرضَ كما  
أعرضتُ ، وأجابها على مثل ما ابتدأتُ .

فَعِشْنَا بِهَا مِنَ الشَّبَابِ مُلَاوَةً      فَأَنْجَحَ آيَاتِ الرَّسُولِ الْمُخَبِّبِ  
التفتَ للإخبارِ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مُدَّةُ الشَّبَابِ .

**وَالْمُلَاوَةُ :** المدة .

فَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ      بِمِثْلِ بُكُورٍ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبِ  
بِمُجْفَرَةِ الْجَنْبَيْنِ حَرْفٍ شِمْلَةٍ      كَهَمِّكَ مِرْقَالٍ عَلَى الْأَيْنِ ذِعْلِبِ  
**كَهَمِّكَ ؛** أي : وَفَقَ غَرْضِكَ ، **وَالذِّعْلِبُ -** بكسر فسكون - : الصلبة .

إِذَا مَا ضَرَبْتُ الدَّفَّ أَوْصَلْتُ صَوْلَةً      تَرَقَّبُ مِنِّي غَيْرَ أَذْنَى تَرَقَّبِ  
**الدَّفُّ :** الجانبُ ، **وَتَرَقَّبُ ؛** أي : تلاحظُ خوفاً ورعياً تَرَقَّباً شديداً  
ليسَ بِالضَّعِيفِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ( غَيْرَ أَذْنَى ) ، وَجَمَلُ ذِي الرُّمَةِ أَحْسَنُ مِنْ  
نَاقَتِهِ هَذِهِ وَأَفْرُهُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَضْرِبْهُ وَلَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ حَيْثُ يَقُولُ وَأَحْسَنَ

يَكَادُ مِنَ التَّصْدِيرِ يَنْسَلُ كُلَّمَا

تَرَنَّمَ أَوْ مَسَّ الْعِمَامَةَ رَاكِبُهُ

[ عودٌ لقصيدةٍ علقمة ] :

بِعَيْنٍ كَمِرَاةِ الصَّنَاعِ تُدِيرُهَا

لِمَحْجَرِهَا مِنَ النَّصِيفِ الْمُنْقَبِ

كَأَنَّ بِحَاذِيهَا إِذَا مَا تَشَذَّرَتْ

عَثَاكِيلَ قَنُورٍ مِنْ سُمَيْحَةٍ مُرْطَبِ

تَذُبُّ بِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا تُمِرُّهُ

كَذَبِ الْبَشِيرِ بِالرِّدَاءِ الْمُهْدَبِ

يصفُ الذنبَ ، **والحاذان** : مواقعهُ مِنْ أدبارِ الفخذين .

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكْنَاتِهَا

وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ

بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ لَاحَهُ

طِرَادُ الْهَوَادِي كُلِّ شَأٍ مُغْرِبِ

كُمَيْتٍ كَلُونِ الْأَرْجَوَانِ نَشْرَتَهُ

لِبَيْعِ الرِّدَاءِ فِي الصُّوَانِ الْمُكَعَّبِ

مُمَرِّ كَعْفِدِ الْأَنْدَرِيِّ يَزِينُهُ

مَعَ الْعِثْقِ خَلْقٌ مُفْعَمٌ غَيْرُ جَانِبِ

لَهُ حُرَّتَانِ تَعْرِفُ الْعِثْقَ فِيهِمَا

كَسَامِعَتَي مَذْعُورَةٍ وَسَطَ رَبْرَبِ

وَجَوْفُ هَوَاءٍ تَحْتَ مَتْنٍ كَأَنَّهُ

مِنْ الْهَضْبَةِ الْخُلُقَاءِ زُخْلُوقُ مَلْعَبِ

**الْخُلُقَاءُ** : الملساء .

قَطَاةٌ كَكُرْدُوسِ الْمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ

إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمُذْأَبِ

وَسُمُرٌ يُفَلِّقْنَ الظَّرَابَ كَأَنَّهَا

حِجَارَةٌ غَيْلٍ وَارِسَاتٌ بِطُحْلَبِ

إِذَا مَا اقْتَنَصْنَا لَمْ نُخَاتِلْ بِجُنَّةِ

وَلَكِنْ نُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ أَلَا أَرْكَبِ

أَخَا ثِقَةٍ لَا يَلْعَنُ الْحَيَّ شَخْصَهُ

صَبُورًا عَلَى الْعِلَاتِ غَيْرَ مُسَبِّبِ

إِذَا أَنْفَدُوا زَادًا فَإِنَّ عَنَانَهُ

وَأَكْرَعُهُ مُسْتَعْمَلًا خَيْرٌ مِكَسَبِ



يصفُ ثقتَهُ بالفرسِ ، وأنَّهُم لا يخاتلونَ الصَّيْدَ ؛ أي : لا يختالونَ عليه ؛ لعلمِهِم أَنَّهُ يدركُهُ بشِدِّهِ ، وجعلَهُ أخاً ثقةً يستبشِرُ بهِ الناسُ ولا يسبونُهُ ؛ ليمْنِهِ وبركتِهِ ، وأنَّهُ في جميعِ الأحوالِ صابِرٌ ، وأوضحَ ذلكَ بذكرِ أَنَّهُ خيرٌ مِكَسَبٍ - أي : كاسبٍ بزِنَةِ مَنبَرٍ - إذا استعملوهُ وصرفوهُ بعِنايِهِ ، فعملتُ أرجلُهُ عملَها ، ونسبَ الكسبَ إلى العِنايَةِ والقوائمِ التي عَبَّرَ عنها بالأكرع .

رَأَيْنَا شِيَاهَا يَزْتَعِينَ خَمِيلَةَ      كَمْشِي الْعَذَارَى فِي الْمَلَأِ الْمُهْدَبِ  
فَبَيْنَا تَمَارِينَا وَعَقْدُ عِذَارِهِ      خَرَجْنَ عَلَيْنَا كَالْجُمَانِ الْمُثْقَبِ  
**أَرَادَ أَنْ يَقُولَ :** المنظمُ ؛ لكونِها متتابعةً متواصلةً ، تشبهُ العقدَ ، ولم يَتِمَّكَّنْ ، فَعَبَّرَ بِالْمُثْقَبِ اللّازِمِ لِإِمْكَانِ النِّظْمِ ، وهذا الذي يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْبَدِيعِ :  
**الطاعةُ والعصيانُ .**

فَأَتْبَعَ آثَارَ الشَّيَاهِ بِصَادِقٍ      حَيْثُ كَغَيْثِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ  
فَأُذِرْكَ مِنْهَا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ      يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ  
تَرَى أَلْفَارَ فِي مُسْتَيْفَعِ الْقَاعِ لَا نَحَاً      عَلَى جَدَدِ الصَّخْرَاءِ مِنْ شِدِّ مُلْهَبِ  
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا      تَخَلَّلَهُ شُؤْبُوبُ غَيْثٍ مُنْقَبِ  
فَظَلَّ لِثِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ      يُدَاعِسُهُنَّ بِالنَّضِيِّ الْمُعَلَّبِ  
فَهَاوٍ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَمُتَّقٍ      بِمَذْرِيَةٍ كَأَنَّهَا ذَلْقُ مِشْعَبِ  
وَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ نَوْرٍ وَنَعْجَةٍ      وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهَبِ  
فَقُلْنَ أَلَا قَدْ كَانَ صَيْدٌ لِقَانِصٍ <sup>(١)</sup>      فَخَبُّوا عَلَيْنَا فَضْلَ بُرْدِ مُطَنَّبِ

(١) في « ديوان علقمة بن عبدة » ( ص ١٨ ) : ( فقلنا ) بدل ( فقلن ) .

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ حَبَائِنَا      وَأَرْحُلِنَا أَلْجَزُعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ  
وَرُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جُوَاثِي عَشِيَّةٍ      نُعَالِي النِّعَاجَ بَيْنَ عِذْلِ وَمُحَقِّبِ  
وَرَاخَ كَشَاةٍ [الرَّبْلِ] يَنْفُضُ رَأْسَهُ      أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحَلِّبِ  
وَرَاخَ يُبَارِي فِي [الْجَنَابِ] قُلُوصَنَا      عَزِيزاً عَلَيْنَا كَالْحُبَابِ الْمُسَيِّبِ

فانظر كيف تناول هذان الشاعران تلك المعاني متناولاً واحداً ، لا تفاوتَ  
بينهما إلا في اليسير كما يُدرَكُ بتدقيقِ النظرِ والتلَبُّثِ في المقارنةِ بينَ  
شعريهما ، وتبيُّنُ ذلكَ بما تواردا عليه مِنَ الأبياتِ الكاملةِ ، وتأملُ ذلكَ نافعٌ  
إن شاء الله تعالى .



## [ مرثية محمد بن كعب الغنوي في أخيه ]

وَمِنْ جِدِّ شَعْرِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : مرثية محمد بن كعب الغنوي التي يرثي بها  
أخاه ؛ وهي <sup>(١)</sup> :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَبْسِيِّ قَدْ شَبَّتَ بَعْدَنَا	وَكُلُّ أَمْرٍ بَعْدَ الشَّبَابِ يَشِيبُ
وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا غَائِبًا كَانَ جَائِيًا	وَمَا الْقَوْلُ إِلَّا مُحْطِئٌ وَمُصِيبٌ
تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا	كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَبِيبٌ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَغَيِّ الْجَوَابَ وَلَمْ أَنْحُ	وَلِلدَّهْرِ فِي الصَّمِّ الصَّلَابِ نَصِيبٌ
تَتَابُعُ أَحْدَاثٍ تَخْرَمُنْ إِخْوَتِي	فَشَيْبَنَ رَأْسِي وَالْخُطُوبُ تُشِيبُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةٌ	أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شُعُوبٌ
لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرُوحٌ	عَلَيْهِ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبٌ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاخِشْ عِنْدَ رِبِيَّةٍ	وَلَا وَرَعْ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبٌ
أَخِي كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينُنِي	عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ الْجَهْلِ أُطْلِقَتْ	حُبِّي الشَّيْبُ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبٌ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي حِلْمًا وَنَائِلًا	وَلَيْتُ إِذَا يَلْقَى الْعِدَاةَ غَضُوبٌ
هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا	وَمَاذَا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يُوُوبُ
هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ	مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَنُوبُ
أَخُو شَتَوَاتٍ يَعْلَمُ [ الصَّيْفُ ] أَنَّهُ	سَيَكْثُرُ مَا فِي قَدْرِهِ وَيَطِيبُ

(١) انظر « جمهرة أشعار العرب » ( ٧٠١/٢ - ٧١٠ ) .

حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ  
 [ كَأَنَّ ] بُيُوتَ الْحَيِّ مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا  
 كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ يَكُنْ  
 إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَا  
 جَمُوعٌ خِلَالَ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 مُفِيدٌ مُلْقَى الْفَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ  
 وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى  
 فَقُلْتُ أَدْعُ أُخْرَى وَأَرْفَعِ الصَّوْتُ ثَانِيًا  
 يُجِيبُكَ بِمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ أَنَّهُ  
 أَتَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى  
 كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَدْعُو السَّوَابِحَ مَرَّةً  
 فَتَى أَرِيحِي كَانَ يَهْتَرُ لِلنَّدَى  
 فَتَى مَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ  
 إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا  
 عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرِّجَالُ رُزْنُهُ  
 حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ  
 غِيَاثٌ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ  
 عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبٌ فَنَاوُهُ

جَمِيلُ الْمُحَيَّا شَبٌّ وَهُوَ أَدِيبٌ  
 بَسَابِسُ قَفَرٌ مَا بِهِنَّ عَرِيبٌ  
 إِذَا ابْتَدَرَ الْخَيْرَ الرِّجَالُ يَخِيبُ  
 تَنَاوَلَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ شَبِيبٌ  
 إِذَا حَلَّ مَكْرُوهُ بِهِنَّ ذُهُوبٌ  
 لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ كَسُوبٌ  
 فَلَمْ يَسْتَجِبْ عِنْدَ النِّدَاءِ مُجِيبٌ  
 لَعَلَّ أَبِي الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ  
 بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ الذَّرَاعِ أَرِيبٌ  
 كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ  
 بِذِي لَجَبٍ تَحْتَ الرِّمَاحِ مَهِيبٌ  
 كَمَا أَهْتَزَّ مِنْ مَاءِ الْجَدِيدِ قَضِيبٌ  
 إِذَا نَالَ خَلَاتِ الْكِرَامِ شُحُوبٌ  
 فَلَمْ تُنْطِقِ الْعَوْرَاءُ وَهُوَ قَرِيبٌ  
 وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبٌ  
 سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ  
 وَمُخْتَبِطٌ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبٌ  
 إِلَى سَنَدٍ لَمْ يَجْتَنِحْهُ عُيُوبٌ<sup>(١)</sup>

(١) يعني : تميل به عيوب .

يَبِيتُ النَّدَى يَا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعَهُ  
 حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ  
 مُعْنَى إِذَا عَادَى الرَّجَالَ عَدَاوَةً  
 غَنِينَا بِخَيْرِ حِقْبَةٍ ثُمَّ جَلَّحَتْ  
 فَأَبَقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ  
 وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّأْيَ فِي الْحَيِّ مِنْهُمْ  
 لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى  
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً  
 جَمَعْنَ النَّوَى حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الْهَوَى  
 أَتَى دُونَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ  
 كَانَ أَبَا الْمَغُورِ لَمْ يُوفِ مَرْقَبًا  
 وَلَمْ يَدْعُ فِتْيَانًا كِرَامًا لِمَيْسِرٍ  
 فَإِنْ غَابَ مِنْهُمْ غَائِبٌ أَوْ تَخَاذَلُوا  
 كَانَ أَبَا الْمَغُورِ ذَا الْمَجْدِ لَمْ تَجُبْ  
 عِلَاةٌ تَرَى فِيهَا إِذَا حُطَّ رَحْلُهَا  
 وَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقُ  
 فَتَى الْحَرْبِ إِنْ حَارَبْتُ كَانَ سِمَامَهَا  
 وَحَدَّثْتُمَانِي إِنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حُلُوبٌ  
 مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبٌ  
 بَعِيدٌ إِذَا عَادَى الرَّجَالَ قَرِيبٌ  
 عَلَيْنَا الَّتِي كُلُّ الْأَنَامِ تُصِيبُ  
 لِآخِرِ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَذُوبٌ  
 إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبٌ  
 عَلَى نَوْمِهِ عِلْقٌ عَلَيَّ حَبِيبٌ<sup>(١)</sup>  
 إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبٌ  
 صَدَعْنَ الْعَصَا حَتَّى الْقَنَاءَ شُعُوبٌ  
 نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبٌ  
 إِذَا رَبَّاءُ الْقَوْمِ الْغُرَاةَ رَقِيبٌ  
 إِذَا أَشْتَدَّ مِنْ رِيحِ الصَّبَاءِ هُبُوبٌ  
 كَفَى ذَاكَ مِنْهُمْ وَالْجَنَابُ خَصِيبٌ  
 بِهِ الْبَيْدَ عَنَسٌ بِالْفَلَاةِ خُبُوبٌ  
 نُدُوبًا عَلَى آثَارِهِنَّ نُدُوبٌ  
 عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ كَذُوبٌ  
 وَفِي السَّفَرِ مِفْضَالُ الْيَدَيْنِ وَهُوبٌ  
 فَكَيْفَ وَهَلْذِي رَوْضَةٌ وَقَلِيبٌ

(١) في « جمهرة أشعار العرب » ( ٧٠٨ / ٢ ) : ( يومه ) .



وَمَاءُ سَمَاءٍ كَانَ غَيْرَ [مُحَمَّةٍ]      بِدَوِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبُ  
وَمَنْزِلُهُ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغِبْطَةٍ      وَمَا أَقْتَالَ مِنْ حُكْمٍ عَلَيْهِ طَبِيبُ  
فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ      بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوسُ تَطِيبُ  
بِعَيْنَيَّ أَوْ يُمْنَى يَدَيَّ وَقِيلَ لِي      هُوَ الْغَانِمُ الْجَذْلَانُ يَوْمَ يَوْوُبُ  
لَعَمْرُكَمَا إِنَّ الْبَعِيدَ لَمَّا مَضَى      وَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي غَدًا لَقَرِيبُ  
وَإِنِّي وَتَأْمِيلِي لِقَاءَ مُؤَمِّلٍ      وَقَدْ شَعَبَتْهُ عَنْ لِقَائِي شُعُوبُ  
كَدَاعِي هَدِيلٍ لَا يَزَالُ مُكَلَّفًا      وَلَاتَ لَهُ حَتَّى أَلَمَمَاتٍ مُجِيبُ  
سَقَى كُلَّ ذِكْرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤَمِّلٍ      عَلَى النَّأْيِ رَجَافُ السَّحَابِ سَكُوبُ

إن كنت معتبراً من كلامٍ صحَّه معنًى ، وتخَيْرَ لفظً ، وجودةً تركيبً ،  
ومتانةً سياقً ، وحسنَ استعارةً ، ولطفَ إشارةً ، وغرابةً نادرةً . . **فلتكنْ هذه**  
**القصيدةُ مثالكَ الذي تحتذيه** ، فما كانَ مِنْ شعرٍ مدانيّاً لها . . فذلك ما تحكُمُ  
عليه بنهايةِ الجودةِ ، وإلّا . . فهو نازلٌ بقَدْرٍ بعدهِ عن مرتبتها مِنَ البلاغةِ .



## [ قصيدةٌ مِنْ مختارِ شعرِ عُميرِ بنِ سُييمِ القطامي ]

**وَمِنْ الْجَيِّدِ :** شعرُ عُميرِ بنِ سُييمِ التغلبيّ المشهورِ بالقطاميّ ، مِنْ شعراءِ بني أُميّة أيامَ عبدِ الملكِ وما بعدهُ ، وأسلمَ عن نصرانيّةِ تغلبَ ، **وهوَ** **أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ صَرِيحَ الغواني بقوله** <sup>(١)</sup> :

[ من الطويل ]

صَرِيحُ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرُقْنَه      لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَائِبِ  
وبهذا اللقبِ لُقِّبَ مسلمُ بنُ الوليدِ بعدُ كما سيأتي <sup>(٢)</sup> .

رُويَ عن الإمامِ عامرِ الشعبيّ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ عبدُ الملكِ وأنا حاضرٌ للأخطلِ : يا أبا مالكٍ ؛ أَتَحُبُّ أَنْ لَكَ بشعرِكَ شعرَ شاعرٍ مِنَ العربِ ؟ قَالَ : اللهم لا ، إِلَّا شاعراً مَنَّا مغدَفَ القناعِ ، خاملَ الذِّكْرِ ، حديثَ السنِّ ، إِنْ يَكُنْ في أَحَدٍ خَيْرٌ . . فسيكونُ فيه ، ولوددتُ أَنِّي سبقتُهُ إِلَى قولِهِ <sup>(٣)</sup> : [ من البسيط ]

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ      مَنْ يَتَّقِينَا وَلَا مَكُنُونُهُ بِأَدِي  
فَهُنَّ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَ بِهِ      مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي  
**وَمِنْ مختارِ شعرِهِ هَذِهِ القصيدةُ** <sup>(٤)</sup> :

[ من البسيط ]

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ      وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ  
أَتَى أَهْتَدَيْتَ لِتَسْلِيمِ عَلَى دَمَنِ      بِالْغَمْرِ غَيْرَهُنَّ الْأَعْصُرُ الْأَوَّلُ  
صَافَتْ تَمَعَّجَ أَغْنَاقُ السَّيُولِ بِهَا      مِنْ بَاكِرٍ سَبِطٍ أَوْ رَائِحٍ يَبِلُ

(١) انظر « ديوان القطامي » ( ص ٢٨٠ ) .

(٢) انظر ( ١٨٣/٤ ) .

(٣) انظر « ديوان القطامي » ( ص ٢٠٥ ) .

(٤) انظر « ديوان القطامي » ( ص ١٩١ - ٢٠١ ) .

فِيهِنَّ كَالْخِلَلِ الْمُوشِي ظَاهِرَهَا  
كَانَتْ مَنَازِلَ مِنَّا قَدْ نَحَلُ بِهَا  
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ  
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ  
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ  
قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَتِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ  
سَمِعَ أَعْرَابِيٍّ مَنشُدًا يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ ، فَقَالَ : قَدْ ثَبَّطَ هَذَا النَّاسَ ، هَلَّا  
قَالَ عَلَى أَثَرِهِ :

وَرُبَّمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ بُطُوهُمْ      وَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَجَلُوا  
**وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى :** فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « مَنْ تَأَنَّى . . أَصَابَ أَوْ كَادَ ،  
وَمَنْ أَسْتَعْجَلَ . . أَخْطَأَ أَوْ كَادَ » <sup>(١)</sup> ، رَجَعَ :

أَضَحَتْ عَلَيْهِ يَهْتَاجُ الْفُؤَادُ لَهَا  
بِكُلِّ مُخْتَرِقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ  
يُنْضِي الْهَجَانَ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهَا  
حَتَّى تَرَى الْحُرَّةَ الْوَجْنَاءَ لَا غَبَةَ  
خُوصًا تُدِيرُ عُيُونًا مَاؤُهَا سَرَبٌ  
لَوَاغِبِ الطَّرْفِ مَنْقُوبًا مَحَاجِرُهَا  
**قَلِيبٌ مَكُولٌ :** غَاضَ مَاؤُهُ .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ٣١٠/١٧ ) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

تَرْمِي الْفَجَاجَ لَهَا الرُّكْبَانُ مُعْتَرِضًا  
يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا أَلْعَاجَازُ خَاذِلَةٌ  
فَهُنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رِمَضٌ  
يَتَّبَعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا  
لَمَّا وَرَدْنَ نَبِيًّا وَأَسْتَتَبَ بِنَا  
عَلَى مَكَانٍ غِشَاشٍ لَا يُنِيخُ بِهِ

**غِشَاشٌ** - بكسر أوله - : عجلةٌ ؛ أي : على مكانٍ مخوفٍ يُطَلَبُ النجاةُ منه ، وكانوا في السفرِ يُغَيِّرُونَ أحمالَ الإبلِ يرونَ في ذلكَ بعضَ راحةٍ لها .

ثُمَّ أَسْتَمَرَّ بِهَا الْحَادِي وَجَنَّبَهَا  
حَتَّى وَرَدْنَ رَكِيَّاتِ الْغُوبِرِ وَقَدْ  
وَقَدْ تَعَرَّجْتُ لَمَّا أَرَكْتُ أَرْكَأَ  
ذَاتَ الشِّمَالِ وَعَنْ أَيْمَانِنَا الرَّجُلُ

**أَرَكْتُ** : أَكَلْتُ الْأَرَاكَ ، بوزنٍ سحابٍ ، وجمعه : أَرَكٌ كَسُحِبٍ ، **وَالرَّجُلُ**  
- بزنةٍ عَنَبٍ - : جمعُ رِجْلَةٍ بكسرٍ فسكونٍ ؛ مسيلُ الماءِ مِنَ الْحَرَّةِ إِلَى السَّهْلِ .

عَلَى مُنَادٍ دَعَانَا دَعْوَةً كَشَفَتْ  
سَمِيعَتَهَا وَرَعَانُ الطُّودِ مُعْرِضَةٌ  
عَنَّا النُّعَاسَ وَفِي أَعْنَاقِنَا مَيْلُ  
مِنْ دُونِهَا وَكَثِيبُ الْغَيْبَةِ السَّهْلُ

**أَرَادَ بِالْمُنَادَى** : الشَّوْقَ ، خَيْلُهُ دَاعِيَا يَسْمَعُهُ ، **وَالْغَيْبَةُ** - بفتحٍ فسكونٍ - :  
واحدُ الْغَيْبِ ؛ لِلْمَطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ .

فَقُلْتُ لِلرَّكْبِ لَمَّا أَنْ عَلَا بِهِمْ  
الْمَحَّةُ مِنْ سَنَا بَزْقٍ رَأَى بَصْرِي  
مِنْ عَنْ يَمِينِ الْمُحَيَّا نَظْرَةً قَبْلُ  
أَمْ وَجْهُ عَالِيَةٍ اخْتَالَتَ بِهِ الْكِلَلُ  
رِيحُ الْخُرَامَى جَرَى فِيهَا النَّدَى الْخَطِلُ

**عُلاوتنا ؛ أي : في علاوتنا ؛ وهي المكان المرتفع .**

وَقَدْ أَبَيْتُ إِذَا مَا شِئْتُ بَاتَ مَعِي  
وَقَدْ تُبَاكِرْنِي الصُّهْبَاءُ تَرْفَعُهَا  
أَقُولُ لِلْحَرْفِ لَمَّا أَنْ شَكَتُ أَصْلًا  
**المتّ : المد ، والنبيّ : الشحم .**

إِنْ تَرْجِعِي مِنْ أَبِي عُمَانَ مُنْجِحَةً  
أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَا يَحْزُنُكَ شَأْنُهُمْ  
أَمَّا قَرِيشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمْ أَبَدًا  
أَلَا وَهُمْ جَبَلُ اللَّهِ الَّذِي قَصُرَتْ  
قَوْمٌ هُمْ نَبَتُوا الْإِسْلَامَ وَأَمْتَنَعُوا  
مَنْ صَالَحُوهُ رَأَى فِي عَيْشِهِ سَعَةً  
كَمْ نَالَنِي مِنْهُمْ فَضْلٌ عَلَى عَدَمٍ  
وَكَمْ مِنَ الدَّهْرِ مَا قَدْ ثَبَّتُوا قَدَمِي  
فَلَا هُمْ صَالَحُوا مَنْ يَبْتَغِي عَنِّي  
هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ

فَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْمُسْتَنْجِحِ الْعَمَلُ  
إِذَا تَخَطَّاءَ عَبْدَ الْوَاحِدِ الْأَجَلُ  
إِلَّا وَهُمْ خَيْرٌ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ  
عَنْهُ الْجِبَالُ فَمَا سَاوَى بِهِ جَبَلُ  
قَوْمِ الرَّسُولِ الَّذِي مَا بَعْدَهُ رُسُلُ  
وَلَا تُرَى مَنْ أَرَادُوا ضَرَّهُ يَسِيلُ  
إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ الْإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ  
إِذْ لَا أَزَالُ مَعَ الْأَعْدَاءِ أَنْتَضِلُ  
وَلَا هُمْ كَذَرُوا الْخَيْرَ الَّذِي فَعَلُوا  
وَالْأَخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ

هذه القصيدة والتي قبلها من تسع وأربعين قصيدة كل سبع منها مُسمّاة  
باسمِ انتخبتهما العربُ وسمّتها به ، وجميعها في كتاب « الجمهرة » ، وهو  
موجودٌ بدارِ الكتبِ الكبيرةِ المصونة ، فمن أرادها . . فليطلبها هنالك .





## [ مِنْ شَعْرِ جَرِيرِ وَالْفَرَزْدَقِ ]

**وَمِنْ الْجَيِّدِ أَيْضاً :** شعرُ جريرٍ ، وإليه وإلى الفرزدقِ والأخطلِ انتهتِ الشهرةُ في أيامِ بني أميةَ ، حتى كثرَ اختلافُ العلماءِ في المفاضلةِ بينهم واحتجاجُهم لذلك .

**فَمِنْ شَعْرِ جَرِيرٍ :** قوله - وهو نهايةُ في الرقةِ والسلاسةِ ، وكان الفرزدقُ يقولُ إذا سمعَ لجريرٍ مثلَ هذا : ما أحوجُهُ إلى خشونةِ شعري على عَفْتِهِ ، وأحوجَني إلى رقةِ شعره على فُجوري !! فإنَّ المغازلةَ لم تكنْ مِنْ شأنِ جريرٍ كما كانَ الفرزدقُ - **هذه القصيدةُ (١) :** [ من الكامل ]

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يُجِبْنَ حَزِينَا	أَصِمْنَنْ أَمْ قَدَمَ أَلْمَدَى فَبَلِينَا
قَفَرًا تَقَادَمَ عَهْدُهُنَّ عَلَى أَلْبَلَى	فَلَبِثْنَ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ سَنِينَا
وَتَرَى [ أَلْعَوَازِلَ ] يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي	وَإِذَا أَرَذْنَ سِوَى هَوَايَ عَصِينَا
بَكَرَ [ أَلْعَوَازِلَ ] بِالْمَلَامَةِ بَعْدَمَا	قَطَعَ الْخَلِيطُ بِسَاجِرٍ لِيَبِينَا
أَمْسَيْنَ إِذْ بَانَ الشَّبَابُ صَوَادِفًا	لَيْتَ أَلْيَالِي قَبْلَ ذَاكَ فَنِينَا
إِنَّ أَلَّذِينَ غَدَوْا بِلَبِّكَ غَادَرُوا	وَشَلًّا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي	مَاذَا لَقِيتَ مِنَ أَلْهَوَى وَلَقِينَا
وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي أَلْوُشَاءُ فَصَادَفُوا	حَصْرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمُ ضَنِينَا
كُلِّفْتُ حَاجَةً مَا أَكْلَفُ ضَمْرًا	مِثْلَ أَلْقِسِيِّ مِنْ أَلْسَرَاءِ بُرِينَا
رَاحُوا أَلْعَشِيَّةَ رَوْحَةً مَنكُورَةً	إِنْ حِزْنَ حِزْنَا أَوْ هُدَيْنَ هُدِينَا

(١) انظر « ديوان جرير » ( ٣٨٦/١ - ٣٨٨ ) .

وَرَمَوْا بِهِنَّ سَوَاهِمًا عُرْضَ الْفَلَا  
عَيْسُ تَكْلَفُ كُلُّ أَغْبَرِ نَازِحِ  
حَتَّى بَلَيْنَ مِنَ الْوَجِيفِ وَرَدَّهَا  
وَلَدَ الْأَخِيْطَلِ نِسْوَةٌ مِنْ تَغْلِبِ  
إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا  
هَلْ تَمْلِكُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ مَشْعَرًا  
مُضَرَّ أَبِي [وَأَبُو] <sup>(١)</sup> الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ  
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشَقَ خَلِيفَةً  
إِنْ مِثْنِ مِثْنًا أَوْ حَيْنَ حَيْنًا  
تَطْوِي تَنَائِفَ بِالْمَلَا وَحُزُونًا  
بُعْدُ الْمَفَاوِزِ كَالْقِسِيِّ حَيْنًا  
هُنَّ الْخَبَائِثُ بِالْخَبِيثِ غُذِينَا  
جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا  
أَوْ تَشْهَدُونَ مَعَ الْأَذَانِ أَذِينَا  
يَا خُزَرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَابِينَا  
لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

**وَمِنْ شَعْرِ الْفَرَزْدَقِ** - وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ الْفَرَزْدَقَ يَنْحِتُ مِنْ صَخَرٍ ،  
وَجَرِيرًا يَغْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ <sup>(٢)</sup> - :

سَلَوْتُ عَنِ الدَّهْرِ الَّذِي كَانَ مُعْجَبًا  
وَأَيْقَنْتُ أَتِي لَا مَحَالَةَ مَيِّتٌ  
وَأَتِي الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ سَيُصِيبُهُ  
فَمَا أَنَا بِالْبَاقِي وَلَا الدَّهْرُ فَاعْلَمْ  
وَلَا مُنْصِفِي يَوْمًا فَأَذْرِكُ عِنْدَهُ  
وَأَيْنَ أَخِلَائِي الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ  
وَمِثْلُ الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ دَهْرِنَا يُسْلِي  
فَمُتَّبِعُ آثَارَ مَنْ قَدْ خَلَا قَبْلِي  
حِمَامُ الْمَنَائَا مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ قَتْلِ  
بِرَاضٍ بِمَا قَدْ كَانَ أَذْهَبَ مِنْ عَقْلِي  
مَظَالِمُهُ عِنْدِي وَلَا تَارِكًا أَكْلِي  
وَكُلُّهُمْ قَدْ كَانَ فِي غِبْطَةٍ مِثْلِي

(١) فِي الْأَصْلِ : ( وَأَب ) .

(٢) انْظُرْ « دِيْوَانُ الْفَرَزْدَقِ » ( ٢٩٩/٢ - ٣٠٥ ) .

دَعَتْهُمْ مَقَادِيرُ فَأَصْبَحْتُ بَعْدَهُمْ  
 بَلَوْتُ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي فِيهِ وَاغْطُ  
 وَجُرَيْتُ عِنْدَ الْمُضْلِعَاتِ فَلَمْ أَكُنْ  
 وَبَيْدَاءَ تَغْتَالُ الْمَطِيِّ قَطَعْتُهَا  
 إِذَا الْأَرْضُ سَدَّتْهَا الْهَوَاجِرُ وَأَزْدَتْ  
 وَكَانَ الَّذِي يَبْدُو لَنَا مِنْ سَرَابِهَا  
 [وَيَدْعُو<sup>(١)</sup>] الْقَطَا فِيهَا الْقَطَا فَيُجِيبُهُ  
 دَوَارِجُ أَخْلَفْنَ الشَّكِيرَ كَأَنَّمَا  
 يُسْقَيْنَ بِالْمُومَةِ زُغْبًا نَوَاهِضًا  
 تَمْجُ أَدَاوَى فِي أَدَاوَى بِهَا أَسْتَقْتُ  
 وَقَدْ أَقْطَعُ الْخَرَقَ الْبَعِيدَ نِيَاطُهُ  
 تَزِيدُ فِي فَضْلِ الزَّمَامِ كَأَنَّهَا  
 كَأَنَّ يَدَيْهَا فِي مَرَاتِبِ سُلَمٍ  
 تَأَوُّهُ مِنْ طُولِ الْكَلَالِ وَتَشْتَكِي  
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْخَضَتْهَا  
 إِلَى خَيْرِهِمْ فِيهِمْ قَدِيمًا وَحَادِثًا  
 وَرِثْتَ أَبَاكَ أَلْمُلْكَ تَجْرِي بِسَمْتِهِ

بَقِيَّةَ دَهْرٍ لَيْسَ يُسْبَقُ بِالذَّحْلِ  
 وَجَارَيْتُ بِالنُّعْمَى وَطَالَبْتُ بِالتَّبَلِ  
 صَرِيحَ زَمَانٍ لَا أَمْرٌ وَلَا أَحْلِي  
 بِرَكَّابِ هَوْلِ لَيْسَ بِالْعَاجِزِ الْوُغْلِ  
 مُلَاءَ سَمُومٍ لَمْ يُسَدِّينَ بِالْغَزْلِ  
 فَضُولَ سُيُولِ الْبَحْرِ مِنْ مَائِهَا الضَّحْلِ  
 تَوَائِمُ أَطْفَالٍ مِنَ السَّبَسَبِ الْمَحْلِ  
 جَرَى فِي مَاقِيهَا مَرَاوِدُ مِنْ كُحْلِ  
 بَقَايَا نَطَافٍ فِي حَوَاصِلِهَا تَغْلِي  
 كَمَا أَسْتَفْرِغُ السَّافِي مِنَ السَّجْلِ بِالسَّجْلِ  
 بِمَائِزَةِ الضَّبْعَيْنِ وَجَنَاءَ [كَالْهَقْلِ<sup>(٢)</sup>]  
 تُحَازِرُ وَقَعًا مِنْ زَنَابِيرِ أَوْ نَحْلِ  
 إِذَا غَاوَلْتُ أَوْبَ الذَّرَاعَيْنِ بِالرَّجْلِ  
 تَأَوُّهُ مَفْجُوعٍ بِكُلِّ عَلَى كُلِّ  
 إِلَى خَيْرٍ مَنْ حُلَّتْ لَهُ عَقْدُ الرَّحْلِ  
 مَعَ الْحِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالنَّائِلِ الْجَزْلِ  
 كَذَلِكَ خُوطُ النَّبْعِ يَنْبُتُ فِي الْأَصْلِ

(١) في الأصل : ( ويدع ) .

(٢) في الأصل : ( كالقهل ) ، والقهل : الفتى من النعام .

كَدَاوُودَ إِذْ وَلَّى سُلَيْمَانَ بَعْدَهُ  
يَسُوسُ مِنَ الْحِلْمِ الَّذِي كَانَ رَاجِحًا  
هُوَ الْقَمَرُ الْبَدْرُ الَّذِي يَهْتَدَى بِهِ  
أَعْرَى تَرَى نُورًا لِبَهْجَةِ مُلْكِهِ  
يَفِيضُ السَّجَالَ النَّاقِعَاتِ مِنَ النَّدَى  
وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ قَدْ أَصَبَتْ بِنِعْمَةِ  
وَمِنْ أَمْرِ حَزْمٍ قَدْ وَلِيَتْ نَجِيَّةً  
قَضَيْتَ قَضَاءً فِي الْخِلَافَةِ ثَابِتًا  
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ  
وَبَيَّنْتَ أَنْ لَا حَقَّ فِيهَا لِخَاذِلٍ  
وَلَا لِأَمْرِيٍّ آتَى الْمُضِلِّينَ بَيْعَةً  
وَمَدَّ يَدًا مِنْهُ لِبَيْعَةٍ خَاسِرٍ  
وَعَانَدَ لَمَّا أَنْ رَأَى الْحَرْبَ شَمَرَتْ  
فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ بَدَا الْغِشُّ مِنْهُمْ  
يُدَاوُونَ مِنْ قَرْحِ أَدَانِيهِ قَدْ عَتَا  
وَقَدْ كَانَ فِيمَا قَدْ تَلَوْا مِنْ حَدِيثِهِمْ  
وَالَا فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّةَ حَدُّهَا  
أَوِ النَّفْيِ حَتَّى عَرْضُ أَرْضٍ وَطُولُهَا

خِلَافَتُهُ نَحْلًا مِنْ اللَّهِ ذُو الْفَضْلِ  
بِأَجْبَالٍ سَلَمَى مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ عَدْلِ  
[ إِذَا <sup>(١)</sup> مَا ذُوو الْأَضْغَانِ جَارُوا عَنْ السُّبُلِ ]  
عَفْوًا طَلُوبًا فِي أَنَاةٍ وَفِي رِسْلِ  
كَمَا فَاضَ ذُو مَوْجٍ يُقَمِّصُ بِالْجَفْلِ  
وَمِنْ مُثْقَلٍ خَفَّفَتْ عَنْهُ مِنَ الثِّقْلِ  
بِرَأْيٍ جَمِيعٍ مُسْتَمِرٍّ قُوَى الْحَبْلِ  
مُبِينًا فَقَدْ أَسْمَعْتَ مَنْ كَانَ ذَا عَقْلِ  
وَقَدْ قُمْتَ فِيهِمْ بِالْبَيَانِ وَبِالْفَضْلِ  
تَرَبَّصَ فِي شَكٍّ وَأَشْفَقَ مِنْ مَثَلٍ  
رَأَى الْحَرْبَ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الْعُصْلِ  
وَمَا الْمُكْسِدُ الْمَغْبُوتُ كَالرَّابِحِ الْمُغْلِي  
عِنَادَ الْخَصِيِّ الْجَوْنِ صَدَّ عَنِ الْفَحْلِ  
وَهُمْ كُشِفَتْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ [ وَالْأَزْلِ ]  
عَلَى الدَّاءِ لَمْ تُدْرِكْ أَقَاصِيهِ بِالْفُتْلِ  
شِفَاءً وَكَانَ الْحِلْمُ يَشْفِي مِنَ الْجَهْلِ  
دَوَاءً لَهُمْ غَيْرَ الدَّبِيبِ وَلَا الْخَثْلِ  
عَلَيْهِمْ كَبِيتِ الْقَيْنِ أَغْلِقَ بِالْقَفْلِ

(١) في الأصل : ( إِذ ) .

وَقَدْ [ خَذَلُوا <sup>(١)</sup> ] مَرْوَانَ فِي الْحَرْبِ وَأَبْنَهُ  
وَكُنَّا إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ عَظِيمَةً  
فَصَلَّى عَلَى قَبْرَيْهِمَا اللَّهُ إِنَّمَا  
فَفُزْتُ بِمَا فَازَا بِهِ مِنْ خِلَافَةٍ  
بِعَافِيَةٍ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ جَلَلْتُ

**الأمْلُ :** جمعُ أميلٍ ؛ وهو الحبلُ من الرملِ ، يريدُ إلى منقطعِ الترابِ .

وَكُنْتُ الْمُصَفَّى مِنْ قَرِيشٍ وَلَمْ يَكُنْ  
أَشَارُوا بِهَا فِي الْأَمْرِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ  
حَبَاكَ بِهَا اللَّهُ الَّذِي هُوَ سَاقَهَا  
[ وَسَيِّتُ <sup>(٢)</sup> ] إِلَى مَنْ كَانَ فِي الْحَرْبِ أَهْلَهَا  
وَمَا أَصْلَتْوَا فِيهَا بِسَيْفٍ عَلِمْتُهُ  
فَنُصَحِي لَكُمْ قَادَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِهِ

لِوَطْنِكَ فِيهِمْ زَيْغٌ كَعْبٍ وَلَا نَعْلٍ  
وَوَلَّاكَهَا ذُو الْعَرْشِ نَحْلًا مِنَ النَّحْلِ  
إِلَيْكَ فَقَدْ أَبْلَاكَ أَفْضَلَ مَا يُبْلَى  
إِلَى وَاضِحٍ بَادٍ مَعَالِمُهُ سَهْلٍ  
وَلَا بِسِلَاحٍ مِنْ رِمَاحٍ وَلَا نَبْلِ  
إِلَى مَنبِتِ الزَّيْتُونِ مِنْ مَنبِتِ النَّحْلِ



(١) في الأصل : ( خزلوا ) .

(٢) في « ديوان الفرزدق » ( ٣٠٤ / ٢ ) : ( بالحصل ) .

(٣) في الأصل : ( وسبقت ) .



## الطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ

**مشاهيرُها :** مسلمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ ، والحسنُ بنُ هانئِ الحكميُّ المشهورُ بأبي نُواسٍ ، **وبعدَهُما :** أبو تمامٍ حبيبُ بنُ أوسٍ الطائيُّ ، وأبو عبادةَ الوليدُ البحتريُّ ، وأحمدُ بنُ الحسينِ المُتنبِّي ، **وبعدَهُم :** أبو نصرِ عبدُ العزيزِ بنُ نباتةَ السَّعديُّ ، والشريفُ محمدُ الرضيُّ ، وتلميذُهُ مَهيَّارُ الديلميُّ ، ويُذكرُ معَ هؤلاءِ عليُّ ابنُ الرُّوميِّ ، ولَهُم دواوينُ كبارٌ .

كانَ الحسنُ بنُ هانئٍ ومسلمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ قرينَي عَصْرِ واحدٍ ، واختلفَ الناسُ في المفاضلةِ بينهما ، وكانَ بنو برمكٍ يبالغونَ في تفضيلِ مسلمٍ ، ولكلِّ مزيةً ، وكلاهُما شاعرٌ فريدٌ ، غيرَ أنَّ أبا نُواسٍ بقيَ الكثيرُ مِنْ شعرِهِ ؛ لاعتناءِ الرواةِ بِهِ ، وكثرةِ تصرفاتِهِ فيه ، وانتهائِهِ في سائرِ فنونِ المعانيِ إلى غايةٍ لم يدركُها سواه ، وَمِنْ هَذِهِ الجَهَةِ كانَ تفضيلُهُ على مسلمٍ ؛ فَإِنَّ مسلماً لم يشاركْ أبا نُواسٍ في كثيرٍ مِنْ تلكَ الفنونِ ؛ كالمُجونِ ، والغزلِ ، والخمرياتِ .

ولمسلمٍ صلابَةُ الشعرِ ، وتجويدُهُ ، وجمَعُهُ فيه بينَ البداوةِ والحضارةِ .

**يُحكى :** أنَّ رجلاً دخلَ على أبي تمامٍ وبينَ يَدَيْهِ كتابانِ يَقْرَأُ في هَذَا مَرَّةً وفي هَذَا مَرَّةً ، فسألهُ عَنْهُما ، فقالَ : هما ديوانا مسلمٍ والحسنِ ، وهُما اللَّاتُ والغَزَى ، وأنا أَعبِدُهُما<sup>(١)</sup> .

غيرَ أنَّ شعرَ مسلمٍ لم يبقَ مِنْهُ إِلَّا ما علقَتْهُ الرواةُ ؛ فَإِنَّهُ تَنَسَّكَ آخِرَ عَمْرِهِ ، وهَجَرَ الشعرَ ، فَفَرَّقَ مجموعُ شعرِهِ .



(١) انظر « الأغاني » ( ٢١ / ٧٢٩٠ ) .

## [ مِنْ شَعْرِ أَبِي نُوَاسٍ فِي مَدْحِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ]

**فَمِنْ شَعْرِ أَبِي نُوَاسٍ** - وهو أَوَّلُ إِمَامٍ يُقْتَدَى بِهِ فِي الْأَدَبِ وَرِعَايَةِ مَقَامَاتِ  
الخطابِ ، خلا أَنَّهُ لَهُ أَشْيَاءٌ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً لَذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ  
سَهًا بِهَا ، يَنْبَغِي الْعَدُولُ عَنْهَا حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ التَّعْرِيفَاتُ الْأَدَبِيَّةُ - **قَوْلُهُ**  
**يَمْدُحُ الرَّشِيدَ** <sup>(١)</sup> :

حَيِّ الدِّيَارِ إِذِ الزَّمَانُ زَمَانُ      [ وَإِذِ ] الشِّبَاكَ لَنَا حِرَى وَمَعَانُ  
**الشِّبَاكَ** : ماءٌ بِنَاحِيَةِ وَاقِصَّةٍ عَلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ مَعَاظِرُ مِنْ  
أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَزَعَمَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الشِّبَاكَ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ بِقَرَبِ سَفْوَانَ ، وَإِيَّاهَا  
أَرَادَ .

يَا حَبَّذَا سَفْوَانَ مِنْ مُتَرَبِّعٍ      وَلَرُبَّمَا جَمَعَ الْهُوَى سَفْوَانُ  
وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا      فَلِغَيْرِ دَارٍ أُمِيمَةٍ الْهَجْرَانُ  
إِنَّا نَسْبُنَا وَالْمُنَاسِبُ ظَنُّهُ      حَتَّى رُمِيتَ بِنَا وَأَنْتِ حَصَانُ  
لَمَّا نَزَعْتُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالصِّبَا      وَخَدَتْ بِي الشَّدْنِيَّةُ الْمَذْعَانُ  
**وَبُرُوءَى** : ( لَمَّا نَزَعْتُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَادْعَا ) أَيِ : كَافًّا ، **وَالشَّدْنِيَّةُ** : مَنْسُوبَةٌ  
إِلَى فَحْلِ مِنْ فَحُولِ مَهْرَةٍ يُقَالُ لَهُ : شَدْنٌ .

سَبِطٌ مَشَافِرُهَا دَقِيقٌ خَطْمُهَا      وَكَأَنَّ سَائِرَ خَلْقِهَا بُنْيَانُ  
وَأَحْتَازَهَا لَوْ أَنَّ جَرَى فِي جِلْدِهَا      يَقُقُ [ كَقِرْطَاسٍ ] الْوَلِيدِ هِجَانُ  
حَكِي سَلِيمَانُ بْنُ نَبِيخَتٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا نُوَاسٍ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ ،

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٣٥١ - ٣٥٤ ) .

فَقَالَ : صَحِيفَةُ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ كَاتِبَاهُ فِيهَا شَيْئًا ، فَقَرَطَاسُهُ أَبْيَضُ .

وَإِلَى أَبِي الْأَمْنَاءِ هَارُونَ الَّذِي يَحْيَا بِصَوْبِ سَمَائِهِ الْحَيَوَانُ

**الْأَمْنَاءُ :** الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ وَالْمُؤْتَمَنُ ؛ **فَالْأَمِينُ :** مُحَمَّدٌ ، **وَالْمَأْمُونُ :** عَبْدُ اللَّهِ ، **وَالْمُؤْتَمَنُ :** الْقَاسِمُ ؛ بَنُو هَارُونَ الرَّشِيدِ .

مَلِكُ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالُهُ فَكَأَنَّمَا لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ

مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِفَجْرَةٍ إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا اللَّحْظَانُ

فَيَظَلُّ لِأَسْتِثْبَاتِهِ وَكَأَنَّهُ عَيْنٌ عَلَى مَا غَيَّبَ الْكِتْمَانُ

هَارُونُ [ أَلْفَنَا ] أَتِّلَافَ مَوَدَّةٍ مَاتَتْ لَهَا الْأَحْقَادُ وَالْأَضْغَانُ

فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَوِفَادَةٌ تَنْبَتُ بَيْنَ نَوَاهُمَا الْأَقْرَانُ

كَانَ الرَّشِيدُ عِنْدَمَا أَوْطَنَ الرِّقَّةَ يَحُجُّ سَنَةً وَيَغْزُو أُخْرَى ، **وَالْأَقْرَانُ :** الْحَبَالُ ؛ أَي : تَنْقَطِعُ فِي بُعْدٍ مَا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْغَزْوِ .

حُجٌّ وَغَزْوٌ مَاتَ بَيْنَهُمَا الْكَرَى بِالْيَعْمَلَاتِ شِعَارُهَا الْوَحْدَانُ

يَزِمِي بِهِنَّ بِسَاطَ كُلِّ تَنُوفَةٍ فِي اللَّهِ رَحَالٌ بِهَا ظَعْنَانُ

حَتَّى إِذَا وَاجِهْنَ أَقْبَالَ الصِّفَا حَنَّ الْحَطِيمُ وَأَطَّتِ الْأَرْكَانُ

**أَقْبَالَ الصِّفَا :** مَا قَابَلَكَ مِنْهُ ؛ وَهِيَ جَمْعُ قَبْلِ ، **وَالْحَطِيمُ :** حَيْثُ يَزْدَحُمُ النَّاسُ بِمَكَّةَ فَيَحِطُّهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَقِيلَ : حَيْثُ يَحِطُّمُونَ بِالْإِيمَانِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْلِفُونَ ثُمَّ .

لَاغَرَّ يَنْفَرِجُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِهِ عَدْلُ السِّيَاسَةِ حُبُّهُ إِيْمَانُ

يَصِلُ الْهَجِيرَ بِغُرَّةٍ مَهْدِيَّةٍ لَوْ شَاءَ صَانَ أَدِيمَهَا الْأَكْنَانُ

لَكِنَّهُ فِي اللَّهِ مُبْتَدِلٌ لَهَا      إِنَّ التَّقِيَّ مُسَدَّدٌ وَمُعَانُ  
 أَلِفَتْ مُنَادِمَةَ الدِّمَاءِ سَيْوْفُهُ      فَلَقَلَّمَا تَحْتَازَهَا الْأَجْفَانُ  
 يقول : أَلِفَتْ سَيْوْفُهُ الدِّمَاءَ ، فكأنَّها تنادىها لا تفارقها ؛ مِنْ كَثْرَةِ مَا تُقْتَلُ  
 بها أعداؤه .

**ويروى :** ( ثَلَّتْ مقارعة الدِّمَاءِ سَيْوْفُهُ ) .

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً      لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ  
 قال المُبَرِّدُ : ما لم يكن صورةً كيف يكون له فؤادٌ ؟!  
 حَذَرَ أَمْرِي نُصِرْتُ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا      كَالدَّهْرِ فِيهِ شَرَّاسَةٌ وَلَيَانُ  
 مُتَبَرِّجُ الْمَعْرُوفِ عَرِيضُ النَّدَى      حَصِرَ بِلَا مِنْهُ فَمٌ وَلِسَانُ  
 أي : يَتَعَرَّضُ نَدَاهُ لِلنَّاسِ .

لِلْجُودِ مِنْ كِلْتَا يَدَيْهِ مُحَرِّكُ      لَا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَهُ الْإِسْكَانُ  
 تحدثَ بنو نُبَيْخَتَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سَهْلٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ أَبُو نُوَّاسٍ . .  
 أَشْرْنَا عَلَيْهِ أَنْ يمدَحَ الرَّشِيدَ ، فمدَحَهُ بهذِهِ القصيدة ، فأمرَ لَهُ بِعَشْرِينَ أَلْفَ  
 دِرْهَمٍ ، وَهِيَ أَكْثَرُ صَلَةٍ وَصَلَ بِهَا أَبُو نُوَّاسٍ .  
**المعاني :** المنزل المألوف .

**وقوله :** ( جَمَعَ الهوى ) مِنْ العباراتِ الفريدةِ التي بوجازتها وكثرةِ  
 معناها يُسَمِّيها أَهْلُ الْبَدِيعِ : **الإشارة ؛ وَذَلِكَ أَنَّ معناها :** رَبَّمَا اشْتَمَلَ  
 هَذَا الْمَكَانُ عَلَى مَا تَهَوَّاهُ النُّفُوسُ ؛ مِنْ سَعَةِ الْعَيْشِ ، وَنُضْرَةِ النَّاحِيَةِ ،  
 وَمُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ بِمَوَدَّاتِ الْحِسَانِ ، وَكَثْرَةِ الْحَاضِرِ ؛ حَتَّى يُمْكِنَ اسْتِغْفَالُ  
 الرُّقَبَاءِ ، وَيَخْفَ عَذْلُ الْعُدَّالِ ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِذِهِ الْكَلِمَةِ قَبْلَهُ الْغَنَوِيُّ فِي

القصيدة السابقة ؛ حيث يقول<sup>(١)</sup> :

[ من الطويل ]

جَمَعْنَ النَّوَى حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الْهَوَى  
.....

**وقوله :** ( أَلَفْتُ منادمة الدماء ) الإضافة فيه لأدنى ملابسة ؛ أي : المنادمة على الدماء ؛ فإنَّ الدماء بمنزلة المشروب ، **والنديم** : هو الموانس على الشراب ، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ .. جرى على لسانه ألفاظه ، وأبو نواس كان مدمناً ، ولذلك وقعت منه الاستعارة في هذا الموضع ، وليست هنالك من الحسن .



**وقوله يمدحه أيضاً<sup>(٢)</sup> :**

[ من الطويل ]

لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ بُكَائِي      وَقَدْ طَالَ تَرْدَادِي بِهَا وَعَنَائِي  
كَأَنِّي مُرِيعٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ      أَرَاهَا أَمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي  
فَلَمَّا بَدَأَ لِي الْيَأْسُ عَدَيْتُ نَاقَتِي      عَنِ الدَّارِ وَأَسْتَوَلَى عَلَيَّ عَزَائِي  
إِلَى بَيْتِ حَانَ مَا تَهَرُّ كِلَابُهُ      عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرُنَ طَوْلَ ثَوَائِي  
كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ : ( حاني ) ، ويروى : ( إلى بيت عالج ) .

فَمَا رُمْتُهُ حَتَّى أَتَى دُونَ مَا حَوَتْ      يَمِينِي حَتَّى رِيطَتِي وَحِذَائِي  
وَكَأْسٍ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا      عَلَى قُبْلَةٍ أَوْ مَوْعِدٍ بِلِقَاءِ  
أَتَتْ دُونَهَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَانَتْهَا      تَسَاقُطُ نُورٍ مِنْ فُتُوقِ سَمَاءِ  
تَرَى ظَهْرَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ سَاطِعًا      عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتُهَا بِغِطَاءِ  
تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الْأُمُورَ بِعِلْمِهِ      وَفَضَّلَ هَارُونَاً عَلَى الْخُلَفَاءِ

(١) تقدم (١٦١/٤) .

(٢) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ) .



نَعِيشُ بِخَيْرٍ مَا أَنْطَوَيْنَا عَلَى التَّقَى وَمَا سَاسَ دُنْيَانَا أَبُو الْأَمْنَاءِ  
 إِمَامٌ يَخَافُ اللَّهَ حَتَّى كَانَهُ يُؤَمِّلُ رُؤْيَاهُ صَبَاحَ مَسَاءٍ  
 أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُنَاطُ نَجَاداً سَيْفُهُ بِلِوَاءِ  
 أَي : طويلٌ كَانَ حَمَائِلَ سَيْفِهِ عَلَى رَمَحٍ ، قَالَ الْمُبَرِّدُ : مَا عَلِمْتُ قَائِلاً مَدَحَ  
 خَلِيفَةً فَتُسَبَّ بِمِثْلِ هَذَا النِّسَبِ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَدَّ فِي الْمَدَحِ ، وَبَلَغَ الْمَرَادَ .  
 وَلَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ مَمَّنْ يُتَحَامَى الْإِقْرَارُ بِحَضْرَتِهِ أَوْ حَيْثُ يَبْلُغُهُ بِذِكْرِ  
 قُبْلَةٍ أَوْ شَرِبِ كَأْسٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ لِجَلَالَتِهِ وَنَبْلِ مَلِكِهِ ، وَبَعْدِهِ مِنْ اِحْتِمَالِ  
 السَّخْفِ وَمَا دَنَا مِنْهُ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ كَانَ يَنْسُبُ فِي الْمَدَحِ الْجَلِيلِ بِالْخَمْرِ  
 الَّذِي هُوَ شَأْنُهُ ، وَفِيهِ تَصَرُّفُهُ وَجُلُّ مَذْهَبِهِ .

وَتَحَدَّثَ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَهْلٍ الْحَارِثِيُّ قَالَ : كَانَ الرَّشِيدُ لَا  
 يَسْمَعُ مِنَ الشَّعْرِ مَا فِيهِ رِفْتُ وَلَا هَزْلٌ ، وَكَانَ لَا يُذَكِّرُ فِي تَشْبِيبِ مَدْحِهِ قُبْلَةً  
 وَلَا غَمْزَةً ، فَلَمَّا قَدَّمَ أَبُو نُوَّاسٍ مِنْ مِصْرَ . . اِمْتَدَحَهُ ، فَأَوْصَلَهُ الْبِرَامِكَةَ إِلَيْهِ ،  
 فَأَنْشَدَهُ : ( لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ بَكَائِي ) ، فَلَمَّا بَلَغَ وَصْفَهُ لِلْخَمْرِ . . تَغَيَّرَ  
 وَجْهُ الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا قَالَ : ( وَكَأْسٍ كَمَصْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا ) . . أَرَادَ أَنْ يَأْمَرَ  
 بِهِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ : ( تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الْأُمُورَ بَعْلِمِهِ ) . . أَخَذَتْهُ هِزَّةٌ ، فَأَمَرَ لَهُ  
 بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

### [ مِنْ خَمْرِيَاتِ أَبِي نُوَّاسٍ ]

وَقَوْلُهُ مِنَ الْخَمْرِيَاتِ - وَذَلِكَ فَتْنُهُ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ ، وَفَتَحَ لِلشَّعْرَاءِ  
 بَابَهُ <sup>(١)</sup> - :

أَثْنِ عَلَى الْخَمْرِ بِأَلَائِهَا وَسَمِّهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٥١ ) .

لَا تَجْعَلِ الْمَاءَ لَهَا قَاهِرًا  
كَرْخِيَّةٌ قَدْ عَتِيقَتْ حِقْبَةً  
فَلَمْ يَكْذُ يُدْرِكُ خَمَارُهَا  
دَارَتْ فَأَحْيَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ  
وَالْخَمْرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعْشَرُ  
وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَى مَائِهَا  
حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا  
مِنْهَا سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا  
نُفُوسَ [ حَسْرَاهَا ] وَأَنْضَائِهَا  
لَيْسُوا إِذَا عُذُّوا بِأَكْفَائِهَا



### وقوله<sup>(١)</sup>:

[ من البسيط ]

سَاعٍ بِكَاسٍ إِلَى نَاسٍ عَلَى طَرَبٍ  
قَامَتْ تُرْبِنِي وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعٌ  
كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا  
كَأَنَّ تُرْكَأَ صُفُوفاً فِي جَوَانِبِهَا  
مَنْ كَفَّ سَاقِيَةَ نَاهِيكَ سَاقِيَةَ  
كَانَتْ لِرَبِّ قِيَانٍ ذِي مُغَالَبَةٍ  
فَقَدْ رَأَتْ وَوَعَتْ عَنْهُنَّ وَأَخْتَلَفَتْ  
حَتَّى إِذَا مَا غَلَى مَاءُ الشَّبَابِ بِهَا  
وَجُمِشَتْ بِخَفِيِّ اللَّحْظِ فَأَنْجَمَشَتْ  
تَمَّتْ فَلَمْ يَرَ إِنْسَانٌ لَهَا شَبَهَا  
تِلْكَ أَلَّتِي لَوْ خَلَتْ مِنْ [ عَيْنِ قِيَمِهَا ]  
كِلَاهُمَا عَجَبٌ فِي مَنْظَرٍ عَجَبٍ  
صُبْحاً تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعِنَبِ  
حَضْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ  
تَوَاتَرَ الرَّمْيُ بِالنَّشَابِ مِنْ كَثَبِ  
فِي حُسْنٍ قَدْ وَفَى ظَرْفٍ وَفِي آدَبِ  
بِالْكَشْحِ مُحْتَرِفٍ بِالْكَشْحِ مُكْتَسِبِ  
مَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَهْوِينَ بِالْكَتَبِ  
وَأُفْعِمَتْ فِي تَمَامِ الْجِسْمِ وَالْقَصَبِ  
وَجَرَّتِ الْوَعْدَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ  
فَيَمَنْ بَرَأَ اللَّهَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ  
لَمْ أَقْضِ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُبِّهَا أَرْبِي

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٦٢ - ٦٣ ) .

يقولُ : لو قدرتُ عليها .. لم أشبعُ منها أبداً ، ويُروى : ( قضيتُ منها ومنُ وجدٍ بها أربي ) .

تحدّثَ محمدُ بنُ الْمُظَفَّرِ كاتبُ إسماعيلَ بنِ صبيحٍ ، عن إسماعيلَ قالَ : قالَ لي الرشيْدُ : أبغني وصيفةً مليحةً فطنةً حركةً مقدودةً تسقيني ؛ فإنَّ الشرابَ يطيبُ من يدِ مثْلِها ، فقلتُ : يا سيدي ؛ عليّ الجهدُ ، فقالَ : اجعلْ قولَ هذا العيَّارِ أمامَكَ واسترخِ ، قلتُ : قولَ مَنْ ؟ قالَ : قولَ مَنْ يقولُ : ( من كَفَ ساقيةً ناهيكَ ساقيةً ) إلى قولِهِ : ( بينَ الصِّدقِ والكذبِ ) .



وقولُهُ<sup>(١)</sup> :

[ من الطويل ]

<p>أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِينِ مِنْهَا الْمُرَائِينَ قَطْرَةً فَعَيْشُ الْفَتَى فِي سَكْرَةٍ بَعْدَ سَكْرَةٍ وَمَا الْغَبْنُ إِلَّا أَنْ تَرَانِي صَاحِيًا فَبُحْ بِأَسْمٍ مِنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى وَلَا خَيْرَ فِي فَتْكِ بَغِيرِ مَجَانَةٍ بِكُلِّ أَخِي قُصْفٍ كَأَنْ جَبِينَهُ وَحَمَارَةٌ نَبَّهْتُهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ فَقَالَتْ مَنْ الطَّرَاقُ قُلْنَا عَصَابَةٌ وَلَا بُدَّ أَنْ يَزْنُوا فَقَالَتْ أَوْ الْفِدَا</p>	<p>وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ لَأَنَّ رِيَاءَ النَّاسِ عِنْدِي هُوَ الْهَجْرُ فَإِنْ طَالَ هَذَا عِنْدَهُ قَصَرَ الدَّهْرُ وَمَا الْغَنَمُ إِلَّا أَنْ يَتَغَتَّعَنِي السُّكْرُ فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ وَلَا فِي مُجُونٍ لَيْسَ يَتَّبَعُهُ كُفْرُ هِلَالٍ وَقَدْ حُفَّتْ بِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ وَقَدْ غَابَتِ الْجُوزَاءُ وَأُنْحَدَرَ النَّسْرُ خِفَافُ الْأَدَاوَى يُبْتَغَى لَهُمْ خَمْرُ بِأَبْلَجِ كَالِدَيْنَارٍ فِي طَرْفِهِ فَتْرُ</p>
---	---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٩٦ - ٩٧ ) ، وفيها ما فيها من التبجح بالمجون الفاضح .

فَقُلْنَا لَهَا هَاتِيهِ مَا إِنَّ لِمِثْلِنَا      فَدَيْنَاكَ بِالْأَبَاءِ عَنْ مِثْلِهِ صَبْرُ  
فَجَاءَتْ بِهِ كَالْغُصْنِ [يَهْتَزُّ] رِدْفُهُ      تَخَالٍ بِهِ سِحْراً وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ  
لَهُ سِنَةٌ كَالْبَدْرِ لَيْلَةَ تِمِّهِ      مُهْفَهْفُ أَعْلَى الْكُشْحِ فِي ثَغْرِهْ أُشْرُ  
فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ      نُجَرَّرُ أَذْيَالَ الْفُسُوقِ وَلَا فَحْرُ

قال المبردُ : سمعتُ سليمانَ بنَ أبي داوودَ يقولُ : لَمَّا مَلَكَ الْأَمِينُ . . قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ : ( فَاسْقِنِي خَمِراً وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ ) ، وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ سَيِّئَ الرَّأْيِ فِيهِ ، فَأَخْبَرَ الْأَمِينَ بِخَبْرِهِ وَمَا شَاعَ فِي الْعَامَّةِ مِنْ تَهْتِكِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُحْبَسَ ، فَمَدَحَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَقَالَ فِيهِ تِلْكَ الْأَشْعَارُ كُلُّهَا بِهَذَا السَّبَبِ . وَتَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمَاً : مَا اللَّذَّةُ ؟ فَأَكْثَرُوا الْوَصْفَ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : نَحْنُ الْأَحْدَاثُ حَتَّى أَخْبَرَكَ بِهَا مِنْ فَضِّهَا ، فَتُحُوا ، فَقَالَ : هَتُّكَ الْمَرْوَةِ ، وَالْمَجَاهِرَةُ بِالْخَطِيئَةِ ، وَأَلَّا تَبَالِي قِيحاً مِنْ حَسَنِ ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ : فَقَاتَلَ اللَّهُ أَبَا نُؤَاسٍ حَيْثُ يَقُولُ : ( فَبُخَ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى ) ، وَحَيْثُ يَقُولُ أَيْضاً : ( جَرِيتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الْجَمُوحَ ) .

**وقوله<sup>(١)</sup> :**

[ من الكامل ]

كَيْفَ النَّزُوعُ عَنِ الصَّبَا وَالْكَاسِ      قَسْنَ ذَا لَنَا يَا عَاذِلِي بِقِيَّاسِ  
وَإِذَا عَدَدْتُ سِنِيَّ كَمْ هِيَ لَمْ أَجِدْ      لِلشَّيْبِ عُذْراً فِي النَّزُولِ بِرَاسِي  
قَالُوا شَمِطْتَ فَقُلْتُ مَا شَمِطْتُ يَدِي      عَنْ أَنْ تَحُتَّ إِلَيَّ فَمِي بِالْكَاسِ  
صَفَرَاءُ زَانَ رُوءَاهَا مَخْبُورُهَا      فَلَهَا الْمُهَذَّبُ مِنْ ثَنَاءِ الْحَاسِي

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ١١٠ - ١١١ ) .

بِاللَّيْلِ يَكْرَعُ فِي سَنَا مِقْبَاسٍ  
نَالَتْهُ بَعْدَ تَعَصُّبٍ وَشِمَاسٍ  
إِلَّا بِطَيْبِ خَلَائِقِ الْجُلَاسِ  
لِلَّهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ

وَكَاَنَّ شَارِبَهَا لِفَرْطِ شُعَاعِهَا  
وَأَلَذُّ مِنْ أَنْغَامِ خُلَّةٍ عَاشِقٍ  
فَالرَّاحُ طَيِّبَةٌ وَلَيْسَ تَمَامُهَا  
فَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ

[ من المديد ]

وقوله<sup>(١)</sup> :

نَمْتُ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أُنِّمِ  
بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ  
بَعْدَمَا جَازَتْ مَدَى الْهَرَمِ  
وَهِيَ تَرْبُ الدَّهْرِ فِي الْقِدَمِ  
بِلِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمِ  
ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمَمِ  
خُلِقْتُ لِلسَّيْفِ وَالْقَلَمِ  
أَخَذُوا اللَّذَاتِ مِنْ أُمَمِ  
كَتَمَشِي الْبُرْءِ فِي السَّقَمِ  
مِثْلَ فِعْلِ الصُّبْحِ فِي الظُّلَمِ  
كَاهْتِدَاءِ السَّفَرِ بِالْعَلَمِ  
قوله : ( اختمرت بخمار الشيب ) قيل : أراد صفتها وهي في دنها ؛ حيث

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمِ  
فَاسْقِنِي الْبِكْرَ الَّتِي اخْتَمَرْتُ  
ثُمَّتْ أَنْصَاتِ الشَّبَابِ لَهَا  
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي نَزَلَتْ  
عُتِّقْتُ حَتَّى لَوْ اتَّصَلْتُ  
لَاخْتَبَتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً  
قَرَعَتْهَا بِالْمِزَاجِ يَدُ  
فِي نَدَامَى سَادَةِ زُهْرٍ  
فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ  
فَعَلْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ  
فَاهْتَدَيْ سَارِي الظَّلَامِ بِهَا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ١٤٢ - ١٤٣ ) .



يعلوها شيءٌ كالعنكبوتٍ ، **وقيل** : أرادَ صفتَهَا في ابتداءِ أمرِها حيثُ كانتُ في العنبِ ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ ما يَظْهَرُ يَكُونُ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أبيضُ ، وهذا كلامٌ مَنْ يرفعُ أبا نَواسٍ عن تناولِ المعاني القريبةِ .

**وقوله** : ( أنصت ) أي : أجاب ؛ مِنْ الصَّوتِ ، فهوَ مثلُ : دعاهُ فاندعى .

**وقوله** : ( لو اتَّصلتْ بلسانٍ ) أي : لو كانتْ شخصاً يَتَكَلَّمُ . . لُمِثَلَتْ محتبئةً في القومِ تُحدِّثُهُمْ بأخبارِ القرونِ الأولى .

**وقوله** : ( فَتَمَشَّتْ في مفاصلِهِمْ ) أخذَ هذا المعنى مِنْ قولِ عربيٍّ يَصِفُ صائداً<sup>(١)</sup> :

فَتَمَشَّى لَا يُحَسُّ بِهِ كَتَمَشَّى النَّارِ فِي الضَّرَمِ  
قالَ أبو نَواسٍ : كنتُ قلتُ : ( كَتَمَشَّى النارِ في الفحمِ ) فقالَ لي رحمهُ بنُ نجاحٍ : لو قلتُ : ( كَتَمَشَّى البرءِ في السَّقَمِ ) ، فعدلتُ إليه ، وانتقادُ مَنْ انتقدَهُ بأنَّهُ أحوالٌ ؛ حيثُ جعلَ عَرَضاً يَتَمَشَّى في عَرَضٍ . . مِنْ التدقيقاتِ الباردةِ التي لا تحتملُها الصِّناعةُ الشعريةُ .

قالَ الجاحظُ : لَمَّا سَمِعَ أبو شعيبٍ القلالَ هذا البيتَ . . قالَ : ما أَصْفَى هذا البيتَ !! ولو نُقِرَ . . لَطَنَّ<sup>(٢)</sup> ، فتكلَّمْ مِنْ جهةِ صناعتِهِ .

وهذا البابُ مِنْ شعرِ أبي نَواسٍ يَشتمِلُ على ثلاثِ مئةِ قصيدةٍ ومقطوعةٍ ، وجميعُ شعرِهِ الذي استقصى جمعهُ حمزةُ بنُ الحسنِ الأصبهانيُّ يبلغُ ألفاً وخمسةً مئةً قصيدةً ومقطوعةً ، تشتملُ على ثلاثةَ عشرَ ألفَ بيتٍ .



(١) انظر « معاهد التنصيص » ( ٨٦ / ١ - ٨٧ ) ، ونسبه لبعض الهذليين .

(٢) انظر « المثل السائر » ( ١١٤ / ٢ - ١١٥ ) .

(١)

## [قصيدة لمسلم بن الوليد في مدح ابن المهلب مع شرحها]

**وَمِنْ شَعْرِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ -** وسأنقله مشروحاً كما وجدته ؛ لتمام الفائدة .  
**يُحْكِي :** أَنَّ مُسْلِمًا أَرْسَلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلْمَمْدُوحِ ، فَلَمَّا وَافَى الرَّسُولَ ..  
ادَّعَى أَنَّهَا مِنْ شَعْرِهِ ، وَكَانَ الْمَمْدُوحُ حِينَ ابْتَدَأَ الرَّسُولُ يُنْشِدُ مُضْطَجِعًا ،  
فَاعْتَدَلَ إِجْلَالًا لِمَا سَمِعَ ، وَعَرَفَ مِنْ فَحْوَى الْكَلَامِ أَنَّهُ شَعْرُ مُسْلِمٍ ، فَقَالَ  
لِلرَّسُولِ الْمُدَّعِي : أَجَلْتُكَ سَنَةً لَتَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، فاعترف أَنَّهَا شَعْرُ  
مُسْلِمٍ ، فَقَالَ الْمَمْدُوحُ : إِنَّكَ حِينَ أَنْشَدْتَ مَطْلَعَهَا .. رَأَيْتُ كَأَنَّ مُسْلِمًا هُوَ  
الْقَائِمُ يُنْشِدُنِي .

وكذلك متى كَانَ الْإِنْسَانُ ذَا دُرْبَةٍ وَتَمَامِ خُبْرَةٍ بِشَعْرِ شَاعِرٍ .. عَرَفَ  
مَا لَمْ يَسْمَعُهُ مِنْ شَعْرِهِ بِمَا عَرَفَهُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ شَاعِرٍ فِي الْكَلَامِ مَذْهَبًا  
يَخُصُّهُ ، وَطَرِيقَةً لَا يَتَعَدَّاهَا - **وَمَدَحَ بِهَا دَاوُودَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ**  
**الْمُهَلَّبِ (٢) :**  
[ من البسيط ]

لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ      نَهَى النَّهْيَ عَنْ هَوَى الْهَيْفِ الرَّعَادِيدِ  
**قوله :** ( لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ ) أَي : لَا تَدْعُنِي مَشْتَاقًا ، وَلَا تَقُلْ : إِنَّ بِي  
شَوْقًا إِلَى أَحَدٍ ، **غَيْرُ مَعْمُودٍ** ؛ أَي : غَيْرُ عَاشِقٍ ، **وَالْمَعْمُودُ** : الْمُقْرُوحُ الْقَلْبِ ،  
**وَأَصْلُهُ** : أَنْ يَصِيبَ الْبَعِيرَ دَاءٌ فِي سَنَامِهِ ، فَيَهِيَجُ عَلَيْهِ ، حَتَّى رُبَّمَا أَخْرَجَتْ  
مِنْهُ الْعِظَامُ ، فَاسْتُعِيرَ ذَلِكَ لِلْقَلْبِ ، **وَالْهَيْفُ** : الضَّامِرَاتُ الْبُطُونِ ، **وَالرَّعَادِيدُ** :  
الْمُرْتَجَّاتُ الْأَكْفَالِ ، **وَالرَّعْدِيدُ** فِي غَيْرِ هَذَا : هُوَ الْجَبَانُ .

لَوْ شِئْتُ لَا شِئْتُ رَاجَعْتُ لَصَبَا وَمَشْتُ      فِي الْعُيُونِ وَفَاتَتْنِي بِمَجْلُودٍ

(١) والشاعر مسلم بن الوليد مشهور باسم ( صريع الغواني ) .

(٢) انظر « ديوان صريع الغواني » ( ص ١٥١ - ١٧١ ) وفيه الشرح المنقول .

يقول: لو شئت - لا جعلني الله أشاء ذلك - . . راجعتُ الصِّبَا ، **ومشت**  
**فِي الْعِيُونِ** - أي : عيون النساء - لعشيقهنَّ [ لي ] ، **وفاتتني بمجلودٍ** ؛ أي :  
ذهبت بجلدي ؛ يريدُ أَنَّهُ كَانَ يصبو إِلَيْهِنَّ أَيضاً .

سَلْ لَيْلَةَ الْخَيْفِ هَلْ أَمْضَيْتُ آخِرَهَا بِالرَّاحِ تَحْتَ نَسِيمِ الْخُرْدِ الْغَيْدِ  
يقول: إِنَّهُ شَرِبَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهَا مَعَ **الْغَيْدِ** ؛ وهي الجواري  
الطُّوالُ الأعناقِ ، الناعماتُ ، يُشْتَمُّ رَائِحَتَهُنَّ ، **والْخَيْفُ** : أسفلُ الجبلِ ممَّا  
يلي الوادي ، **وَأَمْضَيْتُ الشَّيْءَ** : إذا أَتَيْتُ عَلَيْهِ بِالتَّنْفِيدِ .

شَجَّجْتُهَا بِلُعَابِ الْمُزْنِ فَاعْتَزَلْتُ نَسَجَيْنِ مِنْ بَيْنِ مَحْلُولٍ وَمَعْقُودٍ  
يقول: **شَجَّجْتُهَا** - يعني : الخمر - أي : مزجتها ، **فاعتزلتُ** ؛ أي :  
اختلفتُ نَسَجَيْنِ : **أحدهما** : محلولٌ ، **والآخرُ** : معقودٌ ؛ يريدُ : أَنَّ مَا وَلِي  
الماءَ مِنَ الخمرِ فِي الكأسِ أَسْرَعَ فِيهِ الماءُ فَحَلَّهُ ، وما وَلِي مِنْهَا القاعَ  
بَقِيَ عَلَى حالِهِ لَمْ يَحْلُهُ الماءُ بَعْدُ ، قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَصِفُ خَمراً مُزِجَتْ فِي  
كأسٍ <sup>(١)</sup> :

خَمْرَاءُ صَفْرَاءُ التَّرَائِبِ رَأْسُهَا فِيهِ لِمَا نَسَجَ الْمِزَاجُ قَتِيرُ  
يريدُ أَنَّ لَوْنَهَا خَمْرَاءُ وَصَفْرَاءُ التَّرَائِبِ ؛ يريدُ : قَدْ اصْفَرَّ أَعْلَاهَا الَّذِي  
سَبَقَ ، **والقتيرُ** : الحبابُ ، **وَأَصْلُهُ** : الشَّيْبُ .

كَلاَ الْجَدِيدَيْنِ قَدْ أَطْعِمْتُ حَبْرَتَهُ لَوْ آلَ حَيٍّ إِلَى عُمَرٍ وَتَخْلِيدِ  
**الجدِيدَيْنِ** : اللَّيْلُ والنَّهَارُ ، **والحبرةُ** : النعيمُ .  
**وقولهُ** : ( لَوْ آلَ حَيٍّ ) أي : لَوْ صَارَ حَيٍّ بَاقِياً .

أَهْلاً بِوَأْفِدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ وَإِنْ تَرَاءَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ

(١) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٩٨ ) .

**أهلاً بوافدة** ؛ أي : قادمة للشيب **واحدة تراءت** ؛ أي : اعترضت ، **غير مودود** ؛ أي : غير محبوب .

لَا أَجْمَعُ الْحِلْمَ وَالصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنْتَ      نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ  
يقول : لَا أَجْمَعُ التَّكْهُلَ وَشَرَبَ الْخَمْرِ ، قَدْ سَكَنْتَ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ ،  
وَاسْتَغْنَيْتَ بِهِ عَنِ الْخَمْرِ ؛ أي : لَا أَشْرِبُهَا .

لَمْ يَنْهَنِي فَنَدُّ عَنْهَا وَلَا كِبَرُ      لَكِنْ صَحَوْتُ وَغَضَنِي غَيْرُ مَخْضُودِ  
**الفند** : اللوم ، **وغضني** ؛ أي : شبابي ، **والمخضود** : [ الواهن ] <sup>(١)</sup> .

أَوْفَى بِي الْحِلْمُ وَأَقْتَادَ النَّهْيَ طَلَقاً      شَأْوِي وَعِفْتُ الصَّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ  
يقول : **أوفى بي الحلم** ؛ أي : وافقني ، وأقتادَ العقلَ طلقاً شأوي ، **وعفت**  
**الصبا** ؛ أي : تركت الصبا ، **من غير تفنيد** ؛ أي : من غير تعذيلٍ ولا لومٍ ،  
**وأصل** ( وافقني ) : لاءمني ، **وطلقاً** : مُعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ .

إِذَا تَجَافَتْ بِي الْهِمَّاتُ مِنْ بَلَدٍ      نَازَعْتُ أَرْضاً وَلَمْ أَحْفَلِ بِتَمْهِيدِ  
يقول : إِذَا تَجَافَتْ بِي الْهِمَّاتُ عَنْ بَلَدٍ . . نَازَعْتُ بَلَدًا آخَرَ غَيْرَهُ وَلَمْ أَبَالِ  
**بتمهيد** ؛ أي : بإقامة ، **ونازعت** ؛ أي : قصدت .

لَا تَطْبِينِي أَلْمَنِي عَنْ جَهْدٍ مُطْلَبٍ      وَلَا أَحُولُ لَشَيْءٍ غَيْرِ مَوْجُودِ  
يقول : **لا تطبيني المنى** ؛ أي : لا تدعوني إلى أنفسها من جهدٍ مطلبٍ ،  
**وقوله** : ( لَا أَحُولُ لَشَيْءٍ غَيْرِ مَوْجُودٍ ) أي : لَا أَطْلُبُ مِنَ الْأُمُورِ غَيْرَ الْمُمْكِنِ  
الوجود .

وَمَجْهَلٍ كَأَطْرَادِ السَّيْفِ مُحْتَجَزٍ      عَنِ الْأَدْلَاءِ مَسْجُورِ الصَّيَاخِيدِ

(١) في الأصل : ( الواهب ) .

يقولُ : وربَّ مَجْهَلٍ **كاَطِرَادِ السيفِ** ؛ أي : كتتابعِ السيفِ في الحِدَّةِ ،  
مُحتَجِزٍ عَنِ الأدْلَاءِ مسجورِ الصَّيَاخِيدِ مِنَ الحُرُورِ ، **والمَجْهَلُ** : القفْرُ الذي لا  
يُهْتَدَى بِهِ .

تَمْشِي الرِّيحُ بِهِ حَسْرَى مُوْلَهَةً حَيْرَى تَلُوذُ بِأَكْنَافِ الْجَلَامِيدِ  
يقولُ : أي : تمشي الرياحُ فيه **حسرى** ؛ أي : كآلةً ، **مُوْلَهَةً** ؛ أي : حزينَةً ،  
**تلوذُ بِأَكْنَافِ الجلاميدِ** ؛ يريدُ : أن ليسَ فيه شجرٌ ، وإنَّما تجري الرياحُ على  
الحجارةِ فلا تجدُ غيرها ، **والأكْنَافُ** : النواحي ، واحداً : كنفٌ .

مُفَوِّفِ الْمَتْنِ لَا [ تَمْضِي ] السَّبِيلُ بِهِ إِلَّا التَّخْلُلَ رَيْثاً بَعْدَ تَجْهِيدِ  
يقولُ : إِنَّ ذَلِكَ الْمَجْهَلُ **مُفَوِّفُ الْمَتْنِ** ؛ أي : مُخْطِطٌ ، أَخْذاً مِنَ التَّفْوِيفِ  
في القوائمِ ؛ وهوَ التَّخْطِيطُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ الرَدِيئَةَ فِيهَا ضُرُوبٌ مِنَ الْأَلْوَانِ .  
**وقولُهُ** : ( لا تمضي السبيلُ به ) أي : لا تقطعُ السبيلُ بها **إِلَّا التَّخْلُلَ** ؛ وهوَ  
الاندخالُ في الأشياءِ المتضايقةِ ، **رَيْثاً بَعْدَ تَجْهِيدٍ** ؛ أي : إبطاءً بعدَ جهْدٍ ،  
**والجهْدُ** : التعبُ .

قَرَيْتُهُ الْوُخْدَ مِنْ خَطَّارَةِ سُرْحٍ تَفْرِي الْفَلَاةَ بِإِزْقَالٍ وَتَوْخِيدٍ  
يُقَالُ : **قَرَيْتُهُ الْوُخْدَ** ؛ أي : هَذَا الضَّرْبُ مِنَ السَّيْرِ ؛ أي : مِنْ نَاقَةٍ مُحَرَّكَةٍ  
لذَنبِهَا ، **سُرْحٌ** : خَفِيفَةٌ ، **وَالْإِرْقَالُ وَالتَّوْخِيدُ** : ضَرْبانِ مِنَ السَّيْرِ .

إِلَيْكَ [ بَادَرْتُ ] إِسْفَارَ الصَّبَاحِ بِهَا مِنْ جُنْحٍ لَيْلٍ رَحِيبِ الْبَاعِ مَمْدُودٍ  
يقولُ : **إِلَيْكَ [ بَادَرْتُ ]** ؛ أي : سَابَقْتُ **إِسْفَارَ الصَّبَاحِ** ؛ أي : [ انبلاجِ ]  
الصَّبَاحِ مِنْ **جُنْحٍ** ؛ أي : مِنْ ظَلَامٍ لَيْلٍ ، **رَحِيبِ الْبَاعِ** ؛ أي : وَاسِعِ الْبَاعِ ،  
**مَمْدُودٍ** ؛ أي : مُطَوَّلٍ ؛ أي : أَتَيْتُكَ قَبْلَ الصُّبْحِ .

وَبِلَدَةٍ ذَاتِ غَوْلٍ لَا سَبِيلَ بِهَا إِلَّا الظُّنُونُ وَإِلَّا مَسْرُحُ السَّيِّدِ



يقول : ورُبَّ بلدةٍ بعيدَةٍ ، لا طريقَ بها **إِلَّا الظُّنُونُ** ؛ أي : تُظَنُّ طريقاً ، **وَالْأَ**  
**مَسْرُحُ السَّيِّدِ** ؛ أي : **وَالْأَ** حيثُ يَسْرُحُ الذئبُ .

كَأَنَّ أَعْلَامَهَا وَالْأَلَّ يَرْكَبُهَا بُذْنُ تَوَافَى بِهَا نَذْرٌ إِلَى عِيدِ  
**الأعلامُ** : الجبالُ ؛ يقولُ : كأنَّ جبالَ تلكَ الفلاةِ والَّأَلَّ يركبُها . . نُوقُ بدنُ  
**تَوَافَى بِهَا نَذْرٌ إِلَى عِيدٍ** ؛ أي : جلبَها نذرٌ إلى النحرِ بمكةَ يومَ العيدِ ، كأنَّ  
رجلاً نذرَ أن يَنحَرَ نُوقاً بمكةَ ، فَقَدَّمَهَا لذلكَ ، وقد ألقى عليها الملاحفَ ،  
فَشَبَّهَ صرِيحُ الجبالِ وقد التحفتُ في الَّأَلِ الأبيضِ بها .

كَلَّفْتُ أَهْوَالَهَا عَيْناً مُؤَرَّرَةً إِلَيْكَ لَوْلَاكَ لَمْ تُكْحَلِ بِتَسْهِيدِ  
يقولُ : كَلَّفْتُ تلكَ الفلاةَ عيني فسهرتُ ، ولولاكَ أنتَ لم تسهرُ ، **الْأَرْقُ** :  
السَّهْرُ .

حَتَّى أَتَتْكَ بِي الْأَمَالُ مُطْلِعاً لِلْيُسْرِ عِنْدَكَ فِي سِرْبَالٍ مَحْسُودِ  
يقولُ : حتى بَلَغْتَنِي إليك الْأَمَالُ مُطْلِعاً لليسرِ **في سِرْبَالٍ محسودٍ** ؛ أي :  
لَمَّا قَصَدْتُكَ . . حَسَدَنِي النَّاسُ ؛ لَعَلِمِهِمْ بِأَنَّكَ تَغْنِينِي .

مَنْ بَعْدِ مَا أَلْقَيْتَ الْأَيَّامُ لِي عَرْضاً مُلْقَى رَهِينٍ لِحَدِّ السَّيْفِ مَصْفُودِ  
**لي عرضاً** ؛ أي : جانباً ، **مُلْقَى رَهِينٍ** ؛ أي : أسيرٍ قد حُبِسَ للقتلِ ، مُقَدَّمِ  
**لِحَدِّ السَّيْفِ مَصْفُودٍ** ؛ أي : موثقٍ بالحديدِ ، وإِنَّمَا يَصِفُ نَفْسَهُ أَنَّهُ بَقِيَ مِنْ  
إِضْرَارِ الدَّهْرِ بِهِ فِي مِثْلِ حَالِ الْأَسِيرِ الْمُقَدَّمِ لِلسَّيْفِ .

وَسَاوَرْتَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ فَاْمَتَّحَنْتَ رَبْعِي بِمُحْجَلَةٍ شَهْبَاءَ جَارُودِ  
يقولُ : **ساوَرْتَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ** ؛ أي : واثبتَنِي ، **فاْمَتَّحَنْتَ رَبْعِي** ؛ أي :  
منزلي ، بِسَنَةِ مُحْجَلَةٍ ؛ أي : ذاتِ مَحَلٍّ وانجرادٍ مِنَ النَّبَاتِ .

إِلَى بَنِي حَاتِمٍ أَدَى رَكَائِبَنَا خَوْضُ الدَّجَى وَسُرَى الْمُهَرِّيَةِ الْقُودِ

يقولُ : إلى بني حاتمِ بَلَغَ رُكائِبُنَا **خَوْضُ الدُّجَى** ؛ أي : قطعَ الليلِ ،  
**وسُرى المهريةِ القودِ** ؛ السُرى وخوضُ الدُّجَى : واحدٌ ، ولكنه كَرَّرَ اللفظَ  
 لاختلافِهِ ، **والمهريةُ** : منسوبةٌ إلى مهرةٍ ؛ وهو حيٌّ مِنْ هَمْدَانَ ، **والقودُ** :  
 جمعُ قوداءَ .

تَطْوِي النَّهَارَ فَإِنْ لَيْلٌ تَخَمَّطَهَا      بَاتَتْ تَخَمَّطُ هَامَاتِ الْقَرَادِيدِ  
 يقولُ : تطوي النهارَ بالسيرِ ؛ أي : تقطعُ ، فإنَّ لَيْلٌ صَالَ عليها . . صَالَتْ  
 على **هَامَاتِ القَرَادِيدِ** ؛ وهي جمعُ قَرَدٍ ؛ وهو المرتفعُ مِنَ الجبالِ ، **وأَصْلُ**  
**التَّخَمُّطِ** : تَعَرَّضَ البعيرُ الفحلِ وتَصَعُّبُهُ ؛ **يريدُ** : إذا اشتدَّ عليها سيرُ الليلِ . .  
 لم تبالِ بهِ معَ ما قد مضى عليها مِنْ طولِ السفرِ .

مِثْلُ السَّمَامِ بَعِيدَاتِ الْمَقَالِ إِذَا      أَلْقَى الْهَجِيرُ يَدًا فِي كُلِّ صَيْخُودٍ  
 يقولُ : إِنَّ النَّوْقَ مِثْلُ السَّمَامِ فِي السَّرْعَةِ إِذَا اشْتَدَّ عليها الهَجِيرُ وَهَيَّجَ  
 كُلَّ صَيْخُودٍ ، **وَالصَّيْخُودُ** : شِدَّةُ الْحَرِّ ، **وَالسَّمَامُ** : طَائِرٌ يَشْبَهُ الْقَطَا ، **بَعِيدَاتُ**  
**الْمَقَالِ** ؛ أي : لا تَقِيلُ هَذِهِ النَّوْقُ .

حَلَّتْ بِدَاوُودَ فَاَمْتَاَحَتْ وَأَعَجَلَهَا      حَذُو النَّعَالِ عَلَى أَيْنٍ وَتَحْرِيدِ  
 يقولُ : **حَلَّتْ** هَذِهِ النَّوْقُ **بِدَاوُودَ** ؛ أي : نَزَلَتْ بِهِ ، فَاَمْتَاَحَتْ عَطَايَاهُ ؛ أي :  
 أَخَذَتْ ، **وَالَاَمْتَاَحُ** : اسْتَسْقَاءُ الْمَاءِ مِنَ الْبُئْرِ بِالْأَحْفَانِ ، فَشَبَّهَ أَخَذَ أَحْفَانِ  
 الْمَالِ مِنْ دَاوُودَ بِأَخْذِ الْمَاتِحِ الْمَاءَ بِأَحْفَانِهِ ، **وَأَعَجَلَهَا حَذُو النَّعَالِ** ؛ أي : لَمَّا  
 أَخَذُوا الْمَالَ مِنْهُ . . اسْتَعْدُّوا إِبْلَهُمْ لِلرَّجُوعِ وَهِيَ لَمْ تَسْتَرْخِ مِنَ الْكَلَلِ ، وَصَفَهُ  
 بِسُرْعَةِ الْعَطَاءِ عِنْدَ حُلُولِهِمْ بِهِ مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ ، **وَالْأَيْنُ** : الْفَتْرَةُ ، **وَالْتَحْرِيدُ** : مِنَ  
 الْحَرِّ ؛ وَهُوَ دَاءٌ يَصِيبُ الْإِبِلَ فِي قَوَائِمِهَا .

أَعْطَى فَأَفْنَى أَلْمُنَى أَدْنَى عَطِيَّتِهِ      وَأَزْهَقَ الْوَعْدَ نُجْحًا غَيْرَ مَنكُودٍ  
 يقولُ : أَعْطَى دَاوُودُ فَأَفْنَى الْمُنَى ؛ مَنِ الَّذِينَ قَصَدُوهُ ، **أَدْنَى عَطِيَّتِهِ** ؛

أي : أَقْلُ عطايَاهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ كُلِّ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْلُهُمْ ، وَأَرْهَقَ الْوَعْدَ ؛  
أي : أَتَبَعَ الْوَعْدَ بِالْفِعْلِ مِنْ سَاعَتِهِ مِنْ غَيْرِ ضَيْقٍ ، وَالنُّجْحُ : انْقِضَاءُ الْمَطْلَبِ  
أَوْ إِدْرَاكُهُ .

وَاللَّهُ أَطْفَاءَ نَارَ الْحَرْبِ إِذْ سُعِرَتْ شَرْقاً بِمُوقِدِهَا فِي الْغَرْبِ دَاوُودُ  
يقولُ : اللَّهُ أَطْفَاءَ نَارَ الْحَرْبِ فِي الشَّرْقِ بِدَاوُودَ الَّذِي أَوْقَدَهَا فِي الْغَرْبِ  
عَلَى أَهْلِ الْعَصِيَانِ ؛ **يريدُ** : لَمَّا رَأَى أَهْلُ الشَّرْقِ مَا فَعَلَ دَاوُودُ بِأَهْلِ الْغَرْبِ  
مِنَ النِّكَايَةِ . . اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّاعَةِ .

لَمْ يَأْتِ أَمْرًا وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى حَدَثٍ إِلَّا أَعِينَ بِتَوْفِيقٍ وَتَسْدِيدٍ  
يقولُ : لَمْ يَأْتِ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ وَلَا حَدَثًا يُحْدِثُهُ . . إِلَّا أَعَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
عَلَيْهِ ، **والتوفيقُ** : التَّقْوِيمُ لِلْخَيْرِ ، **والتسديدُ** : أَنْ يَدُلَّ بِهِ إِلَى الصَّوَابِ .

مُوَحَّدُ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودٍ  
**مُوَحَّدُ الرَّأْيِ** ؛ أَي : رَأْيُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ  
الْحَسَنُ <sup>(١)</sup> :

وَلَمْ تَكُ نَفْسُهُ نَفْسَيْنِ فِيهِ فَيَفْصِلَ بَيْنَ رَأْيَيْهِ مُشِيرٌ  
**يريدُ** : أَنَّهُ إِذَا دَبَّرَ أَمْرًا . . انْكَشَفَ لَهُ عَنِ الْيَقِينِ ، **الملتبسُ** : الْمُتَشَابَهُ .

تُمْنَى الْأُمُورُ لَهُ مِنْ نَحْوِ أَوْجُهِهَا وَإِنْ سَلَكَنَ سَبِيلًا غَيْرَ مَوْزُودٍ  
**تُمْنَى الْأُمُورُ لَهُ** ؛ أَي : تُبَيِّنُ مِنْ طَرِيقِ صَوَابِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا وَإِنْ سَلَكَنَ  
سَبِيلًا غَيْرَ مَعْمُورٍ ، **والسبيلُ** : الطَّرِيقُ ؛ **يريدُ** : أَنَّهُ مَبْخُوثٌ ، فَكَيْفَمَا تَوَلَّى  
الْأُمُورَ . . هَيَّأَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ .

إِذَا أَبَاحَتْ حِمَى قَوْمٍ عُقُوبَتَهُ غَادَى لَهُ الْعَفْوُ قَوْمًا بِالْمَرَاصِيدِ

(١) أَرَادَ أَبَا نَوَاسٍ فِي « دِيَوَانِهِ » ( ص ٢٩٤ ) .

يقولُ : إذا أوقعَ بقومِ عقوبتَهُ ، فأبَاحَ حماهُم للغارةِ . . غادىَ لَهُ العفوُ قوماً بالمراسيدِ ؛ **يريدُ** : كأنَّ العفوَ كانَ لَهُم مرتصداً ، فأسقطَ ذنبَهُم ؛ يقولُ : إذا قتلَ قوماً استحقُّوا القتلَ . . عفا عن آخرينَ استحقُّوا القتلَ بعدَ أن قد قُدِّرَ عليهم ؛ أي : يقدِّرُ على العفوِ والعقوبةِ ، وأنَّهُ يأخذُهُما على ما أَرَادَهُ بِهِم .

كَالَلَيْثِ بَلْ مِثْلُهُ أَلَلَيْثُ الْهَضُورُ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ يقولُ : هو كالليثِ في النجدةِ ، والليثُ مثلهُ إذا اشتدَّت الحربُ وطَنَّتِ السُّيُوفُ للمضاربةِ ، **والهَضُورُ** : البَتُّورُ .

يَلْقَى أَلْمَنِيةً فِي أُمثالِ عُذَّتِهَا كَالسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلْمُوداً بِجُلْمُودِ يقولُ : يلقى الحربَ في مثلِ عُذَّتِهَا ، فيدفعُ المنايا بالمنايا ، كما يدفعُ السيلُ جلموداً بجلمودٍ آخَرَ يَنْطَحُهُ فيزيلُهُ بِهِ .

إِنْ قَصَرَ الرُّمْحُ لَمْ يَمْشِ الْخُطَا عَدَدًا أَوْ عَرَدَ السَّيْفُ لَمْ يَهْمُمْ بِتَغْرِيدِ يقولُ : إِنْ قَصَرَ الرَّمْحُ عَنْ إِدْرَاكِ مَنْ أَرَادَ يَطْعَنُهُ بِهِ . . لَمْ يَمْشِ الْخُطَا تَبَاطُؤًا كَمَثَلِ مَنْ يَعُدُّ خُطَاهُ ، بَلْ يَسْرِعُ هُوَ عِنْدَ ذَلِكَ ، **وَلَمْ يَهْمُمْ بِتَغْرِيدِ** ؛ أي : إِنْ نَبَا السَّيْفُ عَنِ الَّذِي ضَرَبَهُ بِهِ ؛ **يريدُ** : أَنَّهُ مَاضٍ مُتَقَدِّمٌ إِلَى صَاحِبِهِ وَإِنْ قَصَرَ رَمْحُهُ . . مَدَّهُ بِبَاعِهِ ، **عَرَدَ السَّيْفُ** : إِذَا لَمْ يَقْطَعْ .

إِذَا [ رَعَى ] بَلَدًا دَانَى مَنَاهِلَهُ وَإِنْ بُنِينَ عَلَى شَحْطٍ وَتَبْعِيدِ يقولُ : إِذَا أَحْرَزَ بَلَدًا . . أَمْنَهُ ، فَتَقَارَبَتْ **مَنَاهِلُهُ** ؛ وَهِيَ مَنَازِلُ الرِّفَاقِ عَلَى الْمَاءِ ؛ **يريدُ** : أَنَّ الرِّفَاقَ تَنْزَلُ حَيْثُ شَاءَتْ فِي الْقِفَارِ ، لَا تَخَافُ شَيْئًا ، وَفِي الْخَوْفِ لَا تَنْزَلُ وَإِنْ كَانَتْ الْمَنَاهِلُ **بُنِينَ عَلَى شَحْطٍ** ؛ وَهُوَ الْبَعْدُ .

جَرَى فَأَدْرَكَ لَمْ يَعْغُفْ بِمُهِلَتِهِ وَأَسْتَوَدَعَ الْبُهِرَ أَنْفَاسَ الْمَجَاوِدِ

يقولُ : جرى هذا الرجلُ في المجدِ ولم يعنف بمهلتِه ؛ أي : ولم يسرفْ على نفسه بالتعبِ في الجري ، وقد تقدّمَ غيره ، وهذا مثلُ ضربِه ؛ يريدُ : أنَّه تقدّمَ الرجالَ في المجدِ بغيرِ جهدٍ ، وهم قد اجتهدوا جهدهم ، فكيف إذا اجتهدَ هو جهده كله ، والبُهرُ : الكلُّ .

**وقوله :** ( استودعَ البهرَ ) أي : أنزلهُ بهم ، **والأنفاسُ :** الإطلاقُ مِنَ الجري ، واحدُها : نفسٌ ، **والمجاويدُ :** السَّراعُ مِنَ الخيلِ ، واحدُها : مجوّدٌ .

أَلْ أَلْمَهْلَبِ قَوْمٌ لَا يَزَالُ لَهُمْ رِقُّ الصَّرِيحِ وَأَسْلَابُ الْمَذَاوِيدِ  
**رِقُّ الصَّرِيحِ :** استعبادُ الحرِّ بإسداءِ النعمِ وتقديمِ الأيادي الحسانِ إليهم ، **وأَسْلَابُ المذاويدِ :** الحربُ ؛ يعني : الأنجادَ ، واحدُهم : مِذودٌ .

مُظْفَرُونَ تُصِيبُ الْحَرْبُ أَنْفُسَهُمْ إِذَا الْفِرَارُ تَمَطَّى بِالْمَحَايِيدِ  
يقولُ : أولئك القومُ منصورونَ ، ومع ذلكَ تصيبُ الحربُ أنفسهم إذا **الفرارُ تَمَطَّى بالمحاييدِ ، والمحاييدُ :** الجُبْناءُ ، واحدُهم : مِحْيَاذٌ ؛ يريدُ : أنَّهم يقفون حتى يُقتلوا إذا هربَ غيرُهم .

نَجْلٌ مَنَاجِبٌ لَمْ يَعْدَمْ تِلَادُهُمْ فَتَى يَرْجَى إِلَى نَقْضٍ وَتَوْكِيدٍ  
يقولُ : هم **نجلٌ مناجيبٌ** ؛ أي : ذريةٌ مناجيبٌ ؛ **يريدُ :** أنَّ بيتَهُم بيتُ نجابةٍ ، لم يخلُ قطُّ مِنْ أشرافٍ ينقضونَ مِنَ الأمورِ ما أحبُّوا ، ويعقدونَ منها ما أحبُّوا ، **والنجلُ :** الذريةُ ، قالَ زهيرٌ <sup>(١)</sup> : ( وكلُّ فحلٍ لَهُ نجلٌ ) أي : كلُّ فحلٍ يشبههُ نسلُهُ ؛ أي : يخرجُ الولدُ عتيقاً كآبيه ، **وتلادُهُم :** أصلُهُم القديمُ .

قَوْمٌ إِذَا هَذَاةٌ شَامَتْ سُيُوفَهُمْ فَإِنَّهَا عَقْلُ الْكُومِ الْمَقَاحِيدِ

(١) قطعة من عجز بيت من الطويل في « ديوان زهير بن أبي سلمى » ( ص ٨٦ ) ، والبيت بتمامه :

إِلَى مَعْشَرٍ لَمْ يُورِثِ أَلُّوْمُ جَدَّهُمْ أَصَاغِرُهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلٌ



**الهدأة** : الفترة ؛ يقول : أولئك قومٌ إذا كانت صلحٌ وهدنةٌ . . **شامتٌ**  
**سيوفُهم** ؛ أي : أغمدتها ؛ فإنهم يعرقون بها الإبلَ لأضيافهم ؛ **يريدُ** : أنهم  
يقاتلون بها في الحربِ ، وإذا كانَ في الصُّلحِ . . كانَ شغلُهم إطعامَ الأضيافِ ؛  
يُقَالُ : شمتُ السيفُ ؛ إذا أغمدتهُ ، وشمتهُ ؛ إذا سللتهُ ، هوَ مِنَ الأضدادِ ،  
**والعقلُ** : جمعُ عقالٍ ؛ وهوَ حبلٌ يعقلُ بهِ البعيرُ ، فشَبَّهَ السُّيُوفَ بها ، **والكُومُ** :  
الغِلاظُ الأسنمةُ ، **والمقاحيدُ** كذلك ، واحدُها : مقحاذٌ .

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُودُ إِذْ عَلِقْتُ      أَيَدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضُّمَرِ الْقُودِ  
**الضُّمَرُ** : جمعُ ضامرٍ ، **والقُودُ** : جمعُ أقودَ ؛ **يريدُ** : الخيلَ ؛ يقولُ : نفسي  
فداؤُكَ في الحربِ إذا اشتدَّ القتلُ في الناسِ ؛ أي : نفسي فداؤُكَ في ذلكَ  
الوقتِ ؛ أي : ما أشجعَكَ حينئذٍ !!

دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كَرْمَانَ وَأَنْتَصَفْتَ      بِكَ الْمَنُونُ لَأَقْوَامِ مَجَاهِدِ  
يقولُ : **داويتَ مِنْ دَائِهَا كَرْمَانَ** ؛ وهي بلدٌ نافقٌ أهلُها على أميرِ المؤمنينَ ،  
فقتلَهُم حتى رجعَ مَنْ بقيَ منهم إلى الطاعةِ .

**وقوله** : ( انتصفتُ بكَ المنونُ ) أي : انتصفتُ بكَ المنيةُ مِنَ الأشرارِ لهؤلاءِ  
الضعفاءِ الذينَ قد بلغَهُم الجهدُ ؛ لتضييقِ الأشرارِ عليهم ، **والمجهودُ** : الذي  
بلغَهُ الجهدُ ، **والجهدُ** : سوءُ الحالِ .

مَلَأَتْهَا فَزَعًا أَخْلَى مَعَاقِلَهَا      مِنْ كُلِّ أَبْلَحَ سَامِي الطَّرَفِ صِنْدِيدِ  
يقولُ : كرمانٌ ملأتها خوفًا مِنْ فعلِكَ بهم ، **أخلى** ذلكَ الخوفُ **معاقلها** ؛  
وهيَ الجبالُ ، **مِنْ كُلِّ أَبْلَحَ** ؛ وهوَ المُتَكَبِّرُ ، **سامي الطرفِ** ؛ أي : مرتفعُ  
الطرفِ مِنَ العِزِّ ، **صنديدٌ** : سيّدٌ .

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمْ      أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ

لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِلٍ بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلْيِينٍ وَتَشْدِيدٍ

**المقاليد :** المفاتيح ، وإنما ضربهُ مثلاً ؛ يقول : لَمَّا نَزَلَتْ بِأَوَّلِ بَلَدِهِمْ . .  
تَبَرَّأَ إِلَيْكَ أَقْصَاهُمْ بِمَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَلِكِ .

**وقوله :** ( لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ ) أي : عَفَوْتَ عَنْهُمْ وَقَدْ اتَّصَلَ بِهِمُ الرَّدَى .

أَتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مُطْلِعاً بِالْخَيْلِ تَرْدَى بِأَبْطَالٍ مَنَاجِدٍ

يقول : جِئْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ ؛ أي : دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ فِي بَلَدٍ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ  
يَدْخُلُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِقِتَالِهِمْ ، مُطْلِعاً : ظَاهِراً ، وَالْخَيْلُ تَرْدَى ؛ أي :  
تَجْرِي بِأَبْطَالٍ مَنَاجِدٍ ؛ أي : أَعْزَاءَ .

وَطَارَ فِي إِثْرِ مَنْ طَارَ الْفِرَارُ بِهِ خَوْفٌ يُعَارِضُهُ فِي كُلِّ أَخْدُودٍ

**في كُلِّ أَخْدُودٍ** ؛ يريدُ : فِي كُلِّ طَرِيقٍ ، **وَالْأَخْدُودُ** : الْخَدَشُ فِي الْأَرْضِ  
كَالْخَنْدَقِ صَغُرَ أَمَ كَبُرَ ؛ يقولُ : **وَطَارَ فِي إِثْرِ مَنْ طَارَ** ؛ أي : أَسْرَعَ فِي إِثْرِ مَنْ  
أَسْرَعَ فِي الْهَرَبِ ؛ **يريدُ** : أَنَّ الْخَوْفَ لَا يَفَارِقُهُ .

فَاتُوا الرَّدَى وَطَبَاةُ الْمَوْتِ تَنْشُدُهُمْ وَأَنْتَ نَصَبُ الْمَنَايَا غَيْرُ مَنْشُودٍ

يقولُ : أَفَلَتُوا مِنَ الْمَوْتِ وَطَبَاةُ الْمَوْتِ **تَنْشُدُهُمْ** ؛ أي : تَطْلُبُهُمْ ، وَأَنْتَ  
مَنْصُوبٌ لِلْمَنَايَا لَا تَسْتَتِرُ عَنْهَا ، **غَيْرُ مَنْشُودٍ** : غَيْرُ مَطْلُوبٍ .

وَلَوْ تَلَبَّثَ دَيَّانٌ لَهَا رَوِيَتْ مِنْهُ وَلَكِنْ شَاهَا عَدُوٌّ مَزُودٌ

يقولُ : لَوْ تَلَبَّثَ هَذَا الرَّجُلُ . . رَوِيَتْ تِلْكَ الطَّبَاةُ مِنْ دِمِهِ ،  
**وَلَكِنْ شَاهَا** ؛ أي : سَبَقَهَا بِالْهَرُوبِ ، فَنَجَّى مِنْهَا وَهُوَ **مَزُودٌ** ؛ أي :  
مَرْعُوبٌ .

أَحْرَزَهُ أَجَلٌ مَا كَادَ يُحْرِزُهُ فَمَرَّ يَطْوِي عَلَى أَحْشَاءِ مَفْزُودٍ

يقولُ : أَحْرَزَ دَيَّانٌ أَجَلَهُ وَلَمْ يَكُذْ يُحْرِزُهُ مِنَ الْمَوْتِ ، فَهَرَبَ وَهُوَ يَسْتُرُ

**أَحْشَاءَ مَفْوُودٍ ، وَالْمَفْوُودُ :** الذي أُصِيبَ فَوَادُهُ ؛ يُقَالُ : فَادَتْ الرجلَ ؛ إِذَا أَصَبْتَ فَوَادَهُ ؛ فَهُوَ مَفْوُودٌ .

وَرَأْسُ مِهْرَانَ قَدْ رَكَبْتَ قُلَّتَهُ لَدُنَّا كَفَاهُ مَكَانَ أَلِيَّتِ وَالْجِيدِ  
يقولُ : وقد جعلتَ رأسَ هذا الرجلِ في قناةٍ قامَتْ لَهُ مَقَامَ العنقِ ، **وَالْقُلَّةُ :**  
أعلى الرأسِ ، **وَالْيَيْتُ :** [ صفحة ] العنقِ ، والجمعُ : ألياثُ .

قَدْ كَانَ فِي مَعَزِلٍ حَتَّى بَعَثَتْ لَهُ أُمُّ أَلْمَنِيةِ فِي أَبْنَائِهَا الصَّيْدِ  
يقولُ : قد كانَ هذا الرجلُ في معزِلٍ عن الهلاكِ ، حتى بعثتَ لَهُ المنيّةَ في  
الفرسانِ **الصَّيْدِ** ؛ وَهُمْ الْأَشْرَافُ ، وقالَ : ( أُمًّا ) على الاستعارة ، وإِنَّمَا أُخِذَ  
مِنَ الصَّيْدِ ؛ وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي أَعْنَاقِهَا فَتَرْفَعُ رُؤُوسَهَا .

أَجُنَّ أَمْ أَسْلَمَتْهُ أَلْفَاضِحَاتٌ إِلَى حَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مَنْ يَعْلَقُ بِهِ يُوودُ  
يقولُ : **أَجُنَّ** دِيانٌ ؛ أَي : هل أَصابَهُ الجُنُونُ ؟ **أَمْ أَسْلَمَتْهُ الْفَاضِحَاتُ ؛**  
وهي الأمانِيُّ التي غَرَّتُهُ ، ففَضَحَتْهُ حينَ خَرَجَ إِلَيْكَ ، فترَكْتُهُ إِلَى حَدِّ السَّيْفِ ،  
**وَمَنْ يَعْلَقُ بِهِ .. يُوودُ ؛** أَي : يهلكُ .

أَلْحَقَّتَهُ صَاحِبِيهِ فَاسْتَمَرَّ بِهِمْ ضَرْبُ يُفَرِّقُ ضَبَّاتِ الْقَمَاحِيدِ  
يقولُ : فعلتَ بديانٍ ما فعلتَ بصاحبيهِ قبلَهُ ، **فاستمرَّ بِهِمْ ضَرْبُ** مِنَ  
السَّيْفِ **يُفَرِّقُ الضَّبَّاتِ** ؛ يعني : أوصالَ الرأسِ ، **[ وَالْقَمَحْدُودَةُ ] :** العظمُ الناتئُ  
في مُؤَخَّرِ الرأسِ بينَ القفا وأعلى الرأسِ .

أَعَذَرَ مَنْ فَرَّ مِنْ حَرْبٍ صَبَرَتْ لَهَا يَوْمَ الْحَصِينِ شِعَارٌ غَيْرُ مَجْحُودٍ  
يقولُ : مَنْ فَرَّ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ الذي صَبَرَتْ أَنْتَ فِيهِ .. جاءَ بما يُعَذَرُ  
عليهِ ، **وَالْحَصِينُ :** رجلٌ برَزَ هذا الممدوحُ إِلَيْهِ فَأَهْزَمَهُ ، **وَالشِّعَارُ :** العلامةُ  
في الكلامِ الذي يَتَعَارَفُ النَّاسُ بِهِ فِي الْقِتَالِ .

يَوْمَ اسْتَضَبَّتْ سِجِسْتَانُ طَوَائِفَهَا عَلَيْكَ مِنْ طَالِبٍ وَتَرَأَ وَمَحْقُودٍ

يقول : **يَوْمَ اسْتَضَبَّتْ سِجِسْتَانُ طَوَائِفَهَا** ؛ أي : أغرَّت طوائفها ؛ وهي الجماعات ، أخذَهُ مِنَ الضَّبِّ ؛ وهي العداوة ، كأنَّهُم قالوا : احموا بلدكم ، واذكروا مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ ، واحتموا لأنفسكم .

**وقوله** : ( مِنْ طَالِبٍ وَتَرَأَ وَمَحْقُودٍ ) أي : بعضهم يطلبُ وتراً ، وبعضهم يطلبُ حقداً ، **والتوتر** : الطلبُ بالدم ، **والحقْد** : العداوة .

نَاهَضَتْهُمْ ذَائِدَ الْإِسْلَامِ تَفَرَّعُهُمْ عَنْهُ ثَلَاثَ وَمِئْنَتَيْنِ بِالْمَوَاحِيدِ نَاهَضَتْهُمْ ؛ يعني : أهل سِجِسْتَانِ ، تَدَوَّدُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فتلقى منهم ثلاثة رجالٍ ، ورجلين ، **وتفَرَّعُهُمْ** : تضربُهُم ، **والمواحيِدُ** : جمعٌ موحدة .

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الضَّيْنُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ يقول : تجودُ بنفسِكَ في الحربِ ؛ **إِذْ أَنْتَ الضَّيْنُ بِهَا في السِّلمِ ، والجودُ بالنفسِ** أكثرُ مِنَ الجودِ بالمالِ .

تِلْكَ الْأَزَارِقُ إِذْ ضَلَّ الدَّلِيلُ بِهَا لَمْ يُخْطِهَا الْقَصْدُ مِنْ أَسْيَافِ دَاوُودِ يقول : تلكَ الْأَزَارِقُ إِذْ ضَلَّ الدَّلِيلُ بِهِمْ ؛ الذي قَادَهُمْ إِلَى الْكُفْرِ . لم يخطها أسيافُ داوودَ إِذْ قَصَدَتْ إِلَيْهِمْ .

كَانَ الْحُصَيْنُ يُرْجَى أَنْ يَفُوزَ بِهَا حَتَّى أَخَذَتْ عَلَيْهِ بِالْأَخَادِيدِ يقول : كَانَ هَذَا الْخَارِجِيُّ يَطْمَعُ أَنْ يَفُوزَ بِهَا ، حَتَّى أَخَذَتْ عَلَيْهِ بِأَفْوَاهِ الطَّرِيقِ ، فلم تدعهُ يقوئ .

مَا زَالَ يَغْنَفُ بِالنُّعْمَى وَيَغْمِطُهَا حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ عُودٌ عَلَى عُودِ **يغْمِطُهَا** ؛ أي : يكفرُها ، **ويغْنَفُ** ؛ أي : يُسْرِفُ ويجاوزُ الحقَّ حَتَّى صَلَبَتْهُ . وَضَعَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيَّاحُ بِهِ وَتَحْسُدُ الطَّيْرَ فِيهِ أَضْبَعُ الْبَيْدِ

يقول : جعلته في مكانٍ تبلغ الطيرُ ولا تبلغه الضَّبُعُ ، فتحسد الطير .

تَغْدُو الضَّوَارِي فَتَرْمِيهِ بِأَعْيُنِهَا تَسْتَنْشِقُ الْجَوَّ أَنْفَاساً بِتَضَعِيدِ

يقول : تنظرُ إليه في الخشبِ السباعُ الضَّارِيَةُ بأكلِ اللحم ، فترفعُ رؤوسها إليه فتستنشق رائحته .

يَتَبَعْنَ أَفْيَاءَهُ طَوْرًا وَمَوْقِعَهُ يَلْغَنَ فِي عَلَقٍ مِنْهُ وَتَجْسِيدِ

يقول : تأتي هذه الضَّارِيَةُ فتشمي حيثُ يمشي ظلُّه ، ويلعن ما سقط من صديده ودمه ، **والجسدُ** : الدم .

فَكَانَ فَارِطَ قَوْمٍ حَانَ مَكْرُهُمْ بِأَرْضٍ [ زَادَانَ ] شَتَّى فِي الْمَوَارِيدِ

**الفارطُ** : المتقدِّمُ القومُ إلى الماء ليطلعَ أكثرُ هو أم قليلُ ، فضرِبهُ مثلاً للحصينِ وأصحابه الذين اتبعوه إلى مكانٍ هلكوا معه ، **ومكرُهُم** : شربُهُ الموت .

يَوْمَ جُرَاشَةٍ إِذْ شَيْبَانٌ مُوجِفَةٌ يَنْجُونَ مِنْكَ بِشُلُوٍ مِنْهُ مَقْدُودِ

يقول : يومَ جُرَاشَةٍ إِذْ شَيْبَانٌ مُوجِفَةٌ ؛ أي : سريعةٌ تهربُ ، **وشيبانُ** : قبيلةٌ ، **وجُرَاشَةُ** : رجلٌ ؛ يقولُ : يهربونَ **بشُلُوٍ** ؛ أي : جسدٍ بلا **رأسٍ قد قُدِّدَ** ؛ أي : قُطِعَ بالسيفِ .

زَاخَفْتَهُ بِأَبْنٍ سُفْيَانَ فَكَانَ لَهُ ثَنَاءٌ يَوْمَ بَظْهَرِ الْعَيْبِ مَشْهُودِ

**ابنُ سُفْيَانَ** : رجلٌ من أصحابِ الممدوحِ ؛ يقولُ : ناهضته بهذا الرجلِ ، فكانَ لَهُ ثناءٌ عرفهُ مَنْ غَابَ كَأَنَّهُ شهدهُ .

نَجَا قَلِيلاً وَوَفَى زَجْرُ عَائِفِهِ بِيَوْمِهِ طَيْرٌ مَنْحُوسٍ وَمَسْعُودِ

يقولُ : **نجا قليلاً** ؛ أي : مهزوماً في يومٍ كانَ منحوساً على جُرَاشَةٍ ،



ومسعوداً على داوودَ ، **والعائفُ** : الذي يزجرُ الطيرَ ؛ أي : يفهمُها في خطورها وطيرانها .

وَلَيْ وَقد جَرَعَتْ مِنْهُ أَلْقَنَا جُرْعاً حَيَّ الْمَخَافَةِ مَيْتاً غَيْرَ مَوْءُودٍ  
يقولُ : هربَ هذا الرجلُ وقد شربتِ الرِّماحُ في دمه حينَ طعنَ بها ، **غيرَ موءودٍ** ؛ أي : غيرَ مدفونٍ .

زَالَتْ حُشَاشَتُهُ عَنْ صَدْرٍ مُعْتَدِلٍ دَانِي الْكُعُوبِ بَعِيدِ الصَّدْرِ أُمْلُودٍ  
يقولُ : نجتُ بقيَّةَ نفسيهِ عن صدرٍ رمحٍ معتدلٍ أصابَهُ ، **أُمْلُودٍ** : أَمْلَسَ .  
إِذَا السُّيُوفُ أَصَابَتْهُ تَقَطَّعَ فِي سَرَادِقٍ بِحَوَامِي الْخَيْلِ مَمْدُودٍ  
يقولُ : **إذا السيفُ أَصَابَتْهُ** .. تَقَطَّعَ بدنهُ منها ، ويعني **بالسرادقِ** : الغبارُ الذي أثارَتْهُ حوافِرُ الخيلِ .

يَفْدِي بِمَا نَحَلَتْهُ مِنْ خِلَافَتِهِ حُشَاشَةَ الرِّكْضِ مِنْ جَرْدَاءَ قَيْدُودٍ  
يفدي بقيَّةَ قوَّةِ فرسِهِ في الجري بخلافَتِهِ ؛ يعني : أَنَّهُ يقولُ لفرسِهِ : انجُ فدتكَ خلافتي ، **والجرداءُ** : القصيرُ الشعرِ .

حَلَّ اللَّوَاءِ وَخَالَ الْخِذْرَ عَائِذَهُ فَعَادَ بِالْخِذْرِ تَرْبُ الْكَاعِبِ الرُّودِ  
يقولُ : لَمَّا قهرَ الرئيسُ مِنَ الأمراءِ <sup>(١)</sup> .. **حلَّ اللواءُ** ؛ وهو العقدةُ التي في القنَاةِ ، فظنَّ **الخذرَ عائِذهُ** ؛ أي : منجيُّه ؛ أي : إذا كَانَ بَيْنَ النساءِ .. لم يُطْلَبْ بعدُ ، يَعُدُّ نفسهُ مِنَ النساءِ .

وَإِنْ يَكُنْ شَبَّهَا حَرْباً وَقَدْ خَمَدَتْ فَنَائِيّاً حَيْثُ لَا هَيْدٍ وَلَا هَيْدٍ  
يقولُ : فإنْ يَكُنْ شبَّ الحربَ حرباً وقد خمدتْ قبلَ ذلكَ .. فقد بَعُدَ

(١) في « شرح ديوان صريع الغواني » ( ص ١٦٧ ) : ( الأمرة ) .

بحيث لا يرى عمراناً ، ولا يسمع فيه **هيداً ولا هيداً** ؛ [ وهما ] كلمتان يُرْجَرُ بهما الإبل .

كُلُّ مَثَلَتَ بِهِ فِي مِثْلِ خُطَّتِهِ قَتْلًا وَأَضْجَعْتَهُ فِي غَيْرِ مَلْحُودٍ  
يقول : **كُلُّ مَثَلَتَ** ؛ أي : جزيته بمثل فعله قتلًا ، **وَأَضْجَعْتَهُ فِي غَيْرِ**  
**ملحودٍ** ؛ أي : تركته في الضَّحِّ قتيلاً<sup>(١)</sup> .

عَافُوا رِضَاكَ فَعَاقَتْهُمْ بِعَقَوْتِهِمْ عَنِ الْحَيَاةِ مَنَائِهِمْ لِمَوْعُودٍ  
يقول : **عَافُوا رِضَاكَ** ؛ أي : كرهوا رضاك ، وعَاقَتْهُمْ مَنَائِهِمْ ؛ أي : منعَتْهُمْ  
الحياة **بِعَقَوْتِهِمْ** ؛ أي : بفنائهم ، **لِمَوْعُودٍ** ؛ أي : لأجل .

وَأَنْتَ بِالسِّنْدِ إِذْ هَاجَ الصَّرِيخُ بِهَا وَأَسْتَنْفَدْتَ حَرْبَهَا كَيْدَ الْمَكَايِدِ  
**الصَّرِيخُ** : المستغيث والمستنصر ، واستنفدت حرب السِّندِ **كَيْدَ الْمَكَايِدِ** ؛  
أي : فرغت تلك الحرب بكيد كل مكيادٍ ، حتى عجزوا عنها ، وانقطع كيدهم  
فيها .

وَأَسْتَغْزَرَ الْقَوْمُ كَأْسًا مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَحْدَقَ الْمَوْتُ بِالْكَرَّارِ وَالْحَيْدِ  
يقول : **استغزر القوم** ؛ أي : شرب بعضهم دماء بعضهم ؛ **يريدُ** : قتل  
بعضهم بعضاً ، **وأحدق الموت بالكرَّار** ؛ **الكرَّارُ في الحرب** : الذين يكرُّون  
فيها ، **والحيدُ** : المنهزمون ؛ يقول : لم ينفع عنك المنهزم انهزامه ؛ لإحاطة  
الحرب به ، **والحيدُ** : جمع أحيِد .

رَدَدَتْ أَهْمَالَهَا الْقُصُورُ مُحَيَّسَةً وَشِمَتَ بِالْبَيْضِ عَوْرَاتِ الْمَرَاوِدِ  
**أهْمَالُهَا** ؛ أي : صعبها ، **والأهْمَالُ** : جمع هَمَلٍ ؛ وهو الشيء المُسَيَّبُ ،  
**وأصلُّه** : في البهائم التي ليس لها راع ، فهي صعبة ؛ يقول : رَضَتْ

(١) في « شرح ديوان صريع الغواني » ( ص ١٦٧ ) : ( الفحص ) بدل ( الضح ) .

صعَبَهَا ؛ يعني : الحرب ، **مُخَيَّسَةً** ؛ أي : مُذَلَّلَةً .

**وقوله** : ( شَمَتَ بِالْبَيْضِ ) يقولُ : قَتَلَتِ الْإِنْجَادَ ، فَشَمَتَ عَوْرَاتِهِمْ ؛ أي : تَرَكْتَ عَوْرَاتِهِمْ بَادِيَةً فِي الصُّبْحِ مِنْ غَيْرِ سِتْرِ<sup>(١)</sup> .

كُنْتُ الْمُهْلَبَ حَتَّى شَكَّ عَالِمُهُمْ ثُمَّ أَنْفَرَدْتُ وَلَمْ تُسْبَقْ بِتَسْوِيدِ  
**يعني** : الْمُهْلَبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، وَكَانَ جَدَّ الْمَدُوحِ ؛ يَقُولُ : قَمَتَ فِي  
تِلْكَ الْحَرْبِ مَقَامَ الْمُهْلَبِ حَتَّى ظَنَّ عَالِمُهُمْ أَنَّكَ الْمُهْلَبُ ، **ثُمَّ انْفَرَدْتُ**  
بِخِصَالِكَ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ لِلنَّاسِ ، وَعَرَفَ أَنَّكَ دَاوُودُ .

لَمْ تَقْبَلِ السَّلَامَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدَرَةٍ وَلَا تَأَلَّفْتَ إِلَّا بَعْدَ تَبْدِيدِ  
يَقُولُ : لَمْ تَقْبَلِ السَّلَامَ مِنْ أَهْلِ السِّنْدِ إِلَّا بَعْدَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا  
جَمَعْتَهُمْ **إِلَّا بَعْدَ تَبْدِيدٍ** ؛ أَي : بَعْدَمَا بَدَّدْتَهُمْ بِالْحَرْبِ ، وَالْإِيقَاعِ بِهِمْ وَالْقَتْلِ .  
حَتَّى أَجَابُوكَ مِنْ مُسْتَأْمِنٍ حَذِرٍ رَاجٍ وَمُنْتَظَرٍ حَتْفًا وَمَثْمُودٍ  
يَقُولُ : **حَتَّى أَجَابُوكَ** ؛ بَعْضُهُمْ يَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَ ، وَيَحْذَرُ سَطَوَتَكَ ،  
وَبَعْضُهُمْ **مَثْمُودٌ** ؛ أَي : لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجَلِهِ إِلَّا قَلِيلٌ ؛ يَعْنِي : الْجَرْحَى .

أَهْدَى إِلَيْكَ عَلَى الشَّحْنَاءِ أُلْفَتَهُمْ مَوْتُ تَفَرَّقَ فِي شَتَى عِبَادِيدِ  
**العباديدُ** : الْمُتَفَرِّقُونَ ؛ يَقُولُ : أَهْدَى الْمَوْتَ إِلَيْكَ أُلْفَتَهُمْ مَعَ الْعَدَاوَةِ الَّتِي  
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ .

وَفِي يَدَيْكَ بَقَايَا مِنْ سَرَاتِهِمْ هُمْ لَدَيْكَ عَلَى وَعْدٍ وَتَوَعِيدِ  
يَقُولُ : **وَفِي يَدَيْكَ بَقَايَا مِنْ سَرَاتِهِمْ** ؛ أَي : أَشْرَافِهِمْ ؛ يَرْجُونَكَ وَيَخَافُونَكَ ؛  
لَأَنَّكَ أَخَذْتَهُمْ عَلَى غَيْرِ عَهْدٍ .

(١) فِي « شَرْحِ دِيْوَانِ صَرِيحِ الْغَوَانِي » ( ص ١٦٨ ) : ( الْفَحْصُ ) بَدَلَ ( الصُّبْحِ ) ، وَتَقَدَّمَ قَرِيبًا بِلَفْظِ ( الضَّحَى ) .

إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ فَأَهْلُ الْعَفْوِ أَنْتَ وَإِنْ تُمْضِ الْعِقَابَ فَأَمْرٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ  
 يقول : إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ .. فَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ ، وَإِنْ قَتَلْتَهُمْ .. فَأَمْرُكَ نَافِذٌ .  
 اِسْمَعْ فَإِنَّكَ قَدْ هَيَّجْتَ مَلْحَمَةً وَفَذَتْ مِنْهَا بِأَرْوَاحِ الصَّنَادِيدِ  
 يقول : اسمع مدحي لك ؛ **فقد هَيَّجْتَ ملحمةً** : رجعت منها بأرواح أهل  
 السِّنْدِ .

اقْذِفْ أَبَا مَالِكٍ فِيهَا يَكُنْكَ بِهَا وَيَسْعَ فِيهَا بِجَدٍّ مِنْكَ مَجْدُودٍ  
**أبا مالك<sup>(١)</sup>** : ولده ؛ يقول له : أَلْقِ وَلَدَكَ فِي الْحَرْبِ .. يَقُمْ مَقَامَكَ فِيهَا  
**بِجَدٍّ** ؛ أي : بختٍ **مجدودٍ** ؛ أي : مبخوتٍ .

يَمْضِي بِعَزْمِكَ أَوْ يَجْرِي بِشَاوِكَ أَوْ يَفْرِي بِحَدِّكَ كُلُّ غَيْرٍ مَحْدُودٍ  
**الشَّأْوُ** : الطَّلُقُ ، **يفري** : يقطعُ ، **والحدُّ** **ها هنا** : النجدةُ .

لَا يَعْدَمُنْكَ حِمَى الْإِسْلَامِ مِنْ مَلِكٍ أَقَمْتَ قُلَّتَهُ مِنْ بَعْدِ تَأْوِيدِ  
 يقول : لَا فَقْدَكَ حِمَى الدِّينِ ؛ فَإِنَّكَ قَدْ حَمَيْتَهُ ، وَأَقَمْتَ قُلَّتَهُ **بعد تأويدٍ** ،  
 وَهُوَ الْمِيلُ ؛ أي : كَانَ مَالٌ فَقَوِّمْتَهُ .

كَفَيْتَ فِي الْمُلْكِ حَتَّى لَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عَلَى ضِيَاعٍ وَلَمْ يَحْزَنْ لِمَفْقُودِ  
 يقول : كَفَيْتَ بِالْمُلْكِ حَتَّى لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : يَا حَسْرَتَاهُ عَلَى فُلَانٍ مَا كَانَ  
 أَحْمَاهُ !! **ولم يقف أحدٌ على ضياعٍ** ؛ أي : حمدوك .

أَعْطَيْتَهُمْ مِنْكَ نَصْحًا لَا كَفَاءَ لَهُ وَأَيَّدُوكَ بِرُكْنٍ غَيْرِ مَهْدُودِ  
 يقول : أَعْطَيْتَ بَنِي الْعَبَّاسِ نَصْحًا مِنْكَ لَا قَبَالَ لَهُ ، **وَأَيَّدُوكَ** **هم بركنٍ غيرٍ**  
**مهودٍ** ؛ أي : غيرٍ منهدمٍ .

(١) في « ديوان صريع الغواني » مع الشرح أيضاً ( ص ١٧٠ ) : ( ملك ) بدل ( مالك ) في الموضعين .

لَمْ يَنْبَغِ الدَّهْرُ يَوْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِ إِلَّا أَنْبَعَثَ لَهُ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ  
أَجْرَى لَكَ اللَّهُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ عَلَى فِعْلٍ حَمِيدٍ وَجَدٍ غَيْرِ مَنْكُودٍ  
**يريدُ** : جعلَ اللهُ لكَ أَيَّامَ حَيَاتِكَ مَبَارَكَةً ، لَا تَفْقُدُ فِيهَا فِعْلاً مَحْمُوداً ،  
وَبِخْتاً صَاعِداً .

لَا يَفْقِدُ الدِّينُ خَيْلاً أَنْتَ قَائِدُهَا يُعْهَدَنَّ فِي كُلِّ ثَغْرِ غَيْرِ مَعْهُودٍ  
**غيرِ معهودٍ** : يريدُ : أَنَّهُ يَغْزُو إِلَى الْعَدُوِّ بِمَوَاضِعَ لَمْ يَدْخُلْهَا أَحَدٌ .  
مُحَمَّلَاتٍ إِذَا آبَتْ غَنَائِمُهَا وَمُقَدِمَاتٍ عَلَى نَصْرِ وَتَأْيِيدٍ  
**يريدُ** : هَذِهِ الْخَيْلُ - إِذَا رَجَعَتْ - مُحَقَّبَاتٌ ، وَإِذَا مَضَتْ . . هِيَ مَنْصُورَةٌ  
وَمُؤَيَّدَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

هُنَاكَ أَنَّكَ مَغْدَى كُلِّ مُلْتَمِسٍ جُوداً وَأَنَّكَ مَأْوَى كُلِّ مَطْرُودٍ  
يَقُولُ : مَنْ طَلَبَ جُوداً . . فَعِنْدَكَ يَجِدُهُ ، وَمَنْ طَرَدَهُ أَهْلُهُ . . فَأَنْتَ تَأْوِيهِ  
وَتَجِيرُهُ عَمَّنْ يَطْلُبُهُ .

تَسْتَأْنِفُ الْحَمْدَ فِي دَهْرٍ أَوَائِلُهُ مَوْسُومَةٌ بِفَعَالٍ مِنْكَ مَحْمُودٍ  
**تَسْتَأْنِفُ الْحَمْدَ** ؛ أَيُ : تَبْتَدِئُهُ فِي دَهْرِ أَوَائِلِهِ مَوْسُومَةٌ بِفَعَالِكَ الْجَمِيلَةِ  
الْمَحْمُودَةِ الَّتِي تُحَمِّدُ عَلَيْهَا .

إِذَا عَزَمْتَ عَلَى أَمْرٍ بَطَشْتَ بِهِ وَإِنْ أَنْلْتَ فَنَيْلًا غَيْرَ تَضْرِيدٍ  
يَقُولُ : **وَإِنْ أَنْلْتَ** ؛ أَيُ : أَعْطَيْتَ عَطَاءً غَيْرَ قَلِيلٍ .

عَوَّدَتْ نَفْسَكَ عَادَاتٍ خُلِقَتْ لَهَا صِدْقَ الْحَدِيثِ وَإِنْجَارَ الْمَوَاعِيدِ  
**الْإِنْجَارُ** : تَنْفِيذُ الْوَعْدِ بِالْوَفَاءِ ، **وَالْمَوَاعِيدُ** : جَمْعُ مَوْعِدٍ .



داوودُ هذا الذي امتدحه مسلّم بهذه القصيدة الفريدة . . كان أحد قوادر الرشيد ، ولفظ القائد في ذلك العصر كان لقباً لأمرء العسكر ، وأهل بيت هذا الممدوح إلى المهلب ، كانوا في تلك الوظيفة لملوك أعصرهم ، فكان المهلب رضي الله عنه أحد التابعين ، وأبوه أبو صفرة أحد الصحابة رضي الله عنه . . مُتولياً رئاسة العسكر العراقي لعبد الملك بن مروان في إمارة الحجاج .

وإذا عرفت أنّ الممدوح كان أمير عسكر . . **فعليك أن تتأمل الشعر** ؛ لتعرف كيف يمدح مثله ، دون ما إذا كان الممدوح ملكاً ، أو كاتباً ، أو جابياً خراج مثلاً ، **فلكل كلام يخصه** ، ومعانٍ تناسبه كما تراه فيما تطلع عليه من القصائد في الأغراض المختلفة .



## [ قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم بالله ]

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، وكان أشجع أولاد الرشيد ، غريب الفصاحة والفهم على أميته ؛ فإنه لم يقرأ كما قرأ إخوته .

**وسبب هذه القصيدة :** أن أحد أصحاب الأخبار للمعتصم ورد عليه يوماً وهو في مجلس شرايه ، فأخبره أن بقرية من قرى عمورية أسيرة هاشمية أضرت بها من هي في يده ، فنادت : **واعتصماه** ، فقال لها : **سيأتيك المعتصم على فرس أبلق ؛ يهزأ بها .**

فقال المعتصم عند سماع ذلك : لبيك لبيك ، وأمر ساقيه أن يختم على الكأس الذي كان معه لمناولته إيّاه ، وحلف أنه لا يشربه إلا بعد إنقاذ الأسيرة ، **وأمر أن يُجهز الجيش بخيل بُلُق .**

ولما صمّم على الخروج من فوره .. قال له المنجمون : إن هذه الساعة لا تصلح للخروج ، وأبدوا حجتهم في ذلك ، فلم يصغ لهم ، وكان الفتح والسعادة على خلاف حكم المنجمين ، فذلك ما يشير له أبو تمام في أول القصيدة ، وكان أصحاب عمورية يقولون بحكم تنجيمهم : إنه إذا جاء المعتصم بجيشه في هذه الأيام ولم ينتصر قبل نضج التين والعنب .. فإنه لا ينتصر بعد ، ولا تفتح البلد أبداً ، وكانوا لذلك يحاولون تأخير الحرب حتى تمضي تلك المدة ، فعاجلهم ، وفتح البلد قبله ، ولذلك الإشارة بقوله : ( تسعون ألفاً كآساد الشرى ... ) البيت ، وبعض من لم يطلع على هذا .. عاب أبا تمام بهذا البيت في هذه القصيدة قائلاً : إن لفظه من الألفاظ المبتذلة الساقطة .

ولمّا أنشد هذه القصيدة .. طلب المعتصم طرباً بها إعادة  
 إنشادها ، فأعادَهُ ، وأنشدَهَا ثالثةً مِنْ نَفْسِهِ ، فقال : **إلى متى تجلو هذه**  
**العروس ؟** ! وأمرَ بعدَ أبياتِها ، **وأجازه لكل بيت ألف** ، رحمَهُمُ اللهُ  
 تعالى<sup>(١)</sup> :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ      فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ  
 بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي      مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ  
 وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٌ      بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ  
 أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا      صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ  
 تَحَرُّصاً وَأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً      لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرْبِ

**النَّبْعُ والغَرْبُ والشَّوْحُطُ** : ثلاثة أنواعٍ لجنسٍ واحدٍ مِنَ الشَّجَرِ ، فما نبتَ  
 منه في أعلى الجبلِ .. **يُسَمَّى نَبْعاً** ، وهو أصلُها ؛ لجفافِ الهواءِ هناك ،  
 وتعرُّضِهِ للشمسِ ، **والغَرْبُ** : ما في وسطِ الجبلِ ، **والشَّوْحُطُ** : ما في أدناه ؛  
 وهو أضعفُها ، لمكانِ زيادةِ الرطوبةِ هناك ، وَمِنْ النَّبْعِ تُعْمَلُ القِسِيُّ .

عَجَائِباً زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفِلَةً      عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ  
 وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ      إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنْبِ  
 وَصَيَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً      مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ  
 يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ      مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ  
 لَوْ بَيَّنْتَ قُطْ أَمْراً قَبْلَ مَوْقِعِهِ      لَمْ يَخَفَ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ  
 فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ      نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ

(١) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٤٠/١ - ٧٣ ) .

فَتَحْ تَفْتَحْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ  
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ أَنْصَرَفَتْ  
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ  
أُمِّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا  
وَبَرَزَةَ الْوَجْهَ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا  
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ  
بَكَرَ فَمَا أَفْتَرَعَتْهَا كَفَتْ حَادِثَةً  
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا  
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً  
جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةِ  
لَمَّا رَأَتْ أُخْتُهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ  
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ  
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِيٍّ مِنْ دَمِهِ  
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا  
غَادَرَتْ فِيهَا بِهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى  
حَتَّى كَانَ جَلَابِيبُ الدُّجَى رَغَبَتْ  
ضَوْءَ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةً  
فَالشَّمْسُ طَالِعَةً مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ  
تَصْرَحَ الدَّهْرُ تَضْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا

وَتَبَرُّزُ الْأَرْضِ فِي أَثَوَابِهَا الْقُشْبِ  
عَنْكَ الْمُنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ  
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الْحَرْبِ فِي صَبَبِ  
فِدَاءِهَا كُلِّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبِ  
كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ  
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبِ  
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوبِ  
مَخَضَ الْحَلِيبَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ  
مِنْهَا وَكَانَ أَسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرْبِ  
إِذْ غَوْدَرَتْ وَخُشَّةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ  
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ  
قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمِ سَرِبِ  
لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ  
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ  
يَشْلُهُ وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ  
عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبِ  
وَوُظِّلَتْ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شَجِبِ  
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ  
عَنْ يَوْمٍ هَيَجَاءُ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ

(١)

بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى غَرْبِ  
غَيْلَانُ أَبْهَى رُبَى مِنْ رَبْعِهَا الْخَرْبِ  
أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ  
عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ  
جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ  
لَهُ الْأَمْنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ  
لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَهَبِ  
يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبِ  
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ  
مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ  
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصِبِ  
وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ  
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ  
ظُبَا السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ  
[ دَلُّوا ] الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ  
كَأْسِ الْكَرَى وَرُضَابِ الْخَرْدِ الْعُرْبِ  
بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا [ الْحَصْبِ ]

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَلِكَ عَلَى  
مَا رُبُعَ مَيَّةَ مَعْمُورًا يَطِيفُ بِهِ  
وَلَا الْخُدُودُ وَإِنْ أَذْمِينَ مِنْ خَجَلِ  
سَمَاجَةً غَنِيَتْ مِنَّا أَلْعُيُونُ بِهَا  
وَحُسْنُ مُنْقَلَبِ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ  
لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنْتَ  
تَذْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمِ  
وَمُطْعِمِ النَّضْلِ لَمْ تَكْهَمْ أَسْنَتُهُ<sup>(٢)</sup>  
لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدِ  
لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَغَدَا  
رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيَّهَا فَهَدَّمَهَا  
مِنْ بَعْدِمَا أَشْبُوَهَا وَاثْقَيْنَ بِهَا  
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعُ صَدَدُ  
أَمَانِيًّا سَلَبَتْهُمْ نُجَحَ هَاجِسِهَا  
إِنَّ الْحَمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرِ  
لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ  
عَدَاكَ حُرَّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ

(١) في « ديوان أبي تمام » ( ٥٥/١ ) : ( عزب ) بدل ( غرب ) .

(٢) في « ديوان أبي تمام » ( ٥٨/١ ) : ( ومُطْعِمُ النَّصْرِ ) بدل ( ومطعم النصل ) .



أَجَبْتُهُ مُعَلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا  
حَتَّى تَرَكَتَ عَمُودَ الشَّرِكِ مُنْقَعِرًا  
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تُوْفِلِسُ  
عَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ [ جَزَيْتَهَا ]  
هَيْهَاتَ زُعِرَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورُ بِهِ  
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرَبِّي بِكَثْرَتِهِ  
إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هِمَّتْهَا  
وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئُ مَنْطِقَهُ  
أَحْسَى قَرَابِنَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى  
مُوكَّلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ  
إِنْ يَعُدُّ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظِّلِمِ فَقَدْ  
تِسْعُونَ أَلْفًا كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ  
يَا رَبِّ حَوْبَاءَ لَمَّا أَجِثَتْ دَابِرُهُمْ  
وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ  
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَجِبِ  
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ  
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا  
كَمْ أَخْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُضْلَتَةً  
بِيضٌ إِذَا أَنْتَضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ

وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ  
وَلَمْ تُعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ  
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ  
فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعَيْبِ  
عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبِ  
عَلَى الْحَصَى وَبِهِ فَقَرَّ إِلَى الذَّهَبِ  
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ  
بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ  
يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ  
مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ  
أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ  
جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ اللَّيْنِ وَالْعِنَبِ  
طَابَتْ وَلَوْ ضُمِخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبْ  
حَيَّ الرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ  
تَجَثُّو الرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكَبِ  
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنِبِ  
إِلَى الْمُخَدَّرَةِ الْعُذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ  
تَهْتَزُّ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبِ  
أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجْبِ

خَلِيفَةَ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعِيكَ عَنْ  
بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا  
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ  
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ الْأَلَاتِي نُصِرْتَ بِهَا  
أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُصْفَرِّ كَأَسْمِهِمْ  
جُرْثُومَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ  
تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ  
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ  
وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَذَرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ  
صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ



## [ قصيدة لابن نباتة السعدي في مدح ابن بويه ]

وقال **عبد العزيز بن نباتة السعدي** - وهو أحد أسياف الشرف الرضي -  
يمدح عضد الدولة وتاج الملة ابن بويه في النيروز ، وكان قد احتفل في  
جلوسه سنة سبع وستين وثلاث مئة ، وكانوا يتخذون هذا اليوم - وهو  
يوم حلول الشمس في الميزان - موسماً عيداً على السنن القديم في  
العجم ، وكذلك كانوا يتخذون يوم حلول الشمس في الحمل ، ويسمى  
المهرجان<sup>(١)</sup> :  
[ من الطويل ]

<p>سَتَعْلَمُ أَيَّ [ الْغَايَتَيْنِ ] أُرِيدُ أَحَبُّ مِنَ الْفَتَيَانِ كُلِّ غَشْمَشَمٍ يُنْهِنُهُ الْأَعْدَاءُ وَهُوَ مُصَوِّمٌ يُخَاطِرُ فِي حُبِّ الثَّنَاءِ بِنَفْسِهِ وَمَوْلَى أَدَارِي طَيْشُهُ وَهُوَ نَافِرٌ أَكَابِدُ مِنْهُ غَصَّةٌ مَا يَسِيعُهَا يُعِينُ عَلَيَّ الْخَضَمَ لَا يَسْتَعِينُهُ إِذَا مَا رَأَيْتَ الرُّمَحَ يَغْسِلُ نَحْوَهُ وَقُلْتُ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَأَنَّ نَوَامِيسَ الرِّجَالِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّ تَاجَ الْمِلَّةِ الْيَوْمَ حَلَّهَا</p>	<p>فَإِنَّ الْهُوَيْنَى لِلرِّجَالِ قُيُودُ لَهُ شَيْعٌ مِنْ نَفْسِهِ وَعَدِيدُ هَجُومٍ عَلَى مَا يَكْرَهُونَ وَرُودُ وَهْلٍ لِعُغْلَامٍ فِي الزَّمَانِ خُلُودُ [ أَذُبْ ] كَأَنْبُوبِ الْيَرَاعِ شُرُودُ مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا حَازِمٌ وَجَلِيدُ وَأَذْفَعُ عَنْ حَوْبَائِهِ وَأَذُودُ تَعَرَّضَ نَحْرُ دُونَهُ وَوَرِيدُ لَهَا كَاشِحٌ مِنْ أَهْلِهَا وَحَسُودُ تَوَارَتْ عَادٌ مُكْرَهًا وَثُمُودُ عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى لَيْسَ فِيهِ عُقُودُ</p>
--	---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة السعدي » ( ١ / ٥٤٨ - ٥٥٣ ) .

فَتَى هَجَرَ اللَّذَاتِ وَالْعَيْشُ مُونِقُ  
وَقَاسَى بَدِيعَاتِ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ  
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِكْرَةٌ عَضْدِيَّةٌ  
تَرَحَّلُ فِيهَا لِلْفَعَالِ عَزَائِمُ  
وَفَضَّلَهُ حَزْمٌ وَعَزْمٌ وَنَائِلُ  
وَصَبْرٌ إِذَا نَابَتْ خُطُوبٌ مُلَمَّةٌ  
تَلُوحُ وَرَاءَ النَّفْعِ غُرَّةٌ وَجْهِهِ  
فَمَا وَلَدَتْ بِيضُ الْحَوَاصِنِ مِثْلَهُ  
أَطْبُ بِدَاءٍ مَا يُصَابُ دَوَاؤُهُ  
وَأَطْعَنُ مِنْهُ فِي نِيَاطِ كَتِيبَةٍ  
تَسِيرُ أَمَامَ الْجَيْشِ قَبْلَ مَسِيرِهِ  
ثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ مَشَارِقِ فَارِسِ  
وَمُرْدٌ عَلَى حَدِّ الْمُتُونِ رِمَاحُهُمْ  
ثَنَاهُنَّ عَنْ أَرْضِ الْحِمَى مُتَنَكِّبٌ  
فَإِنْ لَمْ تَذُقْ فِيهَا الرُّقَادَ فَطَالَ مَا  
شَفِيتَ مِنَ الْغِلِّ الْكَمِينِ عِصَابَةً  
إِذَا تُرِكَتْ يَوْمًا تَقُولُ فَإِنَّهَا  
فِيَا غَنَمًا نَامَتْ بِمَضَرٍ رِعَاؤُهَا

رَقِيقُ حَوَاشِي الطَّرَتَيْنِ بَرُودُ  
إِلَى أَنْ عَلَاهُ الشَّيْبُ وَهُوَ وَلِيدُ  
يُصَرِّفُ وَعْدُ بَيْنَهَا وَوَعِيدُ  
وَتَنْزِلُ فِيهَا لِلْهُمُومِ وَفُودُ  
وَهُمْ لَهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ بَعِيدُ  
يَقُومُ لَهَا وَالْفَاعِلُونَ قُعُودُ  
كَمَا لَاحَ مِنْ ضَوْءِ الصَّبَاحِ عَمُودُ  
وَلَا نُوبُ الْأَيَّامِ وَهِيَ وَلُودُ  
وَأَعْلَمُ بِالْأَنْوَاءِ أَيْنَ تَجُودُ  
بِهَا السَّيْفُ أَعْمَى وَالسِّنَانُ بَلِيدُ  
كَتَائِبُ مِنْ آرَائِهِ وَجُنُودُ  
إِلَى الرُّومِ نَفْعٌ سَاطِعٌ وَوَيْدُ  
وَجُرْدٌ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ لُبُودُ  
يُرِيدُ بِهِنَّ اللَّهُ حَيْثُ يُرِيدُ  
سَهْرَتٌ وَأَيْقَاطُ الْخُطُوبِ رُقُودُ  
تَكِيدُ مَعَ الشَّيْطَانِ حَيْثُ تَكِيدُ<sup>(١)</sup>  
تَصُولُ وَكُلُّ الضَّارِيَاتِ أَسُودُ  
بِكَ الذِّئْبُ مِنْ بَيْنِ الْبَهَامِ عَمِيدُ

(١) في «ديوان ابن نباتة السعدي» (٥٥١/١): (يكيد).

دَعِيَ مَرْتَعِ الْأَرَامِ مِنْ بَطْنِ جَاسِمٍ  
وَلَا تُرْدِي بِالْغُوطَتَيْنِ وَقِيعَةً  
فَإِنِّي أَظُنُّ الرِّيحَ سَوْفَ تَذُلُّهُ  
وَحَادَعَهَا عَنْ جَدِّهَا وَمَرَاكِهَا  
تَطَامَنُ لَهَا وَأَنْصُبُ حَبَالِكَ حَجْرَةً  
وَإِنْ شَرَدَتْ وَالْعِقْدُ حُلَّ نِظَامُهُ  
وَسَرَّكَ بِالْفُسْطَاطِ جَمْعُ أَظْنُهُ  
أِنْ عُطِلَتْ كَأْسُ النَّدِيمِ وَرُشِحَتْ<sup>(١)</sup>  
وَأَسْرَعَ غَبَّ الْمَحْضِ فِي غُلَوَائِهَا  
تَمَنَّيْتُ فِي لَهْوِ الْحَدِيثِ لِقَاءَهَا  
وَإِنْ عَلَيْهَا جُنَّةٌ فَارِسِيَّةٌ  
وَكُلُّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ كَأَنَّهُ  
عَقَائِقُ أَمَّا لَمُعُهَا فَبَوَارِقُ  
يُعَوِّدُهَا ضَرْبَ الْجَمَاجِمِ قَاهِرُ  
إِلَى الرَّمْلِ يَنْمِي حَمْضُهُ وَيَزِيدُ  
يُغَازِلُهَا لَمْعُ الْغَزَالَةِ سِيدُ  
عَلَيْكَ وَبَيْنَ الْمَنْهَلَيْنِ بَرِيدُ  
ذُؤَالَهُ مِثْلُ السَّمْهَرِيِّ يَمِيدُ  
فَإِنَّ نُورَ الْوَحْشِ سَوْفَ تَرُودُ  
فَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهَا سَتَعُودُ  
[يَغُرُّكَ] لَوْ عَضَّ الْحَدِيدُ حَدِيدُ  
لِغَايَتِهَا قَبُّ الْأَبَاطِلِ قُودُ  
فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا لِلصَّنِيعِ مَزِيدُ  
وَإِنَّكَ مَا لَمْ تَلْقَها لَسَعِيدُ  
مُنَاقِلُهَا يَوْمَ الطَّرَادِ طَرِيدُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ أَخْلَقْتُهُ الْحَادِثَاتُ جَدِيدُ  
عَلَيْكَ وَأَمَّا وَقْعُهَا فَرُعُودُ  
عَلَى النَّاسِ مَعْبُودُ الْجَلَالِ مَجِيدُ

افتخر في مطلع القصيدة بكونه ذا بأسٍ وعزيمةٍ ، وقفاهُ بأثرٍ ذلك ، ثمَّ  
افتخر بالمحافظة على نسبة الضحبة أو القرابة كيفما كان الصاحب أو القريب  
في قوله : ( ومولى ) ، وبالغ في ذلك ، وأحسن فيه تقرير مذهبه .

ثمَّ عاد إلى خطاب نفسه يسليها بما يكون عذراً يبنى عليه احتمال عيوب

(١) في « ديوان ابن نباتة السعدي » ( ٥٥٢/١ ) : ( عوطيت ) بدل ( عطلت ) .

(٢) في « ديوان ابن نباتة السعدي » ( ٥٥٣/١ ) : ( مطاعنها ) بدل ( مناقلها ) .



الصَّاحِبِ أَوْ الْقَرِيبِ فِي قَوْلِهِ : ( وَقُلْتُ تَعَلَّمْ ) ، وَعُظِفَ عَلَيْهِ مَعْلُومًا آخَرَ ؛  
وَهُوَ أَنَّ نَوَامِيسَ الرِّجَالِ - أَي : حِيلَهُمْ وَأَشْرَاكَ مَكَايِدِهِمْ - مَا زَالَتْ فِي النَّاسِ  
قَدِيمًا ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى ذَلِكَ مُتَخَلِّصًا لِلْمَدْحِ بِأَنَّ مَمْدُوحَهُ أَزَالَ تِلْكَ الْحِيلَ  
وَكَشَفَ الْأُمُورَ ، وَضَمَّنَ مَعْنَى ( حَلَّ ) فِي قَوْلِهِ : ( حَلَّهَا عَلَى الدَّهْرِ ) مَعْنَى  
( ضَيَّعَ ) ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ : ( ضَيَّعَتْ عَلَى فَلَانٍ تَعَبَهُ فِي كَذَا ) .

ثُمَّ اسْتَرْسَلَ فِي الْمَدْحِ اللَّائِقِ بِالْمُلُوكِ ذَوِي الْهَمَمِ الْعَالِيَةِ وَالْعِزَائِمِ الْمَاضِيَةِ ،  
مَشِيرًا إِلَى وَقَائِعِ الْمَمْدُوحِ وَحُرُوبِهِ ، وَسَعَةِ مَمْلَكَتِهِ ، مَائِلًا إِلَى ذِكْرِ بَعْضِ  
الْجِهَاتِ - كَمَصْرَ - بِرَدَاءَةِ السِّيَاسَةِ ، وَكُونِهَا تَحْتَ خَطَرٍ أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهَا ،  
وَيُومَى إِلَى عَسْكَرِهَا بِالتَّحْذِيرِ وَالنَّصِيحَةِ ؛ بِتَرْكِ التَّعَرُّضِ إِلَى مَعَارِضَتِهِ .

وَشَعَرُ ابْنِ نَبَاتَةَ هَذَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَطْلُبُ بِشِدَّةٍ دَقَّتِهِ وَبُعْدَ إِشَارَتِهِ  
مِمَّنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَبَّثَ فِي تَعْقُلِهِ وَتَفَهُمِ أَغْرَاضِهِ بَيْتًا بَيْتًا ، وَفَصْلًا فَصْلًا .



## [ مِنْ شَعْرِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ فِي النَّسِيبِ ]

وَمِنْ شَعْرِ الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ الرَّضِيِّ - وشعره كما سبق التنبيه عليه كثيرٌ جداً ، وديوانه موجودٌ بدار الكتب الكبيرة ، فلنكتفِ مِنْ شعره بإيراد ما يكون أنموذجاً يُستدلُّ به على باقيه ، فإن أردتَ استيفاء قراءته . . فقد علمتَ مكانه - قوله في النَّسِيبِ ، وطريقته فيه تُسمَّى **بالطريقة الغرامية** <sup>(١)</sup> : [ من البسيط ]

يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ تَرَعَى فِي خَمَائِلِهَا	لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكَ
الْمَاءُ عِنْدَكَ مَبْدُولٌ لِشَارِبِهِ	وَلَيْسَ يُزْوِيكَ إِلَّا [ مَذْمَعِي ] الْبَاكِ
هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَّاحِ الْغُورِ رَائِحَةٌ	بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرِيَّاكَ
ثُمَّ أَنْثَنَيْنَا إِذَا مَا هَزَّنَا طَرْبٌ	عَلَى الرَّحَالِ تَعَلَّلْنَا بِذِكْرَاكَ
سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ	مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَذَتْ مَزْمَاكَ
حَكَتْ لِحَاطُكَ مَا فِي الرِّيمِ مِنْ مَلَحٍ	يَوْمَ الْإِلْقَاءِ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْحَاكِ
كَأَنَّ طَرْفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخْبِرُنَا	بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءٍ [ قَتْلَاكَ ]
أَنْتِ النَّعِيمُ لِقَلْبِي وَالْغَرَامُ لَهُ	فَمَا أَمْرُكَ فِي قَلْبِي [ وَأَخْلَاكَ ]
عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا	لَوْلَا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَاكِ
وَعُدُّ لِعَيْنِكَ عِنْدِي مَا وَفَيْتُ بِهِ	يَا قُرْبَ مَا كَذَبْتُ عَيْنِي عَيْنَاكَ
سَقَى مِنِّي وَلِيَالِي الْخَيْفِ مَا شَرِبْتُ	مِنْ الْغَمَامِ وَحَيَّاهَا وَحَيَّاكَ
إِذْ يَلْتَقِي كُلُّ ذِي دَيْنٍ وَمَاطِلَةٍ	مِنَّا وَيَجْتَمِعُ الْمَشْكُورُ وَالشَّاكِي

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » ( ١٠٧/٢ - ١٠٨ ) .

لَمَّا غَدَا السَّرْبُ يَعْطُو بَيْنَ أَرْحُلِنَا  
 هَامَتْ بِكَ الْعَيْنُ لَمْ [تَتَّبِعْ] سِوَاكَ هَوًى  
 يَا حَبَّذَا نَفْحَةً مَرَّتْ بِفِيكَ لَنَا  
 وَحَبَّذَا وَقْفَةً وَالرَّكْبُ مُعْتَقِلٌ  
 لَوْ كَانَتْ اللَّيْمَةُ السَّوْدَاءُ مِنْ عُدَدِي

وقوله<sup>(١)</sup> :

يَا لَيْلَةَ السَّفْحِ أَلَا عُدْتَ ثَانِيَةً  
 مَاضٍ مِنَ الْغَيْشِ لَوْ يُفْدَى بِذَلِكَ لَهُ  
 لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَاتٍ ظَفِرْتُ بِهَا  
 فَلَيْتَ عَهْدِكَ إِذْ لَمْ يَبْقَ لِي أَبَدًا  
 تَعَجَّبُوا مِنْ تَمَنِّي الْقَلْبِ مُؤْلِمَهُ  
 رُدُّوا عَلَيَّ لَيْالِيَّ الَّتِي سَلَفَتْ  
 أَقُولُ لِلْأَيْمِ الْمُهْدِي مَلَامَتَهُ  
 وَظُبْيَةٍ مِنْ طِبَاءِ الْإِنْسِ عَاطِلَةٍ  
 لَوْ أَنَّهَا بِفَنَاءِ الْبَيْتِ سَائِحَةٌ  
 قَدَرْتُ مِنْهَا بِلَا رُقْبَى وَلَا حَذَرٍ  
 بَتْنَا ضَجِيعَيْنِ فِي ثُوبَيِ هَوًى وَتَقَى

[ من البسيط ]

سَقَى زَمَانِكَ هَطَّالٌ مِنَ الدَّيَمِ  
 كَرَائِمِ الْمَالِ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ نَعَمٍ  
 فَهَلْ لِي الْيَوْمَ إِلَّا زَفَرَةُ النَّدَمِ  
 لَمْ يُبْقِ عِنْدِي عَقَابِيلاً مِنَ السَّقَمِ  
 وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ خَلَوْ مِنْ الْأَلَمِ  
 لَمْ أَنْسَهُنَّ وَلَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ  
 ذُقِ الْهَوَى فَإِنْ أَسْطَعْتَ الْمَلَامَ لَمْ  
 تَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَ بَيْنَ الْخُمْصِ وَالْهَضَمِ  
 لَصِدْتُهَا وَابْتَدَعْتُ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ  
 عَلَى الَّذِي نَامَ عَنْ لَيْلَى وَلَمْ أَنْمِ  
 يَلْقُنَا الشَّوْقُ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمٍ

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » ( ٢٧٣/٢ - ٢٧٥ ) .

وَأَمْسَتِ الرِّيحُ كَالْغَيْرَى تُجَاذِبُنَا  
يَشِي بِنَا الطِّيبُ أَحْيَانًا وَأَوْنَةً  
وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الشَّغْرِ يُوضِحُ لِي  
وَبَيْنَنَا عَقَّةٌ بَايَعْتُهَا بِيَدِي  
يُولَعُ الطَّلُّ يُزِدُّنَا وَقَدْ نَسَمْتُ  
وَأَكْتُمُ الصُّبْحَ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ  
فَقُمْتُ أَنْفُضُ ثَوْبًا مَا تَعَلَّقَهُ  
وَأَلْمَسْتَنِي وَقَدْ جَدَّ الْوَدَاعُ بِنَا  
وَأَلْثَمْتَنِي ثَغْرًا مَا عَدَلْتُ بِهِ  
ثُمَّ أَنْشَيْنَا وَقَدْ رَابَتْ ظَوَاهِرُنَا  
يَا حَبَّذَا لَمَّةً بِالرَّمْلِ ثَانِيَةً  
وَحَبَّذَا نَهْلَةً مِنْ فَيْكِ بَارِدَةً  
دَيْنٌ عَلَيْكَ فَإِنْ تَقْضِيهِ أَحْيَ بِهِ  
عَجِبْتُ مَنْ بَاخِلٍ عَنِّي بِرِيقَتِهِ  
مَا [ سَاعَفْتَنِي ] اللَّيَالِي بَعْدَ بَيْنِهِمْ  
وَلَا أَسْتَجِدَّ فُؤَادِي فِي الزَّمَانِ هَوَى  
لَا تَطْلُبَنَّ لِي الْأَبْدَالَ بَعْدَهُمْ

عَلَى الْكَثِيبِ فُضُولُ الرِّيطِ وَاللِّمَمِ  
يُضِيئُنَا الْبَرْقُ مُجْتَازًا عَلَى أَضَمِ  
مَوَاقِعِ اللَّثَمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ  
عَلَى الْوَفَاءِ بِهَا وَالرَّعْيِ لِلدِّمَمِ  
رُويْحَةُ الْفَجْرِ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّلَمِ  
حَتَّى تَكَلَّمَ عُصْفُورٌ عَلَى عِلَمِ  
غَيْرِ الْعَفَافِ وَرَاءَ الْغَيْبِ وَالْكَرَمِ  
كَفًّا يُشِيرُ بِقُضْبَانٍ مِنَ الْعَنَمِ  
أَزْيِ الْجَنَى بِنَاتِ الْوَابِلِ الرُّدْمِ  
وَفِي بَوَاطِنِنَا بُعْدٌ مِنَ الثُّهَمِ  
وَوَقْفَةٌ بِبُيُوتِ الْحَيِّ مِنْ أَمَمِ  
يُعْدي عَلَى حَرِّ قَلْبِي بَرْدَهَا بِقَمِي  
وَأَنْ أَبَيْتِ تَقَاضَيْنَا إِلَى حَكَمِ  
وَقَدْ بَدَلْتُ لَهُ دُونَ الْأَنَامِ دَمِي  
إِلَّا بَكَيْتُ لِيَالِينَا بِذِي سَلَمِ  
إِلَّا ذَكَرْتُ هَوَى أَيْامِنَا الْقُدَمِ  
فَإِنَّ قَلْبِي لَا يَرْضَى بِغَيْرِهِمْ



## [ مِنْ شَعْرِ مَهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ ]

وَمِنْ شَعْرِ مَهْيَارٍ - وَقَدْ سَلَكَ طَرِيقَةً يَدْعُو الْأَدَبُ إِلَى سُلُوكِهَا ؛ لِرَفْعَةِ رَتَبَتِهَا مِنَ الْبَلَاغَةِ ؛ وَهِيَ أَنََّّهُ يَجْعَلُ غَزَلَ الْقَصِيدَةِ مُتَضَمِّنًا الْمَعْنَى الَّتِي قَصَدَ إِنْشَاءَهَا لِأَجْلِهِ - هَذِهِ الْقَصِيدَةُ .

**وَسَبَبُهَا :** أَنََّّهُ سَعَى بِهِ سَاعَ عِنْدَ مَلِكٍ نَاحِيَّتِهِ ، وَافْتَرَى عَلَيْهِ أَنَّهُ عَثَرَ بِكَزْزٍ ، فَحَبَسَهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَيْلَةً لِيُخْلِصَهُ مِنْهُ كَمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي غَالِبِ الزَّمَانِ مِنْ أَخْذِ الْمُلُوكِ مَا يَجِدُ النَّاسُ مِنَ الْكُنُوزِ ، ثُمَّ تَحَقَّقَ عِنْدَ الْمَلِكِ كَذِبُ السَّعَايَةِ ، فَأَطْلَقَهُ ، وَعَادَ لِبَرِّهِ ، فَأَنْشَأَهَا وَضَمَّنَهَا تَهْنئةً بَعِيدِ الْفَطْرِ <sup>(١)</sup> :

[ مِنْ الطَّوِيلِ ]

أَمَّا وَهَوَاهَا عِذْرَةٌ وَتَنْصُلَا	لَقَدْ نَقَلَ الْوَاشِي إِلَيْهَا فَأَمَحَلَا
سَعَى جَهْدُهُ لَكِنْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ	وَكَثُرَ فَأَزْتَابَتْ وَلَوْ شَاءَ قَلَلَا
وَقَالَ فَلَمْ تُقْبَلْ وَلَكِنْ تَلَوَّمْتَ	عَلَى أَنََّّهُ مَا قَالَ إِلَّا لِتَقْبَلَا
فَطَارَحَهَا أَنِّي سَلَوْتُ فَهَلْ رَأَى	لَهُ الدَّمُ مِثْلِي عَنْ هَوَىٍّ أَنَّهُ سَلَا
أَأَنْفُضُ طَوْعًا حُبَّهَا عَنْ جَوَانِحِي	وَإِنْ كَانَ حُبًّا لِلْجَوَانِحِ مُثْقَلَا
أَبَى اللَّهُ وَالْقَلْبُ الْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ	وَالْفَتْ إِذَا عُدَّ الْهَوَى كَانَ أَوَّلَا
أَيَا صَاحِبِي نَجَوَايَ يَوْمَ سُوءِ قَةٍ	أَنَاءً وَإِنْ لَمْ تُسْعِدَا فَتَجَمَّلَا
سَلَا ظَبْيَةَ الْوَادِي وَمَا الظَّبْيُ مِثْلُهَا	وَإِنْ كَانَ مَصْقُولَ التَّرَائِبِ أَكْحَلَا
أَأَنْتِ أَمَرْتِ الْبَدْرَ أَنْ يَصُدَعَ الدُّجَى	وَعَلَّمْتِ غُصْنَ الْبَانِ أَنْ يَتَمَيَّلَا

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » ( ٢٣٢/٣ - ٢٣٧ ) .



وَحَرَمْتَ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقَفَّةَ سَاعَةٍ  
جَمَعْتَ عَلَيْهِ حُرْقَةَ الدَّمَغِ وَالْجَوَى  
هَبِي لِي عَيْنِي وَأَحْمِلِي كُلْفَةَ الْأَسَى  
أَرَاكَ بِوَجْهِ الشَّمْسِ وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا  
وَأَذْكُرُ عَذَاباً مِنْ رُضَابِكَ مُسْكِراً  
هَنِيئاً لِحُبِّ الْمَالِكِيَّةِ إِنَّهُ  
تَعَلَّقْتُهَا غِزّاً وَلِيداً وَشَيَّبْتُ  
وَوَحَّدَهَا فِي الْحُسْنِ قَلْبِي فَمَا لَهُ  
رَعَى اللَّهُ قَلْبِي مَا أَبْرَّ بِمَنْ جَفَا  
وَأَكْرَمَ عَهْدِي لِلصَّدِيقِ فَإِنَّهُ  
وَلَيْنَ أَيَّامِي عَلَيَّ فَإِنِّي  
وَأَهْلُ زَمَانٍ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهُمْ  
صَدِيقُ نِفَاقٍ أَوْ عَدُوٌّ فَضِيلَةٍ  
وُلُوجٌ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي يَرْضُدُونَهُ  
إِذَا مَا رَأَوْا عِنْدَ امْرِئٍ زَادَ يَوْمِهِ  
وَفِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مَذَهَبٌ وَتَفْسُخٌ  
أَهُمُّ وَلَكِنْ مِنْ وَرَائِي جَوَادِبٌ  
وَتُعَلِّقُنِي الْأَمَالُ مِنْ قُلُلِ الْعُلَا

عَلَى عَاشِقٍ ظَنَّ الْوَدَاعَ مُحَلَّلاً  
وَمَا اجْتَمَعَ الدَّاءُ إِلَّا لِيَقْتُلَا  
عَلَى الْقَلْبِ إِنَّ الْقَلْبَ أَصْبَرُ لِلْبَلَا  
فَأَقْنَعُ تَشْبِيهاً بِهَا وَتَمَثُّلاً  
فَمَا أَشْرَبُ الصَّهْبَاءِ إِلَّا تَعَلُّلاً  
رَخِيسٌ لَهُ مَا عَزَّ مِنِّْي وَمَا غَلَا  
وَشَبْتُ وَنَاشِي حُبِّهَا مَا تَكْهَلَا  
وَإِنْ وَجَدَ الْأَبْدَالَ أَنْ يَتَبَدَّلَا  
وَأَصْبَرَهُ فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلَا  
قَلِيلٌ عَلَى الْحَالَاتِ أَنْ يَتَحَوَّلَا  
أَزَاحِمُ ثَهْلَانَا بِهِنَّ وَيَذْبُلَا  
إِذَا اسْتُؤْمِنُوا كَانُوا أَخَبَّ وَأَخْتَلَا  
مَتَى طُبَّ كَانَ الدَّاءُ أَدْهَى وَأَعْضَلَا  
مَتَى وَجَدُوا يَوْماً إِلَى الشَّرِّ مَدْخَلَا  
مَشَوْا حَسِداً أَوْ بَاتَ جَوْعَانُ مُرْمَلَا  
فَمَنْ لِي أَنْ أَسْطِيعَ أَنْ أَتَرْحَلَا  
أَخَافُ عَلَى أَعْطَانِهَا أَنْ تَسْلَلَا<sup>(١)</sup>  
فَأَجْعَلُهَا مِنْهُمْ مَلَاذاً وَمَعْقِلَا

(١) في «ديوان مهيار الديلمي» (٢٣٣/٣) : (تشللا) .

(١)

غَنِيَّ وَمُرَادٌ أَنْ أَضَامَ وَأَسْمَا  
رَبِيعٌ يَرُدُّ الْجَدْبَ أَخْضَرَ مُبْقِلًا  
بِإِشْرَاقِهِ أَخْزَى الْبُدُورَ وَأَخْجَلَا  
كَوَائِبَ نُورٍ ضَوْءُهَا يَمْلَأُ الْفَلَا  
وَيُحْيِي أَوَانًا بِاسِمَاءٍ مُتَهَلِّلَا  
وَإِنْ سُئِلَ الْإِغْضَاءَ شَامَ التَّفَضُّلَا  
عَلَى مَغْمَزِ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَتَسَهَّلَا  
وَإِنْ هَمَّ أَمْضَى أَمْرُهُ مُتَعَجِّلَا  
مَلِيًّا بِتَقْوِيمِ الْأُمُورِ مُعَدِّلَا  
إِلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً لَا تَعْمَلَا  
عَلَى أَمْرِهِ الْمَاضِي صُعُودًا وَنُزْلَا  
لَهَا مَا مِنَ الْإِقْبَالِ يَتَّبِعُ جَحْفَلَا  
فَلَوْ شَاءَ يَوْمَ الرُّوعِ حَارَبَ أَعْزَلَا  
تَضَمَّنَ بِاسْتِمْرَارِهَا وَتَكَفَّلَا  
وَقَدْ كَادَتْ الْأَقْدَامُ أَنْ تَتَزَلَزَلَا  
وَمُعْجِزَهَا حَتَّى ظَنَّكَ مُرْسَلَا  
عَلَيْكَ وَأَنَّ النَّاسَ أَجْمَلُ [مَحْفَلَا]  
إِلَيْهِ مُنِيبًا نَحْوَهُ مُتَبَيَّنَلَا

نَعَمْ عِنْدَ رُكْنِ الدِّينِ وَأَبْنِ قَوَامِهِ  
وَفِي يَدِهِ الْبَيْضَاءُ يَقْطُرُ مَاؤُهَا  
وَبِالْقَصْرِ مِنْ دَارِ السَّلَامِ مُتَوَّجٌ  
تَرَى خَرَزَاتِ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ  
يُمِيتُ النُّفُوسَ قَاطِبًا [مُتَنَمِّرًا]  
إِذَا كُفِرَ النَّعْمَاءُ شَامَ سُيُوفِهِ  
قَرِيبٌ [إِلَى الْمَوْلَى بَعِيدٌ] بِعِزِّهِ  
إِذَا مَنْ أَعْطَى حُكْمَهُ مُتَثَبِّتًا  
حَوَى حَوَازَةَ الدُّنْيَا فَدَبَّرَ أَمْرَهَا  
أَطَاعَتْهُ أَعْنَاقُ الْبِلَادِ وَأَقْبَلَتْ  
وَدَانَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ حَتَّى تَصَرَّفَتْ  
إِذَا طَلَبَ الْأَعْدَاءُ [أَنْفَذَ] جَحْفَلَا  
كَفَاهُ مَكَانَ السَّيْفِ وَالرُّمَحِ جَدُّهُ  
وَكَمْ عَادَةً لِلَّهِ فِي النَّصْرِ عِنْدَهُ  
وَمِنْ آيَةٍ قَامَتْ بِتَثْبِيتِ مُلْكِهِ  
ظَهَرَتْ جَلَالَ الدَّوْلَتَيْنِ بِفَضْلِهَا  
رَأَى اللَّهُ أَنَّ الْأَرْضَ أَصْلَحَ سِيرَةً  
وَأَنَّكَ تَأْوِي فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا

(١) في «ديوان مهيار الديلمي» (٢٣٣/٣) : (وأهملًا) .

فَأُولَٰكَ فِي ضَيْقِ الشَّدَائِدِ فُرْجَةٌ  
وَكَمْ أَبَقِ مِنْ رِقٍ [مُلْكِكَ] غَامِطٍ  
عَفَوْتَ مِرَارًا عَنْ تَمَادِي ذُنُوبِهِ  
وَبِالْأَمْسِ لَجُّوا فِي الشَّقَاقِ وَأَجْلَبُوا  
فَلَمْ يَجْنِ ضَعْفُ الرَّأْيِ إِلَّا عَلَيْهِمْ  
فَسَائِلُ بِهِمْ إِمَّا طَرِيدًا مُشَرَّدًا  
فَلَا زَالَ مَنْ عَادَاكَ أَبْعَدَ شُقَّةً  
وَلَا زَالَتِ الرَّيَاثُ وَأَسْمُكَ حَلِيهَا  
إِلَى أَنْ تَرَى بِيضَ الْمُلُوكِ وَسُودَهَا  
وَبُلِّغْتَ مِنْ نَجْمَيْكَ يَا بَدْرُ كُلَّمَا  
قَدِيمُهُمَا وَالطَّالِعُ الْآنَ قَابَسًا  
وَكَانَا عَلَى الْأَعْدَاءِ [سَيْفِي] تَنَاصُرٍ  
وَشَدَاكَ وَالضَّرْعَامُ أَمْنَعُ جَانِبًا  
وَكُثِّرْتَ بِالْأَوْلَادِ تُرْهِفُ مُنْصَلًا  
أُصُولُهُمْ مَنْصُورَةٌ بِفُرُوعِهِمْ  
لَكُمْ فِي رِقَابِ النَّاسِ أَمْرَاسُ ذِمَّةٍ  
مَفَاتِيحُ هَذَا الرِّزْقِ بَيْنَ أَكْفِكُمْ  
فَمَا تَشْهَدُونَ الْحَرْبَ إِلَّا إِذَا غَلَتْ  
أَتَعْرِفُ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ كَقِصَّةِ

وَأَعْطَاكَ مَنْجَى فِي الْخُطُوبِ وَمَوْئِلًا  
لِنُعْمَاكَ لَمْ يَنْهَضْ بِمَا قَدْ تَحَمَّلَا  
فَأَنْظَرْتَهُ بِالْعَفْوِ حَتَّى تَوَغَّلَا  
عَلَيْكَ وَظَنُّوَهَا وَحَاشَاكَ فَيَصَلَا  
وَلَا أَرْدَدْتَ إِلَّا قُوَّةً وَتَأَثَّلَا  
يَلُودُ بِصَفْحٍ أَوْ قَتِيلًا مُجَدَّلَا  
وَأَخْبَثَ أَيَّامًا وَأَخْشَنَ مَنْزِلَا  
خَوَافِقُ تَحْوِي الْأَرْضَ سَهْلًا وَأَجْبَلَا  
قِيَامًا عَلَى أُخْرَى بِسَاطِكَ مَثَّلَا  
تُؤَمِّلُ فِي نَجْمٍ عَلَى أَفْقٍ عَلَا  
ضِيَاءَكَ حَتَّى يَسْتَتِمَّ وَيَكْمُلَا  
شَبِيهَكَ فِيمَا أَحَدْنَا وَتَقَيَّلَا  
وَأَنْهَضَ إِقْدَامًا إِذَا كَانَ مُشْبِلَا  
طَرِيرًا إِلَى الدُّنْيَا وَتَطْبَعُ مُنْصَلَا  
إِذَا قَامَ مِنْهُمْ آخِرُ كَانَ أَوْلَا  
بَعِيدٌ عَلَى اسْتِخْصَافِهَا أَنْ تَحَلَّلَا  
وَنُصْرَةُ دِينَ اللَّهِ بِيضًا وَدُبْلَا  
وَلَا تَشْتَرُونَ الْحَمْدَ إِلَّا إِذَا غَلَا  
بُلِيَتْ بِهَا بِالْأَمْسِ وَالْحَرُّ يُبْتَلَى

أَبْعَدَ قُنُوعِي بِالْثِّمَارِ تَعَفُّفًا<sup>(١)</sup>  
وِظْلَمِي [ فَضْلِي ] وَأَهْتِضَامِي تَوْحُّدِي  
يُسِيءُ رِعَاعَ النَّاسِ عِنْدَكَ سُمْعَتِي  
وَيُغْيِرِي بِإِفْقَارِي وَأَنْتَ الَّذِي تَرَى  
وَلَكِنَّهَا مَا غَيَّرْتَ لَكَ شِيَمَةً  
وَلَمَّا سَعَى السَّاعِي فَجَاءَكَ كَاذِبًا  
أَتَاكَ بِزُورٍ فَاتِحًا فَمَهُ بِهِ  
تَسْرَعُ فِيهَا جَالِبًا لَكَ إِثْمَهَا  
فَلَمْ تَأْلَنِي كَشْفًا لِصِدْقِ بَرَاءَتِي  
وَزَنْتَ بِذِكْرِ الْمَالِ مَجْدَكَ فِي الْعُلَا  
وَحَكَّمْتَ رَأْيًا طَاهِرِيًّا وَهَمَّةً  
فَأَرْضَاكَ مِنِّي الصِّدْقُ لَمَّا عَلِمْتَهُ  
فَإِنْ فَاجَأْتَنِي هَجْمَةٌ مِنْ طُرُوقِهَا  
حُبِسْتُ وَلَكِنْ كَانَ حَبْسًا مُشْرِفًا  
لِئِنْ عَدَّ قَوْمٌ نَكْبَةً حَبْسَ لَيْلَةٍ  
وَسَبَبَ لِي هَذَا الْمَقَامُ تَرْفُعِي  
مَكَانُ تَمَنَّاهُ الْكَوَكِبُ عِزَّةً  
وَمَنْ لِحَبِيبِنِ الشَّمْسِ لَوْ خَرَّ سَاجِدًا

وَهَجَرِي أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تَعَذُّلًا  
مَخَافَةً أَنْ أُوذِيَ وَأَنْ أُتَبَذَلَ  
وَتَشَعَّرُ أَتْيِي حُزْتُ مَالًا مُؤَثَّلًا  
لِمِثْلِي أَنْ يَغْنَى وَأَنْ يَتَمَوَّلَا  
كَرُمْتَ بِهَا إِلَّا قَلِيلًا كَلَا وَلَا  
عَلَيَّ بِجَوْرِ كُنْتُ أَعْلَى وَأَعْدَلَا  
فَالْقَمْتَهُ بِالرَّدِّ ثُرْبًا وَجَنْدَلَا  
وَلَكِنْ أَرَاكَ الْحَقُّ أَنْ تَتَمَهَّلَا  
وَلَا نَظْرًا فِي قِصَّتِي وَتَأْمَلَا  
فَكَانَ وَزَانُ الْمَجْدِ عِنْدَكَ أَثْقَلَا  
بُؤْيَهِيَّةً مَا طَبَّقْتَ كَانَ مَفْصِلَا  
بِبَيِّنَةٍ لَمْ أَسْتَعْرِضْهَا تَقْوُلَا  
تَرَوَّعَ مِنْهَا جَانِبِي وَتَوَجَّعَلَا  
أَنَافَ بِذِكْرِي وَأَعْتَقَلَا مُجَمَّلَا  
لَقَدْ كُنْتُ مَنْكُوبًا مِنَ النَّاسِ مُعْزَلَا  
وَقَدْ كُنْتُ عَنْهُ سَاهِيًا وَمُغْفَلَا  
فَتَبَغْيِي إِلَيْهِ مَهْطًا وَتَنْزَلَا  
لَأَرْضِكَ أَوْ وَاقِي ثَرَاكَ مُقْبِلَا

(١) في « ديوان مهيار الديلمي » ( ٢٣٥/٣ ) : ( بالثمد ) يعني : الماء القليل ، بدل ( بالثمار ) .

لَبِسْتُ بِهِ ثَوْباً ضَفَا لِي فَخَرُهُ  
 سَيَعْلَمُ مَنْ جَرَّ السَّعَايَةَ أَنَّهُ  
 لَقَدْ غَرَسَ التَّعْرِيزُ بِي فِي [وَبَيْتَةٍ]  
 إِذَا وَسَمْتُ عِرْضَ اللَّئِيمِ بِمِيسَمٍ  
 فَكَانَ شَقِيحاً خَابَ عِنْدَكَ سَعْيُهُ  
 أَقِمِ فِي مَنْ عَادَاتِ سَيْبِكَ سُنَّةً  
 فَكَمْ مِنْ نَوَالٍ مُشْرِفٍ قَدْ حَقَرْتَهُ<sup>(١)</sup>  
 وَعَارِفَةٍ لَوْ يُسْأَلُ الْبَحْرُ بَعْضَهَا  
 وَكُنْ مُرْغِماً خَصْمِي بِأَمْرِ مُشْرِفٍ  
 وَتَجْبُرُ مِنْ جَاهِي الْكَسِيرِ وَخَلَّتِي  
 وَثِقُ بِجَزَاءِ شِعْرِ عَبْدِكَ ضَامِنٌ  
 مِنْ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ أَرُوضُهَا  
 سَوَائِرَ يَقْطَعْنَ الْبِلَادَ حَوَامِلاً  
 إِذَا مَا كَسَوْتَ الْعَيْدَ مِنْهُنَّ لِبْسَةً  
 وَمَدَّ يَدَ الرَّاجِي نَوَالِكَ مُذْلِياً  
 يُبَشِّرُ عَنْهَا أَنَّهُ عَائِدٌ بِهَا  
 هُوَ الْيَوْمُ أَعْطَاهُ الْإِلَهُ فَضِيلَةً  
 فَقَابِلْ بِهِ وَجْهَ الْخُلُودِ مُبْلِغاً

بَمَدْحِكَ مَجْرُوراً عَلَيَّ مُذِيلاً  
 بِكُرْهِي إِلَى مَا جَرَّ نَفْعِي تَوَصَّلاً  
 مَتَى اسْتُثْمِرْتَ أَجَنَّتُهُ صَاباً وَحَنَظَلاً  
 مِنْ أَلْذَمِّ بَاقٍ وَدَّ لَوْ كَانَ أَغْفَلاً  
 وَفُزْتُ وَكُنْتُ الْمُنْعَمَ الْمُتَفَضِّلاً  
 هِيَ الْغَيْثُ أَوْ كَانَتْ أَعَمَّ وَأَجْزَلاً  
 وَقَلَّلْتَ مِنْ جُمَاعِهِ فَتَقَلَّلَا  
 تَعَذَّرَ فِي إِخْرَاجِهَا وَتَبَخَّلَا  
 تَوَفَّرَ لِي مِنْهُ الْجَمَالُ الْمُعْجَلَا  
 فَأَجْدَرُ مَنْ أَسْمَنْتَ مَنْ كُنْتُ مُهْزَلاً  
 لِمَا طَابَ مِنْهُ فِي الشِّفَاهِ وَمَا حَلَا  
 بِنَفْسِي إِذَا طَابَتْ وَقَلْبِي إِذَا خَلَا  
 دُعَاءُ مُجَاباً أَوْ ثَنَاءُ مُبَجَّلاً  
 تَرَفَّلَ فِيهَا تَائِهاً وَتَخَيَّلاً  
 بِحُرْمَتِهَا مُسْتَشْفِعاً مُتَوَسِّلاً  
 عَلَيْكَ مَدَى الْأَيَّامِ عُمْراً وَأَطَوَّلاً  
 كَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَحْمِلُ الْأَمْرَ مُفْضِلاً  
 شُرُوطَ الْمُنَى مَا كَرَّ عِيدٌ وَأَقْبَلَا

(١) في «ديوان مهيار الديلمي» (٢٣٧/٣): (مسرف) بدل (مشرف).



تُزَخَرَفُ جَنَّاتُ الْعُلَا لَكَ مُفْطِرًا  
وَكُنْ مُفْطِرًا بِالْبَرِّ وَالْبَسْنِ عَلَى التَّقَى  
إِلَى أَنْ تَرَى صُمَّ الْجِبَالِ فَلَائِقًا  
إِذَا مَا أَنْجَلَى صُبْحٌ وَلَسْتَ مُمْلَكًا  
وَصَائِمَ فَرَضٍ كُنْتَ أَوْ مُتَنَفِّلاً  
ثَوَابَكَ وَأَنْزِعْ صَوْمَكَ الْمُتَقَبَّلَا  
مُسِيرَةً وَالْجَوْ مَاءً مُسَلْسَلَا  
عَلَيْنَا فَلَا شَقَّ الظَّلَامِ وَلَا أَنْجَلَى



## [ مِنْ شَعْرِ الْوَزِيرِ الطُّغْرَائِيِّ فِي مَدْحِ أَبِي الْفَتْحِ السَّلْجُوقِيِّ ]

ويلتحقُ بِمَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ مِنْ مشاهير شعراءِ هذه الطَّبَقَةِ في جلالَةِ المحلِّ ، وعلُوِّ المكانَةِ ، وتمامِ الإِجَادَةِ . . الأميرُ أَبُو فِرَاسِ الْحَارِثُ بْنُ سَعِيدِ الْحَمْدَانِيِّ ، وقد مضى مثالُ شعرِهِ <sup>(١)</sup> ، والوزيرُ مُؤَيَّدُ الدِّينِ الطُّغْرَائِيُّ صاحبُ « لاميةِ العجم » المشهورة ، وأبو الحسنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ التَّهَامِيِّ ، فلا بدَّ مِنْ تمثيلِ شعرِهِما ؛ لإتمامِ الفائدةِ .

**فَمِنْ شَعْرِ الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ :** قوله يَمْدَحُ أبا الفتحِ مسعودَ بْنَ مُحَمَّدِ السَّلْجُوقِيَّ الْمُلقَّبَ بِقسيمِ أميرِ المؤمنينَ ، وكانَ الملوْكُ مِنْ العجمِ أيامَ قُوَّةِ الدَّوْلَةِ العباسِيَّةِ يُدعى الواحدُ مِنْهُمْ : مولى أميرِ المؤمنينَ ، فلمَّا قوِيَ أمرُ سلطنةِ العجمِ ، وَضعَتِ الدَّوْلَةُ . . كانَ يُلقَّبُ الواحدُ مِنْهُمْ قسيمَ أميرِ المؤمنينَ ، وكانَ الطُّغْرَائِيُّ بعضَ وزرائِهِم <sup>(٢)</sup> : [ من الكامل ]

نَظَرِي إِلَى لَمْعِ الْوَمِيضِ حَنِينُ	وَتَنَفَّسِي لِصَبَا الْأَصِيلِ أَنْيُنُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ نَازِلَةِ الْحِمَى	أَنَّ الْحَبَائِلَ وَالسِّهَامَ عُيُونُ
[ رَكَزُوا ] بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ رِمَاحَهُمْ	وَوَرَاءَهُنَّ أَهْلَةً وَغُصُونُ
آسَادُ مَلْحَمَةٍ وَأُدُمُ صَرِيْمَةٍ	تَحْتَ الْأَكِلَّةِ فَالْكِنَاسِ عَرِيْنُ
وَمَضَوْا يَشِيْمُونَ الْوَمِيضَ وَقَدْ هَفَا	بِخُفْوِهِ خَضُلُ الرَّبَابِ هَتُونُ
إِلَّا يَكُنْ نَعَبَ الْغُرَابِ بِبَيْنِهِمْ	أَصْلًا فَقَدْ نَعَبَتْ سَحَائِبُ جُونُ
بَاتُوا وَنَجَوَى الْبَيْنِ بَيْنَ رِحَالِهِمْ	فَوَضَى وَمُسْتَرْقُ الْحَدِيثِ شُجُونُ

(١) انظر ( ١١٥/٤ ) .

(٢) انظر « ديوان الطغرائي » ( ص ٣٧٦ - ٣٨٥ ) .

وَتَحَمَّلُوا سَحَرًا وَحَشُوا حُدُوجَهُمْ  
وَوَرَاءَ أَضْدَافِ الْحُدُوجِ يَمُرُّهَا  
إِنَّ الْأَلَى أَقْوَتْ رُبُوعُهُمْ لَهُمْ  
نُشِرَتْ رُبُوعُهُمْ بِعُودِ قَطِينِهَا  
وَمَلِيحَةٍ بَكَرَتْ عَلَيَّ مُلِيحَةً  
قَالَتْ عَهْدُكَ لَا تُرَاعُ لِحَادِثٍ  
فَالْيَوْمَ مَا لَكَ مُسْتَكِينًا يَمْتَرِي  
تَبْغِي سُلُويَ وَهُوَ أَعْوَزُ مَطْلَبٍ  
فَأَجَبْتُهَا كُفَيَ الْمَلَامِ وَأَقْصِرِي  
لَمْ يُبْقِ عِنْدِي لِلتَّجَلُّدِ مَوْضِعًا  
وَلَقَدْ أَثَرْتُ الْعَيْسَ مَا لِظُهُورِهَا  
مَشَقَّ الشُّهُوبِ لِحُومِهِنَّ وَعَرَقَتْ  
يَزْسُفْنَ فِي قَيْدِ الْكَلَالِ كَأَنَّمَا  
وَلَقَدْ تَرَى وَالرَّيْحُ رَاسِفَةٌ إِذَا  
وَكَأَنَّهَا وَاللَّيْلُ وَخَفَتْ فَاحِمٌ  
يَزْمِي بِهِنَّ نِيَاطَ كُلِّ تَنُوفَةٍ  
هِمَمٌ تُعَاوِرُهَا الْهُمُومُ وَعَزْمَةٌ  
وَإِذَا طَعَى بَحْرُ الزِّمَاعِ فَمَا لَهُ  
وَإِذَا نَبَا الْوَطَنُ الْعُسُوفُ بِأَهْلِهِ

صُورُ [الْجَاذِرِ] وَالْظَبَاءُ الْعَيْنُ  
هُوجُ الرِّكَائِبِ لَوْلَوْ مَكُونُ  
بَيْنَ الْأَضَالِعِ مَنْزِلُ مَسْكُونُ  
فَنُشُورُ رُبْعٍ أَنْ يَعُودَ قَطِينُ  
سَحَرًا وَقَدْ صَبَغَ الْحُدُودَ جُفُونُ  
وَحَصَاةُ قَلْبِكَ لَا تَكَادُ تَلِينُ  
مَخْزُونٌ دَمِعَكَ قَلْبُكَ الْمَخْزُونُ  
وَطِلَابُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ جُنُونُ  
كُلُّ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينُ  
بَيْنُ بَتْفَرِيقِ الْجَمِيعِ قَمِينُ  
مِمَّا أَضَرَّ بِهَا السِّفَارُ بَطُونُ  
أَشْلَاءُهُنَّ فَكُلُّ حَرْفٍ نُونُ  
حَرَكَاتُهُنَّ وَقَدْ جَهْدَنَ سُكُونُ  
قَيْسَتْ إِلَيْهَا وَالْوَمِيضُ حَرُونُ  
عُوجُ الْمَدَارَى وَالظَّلَامُ قُرُونُ  
هِمَمٌ وَهَمٌّ فِي الضُّلُوعِ كَمِينُ  
عِذْرَاءُ شَيَّبَهَا الْخُطُوبُ الْعُونُ  
إِلَّا الْقِلَاصُ الْيَعْمَلَاتُ سَفِينُ  
فَظُهُورُهُنَّ لِمَنْ حَمَلْنَ حُصُونُ

يَخْبِطُنَ أَحْشَاءَ الدِّيَاجِي أَوْ يُرَى  
وَلَقَدْ سَلَبْتُ مِرَاحَهُنَّ إِلَى حِمَى  
مَسْعُودِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ الَّذِي  
مَلِكِ الْمُلُوكِ ابْنِ السَّلَاطِينِ الْأَلَى  
رَكَزُوا بِبُرْقَةِ وَالصَّعِيدِ رِمَاحَهُمْ  
مَلَكَوا الْأَعِنَّةَ وَالْأَسِنَّةَ وَالْظُّبَا  
مَجْدُ ثُورِثَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ  
فَالْعَزُّ أَقْعَسُ وَالْجَنَابُ مُمَنِّعٌ  
شُغِفْتُ بِدَعْوَتِهِ الْمَنَابِرُ يَافِعًا  
شَرِقُ الْبَنَانِ بِجُودِهِ غَدِقُ النَّدَى  
لِلْمُلْكِ مَأْوَى فِي ظِلَالِ يَمِينِهِ  
طَرِبُ الشَّمَائِلِ حِينَ تَنَادَ الْقَنَا  
يَنْجَابُ عَنْهُ النَّفْعُ وَهُوَ كَأَنَّهُ  
وَالْمَشْرِفِيَّةُ فِي الْعَجَاجِ لَوَامِعٌ  
وَعَلَيْهِ [نَشْرٌ] مِظْلَةٌ مَكْفُوفَةٌ  
سَوْدَاءُ حَمْرَاءُ الْحِفَافِ كَأَنَّهَا  
رُفِعَتْ تَرْدُ الشَّمْسَ عَنْ شَمْسٍ لَهَا  
شَمْسَانِ يَكْتَنِفَانِهَا مِنْ فَوْقِهَا  
فَبِنُورِ تِلْكَ أَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَذَا

لِلصُّبْحِ خَدٌّ وَاضِحٌ وَجَبِينُ  
مَلِكٍ لَهُ رَبُّ السَّمَاءِ مُعِينُ  
جَدُّ الْمُنِيخِ بِبَابِهِ مَيْمُونُ  
مَلَكَوا رِقَابَ الْعَالَمِينَ وَدِينُوا  
وَالْهِنْدُ مَرْبُطٌ خَيْلُهُمْ وَالصِّينُ  
تَحْتَ الْعَجَاجِ بَوَارِقُ وَدُجُونُ  
وَالدَّهْرُ مُقْتَبِلٌ وَآدَمُ طِينُ  
وَالْمَجْدُ أَتْلَعُ وَالْفَنَاءُ حَصِينُ  
وَصَبَا إِلَيْهِ الْمُلْكُ وَهُوَ جَنِينُ  
كَلَّمَا يَدِيهِ لِلْعُفَاةِ يَمِينُ  
يَأْوِي إِلَيْهِ النَّصْرُ وَالتَّمَكِينُ  
ثِمْلًا وَيَشْرِقُ بِالْإِدْمَاءِ وَتَيْنُ  
قَمَرٌ لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ قَرِينُ  
وَالْأَعْوَجِيَّةُ فِي الصُّفُوفِ صَفُونُ  
بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَهُوَ ثَمِينُ  
زَهْرُ الشَّقَائِقِ فِي الرِّيَاضِ تَبِينُ  
نُورٌ إِذَا أَعْتَكَرَ الظَّلَامُ مُبِينُ  
شَمْسٌ وَآخِرُ تَحْتَهَا مَدْجُونُ  
ضَاءَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَعَزَّ الدِّينُ

فَلَكْ يَدُورُ عَلَى ذُؤَابَةِ تَاجِهِ  
تَمْشِي الْمُلُوكُ الصَّيْدُ تَحْتَ رِكَابِهِ  
وَالْجُرْدُ مُثْقَلَةُ الرِّقَابِ يُوَوِّدُهَا  
سَبَقَتْ حَوَافِرُهَا النَّوَاطِرَ فَاسْتَوَى  
لَوْلَا تَرَامِي الْغَايَتَيْنِ لَأَقْسَمَ الرَّ  
قَدْ كَانَ يُشَبِّهُهَا الْبُرُوقُ لَوْ أَنَّهَا  
مِنْ كُلِّ جَيَّاشِ الْعِنَانِ إِذَا جَرَى  
إِنْ يَفْرَعِ الطَّوْدَ الْأَشَمَّ فَأَجْدَلُ  
بِأَخِيهِ شَدَّ اللَّهُ أَزَرَ جَلَالِهِ  
قَدْحَانَ قَدْ نَبَتِ الْحَوَادِثُ عَنْهُمَا  
جُمِعَا عَلَى رَغَمِ الْعِدَا وَتَسَانَدَا  
سَبَقَ الْمُجَلِّي وَالْمُصَلِّي دُونَهُ  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي بِجَلَالِهِ  
مَرْضَاتُهُ تُحْيِي وَيُرْدِي سُخْطُهُ  
عَائَتْ ذُؤَالَهُ فِي الْقَطِيعِ وَمَا لَهُ  
وَتَنَازَعَ الْمُلْكُ الشَّعَاعَ عِصَابَةً  
وَتَنَاهَبُوا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ دُوَالُ  
فَبِكُلِّ أَرْضٍ رَايَةٌ وَعِصَابَةٌ  
جَرَّدَ عَزِيمَتَكَ الْمَتِينَةَ إِنَّهَا

وَيَكُونُ أَلَى دَارٍ حَيْثُ يَكُونُ  
وَيُظِلُّهُ بِجَنَاحِهِ جَبْرَيْنِ  
حَمْلُ النُّضَارِ يَكُدُّهَا وَيَزِينُ  
سَبَقُ إِلَى غَايَاتِهَا وَشُفُونُ  
أُوُونُ أَنَّ حِرَاكَهَا تَسْكِينُ  
لَمْ يَغْتَلِفْهَا أَعْيُنُ وَظُنُونُ  
يَوْمَ الرِّهَانِ فَسَبَقَهُ مَضْمُونُ  
أَوْ يَرْكَبِ الْبَحْرَ الْخِصَمَ فَنُونُ  
فَوَزِيرُهُ مِنْ أَهْلِهِ هَارُونُ  
فَالْعُودُ صُلْبٌ وَالْغِرَارُ سِنِينُ  
فَكِلَاهُمَا صَدَقُ الْقَنَاءِ مَتِينُ  
وَوَرَاءَهُ كُلُّ الْبَرِّيَّةِ دُونُ  
قُضِيَ الْقَضَاءُ وَكُوِّنَ التَّكْوِينُ  
فَهُمَا حَيَاةٌ لِلْوَرَى وَمَنُونُ  
رَاعٍ وَأَضْحَى اللَّيْصُ وَهُوَ أَمِينُ  
لَمْ يُدْرَ أَيُّهُمْ بِهِ الْمَفْتُونُ  
قَرْنَيْنِ يَمْلِكُهُ وَلَا قَارُونُ  
جُمِعَتْ وَحَرْبٌ لَا تُطَاقُ زَبُونُ  
فَتَنْ رَكَدَنْ سُهُولُهُنَّ حُزُونُ



فَبُعَاثُهَا مُسْتَنْسِرٌ وَشَرَارُهَا  
وَكَاثَمًا الدُّنْيَا وَقَدْ شُجِنَتْ بِهَا  
وَأَزِمِ الصُّفُوفَ بِمِثْلِهِنَّ وَشَنَّهَا  
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ عَمِكَ إِنَّهُ  
وَأُطْلِعْ عَلَيْهِ بَرَايَةَ مَنْصُورَةٍ  
أَبْنِي الْمُلُوكِ الصَّيْدِ إِنَّ وَرَاءَكُمْ  
مِنْ قَبْلِ ذَا خَانَ الْأَمِينُ شَقِيقَهُ  
غَلَبَ الْعَبِيدُ عَلَى مَقَرِّ سَرِيرِكُمْ  
هِيَ جَوْلَةُ الضَّحَاكِ عَمَّ بِلَاؤُهَا  
فَانْهَضْ لَهَا بِالْعَزْمِ يَكْنِفُهُ الظُّبَا  
وَأَعْصِفْ عَلَيْهِمْ بِالْقَوَاضِبِ عَصْفَةً  
كَأَيْلُهُمْ بِالصَّاعِ صَاعًا وَأَجْزِهِمْ  
إِنَّ الْهَوَى وَالرَّأْيَ مَالًا نَحْوَكُمْ  
أَبْغِي نَهَايَاتِ الْعُلَا وَسَجِيَّتِي  
فَأَسْلَمْ لِأَذْرِكَ فِيكَ مَا أَمَلْتُهُ

هذا الشعرُ يستعيدُكَ النظرَ فيه ، ويستدعيكَ التأملَ في مطالعِهِ ومقاطعِهِ ؛  
لتعرفَ مِنْ أَيْنَ كَانَ عُلُوُّ رتبتِهِ مِنَ البلاغَةِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تجدُ الشاعرَ قصدَ فيه إلى  
النِّكَاتِ وزخرفتهِ بالمُحَسِّنَاتِ كما هو حالُ المتأخِّرينَ ، وإنَّما قصدَ أن يكونَ  
الشعرُ مُتَخَيَّرَ اللفظِ ، مُحَكَّمِ التركيبِ ، مُتَحَدِّرَ السَّلاَسَةِ ، لَا يَتَوَقَّفُ اللِّسَانُ  
في إنشادهِ ، معَ صحَّةِ معانيهِ ، وتمكُّنِ حدودِ فصولِهِ .

وممّا يكادُ أن يكونَ مِنْ اختراعِ الوزيرِ المذكورِ : جمعُهُ بينَ مدحِ الفتیانِ  
مِنْ حَيِّ الأَحبابِ وغزلِ الفتیاتِ مِنْهُم ، وقد تابعَهُ في ذلكَ وتوسَّعَ شهابُ  
الدينِ معتوقُ الموسويِّ مِنْ مُتأخري أَهلِ الإِجادة ، فأكثرُ غزلهِ مِنْ أَوَّلِهِ إلى  
آخِرِهِ لا يخلو مِنْ ذلكَ .



## [ مرثية أبي الحسن التهامي في ابن له ]

وَمِنْ شَعْرِ أَبِي الْحَسَنِ التَّهَامِيِّ قَصِيدَتُهُ الْفَرِيدَةُ ، الْبَالِغَةُ فِي بَابِهَا غَايَةً لَمْ يَبْلُغَهَا سِوَاهَا ، الَّتِي يَرِثِي فِي أَوَّلِهَا صَغِيرًا لَهُ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ ، وَيفْتَخِرُ فِي آخِرِهَا بِفَضْلِهِ ، وَيَشْكُو زَمَانَهُ وَحَاسِدِيهِ ؛ **وهي هذه** <sup>(١)</sup> : [ من الكامل ]

<p>حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِ بَيْنَا يَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَفْظَةُ فَأَفْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا وَتَرَكَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ وَبَادِرُوا فَالذَّهْرُ يَخْدَعُ بِالْمُنَى وَيُغْصُ إِنَّ لَيْسَ الزَّمَانُ وَإِنْ حَرَضْتَ مُسَالِمًا إِنِّي وَتَرْتُ بِصَارِمٍ ذِي رَوْنَقٍ وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ أَثْنِي عَلَيْهِ بِأَثَرِهِ وَلَوْ أَنَّهُ</p>	<p>مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارِ حَتَّى يُرَى خَبْرًا مِنْ الْأَخْبَارِ صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِ أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ هَنَا وَيَهْدُمُ مَا بَنَى بِبَوَارِ خُلِقَ الزَّمَانُ عَدَاوَةً الْأَحْرَارِ أَعْدَدْتُهُ لِطِلَابَةِ الْأَوْتَارِ مُنْقَادَةً بِأَزِمَةِ الْمِقْدَارِ لَمْ يَعْتَبِطُ أَثْنَيْتُ بِالْأَثَارِ</p>
---	--

(١) انظر « ديوان التهامي » ( ص ٤٦١ - ٤٧٣ ) .

يَا كَوْكَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمُرَهُ  
وَهَلَالَ أَيَّامَ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ  
عَجَلَ الْخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ  
وَأَسْتُلَّ مِنْ أَتْرَابِهِ وَلِدَاتِهِ  
فَكَأَنَّ قَلْبِي قَبْرُهُ وَكَأَنَّهُ  
إِنْ يُعْتَبَطُ صَغَرًا فَرُبَّ مُقَحَّمٍ  
إِنَّ الْكَوَاكِبَ فِي عُلوِّ مَحَلِّهَا  
وَلَدَ الْمُعَزَّى بَعْضُهُ فَإِذَا مَضَى  
أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِرًا لَهُ  
جَاوَزْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ  
أَشْكُو بُعَادَكَ لِي وَأَنْتَ بِمَوْضِعِ  
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً  
هِيَ هَاتِ قَدْ عَلِقَتْكَ أَسْبَابُ الرَّدَى  
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِعَايَةِ  
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي  
أُخْفِي مِنَ الْبُرَحَاءِ نَارًا مِثْلَمَا  
وَأُخْفِضُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ صَوَاعِدُ  
وَشِهَابُ نَارِ الْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ  
وَكَذَاكَ عُمُرُ كَوَاكِبِ الْأَسْحَارِ  
بَذْرًا وَلَمْ يُمَهَّلْ لِقَوْتِ سِرَارِ  
فَمَحَاهُ قَبْلَ مَظْنَنَةِ الْإِبْدَارِ  
كَالْمُقْلَةِ اسْتُلْتُ مِنَ الْأَشْفَارِ  
فِي طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ  
يَبْدُو ضَيْلَ الشَّخْصِ لِلنُّظَارِ  
لَتُرَى صِغَارًا وَهِيَ غَيْرُ صِغَارِ  
بَعْضُ الْفَتَى فَالْكُلُّ فِي الْأَثَارِ  
وَفَقْتُ حِينَ تَرَكْتُ الْأَمَّ دَارِ  
شَتَّانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي  
لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتُ فِيهِ مَزَارِي  
مَنْ بَعْدَ تِلْكَ الْخَمْسَةِ الْأَشْبَارِ  
وَأَغْتَالَ عُمُرَكَ قَاطِعُ الْأَعْمَارِ  
فَبَلَغَتْهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضْمَارِ  
وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي  
يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزِّنَادُ الْوَارِي  
وَأَكْفِكُ الْعَبْرَاتِ وَهِيَ جَوَارِ  
أُورَى وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مُتَوَارِي

وَأَكْفُ نِيرَانَ الْأَسَى وَلَرُبَّمَا  
ثَوْبُ الرِّبَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ  
قَصُرَتْ جُفُونِي أَمْ تَبَاعَدَ بَيْنُهَا  
جَفَتِ الْكَرَى حَتَّى كَأَنَّ غِرَارَهُ  
وَلَوْ أَسْتَزَارَتْ رَقْدَةً لَطَحَا بِهَا  
أَحْيِي اللَّيَالِي أَلْتِمَّ وَهِيَ تُمِيتُنِي  
حَتَّى رَأَيْتُ الصُّبْحَ تَهْتِكُ كَفُّهُ  
وَالصُّبْحُ قَدْ غَمَرَ النُّجُومَ كَأَنَّهُ  
لَوْ كُنْتَ تُمْنَعُ خَاضَ دُونَكَ فِتْيَةٌ  
وَدَحَوْا فُؤَيْقَ الْأَرْضِ أَرْضًا مِنْ دَمٍ  
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّرُوعَ حَسِبَتْهَا  
لَوْ أَشْرَعُوا أَيْمَانَهُمْ فِي طُولِهَا  
جَنَّبُوا الْجِيَادَ إِلَى الْمَطِيِّ وَرَاوَحُوا  
وَكَأَنَّمَا مَلَّوْا عِيَابَ دُرُوعِهِمْ  
وَكَأَنَّمَا صَنَعَ السَّوَابِغُ عَزَّهُ  
زَرَدًا فَأَحْكَمَ كُلَّ مُوَصِّلِ حَلَقَةٍ  
فَتَسَرَّبَلُوا بِمُتُونِ مَاءٍ جَامِدٍ  
أَسَدٌ وَلَكِنْ يُؤْثِرُونَ بِزَادِهِمْ

غَلِبَ التَّصَبُّرُ فَأَزْتَمَتْ بِشِرَارِ  
وَإِذَا أَلْتَحَفْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِ  
أَمْ صُوِّرَتْ عَيْنِي بِلَا أَشْفَارِ  
عِنْدَ اغْتِمَاضِ الْعَيْنِ وَخَزْ غِرَارِ  
مَا بَيْنَ أَجْفَانِي مِنَ التِّيَّارِ  
وَيُمِيتُهُنَّ تَبْلُجُ الْأَسْحَارِ  
بِالضُّوءِ رَفَرَفَ خَيْمَةٍ كَالْقَارِ  
سَيْلٌ طَغَا فَطَفَا عَلَى النَّوَارِ  
مِنَّا بِحَارَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ  
ثُمَّ أَنْشَنُوا فَبَنَوْا سَمَاءَ غُبَارِ  
خُلَجًا تَمُدُّ بِهَا أَكْفُ بِحَارِ  
طَعَنُوا بِهَا عَوْضَ أَلْقَنَّا الْخَطَّارِ  
بَيْنَ السُّرُوجِ هُنَاكَ وَالْأَكْوَارِ  
وَعُمُودَ أَنْصُلِهِمْ سَرَابِ قِفَارِ  
مَاءُ الْحَدِيدِ فَصَاعُ مَاءِ قَرَارِ  
بِحُبَابِهِ فِي مَوْضِعِ الْمِسْمَارِ  
وَتَقَنَّنَعُوا بِحُبَابِ مَاءِ جَارِ  
وَالْأَسَدُ لَيْسَ تَدِينُ بِالْإِيثَارِ



يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحُسْنِ وُجُوهِهِمْ  
يَتَعَطَّفُونَ عَلَى الْمُجَاوِرِ فِيهِمْ  
مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ الظُّبَا أَنْصَارَهُ  
وَإِذَا هُوَ اعْتَقَلَ الْقَنَاةَ حَسِبَتْهَا  
وَاللَّيْثُ إِنْ ثَاوَزَتْهُ لَمْ يَعْتَمِدْ  
[ زَرَدَ ] الدِّلَاصَ مِنَ الطَّعَانِ [ بِرُمُجِهِ ]  
مَا بَيْنَ ثَوْبٍ بِالدِّمَاءِ مُضْمَخٍ  
وَالْهُونُ فِي ظِلِّ الْهُوَيْنَى كَامِنٌ  
تَنْدَى أَسِرَّةُ وَجْهِهِ وَيَمِينُهُ  
وَيَمُدُّ نَحْوَ الْمَكْرُمَاتِ أَنْامِلًا  
يَحْوِي الْمَعَالِي كَاسِبًا أَوْ غَالِبًا  
قَدْ لَاحَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ كَوَاكِبُ  
وَتَلَهَّبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرِقِي  
شَابَ الْقَدَالُ وَكُلُّ غُصْنٍ صَائِرُ  
وَالشَّبَبُ مُنْجَذِبٌ فَلَمْ [ بِيضُ ] الدُّمَى  
وَتَوَدُّ لَوْ جَعَلَتْ سَوَادَ قُلُوبِهَا

(١) في « ديوان التهامي » ( ص ٤٦٦ ) :

زَرَدَ الدِّلَاصَ مِنَ الطَّعَانِ بِرُمُجِهِ  
وَيَجْرُ حِينَ يَجْرُ صَعْدَةَ رُمُجِهِ

مِثْلُ الْأَسَاوِرِ فِي يَدِ الْإِسْوَارِ  
فِي الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ الْجَرَارِ

لَا تَنْفِرُ الظَّبْيَاتُ عَنْهُ فَقَدْ رَأَتْ  
شَيْئَانِ يَنْقَشِعَانِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ  
لَا حَبْذَا الشَّيْبُ الْوَفِيُّ وَحَبْذَا  
وَطَرِي مِنَ الدُّنْيَا الشَّبَابُ وَرُوقُهُ  
قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ وَمَا حَسَنَاتُهُ  
نَزْدَادُ هَمًّا كُلَّمَا أَزْدَدْنَا غِنَى  
مَا زَادَ فَوْقَ الزَّادِ خَلْفَ ضَائِعًا  
إِنِّي لِأَرْحَمُ حَاسِدِي لِحَرِّ مَا  
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَعُيُونُهُمْ  
لَا ذَنْبَ لِي قَدْ رُمْتُ كَتَمَ فَضَائِلِي  
وَسَتَرْتُهَا بِتَوَاضُعِي فَتَطَلَّعَتْ  
وَمِنَ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ  
وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ  
عَمْرِي لَقَدْ أَوْطَأَتْهُمْ طُرُقُ الْعُلَا  
لَوْ أَبْصَرُوا بِقُلُوبِهِمْ لَأَسْتَبْصَرُوا  
هَلَّا سَعَوْا سَعَى الْكِرَامِ فَأَذْرَكُوا  
وَفَشَتْ خِيَانَاتُ الثِّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ  
وَلَرُبَّمَا أَعْتَظَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ

كَيْفَ اخْتِلَافُ النَّبْتِ فِي الْأَطْوَارِ  
ظِلُّ الشَّبَابِ وَخُلَّةُ الْأَشْرَارِ  
ظِلُّ الشَّبَابِ الْخَائِنِ الْغَدَّارِ  
فَإِذَا انْقَضَى فَقَدْ انْقَضَتْ أَوْطَارِي  
عِنْدِي وَلَا آلاؤُهُ بِقِصَارِ  
وَالْفَقْرُ كُلُّ الْفَقْرِ فِي الْإِكْثَارِ  
فِي حَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ أَوْ عَارِ  
[ ضَمَّتْ ] صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ  
فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ  
فَكَأَنَّمَا بُرِقِعَتْ وَجْهَ [ نَهَارِ ]  
أَعْنَاقُهَا تَعْلُو عَلَى الْأَسْتَارِ  
وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي  
وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ فِي الْإِضْدَارِ  
فَعَمُوا فَلَمْ يَقِفُوا عَلَى آثَارِي  
وَعَمَى الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَى الْأَبْصَارِ  
أَوْ سَلَّمُوا لِمَوَاقِعِ الْأَقْدَارِ  
حَتَّى أَتَهَمْنَا رُؤْيَا الْأَبْصَارِ  
لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارِ

[ مِنْ شَعْرِ التَّهَامِيِّ فِي مَدْحِ الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرِ بْنِ مِرْوَانَ ]

وقوله يمدح الأمير نصير الدولة أبا نصر بن مروان

[ من البسيط ]

بمئافارقين<sup>(١)</sup> :

مَا نَفَرَ الْبَيْضَ مِثْلُ الْبَيْضِ فِي اللَّمَمِ  
أَنَّ الشَّيْبَةَ مَرْقَاةٌ إِلَى الْهَرَمِ  
وَلَا وَفَائِي وَلَا دِينَي وَلَا كَرَمِي  
وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الشَّيْبِ فِي الشِّمَمِ  
هَوَاكَ عِنْدِي فَسِرْ إِنْ شِئْتَ أَوْ أَقِمِ  
لَا تَعْذُلِيهِ فَلَمْ يَلُومْ وَلَمْ يَلَمِ  
وَالشَّيْءُ فِي كُلِّ صَافٍ غَيْرِ مُكْتَمِ  
لَاءَمَتْ شَمْلًا بِشَمْلٍ غَيْرِ مُلْتَمِ  
وَلَا يُرْجَى شَبَابٌ رُمَحِي وَلَا قَلَمِي  
كُفِّي فَلَيْسَ أَرْتِشَافُ الْخَمْرِ مِنْ شِيَمِي  
بِلُؤْلُؤٍ مِنْ حَبَابِ الشَّعْرِ مُنْتَظَمِ  
مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَصِيدُ اللَّثْمَ بِاللَّثَمِ  
عَلَى حَصَى بَرْدٍ مِنْ نَغْرَهَا شَبَمِ  
تَكْرُمًا وَأَكْفُ الْكَفِّ عَنْ أَمَمِ  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا سَاعَةَ الْحُلَمِ

عَبَسَنْ مِنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مُبْتَسِمِ  
ظَنَنْتُ شَيْبَتَهُ تَبْقَى وَمَا عَلِمْتُ  
مَا شَابَ عَزْمِي وَلَا حَزْمِي وَلَا خُلُقِي  
وَإِنَّمَا أَعْتَاضَ رَأْسِي غَيْرَ صِبْغَتِهِ  
بِالنَّفْسِ قَائِلَةٌ فِي يَوْمٍ رِحْلَتِنَا  
فَبُحْتُ وَجَدًا فَلَا مَتْنِي فَقُلْنَ لَهَا  
لَمَّا صَفَا قَلْبُهُ شَفَتْ سَرَائِرُهُ  
بَعْضُ التَّفَرُّقِ أَدْنَى لِلِقَاءِ وَكَمْ  
كَيْفَ الْمُقَامِ بِأَرْضٍ لَا يُخَافُ بِهَا  
فَقَبَلْتَنِي تَوْدِيعًا فَقُلْتُ لَهَا  
لَوْ لَمْ يَكُنْ رِيْقُهَا خَمْرًا لَمَّا أَنْتَطَقْتُ  
وَلَوْ تَيَقَّنْتُ غَيْرَ الرَّاحِ فِي فَمِهَا  
وَزَادَ رِيْقَتَهَا فِي نَغْرَهَا شِيْمًا  
إِنِّي لِأَطْرُفُ طَرْفِي عَنْ مَحَاسِنِهَا  
وَلَا أَهْمُ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي

(١) انظر « ديوان التهامي » ( ص ٣٣٣ - ٣٥٠ ) .

لَا أَكْفُرُ الطَّيْفَ نُعْمَى أَنْشَرْتُ رِمَمًا  
حَيًّا فَأَحْيَا فَاغْنَتْنَا زِيَارَتُهُ  
وَصُلُّ الْخِيَالِ وَوَصُلُّ الْخُودِ إِنْ بَخَلْتُ  
وَالْدَهْرُ كَالطَّيْفِ بُؤْسَاهُ وَأَنْعُمُهُ  
لَا تَحْمَدِ الدَّهْرَ فِي بَأْسَاءِ يَكْشِفُهَا  
خَالِفٌ هَوَاكَ فَلَوْلَا أَنَّ أَهْوَنَهُ  
تَرْجُو الشِّفَاءَ بِجَفْنَيْهَا وَسُقْمِيهَا  
وَتَدَّعِي بِصَبَا نَجْدٍ فَإِنْ خَطَرْتُ  
وَكَيْفَ يُطْفِي صَبَا نَجْدٍ صَبَابَتُهُ  
أَضْبُو وَأَضْحُو وَلَمْ يَكْلَمْ بِبَائِقَةٍ  
وَلَا أَحِبُّ ثَنَاءً لَا يُصَدِّقُهُ  
لَا تَحْسَبِي حَسَبَ الْأَبَاءِ مَكْرَمَةً  
حُسْنُ الرِّجَالِ بِحُسْنَانِهِمْ وَفَخْرُهُمْ  
مَا أَغْتَابَنِي حَاسِدٌ إِلَّا شَرُفْتُ بِهِ  
فَاللَّهُ يَكْلَأُ حُسَادِي بِأَنْعُمِهِمْ  
يُنَبِّهُونَ عَلَى فَضْلِي إِذَا كُتِبْتُ<sup>(١)</sup>  
يَا طَالِبَ الْمَجْدِ فِي الْأَفَاقِ مُجْتَهِدًا

مِنَّا كَمَا تَفَعَّلُ الْأَزْوَاجُ بِالرِّمَمِ  
عَنِ اعْتِسَافِ الْفَلَاحِ بِالْأَيْنُقِ الرُّسَمِ  
سَيِّانٍ مَا أَشْبَهَ الْوُجْدَانَ بِالْعَدَمِ  
عَنْ غَيْرِ فَضْلِ فَلَا تَمْدَحْ وَلَا تَلْمِ  
فَلَوْ أَرَدْتُ دَوَامَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدُمِ  
سِحْرٌ لَمَّا اقْتُنِصَ الْعِقْبَانُ بِالرَّحِمِ  
وَهَلْ رَأَيْتَ شِفَاءً جَاءَ مِنْ سَقَمِ  
كَانَتْ جَوَى لَكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ  
وَالرِّيحُ زَائِدَةٌ فِي كُلِّ مُضْطَرِمِ  
عَرْضِي كَمَا تُكَلِّمُ الْأَعْرَاضُ بِالْكَلِمِ  
فِعْلِي وَلَا أَرْتَضِي فِي الْمَجْدِ بِالثُّمِ  
لِمَنْ يَقْصِرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمْ  
بَطُولِهِمْ فِي الْمَعَالِي لَا بِطُولِهِمْ  
فَحَاسِدِي مُنْعَمٌ فِي زِيٍّ مُنْتَقِمِ  
عِنْدِي وَإِنْ وَقَعْتَ عَنْ غَيْرِ قَصْدِهِمْ  
صَحِيفَتِي فِي الْمَعَالِي عُنُونَتْ بِهِمْ  
وَالْمَجْدُ أَقْرَبُ مِنْ سَاقٍ إِلَى قَدَمِ

(١) في « ديوان التهامي » ( ص ٣٣٩ ) : ( كُبْتُ ) .

قُلْ نَصْرُ دَوْلَةِ دِينَ اللَّهِ لِي أَمَلٌ  
 كَمْ حَدَّثَ عَنْهُ فَنَادَتْنِي فَضَائِلُهُ  
 وَقَادَنِي نَحْوَهُ التَّوْفِيقُ ثُمَّ دَعَا  
 وَقَصْرُهُ عَرَفَاتُ الْعُرْفِ فَأَغْنِ بِهِ  
 تَرَى الْمُلُوكَ عَلَى أَبْوَابِهِ عُصْبًا  
 يَحْفُهُ كُلُّ مُحْفُوفٍ [بِمَوْكِبِهِ]  
 تَظَلُّ مُزْدَحِمَاتٍ فِي مَوَاكِبِهِ  
 تَفْيِئُوا ظِلَّ مُلْكٍ مِنْهُ مُحْتَشِمٍ  
 وَالْمُلْكُ كَالْغَابِ مِنْهُ خِذْرٌ ذِي لَبَدٍ  
 هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ أَقْدَارًا وَمَقْدِرَةً  
 إِذَا بَدَأَ طَبَقَ التَّقْبِيلِ سَاحَتَهُ  
 فَسَاحَةُ الشَّغْرِ ثَغْرٌ أَشْنَبَ رَتَلٌ  
 كَأَنَّ أَرْضَكَ مِغْنَاطِيْسُ كُلِّ فَمٍ  
 لَمَّا عَلَوْتَ غَمَزْتَ الْعَالَمِينَ نَدَى  
 تَرْقَا وَمَا رَقَاتُ نُعْمَاكَ عَنْ أَحَدٍ  
 مُقَسَّمٌ فِي الْعُلَا لِلْيُمْنِ يَمْنَتُهُ  
 إِنْ قَالَ لَا فَهِيَ آلاءٌ مُضَاعَفَةٌ  
 تَبْدُو صَرَامَتُهُ فِي مَاءِ غُرَّتِهِ  
 هُوَ الْجَرِيُّ عَلَى مَالٍ يَجُودُ بِهِ

قَوْلِي وَقَدْ نِلْتَ أَقْصَى غَايَةِ الْهِمَمِ  
 يَا حَاتِمَ الْأَدَبِ أَمْدَحُ حَاتِمَ الْكَرَمِ  
 هَذَا الطَّرِيقُ إِلَى الْعَلِيَاءِ فَاسْتَقِمِ  
 وَكَفُهُ كَعْبَةُ الْعَلِيَاءِ فَاسْتَلِمِ  
 وَفَدَا فَدَعُ غَيْرَهُمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ  
 عِزًّا وَيَخْدُمُهُ ذُو الْجُنْدِ وَالْخَدَمِ  
 تَيْجَانُ كُلِّ مَهِيْبِ الْبَاسِ وَالنِّقَمِ  
 وَرَبُّ مُلْكٍ مُذَالٍ غَيْرِ مُحْتَشِمِ  
 وَمِنْهُ مُرْتَبِعٌ لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ  
 لَكِنْ أَتَى فَضْلُهُ مِنْ دُونِ فَضْلِهِمْ  
 فَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَبْرٌ غَيْرُ مُلْتَمِ  
 مُفْلَجٌ فَهُوَ مَرْشُوفٌ بِكُلِّ فَمٍ  
 فَالطَّبْعُ يَجْذِبُهَا بِالطَّوْعِ وَالرَّغَمِ  
 وَالْمُزْنُ تَعْلُو فَتُزَوِي الْأَرْضَ بِالْدَّيْمِ  
 بُورِكْتَ بُورِكْتَ مِنْ عَالٍ وَمُنْسَجِمِ  
 وَالْيُسْرِ يُسْرَتُهُ وَالْكُلُّ لِلْكَرَمِ  
 وَإِنْ يَقُلْ نَعْمًا أَفْضَتْ إِلَى نَعَمٍ  
 وَالْمَاءُ بَعْضُ صِفَاتِ الصَّارِمِ الْحَدَمِ  
 وَالْكَرُّ فِي الْجُودِ مِثْلُ الْكَرِّ فِي الْبُهْمِ



مَفَرَّقُ الْجُودِ مَقْسُومٌ مَوَاهِبُهُ  
وَالْغَيْثُ إِنْ جَادَ بِالْمَعْرُوفِ وَزَعَهُ  
بِهِ إِلَى كُلِّ شَرْبٍ لِلْعُلَا ظَمًا  
وَيَعْتَرِيهِ إِلَى بَذْلِ اللَّهِ نَهْمٌ  
إِلَيْكَ نَظَّمْتُ أَجَوَازَ الْفَلَاةِ عَلَى  
كَأَنَّمَا أَلْبِيدُ مِنْ دَامِي مَنَاسِمِهَا  
أَخْفَاهَا شَاكِلَاتُ كُلِّ [مُشْكِلَةٍ]  
وَأَذْهَمٌ وَاضِحُ الْأَوْضَاحِ مُشْتَرِكٌ  
لِلضُّوءِ أَرْسَاغُهُ إِلَّا حَوَافِرُهُ  
مُحْلُولُكَ عَلِقَ التَّحْجِيلُ أَكْرَعَهُ  
جَرَى فَجَلَى مُحْيَا الصُّبْحِ غُرَّتُهُ  
أَضْحَى لِعَدْلِكَ ثَغْرُ الثَّغْرِ مُبْتَسِمًا  
مَا يَنْقِمُ الثَّغْرُ إِلَّا أَنْ مَحَوَتْ بِهِ  
عَفَفَتْ عَنْهُمْ فَزَادُوا عِفَّةً وَتَقَى  
قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ أَمْلَاكَاً مَلَكَتْ بِهَا  
لَوْ لَمْ تَحْزُهَا أَبَا نَصْرِ لَمَا وَجَدَتْ  
لَوْ تَطْلُبُ الشَّمْسُ غَيْرَ الْبَدْرِ مَا اتَّصَلَتْ  
زَادَتْ إِلَى عِزِّهَا عِزًّا بِهَا مُضَرٌّ  
خَمْسُونَ أَلْفًا يُغْطِي الْبَرَّ جَمْعُهُمْ

فِي عَلَيْهِ النَّاسِ وَالْأَوْسَاطِ وَالْحَشَمِ  
بَيْنَ الشَّنَاحِيْبِ وَالْغِيْطَانِ وَالْأَكَمِ  
بَرْخٌ وَمَهْمَا أَرْتَوَى مِنْ مَائِهِنَّ ظَمِي  
وَالظَّرْفُ أَجْمَعُهُ فِي ذَلِكَ النَّهْمِ  
وَجَنَاءٌ تَهْوَى أَنْقِضَاضَ الْجَارِحِ الْقَرَمِ  
مَصَاحِفٌ كُتِبَتْ أَعْشَارُهَا بِدَمِ  
بِحُمْرَةِ مُعْجَمَاتٍ كُلِّ مُنْعَجِمِ  
بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مُنْقَسِمِ  
فَإِنَّهِنَّ مَعَ الْجِلْبَابِ لِلظُّلَمِ  
كَمَا تَعَلَّقَ بَدَأُ النَّارِ بِالْفَحَمِ  
لثَمًا وَمَسَحَ بِالْأَرْسَاغِ وَالْحَدَمِ  
وَكَانَ قَبْلُ عَبُوسًا غَيْرَ مُبْتَسِمِ  
لَيْلًا مِنَ الظُّلَمِ كَانُوا مِنْهُ فِي ظُلَمِ  
فَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ وَالْإِيْمَانِ فِي حَرَمِ  
بَنِي عَقِيلٍ وَمَا يَحْوُونَ مِنْ نَعَمِ  
كُفْنًا يُشَاكِلُ فِي أَصْلِ وَلَا كَرَمِ  
بِمِثْلِهِ فِي سَنَاءِ الْقَدْرِ وَالْعِظَمِ  
وَرُبَّمَا صِيدَتْ الْعَلْيَاءُ بِالْحَرَمِ  
بِمَوْجِ بَحْرِ مِنَ الْمَآذِي مُلْتَطِمِ

مِنْ كُلِّ مَنْ يَتَلَقَّى وَجْهَ زَائِرِهِ  
 يُحْزَنُونَ عَلَى مَخْبُورَةٍ غَنِيَتْ  
 لِصَاهِلِ الْخَيْلِ مِنْ تَحْتِ الرِّمَاحِ بِهِمْ  
 قَوْمٌ يَرَوْنَ اخْتِصَارَ الْعُمَرِ مَكْرُمَةً  
 وَنِعْمَةَ السَّيْفِ أَحْلَى نِعْمَةٍ خُلِقَتْ  
 وَالْعَيْشُ فِي لَفِّ أَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ  
 إِذِ الْأَسِنَّةُ فِي الْهَيْجَاءِ الْأَسِنَّةُ  
 مُحْمَرَّةٌ مِنْ دَمِ الْأَبْطَالِ أَنْصَلُهُمْ  
 قَدْ كُنْتُ أَنْكِرُ شِعْرِي حِينَ حَاوَلَهُ  
 لَا يَأْلُمُونَ لِنَقْصِ الْبُخْلِ وَهُوَ بِهِمْ  
 خَيْرُ الْمَنَاقِبِ مَا كَانَ الْبَيَانُ لَهُ  
 [رِثْ] كُلِّ مَنْ بَخِلَتْ كَفَّاهُ مِنْ مَلِكٍ  
 ذُو الْجُودِ يُورِثُ فِي مَحْيَاهُ أَنْعَمَهُ  
 وَقِيمَةُ الْمَرْءِ مَا جَادَتْ بِهِ يَدُهُ  
 وَالْفَضْلُ أَشْيَاءُ شَتَّى أَنْتَ جُمَلْتُهَا

بِكَوْكَبِ كِهَالِ الْفِطْرِ مُلْتَمِمْ  
 (١) عَنِ الْأَعْنَةِ وَأَسْتَغْنَوْا عَنِ الْحُزْمِ  
 كَمَا تَزَاءَرُ غُلْبُ الْأُسْدِ فِي الْأَجْمِ  
 فَلَيْسَ تُفْضِي بِهِمْ سِنَّ إِلَى هَرَمٍ  
 إِذَا تَرَنَّمَ بَعْدَ الْبَيْضِ فِي اللَّيْلِ  
 بِمِثْلِهِنَّ وَفُرْسَانٍ بِمِثْلِهِمْ  
 يُعْرِبْنَ عَنْ كُلِّ مِقْدَامٍ وَمُنْهَزِمٍ  
 كَأَنَّمَا نَصَلُوا الْأَرْمَاحَ بِالْعَنَمِ  
 مِنِّي وَحَاشَاكَ أَمْلَاكَ بِلَا هَمَمٍ  
 مُبَرِّحٍ كَيْفَ لِلْأَمْوَاتِ بِالْأَلَمِ  
 سِلْكَاً وَفُصِّلَ بِالْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ  
 فَأَكْثَرُ النَّاسِ خُزَّانُ لَغَيْرِهِمْ  
 وَالنِّكْسُ يُورِثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ  
 وَقَدْرُكَ الْأَنْفُسُ الْأَعْلَى مِنَ الْفَقِيمِ  
 وَصِیْغَةُ أَنْتَ مَعْنَاهَا فَدُمُ [تَدُمُ]

بَيْنَ الْقَصِيدَتَيْنِ بَوْنٌ بَعِيدٌ وَالشَّاعِرُ وَاحِدٌ ، فَمَا كُلُّ حِينٍ يَجُودُ الطَّبْعُ بِمَا  
 تَهْوَى النُّفُوسُ ، وَمَا أَرَدَأَ تَشْبِيهَهُ - وَهُوَ عَنْهُ فِي غَنِيَةٍ - فِي قَوْلِهِ : ( كَأَنَّمَا  
 الْبَيْدُ مِنْ دَامِي مَنَاسِمِهَا ... ) الْبَيْتُ ؛ فَإِنَّهُ جَمَعَ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ كَوْنَهُ صُورَةً

(١) فِي « دِيْوَانِ التَّهَامِي » ( ص ٣٤٧ ) :

عَنِ الْأَعْنَةِ فَاسْتَغْنَوْا عَنِ الْحُزْمِ

مَجْرَبُونَ عَلَى مَخْبُورَةٍ غَنِيَتْ

اختراعيةً ليسَ لها في الخارجِ واقعٌ ؛ إذ ليسَ مِنَ المعهودِ أن تُكتبَ أعشارُ  
المصاحفِ بالدمِ .

**وبعدُ :** فليسَ في القصيدةِ غيرُ أبياتٍ ، وإنَّما أوردتها لتعرفَ ما أشرنا  
إليه مِنْ تفاوتِ القولِ حتَّى على الشاعرِ الواحدِ ، فلا تَغْتَرَّ بشهرةِ المشهورِ  
ولكنْ تُحكِّمِ معرفتكَ ، وعرضُ [ ما ] تجدهُ على ما تَقَرَّرَ مِنَ القوانينِ التي  
بموافقتها ومخالفتها يردُّ القولُ ويجوِّدُ .



## [ قصيدةٌ للأرجاني في مدح المسترشد بالله ]

هذا ؛ وليس يقصُرُ عن درجة هؤلاء خاتمة هذه الطبقة القاضي **ناصر الدين أحمد الأرجاني** ، وكان مُكثراً ، حتى قيل : إنّه كان فرضَ على نفسه أن يقولَ كلَّ يومٍ ولو أربعة أبياتٍ ، لكن المُدوّن من شعره قليلٌ ، وهذا مثاله :  
قال يمدح الإمام المسترشد بالله<sup>(١)</sup> :

كَأَنَّكَ بِالْأَحْبَابِ قَدْ جَدَّدُوا الْعَهْدَا	وَأَنْجَزْتَ الْأَيَّامَ مِنْ وَصْلِهِمْ وَعَدَا
وَعَادُوا إِلَى مَا عَوَّدُونَا فَأَصْبَحُوا	وَقَدْ أَنْعَمْتَ نَعْمٌ وَقَدْ أَسْعَدْتَ سُعْدَى
أَمَانِي لَا تُدْنِي نَوَى غَيْرَ أَنَّهَا	تُعَلِّلُ مِنَّا أَنْفُسًا مِلَّتْ وَجَدَا
وَجَمْرَةٌ شَوْقٍ كُلَّمَا لَامَ لَائِمٌ	وَرَدَّدَ مِنْ أَنْفَاسِهِ زَادَهَا وَقَدَا
أَحْنُ إِلَى لَيْلَى عَلَى قُرْبِ دَارِهَا	حَنِينَ الَّذِي يَشْكُو لِأَلَا فِيهِ بُعْدَا
وَلِي سِلْكُ جِسْمٍ مِلْؤُهُ دُرٌّ أَدْمَعُ	فَلَوْلَا الْعِدَا أُمْسِيَتْ فِي جِيدِهَا عِقْدَا
أَكْتَمْتُ جَهْدِي حُبَّهَا وَهَوَ قَاتِلِي	وَكَا مَن نَارِ الزُّنْدِ لَا يُحْرِقُ الزُّنْدَا
هَلَالِيَّةٌ قَوْمًا وَبُعْدُ مَنَازِلِ	فَهَلْ مِنْ سَنَاءٍ مِنْهَا إِلَى مُقْلَةٍ يُهْدَى
غَزَالِيَّةٌ لِلنَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ	إِنْ أَنْتَقَبْتَ عَيْنًا وَإِنْ سَفَرْتَ خَدَا
إِذَا زُرْتَهَا جَرَّ الرِّمَاحَ فَوَارِسُ	لِتَقْصِيدِهَا فَيَمُنْ يَرُومُ لَهَا قَصْدَا
وَحَالُوا بِأَطْرَافِ أَلْقَنَّا دُونَ ثَغْرِهَا	كَمَا [ ثَارَ ] يَحْمِي النَّحْلُ بِالْإِبْرِ الشَّهْدَا
وَأَخِرُ عَهْدِي يَوْمَ جَزَعَاءِ مَالِكِ	بِمُنْعَرَجِ الْوَادِي وَأَطْعَانُهُمْ تُحْدَى

(١) انظر « ديوان الأرجاني » ( ٣٣٢/١ - ٣٤٠ ) .

وَلَمَّا دَنْتُ وَالسِّتْرُ مُرْخَى وَدُونَهَا  
تَقَدَّمْتُ أَبْغِي أَنْ أَبِيعَ بِنَظَرَةٍ  
أَسِفْتُ عَلَى مَاضِي عُهُودٍ أَحَبَّتِي  
أَبُوءُ أَنْ يَبِيتَ الصَّبُّ إِلَّا مُعَذَّبًا  
مَتَى وَرَدُّوا بِي مِنْهَا مَنْ وَصَالِهِمْ  
فَكَمْ حَادٍ بِي إِنْ لَمْ أَنْلِ مِنْهُمْ مَنًى  
وَمَا قَاتِلِي إِلَّا لَوَاحِظُ شَادِنٍ  
عَجِبْتُ لِلَّيْلِ وَهِيَ جِدُّ فَرُوقَةٍ  
كَأَنَّ مَعَاجِ الْعِيسِ مِنْ بَطْنٍ وَجَرَةٍ  
أَظَلَّتْهُ أَيَّامُ الْإِمَامِ بَعْدَلِهِ  
بِحَقِّ إِلَيْهِ اللَّهُ أَلْقَى أُمُورَنَا  
فَقَدْ زَيْنَ الدُّنْيَا بِآثَارِ كَفِّهِ  
يُورِّقُهُ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ لِيَأْمَنُوا  
قُلُوبُ الْعِدَا مِنْهُ حِذَارًا كَقَلْبِهِ  
إِذَا مَا الْهُمُومُ الْمُسْهِرَاتُ طَرَقْنَهُ  
وَكَا الصُّبْحُ مُبِيضًا لَهُ الرَّأْيُ يَنْتَضِي  
بِمُسْتَرْشِدٍ بِاللَّهِ مُسْتَخْلِفٍ لَهُ  
يَحُولُ حِجَابُ الْعِزِّ دُونَ لِقَائِهِ  
وَتَنْهَى الْعُيُونُ الشَّمْسُ عَنْهَا إِذَا أَعْتَلَتْ

غَيَارَى غَدَتْ تَغْلِي صُدُورَهُمْ حِقْدًا  
إِلَى سِجْفِهَا رُوحِي لَقَدْ رَخِصْتُ جِدًّا  
وَهَلْ يَمْلِكُ الْمَحْزُونُ لِلْفَائِتِ الرَّدَا  
إِذَا بَعُدُوا شَوْقًا وَإِنْ قَرُبُوا صَدَا  
قَضَى هَجْرَهُمْ أَنْ يَسْبِقَ الصَّدْرُ الْوَرْدَا  
وَكَمْ عَادَ بِي إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْهُمْ بُدَا  
مِنْ الرَّاعِيَاتِ الْقَلْبَ لَا أَلْبَانَ وَالرَّنْدَا  
وَقَدْ صَرَعْتُ يَوْمَ اللَّقَا فَارِسًا نَجْدَا  
وَقَدْ طَفِقتُ تَضْطَاطُ غِزْلَانُهُ الْأَسْدَا  
فَلَمْ يَخْشَ رِيْمٌ أَحْوَرَ أَسَدًا وَرَدَا  
وَلِلَّهِ أَوْفَى نَاقِدٍ لِلْوَرَى نَقْدَا  
سَمَاحًا وَخَلَاهَا لِابْنَائِهَا زُهْدَا  
إِذَا الدَّهْرُ أَنْحَى نَحْوَهُمْ حَادِثًا إِذَا  
عَلَيْنَا وَعَيْنَاهُ كَأَعْيُنِهِمْ سُهْدَا  
ضُيُوفًا قَرَاهَا جَمْعُهُ الْجِدَّ وَالْجَدَا  
إِذَا مَا أَظَلَّ الْخَطْبُ كَاللَّيْلِ مُسَوْدَا  
مَلِيكَ يُرِيكَ اللَّهُ طَاعَتَهُ رُشْدَا  
وَإِنْ كَانَ لَا يَغِيَا عَلَى طَالِبٍ رِفْدَا  
بُهُورًا وَإِنْ كَانَتْ بِأَنْوَارِهَا تُهْدَى



قَدَمٌ لِلْعَلَا يَا خَيْرَ مَنْ مَطَرَ الْوَرَى  
 وَأَنْتَ الَّذِي قَدْ ضَمَّمَهُ الْبُرْدُ مِنْ تَقَى  
 وَوَلَّيْتَ مِنْ مُلْكِ الْفَضِيبِ شَبِيهَ مَا  
 وَمَا هُوَ إِلَّا أَمْرُ أُمَّتِهِ الَّذِي  
 سَرَائِرُ اللَّهِ أَنْطَوَتْ فِي أَمَائِرِ  
 إِذَا لَمَحَتْهَا فِطْنَةٌ عَرَبِيَّةٌ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ ابْنِي نِزَارٍ تَمَلَّكَ  
 وَكَانَ لِهَذَا بِالسِّيَادَةِ حُجَّةٌ  
 دَلِيلَانِ كُلُّ مِنْهُمَا بِوُضُوحِهِ  
 نُحِبُّكَ لَا حُبَّ اعْتِيَادٍ وَإِنَّمَا  
 وَمَا إِنْ نَرَى أَجْرًا عَلَى اللَّهِ وَاجِبًا  
 بِكُمْ آلَ عَبَّاسٍ يُعَادُ وَمِنْكُمْ  
 وَأَنْتُمْ شَفَعْتُمْ لِلْحَيَا عِنْدَ حَبْسِهِ  
 فَهَلْ غَيْرُكُمْ مِنْ آلِ بَيْتِ مَكَارِمِ  
 لَكُمْ سَنٌّ فِي الْأَرْضِ الْخِلَافَةِ آدَمَ  
 وَفِي ظَهْرِ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ خَبِيئَةٌ  
 وَلَوْلَا الَّذِي أَصْبَحْتُمْ خُلَفَاءَهُ  
 وَلَمْ تُخْلَفُوا حَتَّى غَدَا غَايَةَ أَلَّتِي  
 تَرَكْتَ بَنِي الْإِلْحَادِ فِي كُلِّ مَوْطِنِ

نَوَالًا فَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي النَّدَى نِدَا  
 وَمِنْ كَرَمٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِثَ الْبُرْدَا  
 تَوَلَّاهُ مَنْ كَانَ الْمُشِيرُ بِهِ جِدًّا  
 إِلَيْكَ أَنْتَهَى إِذْ كُنْتَ مِنْ بَيْنِهَا فَرْدَا  
 أُولُو الْعِلْمِ قَدْ كَانَتْ إِلَى فَهْمِهَا أَهْدَى  
 غَدَتْ أَلْسِنًا عِنْدَ الْحِجَاكِ لَكُمْ لَدَا  
 لَهُ الْقُبَّةُ الْحَمْرَاءُ وَالْفَرَسُ النَّهْدَا  
 وَهَذَا يَقُودُ الْخَيْلَ نَحْوَ الْوَعَى جُرْدَا  
 لَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ أَهْدَى الَّذِي أَهْدَى  
 بِذَلِكَ عَلَيْنَا اللَّهُ قَدْ أَخَذَ الْعَهْدَا  
 لِمَسْعَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا لَكَ الْوُدَا  
 يُعَادُ لَنَا جَزْلُ الْعَطَاءِ كَمَا يُبْدَا  
 فَاطَلَقْتُمُوهُ حَائِزِينَ لَهُ حَمْدَا  
 إِذَا افْتَخَرُوا كَانَ الْغَمَامُ لَهُمْ عَبْدَا  
 وَمِنْ أَجْلِكُمْ لَمْ يَأْسَ إِذْ فَارَقَ الْخُلْدَا  
 أَكْفُكُمْ حَتَّى غَدَتْ نَارُهُ بَرْدَا  
 لَمَا كَانَ مِنْ كَوْنٍ مَعَادٍ وَلَا مَبْدَا  
 تَنَاهَتْ فَمَا عَنْهَا لِذِي نُهْيَةٍ مَغْدَى  
 وَقَدْ هَدَّ سَيْفُ اللَّهِ بُنْيَانَهُمْ هَدَا

هُم خَلَطُوا الْإِسْلَامَ بِالْكَفْرِ خَلْطَةً  
إِذَا الْكَفْتُ أَبَدْتُ بِأَغْتِصَابٍ إِشَارَةً  
إِذَا رَأْسُ طَاغٍ مَالَ عَنْكَ جَهَالَةً  
وَمَا أَرْتَدَّ مُنْحَازٌ فَرْدًا بِذِلَّةٍ  
بَقِيَتْ لِدَهْرٍ لَمْ تَدْعُ أَهْلُهُ سُدًى  
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَرَتْ بِنَا  
لَطْمَنَ بِأَيْدِيهِنَّ خَدًّا مِنَ الْفَلَا  
وَقَدْ وَفَدَ الْعَبْدُ الْقَدِيمُ وَلَاؤُهُ  
وَمَا الشَّعْرُ قَاضٍ وَاجِبًا مِنْ حُقُوقِكُمْ  
وَلَوْلَا مَنَاهِي دِينِ جُودٍ شَرَعْتُهُ  
فَدَى لَكَ نَفْسِي فِي الْعَبِيدِ مِنَ الرَّدَى  
بَقَاءَكَ أَرْجُو اللَّهَ رَبِّي وَظِلَّهُ  
تَصُومُ عَلَى يُمْنٍ وَتُفْطِرُ دَائِمًا  
وَتَبْقَى إِلَى أَنْ تُبْلِيَ الدَّهْرَ خَالِدًا

فَصَيَّرْتَ حَدَّ السَّيْفِ بَيْنَهُمُ الْحَدَّ  
إِلَى حَقِّكَ الْمَمُورُوثِ لَمْ تَضَحِبِ الزُّنْدَا  
أَبَى حَيْنُهُ إِلَّا الْقَنَاءَةَ لَهُ قَدَا  
إِلَى الدِّينِ إِلَّا سُرْعَةَ النَّفْسِ أَرْتَدَا  
وَدِينٍ جَعَلْتَ السَّيْفَ مِنْ دُونِهِ سَدًّا  
رَكَائِبُ أَدْنَتْ مِنْ مَوَاقِفِكَ الْوَفْدَا  
عَلَى عَجَلٍ حَتَّى تَرُكْنَ بِهِ خَدًّا  
لِيُتْبَعَ طَرْفًا مِنْ مَدَائِحِكُمْ تُلْدَا  
لَدَيَّ وَلَكِنْ مِنْ مُقِلٍّ غَدَا جُهْدَا  
عَمَمْتُ بَنَاتِ الْفِكْرِ مِنْ أَنْفٍ وَأَدَا  
فَمِثْلِي مَنْ يَفْدِي وَمِثْلَكَ مَنْ يُفْدَى  
عَلَى الْخَلْقِ طُرًّا أَنْ يَمُدَّهُمَا مَدَا  
وَتَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْعُلَا أَبَدًا سَعْدَا  
وَلَا سَرَفٌ لِلْسَّيْفِ أَنْ يُبْلِيَ الْغَمْدَا<sup>(١)</sup>



(١) في «ديوان الأرجاني» (٣٤٠/١) : (شرف) بدل (سرف) .

## الطبقة الثالثة

أشهر أهلها : محمد بن نباتة المصري ، وعصره عبد العزيز بن سرايا الحلي ، فلنقتصر في التمثيل على ما نوردُهُ لهما .

### [ قصيدة لابن نباتة المصري في مدح النبي ﷺ ]

قال ابن نباتة يمدحُ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ <sup>(١)</sup> : [ من الطويل ]

صَحَا الْقَلْبُ لَوْلَا نَسْمَةٌ تَتَخَطَّرُ	وَلَمَعَهُ بَرْقٌ بِالْغَضَا تَتَسَعَّرُ
وَذَكَرُ جَبِينِ الْمَالِكِيَّةِ إِنْ بَدَا	هَلَالُ الدُّجَى وَالشَّيْءِ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ
سَقَى اللهُ أَكْنَافَ الْغَضَا سُبُلَ الْحَيَا	وَإِنْ كُنْتُ أُسْقَى أَدْمَعًا تَتَحَدَّرُ
وَعَيْشًا نَضًا عَنْهُ الزَّمَانُ بَيَاضُهُ	وَخَلْفَهُ فِي الرَّأْسِ يُزْهِى وَيَزْهَرُ
تَغَيَّرَ ذَاكَ اللَّوْنُ مَعَ مَنْ أَحْبَبُهُ	وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزْ لَا يَتَغَيَّرُ
وَكَانَ الصَّبَا لَيْلًا وَكُنْتُ كَحَالِمٍ	فَيَا أَسْفِي وَالشَّيْبُ كَالصُّبْحِ يُسْفِرُ
يُعَلِّلُنِي تَحْتَ الْعِمَامَةِ كَثْمُهُ	فَيَعْتَادُ قَلْبِي حَسْرَةً حِينَ أَحْسِرُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللهِ صَوْمٌ عَنِ الصَّبَا	وَقَلْبٌ عَلَى عَهْدِ الْحَسَنِ مُفْطَرُ
تَذَكَّرْتُ أَوْطَانَ الْوِصَالِ فَأَشْهَبُ	مِنَ الدَّمْعِ فِي مِيدَانِ خَدْيٍ وَأَحْمَرُ
إِذَا لَمْ تَفِضْ عَيْنِي الْعَقِيقَ فَإِذَا رَأْتُ <sup>(٢)</sup>	مَنَازِلَهُ بِالْوَصْلِ تُبْهَى وَتُبْهَرُ
وَإِنْ لَمْ تُوَاصِلْ عَادَةَ السَّفْحِ مُقْلَتِي	فَلَا عَادَهَا عَيْشٌ بِمَغْنَاهُ أَخْضَرُ

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » ( ص ١٨٠ - ١٨٣ ) .

(٢) في « ديوان ابن نباتة المصري » ( ص ١٨٠ ) : ( فلا رأت ) بدل ( فإذا رأت ) .

لِيَالِي تَجْنِي الْحُسْنَ فِي أَوْجِهِ الدَّمَى  
يُؤَثِّرُ فِي خَدِّ الْمَلِيحَةِ لَحْظَهَا  
إِذَا حَلَّ مُبْيَضُ الْمَشِيبِ بِعَارِضٍ  
كَأَنِّي لَمْ أَتَّبِعْ صَبًا وَصَبَابَةً  
وَلَمْ أَطْرُقِ الْحَيَّ الْخَصِيبَ زَمَانَهُ  
وَعَيْدَاءَ أَمَّا جَفْنُهَا فَمُؤَنَّتْ  
يَرُوقُكَ جَمْعُ الْحُسْنِ فِي لَحْظَاتِهَا  
مَنْ أَلْغَيْدِ تُخْفِيهَا الطُّبَا بِحَجَابِهَا  
يَشِفُّ وَرَاءَ الْمَشْرِفِيَّةِ خَدُّهَا  
وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ سِحْرِ جُفُونِهَا  
إِذَا جَرَدَتْ مِنْ بُرْدِهَا فَهِيَ عَبْلَةٌ  
إِذَا خَطَرَتْ فِي الرُّوضِ طَابَ كِلَاهُمَا  
خَلِيلِي كَمْ رَوْضٍ نَزَلْتُ فِنَاءَهُ  
وَفَارَقْتُهُ وَالطَّيْرُ صَافِرَةٌ بِهِ  
إِلَى أَعْيُنِ بِالْمَاءِ نَضَاحَةِ الصَّفَا  
نَدَامَايَ مِنْ خَوْدٍ وَرَاحٍ وَقَيْنَةٍ  
قَضَيْتُ لُبَانَاتِ الشَّبِيبَةِ وَالْهَوَى  
وَرُبَّ طَمُوحِ الْعَزَمِ أَدْمَاءَ جَسْرَةٍ  
طَوْتُ بِذِرَاعِي وَخَدِهَا شُقَّةَ الْفَلَا

وَتَجْنِي عَلَى أَجْسَامِنَا حِينَ تَنْظُرُ  
وَإِنْ كَانَ فِي مِثَاقِهَا لَا يُؤَثِّرُ  
فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْمَدَامِ مُمْطِرُ  
خَلِيعَ عَذَارٍ حَيْثُ مَا هِمْتُ أُعْذِرُ  
يُقَابِلُنِي زَهْرٌ لَدَيْهِ وَمِزْهَرُ  
كَلِيلٌ وَأَمَّا لَحْظُهَا فَمُذَكَّرُ  
عَلَى أَنَّهُ بِالطَّرْفِ جَمْعُ مُكْسَرُ  
وَلَكِنَّهَا كَالْبَدْرِ فِي الْمَاءِ يَظْهَرُ  
كَمَا شَفَّ مِنْ دُونِ الزُّجَاجَةِ مُسْكِرُ  
وَأَحْبَبُ بِهَا سَحَّارَةً حِينَ تَسْحَرُ  
وَإِنْ جَرَدَتْ أَلْحَاطُهَا فَهِيَ عَنَتْرُ  
فَلَمْ نَذِرْ مَنْ أَزْهَى وَأَشْهَى وَأَعْطَرُ  
وَفِيهِ رَبِيعٌ لِلنَّزِيلِ وَجَعْفَرُ  
وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفُرُ  
إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنْخَرٌ جَاشَ مَنْخَرُ  
ثَلَاثُ شُخُوصٍ [كَاعْبَانٍ] وَمُعْصِرُ  
وَطَوَّلْتُ حَتَّى آنَ أَنِّي مُقْصِرُ  
يَظَلُّ بِهَا عَزْمِي عَلَى الْبِيدِ يَجْسُرُ  
وَكَفْتُ الثَّرِيًّا فِي دُجَى اللَّيْلِ تَشْبُرُ

بِصَمِّ الْحَصَى تَرْمِي الْحُدَاةَ كَأَنَّمَا  
 إِذَا مَا حُرُوفُ الْعَيْسِ خُطَّتْ بِقَفْرَةٍ  
 فَلِلَّهِ حَرْفٌ لَا تُرَامُ كَأَنَّهَا  
 [ تَخَطَّتْ ] بِنَا أَرْضَ الشَّامِ إِلَى حِمَى  
 إِلَى حَرَمِ الْأَمْنِ الْمَنِيعِ جَوَارُهُ  
 إِلَى مَنْ هُوَ التَّبَرُّ الْخَلَاصُ لِنَاقِدِ  
 نَبِيِّي أَتَمَّ اللَّهُ صُورَةَ فَخْرِهِ  
 نَظِيمُ الْعُلَا وَالْأَفُقُ مَا مَدَّ طَرْسَهُ  
 وَلَا لِعَصَا الْجَوَزَاءِ فِي الشُّهْبِ آيَةٌ  
 نَبِيِّ لَهُ مَجْدٌ قَدِيمٌ وَسُودَدٌ  
 تَحَزَمَ جَبْرِيلُ لِحْدَمَةِ وَحْيِهِ  
 فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهِ وَجَبْرِيلُ خَادِمُ  
 تَهَاوَتْ لِمَاتَاهُ النُّجُومُ كَأَنَّهَا  
 وَيَنْضُبُ [ طَامِ ] مِنْ بُحَيْرَةِ سَاوَةٍ  
 نَبِيِّ لَهُ الْحَوْضَانِ هَلْذِي أَصَابِعُ  
 وَعَنْ جَاهِهِ النَّارَانِ هَلْذِي بِفَارِسِ  
 إِذَا مَا تَشَفَّعْنَا بِهِ كُفَّ غَيْظُهَا  
 تَنْقَلُ نُورًا بَيْنَ أَصْلَابِ سَادَةٍ  
 وَمَنْ أَجْلِهِ جِيءَ الدَّبِيحَانِ بِالْفِدَا

تَغَارُ عَلَى مَحْبُوبِهَا حِينَ يُذَكَّرُ  
 غَدَتْ مَوْضِعَ الْعُنْوَانِ وَالْعَيْسُ أَسْطَرُ  
 بَوْشِكِ السَّرَى حَرْفٌ لَدَى الْيَدِ مُضْمَرُ  
 بِهِ رَوْضَةٌ رِيًّا الْجَنَابِ وَمَنْبَرُ  
 إِذَا ظَلَّتِ الْأَصْوَاتُ بِالرَّوْعِ تَجَارُ  
 غَدَاةَ الثَّنَا وَالصَّفْوَةِ الْمُتَخَيَّرِ  
 وَآدَمُ فِي فَخَّارِهِ يَتَصَوَّرُ  
 [ وَلَا الزَّهْرُ إِلَّا وَالْكَوَائِبُ ] تُنْثَرُ  
 وَبَحْرُ الدُّجَى مِنْ تَحْتِهَا يَتَفَجَّرُ  
 هَمِيمٌ وَأَخْبَارٌ تَجِلُّ وَتُخْبِرُ  
 وَأَقْبَلَ عَيْسَى بِالْبِشَارَةِ يَجْهَرُ  
 لِمَقْدَمِهِ الْعَالِي وَعَيْسَى مُبَشِّرُ  
 تُشَافِهِ بِالْخَدِّ الثَّرَى وَتُعَفِّرُ  
 وَلَمْ لَا وَقَدْ [ فَاضَتْ ] بِكَفِّهِ أَبْحُرُ  
 تَفِيضُ وَهَذَا فِي الْقِيَامَةِ كَوْنُ  
 تَبُوخُ وَهَلْذِي فِي غَدٍ حِينَ نُحْشَرُ  
 وَقَالَتْ عِبَارَاتُ الصِّرَاطِ لَنَا أَعْبُرُوا  
 فَلِلَّهِ مِنْهُ فِي [ سَمَا ] الْفَضْلِ نَيْرُ  
 وَصَيْنَ دَمٌ بَيْنَ الدِّمَاءِ مُطَهَّرُ



وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ  
فَجَلَّى الدُّجَى وَاسْتَوْتَقَ الدِّينَ وَاضِحاً  
عَزَائِمُ مَنْ لَا يَخْتَشِي يَوْمَ غَزْوِهِ  
عَلَا عَنْ مُحَاكَاةِ الْغَمَامِ لِفَضْلِهِ  
يُظَلِّلُهُ وَقْتَ الْمَسِيرِ وَتَارَةً  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطَرَ فِي الْغَيْمِ فَارِسٌ  
هُوَ الْبَحْرُ فَيَاضُ الْمَوَارِدِ لِلْوَرَى  
فَمَنْ لِي بِلَفْظِ جَوْهَرِيٍّ قَصَائِدًا  
وَهِيَّاتٍ أَنْ [ تُخْصَى ] بِتَقْرِيرِ مَادِحٍ  
إِذَا شُعْرَاءُ الذِّكْرِ قَامَتْ بِمَدْحِهِ  
نَبِيٌّ زَكَ أَضْلًا وَفَرَعًا وَأَقْبَلَتْ  
وَخَاطَبَهُ وَخَشُ الْمَهَامِهِ آنَسًا  
لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا عَلَى الْبَاسِ وَالنَّدَى  
فَبَيْنَا الْعَصَا فِيهَا وَرَيْقُ قَضِيْبُهَا  
كَذَا فَلْتَكُنْ فِي شُكْرِهَا وَصِفَاتِهَا  
سَخَتْ وَمَحَتْ شَكْوَى قَتَادَةَ فَاعْتَدَتْ  
لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَتْ صِفَاتُ مُحَمَّدٍ  
أَرَى مُعْجَزَ الرُّسُلِ أَنْطَوَى بِأَنْطَوَائِهِمْ  
كَبِيرٌ فَخَارِ الذِّكْرِ فِي الْخَلْقِ كُلِّمَا

بَدَا قَمَرًا وَالشِّرْكَ كَاللَّيْلِ يَكْفُرُ  
[ وَقَامَ ] بِنَصْرِ اللَّهِ دَاعٍ مُظْفَرُ  
رَدَى وَعَطَاً مَنْ لَيْسَ لِلْفَقْرِ يَحْذَرُ  
وَكَيْفَ يُحَاكِيه الْخُدَيْمُ الْمُسَخَّرُ  
يُشِيرُ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فَتُمْطَرُ  
إِذَا بَرَزَتْ آلاؤُهُ يَتَعَطَّرُ  
وَلَكِنَّهُ الْعَذْبُ الَّذِي لَا يُكَدَّرُ  
يُنْظَمُ حَتَّى يَمْدَحَ الْبَحْرَ جَوْهَرَ  
مَنَاقِبُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ تُقَرَّرُ  
فَمَا قَدَرُ مَا تُنْشِي الْأَنَامُ وَتَشْعُرُ  
إِلَيْهِ أَصُولُ فِي الثَّرَى تَتَجَرَّرُ  
إِلَيْهِ وَمَا عَنْ ذَلِكَ الْحُسْنِ يَنْفِرُ  
دَلَائِلُ حَتَّى فِي الْجَمَادِ تُؤَثَّرُ  
إِذَا هُوَ مَشْحُودُ الْغِرَارَيْنِ أَبْتَرُ  
يَدٌ بَيْنَ أَوْصَافِ النَّبِيِّينَ تُشْكُرُ  
بِهَا الْعَيْنُ تَجْرِي أَوْ بِهَا الْعَيْنُ تُبْصِرُ  
كَذَاكَ النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ تُسِيرُ  
وَمُعْجَزُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُنْشَرُ  
تَلَا قَارِئُ أَوْ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ

هُوَ الْمُزْتَقِي السَّبْعَ الطَّبَاقَ إِلَى مَدَى  
هُوَ الثَّابِتُ الْعَلِيَّ عَلَى كُلِّ مُرْسَلٍ  
هُوَ الْمُصْطَفَى وَالْمُقْتَفَى لَا مَنَارُهُ  
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مُدَّتْ مَطَالِبِي  
خُلِقْتَ شَفِيعاً لِلْأَنَامِ مُشَفَّعاً  
وَلِي حَالَتَا دُنْيَا وَأُخْرَى أَرَاهُمَا  
حَيَاةً وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ وَغُرْبَةً  
وَعَزْماً إِلَى الْأُخْرَى يَهُمُّ نُهُوضُهُ  
تَصَبَّرْتُ فِي هَذَا وَذَاكَ كَأَنِّي  
وَهَأُنَا قَدْ أَبْلَغْتُ عُذْرِي قَاصِداً  
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ  
وَالِكَ وَالصَّحْبِ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ  
بِجَاهِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَقْبَلْتُ لَأَيْذاً  
وَنَظَّمْتُ شِعْرِي فِيكَ يُزْهِى قَصِيدَةً  
مُعْظَمَةً الْمَعْنَى يُكَرِّرُ لَفْظُهَا  
دَنَتْ مِنْ صِفَاتِ الْفَضْلِ مِنْكَ فَإِنَّهَا  
وَمَا ضَرَّهَا إِذْ كَانَ نَشْرُ نَسِيمِهَا

لِجَبْرِيلَ عَنْهُ مَوْقِفٌ مُتَأَخِّرٌ  
بِحَيْثُ لَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ مَحْضَرٌ  
تَحَطُّ وَلَا أَنْوَارُهُ تَتَكَدَّرُ  
عَلَى أَنَّهَا أَضَحَتْ عَلَى الْقُوزِ تَقْصُرُ  
فَرَجْوَاكَ فِي الدَّارَيْنِ أَجْدَى وَأَجْدَرُ  
يَمُرَّانِ بِي فِي عَيْشَةٍ تَتَمَرَّرُ  
فَلَا أَلْعِزُّ يُسْتَحْلَى وَلَا أَلْبِينُ يَفْتُرُ  
وَلَكِنَّهُ بِالذَّنْبِ كَالظَّهْرِ مُوقَرُ  
مِنَ الْعَجْزِ وَالْبُؤْسَى قَتِيلٌ مُصَبَّرُ  
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ النُّجْحَ لَا يَتَعَذَّرُ  
يُعَبَّرُ عَنْ غَرْسِ الْجِنَانِ وَيَعْبَرُ<sup>(١)</sup>  
تُحَلُّ حُبَا مَدْحٍ وَتُعْقَدُ خِنْصَرُ  
وَتَكْبُرُ حَاجَاتِي وَجَاهُكَ أَكْبَرُ  
عَلَى كُلِّ بَيْتٍ لِي مِنَ الشَّعْرِ يَغْمُرُ  
فَيَحْلُو لَنَا مِنْهَا الْكَلَامُ الْمُكَرَّرُ  
لَتَفْضُلُ مَا أَبْدَاهُ طَيِّ وَبُحْثُرُ  
رَخَاءٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ صَرْصَرُ

(١) في « ديوان ابن نباتة المصري » ( تُعَبَّرُ عَنْ غَرْسِ الْجِنَانِ وَتَعْبَرُ ) .

ينبغي لك أيُّها الطالبُ الراغبُ في معرفةِ جودةِ الصَّنَاعَةِ الشعرِيَّةِ أن تُكْرِرَ  
النظَرَ في هذا الشعرِ ، وتَتَأَمَّلَهُ بيتاً بيتاً ؛ حتى تقفَ على ما أسكنَ كلاًّ منها  
مِنْ أنواعِ البديعِ .

وحسبُكَ شاهداً على براعةِ الاستهلالِ وما ينبغي أن يُصدَّرَ به المديحُ  
النَّبَوِيُّ مِنَ النَّسِيبِ ؛ فَإِنَّهُ بدأَ الكلامَ بقوله : ( صحا القلبُ ) ، وهي عبارةٌ  
عربيةٌ ابتدأَ بها زهيرٌ قصائدَ وغيره ، فهي تصرفُ خيالكَ إلى العربِ ، وتشعرُ  
أنَّهُ يريدُ القولَ في تلكِ الناحيةِ .

ثمَّ خرجَ عن هذهِ الإشارةِ الخفيَّةِ إلى ما هو أوضحُ منها ، فذكرَ النسمةَ ،  
ولمعةَ البرقِ ، والغضا ، ثمَّ مضى في ذكرِ الأماكنِ الحجازيَّةِ على طريقةِ  
الغرامِ ، حتى تَخَلَّصَ إلى المدحِ .

### [ قصيدةُ أخرى لابنِ نباتةِ المصريِّ في تهنئةِ ملكٍ وتعزيتِهِ ]

**ومن بديعِ شعرِهِ :** قصيدتهُ التي جمعَ فيها بينَ تهنئةِ ملكٍ وتعزيتِهِ بأبيه  
وإن كانَ قد سبقَ به كما عرفتَ ، ولكنهُ قد أجادَ الاتِّباعَ ، وأحسنَ ما شاء ،  
**وهي هذه<sup>(١)</sup> :** [ من الطويل ]

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ أَلْعَزَاءَ أَلْمُقَدَّمَا	فَمَا عَبَسَ أَلْمَحْزُونُ حَتَّى تَبَسَّمَا
تُغُورُ أُبْتَسَامٍ فِي تُغُورِ مَدَامِعِ	شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ دُو أَلْسَبْقِ مِنْهُمَا
تَدِرُّ مَجَارِي أَلدَّمْعِ وَأَلْبِشْرُ وَاضِحِ	كَوَابِلِ غَيْثٍ فِي ضُحَى أَلشَّمْسِ قَدْ هَمَى
سَقَى أَلْغَيْثُ عَنَا تُرْبَةَ أَلْمَلِكِ أَلَّذِي	تَدَانَتْ لَهُ أَلدُّنْيَا وَعَزَّ بِهِ أَلْحِمَى
مَلِيكَانِ هَذَا قَدْ هَوَى لِضَرْيَحِهِ	بِرَغْمِي وَهَذَا صَانُهُ أَللَّهُ قَدْ سَمَا

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » ( ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ) .

وَدَوْحَةٍ فَضْلٍ شَادَوِيٍّ تَكَافَأَتْ  
فَقَدْنَا لِأَعْنَاقِ الْبَرِيَّةِ مَالِكًا  
إِذَا الْأَفْضَلُ الْمَلِكِ اعْتَبَرَتْ مَقَامُهُ  
أَعَادَ مَعَالِي الْبَيْتِ حَتَّى حَسِبْتُهُ  
وَنَادَاهُ مُلْكٌ قَدْ تَقَادَمَ إِرْثُهُ  
تُقَابِلُ مِنْهُ مُقَلَّةُ الدَّهْرِ سُودَدًا  
وَيَقْسِمُ فِينَا كُلَّ سَهْمٍ مِنَ النَّدَى  
كَأَنَّ دِيَارَ الْمَلِكِ غَابَ إِذَا أَنْقَضَى  
كَأَنَّ عِمَادَ الْبَيْتِ غَيْرُ مُقَوِّضٍ  
نَهَضَتْ فَمَا قُلْنَا سِيَادَةَ مَعْشَرٍ  
أَمَّا وَالَّذِي أَعْطَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ  
وَقَدْ أَنْشَرَ الْأَسْلَافُ بِالْخَلْفِ الَّذِي<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ تَكُ أَوْقَاتُ الْمُؤَيَّدِ قَدْ خَلَتْ  
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ  
هُوَ الْغَيْثُ وَلَّى بِالثَّنَاءِ مُشِيعًا  
لَكَ اللَّهُ مَا أَبْهَى وَأَبْهَرَ طَلْعَةً  
بِكَ أَنْبَسَطْتَ فِينَا التَّهَانِيَّ وَأَنْشَأْتَ

فَغَضُنْ ذَوِي مِنْهَا وَآخِرُ قَدْ نَمَا  
وَشِمْنَا لِأَنْوَاعِ الْجَمِيلِ مُتَمِّمًا  
وَجَدْتَ زَمَانَ الْمَلِكِ قَدْ عَادَ مِثْلَمَا  
بَوَزَنَ الثَّنَا وَالْحَمْدِ بَيْتًا مُنْظَمًا  
فَقَامَ كَمَا تَرْضَى الْعُلَا وَتَقَدَّمَا  
صَمِيمًا وَيَنْضُو الرَّأْيُ عَضْبًا مُصَمِّمًا  
وَيَبْعَثُ لِلْأَعْدَاءِ فِي الرَّوْعِ أَسْهُمًا  
بِهِ ضَيْعَمٌ أَنْشَأَ لَهُ الدَّهْرُ ضَيْعَمًا  
وَقَدْ قُتِمَتْ يَا أَزْكَى الْأَنَامِ وَأَحْزَمًا  
تَدَاعَتْ وَلَا بُنْيَانَ قَوْمٍ تَهْدَمًا  
لَقَدْ شَادَ فِي عَلِيَاكَ رُكْنًا مُعْظَمًا  
تَمَكَّنَ فِي عَلَيَائِهِ وَتَحَكَّمَ  
فَقَدْ جَدَّدْتَ عَلِيَاكَ وَقْتًا وَمَوْسِمًا  
وَرَحِمْتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا  
وَأَبْقَاكَ بَحْرًا بِالْمَوَاهِبِ مُفْعَمًا  
وَأَشْرَفَ أَخْلَاقًا وَأَفْضَلَ مُنْتَمَى  
رَبِيعَ الْهَنَا حَتَّى نَسِينَا الْمُحَرَّمَا

(١) في « ديوان ابن نباتة المصري » ( ص ٤٣٠ ) : ( الإسلام ) بدل ( الأسلاف ) .

وَبِاسْمِكَ فِي الدُّنْيَا اسْتَقَرَّتْ مَحَاسِنُ  
نَوَالٍ كَمَا يَسْرِي السَّحَابُ مُطَبَّقًا  
وَفَضْلُ بِهِ [الْأَلْفَاظُ] لِلْعَجْزِ أُخْرِسَتْ  
أَعَدَّتْ حَيَاةَ الْمُفْتَرِينَ وَقَدْ عَفَتْ  
إِذَا الْغَيْثُ صَلَّى خَلْفَ جَدَوَاكَ رَاكِعًا  
يَرَاكَ يَوْمَ السَّلَامِ يَنْهَلُ دِيمَةً  
وَذِكْرُ نَدَى كَفَيْكَ يُدْنِي مِنَ الْغِنَى  
لَكَ الْمُلْكُ إِزْثًا وَاكْتِسَابًا فَقَدْ غَدَا  
وَمِثْلُكَ إِمَّا لِلْسَّرِيرِ مُنْعَمًا  
وَلَمَّا عَقَدْنَا بِاسْمِ عَلَيْكَ خِنْصَرًا  
أَيَا مَلِكًا قَدْ أَنْجَدَ النَّاسُ [عَزَمَهُ]  
سَبَقْتُ لَكَ الْمُدَاحَ قَدَمًا وَبَادَرْتُ  
لِيَالِي أَنْشِي فِي أَبِيكَ مَدَائِحًا  
وَأَغْدُو بِأَنْوَاعِ الْجَمِيلِ مُطَوَّقًا  
وَأَسْتَوْضِحُ الْعُلَيَاءَ فِيكَ فِرَاسَةً  
فَعِشْ لِلْوَرَى وَأَسْلَمَ سَعِيدًا مُهَنَّا  
وَسِرْ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَأَقْدُمْ بِفَضْلِهِ  
أَعَدَّتْ زَمَانَ الْبَشَرِ وَالْجُودِ وَاللَّنَا

يُقِرُّ سَنَاهَا النَّظَرَ الْمُتَوَسِّمًا  
وَبِاسْمِكَ كَمَا يَمْضِي الْقَضَاءُ مُحْتَمًا  
وَعِزُّ بِهِ قَلْبُ الْحَسُودِ تَكَلَّمَ  
فَأَنْتَ ابْنُ أَيُّوبَ وَإِلَّا ابْنُ مَرْيَمَا  
ثَنَّتْ عَزَمَهُ لِلْإِعْتِرَافِ فَسَلَّمَ  
وَسَيُفْكَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَنْهَلُ فِي الدِّمَا  
وَلَثُمُ ثَرَى نَعْلَيْكَ يُزَوِي مِنَ الظَّمَا  
كِلَا طَرْفَيْهِ فِي السِّيَادَةِ مَعْلَمًا  
يَثُوبُ وَإِمَّا لِلْجَوَادِ مُطَهَّمًا  
رَأَيْنَا مِنَ التَّحْقِيقِ أَنْ نَتَخَتَّمَا  
فَأَنْجَدَ مَدْحُ النَّاسِ فِيهِ وَأَتَهَمَا  
يَدَا كَلِمِي فَاسْتَلَزِمْتُ مِنْكَ مَلْزَمًا  
وَفِيكَ وَأَزَوِي مُسْنَدَ الْفَضْلِ عَنْكُمَا  
فَأَسْجَعُ فِي أَوْصَافِهِ مُتَرَنَّمًا  
بِمُلْكِكَ لَا أُعْطِي عَلَيْهَا مُنْجَمًا  
فَحَظُّ الْوَرَى فِي أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلَّمَ  
أَسَرَّ الْوَرَى مَسْرَى وَأَيَّمَنَ مَقْدِمًا  
إِلَى أَنْ مَلَأَتْ أَلْعَيْنَ وَالْكَفَّ وَالْفَمَا



**في قوله :** ( فقدنا لأعناقٍ ... ) البيت . . تلميحٌ بمالكٍ ومُتممِ ابني نويرة  
السابقِ ذكرُهُما <sup>(١)</sup> ، **وقوله :** ( ولا بنيانُ قومٍ تَهْدَمَا ) أي : كما قال الأولُ ومنه  
ضَمِنَ <sup>(٢)</sup> :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ      وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا  
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ وَاحِدٍ      وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا



(١) تقدم ( ٢٤٦/٣ - ٢٤٧ ) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » ( ١٨٣/١ - ١٨٤ ) ، وذكر بين البيتين بيتاً ثالثاً .

## [ قصيدة للحلي في مدح الناصر بن قلاوون ]

**وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِ الصَّفِيِّ** - وديوانه كبيرٌ ، قَسَمَهُ اثْنِي عَشَرَ بَاباً فِي  
أَجْنَاسِ الْمَعَانِي ، وَكُلُّهُ مَفِيدٌ ، وَمِيلُهُ لِّلْمَعْنَى أَكْثَرُ مِنْ مِيلِهِ لِّلْفِظِ ،  
عَلَى أَنَّهُ شَدِيدُ الْمَلَاظَةِ لِلْبَدِيعِ - قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا النَّاصِرَ  
مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ أَحَدَ مَلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَعَارِضَ بِهَا قَصِيدَةَ أَبِي الطَّيِّبِ  
الطَّيِّبِ ، وَقَدْ اقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ الدِّيَوَانِ ذَلِكَ ، وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمَعَارِضَةُ <sup>(١)</sup> :

بِأَبِي الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبَا      اللَّابِسَاتِ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبَا  
وَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفِيُّ صَدَرَ الْمَطْلَعِ دَلَالَةً عَلَى الْمَعَارِضَةِ ، **وهذه قصيدة**  
**الصَّفِيِّ** <sup>(٢)</sup> :

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ النُّهُودِ ذَوَائِبَا	فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبَا
وَجَلَوْنَ فِي صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً	غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبَا
بِضْ دَعَاهُنَّ الْغَيْبُ كَوَاعِبَا	وَلَوْ أَسْتَبَانَ الرُّشْدُ قَالَ كَوَاكِبَا
وَرَبَائِبُ فَإِذَا رَأَيْتَ نِفَارَهَا	مِنْ بَسْطِ أَنْسِكَ خِلْتَهُنَّ رَبَّارِبَا
سَقَّهْنَ رَأْيَ الْمَانَوِيَّةِ عِنْدَمَا	أَسْبَلْنَ مِنْ ظُلَمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبَا
وَسَفَرْنَ لِي فَرَأَيْتُ شَخْصاً حَاضِراً	شَدَّهَتْ بَصِيرَتُهُ وَقَلْباً غَائِبَا
أَشْرَقْنَ فِي حُلِّ كَأَنَّ أَدِيمَهَا	شَفَقَ تَدَرَّعَهُ الشُّمُوسُ جَلَابِبَا

(١) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٨٠ ) .

(٢) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » ( ص ٥٩ - ٦٢ ) .

وَعَرَبْنَ فِي كِلِّ لِفَقْلُ لِصَاحِبِي  
وَمُعَرَّبِدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنِي عِطْفُهُ  
حُلُوُ التَّعْتَبِ وَالْدَّلَالِ يَرُوقُهُ  
عَاتِبْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ  
فَأَذَابَنِي الْخَدُّ الْكَلِيمُ وَطَرَفُهُ  
ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ لِحُسْنِهِ  
لَا بَدْعَ إِنْ وَهَبَ النَّوَاطِرَ حُظُوءَ  
فَمَوَاهِبِ السُّلْطَانِ قَدْ كَسَتْ الْوَرَى  
النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ  
مَلِكٌ يَرَى تَعَبَ الْمَكَارِمِ رَاحَةً  
بِمَكَارِمٍ تَذَرُ السَّبَاسِبَ أَبْحُرَا  
لَمْ تَخُلْ أَرْضٌ مِنْ ثَنَاهُ وَلَوْ خَلَتْ  
تُرْجَى مَوَاهِبُهُ وَيُرْهَبُ بَطْشُهُ  
فَإِذَا سَطَا مَلَأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً  
كَالْغَيْثِ يَبْعَثُ مِنْ عَطَاهُ وَابِلًا  
كَالْلَيْثِ يَحْمِي غَابَهُ بِزَيْئِهِ  
كَالسَّيْفِ يُبْدِي لِلنَّوَاطِرِ مَنْظَرًا  
كَالسَّيْلِ يُحْمَدُ مِنْهُ عَذْبٌ وَاصِلٌ  
كَالْبَحْرِ يُهْدِي لِلنَّفُوسِ نَفَائِسًا

بِأَبِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا  
فِيخَالُ مِنْ مَرَحِ الشَّيْبَةِ شَارِبَا  
عَتَبِي وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا  
وَأَزُورُ الْحَظَاً وَقَطَّبَ حَاجِبَا  
ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُغَاضِبَا  
نَهْبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعُيُونَ مَوَاهِبَا  
مِنْ نُورِهِ وَدَعَاهُ قَلْبِي نَاهِبَا  
نِعْمًا وَتَدْعُوهُ الْقَسَاوِرُ سَالِبَا  
صِيدُ الْمُلُوكِ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَا  
وَيَعْدُ رَاحَاتِ الْفَرَاحِ مَتَاعِبَا  
وَعَزَائِمِ تَدْعُ الْبِحَارَ سَبَاسِبَا  
مِنْ ذِكْرِهِ مُلِئْتُ قَنَاءً وَقَوَاضِبَا  
مِثْلُ الزَّمَانِ مُسَالِمًا وَمُحَارِبَا  
وَإِذَا سَخَا مَلَأَ الْأَكْفَ مَوَاهِبَا  
سَبْطًا وَيُرْسِلُ مِنْ سَطَاهُ حَاصِبَا  
طُورًا وَيُنْشِبُ فِي الْقَنِيصِ مَخَالِبَا  
طَلْقًا وَيَمْضِي فِي الْهِيَاجِ مَضَارِبَا  
وَيَعْدُهُ قَوْمٌ عَذَابًا وَاصِبَا  
مِنْهُ وَيُبْدِي لِلْعُيُونِ عَجَائِبَا

فَإِذَا نَظَرْتَ نَدَى يَدَيْهِ وَرَأَيْهِ  
أَبْقَى قَلَاوُونَ الْفَخَارَ لَوْلَدِهِ  
قَوْمٌ إِذَا سَمُّوا الصَّوَّافِينَ صَيَّرُوا  
عَشَقُوا الْحُرُوبَ [ تَيْمَنًا ] بِلِقَا الْعِدَا  
وَكَأَنَّمَا ظَنُّوا السُّيُوفَ سَوَالِفًا  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ وَمَنْ لَهُ  
أَصْلَحَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِهِمَّةٌ  
وَوَهَبَتْهُمْ زَمَنَ الْأَمَانِ فَمَنْ رَأَى  
قَرُوءًا خِطَابًا كَانَ خُطْبًا فَادِحًا  
وَحَرَسَتْ مُلْكَكَ مِنْ رَجِيمٍ مَارِدٍ  
حَتَّى إِذَا خُطِفَ الْمُكَافِحُ خُطْفَةً  
لَا يَنْفَعُ التَّجْرِبُ خَضَمَكَ بَعْدَمَا  
صَرَّمْتَ شَمْلَ الْمَارِقِينَ بِمَارِقٍ  
صَافِي الْفِرْنِدِ حَكَى صَبَاحًا جَامِدًا  
وَكَتِيبَةً تَذُرُ الصَّهِيلَ رَوَاعِدًا  
حَتَّى إِذَا رِيحُ الْجِلَادِ حَدَثَ لَهَا  
بِذَوَابِلٍ مُلْسٍ يُخْلِنُ أَرَاقِمًا  
تَطَأُ الصُّدُورَ مِنَ الصُّدُورِ كَأَنَّمَا  
فَأَقَمْتَ تَقْسِمُ لِلْوُحُوشِ وَظَائِفًا

لَمْ تَلَقْ إِلَّا صَيْبًا أَوْ صَائِبًا  
إِزْثًا وَفَازُوا بِالثَّنَاءِ مَكَّاسِبًا  
لِلْمَجْدِ أَخْطَارَ الْأُمُورِ مَرَائِبًا  
فَكَأَنَّهُمْ حَسِبُوا الْعُدَّةَ حَبَائِبًا  
وَاللَّدُنْ قَدًّا وَالْقِسِيَّ حَوَاجِبًا  
شَرَفٌ يَجُرُّ عَلَى النُّجُومِ ذَوَائِبًا  
تَذُرُ الْأَجَانِبَ بِالْوِدَادِ أَقَارِبًا  
مَلِكًا يَكُونُ لَهُ الزَّمَانُ مَوَاهِبًا  
لَهُمْ وَكُتُبًا كُنَّ قَبْلُ كَتَائِبًا  
بِصَوَارِمٍ إِنْ صُلَّتْ كُنَّ كَوَاكِبًا  
أَتْبَعَتْهُ مِنْهَا شِهَابًا ثَاقِبًا  
أَفْنَيْتَ مَنْ أَفْنَى الزَّمَانَ تَجَارِبًا  
تُبْدِيهِ مَسْلُوبًا فَيَرْجِعُ سَالِبًا  
أَبْدَى النَّجِيعَ بِهِ شُعَاعًا ذَائِبًا  
وَالْبَيْضَ بَرْقًا وَالْعَجَاجَ سَحَائِبًا  
مَطَرَتْ فَكَانَ الْوَبْلُ نَبْلًا صَائِبًا  
وَشَوَازِبٍ جُرْدٍ يُخْلِنُ عَقَارِبًا  
تَعْتَاضُ مِنْ وَطْءِ الثَّرَابِ تَرَائِبًا  
فِيهَا وَتَصْنَعُ لِلنُّسُورِ مَادِبًا

وَجَعَلْتَ هَامَاتِ الْكُفَمَاةِ مَنَابِرًا  
يَا رَاكِبَ الْخَطَرِ الْجَلِيلِ وَقَوْلُهُ  
صَيَّرْتَ أَسْحَارَ السَّمَاحِ بَوَاكِرًا  
وَبَذَلْتَ لِلْمُدَّاحِ صَفْوَ خَلَائِقِ  
فَرَأَوْكَ فِي جَنْبِ النُّضَارِ مُفَرِّطًا  
إِنْ يَحْرُسِ النَّاسُ النُّضَارَ بِحَاجِبِ  
لَمْ يَمْلُؤُوا فِيكَ الْبُيُوتَ غَرَائِبًا  
أَوْلَيْتَنِي قَبْلَ الْمَدِيحِ عِنَايَةً  
وَرَفَعْتَ قَدْرِي فِي الْأَنَامِ وَقَدْ رَأَوْا  
فِي مَجْلِسِ سَاوَى الْخَلَائِقِ فِي النَّدَى  
وَافَيْتُهُ فِي الْفُلْكِ أَسْعَى جَالِسًا  
فَأَقَمْتُ أَنْفِذَ فِي الزَّمَانِ أَوَامِرًا  
وَسَقَتَنِي الدُّنْيَا غَدَاةَ وَرَدَّتْهُ

أي : كما مَطَرَتِ المعارضَ حيثُ يقولُ : ( أَظْمَتْنِي الدُّنْيَا ) ، وكانَ ذَلِكَ  
بسببِ تَعْرِفُهُ إِذَا قَرَأَتْ شَرْحَ قَصِيدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ .

فَطَفِئْتُ أَمْلًا مِنْ ثَنَّاكَ وَنَشْرِهِ  
أُنِّي فَتُثْنِيَنِي صِفَاتُكَ مُظْهِرًا  
لَوْ أَنَّ أَعْضَائِي جَمِيعًا أَلْسُنُ  
حُقْبًا وَأَمْلًا مِنْ نَدَاكَ حَقَائِبًا  
عِيًّا وَكَمْ أَعْيَتْ صِفَاتُكَ خَاطِبًا  
تُثْنِي عَلَيَّ لَمَّا قَضَيْتُ الْوَاجِبَا



وله في باب الآداب والحكم حسان مقاطيع **يَحْسُنُ بِالطَّالِبِ حَفْظَهَا .**

**منها قوله<sup>(١)</sup> :**

[ من المنسرح ]

صَاحِبٌ إِذَا مَا صَحِبْتَ ذَا أَدَبٍ      مُهَذَّبًا زَانَ خَلَقَهُ الْخُلُقُ

وَلَا تُصَاحِبْ مَنْ فِي طَبَائِعِهِ      شَرٌّ فَإِنَّ الطَّبَاعَ تُسْتَرَقُّ

أي : كما يقول الناس : الطَّبْعُ لَصٌّ ، وفي الشعر القديم<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ      فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وفي الحديث الشريف : « كُلُّ أَمْرٍ يُحْشَرُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »<sup>(٣)</sup> .

**ومنها قوله<sup>(٤)</sup> :**

[ من الخفيف ]

أَقْلِلِ الْمَرْحَ فِي الْكَلَامِ اخْتِرَازًا      فَبِإِفْرَاطِهِ أَلْدِمَاءُ تُرَاقُ

قَلَّةُ السُّمِّ لَا تَضُرُّ وَقَدْ يَفُ      تُلُّ مِنْ فَرْطٍ أَكْلِهِ الدَّرِيَاقُ

**الدَّرِيَاقُ :** مُرْكَبٌ يُعْطَى مَنْ أَصَابَهُ سُمٌّ لِيَبْرَأَ ، وقد قيل : قليل الضَّارِّ خَيْرٌ

مِنْ كَثِيرِ النَّافِعِ ، **والإفراطُ** - كما عرفت - في أكثر الأشياءِ ذَمِيمٌ .

**وقوله<sup>(٥)</sup> :**

[ من البسيط ]

عَوِذْ لِسَانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَنْجُ بِهِ      مِنْ زَلَّةِ اللَّفْظِ بَلْ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ

إِحْرِسْ كَلَامَكَ مِنْ خِلِّ تَنَادُمِهِ      إِنَّ النَّدِيمَ لَمُشْتَقٌّ مِنَ النَّدَمِ

(١) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » ( ص ٤٤٣ - ٤٤٤ ) .

(٢) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » ( ص ١٠٦ ) .

(٣) أخرجه أبو داود ( ٤٨٠٠ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » ( ص ٤٤٤ ) .

(٥) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » ( ص ٤٤٥ ) .

وقوله<sup>(١)</sup> :

[ من الكامل ]

إِسْمَعْ مُحَاطَبَةَ الْجَلِيسِ وَلَا تَكُنْ  
لَمْ تُعْطَ مِنْ أُذُنِيكَ نُطْقًا وَاحِدًا  
عَجَلًا بِنُطْقِكَ قَبْلَ مَا تَتَفَهَّمُ  
إِلَّا لِتَسْمَعَ ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ

وقوله<sup>(٢)</sup> :

[ من البسيط ]

إِنَّ الْغِنَى لَشِهَابٌ كُلَّمَا أَعْتَكَّرَتْ  
لَا تَنْفَعُ الْخُمْسَةَ الْأَسْمَاءُ مُحَدِّقَةً  
دُجَى الْخُطُوبِ جَلَا مِنْهَا حَنَادِيسُهَا  
لَدَيْكَ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ سَادِيسُهَا  
أي : الغنى ، فلا ينفَعُكَ أبُّ شَرِيفٍ ، وأُخٌّ عَظِيمٍ ، وأَحْمَاءٌ كَرَامٌ ، وَمَنْطِقٌ  
كما يكونُ ، وكلُّ ما يَتَعَلَّقُ بِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ . . إِلَّا إِذَا كَانَ الْغِنَى لَهَا قَرِينًا ،  
رَزَقَنَا اللَّهُ الْغِنَى ، وجعلنا مِنَ الشَّاكِرِينَ .

وقوله<sup>(٣)</sup> :

[ من المتقارب ]

تَأْمَلْ إِذَا مَا كَتَبْتَ الْكِتَابَ  
وَهَذَّبَ عِبَارَةَ طَرُوزِ الْكَلَا  
سُطُورَكَ مِنْ بَعْدِ إِحْكَامِهَا  
مِ وَأُسْتَوْفِ سَائِرَ أَقْسَامِهَا  
لِ تَحْتَ أَسِنَّةِ أَفْلَامِهَا  
فَقَدْ قِيلَ إِنَّ عُقُولَ الرِّجَا



(١) انظر « ديوان صفى الدين الحلبي » ( ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ) .

(٢) انظر « ديوان صفى الدين الحلبي » ( ص ٤٤٩ ) .

(٣) انظر « ديوان صفى الدين الحلبي » ( ص ٤٤٩ ) .

## الجهة الثانية

### [ في عشرة أصولٍ يعتمدُها الكاتبُ في المكاتبات ]

في أمورٍ كليّةٍ يتعيّنُ على مريدِ الصّناعة : التّمكّنُ مِنْ معرفتها واعتبارها ؛  
ليأتي بها على وجهها .

وأوردَها أبو العباسِ أحمدُ القلقشنديّ في كتابه « صبح الأعشى » ،  
وسمّاها : أصولاً يعتمدُها الكاتبُ في المكاتبات ؛ وهي عشرةٌ :

### [ حسنُ الافتتاح ]

**الأصلُ الأوّلُ<sup>(١)</sup> :** حسنُ الافتتاحِ المطلوبُ في سائرِ أنواعِ الكلامِ مِنْ نشرٍ  
ونظمٍ ، ممّا يُوجبُ التحسينَ ؛ ليكونَ داعيةً لاستماعِ ما بعده ، **ويرجعُ حسنُ**  
**الافتتاحِ في المكاتبةِ إلى معنيين :**

**المعنى الأوّلُ :** أن يكونَ الحسنُ فيه راجعاً إلى المبتدأ به :

إمّا الافتتاحُ بالحمدِ لله كما في بعضِ المُكاتباتِ ؛ لأنَّ النفوسَ تتشوّقُ  
إلى الشّاءِ على الله تعالى ، أو بالسلامِ الذي جعلَهُ الشّارعُ مُفتتحَ الخطابِ ،  
أو نحو ذلك .

وإمّا بالافتتاحِ بما فيه تعظيمِ المكتوبِ إليه ، مِنْ تقبيلِ الأرضِ أو اليدِ ، أو  
الدعاءِ لَهُ ، أو غيرِ ذلك ؛ فإنَّ أمرَ المكاتباتِ مبنيٌّ على التملُّقِ ، واستجلابِ  
الخواطرِ ، وتآلفِ القلوبِ . . . إلى غيرِ ذلك ممّا يجري هذا المجرى على ما  
يقتضيه اصطلاحُ كلّ زمنٍ في الابتداءاتِ .



(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٧٤/٦ ) .

**المعنى الثاني :** أن يكون الحسنُ فيه راجعاً إلى ما يُوجبُ التحسينَ ؛ من سهولة اللفظِ ، وصحّة السبكِ ، ووضوح المعنى ، وتجنُّب الحشو ، وغير ذلك ؛ كما كتب الأستاذُ أبو الفضلِ بنُ العميدِ عن ركنِ الدولة بنِ بويه إلى مَنْ عصى عليه ، مُفتِحاً كتابَهُ بقوله <sup>(١)</sup> : ( كتابي إليك وأنا مُتردّدٌ بينَ طمعِ فيكَ ، ويأسِ منك ، وإقبالِ عليك ، وإعراضِ عنكَ ؛ فإنَّكَ تُدِلُّ بسابقِ خدمةٍ أيسرها يُوجبُ رعايةً ، ويقتضي محافظةً وعنايةً ، ثمَّ تشفعُها بحادثِ غلولٍ وخيانةٍ ، وتتبعُها بخلافٍ ومعصيةٍ ، أدنى ذلك يُحبِطُ أعمالُكَ ، ويُسقِطُ كلَّ ما يُرعى لك ) .

وكما كتب أبو [ حفص ] بنُ بردٍ الأندلسيُّ عن ملكِهِ إلى مَنْ عصى ثمَّ عادَ إلى الطّاعة <sup>(٢)</sup> : ( **أمّا بعدُ** : فإنَّ الغلبةَ لنا والظُّهورَ عليك جلباك إلينا على قدمِكَ دونَ عهدٍ ولا عقدٍ يمنعانِ مِنْ إراقةِ دمِكَ ، ولكنّا لمّا وهبَ اللهُ لنا مِنَ الإشرافِ على سرائِرِ الرّئاسةِ والحفظِ لشرائعِ السياسةِ .. تأملنا مَنْ ساسَ جهتَكَ قبلنا ، فوجدنا يدَ سياستِهِ خرقاءَ ، وعينَ حزامتِهِ عوراءَ ، وقَدَمَ مداراتِهِ شلّاءَ ؛ لأنَّهُ مالَ عن ترغيبِكَ فلم ترجُّهُ ، وعن ترهيبِكَ فلم تخشَهُ ، فأدَّتكَ جانحتُكَ إلى طلابِ المطاعِمِ الدنيّةِ ، وقَلَّه مهابتُكَ إلى التّهالكِ على المعاصي الوبيّةِ ) .



(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٧٥/٦ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٧٥/٦ ) .

## [ بَرَاةُ الاستِهْلَالِ ]

**الأصلُ الثاني :** بَرَاةُ الاستِهْلَالِ المطلوبةُ في كُلِّ فَنٍّ مِنْ فَنُونِ الكلامِ ؛  
بأن يَأْتِيَ في صدرِ المُكَاتِبَةِ بما يَدُلُّ على عَجْزِها ؛ فإن كَانَ الكتابُ بفتحٍ . .  
أتى في أوَّلِهِ بما يَدُلُّ على التَهْنِئَةِ ، أو بتعزيةٍ . . أتى في أوَّلِهِ بما يَدُلُّ على  
التعزية ، أو في غيرِ ذَلِكَ مِنَ المعاني . . أتى في أوَّلِهِ بما يَدُلُّ عليه ؛ لِيُعْلَمَ  
مِنْ مَبْدَأِ الكلامِ ما المرادُ .

**كما يُحكى :** أَنَّ عمروَ بنَ مسعدةَ كاتبَ المأمونِ أَمَرَ كاتبَهُ أن يكتبَ إلى  
الخليفةِ كتاباً يُعَرِّفُهُ فيه أَنَّ بقرَةً وَلَدَتْ عِجْلاً وَجْهُهُ وَجْهُ إنسانٍ ، فكتبَ <sup>(١)</sup> :  
( **أَمَّا بَعْدُ :** حمداً لله خالقِ الأنامِ في بطونِ الأنعامِ ) .

وَفُضِّلَ الكُتَّابُ وَأَتَمَّتْهُمْ يَعْتَنُونَ بِذَلِكَ كُلَّ الاعتناءِ ، ويرونَ تركَهُ إخلالاً  
بالصَّنْعَةِ ، ونقصاً في الكتابةِ ، حتَّى إِنَّ الوزيرَ ضياءَ الدِّينِ بنَ الأثيرِ في  
« المثلِ السائرِ » قد عابَ أبا إسحاقَ الصَّابِيَّ - على جلالَةِ قدرِهِ في الكتابةِ ،  
واعترافِهِ لَهُ بالتقدُّمِ في الصَّنَاعَةِ - بكتابٍ كتَبَهُ بفتحِ بغدادَ وهزيمةَ التركِ ،  
فقالَ في أوَّلِهِ <sup>(٢)</sup> : ( الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، الملكِ الحقِّ المبينِ ، الوحيدِ  
الفريدِ ، العليِّ المجيدِ ، الذي لا يُوصَفُ إِلَّا بِسَلْبِ الصِّفَاتِ ، ولا يُنْعَتُ  
إِلَّا بِرَفْعِ النعوتِ ، الأزليِّ بلا ابتداءٍ ، الأبدِيِّ بلا انتهاءٍ ، القديمِ لا إلى أمدٍ  
محدودٍ ، الدائمِ لا إلى أجلٍ معدودٍ ، الفاعِلِ لا مِنْ مادَّةٍ امتدَّها ، الصَّانِعِ لا  
بآلَةٍ استعملَها ، الذي لا تُدرِكُهُ الأعينُ بِالْحَاضِظِها ، ولا تَحُدُّهُ الألسُنُ بِالْفَاضِظِها ،  
ولا تُخْلِقُهُ العصورُ بِمُروَرِها ، ولا تَهْدِمُهُ الدُّهورُ بِكُروَرِها ، ولا تجاريهِ أقدامُ

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٧٦/٦ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٧٦/٦ ) .



النظراء والأشكال ، ولا تزاحمهُ مناكِبُ القرناءِ والأمثالِ ، بل هو الصَّمَدُ الذي لا كفؤَ له ، والفردُ الذي لا [توعمَ] معهُ ، والحيُّ الذي لا تخترمهُ المنونُ ، والقيومُ الذي لا تشغلهُ الشؤونُ ، والقديرُ الذي لا تؤودهُ المضِلاتُ ، والخبيرُ الذي لا تعييه المشكلاتُ ) .

فقال<sup>(١)</sup> : ( إنَّ هذهَ التَّحميدةَ لا تناسبُ الكتابَ الذي افتتحهُ بها ، وإنَّما تصلحُ أن تُوضَعَ في صدرِ مُصنَّفٍ مِنْ [مُصنِّفاتِ] أصولِ الدِّينِ ؛ ككتابِ « الشاملِ » للجوينيِّ ، وكتابِ « الاقتصادِ » للغزاليِّ ، وما جرى مجراهُما ، فأما أن تُوضَعَ في أوَّلِ كتابٍ فتح . . فلا ) .

ثمَّ مِنَ المُكاتباتِ ما يَعسُرُ معهُ الإتيانُ ببراعةِ الاستهلالِ ، فيأتي بها فيما يلي ذلكَ مِنَ الكلامِ في مُقدِّمةِ المكاتبَةِ ، قبلَ الخوضِ في المقصودِ ، ولا يهملُها جملةً ، على أنَّ الشيخَ شهابَ الدِّينِ محموداً الحلبيَّ رحمَهُ اللهُ قد ذكَرَ في كتابِهِ « حسنِ التَّوسُّلِ » : أَنَّهُ إنَّ عَسَرَ عَلَيْهِ براعةُ الاستهلالِ . . أتى بما يُقارِبُ المعنى .

**وبكلِّ حالٍ :** فإذا أتى ببراعةِ استهلالٍ في أوَّلِ مكاتبَةٍ . . استصحَبَها إلى الفراغِ مِنَ الخُطبةِ إنَّ كانَ الكتابُ مُفتتحاً بخُطبةٍ ، وإلَّا . . استصحَبَها إلى الفراغِ مِنَ مُقدِّمةِ الكتابِ الآتي بيانُها .



(١) القائل هو ابن الأثير .

## [ المقدمة المشتملة على المقاصد الجلية للموضوع ]

**الأصل الثالث :** المُقدِّمة التي يلزم أن يأتي بها في صدر الكتب المشتملة على المقاصد الجلية ؛ تأسيساً لما يأتي به في [ مكاتبته ] ، مثل أن يأتي في صدر كتب الحث على الجهاد ؛ بذكر افتراضه على الأمة ، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، وإعزاز المؤجدين ، وقمع الملحدين ، وفي صدور كتب الفتح ؛ بإنجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر ، وإظهار دينه على الدين كله ، وفي صدور كتب جباية الخراج ؛ يُصدّر بحاجة قيام الملك إلى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور ، وتحصين الأعمال ، وتقوية الرجال ، ونحو ذلك ممّا يجري على هذا النمط ؛ فقد قيل : إنّه لا يحسن بالكاتب أن يخلي كلامه وإن كان وجيزاً من مُقدِّمة يفتتحه بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ؛ ليوفي التأليف حقّه .

قال في « موادّ البيان » <sup>(١)</sup> : وعلى هذا السبيل جرّت سنّة الكتاب في جميع الكتب من أي نوع من المعاني ؛ كالفتوح ، والتهاني ، والتعازي ، والتهادي ، والاستخبار ، والاستبطاء ، والإحماد ، والإذمار ، وغيرها ؛ ليكون ذلك بساطاً لما يريد القول فيه ، وحجّة يستظهر بها السلطان ؛ لأنّ كلّ كلام لا بدّ له من فرش يُفرش قبله ؛ ليكون منه بمنزلة الأساس من البنيان ، قال : ويرجع في هذه المُقدِّمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقّه كلّ نوع من أنواع الكلام من المُقدِّمات التي تشاكلها .

ثمّ قال : **والطريق في إصابة المرمى في هذه المُقدِّمات :** أن تُجعل

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩ ) .

مشملةً على ما بعدها مِنَ المقاصدِ والأغراضِ ، وأن يُوضَعَ للأمرِ الخاصِّ مُقدِّمةً خاصَّةً ، وللأمرِ العامِّ مُقدِّمةً عامَّةً ، ولا يُطوَّلُ في موضعِ الاقتصارِ ، ولا يُقصرَ في موضعِ الإيجازِ ، ولا يجعلَ أغراضها بعيدة المآخذِ ، مُعتاصَّةً على المُتصَفِّحِ ؛ وذلكَ أَنَّ الكاتبَ ربَّما قصدَ إظهارَ القدرةِ على الكلامِ ، والتصرُّفِ في وجوهِ النطقِ ، فخرجَ إلى الإملالِ والإضجارِ الذي تتبرَّمُ منه النفوسُ وذوُّو الأخطارِ الجليَّةِ .

أمَّا الكتبُ التي لا تشتملُ على المقاصدِ الجليَّةِ ؛ كرقاعِ التحفِ والهدايا ونحوها . . فقد ذكرَ في « موادِّ البيانِ » : أَنَّهُ لا تُجَعَلُ لها مُقدِّمةٌ ؛ فإنَّ ذلكَ غيرُ جائزٍ ولا واقعٍ موقعُهُ ، ألا ترى أَنَّهُم استحسنوا قولَ بعضِهِم في صدرِ رقعةٍ مقترنةٍ بتحفةٍ في يومِ مَهرجَانٍ : ( هَذَا يَوْمٌ جَرَتْ فِيهِ الْعَادَةُ بِأَنْ تُهْدِيَ الْعَبِيدُ فِيهِ إِلَى السَّادَةِ ) ، واستظرفوا الكاتبَ ؛ لإيجازِهِ ، وتقريبِ المآخذِ .



## [ معرفة مراتب الألفاظ ومواقعها ]

**الأصل الرابع :** مواقع الألفاظ الدائرة في الكتب والوادي واحد ، فيلزم أن يميز موقع كل ليضعه مكانه ، قال في « ذخيرة الكتاب » <sup>(١)</sup> : يجب على الكاتب الرئيس أن يعرف مرتبة الألفاظ ومواقعها ؛ ليرتبها ويفرق بينها فرقا يقفه على الواجب ، وينتهي به إلى الصواب ، فيخاطب كلاً في مكاتبتة بما يستحقه من الخطاب ؛ فإنه قبيح به أن يكون خطابه أولاً خطاب الرئيس للمرؤوس ، ويتبع ذلك بخطاب المرؤوس للرئيس ، أو يبدأ بخطاب المرؤوس للرئيس ، ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرؤوس .

قال : ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الألفاظ والمناقضة . . نقصت المعاني ، وردلت الألفاظ ، وسقطت المقاصد ، وكان الكاتب قد أخل من الصناعة بمعظمها ، وترك من البلاغة غاية مُحكمها ، بل يجب إن بدأ بخطاب رئيس أو نظير أو مرؤوس . . أن يكون ما يتخلل مكاتبتة من الألفاظ على اتساق إلى آخرها ، وإطراد من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة .

**نعم ؛** يحسن ذلك في معاتبات الإخوان ، والمداعبات الجارية بين الخلان .

**وفي هذا الأصل :** يندرج الفرق بين نحو ( أصدرنا هذه المكاتبة ) أو ( أصدرناها ) ، وبين ( أصدرت ) وبين ( صدرت ) ، ف ( أصدرناها ) أعلى

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٨٠/٦ ) .

بالنسبة للمكتوب إليه ؛ للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس الذي صدرت المكاتبه عنه ؛ إذ الشيء يشرف بشرف متعلقه ، يلي ذلك في الرتبة ( أصدرت ) لاقتضاها إصداراً في الجملة ، والإصدار لا بد له من مصدر ، وذلك المصدر هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة ، وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا ، ودون ذلك في الرتبة ( صدرت ) لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المصدر أصلاً .

والفرق بين ( ونُبدي لعلمه ) وبين ( نوضح لعلمه ) ، ف ( نبدي لعلمه ) أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ؛ لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيء خفي ، والإيضاح يرجع إلى بيان مشكل ، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دلّ على بُعد فهم مخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفي ؛ فإنه لا ينتهي إلى هذا الحد .

والفرق بين ( علمه الكريم ) و ( علمه المبارك ) ، فالكريم أعلى من المبارك ؛ لأن في الكريم عراقة أصل وشرف قد توجد في المبارك وقد تتخلّف عنه .

والفرق بين ( ومرسومنا لفلان بكذا ) وبين ( والمرسوم له بكذا ) ، ف ( مرسومنا ) أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه ؛ لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم ، بخلاف ( والمرسوم له ) فإنه عار عن ذلك .

والفرق بين ( والمسؤول ) وبين ( والمستمد ) ، فإن ( المسؤول ) أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه ؛ فإن ( المسؤول ) يتضمّن نوع ذلّة ، بخلاف الاستمداد ؛ فإنه لا يستلزم ذلك .

والفرق بين ( بلغنا ) وبين ( أنهي إلى علمنا ) ، وبين ( اتصل بنا ) ،



ف ( اتصلَ بنا ) أعلى مِنْ ( أنْهِيَ إلى علمنا ) لِمَا في معنى الاتصالِ مِنْ التلاصقِ ، بخلافِ الإنهاءِ ، و ( أنْهِيَ إلى علمنا ) أعلى مِنْ ( بلغنا ) لأنَّ البلوغَ قد يكونُ على لسانِ الآحادِ .

والفرقُ بينَ ( أنْهِيَ فلانٌ كذا ) وبينَ ( عَرَفْنَا كذا ) ، ف ( عَرَفْنَا ) أعلى بالنسبةِ إلى رافعِ الخبرِ ؛ لأنَّ في التعريفِ مزيةَ قُرْبٍ مِنَ الرئيسِ ، بخلافِ الإنهاءِ ؛ فَإِنَّهُ لا يقتضي ذلكَ .

والفرقُ بينَ ( وَرَدَّتْ مكاتِبُهُ ) وبينَ ( وَرَدَّتْ علينا مكاتِبُهُ ) ف ( وَرَدَّتْ علينا ) أعلى بالنسبةِ إلى صاحبِ المكاتبِ الواردةِ ؛ لتخصيصِها بالورودِ على الرئيسِ ، بخلافِ الوردِ المطلقِ .

والفرقُ بينَ ( عُرِضَ علينا مكاتِبُكَ ) وبينَ ( وَقَفْنَا على مكاتِبِكَ ) ، ف ( وَقَفْنَا ) أعلى بالنسبةِ إلى صاحبِ المكاتبِ ؛ لأنَّ الوقوفَ عليها يكونُ بنفسِهِ ، والعرضُ يكونُ مِنْ غيرِهِ .

والفرقُ بينَ ( وشكرتُ اللهَ تعالى على سلامتِهِ ) وبينَ ( وتوالى شكري لله تعالى ) ، ف ( توالى شكري ) أعلى بالنسبةِ إلى المكتوبِ إليه ؛ لِمَا فيه مِنْ معنى التَّكرارِ ومزيدِ الشكرِ المعروفِ بالاحتفالِ .

والفرقُ بينَ ( ورغبتُ إلى الله تعالى ) وبينَ ( وضرعتُ إلى الله تعالى ) ، ف ( ضرعتُ ) أعلى مِنْ ( رغبتُ ) لِمَا في الضَّرَاعَةِ مِنْ مزيدِ الابتهاهِ في الطَّلِبِ ، بخلافِ الرغبةِ ؛ فَإِنَّهَا لا تبلغُ هذا المبلغَ .

والفرقُ بينَ ( وقابلتُ أمرَهُ بالطَّاعةِ ) وبينَ ( وامتلثتُ أمرَهُ بالطَّاعةِ ) ، ف ( اامتثلتُ أمرَهُ ) أعلى مِنْ ( قابلتُ أمرَهُ ) لِمَا في الامتثالِ مِنْ معنى الإذعانِ والانقيادِ ، بخلافِ المقابلةِ .

والفرقُ بينَ ( **وَشَفَعْتُ لَهُ** ) وبينَ ( **وَسَأَلْتُ فِيهِ** ) فالسؤالُ أعلى في حقِّ المسؤولِ مِنَ الشفاعةِ ؛ لِمَا في الشفاعةِ مِنْ رفعةِ المَقَامِ المؤدِّي إلى قبولِ الشفاعةِ .

والفرقُ بينَ ( **وَخَاطَبْتُ فَلاناً في أمرِهِ** ) وبينَ ( **وَتَحَدَّثْتُ في أمرِهِ** ) ، ف ( **تَحَدَّثْتُ** ) أشدُّ في تواضعِ المُتَكَلِّمِ مِنْ ( **خَاطَبْتُ** ) لأنَّ الخطابَ مِنَ الألفاظِ الخاصَّةِ التي لا يتعاطاها كلُّ أحدٍ ، بخلافِ التحدُّثِ .

والفرقُ بينَ ( **تَشْرِيفِي بكذا** ) وبينَ ( **إِسْعَافِي بكذا** ) ، ف ( **الإسْعَافُ** ) أعلى رتبةً مِنَ ( **التشريفِ** ) لِمَا فيه مِنْ دعوى الحاجةِ والفاقةِ إلى المطلوبِ ، بخلافِ التشريفِ ، و ( **إِتْحَافِي** ) دونَ ( **تَشْرِيفِي** ) لأنَّ الإتحافَ قد لا يقتضي تشريفاً .

والفرقُ بينَ قولِهِ ( **نَزَلَ عِنْدَهُ** ) وبينَ قولِهِ ( **نَزَلَ بِسَاحَتِهِ** ) ، ف ( **الساحةُ** ) أعلى ؛ لِمَا فيها مِنْ معنى الفسحةِ والاتساعِ .

**قلتُ<sup>(١)</sup>** : وربَّما وجبَ اجتنابُ هذه الكلمةِ ؛ لملاحظة وقوعها في قولِهِ عزَّ ذكرُهُ ، ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، كما وردَ عن بعضِ الصَّحابةِ : أَنَّهُ سَمِعَ إِنْسَاناً يَقُولُ : انصرفوا بنا ، فقالَ : أَلَمْ تَسْمَعْ : ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فقلْ : انقلبوا بنا ؛ لتكونَ موافقاً قولَهُ تعالى : ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

والفرقُ بينَ ( **فِيحِيطُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ** ) وبينَ ( **فَيَعْلَمُ ذَلِكَ** ) ، ف ( **يَحِيطُ** )

(١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العلامة القلقشندي من « صبح الأعشى » .

(٢) سورة الصافات : ( ١٧٧ ) .

(٣) سورة التوبة : ( ١٢٧ ) .

(٤) سورة آل عمران : ( ١٧٤ ) .

علمُهُ ) أَعْلَى مِنْ ( يَعْلَمُ ذَلِكَ ) لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ : ( فِيحِيطُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ )  
نسبةً إلى سعة العلم ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْإِحَاطَةِ ، بِخِلَافِ ( فَيَعْلَمُ  
ذَلِكَ ) .



## [ معرفة مراتب الأدعية ومواقعها ]

**الأصل الخامس :** الأدعية التي جرت عادة السلف وتبعهم الخلف باستعمالها في المكاتبات ، والنظر فيها من ستة أوجه :

**الأول :** أن يعرف مراتب الدعاء ؛ ليوقعها في مواقعها ، ويوردها في مواردها ، ويأتي ذلك في عدة أدعية :

**منها :** الدعاء بإطالة البقاء ، والدعاء بإطالة العمر ، والدعاء بإطالة البقاء أرفع من الدعاء بإطالة العمر ؛ وذلك أن البقاء لا يدل على مدة تنقضي ؛ لأنه ضد الفناء ، والعمر يدل على مدة تنقضي ، ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ، ولا يوصف بالعمر ، قال في « مواد البيان »<sup>(١)</sup> : ومن هنا جعل الدعاء بإطالة البقاء أول مراتب الدعاء ، وخص بالخلفاء ، وجعل ما يليه لمن دونهم ، ويتلوه الدعاء بالمد في العمر ، فيكون دون الدعاء بالإطالة ؛ لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيه ؛ من حيث إن المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ، ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المد .

**ومنها :** الدعاء بدوام النعمة ، والدعاء بمضاعفتها ، والدعاء بالمضاعفة أعلى ؛ لأن الدوام غايته استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

**ومنها :** الدعاء بعز الأنصار ، وبعز النصر ، وبعز النصرة ، وقد اصطلاح كتاب الزمان على أن جعلوا أعلاها الدعاء بعز الأنصار ؛ لأن عز أنصاره عز له

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٦ / ٢٨٤ ) .

بالضَّرورة ، مع ما فيه مِنْ تعظيمِ القدرِ ورفعَةِ الشأنِ ؛ إذ الأنصارُ لا تكونُ إلَّا لملكٍ عظيمٍ أو أميرٍ كبيرٍ ، والدعاءُ بعزِّ النصرِ أعلى مِنْ الدعاءِ بعزِّ النُّصرة ؛ لِمَا في الأوَّلِ مِنْ معنى التذكيرِ ، وهو أرفعُ رتبةً مِنْ التأنيثِ ، على أَنَّهُ لو جُعِلَ الدعاءُ بعزِّ النصرِ أعلى مِنْ الدعاءِ بعزِّ الأنصارِ . . لكانَ لَهُ وجهٌ ؛ لِمَا في عزِّ النصرِ مِنَ الغناءِ عن عزِّ الأنصارِ .

**ومنها :** الدعاءُ بعزِّ الأحكامِ ، والدعاءُ بتأييدِ الأحكامِ ، فالدعاءُ بعزِّ الأحكامِ أعلى ؛ لأنَّ المرادَ بالتأييدِ التقوية ؛ فقد توجَدُ القُوَّةُ ولا عزَّ معها .

وينبغي للكاتبِ أن يحتَرزَ في تنزيلِ كلِّ أحدٍ مِنَ المكتوبِ إليهم منزلةً في الدعاءِ ، فلا ينقصُ أحداً عن حقِّه ، ولا يزيدهُ فوقَ حقِّه ، فقد قالَ في « موادِّ البيانِ » <sup>(١)</sup> : إنَّ الملوكَ تسمَحُ ببدَرَاتِ المالِ ، ولا تسمَحُ بالدعوةِ الواحدةِ .

**الثاني :** أن يَعْرِفَ ما يناسبُ كلَّ واحدٍ مِنْ أربابِ المناصبِ الجليلةِ مِنَ الدعاءِ ، فيخصُّه به ؛ فيأتي بالدعاءِ في **المكاتبةِ للملوكِ** بإطالةِ البقاءِ ، ودوامِ السُّلطانِ ، وخلودِ الملكِ ، وما أشبه ذلك .

ويأتي في **المكاتبةِ إلى الأمراءِ** بالدعاءِ بعزِّ الأنصارِ ، وعزِّ النصرِ ، ومضاعفةِ النعمةِ ومداومتِها ، وما شاكلَ ذلكَ ، على أن ابنَ شيثٍ قد ذكرَ في « معالمِ الكتابةِ » <sup>(٢)</sup> : أن الدعاءَ بعزِّ النصرِ ومضاعفةِ الاقتدارِ كانَ في الدولةِ الأيوبيةِ ممَّا يختصُّ بالسُّلطانِ دونَ غيره .

ويأتي في **المكاتباتِ للوزراءِ** مِنْ أربابِ الأقلامِ وَمَنْ في معناهم . . بالدعاءِ

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٨٥/٦ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٨٥/٦ ) .



بسبوغ النعماء ، وتخليد السعادة ، ودوام المجد ، وما يضاهي ذلك .

ويأتي في **المكاتبات للقضاة والحكام** بالدعاء بعزّ الأحكام ، وتأيد الأحكام ، وما يطابق ذلك .

ويأتي في **المكاتبة إلى التجار** بالدعاء بمزيد الإقبال ، وخلود السعادة ، وشبه ذلك .

ويأتي في **الإخوانيات ومكاتبة النظراء** من الدعاء بما يقتضيه الحال بينهم من الود والإدلال ؛ بحسب ما يراه الكاتب ، ويؤدّي إليه اجتهاده ، قال في « موادّ البيان » <sup>(١)</sup> : وقد كانوا يختارون في الدعاء للأدباء : أبقاك الله ، وأكرمك الله ، وفي الدعاء للابن والحُرمة : أبقاك الله ، وأمتع بك .

أمّا أهل الكفر . . فقد اصطلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما في معناه ، أمّا جواز أصل الدعاء لهم . . فلما روي أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم استسقى ، فسقاه يهوديٌّ ، فقال له : « جَمَلَك الله » ، فما رُئي الشيب في وجهه حتى مات <sup>(٢)</sup> ، فدلّ على جواز الدعاء للكافر بما لا ضرر فيه على المسلمين ، ما لم ينضمّ إليه قوّة ونحو ذلك ، بل ربّما كان في طول بقائه حملُ جزية أو غنيمة أو ثواب جهادٍ ونحو ذلك .



**والثالثُ** : أن يعرف ما يناسب كلّ حالة من حالات المُكاتبات ، فيأتي لكلّ حالة بما يناسبها من الدعاء ، قال في « موادّ البيان » <sup>(٣)</sup> : ينبغي أن تكون الأدعية دالّة على مقاصد الكتاب ؛ فإن كان في الهناء . . أتى بما يناسبه ،

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٨٦/٦ ) .

(٢) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ( ٢٨٩ ) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٨٧/٦ ) .

وكذلك الحال في كلِّ معنىٍ مِنَ المعاني التي يكتبُ فيها ؛ مِنَ التعزية ،  
 وشكرِ النعمة ... إلى غير ذلك ؛ فإنه متى خرجَ الدعاءُ عن المناسبةِ وباينَ  
 المقصودَ .. خرجَ عن جادةِ الصَّناعةِ ، وتوجَّهَ اللُّومُ على الكاتبِ ، لا سيَّما إذا  
 أتى بما يُضادُّ المرادَ ، كما حكى أبو هلالٍ العسكريُّ في « الصَّناعتَيْنِ » <sup>(١)</sup> :  
 أن بعضهم كتبَ إلى محبوبتهِ : عصمنا الله وإياك ممَّا يُكرهُ ، فكتبتُ إليه :  
 يا غليظَ الطَّبعِ ؛ إن استُجيبَ لك .. لم نلتقِ أبداً !!

### وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِي ذَلِكَ باختلافِ حالِ المكاتباتِ :

**فتارةً يكونُ باعتبارِ الشيءِ المكتوبِ بسببهِ ؛** كما يُكتبُ في معنى البشارةِ  
 بجلوسِ الملكِ على تختِ المُلكِ : لا زالَ أمرُهُ ، وأمتعهُ مِنَ البشائرِ بما  
 يتوضَّحُ على جبينِ الصَّباحِ بشرُهُ ، وما يترجَّحُ على ميزانِ الكواكبِ قدرُهُ ،  
 وما ينفسُحُ مِنْ أوقاتِ أَمْنٍ لا يختلفُ فيها زيدهُ وعمرهُ .

وكما يُكتبُ في البُشرى بفتح : ولا زالتِ آياتُ النصرِ تُتلى عليه مِنْ  
 صُحُفِ البشائرِ ، ونفائسِ الظَّفَرِ تُجلى على سِرِّهِ في أسعدِ طائرٍ ، وفواتحِ  
 الفتحِ تُزهى بهِ الأسرَّةُ وتزهو بنورهِ المنابرُ .

وكما يُكتبُ في التهنيةِ بعافيةٍ : ولا برحَ في بردِ الصَّحَّةِ رافلاً ، بعزمِهِ  
 وحزمِهِ كافلاً ، والإقبالُ لجنابهِ العاليِ بالهناءِ بعافيةٍ واصلاً .

**وتارةً يكونُ باعتبارِ حالِ المكتوبِ إليه التي هو بصددِها ؛** كما يُكتبُ لِمَنْ  
 خرجَ إلى الغزوِ : وحفَّهُ بلطفِهِ فلا يخيبُ ، وهَيَّأْ لَهُ النصرَ والفتحَ القريبَ ،  
 وجعلَ على يَدَيْهِ دمارَ الكُفَّارِ ، حتى لا يَبقى لَهُمُ بشدَّةِ بأسِهِ مِنَ السلامةِ  
 نصيبٌ .

(١) انظر « الصناعتين » ( ص ١٦٥ ) ، و « صبح الأعشى » ( ٢٨٧/٦ ) .

وكما يُكْتَبُ إِلَى مَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ : وَأَمْتَعَهُ بِصُيُودِهِ ، وَجَعَلَ الْأَقْدَارَ مِنْ جُنُودِهِ ، وَأَرَاهُ مِنْ مِصَارِعِ أَعْدَائِهِ لِسُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ مِصَارِعِ صَيْدِهِ بِبُزَاتِهِ وَفَهْودِهِ .

وكما يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَفَرٍ : وَقَضَى بِقُرْبِ رَجْعَتِهِ ، وَجَعَلَهُ كَالْهَالِ فِي مَسِيرِهِ سَبَبُ رَفْعَتِهِ ، وَسَكَنَ بِقُدُومِهِ أَشْوَاقَ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلٍ مَحَبَّتِهِ .

وكما يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ لَتَخْضِيرِ الْبِلَادِ : وَأَلْبَسَ الْبِلَادَ بِقُدُومِهِ أَخْضَرَ الْأَثْوَابِ ، وَأَحْلَاهُ أَشْرَفَ مَحَلٍّ وَأَخْضَرَ جَنَابٍ .

**وتارةً يَكُونُ بِاعْتِبَارِ وَظِيفَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ الَّتِي هُوَ قَائِمٌ بِهَا ؛** كَمَا يُكْتَبُ إِلَى [ كَافِلِ ] الْمَمْلَكَةِ : وَلَا زَالَتْ كِفَايَةُ كِفَالَتِهِ تَزِيدُ عَلَى الْأَمَالِ ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيَكْفُلُ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْجَنُوبِ وَأَقْصَى الشَّمَالِ .

وكما يُكْتَبُ إِلَى قَاضٍ : وَيَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ بِأَحْكَامِهِ الْمُسَدَّدَةِ ، وَأَقْضِيَّتِهِ الَّتِي بِهَا قَوَاعِدُ الْإِسْلَامِ مُمَهَّدَةٌ ، وَأَبْنِيَةُ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرَةُ وَأَرْكَانُهُ مُشِيدَةٌ .

وكما يُكْتَبُ إِلَى مُتَصَوِّفٍ : وَأَعَادَ مِنْ بَرَكَاتِ تَهْجُدَاتِهِ ، وَأَنَارَ اللَّيَالِي بِصَالِحِ دَعَوَاتِهِ .

**وتارةً يَكُونُ بِاعْتِبَارِ بِلَدِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَنَاحِيَّتِهِ ؛** كَمَا يُكْتَبُ إِلَى نَائِبِ الشَّامِ : وَلَا زَالَ النُّصْرُ حَلِيَّةَ أَيَّامِهِ ، وَشَامَةٌ شَامِهِ ، وَغَمَامَةٌ مَا يَخْلُفُ عَلَى بِلَدِهِ الْمُخْصِيبِ مِنْ غَمَامِهِ <sup>(١)</sup> .

وكما يُكْتَبُ إِلَى نَائِبِ حَلَبَ فِي زَمَنِ الْحُرُوبِ : وَلَا زَالَ يُعَدُّ لِيَوْمِ تَشْيِبِ فِيهِ الْوِلْدَانُ ، [ وَيُصَدُّ دُونَهُ ] كُلُّ مُحَارِبٍ بَيْنَ الشُّهْبَاءِ وَالْمِيدَانِ ، وَيَعُمُّ حَلَبَ

(١) فِي « صَبْحِ الْأَعَشَى » ( ٢٨٩/٦ ) : ( يَحْلِقُ ) بَدَلُ ( يَخْلِفُ ) .

مِنْ حَلِي أَيَامِهِ مَا لَا يُفْقَدُ مَعَهُ إِلَّا اسْمُ ابْنِ حَمْدَانَ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَنْخِرُطُ فِي هَذَا السَّلَكِ .

**وتارةً يَكُونُ بِاعْتِبَارِ اسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَلِقْبِهِ ؛** كَمَا يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ سَيْفُ الدِّينِ : وَلَا زَالَ سَيْفُهُ فِي رِقَابِ أَعْدَائِهِ مُغَمِّدًا ، وَحَدُّهُ يَذَرُ كُلَّ مَلْحِدٍ مُلْحَدًا .

وَكَمَا يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ عَزُّ الدِّينِ : وَلَا زَالَ عَزُّهُ دَائِمًا ، وَالزَّمَانُ فِي خِدْمَتِهِ قَائِمًا ، وَطَرْفُ الدَّهْرِ عَنْ مِرَاقِبَةِ سَعَادَتِهِ نَائِمًا .

وَكَمَا يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ شَمْسُ الدِّينِ : وَلَا زَالَتْ شَمْسُ سَعَادَتِهِ مُشْرِقَةً ، وَأَغْصَانُ فَضْلِهِ بِالْعَوَارِفِ مُورِقَةً ، وَعَيُونُ طَوَارِقِ الْغَيْرِ عَنْهُ فِي كُلِّ زَمَنِ مُطْرِقَةً .

وَكَمَا يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ نَاصِرُ الدِّينِ : وَنَصَرَ عَزَائِمَهُ ، وَشَكَرَ مَكَارِمَهُ ، وَوَفَّرَ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَغَانِمَهُ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي سَتَقِفُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا فِي الْكَلَامِ عَلَى مَقَاصِدِ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



**الرَّابِعُ :** أَنْ يَعْرِفَ مَوَاضِعَ الدَّعَاءِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَمَنْ الَّذِي يُصَرِّحُ بِذَلِكَ فِي الْمَكَاتِبَةِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ شَيْثٍ فِي « مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ » <sup>(١)</sup> : أَنَّ الدَّعَاءَ فِي صُدُورِ الْكُتُبِ كَانَ مِنْ عَوَائِدِ مَكَاتِبَةِ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى ؛ مِثْلُ : وَقَصَمَ ، وَأَذَلَّ ، وَقَهَرَ ، وَحَصَدَ ، وَكَذَلِكَ الْمِمَاطِلُ وَالْمِقَارِبُ ، فَأَمَّا مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى . . فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْكِتَابُ عَنْ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ قَالَ : وَلَكِنْ قَدْ أَفْلَتَ الْحَبْلُ فِي ذَلِكَ الْآنَ ، قَالَ : وَلَا يُقَالُ لِلْأَدْنَى غَيْرُ : كُتِبَتْ عَدُوُّهُ ، أَوْ ضَدُّهُ ، أَوْ حَاسِدُهُ خَاصَّةً .

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٠ / ٦ ) .

**ومنها : أن يَعْرِفَ ما كَرِهَهُ الْكِتَابُ مِنَ الدَّعَاءِ فَيَتَجَنَّبَهُ ، وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ :**

**الضَّرْبُ الْأَوَّلُ :** ما كَرِهُوهُ فِي الْمَكَاتِبَةِ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ ، قَالَ فِي « مَوَادِّ الْبَيَانِ » <sup>(١)</sup> : كَانَتْ عَادَتُهُمْ جَارِيَةً أَنْ يَتَجَنَّبُوا مِنَ الْأَدْعِيَةِ مَا لَا مَحْصُولَ لَهُ ؛ كَقَوْلِهِمْ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، وَقَدَّمَنِي إِلَى الشُّوْءِ دُونَكَ ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّصَنُّعِ وَالْمَلَقِ الَّذِي لَا يَرْضَاهُ السُّلْطَانُ ؛ لِأَنَّ نَفْسَ الدَّاعِي لَا تَسْمَحُ بِاسْتِجَابَتِهِ ، وَيُؤَيِّدُ مَا ذَكَرَهُ : مَا كَتَبَ بِهِ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ <sup>(٢)</sup> : جُعِلْتُ فِدَاكَ عَلَى الصَّحَّةِ وَالْحَقِيقَةِ ، لَا عَلَى مَجْرَى الْمَكَاتِبَةِ وَمَذْهَبِ الْعَادَةِ .

قَالَ فِي « مَوَادِّ الْبَيَانِ » <sup>(٣)</sup> : وَإِنَّمَا يَحْسُنُ ذَلِكَ مِنَ الْخَوَاصِّ الَّذِينَ يَتَحَقَّقُونَ أَنَّ بَقَاءَهُمْ مَعْدُوقٌ بِبَقَاءِ رُؤَسَائِهِمْ <sup>(٤)</sup> ، وَثَبَاتٌ نَعْمِهِمْ مَقْرُونٌ بِثَبَاتِ أَيَّامِ سُلَاطِينِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ يَصْدُرُّ عَنْ عَقَائِدَ مُسْتَحْكِمَةٍ مِنْ بَذْلِ الْأَنْفُسِ دُونَهُمْ .

وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ كِرَاهَةِ ذَلِكَ . . قَدْ نُقِلَ فِي « صِنَاعَةِ الْكِتَابِ » مِثْلُهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَاحْتَجَّ لَهُ بِمَا رُوِيَ عَنِ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَقَالَ لَهُ : « مَا تَرَكْتَ أَعْرَابِيَّتَكَ بَعْدُ ؟! » <sup>(٥)</sup> ، عَلَى أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ أَجَازَ ذَلِكَ ؛ احْتِجَاجًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَعْضِ مَنْ كَانَ يَرْمِي دُونَهُ يَوْمَ أَحُدٍ : « أَرَمَ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » <sup>(٦)</sup> ، وَبِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ » ، قَالَ : نَعَمْ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ <sup>(٧)</sup> ،

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٠/٦ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٠/٦ ) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٠/٦ ) .

(٤) يقال : فلان معذوق بالشر ؛ أي : موسوم به .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » ( ٨٥٠١ ) عن الحسن رحمه الله تعالى .

(٦) أخرجه البخاري ( ٢٩٠٥ ) ، ومسلم ( ٢٤١١ ) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٧) أخرجه الطبراني في « الدعاء » ( ١٩٧٢ ) .



ولم يُنكرْ عليه ، فلعلَّ إنكارَهُ عليه كَانَ لحَالَةٍ قَارَنَتِ الدَّعَاءَ بِذَلِكَ ، وفي معنى ذَلِكَ كُلُّ مَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى وَنَحْوُهُ .

**الضَّرْبُ الثَّانِي :** مَا يَخْتَصُّ كَرَاهَتُهُ بِالْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ ؛ وَهُوَ **نَوْعَانِ :**

**- النُّوعُ الْأَوَّلُ :** مَا يَخْتَصُّ بِالرِّجَالِ ؛ **فَمِنْ ذَلِكَ :** مَا ذَكَرَهُ فِي « مَوَادِّ الْبَيَانِ » <sup>(١)</sup> : أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَسْتَحْسِنُونَ الدَّعَاءَ بِالْإِمْتَاعِ ؛ نَحْوُ : أَمْتَعَ اللَّهُ بَكَ ، وَأَمْتَعَنِي اللَّهُ بَكَ ، فِي حَقِّ الْإِخْوَانِ .

**وَمِمَّا يُحْكِي فِي ذَلِكَ :** أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي كِتَابٍ : وَأَمْتَعَ بَكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ :

[ من المنسرح ]

أَحْلَتَ عَمَّا عَهْدْتُ مِنْ أَدَبِكَ      أَمْ نِلْتَ مُلْكَاً فَتِهْتَ فِي كُتُبِكَ  
أَتَعَبْتَ كَفِّيكَ مِنْ مُكَاتَبَتِي      حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ  
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِقَّةٍ      يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَ بِكَ

فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ مُعْتَذِراً بِقَوْلِهِ :

[ من المنسرح ]

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمْلِي      وَكُلُّ شَيْءٍ أَنْالُ مِنْ سَبَبِكَ  
إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي      فَعُدْ بِفَضْلِ عَلَيَّ فِي أَدَبِكَ

**- النُّوعُ الثَّانِي :** مَا يَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ : فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ : أَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي مُكَاتَبَتِهِنَّ : وَأَدَامَ كِرَامَتِكَ ، وَلَا : وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ : لَدَيْكَ .

أَمَّا مَنْعُ الدَّعَاءِ لَهُنَّ بِالْكَرَامَةِ .. فَلِمَا حَكَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيُّ : أَنَّ

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩١/٦ ) .

بعض عُمَالِ زبيدة كتبَ إليها كتاباً بسببِ ضياعِ لها ، فَوَقَّعَتْ لَهُ على ظهرِ كتابه : أردت أن تدعوا لنا فدعوت علينا !! فأصلحَ خطأك في كتابك ، وإلا .. صرفناكَ عن جميعِ أعمالِكَ .

فأدرَكَهُ القلقُ ، وجعلَ يَتَصَفَّحُ الكتابَ وَيَعْرِضُهُ على الكُتَّابِ ، فلا يجدُ فيه شيئاً ، إلى أن عرضَهُ على بعضِ أهلِ المعرفة ، فقال : إنما كرهتُ دعاءَكَ في صدرِ كتابِكَ بقولِكَ : ( وأدامَ كرامتَكَ ) لأنَّ كرامةَ النساءِ دفنُهُنَّ ؛ قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « دَفَنُ أَلْبَنَاتٍ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ » <sup>(١)</sup> ، فغَيَّرَ ذَلِكَ الحرفَ مِنْ كتابِهِ ، وأعادَهُ إليها ، فَوَقَّعَتْ لَهُ على ظهرِهِ : أحسنتَ ولا تعدُ .

**الخامسُ :** أن يَتَجَنَّبَ الخلافَ في الدعاءِ في فصولِ الكتابِ ، ولا يوالي بينَ دعوتينِ منه ، فأما الخلافُ في الدعاءِ .. فقال أبو جعفرٍ النَّحَّاسُ <sup>(٢)</sup> : هوَ مثْلُ أن يقولَ : أطالَ اللهُ بقاءَ سيدي ؛ بلفظِ الغيبةِ ، ثم يقولَ بعدَ ذلكَ : وَبَلَّغَكَ أَمْلَكَ ؛ بلفظِ الخطابِ ، وأما المُوالاتُ بينَ دعوتينِ ، ولا يأتي بهما مُتَفَقَّتينِ .. كأن يُقالَ : حرسَ اللهُ الأميرَ ، أعزَّهُ اللهُ .

**السادسُ :** أن يَتَجَنَّبَ وقوعَ اللَّبْسِ في الدعاءِ ، فإذا ذكرَ الرئيسَ معَ عدوِّهِ مثلاً .. لم يدعُ للرئيسِ حينئذٍ ؛ فإنَّهُ لو ذهبَ يقولُ : وقد كانَ مِنْ عدوِّ سيدي أبقاهُ اللهُ كذا .. لاحتُمِلَ عودُ الدعاءِ إلى الرئيسِ وإلى عدوِّهِ !!

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ٢٩٠/١١ ) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وخرَّج مُخرِجُ العزاء .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٣/٦ ) .

## [ معرفة الألقاب وصفاتها ومقدار من يكتب إليه ]

**الأصل السادس :** أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب ، فيعطيه حقه منها ، ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور :

**أحدها :** أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول ؛ كالمقام ، والمقر ، والجَناب ، والمجلس . . في زماننا ، فيعطي كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك ، فيجعل المقام لأكابر الملوك ، والمقر لمن دونهم من الملوك ، وللرتبة العليا من أهل المملكة ، والجَناب للرتبة الثالثة من الملوك ، والرتبة الثانية من أهل الدولة ، والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك ، والرتبة الثالثة من أهل الدولة ، ومجلس الأمير لمن دون ذلك من أهل الدولة على المصطلح المُستقر عليه الحال .



**الثاني :** أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول من الألقاب والنعوت التابعة لذلك ، فيتبع كل واحد من الأصول بما يناسبه من الفروع .



**الثالث :** أن يعرف مقدار المكتوب إليه ، فيوفيه قسطه من الألقاب في الكثرة والقلّة بحسب ما يجري عليه الاصطلاح ؛ فقد ذكر في « معالم الكتابة »<sup>(١)</sup> : أن السلطان لا يكثر في المكاتبه إليه من نُعوتِهِ ، بل يقتصر على الأشياء التي تكون فيه ؛ مثل العالم العادل ، أمّا غير ذلك . . فيقع باللّقبين المشهورين ؛ وهما : نعته المفرد ، ونعته المضاف إلى الدين ، وأنه

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٤/٦ - ٢٩٥ ) .

في الكتابة عن السلطان كلما زيد في النعوت . . كان أُمِيزَ ؛ لأنها على سبيل  
التشريف من السلطان ، ويجعلُ المضاف إلى الدين مُتوسِّطاً بين الألقاب ،  
لا في أولها .



## [ مراعاة مقاصد المكاتبات ]

**الأصل السابع :** أن يراعي مقاصد المكاتبات ، فيأتي لكل مقصد بما يناسبه ، ومدار ذلك على أمرين :

**الأمر الأول :** أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ، ويتخير لكل لفظة ما يشاكلها ، قال ابن عبد ربّه <sup>(١)</sup> : وليكن ما تختّم به فصولك في موضع ذكر البلوى ؛ مثل : نسأل الله رفع المحذور ، وصرف المكروه ، وأشباه ذلك ، وفي موضع ذكر المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً ، والشكر لله واجباً ، وما شاكل ذلك .

قال في « موادّ البيان » <sup>(٢)</sup> : وإذا ذكر البلوى .. شفّعها بالاستعانة بالله تعالى ، والرجوع إليه فيها ، وردّ الأمر إلى حوله وقوّته .

قال ابن عبد ربّه <sup>(٣)</sup> : فإنّ هذه المواضع ممّا يتعيّن على الكاتب أن يتفقّدها ويتحفّظ فيها ؛ فإنّ الكاتب إنّما يصير كاتباً بأن يضع كلّ معنى في موضعه ، ويعلّق كلّ لفظ على طبقه في المعنى .

وممّا يلتحق بذلك أيضاً : أنّه إذا ذكر الرئيس في أثناء المكاتبة .. دعا له ؛ مثل أن يقول عند ذكر السلطان : خلّد الله ملكه ، وعند ذكر الأمير الكبير : عزّ نصره ، أو : أعزّ الله تعالى أنصاره ، وعند ذكر الحاكم : أيّد الله تعالى أحكامه ، وما أشبه ذلك ممّا يجري هذا المجرى .



(١) انظر « العقد الفريد » ( ١٨٤/٤ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٥/٦ ) .

(٣) انظر « العقد الفريد » ( ١٨٤/٤ ) .



**الأمر الثاني :** أن يتخطى التصريح إلى التلويح والإشارة إذا ألجأته الحال إلى المكاتب بما لا يجوز كشفه وإظهاره على [ صراحته ] ممّا في ذكره على نصّه هتُك ستر ، أو في حكايته إطراح مهابة السلطان ، وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأدب في حقّه ، كما لو أطلق عدوّه لسانه فيه بلفظ قبيح يسوءه سماعه ، قال في « موادّ البيان »<sup>(١)</sup> : فيحتاج المنشئ إلى استعمال التورية في هذه المواضع ، والتلفظ في العبارة عن هذه المعاني ، وإبرازها في صورة تقتضي توفية حقّ السلطان في التوقير والإجلال والإعظام والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوز إمرأه على سمعه ، وإيصال المعنى إليه من غير خيانة في طيّ ما لا غنى به عن علمه ، قال : وهذا ممّا لا يستقلّ به إلا المبرز في الصنعة ، المتصرّف في تأليف الكلام .

**وهاك مثلاً يرشدك إلى معرفة ما ينبغي أن تكتب به إذا مرّ بك شيء من هذا الباب ؛** فالقليل عند من يستعمل فكره يهدي إلى الكثير : اتفق أن آخر أمير المؤمنين المأمون عن الجند إطلاقاً مُرتبّاتهم مدّة طويلة ، حتى دعاهم ذلك إلى الشكوى والتزديد في الكلام ، والقدح في السياسة ، كما يقتضيه وصول الإنسان إلى سوء المعيشة ، مع تكليفه شاقّ العمل ، فكتب أحد رؤساء كتّابه عمرو بن مسعدة يُعرّفه الحال ، ويستعطفه على العسكر بصرف مُرتبّاته ، **وهذه صورة الكتاب :** ( بسم الله الرحمن الرحيم ، كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من أجناده وقوّاده في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جندي تأخّرت أرزاقهم ، واختلّت أحوالهم )<sup>(٢)</sup> .

فإنّه لم يذكر في هذا الكتاب انحراف رأي المأمون عن جادة الصواب في

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٥/٦ ) .

(٢) انظر « العقد الفريد » ( ٢٧٢/٢ ) .

قِلَّةُ الاهتمامِ بالنظرِ في أمرِ العسكرِ الذي هوَ أَوَّلُ مُهِمٍّ مِنْ مُهِمَّاتِ الملكِ ، ولم يذكرْ ما صدرَ عنِ العسكرِ مِنْ سوءِ المَقَالِ ، وتواترِ الشَّكوى ، وتزيُّدِ الكلامِ ، وتصريحِهِمْ بأنَّ هذهِ الحالَ ربَّما اضطرَّتْ إلى العصيانِ والخروجِ عن رِبْقَةِ الخدمَةِ الجندِيَّةِ ؛ للتردُّدِ في الآفاقِ طلباً للمَعاشِ بغيرِ تلكَ الجهةِ ، وإنَّما لَمَحَ بِذلكَ تلميحاً ، وذَكَرَهُ الأشياءَ بذكرِ أصدادِها ، فالطَّاعَةُ تُذَكِّرُ المعصِيَةَ ، وَسَلِمَ الكاتبُ مِنَ الجهَّتَيْنِ ، فلم يكنْ للأُميرِ أن ينتقدَ عليه شيئاً ، ولا للعسكرِ أن يقولوا : إِنَّكَ بَلَغْتَ حالنا التي اضطرَّتنا إليها مضايقةُ المعيشَةِ في كلماتٍ قليلةٍ وَفَتْ بالمقصودِ حقَّ الوفاءِ .

**ويُحكى عن أحمد بن يوسف قال<sup>(١)</sup> :** دخلتُ على المأمونِ وفي يدهِ كتابٌ لعمرو بن مسعدةَ وهوَ في صحنِ دارِهِ يَقْرُؤُهُ المَرَّةَ بعدَ المَرَّةِ ، ثمَّ التفتَ إليَّ فقالَ : أَحَسْبُكَ مُفَكِّراً فيما رأيتَ ، قلتُ : نعم ، وقى اللهُ أُميرَ المؤمنينَ المكارَةَ ، قالَ : ليسَ بمكروهٍ ، ولكنْ قرأتُ كلاماً وافقَ صِفَةَ البلاغَةِ للرشيدي ؛ سمعْتُهُ يقولُ : **البلاغةُ** : التقَرُّبُ مِنَ المعنى البعيدِ ، والتباعدُ مِنْ حشوِ الكلامِ ، ودلالَةُ القليلِ على الكثيرِ ، فما كنتُ أتوهمُ كلاماً يردُّ على هذهِ الصِّفَةِ حتَّى قرأتُ هذا الكتابَ ، وسأقضي حَقَّهُ ؛ وكانَ ذلكَ سبباً لأن أَمَرَ بصرفِ مُرتَّبِ ثمانيةِ أشهرٍ .



(١) انظر « العقد الفريد » ( ٢٧٢/٢ ) .

## [ معرفة طبقات المخاطبين ورتبهم ]

**الأصل الثامن:** أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكاتبات من اللسان ، فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ وما يصل إليه فهمه من الخطاب ، قال أبو هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » <sup>(١)</sup> : **أول ما ينبغي أن تستعمل في كتابك:** مكاتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام ، وقوتهم في المنطق ، وستعرف ذلك فيما سننقله من كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى العجم والعرب <sup>(٢)</sup> .

قال في « مواد البيان » <sup>(٣)</sup> : يجب على الكاتب أن ينتقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين ، وأوجه الأحوال المتغيرة والأوقات المختلفة ؛ ليكون كلامه مشاكلاً لكل منها ؛ فإن أحكام الكلام تتغير بحكم الأزمنة والأمكنة ، ومنازل المخاطبين والمكاتبين .

ومن هنا ترى أن كتّاب بني أمية استعملوا من ألفاظ العربية الفحلة والمتينة الجزلة ما لم يستعمل مثله كتّاب الدولة العباسية ؛ لأن كتّاب الدولة الأموية قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها ، حتى عُدّت في جملة الفضائل التي يُثابَرُ على اقتنائها ، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكتب تصدر إليهم ، وأهل الفصاحة واللّسن والخطابة والشعر .

أمّا زمان بني العباس . . فإنّ الهمم تقاصرت عمّا كانت مُقبلةً على تطّلبه

(١) الصناعتين ( ص ١٦٠ ) ، وانظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٦/٦ ) .

(٢) انظر ( ٣٠١/٤ ) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » ( ٢٩٧/٦ - ٢٩٩ ) .

فِيمَا تَصَرَّمَ مِنَ الْعُلُومِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا ، وَشَغِلَتْ بِغَيْرِهَا ؛ كَعُلُومِ الدِّينِ ، وَنَزَلَ  
 مَلُوكُهُمْ دِيَارَ الْعِرَاقِ وَمَا يَجَاوِرُهَا مِنْ بِلَادِ فَارَسَ ، وَلَيْسَ اسْتِفَاضَةُ لُغَةِ الْعَرَبِ  
 فِيهَا بِاسْتِفَاضَتِهَا فِي أَرْضِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ  
 كَانُوا يَكْتُبُونَ عَنْهُمْ لَا يَجَارُونَ تِلْكَ الطَّبَقَةَ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِدَلَالَةِ  
 الْكَلَامِ ، فَانْتَقَلَ كُتَّابُهَا عَنِ اللَّفْظِ الْمَتِينِ الْجَزْلِ إِلَى اللَّفْظِ الرَّقِيقِ السَّهْلِ ،  
 وَكَذَلِكَ انْتَقَلَ مُتَأَخَّرُو الْكُتَّابِ عَنِ الْفَاطِ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى مَا هُوَ أَعَذَبُ مِنْهَا  
 وَأَخْفَى ؛ لِلْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ .

قَالَ : وَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَرَاعِيَ هَذِهِ الْأَحْوَالَ ، وَيُوقِعَ الْمَشَاكِلَةَ  
 بَيْنَ مَا يَكْتُبُهُ وَبَيْنَهَا ، فَإِذَا احتَاجَ إِلَى إِصْدَارِ كِتَابٍ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ النُّوَاحِي . .  
 فَلْيَنْظُرْ فِي أَحْوَالِ قَاطِنِيهَا ؛ فَإِنْ كَانُوا مِنَ الْأَدْبَاءِ الْبُلْغَاءِ الْعَارِفِينَ بِنَظْمِ الْكَلَامِ  
 وَتَأْلِيفِهِ . . فَلْيُودِعْ كِتَابَهُ الْأَلْفَاظَ الْجَزْلَةَ الَّتِي إِذَا حُلِّيتْ بِهَا الْمَعَانِي زَادَتْهَا  
 فَخَامَةٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَجَلَالَةٌ فِي الصُّدُورِ ، وَإِنْ كَانُوا مَمَّنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ خَاصِّ  
 الْكَلَامِ وَعَامِّهِ . . فَلْيُضْمِّنْ كِتَابَهُ الْأَلْفَاظَ الَّتِي يَتَسَاوَى سَامِعُوهَا فِي إِدْرَاكِ  
 مَعَانِيهَا ؛ فَإِنَّهُ مَتَى عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ . . ضَاعَ كَلَامُهُ ، وَلَمْ يَصِلْ مَعْنَى مَا كَتَبَ  
 فِيهِ إِلَى مَنْ كَاتَبَهُ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ الْبَلِيعَ إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِزَاءِ أَفْهَامِ الْبُلْغَاءِ  
 وَالْفَصَحَاءِ ، فَأَمَّا الْعَوَامُّ وَالْحَشَوَةُ . . فَإِنَّمَا يَصِلُ إِلَى أَفْهَامِهِمُ الْكَلَامُ الْعَاطِلُ  
 مِنْ حَلِيِّ النِّظْمِ ، الْعَارِي مِنْ كَسْوَةِ التَّأْلِيفِ ، فَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ  
 فِي مَخَاطَبَةِ مَنْ هَذِهِ صَوْرَتُهُ أَدْنَى رَتَبِ الْبَلَاغَةِ وَأَقْرَبُهَا مِنْ أَفْهَامِ الْعَامَّةِ  
 وَالْأَمَمِ الْأَعْجَمِيَّةِ إِذَا كَتَبَ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْكُتُبَ السُّلْطَانِيَّةَ مِنْهَا كُتُبُ الْفَتْوحَاتِ وَالسَّلَامَاتِ وَنَحْوِهَا ،  
 وَهِيَ مُحْتَمِلَةٌ لِلْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ الْجَزْلَةِ ، وَالْإِطَالَةِ الْقَاضِيَةِ بِإِشْبَاعِ الْمَعْنَى ،  
 وَوَصُولِهِ إِلَى أَفْهَامِ كَافَّةِ سَامِعِيهِ مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَمِنْهَا كُتُبُ الْخِرَاجِ

وجبايته ، وأمور المعاملات والحساب ، وهي لا تحتمل اللفظ الفصيح ، ولا الكلام الوجيز ؛ لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل به ، وإفهام من لا يصل المعنى إلى فهمه إلا بالبيان الشافي في العبارة ، ومنها مخاطبة السلطان عن نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه في الخدمة ، فيستعمل من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها الفصيحة التي لا تحتمل من تابع في حق متبوع ؛ لما فيه من تعاطي التفاصيل على سلطانه ، وهو غير جائز في أدب الملوك ، وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبتذلة الدائرة بين الشوكة ؛ لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته إيّاه بما لا يشبه رتبته .

وأما الكتب الإخوانيات النافذة في التهاني والتعازي . . فإنها تحتمل الألفاظ الغريبة القويّة الأخذ بمجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من النفوس ؛ لأنها مبنية على تحسين اللفظ ، وتزيين النظم ، وإظهار البلاغة فيها مستحسن ، واقع موقعه .



**قلت<sup>(١)</sup>** : والذي تُراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا . . مكاتبات ملوك المغرب ؛ كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ، ومن يجري هذا المجرى ممن تشتمل بلادهم على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة ، ويظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية ، بخلاف من لا عناية له بذلك ؛ كحكام أصاغر البلدان ، وأصحاب اللغات العجمية

(١) القائل هو العلامة القلقشندي في « صبح الأعشى » ( ٢٩٩/٦ ) .



مِنَ الرُّومِ والفرنَجِ والسُّودَانِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ خُطَابُهُمْ بِالْأَلْفَاظِ  
الوَاضِحَةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ بِلَادِهِمْ مَنْ يَتَعَاطَى الْبَلَاغَةَ مِنَ الْكُتَّابِ ؛  
وَوَرَدَتْ كُتُبُهُمْ عَلَى نَهْجِهَا ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي مَكَاتِبَتُهُمْ عَلَى سَنَنِ الْبَلْغَاءِ .

### تَنْبِيْهُ (١)

#### [ فِي أَنَّ الْمَرَادَ بِالْفَصِيحِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ ]

لَمْ يُرِدِ الشَّيْخُ فِي هَذَا الْكَلَامِ السَّالِفِ بِاللَّفْظِ الْفَصِيحِ وَغَيْرِهِ مَا يَدُلُّكَ  
عَلَيْهِ حَدُّ الْفَصَاحَةِ الْمُصَدَّرُ بِهِ فَنَّ الْمَعَانِي ؛ فَإِنَّ الْفَصِيحَ لَا يَجُوزُ الْعَدُولُ عَنْهُ  
فِي خُطَابِ مَنْ كَانَ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ بِالْفَصِيحِ : مَا لَا يَدُورُ إِلَّا بَيْنَ خَاصَّةِ النَّاسِ  
وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ مِنْهُمْ ؛ مَثَلًا : مِنْ أَسْمَاءِ ( الْأَسَدِ ) : الْغَضَنْفَرُ ، وَالضَّرْغَامُ ،  
وَالرَّابَالُ ، وَحَيْدَرَةُ ، وَأَسَامَةُ ، وَهِيَ لَا يَسْتَعْمِلُهَا إِلَّا خَاصَّةُ النَّاسِ ، وَالْعَامَّةُ  
إِنَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ مِنْ أَسْمَائِهِ لَفْظَ ( السَّبْعِ ) ، فَهُوَ يَرِيدُ ذَلِكَ بِالْفَصِيحِ وَغَيْرِ  
الْفَصِيحِ .



(١) التنبية من المؤلف ضمن نقله لكلام العلامة القلقشندي .

## [ مراعاة رتبة المكتوب عنه وإليه في الخطاب ]

**الأصل التاسع :** أن يراعي رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه في الخطاب ،  
فيعبّر عن كلّ واحد منهما بما يليق به ، [ ويُخاطب ] المكتوب إليه بما يليق  
بمقامه .

**فأمّا المكتوب عنه ..** فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته ، فيعبّر  
في الكتب الصّادرة عن أبواب الخلافة بأمر المؤمنين ؛ مثل أن يُقال : فجرى  
أمر أمير المؤمنين في كذا على كذا وكذا ، وأوعز أمير المؤمنين إلى فلان  
بكذا ، واقتضى رأي أمير المؤمنين كذا ، وخرج أمر أمير المؤمنين بكذا ،  
ونفذ أمر أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وما شاكل ذلك ، وربّما عبّر عنه  
بالسلطان ؛ مثل أن يُقال في حقّ المخالفين : وحاربوا عساكر السلطان ، أو  
وضعوا خراج السلطان ، وما أشبه ذلك .

وقال ابن شيث<sup>(١)</sup> : ويُخاطبُ بالمواقف المقدّسة الشريفة ، والعتّبات  
العالية ، ومقرّ الرحمة ، ومحلّ الشرف ، وذكر المقرّ الشهابي بن فضل الله في  
التعريف نحوه فقال : ويُخاطبُ بالديوان العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب  
الأعلى أو الشريف ، وبأمر المؤمنين مُجرّدة عن سيدنا ومولانا ، ومرة غير  
مُجرّدة مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة .

قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخُضْعان عن مخاطبة الخليفة  
نفسه ، وتنزيل الخطاب منزلة من يُخاطب نفس الديوان ، والمعنى به ديوان  
الإنشاء ؛ إذ الكتب وأنواع المُخاطبات إليه واردة ، وعنه صادرة .

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٠/٦ ) .

وإن كَانَ المَكْتُوبُ عَنْهُ مَلِكًا . . فقد جَرَتْ العَادَةُ أَنْ يُعْبَرَ عَنْهُ بَنُونَ  
الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ ، فَيُقَالُ : فعلْنَا كَذَا ، وَأَمَرْنَا بِكَذَا ، وَاقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ  
كَذَا ، وَبَرَزَتْ مَرَامِسُنَا بِكَذَا ، وَمَرَسُومُنَا إِلَى فَلَانٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِكَذَا ، أَوْ يَتَقَدَّمَ  
أَمْرُهُ بِكَذَا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَلُوكَ الْغَرْبِ كَانُوا يَجْرُونَ عَلَى  
ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَاتِهِمْ ، فَجَرَتْ الْمُلُوكُ عَلَى سَنَنِهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَفِي مَعْنَى  
الْمُلُوكِ فِي ذَلِكَ سَائِرُ الرُّؤَسَاءِ ؛ مِنْ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ  
وَنَحْوِهِمْ ؛ مِنْ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْعَلِيَّةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْمَرَاتِبِ السَّنِيَّةِ ،  
فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، مِمَّنْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا وَنَاهِيًا إِذَا كَتَبُوا إِلَى أَتْبَاعِهِمْ  
وَمَأْمُورِيهِمْ ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ النُّونُ مِمَّا يُخْتَصُّ بِذَوِي التَّعْظِيمِ دُونَ غَيْرِهِمْ ،  
**وَشَاهِدُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ** : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾  
قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ، فَدَعَا دُعَاءَ الْمُفْرَدِ ؛ لِعَدَمِ الْمَشَارَكَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ  
الْاسْمِ ، وَسَأَلَهُ سُؤَالَ الْجَمْعِ ؛ لِمَكَانِ الْعِظَمَةِ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ  
الْوَارِدَةِ مُورَدَ الْاِخْتِصَاصِ لَهُ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرُثُ الْأَرْضَ وَمَنْ  
عَلَيْهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ،  
وغير ذلك مِنَ الْآيَاتِ .

قَالَ فِي « مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ » <sup>(٥)</sup> : وَقَدْ أَخَذَ كُتَّابُ الْمَغْرِبِ هَذَا مَعَ وَلَاةِ  
أُمُورِهِمْ فِي الْجَمْعِ بِالْمِيمِ ؛ فَخَاطَبُوا الْوَاحِدَ مُخَاطَبَةَ الْجَمْعِ ؛ مِثْلَ : أَنْتُمْ ،  
وَفَعَلْتُمْ ، وَأَمَرْتُمْ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(١) سورة المؤمنون : ( ٩٩ ) ، وَقَعَتِ الْآيَةُ فِي الْأَصْلِ وَفِي « صَبْحِ الْأَعَشَى » ( ٣٠١/٦ ) هَكَذَا : ( حَتَّىٰ  
إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ . . . ) .

(٢) سورة مريم : ( ٤٠ ) .

(٣) سورة يس : ( ١٢ ) .

(٤) سورة الحجر : ( ٢٣ ) .

(٥) انظر « صَبْحِ الْأَعَشَى » ( ٣٠١/٦ ) .

**قلت<sup>(١)</sup>** : والأمر في ذلك عندهم مُستمرٌّ إلى الآن .

وإن كَانَ المكتوبُ عنه مرؤوساً بالنسبةِ إلى المكتوبِ إليه ؛ كالتابعِ ومنَ في معناه . . فقالَ في « موادِّ البيانِ »<sup>(٢)</sup> : ينبغي أن يتَحَفَّظَ في الكتبِ النافذةِ عنه عن الإتيانِ بنونِ العظمةِ وغيرها منَ الألفاظِ التي فيها تعظيمُ شأنِ المكتوبِ عنه ؛ مثلُ أن يقولَ : أمرْتُ بكذا ، أو نهيتُ عن كذا ، وأوعزتُ بكذا ، أو تقدَّمَ أمري إلى فلانٍ بكذا ، أو أنهيَ إليَّ كذا ، أو خرجَ أمري بكذا ، وما في معنى ذلك ممَّا لا يُخاطَبُ به الأتباعُ رؤساءهم ، بل يعدِلُ عن مثلِ هذه الألفاظِ إلى ما يُؤدِّي إلى معناها ، ممَّا لا عظمةَ فيه ؛ مثلُ أن يقولَ : وجدتُ صوابَ الرأيِ كذا ففعلتُهُ ، ورأيتُ السياسةَ تقتضي كذا فأمضيتُهُ ، وما أشبه ذلكَ إن كَانَ عُرِفَ الكُتَّابُ على الخطابِ بالتاءِ ، وإلَّا . . قالَ : وجدَ المملوكُ صوابَ الرأيِ كذا ، ورأى السياسةَ تقتضي كذا فأمضاهُ ، وما يجري هذا المجرى .

**وأما المكتوبُ إليه . .** فقالَ أبو هلالٍ العسكريُّ في كتابِ « الصِّنَاعَتَيْنِ »<sup>(٣)</sup> : ينبغي أن يَعْرِفَ قدرَ المكتوبِ إليه منَ الرؤساءِ والنظرَاءِ والعلماءِ والوكلاءِ ؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يُكْتَبُ إليه : ( أنا أفعلُ كذا ) ، ومنَ يُكْتَبُ إليه : ( نحنُ نفعلُ كذا ) ، ف ( أنا ) منَ كلامِ الأشباهِ والإخوانِ ، و ( نحنُ ) منَ كلامِ الملوِكِ ، وَيُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يُكْتَبُ إليه : ( فإن رأيتَ ) وبينَ مَنْ يُكْتَبُ إليه : ( فرأيكَ ) .

قالَ في « موادِّ البيانِ »<sup>(٤)</sup> : وذلكَ أنَّ قولَهُم : ( فإن رأيتَ أن تفعلَ كذا ) لفظُ النظرَاءِ والمساوينَ ، بخلافِ : ( فرأيكَ ) فَإِنَّهُ لا يَكْتَبُهُ إلى جليلٍ مُعَظَّمٍ ؛

(١) القائل هو العلامة القلقشندي في « صبح الأعشى » ( ٣٠٢/٦ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٢/٦ ) .

(٣) الصناعتين ( ص ١٦٤ - ١٦٥ ) ، وانظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٢/٦ ) .

(٤) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٢/٦ ) .

لتضمُّنِهِ معنى الأمرِ ، **والتقديرُ** : فَرَهُ رَأْيَكَ ، عَلَى أَنَّ الْأَخْفَشَ قَدْ أَنْكَرَ هَذَا عَلَى الْكُتَّابِ ؛ لِأَنَّ أَقْلَ النَّاسِ يَقُولُ لِلسُّلْطَانِ : انْظُرْ فِي أُمُورِي ، وَلَفْظُهُ لَفْظُ الْأَمْرِ ، وَمَعْنَاهُ السُّؤَالُ ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ فِي « صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ » عَنِ النُّحَوِيِّينَ .

قَالَ فِي « مَوَادِّ الْبَيَانِ » <sup>(١)</sup> : وَحُجَّةُ الْكُتَّابِ أَنَّ الْمَشَافَهَةَ تَحْتَمِلُ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ الْمُكَاتَبَةُ ؛ لِأَنَّ الْمُشَافَهَةَ تَكُونُ بِمَا يَحْضُرُ الْإِنْسَانَ وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنْ تَقْيِيدِهِ وَتَرْتِيبِهِ ، بِخِلَافِ الْمُكَاتَبَةِ ، فَلَا عَذَرَ لِمُصَاحِبِهَا فِي الْإِخْلَالِ بِالْأَدَبِ .

قَالَ فِي « مَوَادِّ الْبَيَانِ » <sup>(٢)</sup> : لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَطَابُكَ لِجَمِيعِ طَبَقَاتِ النَّاسِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا وَإِنْ كَانَ كُلُّ جِنْسٍ بَعِيْنِهِ ؛ كَالْتَهْنِئَةِ ، وَالتَّعْزِيَةِ ، وَالْإِعْتِذَارِ ، وَالْعِتَابِ ، وَالِاسْتِظْهَارِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . . فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ الْمَعْنَى لِكُلِّ مُخَاطَبٍ عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ اللَّفْظِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ فِي الصِّيغَةِ الْمَشَاكِلَةُ لِلْمُخَاطَبِ اللَّائِقَةِ بِقَدْرِهِ وَرَتَبَتِهِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ خَاطَبْتَ سُلْطَانًا أَوْ زَئِيرًا بِالتَّعْزِيَةِ عَنْ مُصِيبَةٍ مِنْ مُصَائِبِ الدُّنْيَا . . لَمَّا جَازَ أَنْ تَبْنِيَ الْكَلَامَ عَلَى وَعْظِهِ وَتَبْصِيرِهِ ، وَإِشْرَادِهِ وَتَذْكِيرِهِ ، وَخَضَّعَهُ عَلَى الْأَخْذِ بِحُظٍّ مِنَ الصَّبْرِ ، وَمُجَانِبَةِ الْجَزَعِ ، وَتَلَقِّيِ الْحَادِثَاتِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ؟! وَإِنَّمَا الصَّوَابُ أَنْ تَبْنِيَ الْخُطَابَ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى شَأْنًا ، وَأَرْفَعُ مَكَانًا ، وَأَصَحُّ جُزْمًا ، وَأَرْجَحُ حِلْمًا مِنْ أَنْ يُعْزَى ، بِخِلَافِ الْمُتَأَخَّرِ فِي الرِّتَبَةِ ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعْزَى تَنْبِيْهًا وَتَذْكِيرًا وَتَصْبِيرًا ، وَتَعْرِيفًا لِلْوَاجِبِ فِي تَلَقِّيِ السَّرِّاءِ بِالشُّكْرِ ، وَالضَّرَّاءِ بِالصَّبْرِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ إِذَا كَاتَبْتَ رَئِيسًا فِي مَعْنَى الْإِسْتِزَادَةِ وَالشُّكْوَى . . لَا يَجُوزُ أَنْ تَأْتِيَ بِمَعْنَاهُمَا فِي أَلْفَاظِهِمَا الْخَاصَّةِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَعْدَلَ عَنِ الشُّكْوَى إِلَى أَلْفَاظِ

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٣ / ٦ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٤ / ٦ - ٣٠٥ ) .



الشكر ، وعن ألفاظ الاستزادة إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر ؛ لتكون قد رتبت كلامك في رتبته ، وأخرجت معنأك مُخرج مَنْ يستدعي الزيادة ، لا مَنْ يشكو التقصير .

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته . . لم يجز أن تورّد ذلك مورد التنبيه على ما أغفله ، والإيقاظ لما أهمله ، والتعريف من الصواب لما جهله ؛ لأنّ ذلك ممّا لا تحتمله الرؤساء من الأتباع ، ولكن تبني الخطاب على أنّ السلطان أعلى وأجلّ رأياً ، وأصحّ فكراً ، وأكثر إحاطة بصدور الأمور وأعجازها ، وأنّ آراء خدمه جزء من رأيه ، وأنّهم إنّما يتفرّسون مخايل الإصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهبه ، والتأدّب بأدبه ، والارتياض بسياسته ، والتنقل في خدمته ، [ وأنّ ] ممّا يفرضونه في حكم الإشفاق والاهتمام ، وما يُسبغ عليهم من الإنعام . . المطالعة بما يجري في أوهامهم ، ويحدث في أفكارهم من الأمور التي يتخيّلون في العمل بها مصلحة للدولة ، وعمارة المملكة ، يتصفّح [ بأصالة ] رأيه التي هي أوفر وأثبت ، فإن استصوبه . . أمضاه ، وإن رأى خلافه . . ألغاه ، وكان الأعلى ما يراه . . إلى غير ذلك ممّا يجري هذا المجرى .



## [ مراعاةُ مواقعِ الآياتِ والسَّجعِ في الكتبِ ]

**الأصلُ العاشرُ :** أن يراعي مواقعَ آياتِ القرآنِ والسَّجعِ في الكتبِ ، وذكرَ أبياتِ الشعرِ في المكاتباتِ .

**أَمَّا آياتُ القرآنِ الكريمِ ..** فقد ذكرَ ابنُ شيثٍ في « معالمِ الكتابةِ » <sup>(١)</sup> :  
أنَّها في صدرِ الكتابِ قد يذكُرُها الأدنى للأعلى في معنى ما يكتُبُ به ؛ مثلُ  
قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله  
تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
إلى غيرِ ذلكِ مِنَ الآياتِ المناسبةِ للوقائعِ ، وإن كانت في أثناءِ الكتابِ ..  
فقد استشهدَ بها جماعةٌ مِنَ الكُتَّابِ في خلالِ كتبِهِم .



**وَأَمَّا السَّجْعُ ..** فقد ذكرَ ابنُ شيثٍ <sup>(٤)</sup> : أنَّه لا يُفَرِّقُ فيه بينَ كتابِ الأعلى  
للأدنى وبالعكسِ ، وأنَّه بما يكتُبُ عن السُّلطانِ أليقُ ، لكن قد ذكرَ بعضُ  
المُتأخِّرينَ أنَّ الكتابةَ بالسَّجعِ أنقصُ في حقِّ المكتوبِ إليه ؛ وقضيتهُ : أنَّه لا  
يُكتُبُ به إلا مِنْ أعلى لأدنى ، إلا أنَّ الذي جرى عليه مصطلحُ كُتَّابِ الزمانِ  
تخصيصُهُ ببعضِ الكتبِ دونَ بعضٍ مِنَ الجانبينِ .



**وَأَمَّا الشعرُ ..** فيوردهُ حيثُ يحسُنُ إيرادُهُ ، ويمنعهُ حيثُ يحسُنُ منعهُ ،

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٦/٦ ) .

(٢) سورة يوسف : ( ٩٦ ) .

(٣) سورة فاطر : ( ٣٤ ) .

(٤) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٧/٦ ) .

فليسَ كُلُّ مكاتبةٍ يَحْسُنُ فيها إيرادُ الشعرِ ، بل يَخْتَلِفُ الحالُ في ذلكَ بحَسَبِ المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه .



فأمَّا المُكاتباتُ الصَّادرةُ عنِ الملوكِ والصَّادرةُ إليهم . . فقد ذَكَرَ في « موادِّ البيانِ » <sup>(١)</sup> : أَنَّهُ لا يُتَمَثَّلُ فيها بشيءٍ مِنَ الشعرِ إجلالاً لَهُم مِّن شَوِّ العبارةِ عن عزائمِهِم وأوامرِهِم ونواهيهِم والأخبارِ المرفوعةِ إليهم . . بما يُخالفُ نمطَها ووضعَها ، ولأنَّ الشعرَ صناعةٌ مغايرةٌ لصناعةِ الترسُّلِ ، وإدخالُ بعضِ صنائعِ الكلامِ في بعضٍ غيرِ مستحسنٍ .

**قلتُ** <sup>(٢)</sup> : الذي ذَكَرَهُ عبدُ الرحيمِ بَنُ شَيْثٍ في كتابِهِ « معالمِ الكتابةِ ومواضعِ الإصابةِ » <sup>(٣)</sup> : أَنَّهُ يُجْتَنَّبُ الشعرُ في المكاتباتِ الصَّادرةِ عنِ الملوكِ دونَ غيرِهِم ، وهو مُعارضٌ لِمَا ذَكَرَهُ في « موادِّ البيانِ » ، وكأَنَّهُ في « موادِّ البيانِ » يريدُ الكتبَ النافذةَ عنِ الملوكِ إلى مَنْ دونَهُم ، أو مَنْ دونَهُم إليهم ، أمَّا الملوكُ والخلفاءُ إذا كتبوا إلى مَنْ ضاهاهُم في أُبْهَةِ الملكِ ، وقاربَهُم في علوِّ الرتبةِ . . فَإِنَّهُ لا يمتنعُ التمثُّلُ بأبياتِ الشعرِ فيها ؛ تطريزاً للنثرِ بالنظمِ ، وجمعاً بينَ جنسَي الكلامِ اللَّذَيْنِ هُما خلاصةُ مقاصدِهِ .

وما زالتِ الخلفاءُ والملوكُ السالفةُ يُخَلِّلُونَ كتبَهُم الصَّادرةَ عَنْهُمْ إلى نظرائِهِم في علوِّ الرتبةِ بالأبياتِ الرقيقةِ الألفاظِ ، البديعةِ المعاني ؛ للاستشهادِ على الوقائعِ المكتوبِ بسببِها ، كما كتبَ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بَنُ عفانَ رضيَ اللهُ عَنْهُ حينَ تمالأَ عَلَيْهِ القومُ واجتمعوا على قتلِهِ إلى عليِّ بنِ

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٧/٦ ) .

(٢) هو العلامة القلقشندي في « صبح الأعشى » ( ٣٠٧/٦ ) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٧/٦ ) .

أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ <sup>(١)</sup> : **أَمَّا بَعْدُ** : فَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيُ ، وَجَاوَزَ الْحَزَامُ  
الطَّبِيبِينَ ، وَطَمَعَ فِي مَنْ تُعْجِزُهُ الْمَدَافِعَةُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ صَدِيقًا كُنْتُ  
أَوْ عَدُوًّا .

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَقِ <sup>(٢)</sup>  
وَكَمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِلَى  
مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فِي جَوَابِ كِتَابٍ لَهُ حِينَ جَرَى بَيْنَهُمَا التَّنَازُعُ فِي  
الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ كِتَابِهِ <sup>(٣)</sup> : وَزَعَمْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ ،  
وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغِيْتُ ، فَإِنْ يَكُ ذَلِكَ كَذَلِكَ . . فَلَيْسَتْ الْجَنَايَةُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ  
الْعَذْرُ إِلَيْكَ .

وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا <sup>(٤)</sup> .....

وَعَلَى ذَلِكَ جَرَى كَثِيرٌ مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ ، كَمَا حَكَى  
الْعَسْكَرِيُّ فِي « الْأَوَائِلِ » <sup>(٥)</sup> : أَنَّ أَهْلَ حَمَصَ وَثَبُوا بِعَامِلِهَا فَأَخْرَجُوهُ ، ثُمَّ  
وَثَبُوا بَعْدَهُ بِعَامِلٍ آخَرَ ، فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبَّاسٍ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا  
يُحَذِّرُهُمْ فِيهِ وَيَخْتَصِرَ ، فَكُتِبَ : **أَمَّا بَعْدُ** : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى مِنْ حَقِّ اللَّهِ  
تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا يُقَوِّمُ بِهِ مِنْ زِيغٍ وَيَلُمُّ مِنْ شَعَثٍ ثَلَاثًا يُقَدِّمُ بَعْضَهُنَّ أَمَامَ  
بَعْضٍ ؛ فَأَوْلَاهُنَّ : مَا يَسْتَظْهَرُ بِهِ مِنْ عِظَةِ وَحُجَّةٍ ، ثُمَّ مَا يَشْفَعُ بِهِ مِنْ تَحْذِيرٍ  
وَتَنْبِيهِ ، ثُمَّ الَّتِي لَا يَقَعُ حَسْمُ الدَّاءِ بِغَيْرِهَا .

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٨/٦ ) .

(٢) من الطويل .

(٣) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٨/٦ ) .

(٤) من الطويل ، وعزاه في « التذكرة الحمدونية » ( ١٨٦/٦ ) لأبي ذؤيب الهذلي ضمن أبيات ، والبيت  
بتمامه :

وَعَيَّرَهَا الْوَأْشُونَ أَنِّي أَجَبُهَا      وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا

(٥) الأوائل ( ٣٩٠/١ ) .

أَنَاةً فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعِيداً فَإِنْ لَمْ يُجِدِ أَجَدَتْ عَزَائِمُهُ<sup>(١)</sup>  
وَمَمَّنْ كَانَ كَثِيرَ التَّمَثُّلِ بِالشَّعْرِ فِي الْمُكَاتِبَاتِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
وَيَصْدُرُ إِلَيْهِ الْمُكَاتِبَاتُ كَذَلِكَ . . الناصر لدين الله .

**يُحْكِي :** أَنَّ الْمَلِكَ الْأَفْضَلَ عَلِيَّ بْنَ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ  
صَاحِبِ دِمَشْقَ حِينَ تَعَصَّبَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عَثْمَانُ وَعُمُّهُ الْمَلِكُ  
الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ . . كَتَبَ إِلَى النَّاصِرِ لَدِينِ اللَّهِ يَسْتَجِيشُهُ عَلَيْهِمَا كِتَاباً ، يَشِيرُ  
فِيهِ إِلَى مَا يَعْتَقِدُهُ الشَّيْعَةُ فِي أَنَّ الْحَقَّ فِي الْخِلَافَةِ كَانَ لَعَلِيٍّ ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ  
وَعَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَقَدَّمَا عَلَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ النَّاصِرُ يَمِيلُ إِلَى التَّشْيِيعِ  
وَكَتَبَ فِيهِ<sup>(٢)</sup> :

مَوْلَايَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ عُمَانٌ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ  
فَأَنْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْأُسْمِ كَيْفَ لَقِيَ مِنْ الْأَوَّخِرِ مَا لَاقَى مِنْ الْأَوَّلِ  
فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّاصِرُ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ وَكَتَبَ فِيهِ :

وَأَفَى كِتَابُكَ يَا بَنَ يَوْسُفَ نَاطِقاً بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرٌ  
غَضَبُوا عَلَيَّ حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ بِيْثَرٌ نَاصِرٌ  
فَأَصْبِرْ فَإِنَّ عَلَى الْإِلَهِ حِسَابَهُمْ وَأُبَشِّرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ  
وَعَلَى ذَلِكَ جَرَى الْمُلُوكُ الْقَائِمُونَ عَلَى خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُكَاتِبَاتِهِمْ  
أَيْضاً .

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ عَنْ مُعْزِ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ إِلَى عُدَّةِ الدَّوْلَةِ  
أَبِي تَغْلِبَ كِتَاباً يَذْكُرُ لَهُ فِيهِ خِلَافَ قَرِيبَيْنِ لَهُ لَمْ يُمْكِنُهُ مُسَاعَدَةُ أَحَدِهِمَا عَلَى

(١) من الطويل .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٩/٦ ) .



الْآخِرِ ، وَاسْتَشْهَدَ فِيهِ بِقَوْلِ الْمُتَلَمِّسِ <sup>(١)</sup> :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ      بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا  
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ      لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ يَبِينَا فَأَحْجَمَا

وعلى هذا النهج جرى الحال في الدولة الأيوبية بالديار المصرية ، كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى ديوان الخلافة ببغداد ، عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتاباً ليسلي الخليفة عنه ، وكان ممن أساء السيرة وأكثر القتل ، مُتمثلاً بالبيتين المقولين في أبي حفص الخلال وزير أبي العباس السفاح ، وكان يُعرف بوزير آل محمد <sup>(٢)</sup> : [من الكامل]

إِنَّ الْمَكَارَةَ قَدْ تُسَرُّ وَرُبَّمَا      كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرًا  
إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ      أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا

وكما كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون إلى صاحب اليمن في جواب تعزية أرسلها إليه في ولده الملك الصالح ، مع تعريضه في أمر له بأن الحروب ما تشغل عنها المصائب في الأولاد ، مستشهداً فيه بقوله <sup>(٣)</sup> :

إِذَا اُعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا      فَأَهْوَنُ مَا تَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين البيهقي رحمه الله عن الظاهر برقوق صاحب الديار المصرية جواباً لصاحب تونس من بلاد المغرب ، واستشهد فيه لبلاغة الكتاب الوارد عنه بقوله <sup>(٤)</sup> :

وَكَلَامٍ كَدَمْعٍ صَبٍّ غَرِيبٍ      رَقَّ حَتَّى الْهَوَاءُ يَكْثُفُ عِنْدَهُ

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٠٩/٦ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٣١٠/٦ ) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » ( ٣١٠/٦ ) .

(٤) انظر « صبح الأعشى » ( ٣١٠/٦ ) .

رَاقَ لَفْظاً وَرَقَّ مَعْنَى فَأُضْحَى كُلُّ سِحْرِ مِنْ أَلْبَاغَةِ عَبْدِهِ

وعلى ذلك جرث ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم ، كما كتب بعض  
كُتَّابِ السُّلْطَانِ ، أبو الحسن المريني ، عنه إلى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الناصر  
محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، كتاباً يخبره في خلاله أن صاحب  
بجاية خرج عن طاعته ، فغزاه وأوقع به وبجيشه حتى قمعه ، مستشهداً فيه  
بقول القائل <sup>(١)</sup> :

إِنْ عَادَتْ أَلْعَقْرُبُ عُذْنَا لَهَا وَكَانَتْ أَلْنَعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ

إلى غير ذلك من المكاتبات الملوكية التي لا تُحصى كثرة ، بل ربما وقع  
التمثُّلُ بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك إلى من دونهم وبالعكس ،  
كما حكى العسكري في « الأوائل » <sup>(٢)</sup> : أن رافعاً رفع كتاباً إلى الرشيد ،  
وكتب في أسفله :

إِذَا جِئْتُ عَاراً أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ فَتَنَفْسِي عَلَى نَفْسِي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوَنُ

فكتب إليه الرشيد كتاباً ، وكتب في أسفله :

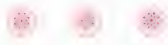
وَرَفْعُكَ نَفْساً طَالِباً فَوْقَ قَدْرِهَا يَسُوقُ لَكَ أَلْحَتَفَ أَلْمُعْجَلِ وَالذُّلَّ

**وبالجملة :** فمذاهب الناس في التمثُّل بالشعر في المكاتبات الملوكية  
مختلفة ، ومقاصدهم متباينة بحسب الأغراض ، ولذلك أورد الشيخ جمال  
الدين بن نباتة هذه المسألة في جملة سؤالاته التي سأل عنها كُتَّابُ الإنشاء  
بدمشق ، مخاطباً بها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو يومئذ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٦/٣١٠ - ٣١١) .

(٢) الأوائل (١/٣٩١) .

صاحب ديوان الإنشاء بها ، فقال<sup>(١)</sup> : وَمَنْ كَرِهَ الاستشهادَ في مكاتبة الملوكِ  
بالأشعارِ !؟ وكيف تركها على ما فيها مِنَ الآثارِ !؟



أما المُكاتباتُ الإخوانياتُ بالتهاني والتعازي والتزاويرِ والتهادي  
والمداعباتِ وسائرِ أنواعِ الرِّقاعِ في فنونِ المكاتباتِ . . فقد قالَ في « موادِّ  
البيانِ »<sup>(٢)</sup> : إِنَّهُ يجوزُ أَنْ تُودَعَ أبياتُ الشعرِ على سبيلِ التمثيلِ وعلى  
سبيلِ الاختراعِ ؛ مُحْتَجًّا بأنَّ الصَّدْرَ الأوَّلَ كانوا يستعملونَ ذلكَ في هذهِ  
المواضعِ ، وهذا الذي ذكره لا خفاءَ فيه ، وكتبَ الرسائلِ المدونةَ مِنْ كلامِ  
الْمُتَقَدِّمِينَ والمُتَأَخِّرِينَ مِنْ كُتَّابِ المشرقِ والمغربِ شاهدةً بذلكَ ، ناطقةً  
باستعمالِ الشعرِ في صدورِ المُكاتباتِ وأثناءِها ونهاياتِها ، ما بينَ البيتِ  
والبيتينِ فأكثرَ ، حتى القصائدِ الطَّوَالِ ، وأكثرُ ما يقعُ مِنْ ذلكَ البيتُ المفردُ  
والبيتانِ فما حولَ ذلكَ ، كما استشهدَ القاضي الفاضلُ في بعضِ مكاتباتِهِ  
في الشوقِ بقوله<sup>(٣)</sup> :

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ      وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي  
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا      وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي

وكما كتبَ أيضاً لبعضِ إخوانِهِ في جوابِ كتابٍ :

وَكَمْ قُلْتُ [ حَقًّا ] لَيْتَنِي كُنْتُ عِنْدَهُ      وَمَا قُلْتُ إِجْلَالًا لَهُ لَيْتَهُ عِنْدِي

وكما كتبَ في وصفِ كتابٍ وردَ عليه مستشهداً بقوله :

وَحَسِبْتُهُ وَالطَّرْفُ مَعْقُودٌ بِهِ      وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدَا لَوَجْهِ مُجِبِّهِ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٣١١/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٣١١/٦) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » (٣١١/٦ - ٣١٢) .

إلى غير ذلك مِنَ المَكاتِبِ التي لا يأخذُها حصْرٌ ، ولا تدخلُ تحتَ حدِّ .

انتهى ما أردتُ نقلُهُ مِنْ كتابِ « صبح الأعشى » في هذا الموضع ، وإنما أوردتُهُ بصورتِهِ مَعَ قابليَّتِهِ للاختصارِ ؛ لأكونَ قد أحضرتُ ذَهَنَكَ كلاماً لمؤلفٍ جليلٍ في التعريفِ بصناعةِ الإنشاءِ ، يكونُ لَهُ مجالٌ بعدَ فهمِهِ ، واعتباراً ما يرشدُ إليه أن يحاولَ تهذيبَ عبارةٍ تفيدُ معناه ، وتبينُ مغزاهُ .

ثمَّ إِنَّهُ ليسَ الغرضُ مِنْ إيقافِكَ عليه أَنَّكَ تَتَّبِعُ كُلَّ ما يأمُرُكَ بِهِ ويُنبِّهُكَ عليه دونَ أن تَسْتَعْمِلَ ذوقَكَ في الاستحسانِ ، وأنتَ مستندٌ إليه مسترشدٌ به ، حتى تخرجَ مِنْهُ إلى ما يناسبُ وقتَكَ ، ويستصوبُهُ أَهْلُ عصرِكَ الذينَ أحوالُكَ مربوطَةٌ بأحوالِهِمْ ، ومنافعُكَ معقودةٌ برضاَهُمْ ، فلكلِّ مقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ .



**هَذَا ؛** وإذا أردتَ استيفاءَ معرفةِ اختلافِ اصطلاحِ الكُتَّابِ في كلِّ عصرٍ مِنَ العصورِ الخاليةِ في فواتحِ الكتبِ وخواتمِها ، وما يَخْتَصُّ بكلِّ نوعٍ مِنْ أنواعِ المَكاتِبِ . . فالموجودُ مِنْ كتابِ « صبح الأعشى » بدارِ الكتبِ الكبيرةِ يكفيكَ لهذا الغرضِ .



## الجهة الثالثة

[ في ذكر أمثلة معينة لفهم هذه الصناعة ]

في أمثلة تستعينُ بتفهّمها وتأملِ سياقاتها مِنْ فواتحها إلى خواتمها على تربية ذهنك في هذه الصناعة ، واختيار ما يرشدك الله لاختياره ؛ مِنْ مذهب تذهبه في تأليف الكلام ، وتنويعه على حسب طبقات مَنْ تكائبهم ، وكفى هذه الصناعة شرفاً أن كان ابتداءً تمثيلها بما صدرَ عن حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومنه تعرف حق المعرفة كيف يختلف حال الكتابة باختلاف حال المكتوب إليه .

[ كتاب رسول الله ﷺ لقيصر الروم ]

**فمن كتبه للعجم** - وبعضها يشبه بعضاً - كتابه الصادر لقيصر الروم يدعوهُ إلى الإسلام ، **وهذه صورته** : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى ، **أَمَّا بَعْدُ** : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ . . فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ، وَ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ » (١) .

[ كتاب رسول الله ﷺ لكسرى ملك الفرس ]

**ومنها** : كتابه الصادر إلى كسرى ملك الفرس في ذلك الغرض ، **وهذه**

(١) سورة آل عمران : ( ٦٤ ) ، والحديث أخرجه البخاري ( ٧ ، ٢٩٤١ ) ، ومسلم ( ١٧٧٣ ) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا أبي سفيان رضي الله عنه .



**صورته :** « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَبَعَ  
وَأَمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى  
النَّاسِ كَافَّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَأَسْلِمَ تَسْلَمَ ؛  
فَإِنْ تَوَلَّيْتَ . . فَإِنَّ [ إِنَّمَا ] الْمَجُوسِ عَلَيْكَ » <sup>(١)</sup> .

فَكَانَ الْاِفْتِتَاحُ بـ ( مِنْ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ ) سُنَّةً ، سَوَاءٌ كَانَتْ الْكِتَابَةُ مِنْ رَئِيسٍ  
أَوْ مَرْوُوسٍ ، حَتَّى كَتَبَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبْشَةِ : إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ  
النَّجَاشِيِّ ، وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ فِي نَاحِيَةٍ : لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ  
خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَكَانَتْ سُنَّةً ثَانِيَةً تَزِمُهَا النَّاسُ بَعْدُ فِي خُطَابِ الْمَرْوُوسِ  
لِلرَّئِيسِ ؛ لِمَا تَجَدَّدَ مِنَ الْعِظَمَةِ الْمَلِكِيَّةِ وَالْجَلَالَةِ السُّلْطَانِيَّةِ .

### [ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَكِيدَرَ صَاحِبِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ ]

**وَمِنْ كُتُبِهِ لِلْعَرَبِ :** كِتَابُهُ الصَّادِرُ لِأَكِيدَرَ صَاحِبِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ ، **وهذه**  
**صورته :**

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِأَكِيدَرَ ، حِينَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ  
وَالْأَصْنَامَ ، مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ سَيْفِ اللَّهِ فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَأَكْنَافِهَا : إِنَّ لَنَا  
الضَّاحِيَةَ مِنَ الضَّحْلِ ، وَالْبُورَ وَالْمَعَامِي وَأَغْفَالَ الْأَرْضِ ، وَالْحَلَقَةَ وَالسِّلَاحَ  
وَالْحَافِرَ وَالْحِصْنَ ، وَلَكُمْ الضَّامِنَةَ مِنَ النَّخْلِ ، وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ ،  
لَا تُعْزَلُ سَارِحَتُكُمْ ، وَلَا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ ، وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ ،  
تُقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا ، وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ  
وَالْمِيثَاقُ » <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني ( ١٤/٥ - ١٥ ) .

(٢) انظر « الروض الأنف » ( ٣٩٧/٧ - ٣٩٨ ) .

## تفسير ألفاظه وبيان مقصوده :

**الأنادُ :** جمع نَدَّ بكسر النون ؛ وهو ضدُّ الشيء الذي يخالفُه في أمره ،  
**وينادُهُ ؛** أي : يخالفُه ، مأخوذٌ مِنْ نَدَّ البعيرُ ؛ إذا شردَ ، **والمرادُ :** ما كانوا  
يتخذونه آلهةً مِنْ دونِ الله .

**والأصنامُ :** جمع صَنَمٍ ؛ وهو ما اتَّخَذَ إلهاً مِنْ دونِ الله ، وقيلَ : ما كانَ له  
جسمٌ أو صورةٌ ، فإن لم يكنْ له جسمٌ ولا صورةٌ . . فهو وثنٌ .

**والأكنافُ** بالنون : جمعُ كَنَفٍ بالتحريك ، وهو الجانبُ والناحيةُ .

**والضَّاحيةُ** بالضَّادِ المعجمةِ والحاءِ المهملةِ : الناحيةُ البارزةُ التي لا حائلَ  
دونَها ، **والمرادُ هنا :** أطرافُ الأرضِ .

**والضَّحْلُ** بفتحِ الضَّادِ المعجمةِ وسكونِ الحاءِ المهملةِ : القليلُ مِنَ الماءِ ،  
وقيلَ : الماءُ القريبُ مِنَ المكانِ ، وبالتحريكِ : مكانُ الضحْلِ .

**والبورُ :** الأرضُ التي لم تُزْرَعْ ؛ وهو بالفتحِ مصدرٌ وصفَ بهِ .

**والمعامي :** المجهولةُ مِنَ الأرضِ ، التي ليسَ فيها أثرُ عمارةٍ ، واحداً  
معمى .

**وأغفالُ الأرضِ** بالغينِ المعجمةِ والفاءِ : الأرضُ التي ليسَ فيها أثرٌ يُعرَفُ ؛  
كأنَّها مغفولٌ عنها .

**والحلقةُ** بسكونِ اللامِ : السلاحُ عاماً ، وقيلَ : الدروعُ خاصاً .

**والسِّلاحُ :** ما أُعِدَّ للحربِ مِنْ آلةِ الحديدِ ممَّا يُقاتَلُ بهِ ، والسيفُ وحدهُ  
يُسَمَّى سلاحاً .

**والضَّامنةُ مِنَ النخلِ** بالضَّادِ المعجمةِ والنونِ : ما كانَ داخلياً في العمارةِ  
مِنَ النخيلِ وتضمَّنَتْهُ أمصارُهم وقراهم ، وقيلَ : سُمِّيَتْ ضامنةً لأنَّ أربابها

ضمنوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضمان ، كعيشة راضية ؛ بمعنى : ذات رضا .

**والمعين من المعمور** : الماء الذي ينبع من العين في العامر من الأرض .

وقوله : ( **لا تعزل ساحتكم** ) بالزاي المعجمة ؛ أي : لا تصرف ماشيتكم وتُمال عن الرعي ، ولا تمنع .

وقوله : ( **ولا تعد فاردتكم** ) أي : لا تضم إلى غيرها وتُحشر إلى الصدقة حتى تعد مع غيرها وتُحسب ، **والفردة** : الزائدة على الفريضة .

**ولا يحظر عليكم النبات** بالطاء المعجمة ؛ أي : لا تمنعون من الزرع والمرعى حيث شئتم .

**والحظر** : المنع ، **ومقصوده** : تمييز ما يكون للسلطان فيه إطلاق التصرف وليس داخلاً في حوزة أحد من غيره وإعلامهم بذلك .

**ومعنى كون الحلقة والحافر والحصن للسلطان** : أنه متى أمر باستعمالها في الجهاد .. وجب عليهم الامتثال حسب ما يؤمرون به وإن كانت لهم ملكاً اختصاصياً ، بخلاف الأشياء المتقدمة .

[ **كتاب رسول الله ﷺ لوائل بن حُجر رضي الله عنه مع تفسير ألفاظه** ]

**ومنها** : كتابه الصادر لوائل بن حُجر أحد عظماء حضرموت وأمثاله منهم ، **وهذه صورته** : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ وَالْأَرْوَاعِ الْمَشَايِبِ ، [ وفيه ] : وَفِي التَّيْعَةِ شَاةٌ ، لَا مَقْوَرَةَ الْأَلْيَاطِ ، وَلَا ضِنَاكٌ ، وَأَنْطُوا التَّبَجَةَ ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمُسُ ، وَمَنْ زَنَى مِنْ أُمَبَكْرٍ .. فَأَصْقَعُوهُ مِئَةً ، وَأَسْتَوْفُّوهُ عَاماً ، وَمَنْ زَنَى مِنْ أُمَثِيبٍ .. فَضَرِّجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ ، وَلَا تَوْصِيمَ

فِي الدِّينِ ، وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَائِلُ بَنٍ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ عَلَى الْأَقْيَالِ » (١) .

**تفسير ألفاظه :**

**الأقيال :** جمعُ قَيْلٍ بفتح فسكونٍ ؛ الملكُ أو مَنْ يَنُوبُ عنه إذا غابَ ،  
**والمرادُ في الحديث :** الأوَّلُ .

**والعباهلة :** في « القاموس » : ( **العباهلة** : المقرَّونَ على ملكِهِم ، فلم يُزالوا عنه ) (٢) .

**والأرواغ :** جمعُ رَائِعٍ ، مِنْ رَاعَ ؛ أي : أَفْرَعَ مَنْ رَأَاهُ لجمالِهِ أو جلالِهِ .  
**والمشاييب :** جمعُ مشبُوبٍ ؛ وهوَ الجميلُ الزاهرُ اللونِ ؛ مِنْ شَبَّ النارُ ؛  
الْهَبَّهَا .

**والتَّيعةُ** بكسر فسكونٍ : أربعونَ شاةً ، وتُطْلَقُ على أدنى ما تجبُ فيه  
الصَّدقةُ مِنَ الحيوانِ .

**والمُقَوَّرةُ الألياط :** المسترخيةُ الجلودِ مِنْ أقورَ .

**واللَّيْطُ** بكسر فسكونٍ ، **والضَّنَّاكُ** بزنةٍ كِتَابٍ : الموثقةُ الخلقُ السمينَةُ ؛  
أي : شاةُ الصَّدقةِ لا تكونُ مِنَ المهازيلِ ولا مِنَ الكرائمِ ، بل تكونُ وسطاً ،  
وهوَ المرادُ بقوله : **وأنطوا الثَّبَجَةَ** ؛ أي : أعطوا ، بالنونِ مكانَ العينِ ؛ وهي  
لغثُهم ، **والتَّبَجَةُ** بفتحَتَيْنِ : الوسطُ ، ومنهُ : ثبجُ البحرِ .

**السُّيُوبُ :** جمعُ سِيْبٍ ؛ وهوَ العطيةُ ، **وأريدَ به في الحديث :** الرِّكَازُ ؛ وهوَ  
دفينُ الجاهليةِ .

(١) انظر « الشفا » ( ص ١١٨ - ١١٩ ) .

(٢) القاموس المحيط ( ١٨/٤ ) ، مادة ( ع ب ه ل ) .

وفي قوله : ( مِنْ أَمْبَكِرٍ ) و ( مِنْ أَمْثِيبٍ ) جرى على لغتهم مِنْ إبدالِ لامِ التعريفِ ميمًا .

**والصقُعُ** : الضَّرْبُ ، والاستيفاضُ : التغريبُ ، والأضاميمُ : الحجارةُ الصغارُ ، والتوصيمُ : الفترةُ والتواني ، وترَفَّلَ عليهم : ترأسَ .

**وقد رُوِيَ هذا الكتابُ بصورةٍ أخرى ؛ وهي هذه :** « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ ؛ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ؛ عَلَى التَّيَعَةِ الشَّاءِ ، وَالتَّيْمَةِ لِصَاحِبِهَا ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ ، لَا خِلَاطَ وَلَا وَرَاطَ ، وَلَا شَنَاقَ وَلَا شِغَارَ ، وَمَنْ أَجَبَى .. فَقَدْ أَرَبَى ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » <sup>(١)</sup> .

**التيمةُ** : بكسرٍ فسكونٍ ، وبالهَمْزِ بدلَ الياءِ لغةٌ : ما زادَ على الفريضةِ حتى تبلغَ الفريضةُ الأخرى ، أو هي غيرُ السائمةِ .

**والخِلَاطُ** : أَنْ يَخْلِطَ الرَّجُلُ مَالَهُ بِمَالِ غَيْرِهِ لَتَسْقُطَ عَنْهُ الزَّكَاةُ .

**والوراطُ** : أَنْ يَخْفِيَهُ فِي وَرْطَةٍ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَرَاهُ السَّاعِي .

**والشَّنَاقُ** : المشاركةُ فِي الشَّنَقِ بفتحَتَيْنِ ؛ وَهُوَ الْعَفْوُ بَيْنَ الْفَرِضَتَيْنِ .

**والشِّغَارُ** : نِكَاحٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ وَهُوَ أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ مِنْ رَجُلٍ وَيَتَزَوَّجَ ابْنَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ أَوْ أُخْتُهُ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ بُضْعُ كُلِّ مِنْهُمَا صَدَاقَ الْأُخْرَى .

وقوله : ( وَمَنْ أَجَبَى .. فَقَدْ أَرَبَى ) قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : إِنَّ الْإِجْبَاءَ هُوَ بَيْعُ الزَّرْعِ قَبْلَ بَدْوِ صِلَاحِهِ ، أَوْ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ سَلْعَةً بِثَمَنِ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ يَشْتَرِيهَا بِأَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ الثَّمَنِ ، وَأَرَبَى : وَقَعَ فِي الرِّبَا .

(١) انظر « أسد الغابة » ( ٥٠ / ٣ ) .



وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ تَقِفُ عَلَى أَصْلٍ ؛ وَهُوَ أَنَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ ..  
يُمَدَّحُ بِإِيرَادِ صِفَاتِهِ الْكَمَالِيَةِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ ، كَمَا جَرَى عَلَيْهِ الْعَمَلُ  
بَعْدُ .

### [ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

وَمِنْ كُتُبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ : كِتَابُهُ الصَّادِرُ لِخَالِدِ بْنِ  
الْوَلِيدِ جَوَاباً عَنْ كِتَابِهِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِ بَنِي الْحَارِثِ ، وَقَدْ  
أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ، وَهَذِهِ صَوْرَتُهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،  
سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ كِتَابَكَ  
جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ يُخْبِرُنِي أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ ،  
وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَشَهِدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِهَدَاهُ ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ  
وَلْيُقْبَلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » (١) .

### [ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى ]

وَكِتَابُهُ الصَّادِرُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى ، وَكَانَ عَامِلاً لِلْفُرْسِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ،  
وَهَذِهِ صَوْرَتُهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ،  
فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَذْكُرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحُ .. فَإِنَّمَا يَنْصَحُ  
لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِيعُ رُسُلِي وَيَتَّبِعُ أَمْرَهُمْ .. فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ نَصَحَهُمْ ..  
فَقَدْ نَصَحَ لِي ، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا ، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٥٩٣/٢) .

قَوْمِكَ ، فَاتَّزَكَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، فَأَقْبَلَ لَهُمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحَ . . لَنْ نَعْزِلَكَ ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى مَجُوسِيَّتِهِ . . فَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ » (١) .

وقوله : ( **أحمدُ إليك** ) على تقدير مُتَوَجِّهًا إليك .

وعلى صُورِ كتبه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم جرى عملُ الخلفاء الراشدين ، ولم يكنْ يُذكرُ في صدورِ الكتبِ بعدَ الحمدِ الصلاةُ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، حتى زادها الرشيدُ ، وعُدَّتْ مِنْ مناقِبِهِ ، فكانَ يكتبُ : ( أحمدُ إليك اللهُ ، وأسألهُ أنْ يصليَ . . . ) .

### [ **كتابُ سيدنا أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأهلِ الرِّدَّةِ** ]

**وَمِنْ كُتُبِ الخلفاءِ :** كتابُ الصِّديقِ رضيَ اللهُ عنه لأهلِ الرِّدَّةِ حينَ وَلِيَ الخلافةَ ، ورجَعَ كثيرٌ مِنَ العربِ عن الإسلامِ ، **وهذه صورتهُ :** ( مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ أَوْ خَاصَّةٍ ، أَقَامَ عَلَى الإِسْلَامِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأُقِرُّ بِمَا جَاءَ بِهِ .

**أَمَّا بعدُ :** فَإِنَّ اللهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مَنِيرًا ؛ لِيَنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يَهْدِي اللهُ لِلْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِذْنِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى الإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا .

(١) انظر « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني ( ٣٤/٥ - ٣٦ ) .

ثُمَّ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نَفَذَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ،  
 وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي  
 أَنْزَلَهُ ؛ فَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ  
 الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ  
 خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ  
 فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا . . فَإِنَّ  
 مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . . فَإِنَّ اللَّهَ بِالْمِرْصَادِ ،  
 حَيٌّ قَيُّومٌ ، لَا يَمُوتُ ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، حَافِظٌ لِأَمْرِهِ ، مُنْتَقِمٌ مِنْ عَدُوِّهِ  
 بِحَزْبِهِ .

وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَحِطِّكُمْ وَنَصِيحِكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ،  
 وَأَنْ تَهْتَدُوا بِهِدِيهِ ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِدِينِ اللَّهِ ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ . . ضَلَّ ،  
 وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَعَافِهِ مَبْتَلًى ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَنْصُرْهُ مَخْذُولٌ ؛ فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ . .  
 كَانَ مَهْدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ . . كَانَ ضَالًّا ، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ . . فَهُوَ الْمَهْتَدِي ، وَمَنْ  
 يَضِلُّ . . فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يُقَرَّرَ  
 بِهِ ، وَلَمْ يُقْبَلْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ .

وَقَدْ بَلَغَنِي رَجُوعُ مَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقَرَّ بِالْإِسْلَامِ وَعَمَلَ  
 بِهِ ؛ اغْتِرَارًا بِاللَّهِ ، وَجَهَالَةً بِأَمْرِهِ ، وَإِجَابَةً لِلشَّيْطَانِ ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ :  
 ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ  
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وَقَالَ

(١) سورة الزمر : ( ٣٠ ) .

(٢) سورة الأنبياء : ( ٣٤ ) .

(٣) سورة آل عمران : ( ١٤٤ ) .

(٤) سورة الكهف : ( ٥٠ ) .

جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكِرَّ عَدُوٍّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١) .

وَإِنِّي نَفَذْتُ إِلَيْكُمْ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، وَأَمَرْتُهُ إِلَّا يِقَاتِلَ أَحَدًا وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى  
دَاعِيَةِ اللَّهِ ؛ فَمَنْ اسْتَجَابَ وَأَقَرَّ وَكَفَّ وَعَمَلَ صَالِحًا . . قُبِلَ مِنْهُ ، وَأَعَانَهُ  
عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَبَى . . أَنْ يِقَاتِلَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَبْقِيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَرٌ  
عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُحْرِقَهُمُ بِالنِّيرَانِ ، وَيَقْتُلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ، وَيَسْبِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَ ،  
وَلَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِسْلَامَ ؛ فَمَنْ آمَنَ . . فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ تَرَكَهُ . . فَلَنْ  
يُعْجِزَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ ، وَالدَّاعِيَةُ  
الْأُذَانُ ؛ فَإِنْ أَذَّنَ الْمُسْلِمُونَ فَأَذَّنُوا . . كَفُّوا عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يُؤْذِنُوا . . سَأَلُوهُمْ  
مَا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَبَوْا . . عَاجَلُوهُمْ ، وَإِنْ أَقْرَأُوا . . قُبِلَ مِنْهُمْ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا  
يَنْبَغِي لَهُمْ ) (٢) .

وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ تَسْتَدِلُّ عَلَى جَوَازِ تَحْلِيَةِ الْكَلَامِ بِبَعْضِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ ،  
وَتَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْاِقْتِبَاسِ وَالِاسْتِشْهَادِ ، وَتَنْظُرُ كَيْفَ تَسْتَعْمِلُ الشِّدَّةَ فِي  
مَوْضِعِهَا .

### [ كِتَابُ سَيِّدِنَا عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِعَمْرِ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ]

**صورة كتاب صدر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - وهو أول**  
مَنْ وَضَعَ هَذَا اللَّقَبَ لِلْخَلِيفَةِ ، وَكَانَ قَبْلُ يَكْتَبُ : مِنْ خَلِيفَةِ خَلِيفَةِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَطَالَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُ ،  
فَإِنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُكْرَرَ بِقَدَرِ عَدَدِ سَلَفِهِ - إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ عَامِلٌ عَلَى

(١) سورة فاطر : (٦) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢٥٠ - ٢٥١) .

مَصْرَ مِنْ طَرَفِهِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ .

**أَمَّا بَعْدُ :** فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ فَشَيْتَ لَكَ فَاشِيَةً مِنْ خَيْلٍ وَإِبِلٍ وَبَقَرٍ وَعَبِيدٍ ، وَعَهْدِي بِكَ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا مَالَ لَكَ ، فَاصْبِرْ إِلَيَّ : مِنْ أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الْمَالِ <sup>(١)</sup> .

### [ جَوَابُ سَيِّدِنَا عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

**جَوَابُ عَمْرِو عَنْ هَذَا الْكِتَابِ :** لِعَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

**أَمَّا بَعْدُ :** فَإِنَّهُ أَتَانِي كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَذْكُرُ فِيهِ فَاشِيَةً مَالٍ فَشَا لِي ، وَإِنَّهُ يَعْرِفُنِي قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا مَالَ لِي ، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي بَبْلِدِ السَّعْرِ فِيهِ رَخِيسٌ ، وَإِنِّي أَعَالِجُ مِنَ الزَّرَاعَةِ مَا يَعَالِجُهُ النَّاسُ ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةً ، وَوَاللَّهِ ؛ لَوْ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ حَلَالًا . . مَا خَنَيْتُكَ ، فَأَقْصِرْ أَثْمَارَهَا الرَّجُلُ ؛ فَإِنَّ لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ إِنْ رَجَعْنَا إِلَيْهَا . . عَشْنَا بِهَا ، وَلَعَمْرِي ؛ إِنَّ عِنْدَكَ مَنْ لَا يَذُمُّ مَعِيشَةً ، وَلَا تُذَمُّ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ . . لَمْ يَفْتَحْ لَكَ قَفْلًا ، وَلَمْ يَشْرُكَكَ فِي عَمَلٍ .

يُرِيدُ عَمْرٌ ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي جَرَتْ عَادَةٌ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ أَلَّا يَسْتَنْكِفُوا مِنْ خِدْمَتِهِمْ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَحْصَلَ لَهُ الْغِنَى بِذَلِكَ الطَّرِيقِ دُونَ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا ، وَفِي آخِرِ الْكَلَامِ اسْتَشْهَدَ بِمَنْ حَصَلَ لَهُ الْغِنَى بِتِلْكَ الطَّرِيقِ مِنْ أَهْلِهِ ؛ كَعَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر « العقد الفريد » ( ٤٦ / ١ ) .

(٢) انظر « العقد الفريد » ( ٤٧ / ١ ) .



## [ كِتَابُ سَيِّدِنَا عِثْمَانَ لَسَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ]

**صورة كِتَابِ صدرَ مِنْ أميرِ المؤمنينَ عِثْمَانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنه إلى عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وكانَ خرجَ إلى الينبعِ ، وقد أحاطَ الناسُ بعِثْمَانَ ، وهي هَذهُ : أمَّا بعدُ :** فقد بلغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ، وجاوزَ الحزامَ الطُّبْيَيْنِ ، وطَمَعَ فِي كُلِّ مَنْ كانَ يَضَعُفُ عن نَفْسِهِ ، ولم يَغْلِبْكَ مثْلُ مغلبٍ ، فأقبلَ إليَّ صديقاً كنتَ أو عدواً .

<sup>(١)</sup> فَإِنْ كُنْتَ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَرَ **الزُّبْيَةُ** بضم فسكون : حفرةٌ تُعْمَلُ في رأسِ جبلٍ على طريقِ السَّبْعِ ، وتُغَطَّى بغطاءٍ خفيفٍ ليسقطَ السَّبْعُ في الحفرةِ إذا مرَّ عليه ، وهي مِنْ طرقِ صيدهِ ، وهي مثْلُ لبلوغِ الشَّرِّ غايةً بعيدةً ، وكذلك مجاوزةُ الحزامِ الطُّبْيَيْنِ ؛ وهو مثنى طُبْيٍ بكسر أو ضم فسكون ، حلمةُ الضَّرْعِ مِنْ ذَوَاتِ الخُفِّ والحافرِ والظِّلْفِ ، وقولُهُ : ( **لَمْ يَغْلِبْكَ مثْلُ مغلبٍ** ) قطعةٌ مِنْ قولِ امرئِ القيسِ <sup>(٢)</sup> :

[ من الطويل ]

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ .

وكفأكَ هَذا القَدْرُ مثلاً لِمَا كانَ عليه كَتَبَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وخلفائِهِ رضيَ اللهُ عنهم قَبْلَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وأمَّا هو . . فكلامُهُ البحرُ الذي لا ساحلَ لَهُ ، وإذا اطلعتَ عليه . . عرفتَ كيفَ تَصَرَّفَ أمراءُ الكلامِ في البلاغةِ .

وقد جمعَ الشريفُ الرضِيُّ مِنْ كلامِهِ مجموعاً صالحاً سَمَّاهُ « نهجِ

(١) تقدم (٢٩٥/٤) ، وانظر « تاريخ المدينة » لابن شبة (١١٩٩/٤) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٤٤ ) .

البلاغة» ، وشرحه ابنُ أبي الحديدِ شرحاً كبيراً في مُجلّداتٍ كثيرةٍ ، فمن أرادَ توفيرَ حظِّه وشحنَ خاطره منَ أشرفِ الكلامِ بعدَ القرآنِ وحديثِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم . . فليطلبْ ذلكَ الكتابَ ، ويقرأهُ بتأمُّلٍ لألفاظِهِ ، وتفهُّمٍ لأغراضِهِ ، ولا بأسَ أنْ نوردَ لكَ منه ما يكونُ داعياً لبذلِ جهدِكَ في طلبِهِ .

### [ كِتَابُ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلأَشْتَرِ النَخَعِيِّ ]

هذه صورةٌ عهدٍ كتبه كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ لمالكٍ المعروفِ بالأشترِ النخعيِّ - وهو منَ أجلِّ أصحابِهِ ، وكانَ يقولُ فيه : مالكٌ لي كما كنتُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - حينَ أرسلَهُ والياً على مصرَ <sup>(١)</sup> :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا ما أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ حينَ وُلَّاهُ مَصْرَ جَبَايَةَ خَرَايجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَإِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا .

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّبَاعِ ما أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَاحَاتِ ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ .

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مالِكُ : أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ دَوْلًا قَبْلَكَ مِنْ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٣٠ - ١١٧ ) .

عدلٍ أو جورٍ ، وأنَّ الناسَ ينظرونَ في أمورِكَ في مثلِ ما كنتَ تنظرُ فيه مِن أمورِ الولاةِ قبْلَكَ ، ويقولونَ فيكَ كما كنتَ تقولُهُ فيهِم ، وإنَّما يُستدلُّ على الصالحينَ بما يُجري اللهُ لَهُم على السنةِ عبادِهِ ، فليكنَ أحبَّ الذَّخائرِ إِلَيْكَ ذخيرةَ العملِ الصالحِ ، فاملكِ هواكَ ، وشحَّ بنفسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ بالنفسِ الإنصافُ منها فيما [ أَحَبَّتْ ] وكرهَتْ .

وأشعر قلبَكَ الرحمةَ للرعيَّةِ ، والمحبةَ لَهُم ، واللفظَ بِهِم ، ولا تكونَنَّ عليهم سَبْعاً ضارياً تغتنمُ أَكْلَهُم ؛ فَإِنَّهُم صنفانِ : إمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، وإمَّا نظيرُكَ فِي الخلقِ ، يفرطُ مِنْهُم الزَّلُّ ، وتعرضُ لَهُم العِللُ ، ويؤتى على أيديهِم في العمدِ والخطأِ ، فأعطِهِم مِنْ عَفْوِكَ وصفحكِ مثلَ الذي تُحِبُّ وترضى أن يعطيكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وصفحِهِ ؛ فَإِنَّكَ فوقَهُم ، ووالِي الأمرِ عَلَيْكَ فوقَكَ ، واللهُ فوقَ مَنْ وَلَّاكَ ، وقد استكفأكِ أمرَهُم ، وابتلاكِ بِهِم .

ولا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لحربِ اللهِ ؛ فَإِنَّهُ لا يَدِي لَكَ بنقمتِهِ ، ولا غنى بكَ عن عَفْوِهِ ورحمتهِ ، ولا تَنْدَمَنَّ على عَفْوٍ ، ولا تَجْنَحَنَّ بعقوبةٍ ، ولا تُسرِعَنَّ إلى بادرةٍ وجدتَ عنها مندوحةً ، ولا تقولَنَّ : إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إدغالٌ فِي القلبِ ، ومنهكةٌ لِلدِّينِ ، وتقَرُّبٌ مِنَ الغيرِ .

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أو مَخِيلَةً .. فانظرِ إِلَى عَظَمِ مُلْكِ اللهِ فوقَكَ ، وقدرتِهِ مِنْكَ على ما لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَطْمِئِنُّ إِلَيْكَ مِنْ طُمَاحِكَ ، وَيَكْفُفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ ، وَيُضِيءُ إِلَيْكَ مِمَّا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ ، وَإِيَّاكَ وَمَسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ ، والتشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَروتِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ .. تَظْلَمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ .. كَانَ اللهُ

خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ . . أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ .

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نَقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظَلَمٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وَلِيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مُؤَنَّةً فِي الرِّخَاءِ ، وَأَقْلَلُ مُعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلإِنصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالِإِلْحَافِ ، وَأَقْلَلُ شُكْرًا عِنْدَ الإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عِذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ . . مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ . . الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلِيَكُنْ صَغُوكَ لَهُمْ <sup>(١)</sup> ، وَمِيلُكَ مَعَهُمْ ، وَلِيَكُنْ أَبْعَدُ رِعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنُوهُمْ عِنْدَكَ . . أَطْلِبْهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عَيْوَبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ ، فَاسْتِرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ . . يَسْتِرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَحَبُّ سِتْرَهُ مِنْ رِعِيَّتِكَ .

أَطْلُقْ عَنِ النَّاسِ عَقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ ، واقطعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتَرٍ ، وَتَغَابَ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ ، وَلَا تَعَجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيَالًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبَخْلَ وَالْجَبْنَ وَالْحَرَصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ .

شَرُّ وَزَرَائِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لِلْأَشْرَارِ [ وَزِيرًا ] وَمَنْ شَرَكَهُمْ فِي الْإِثَامِ ، فَلَا

(١) فِي « شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » ( ٣٥ / ١٧ ) : ( صَفُوكَ ) .

يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةٌ ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ ؛ مِمَّنْ لَهُمْ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ ؛ مِمَّنْ لَا يِعَاوُنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ ، أَوْلَئِكَ أَخْفَتْ عَلَيْكَ مَوْنَةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا ، وَأَقْلُّ لَغَيْرِكَ الْفَاءَ ، فَاتَّخِذْ أَوْلَئِكَ خَاصَّةً لَخُلُوتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ أَثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ لَكَ بِمَرِّ الْحَقِّ ، وَأَقْلَهُهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ .

وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ ، وَلَا يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ ، وَتَدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ .

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَنْذِيرًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ ، وَالزِّمَ كَلَّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ .

**واعلم :** أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حَسَنِ ظَنِّ وَالِ بَرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤَنَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ ، فَلِيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْمَعُ لَكَ حَسْنَ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّ حَسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ . . لَمَنْ حَسُنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ . . لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ .

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صَدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلُفَّةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرِّعْيَةُ ، وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضَرُّ بِشَيْءٍ مِمَّا مَضَى مِنْ تِلْكَ السَّنَنِ ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّاها ، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ ؛ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ .



**واعلم:** أَنَّ الرعيَّةَ طبقاتٌ لا يَصْلُحُ بعضها إِلَّا ببعضٍ ، ولا غنى ببعضها عن بعضٍ ؛ فمنها جنودُ الله ، ومنها كتابُ العامَّةِ والخاصَّةِ ، ومنها قضاةُ العدلِ ، ومنها عمالُ الإنصافِ والرفقِ ، ومنها أهلُ الجزيةِ والخراجِ مِنْ أهلِ الذِّمَّةِ ومسلمةِ الناسِ ، ومنها التجَّارُ وأهلُ الصِّناعاتِ ، ومنها الطَّبقةُ السفلى مِنْ ذوي الحاجةِ والمَسْكَنَةِ ، وكلُّ قد سَمَّى اللهُ سهمَهُ ، ووضعَ على حَدِّهِ وفريضَتِهِ في كتابِهِ أو سُنَّتِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عهداً مِنْهُ عندنا محفوظاً .

فالجنودُ بإذنِ الله حصونُ الرعيةِ ، وزينُ الولايةِ ، وعزُّ الدينِ ، وسبُلُ الأمنِ ، وليسَ تقومُ الرعيَّةُ إِلَّا بهم ، ثمَّ لا قوامَ للجنودِ إِلَّا بما يُخْرِجُ اللهُ تعالى لَهُمْ مِنَ الخراجِ الذي يَقَوُّونَ بِهِ في جهادِ عدوِّهِمْ ، ويعتمدونَ عليه فيما أَصْلَحَهُمْ ، ويكونُ مِنْ وراءِ حاجَتِهِمْ ، ثمَّ لا قوامَ لهذَيْنِ الصنفينِ إِلَّا بالصنفِ الثالثِ مِنَ القضاةِ والعُمالِ والكَتَّابِ ؛ لِمَا يحكمونَ مِنَ المعاهدِ ، ويجمعونَ مِنَ المنافعِ ، ويؤتمنونَ عليه مِنْ خواصِّ الأمورِ وعوامِها ، ولا قوامَ لَهُمْ جميعاً إِلَّا بالتجَّارِ وذوي الصِّناعاتِ فيما يجتمعونَ عليه مِنْ مرافِقِهِمْ ، وقيَمونَهُ مِنْ أسواقِهِمْ ، ويكفونَهُمْ مِنَ الترفُّقِ بأيديهِمْ ، ممَّا لا يبلغُهُ رفقُ غيرِهِمْ ، ثمَّ الطَّبقةُ السفلى مِنْ أهلِ الحاجةِ والمَسْكَنَةِ الذينَ يَحِقُّ رَفْدُهُمْ ومعونَتُهُمْ ، وفي الله لكلِّ سعةٌ ، ولكلِّ على الوالي حقٌّ بقدرِ ما يُصْلِحُهُ .

قولٌ مِنْ جنودِكَ أنصَحَهُمْ في نفسِكَ اللهُ ولرسولِهِ ولإمامِكَ ، وأطهرَهُمْ جيباً ، وأفضلَهُمْ حلماً ؛ مَمَّنْ يبطئُ عنِ الغضبِ ، ويستريحُ إلى العذرِ ، ويرأفُ بالضعفاءِ ، وينبو على الأقوياءِ ؛ مَمَّنْ لا يثيرُهُ العنفُ ، ولا يقعدُ بِهِ الضَّعْفُ .

ثمَّ الصَّقُّ بذوي المروءاتِ والأحسابِ ، وأهلِ البيوتاتِ الصالحةِ والسوابِقِ الحسنةِ ، ثمَّ أهلُ النجدةِ والشجاعةِ ، والسخاءِ والسماحةِ ؛ فَإِنَّهُمْ جماعٌ مِنَ الكرمِ ، وشعبٌ مِنَ العُزْفِ .

ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقِمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لَطْفًا تَعَاهَدُهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحَسَنِ الظَّنِّ بِكَ ، وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَىٰ جَسِيمِهَا ؛ فَإِنَّ لِّلْيَسِيرِ مِنْ لَطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَلِيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مَنْ جَدَّتِهِ بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِهِمْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ هُمُومُ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يُعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَلَا تَصِحَّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَىٰ وِلَاةِ أُمُورِهِمْ ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ .

فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ، وَوَاصِلْ مِنْ حَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذَوِي الْبَلَاءِ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحَسَنِ فَعَالِهِمْ تَهْزُ الشَّجَاعَ ، وَتُحَرِّكُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ .

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ ، وَلَا تَضْمَنَّ بِلَاءَ امْرِئٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَلَا تَقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا ضَعْفُ امْرِئٍ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا ، وَارْجِعْ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادُهُمْ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فَالْرُدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ .

ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحَكَمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ

(١) سورة النساء : ( ٥٩ ) .

الأمور ، ولا تمحُكهُ الخصومُ ، ولا يتمادى في الزَّلَّةِ ، ولا يحصرُ عن الفيءِ إلى الحقِّ إذا عرفهُ ، ولا تشرفُ نفسُهُ على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دونَ أقصاهُ ، أوقفَهُم في الشبهاتِ ، وآخذَهُم بالحججِ ، وأقلَّهُم تبرُّماً بمراجعةِ الخصمِ ، وأصبرَهُم على كشفِ الأمورِ ، وأصرمَهُم عندَ انضاحِ الحكمِ ؛ ممَّن لا يزدهيهِ إطرَاءُ ، ولا يستميلُهُ إغراءُ ، وأولئك قليلٌ .

ثمَّ أكثرُ تعاقدَ قضايِهِ ، وأفسخَ لَهُ في البذلِ ما يُزيحُ علَّتَهُ ، ويقلُّ معه حاجتُهُ إلى الناسِ ، وأعطيه مِنَ المنزلَةِ لديكَ ما لا يطمعُ فيه غيرُهُ مِنْ خاصَّتِكَ ، لتأمنَ بذلكَ اغتيالَ الرجالِ لَهُ عندَكَ .

فانظرْ في ذلكَ نظراً بليغاً ؛ فإنَّ هذا الدِّينَ قد كانَ أسيراً في أيدي الأشرارِ ، يُعملُ فيه بالهوى ، وتطلَّبَ به الدنيا .

ثمَّ انظرْ في أمورِ عَمَّا لِكَ ؛ فاستعملَهُم اختباراً ، ولا تولِّهِم محاباةً وأثرةً ؛ فإنَّهُم جماعٌ مِنْ شعبِ الجورِ والخيانةِ ، وتوَحَّ مِنْهُم أهلُ التجربةِ والحياءِ مِنْ أهلِ البيوتاتِ الصالحةِ ، والقدمِ في الإسلامِ المُتقدِّمةِ ؛ فإنَّهُم أكرمُ أخلاقاً ، وأصحُّ أعراضاً ، وأقلُّ في المطاعمِ إشراقاً ، وأبلغُ في عواقبِ الأمورِ نظراً .

ثمَّ أسبغْ عليهمُ الأرزاقَ ؛ فإنَّ ذلكَ قُوَّةٌ لَهُم على استصلاحِ أنفُسِهِم ، وغنىٍّ لَهُم عن تناولِ ما تحتَ أيديهِم ، وحُجَّةٌ عليهمُ إن خالفوا أمركَ أو خانوا أمانتَكَ ، ثمَّ تفقَّدْ أعمالَهُم ، وابعثِ العيونَ مِنْ أهلِ الصِّدقِ والوفاءِ عليهمُ ؛ فإنَّ تعاقدَكَ في السرِّ لأمورِهِم حَدوَةٌ لَهُم على استعمالِ الأمانةِ ، والرفقِ بالرعيَّةِ ، وتحفظُ مِنَ الأعوانِ ، فإنَّ أحدَ مِنْهُم بسطَ يدهُ إلى خيانيةِ اجتمعتَ بها عليه عندَكَ أخبارُ عيونِكَ . . اكتفيتَ بذلكَ شاهداً ، فبسطتَ عليه العقوبةَ في بدنيه ، وأخذتَهُ بما أصابَ مِنْ عملِهِ ، ثم نصبتَهُ بمَقامِ المَذَلَّةِ ، ووسمتَهُ بالخيانةِ ، وقلَّدتَهُ عارَ التُّهْمَةِ .

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة .. أخرج البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فإن شكوا ثقلًا ، أو علةً ، أو انقطاع شرب أو بالة<sup>(١)</sup> ، أو إحالة أرض اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش .. خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم .

ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم ؛ فإنه ذخّر يعودون به عليك في عمارة بلدك ، وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم ؛ بما ذخرت عندهم من إجمالك لهم ، والثقة منهم بما دعوتهم إليه ، لما سبق من عدلك عليهم ، ورفقك بهم ، فربما حدث من الأمور ما إذا [ عوّلت ] فيه عليهم من بعد .. احتملوه طيبة أنفسهم ؛ فإن العمران يحتمل ما حملته ، وإنما يأتي خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها ؛ لإشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم انظر في حال كتابك ، فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائك التي تدخل فيها مكايذك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ؛ ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء ، ولا تقصّر به الفضلة<sup>(٢)</sup> عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، وفيما يأخذ لك ويعطي منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا

(١) البالّة : المطر .

(٢) في « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٧٥ ) : ( الغفلة ) بدل ( الفضلة ) .

يَعِجُزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ  
الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ .

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ [ وَاسْتِنَامِكَ ] وَحَسَنِ الظَّنِّ مِنْكَ ؛  
فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَحَسَنِ خِدْمَتِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ  
ذَلِكَ مِنَ النُّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ اخْتَبَرُهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ ،  
فَاعْمَدْ لِأَحْسَنِهِمْ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا ، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ  
عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ ، وَلِمَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا  
مِنْهُمْ ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ  
عَيْبٍ فَتَغَايَيْتَ عَنْهُ . . أَلْزَمْتَهُ .

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا ، الْمَقِيمِ مِنْهُمْ ،  
وَالْمُضْطَرِّ بِمَالِهِ ، وَالْمُتَرَفِّقِ بَبَدْنِهِ ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ ،  
وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمُتَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبِلِكَ ، وَحَيْثُ  
لَا يَلْتَنِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ، وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ ،  
وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ ، وَتَفَقَّدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ .

**وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ :** أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقًا فَاحِشًا ، وَشَحًّا قَبِيحًا ، [ وَاحْتِكَارًا ]  
لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبَيَاعَاتِ ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ ، وَعَيْبٌ عَلَى  
الْوَلَاةِ ، فَاْمَنْعْ مِنَ الْاِحْتِكَارِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَعَ مِنْهُ .

وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا ؛ بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ  
مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ . . فَنَكِلْ بِهِ ، وَعَاقِبْ  
مَنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ .

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، وَالْمَسَاكِينِ  
وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَأَهْلِ الْبُؤْسِ وَالزَّمْنَى ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا ،



واحفظُ لله ما استحفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، واجعلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وقسماً مِنْ غُلَّاتِ صَوَافِي الإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ ؛ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى ، وَكُلُّ قَدٍ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ .

وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ ؛ فَإِنَّكَ لَا تُعَذِّرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِإِحْكَامِكَ الْكَبِيرِ الْمُهِمِّ ، فَلَا تَشْخَصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفْقُدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ؛ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعَيُونُ ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ ، فَفَرِّغْ لِأَوْلَئِكَ ثَقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَلِيرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ اْعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ تَلْقَاهُ ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرِّعْيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلُّ فَاعِذَرٍ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْذِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ .

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتِمِّ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ ؛ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَافِيَةَ ، فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَثِقُوا بِصَدَقِ مَوْعِدِ اللَّهِ لَهُمْ .

واجعلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً ، [ فَتَتَوَاضَعُ ] فِيهِ لِلَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جَنْدُكَ وَأَعْوَانُكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ » <sup>(١)</sup> .

ثُمَّ احْتَمَلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ ، وَنَحَّ عَنْكَ الضِّيْقَ وَالْأَنْفَةَ <sup>(٢)</sup> . . يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ ، وَأَعْطِيَ مَا أُعْطِيَ هَنِيئاً ، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ .

(١) انظر « البدر المنير » ( ٥٤١/٩ - ٥٤٦ ) .

(٢) في « شرح نهج البلاغة » ( ٨٨/١٧ ) : ( عنهم الضيق والأنف ) بدل ( عنق الضيق والأنفة ) .

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مَبَاشَرَتِهَا ؛ مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَغِيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا يُحْرِجُ صَدُورَ أَعْوَانِكَ ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرِّعْيَةُ .

وَلِيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ ، بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ .

وَإِذَا قَمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًّا وَلَا مُضْيعًا ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ ، وَلَهُ الْحَاجَةُ ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ : كَيْفَ أَصْلِي بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » (١) .

**وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا :** فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرِّعْيَةِ شَعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ ، وَقَلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْغُرُ عَنْدهُمْ الْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعَرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ ، أَوْ فَعَلَ كَرِيمٌ تَبْدِيهِ ؟! أَوْ مَبْتَلَى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسَا مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » ( ٥٦/٩ ) عَنْ سَيِّدِنَا عِثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بَذْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَوْنةَ فِيهِ عَلَيْكَ ؛ مِنْ شَكَاةٍ مَظْلَمَةٍ ، أَوْ طَلِبِ إِنْصَافٍ فِي مَعَامِلَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبَطَانَةً ، فِيهِمْ اسْتِكْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَقَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مَعَامِلَةٍ ، فَاحْسُمْ مَوْنةَ أَوْلَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ ، وَلَا تَقْطَعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرِكٍ ، يَحْمِلُونَ مَوْنتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونُ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَأَلْزَمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَوَاصِكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ .

وَإِنْ ظَنَنْتَ الرِّعْيَةَ بِكَ حَيْفًا . . فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظَنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِعْذَارًا تَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا ؛ فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً لَجُنُودِكَ ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ ، وَلَكِنْ الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صَلَاحِهِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رَبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ ، فَخُذْ بِالْحَزَمِ ، وَاتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حَسَنَ الظَّنِّ ، وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً ، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً . . فَحُطُّ عَهْدِكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيتَ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتُّ آرَائِهِمْ . . مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لَمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَلَا تَخَيِّسَنَّ بِعَهْدِكَ ، وَلَا تَخْتَلِنَنَّ عَدُوَّكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ .

وقد جعلَ اللهَ عهدَهُ وذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرِيماً  
يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ ، فَلَا إِدْغَالَ ، وَلَا مَدَالَسَةَ ، وَلَا  
خِدَاعَ فِيهِ .

وَلَا تَعْقُدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ ، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ  
التَّكْيِيدِ وَالتَّوَثُّقَةِ لَضَيْقِ أَمْرِ لَزَمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرِ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ . . خَيْرٌ مِنْ  
غَدْرِ تَخَافُ تَبَعْتَهُ ، وَأَنْ تَحِيطَ بِكَ فِيهِ مِنَ اللَّهِ طَلْبَةُ لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ  
وَلَا آخِرَتَكَ .

إِيَّاكَ وَالدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنَقْمَةٍ ، وَلَا أَعْظَمَ  
لِتَبَعَةٍ ، وَلَا أَحَرَّ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ . . مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ،  
وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَتَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدَّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَضَعْفُهُ وَيُوهِنُهُ ، بَلْ يَزِيلُهُ  
وَيَنْقُلُهُ .

وَلَا عَذَرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمِدِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ ، وَإِنْ  
ابْتُلِيتَ بِخَطَاً وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ يَدُكَ بِعَقُوبَةٍ ؛ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ وَمَا فَوْقَهَا  
مَقْتَلَةً ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ  
حَقَّهُمْ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ ؛  
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ ؛ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ  
الْمَحْسَنِ .

وَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ ، وَالتَّزْيِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فَعْلِكَ ، وَأَنْ تَعِدَّهُمْ  
فَتَتْبَعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ؛ فَإِنَّ الْمَنْ يَبْطُلُ الْإِحْسَانَ ، وَالتَّزْيِيدُ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ ،

وَالْخُلَفَ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وإِيَّاكَ والعجلة بالأمر قبل أوانها ، والتساقط فيها عند إمكانها ، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كلّ أمرٍ موضعه ، وأوقع كلّ عملٍ موقعه .

وإِيَّاكَ والاستئثار بما للناس فيه أسوة ، والتغابي عما تُعنى به ممّا قد [ وضح ] للعيون - أي : الجواسيس - فإنّه مأخوذٌ منك لغيرك ، وعمّا قليلٍ تنكشفُ عنك أغطيّة الأمور ، وينتصفُ منك المظلوم .

املك حميّة نفسك ، وسورة حدّك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة ، وتأخير السّطوة ، حتى يسكن غضبك ، [ فتملك ] الاختيار .

ولن تحكّم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك ، والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك ؛ من حكومة عادلة ، أو سنّة فاضلة ، أو أثرٍ عن نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم ، أو فريضة في كتاب الله ؛ فتقتدي بما تشاهده ممّا عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحُجّة لنفسك عليك ؛ لكي لا يكون لك علةٌ عند تسرّع نفسك إلى هواها .

وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة ؛ أن يُوفّقني وإيّاكَ لما فيه رضاه ؛ من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الشّاء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف

(١) سورة الصف : (٣) .



الكرامة ، وأن يَخْتِمَ لي ولكَ بالسعادة والشهادة ، إِنَّا إلى الله راغبون ، والسلام  
على رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين<sup>(١)</sup> .



مَنْ شَاءَ يَنْظُرْ إِلَى جَمَالِ الْبَلَاغَةِ ظَاهِرَةً فِي صَوْرِهَا ، مُتَبَرِّجَةً فِي زِينَةِ  
مَلَابِسِهَا وَأَنْوَاعِ حَلِيِّهَا . . فليُطْلَ ترديدَ نظره في فصولِ هذا الكتابِ الوافي  
بجميعِ ما يَحْسُنُ لكلِّ إنسانٍ أَنْ يَتَأَدَّبَ وَيَأْخُذَ لَهُ مِنْهُ حِظًا فِي أَخْلَاقِهِ  
وَأَعْمَالِهِ ، لَا يَخْصُ ذَلِكَ أَمِيرًا دُونَ مَأْمُورٍ وَإِنْ كَانَ وَضَعُهُ عَلَى نَصِيحَةٍ وَالْ  
يَتَوَلَّى أُمُورَ بَعْضِ الْعِبَادِ .

ورأيتُ في « شرحه » كلاماً منقولاً عن بعضِ عقلاء مَنْ تَقَدَّمَ بِهِمُ الزَّمَانُ ،  
يَشْتَمِلُ عَلَى آدَابٍ يَنْبَغِي لِمَنْ يَرِيدُ الْإِسْتِكْمَالَ أَنْ يَتَفَهَمَهَا وَيَتَأَدَّبَ بِهَا ،  
فوجدتُ تعقيبه بإثباتِ ذلك ؛ حيثُ كَانَ أَهَمُّ أَغْرَاضِ هذا الكتابِ تعريفُ  
طلبةِ العلمِ أَنَّ الْأَزْمَ شَيْءٌ يَطْلُبُونَهُ ، وَأَكْبَرُ أَمْرٍ يَنْبَغِي أَنْ يَحَاطَلُوا تَحْصِيلَهُ ؛  
لِتَطْيِبِ حَيَاتِهِمْ ، وَتَجَمَّلَ بِهِمْ أَوْقَاتُهُمْ ، وَتَتَحَلَّى بِهِمْ أُمُتُهُمْ . . إِنَّمَا هِيَ  
الْآدَابُ الَّتِي يَلْتَمِسُونَ بِهَا مَعَ جَمِيعِ طَبَقَاتِ النَّاسِ ، وَيَكُونُ لَهُمْ مَعَ كُلِّ طَبَقَةٍ  
مِنْهَا كَلَامٌ يَعْمُرُ قُلُوبَهُمْ ، وَيَتَصَرَّفُ فِي عَقُولِهِمْ ؛ حَتَّى يَكُونُوا مِنْهُمْ بِتِلْكَ  
الْمَكَانَةِ الَّتِي صَارَتْ غَيْرَ مَأْهُولَةٍ إِلَّا بِالْقَلِيلِ .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ « آدَابِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ »  
قَالَ : ( لَا يَكُونَنَّ صَحْبُكَ لِلسُّلْطَانِ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ مِنْكَ لِنَفْسِكَ عَلَى طَاعَتِهِمْ  
فِي الْمَكْرُوهِ عِنْدَكَ ، وَمُوَافَقَتِهِمْ فِيمَا خَالَفَكَ ، وَتَقْدِيمِ<sup>(٢)</sup> الْأُمُورِ عَلَى أَهْوَائِهِمْ  
دُونَ هَوَاكَ ، فَإِنْ كُنْتَ حَافِظًا إِذَا وَلَّوْكَ ، حَذِرًا إِذَا قَرَّبَوْكَ ، أَمِينًا إِذَا ائْتَمَنُوكَ . .

(١) إلى هنا ينتهي النقل عن « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٣٠ - ١١٧ ) .

(٢) في « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٧٦ - ٧٧ ) : ( تقدير ) بدل ( تقديم ) .

تَعْلَمُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ ، وَتُؤَدِّبُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَأَدَّبُ بِهِمْ ، وَتَشْكُرُ لَهُمْ  
وَلَا تُكَلِّفُهُمُ الشُّكْرَ ، ذَلِيلًا إِنْ صَرْمُوكَ ، رَاضِيًا إِنْ أَسْخَطُوكَ ، وَإِلَّا . . فَالْبَعْدَ  
عَنْهُمْ كُلِّ الْبَعْدِ ، وَالْحَذَرَ مِنْهُمْ كُلِّ الْحَذَرِ .

وإن وجدتَ عَنِ السُّلْطَانِ وَصَحْبَتِهِ غِنًى . . فاستغنِ عنه ؛ فَإِنَّهُ مَنْ  
يَخْدُمُ السُّلْطَانَ حَقَّ خِدْمَتِهِ يُخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَمَنْ  
يَخْدُمُهُ غَيْرَ حَقِّ الْخِدْمَةِ . . فَقَدْ احْتَمَلَ وَزَرَ الْآخِرَةِ ، وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ ،  
وَالْفُضِيحَةِ فِي الدُّنْيَا ، فَإِذَا صَحَبَتِ السُّلْطَانَ . . فَعَلَيْكَ بِطَوْلِ الْمَلَاذِمَةِ فِي  
غَيْرِ إِمْلَالٍ ، وَإِذَا نَزَلَتْ [ مِنْهُ ] بِمَنْزِلِ الثَّقَةِ . . فَاعْزِلْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلَقِ ، وَلَا  
تَكْثُرْ لَهُ مِنَ الدَّعَاءِ ، وَلَا تَرُدَّنَّ عَلَيْهِ كَلَامًا [ فِي حِفْلٍ ] وَإِنْ أَخْطَأَ ، فَإِذَا خَلَوْتَ  
بِهِ . . فَبَصِّرْهُ فِي رَفْقٍ ، وَلَا يَكُونَنَّ طَلِبُكَ مَا عِنْدَهُ بِالمَسْأَلَةِ ، وَلَا تَسْتَبِطْهُ  
وَإِنْ أَبْطَأَ ، وَلَا تُخْبِرْنَهُ أَنَّ لَكَ عَلَيْهِ حَقًّا ، وَأَنَّكَ [ تَعْتَمِدُ ] عَلَيْهِ بِبَلَاءٍ ، وَإِنْ  
اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَنْسَى حَقَّكَ وَبِلَاءَكَ بِتَجْدِيدِ النِّصْحِ وَالاجْتِهَادِ . . فَافْعَلْ ، وَلَا  
تُعْطِيَنَّهُ الْمَجْهُودَ كُلَّهُ مِنْ نَفْسِكَ فِي أَوَّلِ صَحْبَتِكَ لَهُ ، وَأَعِدَّ مَوْضِعًا لِلْمَزِيدِ ،  
وَإِنْ سَأَلَ غَيْرَكَ شَيْئًا . . فَلَا تَكُنِ الْمَجِيبَ .

**واعلم :** أَنَّ اسْتِلاَبَكَ الْكَلَامَ خَفَةً فِيكَ ، وَاسْتِخْفَافُ مَنْكَ بِالسَّائِلِ  
وَالْمَسْئُولِ ، فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ إِنْ قَالَ لَكَ السَّائِلُ : مَا إِيَّاكَ سَأَلْتُ ؟! أَوْ قَالَ  
الْمَسْئُولُ : أَجِبْ بِمَجَالِسَتِهِ وَمَحَادَثَتِهِ أَيُّهَا الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ ، وَالْمُسْتَخِفُّ  
بِسُلْطَانِهِ ؟! (١) .

**معنى هذه الجملة الأخيرة :** أَنَّ الْمَسْئُولَ يُقَرِّعُ الْمَجِيبَ الَّذِي لَمْ يُسَأَلْ  
بِتَفْوِيزِ الْجَوَابِ إِلَيْهِ ، وَسُكُوتِهِ هُوَ عَنْهُ ، فَلَعَلَّ الْمُسْتَعْجِلَ لَمْ يَكُنْ فَهَمَ  
الْغَرَضَ ، وَلَا وَصَلَ إِلَى مَا يَعْلَمُ الْمَسْئُولُ ، فَهُوَ يَقُولُ لَهُ : أَجِبْ لَا بَعْلَمَ ، بَلْ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٧٦ - ٧٧ ) .

بسبب كون السلطان جعلك له جليساً ، وأعدك لمحدثه أحياناً ، فإن كان ذلك كافياً في الإجابة دون علم .. فافعل .



وهذه الآداب التي انتهت بهذا الفاضل إليها المشاهدة والتجربة ، وأبقاها بالعبارة عنها حسنة لمن بعده . . يستحق من الناس شكرها ، ويستدعي من الله جزيل أجرها ، لا شبهة في لزومها لمن يريد صحبة أهل القهر والاستبداد والعظمة والكبرياء من ذوي الرئاسة ؛ فإن لهم حدوداً يحدونها لأنفسهم تجب رعايتها ؛ طلباً للسلامة منهم ، وإن كان بعضها لا يخص ذلك المقام ، والاطلاع على الأحوال المختلفة يميز لك اختلاف الآداب حسب الهيئات المتغيرة ؛ فإن تلك الأحوال الشديدة لا تلزم لصحبة نبيٍّ ومن سار بسيرته ، أو قارب ذلك .

### [ نصيحة الأمير عبد الملك بن صالح لمعلم الصبيان ]

ومن ذلك ما نقله من نصيحة عبد الملك بن صالح لرجل كان عنده معلم صبيان ، فلما وجدته ذا أدب ولطف . . أراد أن يتخذه سميراً يأتسّر به ، وعبد الملك هذا أحد الأمراء من بني العباس أيام الرشيد ، وكان شهماً فصيحاً ، ذا عزم وحزم ، وكان الرشيد يخافه على الملك ، فكان بذلك بينهما ماجريات يطلعك عليها التاريخ ، وهذه هي النصيحة : <sup>(١)</sup> :

يا عبد الله ؛ كن على التماس الحظّ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ؛ فإنهم قالوا : إذا أعجبك الكلام . . فاصمت ، وإذا أعجبك الصمت . . فتكلم .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٧٧ - ٧٨ ) .

**واعلم:** أَنَّ أَصْعَبَ الْمُلُوكِ مَعَامِلَةَ الْجَبَّارِ الْفُطُنِ الْمُتَفَقِّدِ ؛ فَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِصَحْبَتِهِ .. فَاحْتَرَسْ ، وَإِنْ عُوِفَيْتَ .. فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى السَّلَامَةِ ؛ فَإِنَّ السَّلَامَةَ أَصْلُ كُلِّ نِعْمَةٍ .

لَا تَسَاعِدْنِي عَلَى مَا يَقْبُحُ بِي ، وَلَا تَرَدَّنْ عَلَى خَطَأٍ فِي مَجْلِسٍ ، وَلَا تُكَلِّفْنِي جَوَابَ التَّشْمِيَةِ وَالتَّهْنِئَةِ ، وَدَعْ عَنْكَ : كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ ؛ وَكَيْفَ أَمْسَى ، وَكَلِّمْنِي بِقَدْرِ مَا أَسْتَطِيقُكَ ، وَاجْعَلْ بَدَلَ التَّقْرِيطِ لِي صَوَابَ الْاسْتِمَاعِ مِنِّْي .

**واعلم:** أَنَّ صَوَابَ الْاسْتِمَاعِ أَحْسَنُ مِنْ صَوَابِ الْقَوْلِ ، وَإِذَا سَمِعْتَنِي أَتَحَدَّثُ .. فَلَا يَفُوتَنَّكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَأَرْنِي فَهْمَكَ إِيَّاهُ فِي طَرْفِكَ وَوَجْهِكَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَلِكِ وَقَدْ أَحَلَّكَ مَحَلَّ الْمُعْجَبِ بِمَا يُسْمِعُكَ إِيَّاهُ ، وَأَحَلَّلْتَهُ بِمَحَلِّ مَنْ لَا تَسْمَعُهُ مِنْهُ ، وَهَذَا يَحْبِطُ إِحْسَانَكَ ، وَيُسْقِطُ حَقَّ حَرَمَتِكَ .

وَلَا تَسْتَدِعِ الزِّيَادَةَ مِنْ كَلَامِي بِمَا تُظْهِرُ مِنْ اسْتِحْسَانٍ مَا يَكُونُ مِنِّْي ، فَمَنْ أَسْوَأُ حَالاً مِمَّنْ يَسْتَلِذُّ الْمُلُوكَ بِالْبَاطِلِ <sup>(١)</sup> ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى تَهَاوُنِهِ بِقَدْرِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَقِّهِمْ .

**واعلم:** أَنِّي جَعَلْتُكَ مُؤَدِّباً بَعْدَ أَنْ كُنْتُ مُعَلِّماً ، [ وَجَعَلْتُكَ ] جَلِيساً مُقَرَّباً بَعْدَ أَنْ كُنْتُ مَعَ الصَّبِيَّانِ مَبَاعِداً ؛ فَمَتَى لَمْ تَعْرِفْ نَقْصَانَ مَا خَرَجْتَ مِنْهُ .. لَمْ تَعْرِفْ رَجْحَانَ مَا دَخَلْتَ فِيهِ ، وَقَدْ قَالُوا : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ سُوءَ مَا أُولَى .. لَمْ يَعْرِفْ حَسَنَ مَا أَبْلَى .

فِي قَوْلِهِ : ( **فَمَنْ أَسْوَأُ حَالاً** ) إِيْجَازٌ ، **وَالْمَعْنَى** : فَإِنَّ اسْتِدْعَاءَ الزِّيَادَةِ طَلِبٌ لِّلْاسْتِلْذَازِ بِحَدِيثِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ قَبِيحٌ ، سِوَاءُ كَانَ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ ، تَمْوِيهَاً

(١) فِي « شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » ( ١٧ / ٧٨ ) : ( يَسْتَلِذُّ الْمُلُوكَ بِالْبَاطِلِ ) بَدَلَ ( يَسْتَلِذُّ الْمُلُوكَ بِالْبَاطِلِ ) .

على الملك ، لكن إذا كان بالباطل . . كَانَتِ الإساءةُ فِيهِ فاحشةً ، وهو ما  
فَرَعَهُ بقوله : ( فَمَنْ أَسْوَاً حَالاً . . . ) إلى آخِرِهِ .

### [ وصيةُ أبرويزَ أحدِ الأكاسرةِ لكَاتبِهِ ]

**وَمِنْ ذَلِكَ :** ما نقلَهُ مِنْ وصيةِ أبرويزَ أحدِ الأكاسرةِ لكَاتبِهِ ؛ وهي هذه :  
قالَ لَهُ <sup>(١)</sup> :

اكتُمِ السِّرَّ ، واصدقِ الحديثَ ، واجتهدْ في النصيحةِ ، وعليكِ بالحدْرِ ؛  
فإنَّ لَكَ عليَّ ألاَّ أعجلَ عليكِ حتَّى أستاذني لَكَ ، ولا أقبلَ فيكَ قولاً حتَّى  
أستيقنَ ، ولا أطمعَ فيكَ أحداً فتغتالَ .

**واعلمُ :** أنَّكَ بمنجاةٍ رفعةٍ فلا تحطَّها ، وفي ظلِّ مملكةٍ فلا تستزِيلَنَّه .

قاربِ الناسَ مجاملةً مِنْ نفسك ، وباعدْهُمْ مسامحةً مِنْ عدوكِ ، واقصدْ  
إلى الجميلِ اذدراعاً لغدِكَ ، وتنزَّهْ صوناً لمروءتِكَ ، وتَحَبَّبْ عِنْدِي بما قدرتَ  
عليهِ .

احذرْ لا تُسرِعَنَّ الألسنةَ عليكِ ، ولا تقبَحَنَّ الأحدثُ عَنْكَ ، وصُنْ نفسك  
صونَ الدُّرَّةِ الصافيةِ ، وأخلصْها إخلاصَ الفضةِ البيضاءِ ، وعاتبْها معاتبةَ  
الحذرِ المُشفِقِ ، وحَصِّنْها تحصينَ المدينةِ المنيعَةِ .

لا تدعَنَّ أن ترفعَ إليَّ الصغيرَ ؛ فإنه بدلٌ عن الكبيرِ ، ولا تكتَمَنَّ عني  
الكبيرَ ؛ فإنه ليسَ بشاغلٍ عن الصغيرِ ، هذَّبْ أموركِ ثمَّ القني بها ، وأحكمْ  
أمرَكَ ثمَّ راجعني فيه ، ولا تجترئنَّ عليَّ فامتعَضْ ، ولا تنقبِضَنَّ عني فأتَّهِمْ ،  
ولا تُمرِضَنَّ ما تلقاني به ، ولا تخدجنَّهُ ، وإذا أفكرتَ فلا تعجلْ ، وإذا كتبتَ  
فلا تُعذِرْ ، ولا تَسْتَعِنْ بالفضولِ ؛ فإنَّها علاوةٌ على الكفايةِ ، ولا تقصرَنَّ عن

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٨١ - ٨٢ ) .



التحقيق ؛ فإنَّها هجئةٌ بالمقالة ، ولا تلبسُ كلاماً بكلامٍ ، ولا تُبعدُن معنى عن معنى .

وأكرمُ لي كتابك عن ثلاثٍ : خضوعٍ يَسْتَخِفُّهُ ، وانتشارٍ يَهْجُنُهُ ، ومعانٍ تُعَقِّدُ به ، واجمع الكثيرَ ممَّا تريدُ في القليلِ ممَّا تقولُ ، وليكنَ بسطةُ كلامك على كلامِ السُّوقَةِ كبسطةِ الملكِ الذي تُحدِّثُهُ على الملوكِ .

لا يكنُ ما نلتُهُ عظيماً ، وما تتكلَّمُ به صغيراً ؛ فإنَّما كلامُ الكاتبِ على مقدارِ الملكِ ، فاجعله عالياً كعلوِّه ، وفائقاً [ كتفوِّقِهِ ] ؛ فإنَّما جماعُ الكلامِ كلِّه خصالٌ أربعٌ ، سؤالُك الشيءَ ، وسؤالُك عن الشيءِ ، وأمرُك بالشيءِ ، وخبرُك عن الشيءِ ، فهذه الخصالُ دعائمُ المقالاتِ ، إن التَّمَسَّ إليها خامسٌ . . لم يُوجَدَ ، وإن نُقصَ منها واحدٌ . . لم تَتِمَّ ، فإذا أمرتُ . . فأحكمُ ، وإذا سألتُ . . فأوضحُ ، وإذا طلبتُ . . فأسمعُ ، وإذا أخبرتُ . . فحقِّقُ ؛ فإنَّكَ إذا فعلتَ ذلكَ . . أخذتَ بجرائيمِ القولِ كلِّه ، فلم تَشْتَبِهْ عليكِ واردةٌ ، ولم تُعْجِزَكَ صادرةٌ .

أثبتُ في دواوينِكَ ما أخذتُ ، وأحصنُ فيها ما أخرجتُ ، وتيقِّظُ لِمَا تعطي ، وتجرِّدُ لِمَا تأخذُ ، ولا يَغْلِبَنَّ النسيانُ عن الإحصاءِ ، ولا الأناةُ عن التقدمِ ، ولا تُخرِجَنَّ وزنَ قيراطٍ في غيرِ حقٍّ ، ولا تُعْظِمَنَّ إخراجَ الألوْفِ الكثيرةِ في الحقِّ ، وليكنُ ذلكَ كلُّهُ عن مؤامرتي .

### [ وصيةُ أَكْثَمَ بنِ صِيفِي لقومِهِ ]

**وَمِنْ ذَلِكَ :** ما نقلَهُ مِنْ وصيةِ أَكْثَمَ بنِ صِيفِي - أحدِ حكماءِ العربِ في الجاهليةِ - لقومِهِ مِنْ تميمٍ ؛ وهي هذه : قال<sup>(١)</sup> :

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ١٢٠ - ١٢١ ) .

يا بني تميم ؛ لا يَفوتَنَّكم وعظي إن فاتكمُ الدهرُ بنفسي ، إنَّ بينَ حَيَزومي  
وصدري لَكلاماً لا أَجدُ لَهُ مَواقِعَ إِلَّا أَسْماءَكُمْ ، ولا مَقاراً إِلَّا قُلوبَكُمْ ، فَتَلَقَّوهُ  
بأَسْماءِ مَصْغِيَةِ ، وَقُلوبِ واعِيَةٍ . . تَحْمَدُوا مَغْبَتَهُ : الهوى يَقْظانُ ، والعقلُ  
راقِدٌ ، والشَّهواتُ مُطْلَقَةٌ ، والحِزْمُ معقولٌ ، والنفسُ مَهْمَلَةٌ ، والروْيَةُ مَقِيدَةٌ ،  
وَمِنْ جَهِةِ التَّوانِي وتَرِكَ الرُّويَةِ يَتَلَفُ الحِزْمُ ، وَلَنْ يَعدَمَ المِشاوِرُ مَرشِداً ،  
والمُسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ مَوقُوفٌ على مَداحِضِ الزَّلَلِ ، وَمَنْ سَمِعَ . . سَمِعَ بِهِ ، ومِصارِغُ  
الرِّجالِ تَحْتَ بَروقِ الطَّمَعِ ، وَلَوْ اعتَبَرْتَ مَواقِعَ المِحنِ ما وُجِدَتْ إِلَّا في  
مِقاتِلِ الكِرامِ ، وعلى الاِعتبارِ طَريقُ الرِّشادِ ، وَمَنْ سَلَكَ الجِدَدَ . . أَمِنَ العِثارَ ،  
ولَنْ يَعدَمَ الحِسوْدُ أَنْ يُتَعَبَ قَلْبُهُ ، وَيَشْغَلَ فِكرُهُ ، وَيُورَثَ غِظُهُ ، ولا تَجاوِزَ  
مَضَرَّتُهُ نَفْسَهُ .

يا بني تميم ؛ الصَّبْرُ على جَرِيعِ الحَلَمِ أَعَذِبُ مِنْ جَنِي ثَمَرِ النَّدَامَةِ ، وَمَنْ  
جَعَلَ عِرْضَهُ دُونَ مالِهِ . . اسْتَهْدَفَ لِلذِّمِّ ، وَكَلَّمَ اللِّسانَ أَنْكِي مِنْ كَلَمِ السِّنانِ ،  
والكَلِمَةُ مَرهُونَةٌ ما لَمْ تَنجُمْ مِنَ الفِمْ ، فَإِذا نَجَمَتْ . . فَهِيَ أَسَدٌ مُحَرَّبٌ ،  
أو نارٌ تَلَهَّبُ ، ورَأْيِي الناصِحِ اللَّبيبِ دَليلٌ لا يَجورُ ، ونَفادُ الرَأْيِ في الحَرْبِ  
أَجْدَى مِنَ الطَّعَنِ والضَّرْبِ .

### [ نَصِيحَةُ أَرْدَشِيرِ بْنِ بابَكٍ إِلى المُلوكِ مِنْ بَعدِهِ ]

وَمِنْ ذَلِكْ : ما نَقَلَهُ مِنْ كِتابِ أَوَّلِ مَلوكِ الأَكاَسِرَةِ بَعدَ مَلوكِ الطَّوائِفِ ،  
يَنصَحُ بِهِ مَنْ يَجيءُ بَعدَهُ مِنَ المُلوكِ ، وفيهِ مِنَ الفِوائِدِ السِّياسِيَةِ ما لا يَخْصُ  
الْمُلوكُ دُونَ عَامَّةِ النّاسِ ؛ وَهو هَذا : قالَ (١) :

رِشاؤُ الوالِي خَيْرٌ لِلرَّعيَةِ مِنْ خِصْبِ الزَّمانِ ، المَلِكُ وَالِدَيْنِ تَوَءمانِ ، لا

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ١٢٤ - ١٣٠ ) .

قوامَ لأحدهما إلَّا بصاحبه ، فالدَّيْنُ أُسُّ الْمُلْكِ وعمادُهُ ، ثُمَّ صارَ الْمَلِكُ حارسَ الدَّيْنِ ، فلا بدَّ للملِكِ مِنْ أُسِّهِ ، ولا بدَّ للدَّيْنِ مِنْ حارسِهِ ، فأما ما لا حارسَ لَهُ .. فضائعٌ ، وأما ما لا أُسَّ لَهُ .. فمهذومٌ .

إنَّ رأسَ ما أخافُ عليكم مبادرةُ السفلةِ إِيَّاكم إلى دراسةِ الدَّيْنِ وتأويلِهِ والتفقُّهِ فِيهِ ، فتحملُكم الثَّقةُ بِقوَّةِ الملِكِ على التهاونِ بِهِمْ ، فتحدثُ في الدَّيْنِ رئاساتٌ منتشراتٌ سرًّا بِمَنْ قد وترتُم وجفوتُم ، وحرمتُم وأخفتُم وصغرتُم مِنْ سفلةِ الناسِ والرعيةِ وحشورِ العامَّةِ ، ثُمَّ لا تنشبُ تلكَ الرئاساتُ أن تُحدثَ خَرْقًا في الملِكِ ، ووهناً في الدولةِ .

**واعلموا :** أنَّ سلطانتُكم على أجسادِ الرعيةِ ، لا على قلوبِها ، وإن غلبتُم الناسَ على ما في أيديهِمْ .. فلن تغلبوهُم على ما في عقولِهِمْ وآرائِهِمْ ومكايديهِمْ .

**واعلموا :** أنَّ العاقلَ المحرومَ سألَ عليكم لسانَهُ ، وهو أقطعُ سيفِيهِ ، وأنَّ أشدَّ ما يضرُّ بكم مِنْ لسانِهِ ما صرفَ الحيلةَ فِيهِ إلى الدَّيْنِ ، فكانَ [ للدنيا ] يحتجُّ ، وللدَّيْنِ فيما يظهرُ يتعصَّبُ ، فيكونُ للدَّيْنِ [ بكأؤُهُ ] وإليه [ دعاؤُهُ ] ، ثُمَّ هو أوجدُ للتابعينَ والمُصدِّقينَ والمناصحينَ والموازينَ ؛ لأنَّ تعصَّبَ الناسِ مُوَكَّلٌ بالملوكِ ، ورحمتُهُمْ ومحبَّتُهُمْ مُوَكَّلَةٌ بالضُّعفاءِ المغلوبينَ ، فاحذروا هذا المعنى كلَّ الحذرِ .

**واعلموا :** أنَّه ليسَ ينبغي للملِكِ أن يَعْرِفَ للعبادِ والنُّسَّاكِ بأنَّ يكونوا أُولى مِنْهُ بالدَّيْنِ ، ولا أحدَبَ عَلَيْهِ ولا أغضبَ لَهُ ، وأن يخلي النُّسَّاكَ والعبَّادَ مِنَ الأمرِ والنهيِّ في نسيكِهِمْ ودينِهِمْ ؛ فإنَّ خروجَ النُّسَّاكِ وغيرِهِمْ مِنَ الأمرِ والنهيِّ عيبٌ على الملوكِ وعلى المملِكةِ ، وتُلْمَةٌ بينَهُ الضَّررِ على الملِكِ وعلى مَنْ بعدهُ .

**واعلموا :** أَنَّهُ قَدْ مَضَى قَبْلَنَا مِنْ أَسْلَافِنَا مُلُوكٌ كَانَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ يَتَعَهَّدُ الحِمَايَةَ بِالتَّفْتِيْشِ ، وَالْجَمَاعَةَ بِالتَّفْصِيْلِ ، وَالْفِرَاقَ بِالأَشْغَالِ . . كَتَعَهَّدُ جَسَدِهِ بِقَصْرِ فَضُولِ الشَّعْرِ وَالظُّفْرِ ، وَغَسَلَ الدَّرَنَ وَالْغَمَصِ ، وَمَدَاوَاةَ مَا ظَهَرَ مِنَ الأَدْوَاءِ وَمَا بَطَنَ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الْمُلُوكِ مَنْ صَحَّهٗ مَلِكِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ صَحَّةِ جَسَدِهِ ، فَتَتَابَعَتْ تِلْكَ الْأَمْلَاقُ بِذَلِكَ ، كَأَنَّهُمْ مَلِكٌ وَاحِدٌ ، وَكَأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ رُوحٌ وَاحِدَةٌ ، يُمَكِّنُ أَوْلَهُمْ لِآخِرِهِمْ ، وَيُصَدِّقُ آخِرُهُمْ أَوْلَهُمْ ، تَجْتَمِعُ أَنْبَاءُ أَسْلَافِهِمْ وَمَوَارِيثُ آرَائِهِمْ وَثِمَرَاتُ عَقُولِهِمْ عِنْدَ الْبَاقِي مِنْهُمْ بَعْدَهُمْ ، وَكَأَنَّهُمْ جُلُوسٌ مَعَهُ ، يُحَدِّثُونَهُ وَيُشَاوِرُونَهُ ، حَتَّى كَانَ عَلَى رَأْسِ دَارَا بْنِ دَارَا مَا كَانَ مِنْ غَلْبَةِ الإسْكَندَرِ الرُّومِيِّ عَلَى مَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ مَلِكِهِ ، وَكَانَ إِفْسَادُهُ أَمْرَنَا ، وَتَفَرُّقَتُهُ جَمَاعَتَنَا ، وَتَخْرِيْبُهُ عِمْرَانَ مَمْلَكَتِنَا . . أَبْلَغَ لَهُ فِيمَا أَرَادَ مِنْ سَفْكِ دِمَائِنَا ، فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمْعِ مَمْلَكَتِنَا ، وَإِعَادَةِ أَمْرِنَا . . كَانَ مِنْ بَعْثِهِ إِيَّانَا مَا كَانَ ، وَبِالْعَتَبَارِ يُتَّقَى الْعَثَارُ ، وَالتَّجَارِبُ الْمَاضِيَةُ دُسْتُورٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ الْآتِيَةِ .

**واعلموا :** أَنَّ طِبَاعَ الْمُلُوكِ عَلَى غَيْرِ طِبَاعِ الرِّعَايَةِ وَالشُّوْقَةِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ يَطِيفُ بِهِ الْعِزُّ وَالْأَمْنُ وَالسُّرُورُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى مَا يَرِيدُ ، وَالْأَنْفَةُ وَالْجِرَاءَةُ وَالطِّيْشُ وَالْبَطَرُ ، وَكَلَّمَا أَزْدَادَ فِي الْعَمْرِ تَنَفَّسًا ، وَفِي الْمَلِكِ سَلَامَةً . . أَزْدَادَ مِنْ هَذِهِ الطَّبَائِعِ وَالْأَخْلَاقِ ، حَتَّى يَسْلَمَهُ ذَلِكَ إِلَى سُكْرِ السُّلْطَانِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْ سُكْرِ الشَّرَابِ ، فَيَنْسَى النِّكَبَاتِ وَالْعَثَرَاتِ ، وَالْغَيْرَ وَالذَّوَائِرَ ، وَفَحَشَ تَسَلُّطِ الْأَيَّامِ ، وَلَوْمْ غَلَبَ الدَّهْرُ ، فَيُرْسِلُ يَدَهُ بِالْفِعْلِ ، وَلِسَانَهُ بِالْقَوْلِ ، وَعِنْدَ حَسَنِ الظَّنِّ بِالْأَيَّامِ تَحْدُثُ الْغَيَّرُ ، وَتَزُولُ النِّعَمُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَسْلَافِنَا وَقُدَمَاءِ مُلُوكِنَا مَنْ يُفَكِّرُهُ عِزُّهُ الدَّلَّ ، وَأَمْنُهُ الْخَوْفَ ، وَسُرُورُهُ الْكَأَبَةَ ، وَقُدْرَتُهُ الْمَعْجِزَةَ ، وَذَلِكَ هُوَ الرَّجُلُ الْكَامِلُ ، قَدْ جَمَعَ بِهَجَّةِ الْمُلُوكِ ، وَفِكْرَةِ الشُّوْقَةِ ، وَلَا كِمَالٍ إِلَّا فِي جَمْعِهِمَا .

**واعلموا :** أَنْكُمْ سَتُبْلَوْنَ عَلَى الْمَلِكِ بِالْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ وَالْقُرْبَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَخْدَانِ وَالْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ وَالْمُتَقَرِّبِينَ وَالنُّدَمَاءِ وَالْمُضْحَكِينَ ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ - إِلَّا قَلِيلاً - أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَعْطِيَ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا عَمَلُهُ سَوْقٌ لِيَوْمِهِ ، وَذَخِيرَةٌ لِعَدُوِّهِ ، فَنَصِيحَتُهُ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ نَصِيحَتِهِ لِنَفْسِهِ ، وَغَايَةُ الصَّلَاحِ عِنْدَهُ صَلَاحُ نَفْسِهِ ، وَغَايَةُ الْفَسَادِ عِنْدَهُ فَسَادُهَا ، يَقِيمُ لِلسُّلْطَانِ سَوْقَ الْمَوَدَّةِ مَا أَقَامَ لَهُ سَوْقَ الْأَرْبَاحِ وَالْمَنَافِعِ .

إِذَا اسْتَوْحَشَ الْمَلِكُ مِنْ ثِقَاتِهِ . . أَطَبَقَتْ عَلَيْهِ ظُلْمُ الْجَهَالَةِ .

أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْعَامَّةُ . . أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ .

**واعلموا :** أَنَّ كَثِيرًا مِنْ وَزَرَاءِ الْمُلُوكِ مَنْ يَحَاوُلُ اسْتِبْقَاءَ دَوْلَتِهِ وَأَيَّامِهِ بِإِيقَاعِ [الاضْطِرَابِ] وَالْخَبْطِ فِي أَطْرَافِ مَمْلَكَةِ الْمَلِكِ ؛ لِيَحْتَاجَ الْمَلِكُ إِلَى رَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، فَإِذَا عَرَفْتُمْ ذَلِكَ مِنْ وَزِيرٍ مِنْ وَزَرَائِكُمْ . . فَاعْزِلُوهُ ؛ فَإِنَّهُ يُدْخِلُ الْوَهْنَ وَالنَّقْصَ عَلَى الْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ لَصَلَاحِ حَالِ نَفْسِهِ ، وَلَا تَقُومُ نَفْسُهُ بِهَذِهِ النُّفُوسِ كُلِّهَا .

**واعلموا :** أَنَّ ذَهَابَ الدَّوْلَةِ يَنْشَأُ مِنْ قَبْلِ إِهْمَالِ الرَّعِيَّةِ بِغَيْرِ أَشْغَالٍ مَعْرُوفَةٍ ، وَلَا أَعْمَالٍ مَعْلُومَةٍ ، فَإِذَا نَشَأَ الْفِرَاقُ . . تَوَلَّدَ مِنْهُ النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ ، وَالْفِكْرُ فِي الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ ، فَإِذَا نَظَرُوا فِي ذَلِكَ . . نَظَرُوا فِيهِ بِطَبَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَتَخْتَلَفُ بِهِمُ الْمَذَاهِبُ ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ تَعَادِيهِمْ وَتَضَاغُتُهُمْ ، وَهُمْ مَعَ اخْتِلَافِهِمْ هَذَا مُتَّفَقُونَ وَمُجْتَمِعُونَ عَلَى بَغْضِ الْمُلُوكِ ، فَكُلُّ صَنْفٍ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَجْرِي إِلَى فَجِيعَةِ الْمَلِكِ بِمَلِكِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ سُلْمًا إِلَى ذَلِكَ أَوْثَقَ مِنَ الدِّينِ وَالنَّامُوسِ ، ثُمَّ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَعَادِيهِمْ أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ جَمْعَهُمْ عَلَى أَهْوَاءٍ وَاحِدَةٍ ، فَإِذَا انْفَرَدَ بِاخْتِصَاصٍ بَعْضِهِمْ . . صَارَ عَدُوًّا بَقِيَّةِهِمْ .

وَفِي طَبَاعِ الْعَامَّةِ اسْتِثْقَالُ الْوَلَاةِ وَمَلَالُهُمْ ، وَالنَّفَاسَةُ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَسَدُ



لَهُمْ ، وفي الرعيّة المحروم والمضروب والمُقام عليه الحدود ، ويتولّد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك عن الإقدام عليهم ، فإنّ في إقدام الملك على الرعيّة كلّها كافّة تغريراً بملكه ، ويتولّد من جبن الملوك عن الرعيّة استعجالهم عليه وهم أقوى عدوّ له وأخلقه بالظفر ؛ لأنّه حاضر مع الملك في دار ملكه ، فمنّ أفضى إليه الملك بعدي . . فلا يكوننّ بإصلاح جسده أشدّ اهتماماً منه بهذه الحال ، ولا يكوننّ لشيء من الأشياء أكره وأنكر منه لرأس صار ذنباً ، وذنب صار رأساً ، ويد مشغولة صارت فارغة ، أو غني صار فقيراً ، أو عامل مصروف ، أو أمير معزول .

**واعلموا :** أنّ سياسة الملك وحراسته ألا يكون ابن الكاتب إلّا كاتباً ، وابن الجنديّ إلّا جنديّاً ، وابن التاجر إلّا تاجراً ، وهكذا في جميع الطبقات ؛ فإنّه يتولّد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتمس كلّ امرئ منهم فوق مرتبته ، فإذا انتقل . . أوشك أن يرى شيئاً أرفع ممّا انتقل إليه ، فيحسده وينافسه ، وفي ذلك من الضرر المتولّد ما لا خفاء به .

فإن عجز ملك منكم عن إصلاح رعيّته كما أوصيناه . . فلا يكنّ للقميص القمل أسرع خلعاً منه لِمَا لبس من قميص ذلك الملك .

**واعلموا :** أنّه ليس ملك إلّا وهو كثير الذّكر لمن يلي الأمر بعده ، ومن إفساد أمر الملك ذكره ولاة العهود ؛ فإنّ في ذلك ضرباً من الضرر ، وإنّ ذلك دخول عداوة بين الملك ووليّ عهده ؛ لأنّه تطمّح عيناه إلى الملك ، ويصير له أحباب وأخذان يمتنونّه ذلك ، ويستبطنون موت الملك ، ثمّ إنّ الملك يتوحّش منه ، وتنساق الأمور إلى هلاك أحدهما .

ولكنّ لينظر الوالي منكم لله تعالى ، ثمّ لنفسه ، ثمّ للرعيّة ، وينتخب وليّاً للعهد من بعده ، ولا يُعلّمه ذلك ولا أحداً من الخلق ، قريباً كان أو بعيداً ،

ثُمَّ يَكْتُبُ اسْمَهُ فِي أَرْبَعِ صَحَائِفَ ، وَيَخْتِمُهَا بِخَاتَمِهِ ، وَيَضَعُهَا عِنْدَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ مِنْهُ فِي سِرِّهِ وَعِلَانِيَتِهِ أَمْرٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى وَلِيِّ عَهْدِهِ مَنْ هُوَ ، لَا فِي إِدْنَاءٍ وَتَقْرِيبٍ يُعْرَفُ بِهِ ، وَلَا فِي إِقْصَاءٍ وَإِعْرَاضٍ يُسْتَرَابُ لَهُ ، وَلِيَتَقَ ذَلِكَ فِي اللَّحْظَةِ وَالْكَلِمَةِ .

فَإِذَا هَلَكَ الْمَلِكُ . . جُمِعَتْ تِلْكَ الصَّحَائِفُ إِلَى النُّسْخَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي خَزَانَةِ الْمَلِكِ ، فَتُقَضُّ جَمِيعاً ، ثُمَّ يُنَوَّهُ حِينَئِذٍ بِاسْمِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَيَلْقَى الْمَلِكُ إِذَا لَقِيَهِ بِحَدَاثَةِ عَهْدٍ بِحَالِ السُّوقَةِ ، وَيَلْبَسُهُ إِذَا لَبَسَهُ بِبَصَرِ السُّوقَةِ وَسَمِعَهَا ، فَإِنَّ فِي مَعْرِفَتِهِ بِحَالِهِ قَبْلَ إِفْضَاءِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ سَكراً تُحَدِّثُهُ عِنْدَهُ وَلا يَهُ الْعَهْدِ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ الْمَلِكُ فَيَزِيدُهُ سَكراً إِلَى سَكْرِهِ ، فَيَعْمَى وَيَصْمُ ، هَذَا مَعَ مَا لَا بَدَأَ أَنْ يَلْقَاهُ أَيَّامَ وَلا يَهُ الْعَهْدِ مِنْ حِيلِ الْعُتَاةِ ، وَبَغْيِ الْكَذَّابِينَ ، وَتَرْقِيَةِ النَّمَّامِينَ ، وَإِغَارِ صَدْرِهِ ، وَإِفْسَادِ قَلْبِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ وَخَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَحْمُودٍ وَلَا صَالِحٍ .

**واعلموا :** أَنَّهُ لَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَحْلِفَ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ ؛ لِأَنَّهُ قَادِرٌ ، وَالْغَضَبُ لِقَاحُ الشَّرِّ وَالنَّدَامَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَعْثُ وَيَلْعَبَ ؛ لِأَنَّ اللَّعِبَ وَالْعَبَثَ مِنْ عَمَلِ الْفَرَاغِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَفْرَغَ ؛ لِأَنَّ الْفَرَاغَ مِنْ أَمْرِ السُّوقَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْسَدَ أَحَدًا إِلَّا عَلَى حَسَنِ التَّدْبِيرِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَخَافَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدُ فَوْقَ يَدِهِ .

**واعلموا :** أَنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا عَلَى أَنْ تَخْتِمُوا أَفْوَاهَ النَّاسِ مِنَ الطَّعَنِ وَالْإِزْرَاءِ عَلَيْكُمْ ، وَلَا قُدْرَةَ لَكُمْ عَلَى أَنْ تَجْعَلُوا الْقَبِيحَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ حَسَنًا ، فَاجْتَهِدُوا فِي أَنْ تَحْسُنَ أَعْمَالَكُمْ كُلُّهَا وَأَلَّا تَجْعَلُوا لِلْعَامَّةِ إِلَى الطَّعَنِ عَلَيْكُمْ سَبِيلًا .

**واعلموا :** أَنَّ لِبَاسَ الْمَلِكِ وَمَطْعَمَهُ مُقَارِبٌ لِلْبَاسِ السُّوقَةِ وَمَطْعَمِهِمْ ، وَلَيْسَ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَى السُّوقَةِ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ عَلَى اقْتِنَاءِ الْمُحَامِدِ وَاسْتِفَادَةِ

المكارم ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا شَاءَ .. أَحْسَنَ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ السُّوقَةُ .

**واعلموا :** أَنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ بَطَانَةً ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ بَطَانَتِهِ بَطَانَةٌ ، ثُمَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ بَطَانَةِ الْبَطَانَةِ بَطَانَةٌ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْمَمْلَكَةِ ، فَإِذَا أَقَامَ الْمَلِكُ بَطَانَتَهُ عَلَى حَالِ الصَّوَابِ .. أَقَامَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بَطَانَتَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَى الصَّلَاحِ عَامَّةُ الرِّعِيَةِ .

احذروا بَاباً وَاحِداً طَالَمَا أَمْنَتُهُ فَضَرَّنِي ، وَحَذَرْتُهُ فَنَفَعَنِي ، احذروا إِفْشَاءَ السِّرِّ بِحَضْرَةِ الصِّغَارِ مِنْ أَهْلِيكُمْ وَخَدِمِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَصْغُرُ وَاحِداً مِنْهُمْ عَنْ حَمَلِ ذَلِكَ السِّرِّ كَامِلاً لَا يَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى يَضَعَهُ حَيْثُ تَكْرَهُونَ ؛ إِمَّا سَقْطاً أَوْ غِشّاً .

**واعلموا :** أَنَّ فِي الرِّعِيَةِ صِنْفاً أَتَوَا الْمُلُوكَ مِنْ قَبْلِ النَّصَائِحِ لَهُمْ ، وَالتَّمْسُوإِ إِصْلَاحَ مَنَازِلِهِمْ بِإِفْسَادِ مَنَازِلِ النَّاسِ ، وَهُمْ أَعْدَاءُ الْمُلُوكِ ، وَمَنْ عَادَى الْمُلُوكَ وَالنَّاسَ كُلَّهُمْ .. فَقَدْ عَادَى نَفْسَهُ .

**واعلموا :** أَنَّ الدَّهْرَ حَامِلُكُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ ؛ فَمِنْهَا حَالُ السَّخَاءِ حَتَّى يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنَ السَّرَفِ ، وَمِنْهَا حَالُ التَّقْدِيرِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْبَخْلِ ، وَمِنْهَا حَالُ الْأَنَانَةِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْبِلَادَةِ ، وَمِنْهَا حَالُ انْتِهَازِ الْفُرْصَةِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْخَفَّةِ ، وَمِنْهَا حَالُ الطَّلَاقَةِ فِي اللِّسَانِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْهَذَرِ ، وَمِنْهَا حَالُ الْأَخْذِ بِحِكْمَةِ الصَّمْتِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْعِيِّ ، فَالْمَلِكُ مِنْكُمْ جَدِيرٌ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ فِي مُحَاسِنِهَا حَدَّهَا ، فَإِذَا وَقَفَ عَلَيْهِ .. أَلْجَمَ نَفْسَهُ عَمَّا وَرَاءَهُ .

**واعلموا :** أَنَّ ابْنَ الْمَلِكِ وَأَخَاهُ وَابْنَ عَمِّهِ يَقُولُ : كَدْتُ أَكُونُ مُلْكاً ، وَبِالْحَرِيِّ أَلَا أَمُوتَ حَتَّى أَكُونُ مُلْكاً ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ .. قَالَ مَا لَا يَسُرُّ الْمَلِكَ ، وَإِنْ كَتَمَهُ .. فَالْدَاءُ فِي كُلِّ مَكْتُومٍ ، وَإِذَا تَمَنَّى ذَلِكَ .. جَعَلَ الْفَسَادَ سُلْماً إِلَى الصَّلَاحِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْفَسَادُ سُلْماً إِلَى صِلَاحٍ قَطُّ .

وقد رسمتُ لكم مثلاً ؛ اجعلوا المُلْكَ لا ينبغي إلا لأبناء الملوكِ مِنْ بناتِ عموميتهم ، ولا يصلُحُ مِنْ أولادِ بناتِ العمِّ إلا كاملٌ غيرُ سخيْفِ العقلِ ، ولا عازبِ الرأيِ ، ولا ناقصِ الجوارحِ ، ولا مطعونٍ عليه في الدينِ ، فإنَّكم إذا فعلتم ذلك .. قلَّ طُلابُ المُلْكِ ، وإذا قلَّ طُلابُهُ .. استراحَ كلُّ امرئٍ إلى ما يليه ، ونزعَ إلى حدِّ يليه ، وعرفَ حالَهُ ، ورضيَ معيشَتُهُ ، واستطابَ زمانُهُ<sup>(١)</sup> .



وحيثُ جرى ذكرُ الإسكندرِ وتفرقتهُ مملكةُ فارسَ بينَ أبناءِ الملوكِ الذين قيلَ لَهُم : ملوكُ الطوائفِ ، وكانَ ملكُهُم فاصلاً بينَ سلسلتَي الملوكِ مِنَ الفُرسِ ، آخِرُ أولاهُما دارا بن دارا ، وأوّلُ الثانيةِ أردشيرٌ .. فلا بأسَ أن نُثبِتَ في هذا الموضعِ كتابَ الإسكندرِ إلى شيخِهِ الحكيمِ أرسطو ؛ يَسْتَشِيرُهُ فيما يفعلُ بأبناءِ الملوكِ : أَيْقِظُهُم أم يَبْقِيهِم ، وجوابَ الحكيمِ لَهُ عن ذلك .

### [ كتابُ الإسكندرِ إلى الحكيمِ أرسطو ]

وهذه صورةُ كتابِ الإسكندرِ : قال<sup>(٢)</sup> :

عليكَ أَيُّها الحكيمُ مِنّا السلامُ ، **أَمَّا بَعْدُ** : فَإِنَّ الأفلاكَ الدائرةَ والعللَ السماويةَ وإنْ كانتْ أسعدَتْنَا بالأُمُورِ التي أصبحَ الناسُ لنا بها دائنينَ .. فإنّا جِدُّ واجدينَ لِمَسِّ الاضطرابِ إلى حِكْمَتِكَ ، غيرَ جاحدينَ لِفَضْلِكَ ، والإقرارِ بمنزِلَتِكَ ، والاستنامةِ إلى مشورَتِكَ ، والاقْتداءِ بِرَأْيِكَ ، والاعتمادِ لِأَمْرِكَ وفهْمِكَ ؛ لِمَا بلونا مِنْ إجداءِ ذَلِكَ عَلَيْنَا ؛ وَدَقْنَا مِنْ جَنَى مَنْفَعَتِهِ ، حتّى صارَ ذَلِكَ بِنَجْوَعِهِ فينا وترسُّخِهِ في أَذْهَانِنَا كَالْغِذَاءِ لَنَا ، فما نَنفَكُ نَعُولُ عَلَيْهِ ،

(١) إلى هنا ينتهي النقل عن « شرح نهج البلاغة » .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٥٥ / ١٧ - ٥٦ ) .

وَنَسْتَمِدُّ مِنْهُ اسْتِمْدَادَ الْجَدَاوِلِ مِنَ الْبَحُورِ ، وَتَعْوِيلَ الْفُرُوعِ عَلَى الْأَصُولِ ،  
وَقُوَّةُ الْأَشْكَالِ بِالْأَشْكَالِ .

وقد كَانَ مِمَّا سَبَقَ إِلَيْنَا مِنَ النُّصَرِ وَالْفَلَاحِ ، وَأُتِيحَ لَنَا مِنَ الظَّفَرِ وَالْقَهْرِ ،  
وَبَلَّغْنَا فِي الْعَدُوِّ مِنَ النِّكَايَةِ وَالْبَطْشِ مَا يَعْجِزُ الْقَوْلُ عَنْ وَصْفِهِ ، وَيَقْصُرُ شُكْرُ  
الْمُنْعِمِ عَنْ مَوْقِعِ الْإِنْعَامِ بِهِ ، وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ جَاوَزْنَا أَرْضَ سُورِيَّةَ وَالْجَزِيرَةَ  
إِلَى بَابِلَ وَأَرْضِ فَارَسَ ، فَلَمَّا حَلَلْنَا بِعَقْوَةِ أَهْلِهَا وَسَاحَةِ بِلَادِهِمْ . . لم يكن  
إِلَّا رَيْثِمًا تَلَقَّانَا نَفَرٌ مِنْهُمْ بِرَأْسِ مَلِكِهِمْ هَدِيَّةً إِلَيْنَا ، وَطَلَبًا لِلْحِظْوَةِ عِنْدَنَا ،  
فَأَمَرْنَا بِصَلْبِ مَنْ جَاءَ بِهِ وَشَهْرَتِهِ ؛ لِسُوءِ بِلَادِهِ ، وَقِلَّةِ أَرْعَائِهِ وَوَفَائِهِ .

ثُمَّ أَمَرْنَا بِجَمْعِ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَوْلَادِ مَلُوكِهِمْ وَأَحْرَارِهِمْ وَذَوِي الشَّرَفِ  
مِنْهُمْ ، فَرَأَيْنَا رَجَالًا عَظِيمَةً أَجْسَامُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ ، حَاضِرَةً أَلْبَابَهُمْ وَأَذْهَانَهُمْ ،  
رَائِعَةً مَنَازِلَهُمْ وَمَنَاطِقَهُمْ ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ مَا يَظْهَرُ مِنْ رُؤَائِهِمْ وَمَنْطِقِهِمْ أَنَّ  
وَرَاءَهُ مِنْ قُوَّةِ أَيْدِيهِمْ وَشِدَّةِ نَجْدَتِهِمْ وَبِأَسْهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَكُونَ مَعَهُ لَنَا سَبِيلٌ  
إِلَى غَلْبَتِهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ لَوْلَا أَنَّ الْقَضَاءَ أَدَانَا مِنْهُمْ ، وَأَظْفَرْنَا بِهِمْ ،  
وَأَظْهَرْنَا عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَرِ بَعِيدًا مِنَ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِمْ أَنْ نَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ  
وَنَجْتَثَّ أَصْلَهُمْ وَنُلْحِقَهُمْ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِهِمْ ؛ لَتَسَكَنَ الْقُلُوبُ بِذَلِكَ  
إِلَى الْأَمْنِ مِنْ جَرَائِرِهِمْ وَبَوَائِقِهِمْ ، فَرَأَيْنَا أَلَّا نَعَجَلَ بِإِسْعَافِ بَادِيِ الرَّأْيِ  
فِي قَتْلِهِمْ دُونَ الْإِسْتِظْهَارِ عَلَيْهِ بِمَشُورَتِكَ فِيهِمْ ، فَارْفَعْ إِلَيْنَا رَأْيَكَ فِيمَا  
اسْتَشَرْنَاكَ فِيهِ بَعْدَ صَحَّتِهِ عِنْدَكَ ، وَتَقْلِيلِكَ إِيَّاهُ بِجَلِيِّ نَظْرِكَ ، وَسَلَامُ لَأَهْلِ  
السَّلَامِ ، فَلْيَكُنْ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ .

### [ جَوَابُ الْحَكِيمِ أَرِسْطُو إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ ]

وهذه صورة جواب الحكيم إلى الملك : <sup>(١)</sup> :

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ١٧ / ٥٦ - ٥٨ ) .



لملك الملوك وعظيم العظماء ، الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء ،  
المهدى له الظفر بالملوك ، من أصغر عبيده وأقل خوله أرسطو البخوع  
بالسجود والتذلل في السلام والإذعان في الطاعة .

**أما بعد :** فإنه لا قوة بالمنطق وإن احتشد الناطق فيه ، واجتهد في تثقيف  
معانيه ، وتأليف حروفه ومبانيه . . على الإحاطة بأقل ما تناله القدرة من  
بسطة علو الملك ، وسمو ارتفاعه عن كل قول ، وإبرازه عن كل وصف ،  
وقد كان تقرر عندي من مقدمات إعلام فضل الملك في صهلة سبقه ، وبروز  
شأوه ، ويمن نقيبته ؛ مذ أدت إلي حاسة بصري صورة شخصه ، وأطرب في  
حسن سمعي صوت لفظه ، ووقع وهمي على تعقب نجاح رأيه ، أيام كنت  
أؤدي إليه من تكلف تعليمي إيّاه ما أصبحت قاضياً على نفسي بالحاجة إلى  
تعلمه منه ، ومهما يكن مني إليه في ذلك . . فإنما هو عقل مردود إلى عقله ،  
مستنبطة أواله وتواليه من علمه وحكمته .

وقد جلّ إلي كتاب الملك ومخاطبته إيّاي ومسألته عما لا يتخالجني  
الشك في أن لقاح ذلك وإنتاجه من عنده ، فعنه صدر ، وعليه ورد ، وأنا فيما  
أشير به على الملك وإن اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حدّ الوسع  
والطاقة في استنظافه واستقصائه . . كالعدم مع الوجود ، وما لا يتجزأ في  
جنب معظم الأشياء ، ولكني غير ممتنع من إجابة الملك إلى ما سأل مع  
علمي ويقيني بعظيم غناه عني ، وشدة فاقتي إليه ، وأنا راؤ إلى الملك ما  
أكتسبه منه ، ومشير عليه بما أخذته منه ؛ فقائل له :

إن لكل تربة - لا محالة - قسماً من الفضائل ، وإنّ لفارس قسمها  
من النجدة والقوة ، وإنك إن تقتل أشرافهم . . تخلف الوضعاء على  
أعقابهم ، وتورث سفلتهم منازل عليتهم ، وتغلب أدنياءهم على مراتب

ذوي أخطارِهِمْ ، ولم يُبْتَلِ الملوْكُ قَطُّ ببلاءٍ هُوَ أعظمُ عليهم وأشدُّ توهيناً لسلطانِهِمْ مِنْ غلبةِ السَّفلةِ وذِلِّ الوجوهِ ، فاحذرِ الحذرَ كُلَّهُ أنْ تُمَكِّنَ تلكَ الطبَّقةَ مِنَ الغلبةِ والحركةِ ؛ فَإِنَّهُمْ إنْ نجمَ مِنْهُمْ بعدَ اليومِ على جندِكَ وأهلِ بلادِكَ ناجِمٌ .. دهمُّهم مِنْهُ ما لا رويةَ فِيهِ ولا بقيةَ مَعَهُ ، فانصرفْ عن هَذَا الرأْيِ إلى غيرِهِ .

واعمِدْ إلى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ أولئكِ العظماءِ والأحرارِ ؛ فوَرِّعْ بَيْنَهُمْ مملكتَهُمْ ، وألزمِ اسمَ الملكِ كُلِّ مَنْ وَلِيَتْهُ مِنْهُمْ ، واعقدِ التاجَ على رَأْسِهِ وإنْ صَغُرَ ملكُهُ ، فَإِنَّ المُتسمِّيَ بالملكِ لازِمٌ لاسمِهِ ، والمعقودَ التاجَ على رَأْسِهِ لا يخضعُ لغيرِهِ ، فليسَ ينشُبُ ذَلِكَ أنْ يوقعَ كُلَّ ملكٍ مِنْهُمْ بَيْنَهُ وبينَ صاحِبِهِ تدابراً وتقاطِعاً ، وتغالِباً على الملكِ ، وتفاخِراً بالمالِ والجندِ حتَّى يَنسُوا بِذَلِكَ أَضْغَانَهُمْ عَلَيْكَ ، وأوتارَهُمْ فِيكَ ، ويعودَ حربُهُمْ لَكَ حرباً بَيْنَهُمْ ، وحنقُهُمْ عَلَيْكَ حنقاً مِنْهُمْ على أَنفُسِهِمْ ، ثمَّ لا يزدادونَ فِي ذَلِكَ بصيرةً إِلَّا أَدْحَثُوا لَكَ بِهَا استقامَةً ؛ إنْ دنوتَ مِنْهُمْ .. [دانوا] لَكَ ، وإنْ نأيتَ عَنْهُمْ .. تَعَزَّزُوا بِكَ ، حتَّى يثَبَّ مَنْ ملكَ مِنْهُمْ على جَارِهِ باسمِكَ ، ويسترهَبُهُ بجندِكَ ، وفِي ذَلِكَ شاغلٌ لَهُمْ عَنْكَ ، وأمانٌ لأحداثِهِمْ بعدَكَ ، وإنْ كانَ لا أمانٌ للدهرِ ولا ثِقَةٌ بالأَيامِ .

قد أَدَيْتُ إلى الملكِ ما رَأَيْتُهُ لِي حظّاً ، وعليَّ حقّاً مِنْ إجابتي إِيَّاهُ إلى ما سألني عَنْهُ ، ومحضتُهُ النصيحةَ فِيهِ ، والملكُ أعلَى عِيناً ، وأنفذُ رويةً ، وأفضلُ رأياً ، وأبعدُ هِمَّةً فيما استعانَ بي عَلَيْهِ ، وكَلَّفَنِي تبيينَهُ ، والمشورةَ عَلَيْهِ فِيهِ ، لا زالَ الملكُ مُتَعَرِّفاً مِنْ عوائدِ النعمِ ، وعواقِبِ الصنعِ ، وتوطيدِ الملكِ ، وتنفيسِ الأجلِ ، ودركِ الأملِ .. ما تأتي فِيهِ قدرتُهُ على غايةِ أَقصى ما تَنالُهُ قدرةُ البشرِ ، والسلامُ الَّذِي لا انقضاءَ لَهُ ولا انتهاءً ، ولا غايةَ ولا فناءً ، فليكنْ على الملكِ .

وَمِنْ كِتَابِ أَرِسْطُو هَذَا يَسْتَحْكُمُ لَكَ فَهْمُ قَوْلِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ السَّابِقِ :  
( تَعْلَمُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ ، وَتُؤَدِّبُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَأَدَّبُ بِهِمْ ) ، وَتَعْرِفُ كَيْفَ  
ذَلِكَ ، وَمِنْهُ تَعْرِفُ أَيْضاً - إِذْ كَانَ تَرْجَمَةَ كَلَامِ يُونَانِيٍّ - أَنَّ التَّشْبِيهَ وَالِاسْتِعَارَةَ  
لَا يَخْصَّانِ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ ؛ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ : ( صَهْلَةٌ سَبَقَكَ ، وَبَرُوزٌ شَأُوكَ ) .

وَفِي قَوْلِهِ : ( أَوَالِيهِ وَتَوَالِيهِ ) تَغْيِيرُ اللَّفْظِ لِأَجْلِ تَحْصِيلِ الْإِزْدَوَاجِ بَيْنَ  
الْكَلِمَتَيْنِ بِقَلْبِ لَفْظٍ ( أَوَائِلَ ) ، وَقَدْ ثَبَتَ جَوَازُ ذَلِكَ حَيْثُ كَانَ التَّغْيِيرُ مُقَارِباً  
بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَائِحَاتٍ خَرَجْنَ خَلْفَ الرِّجَالِ : « أَرْجَعْنَ مَا زُورَاتٍ  
غَيْرَ مَا جُورَاتٍ » <sup>(١)</sup> ، فَغَيَّرَ ( موزوراتٍ ) مِنْ الْوَزْرِ لِذَلِكَ .

### [ كِتَابُ مَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِلْحَجَّاجِ مَعَ جَوَابِهِ ]

**صورة كتاب من عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف وجوابه منه له :**  
تَشْتَمِلُ عَلَيْهِمَا حِكَايَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِلْغَرَضِ الْمُعَوَّلِ عَلَيْهِ فِي نَقْلِ هَذِهِ الْكُتُبِ ؛  
لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَلِمِ الْعَرَبِيِّ ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي تُحِبُّ الْأَنْفُسُ الشَّرِيفَةُ  
الاطَّلَاعَ عَلَيْهَا .

قَالَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاهِظُ <sup>(٢)</sup> : كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ سَنَانَ قَرِيشٍ  
وَسَيْفَهَا رَأِياً وَحِزْماً ، وَعَابَدَهَا قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ وَرِعاً وَزَهْداً ، فَجَلَسَ يَوْمًا  
فِي خَاصَّتِهِ ، فَقَبَضَ عَلَى لَحِيَّتِهِ فَشَمَّهَا مَلِيًّا ، ثُمَّ اجْتَرَّ نَفْسَهُ وَنَفَخَ نَفْخَةً  
أَطَالَهَا ، ثُمَّ نَظَرَ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ فَقَالَ : مَا أَقُولُ يَوْمَ الْمَسْأَلَةِ عَنْ أَمْرِ الْحَجَّاجِ  
وَقَدْ أَدْحَضَ الْمُحْتَجُّ عَلَى الْعَلِيمِ بِمَا طَوَّعَهُ الْحُجُبُ ؟ أَمَا إِنَّ تَمْلِكُنِي لَهُ قَرْنَ  
بِي لَوْعَةٍ يُلْهِبُهَا التَّذْكَارُ ، كَيْفَ وَقَدْ عَلِمْتُ فَتَعَامَيْتُ ، وَسَمِعْتُ فَتَصَامَمْتُ ،  
وَحَمَلَهُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ؟ ! وَاللَّهِ ؛ لَكَأَنِّي آلَفُ هَذَا الطَّعْنِ عَلَى نَفْسِي بَعْدَ أَنْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ ( ١٦٦٣ ) عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) انْظُرْ « الْعَقْدُ الْفَرِيدُ » ( ٢٠/٥ - ٢٩ ) .

نَعَتِ الْأَيَّامُ بِتَصَرُّفِهَا نَفْسًا حَقَّ لَهَا الْوَعِيدُ بِتَصَرُّمِ الزَّوَالِ ، وَمَا أَبْقَتِ الشَّبْهَةُ  
لِلْبَاقِي مُتَعَلِّقًا ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْغُلُّ الْكَامِنُ ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ لِي أَوْسَعُ ، غَيْرَ مُنْتَصِرٍ  
وَلَا مُعْتَذِرٍ .

**قُلْتُ :** هَذَا الْكَلَامُ يَخْتَبِرُ بِهِ مَا فِي نَفُوسِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَهَرَ مِنْهُمْ أَمَارَاتُ  
الْغِيْظِ مِنَ الْحَجَّاجِ عَلَى ثِقَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِهِ وَاخْتِيَارِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَطَرَحَ كُلَّ مَا  
يُقَالُ فِيهِ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَقُومُ أَحَدٌ بِمَا قَامَ بِهِ الْحَجَّاجُ .

ثُمَّ قَالَ : يَا كَاتِبُ ؛ هَاتِ الدَّوَاةَ وَالْقُرْطَاسَ ، فَقَعَدَ كَاتِبُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَمْلَى  
عَلَيْهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى  
الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ .

**أَمَّا بَعْدُ :** فَقَدْ أَصْبَحْتُ بِأَمْرِكَ بِرَمًا ، يَقْعُدُنِي الْإِشْفَاقُ ، وَيَقِيمُنِي الرَّجَاءُ ،  
عَجَزْتُ فِي دَارِ [ السَّعَةِ ] وَتَوَسَّطُ الْمَلِكِ وَحِينَ الْمَهْلِ وَاجْتِمَاعِ الْفِكْرِ . .  
أَلْتَمَسُ الْعَذْرَ فِي أَمْرِكَ ؛ فَأَنَا - لَعَمْرُ اللَّهِ - فِي دَارِ الْجَزَاءِ ، وَعَدَمِ السُّلْطَانِ ،  
وَاشْتَغَالِ النَّفْسِ ، وَالرَّكُونِ إِلَى الذَّلَّةِ مِنْ نَفْسِي ، وَالتَّوَقُّعِ لِمَا طُوِيَتْ عَلَيْهِ  
الصُّحُفُ . . أَعْجِزُ ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْرَكَتُكَ فِيمَا طَوَّقَنِي اللَّهُ حَمْلَهُ ، وَأَلَاتَ  
بِحَقْوِي مِنْ أَمَانَةِ اللَّهِ فِي هَذَا الْخَلْقِ الْمَرْعِيِّ ، فَذَلَّلْتُ مِنْهُ عَلَى الْحَزْمِ وَالْجِدِّ  
فِي إِمَاتَةِ بَدْعَةٍ وَإِنْعَاشِ سُنَّةٍ ، فَقَعَدْتُ عَنْ تِلْكَ ، وَنَهَضْتُ بِمَا عَانَدَهَا ، حَتَّى  
صَرْتُ حُجَّةَ الْعَائِبِ ، [ وَعَذَرَ ] اللَّاعِنِ وَالشَّاهِدِ الْقَائِمِ ، فَلَعَنَ اللَّهُ أَبَا عَقِيلٍ  
وَمَا نَجَلَ ، فَأَلَأَمُ وَالِدٍ وَأَخْبِثُ نَسْلِ ، فَلَعَمْرِي ؛ مَا ظَلَمَكُمُ الزَّمَانُ ، وَلَا قَعَدْتُ  
بِكُمُ الْمَرَاتِبِ ، لَقَدْ أَلْبَسْتُكُمْ مَلْبَسَكُمْ ، وَأَقْعَدْتُكُمْ عَلَى رَوَابِي خَطِطِكُمْ ،  
وَأَحْلَلْتُكُمْ عَلَى قَدَرٍ مُنْعَتِكُمْ ، فَكُنْتُمْ بَيْنَ حَافِرٍ وَنَاقِلٍ وَمَاتِحٍ فِي الْفَلَوَاتِ  
الْقَفْرِ ، مَا تَقَدَّمَ بِكُمْ الْإِسْلَامُ ، وَلَقَدْ تَأَخَّرْتُمْ ، وَمَا الطَّائِفُ مِنَّا بِبَعِيدٍ يَجْهَلُ  
أَهْلَهُ .

ثُمَّ قَمَتَ بِنَفْسِكَ ، وَطَمَحَتَ بِهِمَّتِكَ ، وَسَرَّكَ انتِضَاءُ سَيْفِكَ ، فَاسْتَخَرَجَكَ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْوَانِ رُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَشَرْطَتِهِ وَأَنْتَ عَلَى مُعَاوَنَتِهِ يَوْمَئِذٍ  
مَحْسُودٌ ، فَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهُ يُصَلِّحُ بِالتَّوْبَةِ وَالْغَفَرَانِ زَلَّتُهُ ، [ وَكَأَنِّي ]  
بِكَ وَكَأَنَّ مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ . . لَكَانَ خَيْرًا مِمَّا كَانَ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَجَاسِرِكَ  
وَتَحَامِلِكَ عَلَى الْمَخَالَفَةِ لِرَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفَرَعْتَ صِفَاتِنَا ، وَهَتَكَتَ  
حُجُبَنَا ، وَبَسَطْتَ يَدَيْكَ تَحْفَنُ بِهِمَا مِنْ كِرَائِمِ ذَوِي الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ وَالْأَرْحَامِ  
الْوَاشِجَةِ فِي أَوْعِيَةِ ثَقِيفٍ !!

فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَذَنْبٍ مَا لَهُ عَذْرٌ ، فَلَنْ اسْتَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ الرَّأْيَ . .  
فَلَقَدْ حَالَتْ الْبَصِيرَةُ فِي ثَقِيفٍ بِصَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> ؛ إِذِ  
اِئْتَمَنَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَكَانَ عَبْدُهُ ، فَهَرَبَ بِهَا عَنْهُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا اخْتِبَارٌ لِلثَّقَةِ ،  
وَالْمَطْلَبُ لِمَوَاضِعِ الْكِفَايَةِ ، فَقَعَدَ فِيهِ الرَّجَاءُ كَمَا قَعَدَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا  
نَصَبَكَ لَهُ ، فَكَأَنَّ هَذَا أَلْبَسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثَوْبَ الْعِزِّ ، وَنَهَضَ بَعْدَهُ  
إِلَى اسْتِنشَاقِ نَسِيمِ الرُّوحِ ، فَاعْتَزَلَ عَمَلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَظْعَنَ عَنْهُ بِاللَّعْنَةِ  
اللَّازِمَةِ وَالْعُقُوبَةِ النَّاهِكَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِذَا اسْتَحْكَمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَحَاوُلُ  
مِنْ رَأْيِهِ ، وَالسَّلَامُ .

وَدَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ مُوَلَّى لَهُ يُقَالُ لَهُ : نَبَاتُهُ ، لَهُ لِسَانٌ وَفَضْلٌ رَأْيٍ ، فَنَاوَلَهُ  
الْكِتَابَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا نَبَاتُهُ ، الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعِرَاقَ ، فَضَعُ  
هَذَا الْكِتَابَ فِي يَدِ الْحَجَّاجِ ، وَتَرَقَّبْ مَا يَكُونُ مِنْهُ ، فَإِنْ جَبَنَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ  
وَاسْتَيْعَابِهِ مَا فِيهِ . . فَاقْلَعُهُ عَنْ عَمَلِهِ ، وَانْقَلَعْ مَعَهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ ، وَهَدِيَّ  
النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي بِمَا تَصِفُنِي بِهِ فِي حِينَ انْقِلَاعِكَ مِنْ حُبِّي لَهُمْ  
السَّلَامَةَ ، وَإِنْ هَشَّ لِلْجَوَابِ ، وَلَمْ تَأْخُذْهُ الْحَيْرَةُ . . فَخُذْ مِنْهُ مَا يَجِبُ بِهِ ،  
وَأَقْرُرْهُ عَلَى عَمَلِهِ ، ثُمَّ اعْجَلْ عَلَيَّ بِجَوَابِهِ .

(١) فِي « الْعَقْدِ الْفَرِيدِ » : ( ٢٢/٥ ) : ( جَالَتْ الْبَصِيرَةُ ) بَدَلَ ( حَالَتْ الْبَصِيرَةُ ) .



قال نباتة : فخرجتُ قاصداً إلى العراق ، فضممتني الصحاري والفيافي ، واحتواني القُرُ ، وأخذ مني السفر حتى وصلتُ ، فلما وردته . . أدخلتُ عليه وعليَّ شحوبٌ مُضنيٌّ ، وقد تَوَسَّطَ خدمه من نواحيه ، وتدنَّرتُ بمطرف خَزٍ أدكنَ ، ولاث به الناسُ من بين قائمٍ وقاعدٍ ، فلما نظر إليَّ - وكان لي عارفاً - قعد ، ثم تبسَّم تبسُّم الوجَلِ ، ثم قال : أهلاً بك يا نباتة ، أهلاً بمولى أمير المؤمنين ، لقد أترَّ فيك سفرُك ، وأعرفُ أمير المؤمنين بك ضنيناً ، فليت شعري !! ما دهمك أو دهمني عنده ؟ قال : فسلمتُ واعدتُ ، فسأل : ما حالُ أمير المؤمنين وخوله ؟

فلما هدأ . . أخرجتُ له الكتابَ ، فناولته إياه ، فأخذه مني مُسرِعاً ويده تُرعَدُ ، ثم نظر في وجوه الناس ، فما شعرْتُ إلَّا وأنا معه ليسَ معنا ثالثٌ ، وصارَ كلُّ من يطيْفُ من خدمه يلقاه خالياً ، لا يسمعونَ منَّا إلَّا الصوتَ ، فلا يقربونَ ، ففكَّ الكتابَ فقرَّاهُ ، وجعلَ يتشاءبُ ويُردِّدُ تشاؤبه ، ويسيلُ العرقُ على جبينه وصُدغِيه على شِدَّةِ البردِ من تحتِ قلنسوته ، وعلى رأسه عمامةُ خَزٍ خضراءُ ، وجعلَ يشخصُ إليَّ ببصره ساعةً كالمتوهِّمِ ، ثم يعودُ إلى قراءة الكتابِ ، ويلاحظني النظرَ كالمتفهمِ ، إلَّا أنَّه واجمٌ ثم يُعاودُ الكتابَ ، وإنِّي لأقولُ : ما أراه يُثبِتُ حروفه من شِدَّةِ [اضطرابٍ] يده ، حتى استقصى قراءته ، ثم مالت يده حتى وقعَ الكتابُ على الفراشِ ، ورجعَ إليه ذهنه ، فمسحَ العرقَ عن جبينه ثم قال مُتمثلاً :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ  
قُبَحَ وَاللَّهِ مِنَّا الْحَسَنُ يَا نَبَاتَةُ ، وتواكلتُنا عندَ أمير المؤمنين الألسنُ ، وما هذا إلَّا سانحُ فكرةٍ نَمَّقَها مُرَصِّدٌ يكلِّبُ بقصَّتينا مع حسنِ رأيِ أمير المؤمنين فينا ، يا غلامُ ؛ فتبادرَ الغلمانُ الصيحةَ فمُلِيَ علينا منهم المجلسُ ،

حتى دَفَأْتَنِي مِنْهُمْ الْأَنْفَاسُ ، فَقَالَ : الدَّوَاءَ وَالْقِرْطَاسَ ، فَأَتَيْتِي بِدَوَاءٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَكُتِبَ بِيَدِهِ وَمَا رَفَعَ الْقَلَمَ إِلَّا مُسْتَمِدًّا ، حَتَّى سَطَرَ مِثْلَ خَدِّ الْفَرَسِ .

فَلَمَّا فَرَعَ . . قَالَ لِي : يَا نَبَاتَةُ ؛ هَلْ عَلِمْتَ مَا جِئْتَ بِهِ فَنَسْمَعُكَ مَا كُتِبْنَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : إِذَا حَسْبُكَ مَنَّا مِثْلُهُ ، ثُمَّ نَاوَلَنِي الْجَوَابَ ، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ فَأَجَزَلَ ، وَجَرَّدَ لِي كِسَاءً ، وَدَعَا لِي بِطَعَامٍ ، فَأَكَلْتُ ، ثُمَّ قَالَ : نَكْلُكَ إِلَيَّ مَا أَمَرْتُ بِهِ مِنْ عَجَلَةٍ أَوْ تَوَانٍ ، وَإِنِّي لِأُحِبُّ مَقَارِنَتَكَ وَالْأَنْسَ بِرُؤْيَيْكَ ، فَقُلْتُ : كَانَ مَعِيَ قِفْلٌ مِفْتَاحُهُ عِنْدَكَ ، وَمِفْتَاحُ قِفْلِكَ عِنْدِي ، فَمَا جَدْتُ لَكَ الْوَافِيَةَ بِالْأَمْرَيْنِ <sup>(١)</sup> ، فَأَقْفَلْتُ الْمَكْرُوهَ ، وَفَتَحْتُ الْعَافِيَةَ ، وَمَا سَاءَ نِي ذَلِكَ ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَزِيدَكَ بَيَانًا .

**قُلْتُ :** الْوَافِيَةُ : الْوَفَاءُ ، وَقَوْلُهُ : ( فَأَقْفَلْتُ ) دَعَاءٌ ؛ أَيِ : جَعَلَنِي اللَّهُ سَبَبًا لِنَصْرِافِ الْمَكْرُوهِ ، وَإِقْبَالِ الْمَحْبُوبِ .

ثُمَّ قَالَ : ثُمَّ نَهَضْتُ ، وَقَامَ مُودِّعًا لِي ، فَالْتَزَمَنِي وَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، رَبُّ لَفْظَةٍ مَسْمُوعَةٍ وَمَحْتَقِرٍ نَافِعٍ ، فَكُنْ كَمَا أَظُنُّ ، فَخَرَجْتُ مُسْتَقْبِلًا وَجْهِي ، حَتَّى وَرَدْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَجَدْتُهُ مُنْصَرِفًا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَلَمَّا رَأَيْتِي . . قَالَ : مَا اجْتَوَاكَ الْمَضْجَعُ يَا نَبَاتَةُ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ خَافَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ . . أَدْلَجَ ، فَسَلَّمْتُ وَانْتَبَذْتُ عَنْهُ ، فَتَرَكَنِي حَتَّى سَكَنَ جَأَشِي .

ثُمَّ قَالَ : مَهِيْمٌ ؟ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَهُ مُتَبَسِّمًا ، فَلَمَّا مَضَى فِيهِ . . ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ لَهُ سُنُّ سَوْدَاءَ ، ثُمَّ اسْتَقْصَاهُ ، فَانْصَرَفَ إِلَيَّ فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَ إِشْفَاقَهُ ؟ قَالَ : فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ : صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الصَّادِقِ الْأَمِينِ ؛ « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

(١) العبارة في « العقد الفريد » ( ٢٥/٥ ) : ( فَأَحْدَثْتُ لَكَ ) بَدَلَ ( فَمَا جَدْتُ لَكَ ) .

ثُمَّ قَذَفَ الْكِتَابَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقَرَأْتُهُ ، فَإِذَا فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لَعَبِدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
وَالْمُؤَيَّدِ بِالْوَلَايَةِ ، الْمَعصُومِ مِنْ خَطْلِ الْقَوْلِ وَزَلْلِ الْفَعْلِ بِكَفَالَةِ اللَّهِ الْوَاجِبَةِ  
لِذَوِي أَمْرِهِ ، مِنْ عَبْدٍ اكْتَنَفَتْهُ الذَّلَّةُ ، وَمَدَّ بِهِ الصَّغَارُ إِلَى وَخِيمِ الْمَرْتَعِ وَوَبِيلِ  
الْمَكْرَعِ ، مِنْ جَائِلٍ قَادِحٍ وَمَعْتَرٍ فَادِحٍ <sup>(١)</sup> ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي  
اتَّسَعَتْ فَوْسَعَتْ ، وَكَانَ بِهَا التَّقْوَى إِلَى أَهْلِهَا قَائِدًا ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ  
رَاجِيًا لِعَظْفِكَ بِعَظْفِهِ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

**أَمَّا بَعْدُ :** كَانَ اللَّهُ لَكَ بِالذَّعَةِ فِي دَارِ الزَّوَالِ ، وَالْأَمْنِ فِي دَارِ الزَّلْزَالِ ؛ فَإِنَّهُ  
مَنْ عُنِيََتْ بِهِ فِكْرُتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَخْصُوصًا ، فَمَا هُوَ إِلَّا سَعِيدٌ يُوَثَّرُ ، أَوْ  
شَقِيٌّ يُوْتَرُ ، وَقَدْ حَجَبَنِي عَنْ نَوَاطِرِ السَّعْدِ لِسَانٌ مَرَصِدٌ ، وَنَافِثٌ حَقْدٌ انْتَهَزَ  
بِهِ الشَّيْطَانُ حِينَ الْفِكْرَةِ ، فَافْتَتَحَ بِهِ أَبْوَابَ الْوَسْوَاسِ بِمَا تَحْتَوِيهِ الصُّدُورُ ،  
فَوَا غَوَاثَهُ بِاسْتِعَاذَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَجِيمٍ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ،  
وَاعْتَصَامًا بِالتَّوَكُّلِ عَلَى مَنْ خَصَّهُ بِمَا أَجْزَلَ لَهُ مِنْ قِسْمِ الْإِيمَانِ وَصَادِقِ  
السَّنَةِ ، فَقَدْ أَرَادَ اللَّعِينُ أَنْ يَفْتَقَ لِأَوْلِيَائِهِ فَتَقًا نَبَا عَنْهُ كَيْدُهُ ، وَكَثُرَ عَلَيْهِ  
تَحَسُّرُهُ ، بَلِيَّةٌ قَرَعَ بِهَا فِكْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُلْبِسًا ، وَكَادِحًا [ وَمُؤَرِّشًا ] ؛ لِيَفْلَ  
مِنْ غَرْبِهِ الَّذِي نَصَبَنِي ، وَيَصِيبَ ثَارًا لَمْ يَزَلْ بِهِ مَوْتورًا ، وَأَذْكُرُهُ قَدِيمَ مَا مَتَّ  
بِهِ الْأَوَائِلُ حَتَّى لَحَقْتُ بِمَثَلِهِ مِنْهُمْ وَبِمَا كُنْتُ أَبْلُوهُ مِنْ خِسَّةِ أَقْدَارٍ وَمَزَاوِلَةِ  
أَعْمَالٍ ، إِلَى أَنْ وَصَلْتُ ذَلِكَ بِالتَّشْرِيطِ لِرُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ .

وَقَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ مَا اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْعِلْمِ  
الْمَأْثُورِ الْمَاضِي ؛ بِأَنَّ الَّذِي عُيِّرَ بِهِ الْقَوْمُ [ مِنْ ] مَصَانِعِهِمْ مِنْ أَشَدِّ مَا كَانَ  
يَزَاوِلُهُ أَهْلُ الْقُدَمَةِ الَّذِينَ اجْتَبَى اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ اعْتَصَمُوا وَامْتَعَضُوا مِنْ ذِكْرِ  
مَا كَانَ ، وَارْتَفَعُوا بِمَا يَكُونُ ، وَمَا جَهَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَلِلْبَيَانِ مَوْقِعُهُ غَيْرَ

(١) فِي « الْعَقْدِ الْفَرِيدِ » ( ٢٥/٥ ) : ( مِنْ جَلِيلِ فَادِحٍ وَمَعْتَرٍ قَادِحٍ ) .

مُحتَجٍّ ولا مُعتَدٍّ - أَنَّ متابعَةَ رُوحِ بنِ زُبَاعٍ طريقٌ إلى الوسيلةِ لِمَن أرادَ مَن فوقَهُ ، وأنَّ رُوحاً لم يُلبِسني العزمَ الذي بهِ رفعني أميرُ المؤمنينَ عن خولِهِ ، وقد أَلصَقْتَنِي بروحِ بنِ زُبَاعٍ هِمَّةٌ لم تزلْ نواظِرُها ترمي بيَ البعيدَ ، وتطالعُ الأعلامَ .

وقد أخذتُ مِن أميرِ المؤمنينَ نصيباً اقتسمَهُ الإشفاقُ مِن سخطِهِ ، والمواظبةَ على موافقتِهِ ، فما بقيَ لنا بعدَ الإصابةِ أمرٌ تجولُ بِهِ النفسُ وتطرفُ النواظِرُ ، ولقد سرْتُ بعينِ أميرِ المؤمنينَ سيرَ المُتَشَبِّطِ لِمَن يتلوهُ ، المُتَطَوِّلِ لِمَن يقدمُهُ ، غيرَ مُنبَتِّ مُوجِعٍ ، ولا مُتثاقِلِ مُجَحِفٍ ، ففُتَّ الطالبُ ، ولحقَّتْ الهاربُ ، حتى ثارتِ السُّنَّةُ ، وبادتِ البدعةُ ، وخسأَ الشيطانُ ، وحملتِ الأديانُ إلى الجادةِ العظمى والطريقةِ المثلى .

فهأنذا يا أميرَ المؤمنينَ نُصبَ المسألةِ لِمَن رامني ، وقد عقدتُ الحبوةَ ، وقرنتُ الوظيفينَ لقائلِ مُحتَجٍّ ، أو لائمٍ مُلتَجٍّ ، وأميرُ المؤمنينَ وليَّ المظلومِ ، ومعقلُ الخائفِ ، وستُظهرُ لَهُ المحنةُ نبأَ أمري ، ولكلِّ نبأٍ مُستقرٍّ ، وما حفنتُ يا أميرَ المؤمنينَ في أوعيةِ ثقيفٍ حتى رَوِيَ الظمآنُ ، وبطنَ الغرثانُ ، وغَصَّتِ الأوعيةُ ، وانقَدَّتِ الأوكيةُ في آلِ مروانَ ، فأخذتُ ثقيفُ فضلاً صارَ لها ، لولاهُ .. لقطنتِ السابلةُ<sup>(١)</sup> .

ولقد كانَ ممَّا أنكرَهُ أميرُ المؤمنينَ مِن تحاملي ، وكانَ ممَّا لو لم يكنْ .. لعظمَ الخطبُ فوقَ ما كانَ ، وإنَّ أميرَ المؤمنينَ لرباعٍ أربعةٍ ؛ أحدهُم ابْنُهُ شعيبُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ؛ إذ رمتَ بالظنِّ [ غرضُ ] اليقينِ تفرُّساً في النجى المصطفى بالرسالةِ ، فحقَّ لها فيه الرجاءُ ، وزالتْ شبهةُ الشكِّ بالاختبارِ ، وقبلَها العزيزُ في يوسفَ ، ثمَّ الصِّديقُ في الفاروقِ رحمةُ اللهِ عليهما ، وأميرُ

(١) في « العقد الفريد » ( ٢٧/٥ ) : ( لولاهم للقطنة السابلة ) .

المؤمنين في الحجاج ، وما حسد الشيطان [ يا أمير ] المؤمنين خاملاً ، ولا شَرِقَ بغير شجى ، فكم غبطة [ يا أمير ] المؤمنين الرجيم أدبر منها وله عواء ، وقد قلت حيلته ووهن كيدُهُ يومَ كيت وكيت ، ولا أظنُّ أذكرَ لها مِنْ أمير المؤمنين .

ولقد سمعتُ لأمير المؤمنين في صالح صلوات الله عليه في ثقيفٍ مقالاً ، هجمَ بي الرجاء لعدله عليه بالحجة في ردِّه بمُحكَمِ التنزيل ، على لسان ابنِ عمِّه خاتم النبیین وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؛ فقد أخبر عن الله عزَّ وجلَّ بحكاية [ عن ] الملائكة من قريش عند الاختيار والافتخار وقد نفخ الشيطان في مناخرهم ؛ قالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القرينين عظيم ، فوقع اختيارهم عند المباهاة بنفخة [ الكفر ] وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وأبي مسعود الثقفي ، فصارا في الافتخار بهما صنوين ، ما أنكر اجتماعهما من الأمة مُنكرٌ في مدِّ صوت القرآن ومُبلِّغ الوحي ، وإن كان ليُقال للوليد في الأمة يومئذ : ريحانة قريش ، وما ردَّ ذلك العزيزُ تعالى إلا بالرحمة الشاملة في القسم السابق ؛ فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وما قدَّمْتُني - يا أمير المؤمنين - ثقيف في الاحتجاج لها ، وإن لها مقالاً رحباً ، ومعاندة قديمة ، إلا أنَّ هذا من أيسر ما يحتجُّ به العبدُ المُشفقُ على سيِّده المُغضب ، والأمرُ إلى أمير المؤمنين ، عزل أم أقر ، وكلاهما عدلٌ مُتَّبِعٌ ، وصوابٌ معتدلٌ ، والسلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله .

قال نباتة : فأتيتُ على الكتابِ بمحضرِ أمير المؤمنين عبد الملك ، فلمَّا استوعبته . . سارقتُهُ النظرَ على الهيبة منه ، فصادفَ لحظي لحظه ،

(١) سورة الزخرف : ( ٣٢ ) .



فَقَالَ : اقْطَعُهُ ، وَلَا تُعْلِمَنَّ بِمَا كَانَ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ . . فشا عَنِّي الْخَبْرُ .

إِنَّكَ تَنْظُرُ أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ بِلَاغَةً عَالِيَةً ، وَسِيَاسَةً مُحْكَمَةً ، تَعْرِفُ مِنْهَا قَدَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَالْحَجَّاجُ ، وَكَيْفَ كَانَ عَلُوُّ أَمْرِ الدَّوْلَةِ [ يَوْمَ ذَلِكَ ] .

### [ كِتَابُ آخَرٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْحَجَّاجِ مَعَ جَوَابِهِ ]

وهذه حكاية ثانية هي أوفق بالغرض من الأولى ، تشتمل أيضاً على كتاب وجوابه لهما<sup>(١)</sup> ، وأمور تستفيد بمعرفتها زيادة مكنة مما تحاول أن تصل إلى معرفته ، والتحقق بما يستبين لك من آدابه .

قال سعيد بن جويرية<sup>(٢)</sup> : خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معه ، فأبى ، فكتب إليه يشتمه ، فكتب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان يشكوه ، وأدرج كتاب الحجاج في جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر : بعث إليَّ عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعث إليَّ في مثلها ، فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقاً وغيطاً ، فقال : يا إسماعيل ؛ ما أشد عليَّ أن تقول الرعية : ضَعُفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وضاق ذرعهُ في رجلٍ من أصحابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لا يقبلُ لَهُ حسنةٌ ، ولا يتجاوزُ لَهُ عن سيئةٍ ، فقلتُ : وما ذاك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : أنسُ بنُ مالكٍ خادِمُ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إليَّ يذكرُ

(١) كذا في الأصل ، والمراد : تشتمل على كتاب من الحجاج وأنس بن مالك رضي الله عنه إلى عبد الملك ، وجوابه لهما ، كما يظهر من السياق .

(٢) انظر « العقد الفريد » ( ٣٦/٥ - ٤١ ) .

أَنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ أَضَرَّ بِهِ وَأَسَاءَ جَوَارَهُ ، وَقَدْ كَتَبْتُ فِي ذَلِكَ كِتَابَيْنِ ؛ كِتَابًا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَالْآخَرَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَاقْبِضْهُمَا ثُمَّ اخْرُجْ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَإِذَا وَرَدْتَ الْعِرَاقَ . . فابْدَأْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَادْفَعْ لَهُ كِتَابِي ، وَقُلْ لَهُ : اشْتَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَيْكَ ، وَلَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ الْحَجَّاجَ فَادْفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ اغْتَرَرْتُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَرَّةً لَا أَظُنُّهُ يَخْطُئُكَ [ شُرْهَا ] ، ثُمَّ أَفْهَمْتُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَمَا يَكُونُ مِنْهُ حَتَّى تَفْهَمَنِي إِيَّاهُ إِذَا قَدِمْتَ عَلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَقَبِضْتُ الْكِتَابَيْنِ ، وَخَرَجْتُ عَلَى الْبَرِيدِ حَتَّى قَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَبَدَأْتُ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي مَنْزِلِهِ ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ، فَدَعَا لَهُ وَجْزَاهُ خَيْرًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ . . قُلْتُ لَهُ : أبا حمزة ؛ إِنَّ الْحَجَّاجَ عَامِلٌ ، وَلَوْ وُضِعَ لَكَ فِي جَامِعَةٍ . . قَدَرُ أَنْ يَضْرَكَ وَيَنْفَعَكَ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَصَالِحَهُ ، قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، لَا أَخْرُجُ عَنْ رَأْيِكَ .

ثُمَّ أَتَيْتُ الْحَجَّاجَ ، فَلَمَّا رَأَنِي . . رَحَّبَ وَقَالَ : وَاللَّهِ ؛ لَقَدْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَرَاكَ فِي بَلَدِي هَذَا ، قُلْتُ : وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَرَاكَ وَأَقْدَمَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : فَارَقْتُ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ أَغْضَبُ النَّاسِ عَلَيْكَ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَجَعَلَ يَقْرُؤُهُ وَجَبِينُهُ يَعْزَقُ ، فَمَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ارْكَبْ بِنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قُلْتُ لَهُ : لَا تَفْعَلْ ؛ فَإِنِّي سَأَتَلَطَّفُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ ، وَذَلِكَ لِلَّذِي أَشْرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحَتِهِ .

قَالَ : فَفَكَ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسَفَ ، **أَمَّا بَعْدُ** ؛ فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَعْتَ بِكَ الْأُمُورَ ، فَطَغَيْتَ وَعَلَوْتَ فِيهَا حَتَّى جَزْتَ قَدْرَكَ ، وَعَدَوْتَ

طورك ، وايم الله يا بن المستفرمة بعجم زبيب الطائف ؛ لأغمزنك كبعض غمزات الليوث للثعالب ، ولأركضنك ركضة تدخل منها في وجارك .

اذكر مكاسب آبائك بالطائف ؛ إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ، ويحفرون الآبار في المناهل بأيديهم ، فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة .

وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جراءة منك على أمير المؤمنين ، وغرّة بمعرفة غيره [ ونقماته ] وسطواته على من خالف سبيله ، وعمد إلى غير محبته ، ونزل عند سخطه ، وأظنك أردت أن تروزه بها لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها ؛ فإن سوغتها . . مضيت قدماً ، وإن غصصت بها . . ولّيت دبراً ، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين ، أصك الرجلين ، ممسوح الجاعرتين .

وايم الله ؛ لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، وانتهكت له عرضاً فيما كتب به إلى أمير المؤمنين . . لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك ، فيحكم فيك بما أحب ، ولم يخف على أمير المؤمنين نبؤك ، ولكل نباً مستقرّ ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقت إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ، فلما دخلنا عليه . . قال : يغفر الله لك أبا حمزة ، عجلت باللائمة ، وأغضبت علينا أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إنك تزعم أنا الأشرار ، والله سمنا الأنصار ، وقلت : إنا من أبخل الناس ، والله يقول فينا : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ،

(١) سورة الحشر : ( ٩ ) .

وزعمت أنا أهل نفاق ، والله تعالى يقول فينا : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ <sup>(١)</sup> ، فكان المخرج والمشتكى في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولَّى مِنْ ذَلِكَ ما ولَّاهُ اللهُ ، وعرف مِنْ حَقِّنا ما جهلت ، وحفظَ مِنَّا ما ضيَّعت ، وسيحكمُ في ذَلِكَ رَبُّ هُوَ أَرْضَى للمُرضَى ، وأسخطَ للمسخطِ ، وأقدرُ على الغيرِ ؛ في يومٍ لا يشوبُ الحقَّ فيه الباطلُ ، ولا النورَ الظلمةُ ، ولا الهدى الضلالةُ ، واللهِ ؛ لو أَنَّ اليهودَ أو النصارى رأت مِنْ خِدمِ موسى بنِ عمرانَ أو عيسى بنِ مريمَ يوماً واحداً . . لرأتْ لَهُ ما لم تروا لي في خدمةِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرَ سنينَ .

قالَ : فاعتذرَ إليه الحجاجُ وترضاهُ حتى قبلَ عذرَهُ ورضيَ عنه ، وكتبَ برضاهُ وقبولِهِ عذرَهُ ، ولم يزلِ الحجاجُ لَهُ مُعْظِماً هائباً حتى هلكَ رضيَ اللهُ عنه .

وكتبَ الحجاجُ إلى أميرِ المؤمنينَ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ : بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ، **أما بعدُ** : أصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ وأبقاهُ وسَهَّلَ حظَّهُ وحاطَهُ ولا [عدمناه] ، فإنَّ إسماعيلَ بنَ أبي المهاجرِ رسولَ أميرِ المؤمنينَ أعزَّ اللهُ نصرَهُ ، قدمَ عليَّ بكتابِ أميرِ المؤمنينَ - أطالَ اللهُ بقاءَهُ ، وجعلني مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ فداءً - بذكرِ شتيمتي ، وتوبيخي بآبائي ، وتعييري بما كانَ قبلَ نزولِ النعمةِ بي مِنْ عِنْدِ أميرِ المؤمنينَ أتمَّ اللهُ نعمتَهُ عليهِ وإحسانَهُ إِلَيهِ ، ويذكِّرُني أميرُ المؤمنينَ جعلني اللهُ فداءً استطالةً مِنِّي على أنسِ بنِ مالكٍ خادمِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جراءةً [مِنِّي] على أميرِ المؤمنينَ ، وغرَّةً بمعرفةِ غيره ، ونقماتِهِ وسطواتِهِ على مَنْ خالفَ سبيلَهُ وعمدَ إلى غيرِ

(١) سورة الحشر : ( ٩ ) .

محبّته ، ونزلَ عندَ سخطِهِ ، وأميرُ المؤمنينَ - أصلحه اللهُ - مِنْ قرابتهِ مِنْ مُحَمَّدٍ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إمامِ الهدى وخاتمِ النبيينَ أحقُّ مَنْ أقالَ عثرتي ، وعفا عن ذنبي ، فأمهّلني ولم يعجلني عندَ هفوتي ، لِلهِ جُبِلَ عليه مِنْ كريمِ طبائعِهِ ، وما قلّدهُ اللهُ مِنْ أمورٍ عبادِهِ .

فرائي أميرِ المؤمنينَ أصلحه اللهُ في تسكينِ روعتي ، و [إفراجِ] كُربتي ؛ فقد ملئتُ رعباً وفرقاً مِنْ سطوتِهِ ، وفجأةً نقمتهِ ، وأميرُ المؤمنينَ - أقاله اللهُ العثراتِ ، وتجاوزَ له عن السيئاتِ ، وضاعفَ له الحسناتِ ، وأعلىَ له الدرجاتِ - أحقُّ مَنْ صفَحَ وعفا ، وتغمَّدَ وأبقى ، ولم يُشمِتْ فيّ عدوّاً مكبّاً ، ولا حسوداً مصبّاً ، ولم يُجرِّعني غصصاً ، والذي وصفَ أميرُ المؤمنينَ مِنْ صنيعتهِ إليّ ، وتنويهه لي بما أسندَ إليّ مِنْ عمله ، وأوطأني مِنْ رقابِ رعيّتهِ . . فصادقُ فيه ، مجزيٌّ بالشكرِ عليه ، والتوسُّلُ مَتي إليه بالولاية ، والتقربُ له بالكفاية ، وقد عاينَ إسماعيلُ بنُ أبي المهاجرِ - رسولُ أميرِ المؤمنينَ وحاملُ كتابِهِ - مِنْ نزولي عندَ مَسْرَةِ أنسِ بنِ مالكٍ ، وخضوعي عندَ كتابِ أميرِ المؤمنينَ ، وإقلاقِهِ إِيَّاي ، ودخولِهِ بالمصيبةِ عليّ ، ما سيعلمُهُ أميرُ المؤمنينَ <sup>(١)</sup> .

فإن رأى أميرُ المؤمنينَ - طَوَّقني اللهُ بشكرِهِ ، وأعانني على تأديةِ حقِّهِ ، وبلَّغني إلى ما فيه موافقةَ مرضاتِهِ ، ومدَّ لي في أجلِهِ - . . أن يأمرَ لي بكتابٍ مِنْ رضاهُ وسلامةِ صدرِهِ ما يُؤمِّنني به مِنْ سفكِ دمي ، وبرِّدٍ ما شردَ مِنْ نومي ، ويطمئنُّ به قلبي ؛ فقد وردَ عليّ أمرٌ جليلٌ خطبُهُ ، عظيمٌ أمرُهُ ، شديدٌ عليّ كربهُ ، أسألُ اللهَ ألاَّ يُسخطَ أميرَ المؤمنينَ ، وأن يثبتَهُ في حزمِهِ وعزمِهِ ، وسياستِهِ وفراسِتهِ ، ومواليهِ وحشمِهِ ، وعَمَّالِهِ وصنائِعِهِ ؛ ممَّا يُحمدُ بِهِ حسنُ

(١) في « العقد الفريد » ( ٤٠/٥ ) : ( ودخوله [ عليّ ] بالمصيبة ، على ما سيعلمه أمير المؤمنين ونيهيه إليه ) .



رأيه ، وبُعْدُ هِمَّتِهِ ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالذَّابُّ عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَالصَّانِعُ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَالسَّلَامُ .

فَحَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابَ . . قَالَ : يَا كَاتِبُ ؛ أَفَرُخُ رَوْعَ أَبِي مُحَمَّدٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِالرِّضَا عَنْهُ .



إِنَّكَ تَعْلَمُ أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ كِتَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا وَجَوَابِهِ لِلْحَجَّاجِ وَالِي الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِهِ : أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَسْتَجِيزُونَ الْعُقُوبَةَ بِالشَّتْمِ وَالْإِفْحَاشِ فِي السَّبِّ وَاللَعْنِ عِنْدَ عِظَمِ الْجَنَائِيَةِ ، وَكَيْفَ يَتَمَلَّقُ الضَّعِيفُ الْقَوِيَّ ، وَيَحْتَمِلُ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، وَيَتَلَقَّاهُ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ، وَقَوْلُ عَبْدِ الْمَلِكِ : ( يَا بَنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ بَعَجَمِ زَيْبِ الطَّائِفِ ) مِنْ الْإِفْحَاشِ فِي السَّبِّ ؛ فَإِنَّ الْاسْتَفْرَامَ : هُوَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنَ الْأُمُورِ الْحَرِيفَةِ كَالشَّبِّ وَالْعَفْصِ وَبِزْرِ الْعَنْبِ الَّذِي هُوَ الْعَجَمُ ، فَتَجْعَلُهُ فِي خِرْقَةٍ ، وَتَضَعُهُ فِي فَرْجِهَا ؛ لِيَنْكَمَشَ فَيَضِيقَ .

وَفِي قَوْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ صَدَرَ كَلَامِهِ : ( لَا يَقْبَلُ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَلَا يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ سَيِّئَةٍ ) إِشَارَةً إِلَى وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْصَارِ لِمَنْ يَتَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ ؛ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مَسِيئِهِمْ <sup>(١)</sup> ، وَبِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ احْتَجَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُمْ فِي الْخِلَافَةِ ، حَيْثُ كَانُوا مَوْصًى بِهِمْ ، فَالْوَالِي إِذَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ ، وَانْكَفَّوْا عَنْ طَلَبِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا كَانَ مِنَ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ؛ إِذْ يَقُولُ حَالُ الْمَشُورَةِ : ( أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَّبُ ؛ مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ) <sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْجَمِيعِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ( ٩٢٧ ) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمُسْلِمٌ ( ٢٥١٠ ) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ( ٦٨٣٠ ) .

## [ كِتَابُ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْحَجَّاجِ مَعَ جَوَابِهِ ]

وهذه حكايةُ ثالثةٍ تَشْتَمِلُ على كِتَابِ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيَّامَ ولايةِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وجوابِهِ مِنْ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup> : قالوا : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَكْتُبُ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي أَيَّامِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كُتُبًا ، فَلَا يَنْظُرُ لَهُ فِيهَا ، فَكُتِبَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ .

**أَمَّا بَعْدُ** : فَإِنَّكَ أَمْرٌ مَهْتَوٌّ عَنْهُ حِجَابُ الْحَقِّ ، مُوَلَّعٌ بِمَا عَلَيْكَ لَا لَكَ ، مُنْصَرِفٌ عَنْ مَنَافِعِكَ ، تَارِكٌ لِحَظِّكَ ، مُسْتَخِفٌّ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَوْلِيَائِهِ ، لَا مَا سَلَفَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ يَعْطُفُكَ ، وَلَا مَا عَلَيْكَ لَا لَكَ تَصْرِفُهُ فِي مُهِمَّةٍ مِنْ أَمْرِكَ ، مَعْمُومٌ مَعْصُومٌ عَنِ الْحَقِّ اعْصِيصَاءً ، لَا تَسْكُتُ عَنْ قَبِيحٍ ، وَلَا تَرْعَوِي عَنْ إِسَاءَةٍ ، وَلَا تَرْجُو لِلَّهِ وَقَارًا ؛ حَتَّى دَعَيْتَ فَاخِشًا سَبَّابًا ، فَقَسَّ شَبْرَكَ بِفَتْرِكَ .

وَايْمُ اللَّهِ ؛ لئن أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ . . لَأَدُوسَنَّكَ دَوْسَةً تَلِينُ مِنْهَا فَرَائِصُكَ ، وَلَأَجْعَلَنَّكَ شَرِيدًا فِي الْجِبَالِ تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الشَّمَالِ ، وَلَأُعَلِّقَنَّ الرُّومِيَّةَ الْحُمْرَاءَ بِشَدَائِيهَا ، عِلْمَ اللَّهِ ذَلِكَ مِنِّي ، فَقَدْ مَأْ غَرَّتْكَ الْعَافِيَةُ ، وَانْتَحَيْتَ أَعْرَاضَ الرِّجَالِ ، فَإِنَّكَ قَدَرْتَ فَبَذَخْتَ ، وَظَفَرْتَ فَتَعَدَّيْتَ ، فَرُويَدَكَ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ يَكُونُ مَصِيرُكَ إِنْ كَانَتْ بِي وَبِكَ مُدَّةٌ أَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَإِنْ تَكُ الْآخِرَى . . فَأَرْجُو أَنْ تَتَوَلَّ إِلَى مَذَلَّةٍ ذَلِيلَةٍ ، وَخَزِيَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَيُجْعَلَ مَصِيرُكَ فِي الْآخِرَةِ شَرًّا مَصِيرٍ ، وَالسَّلَامُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

(١) انظر « العقد الفريد » ( ٤١/٥ - ٤٣ ) .

**أَمَّا بَعْدُ :** فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَذَكُّرَ أَنِّي امْرُؤٌ مَهْتَوِكُ عَنِّي حِجَابُ الْحَقِّ ،  
مُولَعٌ بِمَا عَلَيَّ لَا لِي ، مُنْصَرِفٌ عَنْ مَنَافِعِي ، تَارِكٌ لِحَظِّي ، مُسْتَخَفٌّ بِحَقِّ اللَّهِ  
وَحَقِّ وَلِيِّ الْحَقِّ ، وَتَذَكُّرُ أَنَّكَ ذُو مَصَاوِلَةٍ .

وَلَعَمْرِي ؛ إِنَّكَ لَصَبِيٌّ حَدِيثُ السِّنِّ ، تُعَذِّرُ بِقَلَّةِ عَقْلِكَ ، وَحِدَاثَةِ سِنَّكَ ،  
وَيَرْقُبُ فِيكَ غَيْرُكَ ، فَأَمَّا كِتَابُكَ إِلَيَّ . . فَلَعَمْرِي ؛ لَقَدْ ضَعُفَ فِيهِ عَقْلُكَ ،  
وَاسْتَخَفَّ بِهِ حِلْمُكَ ، فَلِلَّهِ أَبُوكَ ، أَفَلَا انْتَصَرْتَ بِقَضَاءِ اللَّهِ دُونَ قَضَائِكَ ،  
وَرَجَاءِ اللَّهِ دُونَ رَجَائِكَ ، وَأُمْتُ غِيظِكَ ، وَأُنْمَتَ عَدُوِّكَ ، وَسَتَرْتَ عَنْهُ تَدْبِيرَكَ ،  
وَلَمْ تُنَبِّهْهُ فَيَلْتَمِسْ مِنْ مَكَايِدِكَ مَا تَلْتَمِسُ مِنْ مَكَايِدَتِهِ ؟! وَلَكِنَّكَ لَمْ تَشْفِ  
بِالْأُمُورِ عِلْمًا ، وَلَمْ تُرْزَقْ مِنْ أَمْرِكَ حِزْمًا ، جَمَعْتَ أُمُورًا دَلَالًا فِيهَا الشَّيْطَانُ  
عَلَى أَسْوَأِ أَمْرِكَ ، فَكَانَ الْجَفَاءُ مِنْ خَلِيقَتِكَ ، وَالْحَقْمُ مِنْ طَبِيعَتِكَ ، وَأَقْبَلَ  
الشَّيْطَانُ بِكَ وَأَدْبَرَ ، وَحَدَّثَكَ أَنَّكَ لَنْ تَكُونَ كَامِلًا حَتَّى تَتَعَاطَى مَا يَعْيِيكَ ،  
فَتَزْحَلِقَتْ صَخْرَتُكَ لِقَوْلِهِ <sup>(١)</sup> ، وَاتَسَعَتْ جَوَانِبُهَا لِكُذْبِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : ( لَوْ مَلَكَكَ اللَّهُ . . لَعَلَّقْتَ زَيْنَبَ بَنَةَ يَوْسَفَ بِثَدْيَيْهَا ) فَأَرْجُو  
أَنْ يَكْرِمَهَا اللَّهُ بِهَوَانِكَ ، وَأَلَّا يُوفِّقَ ذَلِكَ لَكَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِكَ ، مَعَ  
أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ وَالشَّيْطَانُ بَيْنَ كِتْفَيْكَ ، فَشَرُّ مُمْلٍ عَلَى شَرِّ كَاتِبٍ  
رَاضٍ بِالْخُسْفِ ، فَأَحْرَى بِالْحَقْمِ أَلَّا يَدْلِكَ عَلَى هَدًى ، وَلَا يَرُدَّكَ إِلَّا إِلَى  
رَدًى ، وَمَالَ بِكَ الْأَمَلُ ، وَتَحَلَّبَ فَوْكَ لِلْخِلَافَةِ ، فَأَنْتَ شَامِخُ الْبَصْرِ ، طَامِخُ  
النَّظَرِ ، تَظُنُّ أَنَّكَ حِينَ تَمْلِكُهَا لَا تَنْقَطِعُ عَنْكَ مُدَّتُهَا ؟! إِنَّهَا لِنِعْمَةِ اللَّهِ ،  
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَكَ فِيهَا الشُّكْرَ ، مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ تَرْغَبَ فِيهَا رَغَبَ فِيهِ  
أَبُوكَ وَأَخُوكَ ، فَأَكُونَ لَكَ مِثْلِي لَهْمًا ، وَإِنْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنْخَرِكَ . . فَهُوَ  
أَمْرٌ أَرَادَ اللَّهُ نَزْعَهُ عَنْكَ ، وَإِخْرَاجَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْمَلُ بِهِ مِنْكَ ، وَلَعَمْرِي ؛

(١) فِي « الْعَقْدِ الْفَرِيدِ » ( ٤٢/٥ ) : ( فَتَحَذَلْتُ حَنْجَرَتِكَ لِقَوْلِهِ ) .

إِنَّهَا النّصِيحَةُ ، فَإِنْ تَقْبَلُهَا .. فَمِثْلُهَا قُبِلَ ، وَإِنْ تَرُدُّهَا عَلَيَّ .. اقْتَطَعْتُهَا  
دُونَكَ ، وَأَنَا الْحَجَّاجُ .



زَيْنُبُ بِنْتُ يَوْسُفَ : أَخْتُ الْحَجَّاجِ ، هِيَ الَّتِي أَرَادَهَا سَلِيمَانُ بِقَوْلِهِ :  
( الرُّومِيَّةُ الْحَمْرَاءُ ) يَشْتُمُّهَا بِذَلِكَ ، وَقَوْلُ الْحَجَّاجِ : ( تَحَلَّبَ فَوْكَ لِلْخَلَافَةِ )  
كَقَوْلِ النَّاسِ : ( سَالَ لِعَابُهُ لَكَذَا ، وَجَرَى رِيقُهُ ) .

### فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ظَهَرَتْ مِنْ سَلِيمَانَ جِهَالَاتٌ :

**منها :** مَا قَالَهُ الْحَجَّاجُ فِي كِتَابِهِ مِنْ تَنْبِيهِ عَدُوِّهِ لِمَا أَضْمَرَ لَهُ ، فَإِذَا أَنْ  
يَلْتَمِسَ لَهُ الْمَكَائِدَ ، وَإِذَا أَنْ يَحْتَرِسَ مِنْهُ حَتَّى لَا يَبْلُغَ فِيهِ مَرَامُهُ .

**ومنها :** تَوَعُّدُهُ أَوَّانَ عَجْزِهِ بِمُنْتَظَرِ قُدْرَةٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ .

**ومنها :** تَعَرُّضُهُ لِتَحَرُّكِ غَيْرَةِ السُّلْطَانِ الْقَائِمِ وَسُوءِ ظَنِّهِ بِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَ  
ذَلِكَ سَبَبًا لِإِيْقَاعِهِ بِهِ وَذَهَابِهِ بِنَفْسِهِ ، فَقَدْ قِيلَ : الْمُلْكُ عَقِيمٌ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ رَبَّمَا  
دَعَا الْمَلِكَ بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَى أَنْ يَقْتُلَ ابْنَهُ أَوْ أَخَاهُ .

**ومنها :** قَرْنُهُ نَفْسَهُ عَلَى صَغَرِ سِنِّهِ بِرَجُلٍ نَكْرَةٍ دَاهِيَةٍ تَصَرَّفَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ ،  
وَمَرَّتْ عَلَى رَأْسِهِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ ، حَتَّى عَرَفَ وَجُوهَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ .

وَأَبْنُ أَلَلْبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ أَلْبُزْلِ أَلْقَنَاعِيسِ<sup>(١)</sup>



## [ تقسيمُ ابنِ خلدونَ الإنشاءَ إلى طبقاتٍ ]

هذه صورة ما كانت عليه الكتابة في الطبقة الأولى ، لا ترى في الكتابة زيادة عن المقصود ، وعناية صاحبه إنما هي إيفاء تأدية المراد .

**ومثل هذه الكتابة** هو الذي أراد ابنُ خلدونَ بالمرسلِ من قسمي الكتابة ، ومدحه وعاب غيره ، **وهذا هو الفصل الذي أبان فيه ذلك** ؛ قال : ( **اعلم** : أن لسان العرب وكلامهم على فئتين :

**الشعر المنظوم** : وهو الكلام الموزون المُقَفَّى ؛ **ومعناه** : الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد ؛ وهو القافية .

**والنثر** : وهو الكلام غير الموزون .

وكل واحد من الفئتين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام .

**فأما الشعر** .. فمنه : المدح ، والهجاء ، والثناء .

**وأما النثر** .. فمنه **السجع** الذي يُؤتى به قطعاً ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ، ومنه **المُرسل** ؛ وهو الذي يُطلق فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يُقطع أجزاء ، بل يُرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ، ويُستعمل في الخطب والدعاء ، وترغيب الجمهور وترهيبهم .

وأما القرآن وإن كان من المنشور .. إلا أنه خارج عن الوصفين ، وليس يُسمى مرسلاً مطلقاً ، ولا مسجعاً ، بل مُفَصَّلٌ بآياتٍ ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يُعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويُننى من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية ؛ وهو معنى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ



أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴿١﴾ ، وَقَالَ ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ ﴾ ﴿٢﴾ ، وَيُسَمَّى أَوَاخِرُ الْآيَاتِ مِنْهَا فَوَاصِلَ ؛ إِذْ لَيْسَتْ أُسْجَاعًا ، وَلَا التَّرَمُّ فِيهَا مَا يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ ، وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ .

وَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَاخْتَصَّتْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْغَلْبَةِ فِيهَا ؛ كَالنَّجْمِ لِلثَّرِيَّا ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَانْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَتِهَا بِالْمَثَانِي . . يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرَجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ .

**واعلم :** أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ أَسَالِيبَ تَخْتَصُّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ الْآخِرِ وَلَا تَسْتَعْمَلُ فِيهِ ؛ مِثْلُ النِّسِيبِ الْمَخْتَصِّ بِالشَّعْرِ ، وَالْحَمْدِ وَالدَّعَاءِ الْمَخْتَصِّ بِالْخُطْبِ ، وَالدَّعَاءِ الْمَخْتَصِّ بِالمُخَاطَبَاتِ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ . وَقَدْ [ اسْتَعْمَلَ ] الْمُتَأَخِّرُونَ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمَنْثُورِ ؛ مِنْ كَثَرَةِ الْأُسْجَاعِ ، وَالتَّزَامِ التَّقْفِيَةِ ، وَتَقْدِيمِ النِّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ ، وَصَارَ هَذَا الْمَنْثُورُ - إِذَا تَأَمَّلْتَهُ - مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ ، وَلَمْ يَفْتَرَقَا إِلَّا فِي الْوِزْنِ ، وَاسْتَمَرَّ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَقَصَرُوا الِاسْتِعْمَالَ فِي الْمَنْثُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي ارْتَضَوْهُ ، وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ ، وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ [ وَتَنَاسَوْهُ ] ، وَخُصُوصًا أَهْلَ الْمَشْرِقِ ، وَصَارَتِ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ الْغَفْلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ ، وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ ؛ لِمَا يُلَاحَظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ .

وهذا الفنُّ المنثورُ الْمُقَفَّى أَدْخَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ ، فَوَجَبَ

(١) سورة الزمر : ( ٢٣ ) .

(٢) سورة الأنعام : ( ٩٧ ) .

أَنْ تُنَزَّهَ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ ، وَالْمَحْمُودُ فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ ؛ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَادِرِ ، وَحَيْثُ تَرْسَلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ، ثُمَّ إِعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مِطَابَقَتِهِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ ؛ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلَفَةٌ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ أَسْلُوبٌ يَخُصُّهُ ؛ مِنْ إِطْنَابٍ ، أَوْ إِيْجَازٍ ، أَوْ حَذْفٍ ، أَوْ إِثْبَاتٍ ، أَوْ تَصْرِيحٍ ، أَوْ إِشَارَةٍ وَكِنَايَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ .

وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ الَّذِي هُوَ أَسَالِيبُ الشَّعْرِ . . فَمَذْمُومٌ ، وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيْلَاءُ الْعِجْمَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَقُصُورُهُمْ لَذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مِطَابَقَتِهِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ ، فَعَجَزُوا عَنِ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ ؛ لِبَعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَانْفِسَاخِ خَطْوِهِ <sup>(١)</sup> ، وَلَوْلَعُوا بِهَذَا السَّجْعِ يُلَفِّقُونَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمَقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ ، وَيَجْبِرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ التَّرْيِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعِيَّةِ ، وَيَغْفُلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ .

وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ . . كُتَّابُ الْمَشْرِقِ وَشَعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُخِلُّونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مِطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهُمَا ، فَيُرْجِّحُونَ ذَلِكَ الصَّنْفَ مِنَ التَّجْنِيسِ ، وَيَدْعَوْنَ الْإِعْرَابَ ، وَيُفْسِدُونَ بُنْيَةَ الْكَلِمَةِ ؛ عَسَاهَا تَصَادَفُ التَّجْنِيسِ <sup>(٢)</sup> .

### [ تَقْسِيمُ طَبَقَاتِ الْإِنْشَاءِ إِلَى ثَلَاثٍ ]

فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَناهُ لَكَ . . تَقِفْ عَلَى صَحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَإِذَا قَرَأْتَ

(١) فِي « مَقْدَمَةِ ابْنِ خَلْدُونِ » : ( وَانْفِسَاخِ خَطْوِهِ ) .

(٢) انْظُرْ « مَقْدَمَةُ ابْنِ خَلْدُونِ » ( ص ٥٦٦ - ٥٦٨ ) .

هذا الفصل مِنْ كلامِ ابنِ خلدونَ . . علمتَ أَنَّهُ قد حصلَ في الإنشاءِ تَغْيِراتٌ تقتضي التَّقْسِيمَ إلى طبقاتٍ كما كانَ في الشعرِ ، وبِالاستقراءِ وتشابهِ الكيفيةِ وتقاربِها في كلِّ عصرٍ . . تجدُ أَنَّها ثلاثُ طبقاتٍ كطبقاتِ الشعراءِ :

**فأولاهَا :** الأُمَّةُ العربيَّةُ التي انتهتْ بانتهاءِ دولةِ بني أُميَّةٍ ؛ فإنَّ عبدَ الحميدِ بنَ يحيى كاتبَ مروانَ آخرَ ملوكِهِمْ . . يُعَدُّ فاتحاً للطبقةِ **الثانيةِ** ؛ حيثُ أطالَ النفسَ في الكلامِ ، وفسحَ في العباراتِ ، وزادَ عن المقاصدِ زيادةً تُخرِجُ الكلامَ عن حدِّ الإفادَةِ ، وتُدخلُهُ في كونهِ أداءً رسمٍ ، وإقامةً شعيرةً مِنْ شعائرِ الملكِ ؛ فإنَّه يحتاجُ لإجراءِ ما تَضَمَّنَهُ إلى تلخيصٍ وتفتيشٍ عن المقصودِ ؛ بحيثُ إذا وردَ الكتابُ على مأمورٍ بأمرٍ ينفذهُ . . قالَ لكَاتبِهِ : خذْ هذا الكتابَ ، واقرأهُ وتأملْ ما فيه ، واستخرجْ لي غرضَهُ ، وخُذْ لي مآلَهُ ، فيتعبَ الكاتبُ في ذلكَ حتَّى يُلخِّصَ عبارةً صغيرةً تَتَضَمَّنُ المقصودَ ، فتكونَ هي روحَ الكتابِ والمُعَوَّلَ عليه فيه ، ويكونَ الباقي بمنزلةِ اللغوِ .

وإنَّنا لم نجدْ كثرةَ الكلامِ وإطالةَ [ الكتب ] إلاَّ عندَ انتهاءِ الدولةِ وإشرافِها على الزوالِ ، تجدُ ذلكَ في كلِّ عصرٍ ، بخلافِ الحالِ في أوائلِ الدُّولِ وحينَ قُوَّتِها ، وكأنَّ كثرةَ الأشغالِ بمُهمَّاتِ الأمورِ إذ ذاكَ لا تدعُ موضعاً لكثرةِ الأقوالِ ، يدلُّكَ على ذلكَ ما نُقِلَ عن جعفرِ بنِ يحيى مِنْ قولِهِ لكَتابِهِ : **إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعاتٍ . . فافعلوا** <sup>(١)</sup> .

**والتوقيعُ :** هو ما يكتبُهُ الكاتبُ عن السُّلطانِ فَمَنْ دونهُ مِنْ أولي الأمرِ في أواخرِ الكتبِ بما يريدُ المكتوبُ عنه إجراءهُ ؛ وذلكَ يكونُ بعباراتٍ صغيرةٍ وافيةٍ بالغرضِ ، مُتمكِّنةٍ في بابِ البلاغةِ ، فقد كانَ الناسُ يطلبونَ توقيعاتِ

(١) انظر « أدب الكُتَّاب » للصولي ( ص ١٣٤ ) .

جعفر بن يحيى ، ويتنافسون في الحصول عليها ، حتى قيل : إن الورقة من كتبه ربّما اشتريت بدينار .

وأما عند انتهاء الدولة . . فإن الأمور تكون قد تَمَهَّدَتْ ، والأحوال قد اطمأنت ، وأقبل العظماء والرؤساء على استعمال اللذات ، والمُضيّ مع الشهوات ، وتسيير الأعمال على الترتيب والتمهيد الذي تعب فيه أوائل تلك الدولة ، وحينئذ تكون أوقاتهم فارغة ، يجد المُنْقَالُ لهُ فيها مجالاً فيتسّع ، وتطول الكتب إلى ذلك الحد المذموم الذي وقعت الإشارة إليه والتصريح به من ابن خلدون ومن تكلم مثل كلامه ؛ فقد قيل : إن عبد الحميد بن يحيى كتب عن سلطانه كُتُباً جاءت وقرّ بعير ، ولكن لم يبق من كلامه شيء يتناقله الناس ؛ لانمحاء دولته ، وذهاب آثارها ، وخمود ذكرها ؛ إمّا لمحبة الدولة القائمة ، أو الخوف منها والتملُّق لها ، كما هو الحال في كل دولة تذهب بقيام غيرها .

### [ وصية عبد الحميد بن يحيى للكتاب بمحاسن الآداب ]

إلا أنه قد بقي من كلام عبد الحميد هذا كتاب أوصى فيه الكتاب بمحاسن الآداب ؛ وهو مُشتمِلٌ على أدب لا يخصُّ الكتاب ، وهذه صورته<sup>(١)</sup> :

**أما بعد :** حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم ؛ فإن الله عزّ وجلّ جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً ، وإن كانوا في الحقيقة سواء ، وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات ؛ أهل

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ١ / ٨٥ - ٨٩ ) .

الأدب والمروءات ، والعلم والرزانة ، بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورُها ، وبنصحاءكم يصلحُ الله للخلقِ سلطانهم ، وتعمُرُ بلدانهم ، لا يستغني الملكُ عنكم ، ولا يوجدُ كافٍ إلَّا منكم ، فموقعُكم مِنَ الملوكِ موقعُ أسماعِهِم التي بها يسمعون ، وأبصارِهِم التي بها يبصرون ، وألسنتِهِم التي بها ينطقون ، وأيديهِم التي بها يَبْطِشُونَ ، فامتعكمُ الله بما خَصَّكم مِنْ فضلِ صناعتِكُمْ ، ولا نزعَ عنكم ما أضفاه مِنَ النعمةِ عليكم .

وليسَ أحدٌ مِنْ أهلِ الصناعاتِ كلِّها أحوَجَ إلى اجتماعِ خلالِ الخيرِ المحمودَةِ وخصالِ الفضلِ المذكورةِ المعدودةِ منكم أَيْهَا الكُتَّابُ ؛ إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتابِ مِنْ صفتِكُمْ ؛ فإنَّ الكاتبَ يحتاجُ في نفسه ، ويحتاجُ منه صاحِبُهُ الذي يثقُ به في مُهِمَّاتِ أمورِهِ .. أن يكونَ حليماً في موضعِ الحلمِ ، فهِماً في موضعِ الحُكمِ ، مقداماً في موضعِ الإقدامِ ، محجاماً في موضعِ الإحجامِ ، مؤثراً للعفافِ والعدلِ والإنصافِ ، كَتموماً للأسرارِ ، وفيّاً عندَ الشدائدِ ، عالماً بما يأتي مِنَ النوازلِ ، يضعُ الأمورَ مواضعَها ، والطَّوارقَ في أماكنِها ، قد نظرَ في كلِّ فنٍّ مِنْ فنونِ العلمِ فأحكمَهُ وإن لم يُحْكَمْهُ .. أخذَ منه بِمقدارِ ما يكتفي به ، يَعْرِفُ بغريزةِ عقلِهِ ، وحسنِ أدبِهِ ، وفضلِ تجربَتِهِ .. ما يَرِدُ عليه قبلَ ورودِهِ ، وعاقبةَ ما يَصْدُرُ عنه قبلَ صدوره ، فيَعِدُّ لكلِّ أمرٍ عِدَّتَهُ وعتادَهُ ، ويُهَيِّئُ لكلِّ وجهٍ هيئَتَهُ وعادَتَهُ .

فتنافسوا يا معشرَ الكُتَّابِ في صنوفِ الآدابِ ، [وتَفَقَّهوا] في الدينِ ، وابدؤوا بعلمِ كتابِ الله عزَّ وجلَّ والفرائضِ ، ثمَّ العربيةِ ؛ فإنَّها [ثقافٌ] ألسنتِكُمْ ، ثمَّ أجيدوا الخطَّ ؛ فإنَّه حليَّةُ كتبِكُمْ ، واروُوا الأشعارَ ، واعرفوا غريبَها ومعانيَها ، وأيامَ العربِ والعجمِ ، وأحاديثَها وسيرَها ؛ فإنَّ ذلكَ مُعِينٌ لَكُمْ على ما تسمُّو إليه هممُكم ، ولا تُضَيِّعُوا النظرَ في الحسابِ ؛ فإنَّه قوامُ



كُتَابِ الْخِرَاجِ ، وَارْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ ، سَنِيهَا وَدَنِيهَا ، وَسَفْسَافِ  
الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ ، مَفْسَدَةٌ لِلْكَتَابِ ، وَنَزْهًا صَنَاعَتُكُمْ  
عَنِ الدَّنَاءَةِ ، وَارْبُؤُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنِّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ ،  
وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرَ وَالسَّخْفَ وَالْعِظَمَةَ ؛ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مَجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ ،  
وَتَحَابُّوْا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَنَاعَتِكُمْ وَتَوَاضَعُوا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ  
الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ .

وَإِنْ نَبَا الزَّمَانُ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ . . فَاعْظَمُوا عَلَيْهِ ، وَوَاسُوهُ حَتَّى يَرْجَعَ إِلَيْهِ حَالُهُ ،  
وَيُثَوِّبَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَإِنْ أَقْعَدَ أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبَرَ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ . .  
فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ ، وَاسْتَظْهَرُوا بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَلِيَكُنِ  
الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ . . أَحُوَطَ مِنْهُ  
عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ؛ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشَّغْلِ مُحْدَثَةٌ . . فَلَا يَصْرِفُهَا إِلَّا إِلَى  
صَاحِبِهِ ، وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ . . فَلِيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ، وَلِيَحْذَرِ السَّقْطَةَ وَالزَّلَّةَ  
وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْحَالِ ؛ فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ - مَعَشَرَ الْكُتَّابِ - أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى  
الْفِرَاءِ ، وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهَا .

فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحَبَهُ مَنْ يَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ  
لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ . . فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ وَشُكْرِهِ وَاحْتِمَالِهِ  
وَنَصِيحَتِهِ وَكُتْمَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ مَا هُوَ جَزَاءُ لِحَقِّهِ ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ فَعْلُهُ  
عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَالْإِضْطِرَارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ .

فَاسْتَشْعِرُوا ذَلِكَ - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ ،  
وَالْحَرَمَانِ وَالْمَوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، فَنَعَمَتِ الشَّيْمَةُ هَذِهِ لِمَنْ  
وُسِمَ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ .

وَإِذَا وَلِيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْ صَيَّرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرٌ . .

فليراقب الله عز وجل ، وليؤثر طاعته ، وليكن على الضعيف رفيقاً ، وللمظلوم مُنصفاً ، فإنَّ الخلق عيال الله ، وأحبُّهم إليه أرفقُهم بعياله ، ثمَّ ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مُكرماً ، وللنبيِّ مؤفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية مُتألِّفاً ، وعن أذاهم مُتخلفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ، وفي سجَّلات خراجِه واستقضاءِ حقوقِه رفيقاً .

وإذا صحب أحدُكم رجلاً . . فليختبر خلائقَه ، فإذا عرف حسنَها وقبيحَها . . أعانَه على ما يوافقُه من الحسنِ ، واحتال على صرفِه عمَّا يهواه من القبيحِ بالطفِ حيلةٍ وأجملِ وسيلةٍ ، وقد علمتُم أنَّ سائسَ البهيمةِ إذا كان بصيراً بسياسَتِها . . التمسَ معرفةَ أخلاقِها ، فإن كانت رَموحاً . . لم يهَجِّها إذا ركبَها ، وإن كانت شبوباً . . اتَّقاها من بين يديها ، وإن خاف منها شُروداً . . توقَّأها من ناحيةِ رأسِها ، وإن كانت حَرونًا . . قمعَ برفقِ هواها في طريقِها ، فإن استمرَّت . . عطفَها يسيراً ، فيسَلَسُ لهُ قيادُها ، وفي هذا الوصفِ من السياسةِ دلائلٌ لمن ساسَ الناسَ وعاملَهُم ، وجَرَبَهُم وداخلَهُم .

والكاتبُ لفضلِ أدبِه ، وشريفِ صنعَتِه ، ولطيفِ حيلَتِه ، ومعاملتِه لمن [ يحاورُه ] من الناسِ ويناظرُه ، ويفهمُ عنه أو يخافُ سطوتَه . . أولى بالرفقِ لصاحبِه ومداراتِه وتقويمِ أودِه من سائسِ البهيمةِ التي لا تحيرُ جواباً ، ولا تعرفُ صواباً ، ولا تفهمُ خطاباً ؛ إلَّا بقدرِ ما يُصَيِّرُها إليه صاحبُها الراكبُ عليها ، ألا [ فأمعنوا ] - رحمكمُ الله - في النظرِ ، وأعملوا ما أمكنكم فيه من الرويةِ والفكرِ . . تأمنوا بإذنِ الله ممَّنْ صحبتُموهُ النبوةَ والاستثقالَ والجفوةَ ، ويصيرُ<sup>(١)</sup> منكم إلى الموافقةِ ، وتصيروا منه إلى المؤاخاةِ والشفقةِ إن شاء الله .

(١) كذا في الأصل و« صبح الأعشى » ( ٨٧/١ ) بإثبات الياء .

ولا يُجاوِزَنَّ الرجلُ منكم في هيئةِ مجلسِهِ ومَلَبِسِهِ ومَرَكِبِهِ ومَطْعَمِهِ ومَشْرِبِهِ وخَدَمِهِ وغيرِ ذلكَ مِنْ فنونِ أمرِهِ قدرَ حَقِّهِ ؛ فَإِنَّكُمْ مَعَ ما فَضَّلَكُمُ اللهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ صَنَعَتِكُمْ . . خَدَمَةٌ ، لا تُحْمَلُونَ في خَدَمَتِكُمْ على التَّقْصِيرِ ، وحَفَظَةٌ لا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أفعالُ التَّضْيِيعِ والتَّبْذِيرِ ، واستَعِينُوا على أفعالِكُمْ بالقَصْدِ في كُلِّ ما ذَكَرْتُهُ لَكُمْ وقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ .

واحذروا متالفَ السرفِ ، وسوءَ عاقِبَةِ الترفِ ؛ فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ ، وَيُذِلَّانِ الرِّقَابَ ، وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا ، ولا سِيَّما الكُتَّابَ وأربابَ الآدابِ ، وللأُمُورِ أَشْباهَ ، وبعضُها دَلِيلٌ على بعضٍ ، فاستدَلُّوا على مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بما سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرِبَتُكُمْ ، ثُمَّ اسْلُكُوا مِنْ مَسالِكِ التَّدْبِيرِ أَوْضَحَها مُحَجَّةٌ ، وأَصْدَقَها حُجَّةٌ ، وأَحْمَدَها عاقِبَةٌ .

**واعلموا :** أَنَّ للتَّدْبِيرِ آفَةً مُتِلَفَةً ؛ وهُوَ الوَصْفُ الشاغلُ لصاحِبِهِ عن إنفاذِ عِلْمِهِ وروِيَتِهِ ، فليَقْصِدِ الرجلُ مِنْكُمْ في مجلسِهِ قَصْدَ الكافي في مَنطِقِهِ ، وليُوجِزْ في ابتدائِهِ وجوابِهِ ، وليأخُذْ بمجامعِ حُجَجِهِ ، فَإِنَّ ذلكَ مصلَحَةٌ لفعْلِهِ ، ومُدْفَعَةٌ للشاغلِ مِنْ إكثارِهِ ، وليَضْرَعْ إلى اللهِ في صلَةِ توفيقِهِ ، وإمدادِهِ بتسديدِهِ ؛ مخافَةً وقوعِهِ في الغلطِ المُضَرِّ ببدنِهِ وعقلِهِ وأدبِهِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظانًّا ، أو قالَ قائلٌ : إِنَّ الذي بَرَزَ مِنِّي جميلٌ صَنَعَتُهُ ، وقُوَّةُ حَرَكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وحَسَنِ تَدْبِيرِهِ<sup>(١)</sup> . . فقد تَعَرَّضَ بحَسَنِ ظَنِّهِ أو مَقالَتِهِ إلى أَنْ يَكِلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى نَفْسِهِ ، فيصيرَ مِنْها إلى غيرِ كافٍ ، وذلكَ على مَنْ تَأَمَّلَهُ غيرُ خافٍ .

ولا يَقلُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ : إِنَّهُ أَبْصَرَ بالأُمُورِ وأَحْمَلَ لأعباءِ التَّدْبِيرِ مِنْ مرافِقِهِ في صَناعَتِهِ ، ومِصاحِبِهِ في خَدَمَتِهِ ؛ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الألبابِ مَنْ

(١) في « صبح الأعشى » : ( إن الذي برز من جميل صناعته ، وقوة حركته ... ) .

رمى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أنَّ أصحابه أَعْقَلُ منه وأَجْمَلُ في طَريقَتِهِ .

وعلى كلِّ واحدٍ مِنَ الفريقينِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ؛ مِنْ غَيْرِ اغْتِرَارٍ بِرَأْيِهِ ، وَلَا تَزْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَكَاثِرَ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ ، وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ .

وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ ؛ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ ، وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ ، وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ ، وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ : مَنْ تَلَزَّمَهُ النَّصِيحَةُ . . يَلْزُمُهُ الْعَمَلُ ، وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَّمْتُهُ بِهِ ، تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطُّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



قَوْلُ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي آفَةِ التَّدْبِيرِ : هُوَ مَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى وَجُوبِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ مِنْ زِيَادَةِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقَاصِدِ زِيَادَةً تَمْنَعُ صَاحِبَ الْكِتَابِ وَهُوَ أَمِيرُهُ عَنْ إِنْفَادِ عِلْمِهِ وَإِعْمَالِ رُويَتِهِ فِي تِلْكَ الْمَقَاصِدِ ، فَيَجِبُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى أَقْوَى الْحُجَجِ بِمَنْفَعَةٍ مَا يُرَادُ إِجْرَاؤُهُ ، وَلَا يَذْهَبُ كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَاتِ بِالِاشْتِغَالِ فِي الْأَوْصَافِ وَعَدَدِ الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي بِالْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، إِلَّا حَيْثُ يَقْتَضِي الْحَالُ ذَلِكَ .

وَمَشَاهِيرُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ الَّتِي افْتَتَحَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ هَذَا كَثِيرٌ ؛ كَالرَّبِيعِيِّ ، وَالْفَضْلِ ابْنِهِ ، وَيَعْقُوبَ بْنَ دَاوُدَ ، وَبَنِي بَرْمَكٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ فِي أَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَبَنِي الْفَرَاتِ ، وَالْأَسْتَاذِ ابْنَ الْعَمِيدِ ، وَالصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَادٍ ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ ، وَأَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفَ بِيَدِيَعِ الزَّمَانِ وَأَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيَّ فِي أَوَاسِطِهَا .

## [ أمثلة للطبقة الثانية ]

وهذه أمثلة تعرف بها ما كان عليه حال الكتابة في هذه الطبقة التي تعقبها الطبقة الثالثة المفتحة بعبد الرحيم البيسانى المشهور بالقاضي الفاضل وزير صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك الكرد بمصر :

## [ كتاب المعتصم إلى نواحي بلاد المسلمين ]

صورة كتاب عن المعتصم إلى نواحي بلاد الإسلام : يتضمن شكر الله على الظفر بعدو ، والبشارة بذلك <sup>(١)</sup> :

**أما بعد :** فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه ، والعصمة لأوليائه ، والعز لمن نصره ، والفلاح لمن أطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من عصاه ، وصدف عنه ، ورغب عن ربوبيته ، وابتغى إلهاً غيره ، لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له ، يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ، ولا يستعين في أحواله كلها إلا به ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذي ارتضاه لنبوته ، وابتعته بوحيه ، واختصه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

والحمد لله الذي [ توجه ] لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأنجح له طلبته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثأريهم على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن روعتهم ، ورحم فاقتهم ، وأنس وحشتهم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين ، مقيمين في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ، بعد

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٦ / ٤٠٠ - ٤٠٤ ) .



القتل [ والخوف ] والتشريد ، وطول العناء وتتابع البلاء ؛ مَنْأَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ على أمير المؤمنين بما خَصَّه به ، وصنعاً له فيما وَفَّقَهُ لطلبه ، وكرامةً زادها فيما أجرى على يده .

فالحمدُ لله كثيراً كما هو أهله ، وترغباً إلى الله في تمامِ نعمه ودوامِ صنعِهِ ، وسعةٍ ما عندهُ بَمَنِّهِ ولطفِهِ .

ولا يَعْلَمُ أميرُ المؤمنين - مع كثرةِ أعداءِ المسلمين ، وتكثُّفِهِم إِيَّاهُمْ مِنْ أقطارِهِم ، والضَّغائنِ التي في قلوبِهِم على أهله ، وما يترصَّدونهُ مِنَ العداوةِ ، وَيَنْطَوُّونَ عَلَيْهِ مِنَ المكايدةِ ؛ إِذْ كَانَ هُوَ الظَّاهِرَ عَلَيْهِم ، وَالْأَخَذَ مِنْهُمْ - عدوًّا كَانَ أَعْظَمَ بليَّةً ، وَلَا أَجَلَ خَطْبًا ، وَلَا أَشَدَّ كَلْبًا ، وَلَا أَبْلَغَ مكايدةً ، وَلَا أَرْمَى بِمَكْرِهِ . . مِنْ هَؤُلَاءِ الكَفَرَةِ الَّذِينَ [ يَغْزَوُهُمْ ] <sup>(١)</sup> المسلمون ، فيستعلونَ عَلَيْهِم ، ويضعونَ أَيْدِيَهُمْ حَيْثُ شَاءُوا مِنْهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُونَ لَهُمْ صلحاً ، وَلَا يَمِيلُونَ مَعَهُمْ إِلَى موادعةٍ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ على طُولِ الأَيامِ وَتَصَرُّفِ الحَالَاتِ وبعضِ ما لَا يَزَالُ يَكُونُ مِنْ فتراتِ وُلاَةِ الشُّعُورِ . . أدنى دَوْلَةٍ مِنْ دَوْلَاتِ الظَّفَرِ ، وَخُلُوسَةٍ مِنْ خُلُوسِ الحَرْبِ ؛ كَانَ بِمَا لَهُمْ مِنْ خَوْفِ العاقبةِ فِي ذَلِكَ مُنْغِصٌ لِمَا تَعَجَّلُوا مِنْ سروره ، وَمَا يَتَوَقَّعونَ مِنَ الدَّوَائِرِ بَعْدَ مُكْدَّرٍ لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ فرحةٍ .

فَأَمَّا اللعينُ بَابُكَ وَكَفَرْتُهُ . . فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَغْزَوْنَ أَكْثَرَ مِمَّا يُغْزَوْنَ ، وَيَنَالُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُنَالُ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْمُنْحَرِفُونَ عَنِ المَوَادعةِ ، الْمُتَوَحِّشُونَ عَنِ المراسلةِ ، وَمَنْ أَدِيلُوا مِنْ تَتَابَعِ الدُولِ ، وَلَمْ يَخَافُوا عاقبةَ تَدْرِكِهِمْ ، وَلَا دائِرَةَ تَدَوُّرِ عَلَيْهِم ، وَكَانَ مِمَّا وَطَّأَ ذَلِكَ وَمَكَّنَهُ لَهُمْ : أَنَّهُمْ قَوْمٌ ابْتَدَؤُوا أَمْرَهُمْ على حَالٍ تَشَاغَلَ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَتَتَابَعَ مِنَ الفتنِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : ( يَغْزَوْنَهُمْ ) .

[واضطراب] <sup>(١)</sup> مِنْ الحِيلِ ، فاستقبلوا أمرَهُمْ بِعِزَّةٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، واستشارةٍ مِنْ ذَوِي آرَائِهِمْ ، فَأَجَلُّوا مَنْ حَوْلَهُمْ لِتَخْلُصَ الْبِلَادُ لَهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَبُوا الْبِلَادَ لِيَعِزَّزَ مُطْلِبُهُمْ ، وَتَشْتَدَّ الْمُؤَنَّةُ ، وَتَعْظُمَ الْكُلْفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ يَتَوَافَ قُودُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ ضُرُورَاتُهُمْ <sup>(٢)</sup> ، وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَاعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتِ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفُوسِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَعِدُهُمُ الْكَافِرُ وَيُمْنِيهِمْ أَخْذٌ بِالْيَدِ ، وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبِدُونِ هَذَا مَا يُخْتَدَعُ الْأَرِيْبُ ، وَيُسْتَنْزَلُ الْعَاقِلُ ، وَيُعْتَقَلُ الْفَطْنُ ، فَكَيْفَ بَمَنْ لَا فِكْرَةَ لَهُ وَلَا رُويَّةَ عِنْدَهُ !؟

هَذَا مَعَ كُلِّ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَسَدِ أَهْلِ النِّعَمِ ، وَمَنَافَسَتِهِمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَتَقَطُّعِهِمْ حَسَرَاتٍ فِي أَثَرِ مَا خُصُّوا بِهِ ، وَأَنَّهُمْ إِلَّا يَكُونُوا يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ . . فَإِنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ مَادًّا عَنْقَهُ ، مُوجِّهًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنْ يُولِيَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ ، وَيُمْلِكَهُ حَرْبَهُمْ ، [وَيَجْعَلَهُ] الْقَارِعَ لَهُمْ عَنْ دِينِهِ ، [وَالْمَنَاجِزَ] لَهُمْ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْلُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلْبًا وَاحْتِيَالًا ، فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْبَى ذَلِكَ ، لُصْنِهِ بِهِ ، وَصِيَانَتِهِ لَهُ .

فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ ، وَأَطْلَقَ الْأَمْرَ فِي يَدِهِ . . لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَلَا أَخَذَ بِقَلْبِهِ مِنْ مَعَاجِلَةِ الْكَافِرِ وَكَفَرَتِهِ ، وَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَتَيْسِيرِهِ ، فَأَعَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ : ( وَاطْرَاب ) .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ« صَبَحَ الْأَعَشَى » ( ٤٠٢/٦ ) ، وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ : ( ضَرَاوَتُهُمْ ) .

[أَخْطَرَهَا] ، وَمِنْ قُوَادِ جَيْشِهِ أَعْلَمَهُمْ بِالْحَرْبِ ، وَأَنْهَضَهُمْ بِالْمُعْضَلَاتِ ،  
وَمِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ وَدَعْوَةِ آبَائِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهُمْ طَاعَةً ،  
وَأَشَدَّهُمْ نَكَايَةً ، وَأَكْثَرَهُمْ عِدَّةً ، ثُمَّ أَتْبَعَ الْأَمْوَالَ بِالْأَمْوَالِ ، وَالرِّجَالَ  
بِالرِّجَالِ ، مِنْ خَاصَّةِ مَوَالِيهِ وَعَدَدِ غُلَمَانِهِ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا اتَّكَلَ عَلَيْهِ مِنْ  
صَنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مِنْ [رِعْبَتِهِ] ، فَكَيْفَ رَأَى الْكَافِرُ اللَّعِينُ  
وَأَصْحَابُهُ الْمَلَاعِينُ أَنَّ اللَّهَ يَكْذِبُ ظَنُونَهُمْ ، وَيَشْفِي صُدُورَ أَوْلِيَائِهِ مِنْهُمْ ،  
يَقْتُلُونَهُمْ كَيْفَ شَاءُوا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَعْتَرِكٍ ، مَا دَامَتْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ  
مُقَاوِمَةٌ ؟!

فَلَمَّا ذَلُّوا وَقَلُّوا وَكَرِهُوا الْمَوْتَ . . صَارُوا لَا يَتَرَاءَوْنَ إِلَّا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ ،  
وَمُضَاقِ الطَّرِيقِ ، وَخَلْفَ الْأَوْدِيَةِ ، وَمِنْ وَرَاءِ الْأَنْهَارِ ، وَحَيْثُ لَا تَنَالُهُمُ الْخَيْلُ ؛  
طَلَبًا لِلْمُطَاوَلَةِ ، وَانتِظَارًا لِلدَّوَائِرِ ، فَكَادَهُمُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَهُوَ خَيْرُ الْكَائِدِينَ ،  
وَاسْتَدْرَجَهُمْ حَتَّى جَمَعَهُمْ إِلَى حَصْنِهِمْ مَعْتَصِمِينَ فِيهِ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ ، فَجَعَلَ  
اعْتَصَامَهُمْ جُبْنًا لَهُمْ ، وَصَنَعًا لِأَوْلِيَائِهِ ، وَإِحَاطَةً مِنْهُمْ بِهِمْ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ،  
فَجَمَعَهُمْ وَحَصَرَهُمْ ؛ لَكِي لَا تَبْقَى مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ ، وَلَا تُرْجَى لَهُمْ عَاقِبَةٌ ، وَلَا  
يَكُونَ الدِّينُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَا الْعَاقِبَةُ إِلَّا لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَا التَّعَسُّ وَالنَّكْسُ إِلَّا لِمَنْ  
خَذَلَهُ .

فَلَمَّا حَصَرَهُمُ اللَّهُ ، وَحَبَسَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَدَانَتْهُمْ مِصَارِعُهُمْ . . سَلَّطَهُمُ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ كَيْدًا وَاحِدَةً ، يَخْتَطِفُونَهُمْ بِسُيُوفِهِمْ ، وَيَنْتَظِمُونَهُمْ بِرِمَاحِهِمْ ، فَلَا  
يَجِدُونَ مَلْجَأً وَلَا مَهْرَبًا ، ثُمَّ أَمَكْنَهُمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، وَنِسَائِهِمْ  
وَحَرَمِهِمْ ، وَصَيَّرُوا الدَّارَ دَارَهُمْ ، وَالْمَحَلَّةَ مَحَلَّتَهُمْ ، وَالْأَمْوَالَ قِسْمًا بَيْنَهُمْ ،  
وَالْأَهْلَ إِمَاءً وَعَبِيدًا .

وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُؤُلَاءِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْثَوَابِ ، وَمَا أَعَدَّ لِلْأُولَئِكَ

مِنَ الْخِزْيِ وَالْعِقَابِ ، وَصَارَ الْكَافِرُ بَابَكَ لَا فَيَمَنْ قُتِلَ فَسَلِمَ مِنْ ذَلِّ الْغَلْبَةِ ، وَلَا فَيَمَنْ نَجَا فَعَايَنَ فِي الْحَيَاةِ بَعْضَ الْعَوْضِ ، وَلَا فَيَمَنْ أُصِيبَ فَيَشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ عَنِ الْمَصِيبَةِ بِمَا سِوَاهُ ، لَكِنَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَطْلَقَهُ [ وَسَدَّ ] مَذَاهِبَهُ ، وَتَرَكَهُ بَيْنَ الذَّلِّ وَالْخَوْفِ ، وَالْغَضَّةِ وَالْحَسْرَةِ ، حَتَّى إِذَا ذَاقَ طَعَمَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَفَهَمَهُ وَعَرَفَ مَوْقَعَ الْمَصِيبَةِ ، وَظَنَّ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقٍ مِنَ النِّجَاةِ .. ضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَأَعْمَى بَصَرَهُ ، وَسَدَّ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَحَازَهُ إِلَى مَنْ لَا يَرِقُّ لَهُ ، وَلَا يَرِثِي لِمَصْرَعِهِ .

فَامْتَثَلَ مَا أَمَرَ بِهِ الْأَفْشَيْنُ حِيدَرُ بْنُ طَاوُوسٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهِ ، فَبَثَّ لَهُ الْحَبَائِلَ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْأَرْصَادَ ، وَنَصَبَ لَهُ الْأَشْرَاكَ ؛ حَتَّى أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَسِيرًا ذَلِيلًا ، مُوثَقًا فِي الْحَدِيدِ ، يَرَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَنْ كَانَ يَرَاهُ رَبًّا ، وَيَرَى الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ دِينَهُ ، وَأَظْهَرَ حُجَّتَهُ ، وَنَصَرَ أَوْلِيَاءَ مَنْ أَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ ، حَمْدًا يُقْضَى بِهِ الْحَقُّ ، وَتَتِمُّ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَتَتَّصِلُ بِهِ الزِّيَادَةُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَقَّقَ ظَنَّهُ ، وَأَنْجَحَ سَعْيَهُ ، وَحَازَ لَهُ أَجَرَ هَذَا الْفَتْحِ [ وَذَخَرَهُ ] وَشَرَفَهُ ، وَجَعَلَهُ خَالِصًا لِمَتَامِهِ وَكَمَالِهِ بِأَكْمَلِ الصَّنْعِ وَأَحْسَنِ الْكِفَايَةِ ، وَلَا خِلَا مِنْ سُرُورٍ يَرَاهُ ، وَبِشَارَةٍ تَتَجَدَّدُ لَهُ عِنْدَهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ آخِرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَطَايَاهُ الَّتِي لَا تُحْصَى ، وَنِعْمَةِ الَّتِي لَا تُنْسَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَهَذَا الْكِتَابُ مِنَ الْبَلِيغِ الْمُرْسَلِ الْوَافِي ، إِذَا تَأَمَّلْتَهُ .. وَجَدْتَهُ قَدْ شَرَحَ الْحَالَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ ، لَمْ يَغَادِرْ دَقِيقَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا ، وَأَكْمَلَ الْحَدِيثَ عَنْهَا ، مِنْ أَوَّلِ فِكْرَةٍ إِلَى آخِرِ عَاقِبَةٍ .

## [ كِتَابُ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ إِلَى أَبِي كِيْجَارَ بْنِ بُؤْيَه ]

وهذه صورة كتابٍ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي : عَنْ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ ،  
إِلَى صَمصَمِ الدَّوْلَةِ ابْنِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُؤْيَه ، بِسَبَبِ كَرْدُوِيهِ الْخَارِجِ عَنْ  
الطَّاعَةِ (١) :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْإِمَامِ الطَّائِعِ لِلَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى صَمصَمِ  
الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمَلَّةِ ، أَبِي كِيْجَارَ بْنِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمَلَّةِ ، مَوْلَى  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ .

**أَمَّا بَعْدُ** - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَوَّأَكَ الْمَنْزِلَةَ  
الْعُلْيَا ، وَأَنَالَكَ مِنْ أَثَرَتِهِ الْغَايَةَ الْقَصْوَى ، وَجَعَلَ لَكَ مَا كَانَ لِأَبِيكَ عَضِدِ  
الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمَلَّةِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الْقَدْرِ وَالْمَحَلِّ ، وَالْمَوْضِعِ الْأَرْفَعِ  
الْأَجْلِّ .. فَإِنَّهُ يُوجِبُ لَكَ عِنْدَ كُلِّ أَثَرٍ يَكُونُ لَكَ فِي الْخِدْمَةِ ، وَمَقَامِ حَمْدِ  
تَقْوَمُهُ فِي حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ .. إِنْْعَامًا يَظَاهِرُهُ ، وَإِكْرَامًا يَتَابَعُهُ وَيَوَاتِرُهُ ، وَاللَّهُ  
يُؤَيِّدُكَ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، وَيُمَدِّدُكَ بِمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَيَخِيرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
فِيمَا رَأَيْهُ مُسْتَمِرٌّ عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدِكَ وَتَمَكِينِكَ ، وَالْإِنَافَةِ بِكَ وَتَعْظِيمِكَ ، وَمَا  
تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَنْيَبُ .

وَقَدْ عَرَفْتَ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كَرْدُوِيهِ كَافِرِ نِعْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَنِعْمَتِكَ ، وَجَاحِدِ صَنِيعِهِ وَصَنِيعِكَ ؛ فِي الْوَثْبَةِ الَّتِي وَثَبَهَا ، وَالْكَبِيرَةِ الَّتِي  
ارْتَكَبَهَا ، وَتَقْدِيرِهِ أَنْ يَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ الَّتِي لَمْ يُمَكِّنْهُ اللَّهُ مِنْهَا ، بَلْ كَانَ مِنْ وَرَاءِ  
دَفْعِهِ وَرَدِّهِ عَنْهَا ، وَمَعَاجِلَتِكَ إِيَّاهُ الْحَرْبَ الَّتِي أَصْلَاهُ اللَّهُ نَارَهَا ، وَقَنَعَهُ عَارَهَا

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٩٦ / ٦ - ٣٩٧ ) .



وشنارها ، حتى انهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلة والقلة ، بعد القتل الذريع ، والإثخان [ الوجيع ] ، فالحمد لله على هذه النعمة التي جلّ موقعها ، وبأن على الخاصة والعامة أثرها ، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها ، والحديث بها ، وهو المسؤول إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ؛ بخلع تامّة ، ودابّتين ومركبين [ ذهباً ] من مراكبه ، وسيفٍ وطوقٍ وسوارٍ مُرَصَّع ، فتلقّ ذلك بشكره عليه ، والاعتداد بنعمته فيه ، والبسن خلع أمير المؤمنين وتكرّمته ، وسرّ من بابه على حملانه ، وأظهر ما جباك به لأهل حضرته ؛ ليعزّ الله بك وليّه ووليّك ، ويذلّ عدوّه وعدوك ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

### [ تعزية الخليفة المقتفي للسلطان مسعود ب وفاة ابنه ]

وهذه صورة كتاب تعزية : عن الخليفة المقتفي إلى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السَلْجُوقِيّ عند وفاة ابنه <sup>(١)</sup> :

من عبد الله أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه المعظم ، مولى الأمم ، مالك رقاب العرب والعجم ، جلال دين الله ، ظهير عباد الله ، حافظ بلاد الله ، معين خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ، محيي الدولة القاهرة ، مُعزّ الملة الزاهرة ، عماد الملة الباهرة ؛ أبي الفتح مسعود بن محمد ملكشاه ، قسيم أمير المؤمنين : سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٣٩٧/٦ - ٣٩٩ ) .

الذي لا إلهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَيُسَلِّمَ تسليمًا .

**أَمَّا بَعْدُ** - أطالَ اللهُ بقاءَكَ ، وأدامَ عِزَّكَ وتأييدَكَ ، وسعادَتَكَ ونعمَتَكَ ، وأحسنَ حفظَكَ وكلاءَتَكَ ورعايَتَكَ ، وأمتعَ أميرَ المؤمنينَ بكَ ، [ وبالنعمة ] الجليَّةِ والموهبةِ الجزيلةِ والمِنحةِ النفيسةِ فيكَ وعندَكَ ، ولا أخلاه منك - : فإنَّ أَوْلَى مَنْ أَدْرَعَ لِلْحَوَادِثِ جُنَّةَ الاضطبارِ ، ونظرَ أحوالِ الدنيا في تقلُّبِها بعينِ الاعتبارِ ، ورجَعَ إلى اللهِ في قدرِهِ وقضائِهِ ، وسلَّمَ لأمرِهِ الذي لا رادَّ لَهُ في امتحانِهِ وابتلائِهِ ، وعرفَ أَنَّ لَهُ سبحانه في كلِّ ما يجريه على عبادِهِ حكمةً باطنَةً ، ومصلحةً كامنةً ؛ مِنْ خَيْرِ عاجِلٍ ييسرُهُ ، وثوابٍ آجِلٍ يُؤخِّرُهُ لَهُمْ إلى يومِ الجزاءِ ويَدَّخِرُهُ ، وفائدةً هُوَ أدرى بها وأعلمُ ، وفعلَةً فيها أتقَنَ وأحكمَ . مَنْ خَصَّهُ بما خَصَّكَ اللهُ بِهِ مِنْ الدِّينِ الرَّاجِحِ ، والخُلُقِ الصَّالِحِ ، والمُعْتَقَدِ الواضِحِ ، والنعمِ التي جادَكَ في كلِّ يومٍ سحائبُها ، واتَّسَعَتْ بينَ يَدَيْكَ عندَ مضايِقِ الأمورِ رحائبُها ، وأنَسَتْ إذا استوحِشْتَ مِنَ العاجِزِينَ عَنِ ارتباطِها بالشُّكْرِ صحابُها ، والمناقبِ التي فرعتَ بها صهواتِ المجدِ ، وتملَّكَتْ رَقَّ الثناءِ والحمدِ ، وعلوتَ فيها عَنِ المساجِلِ والمطاولِ ، وَبَعُدَ ما [ حُضِرَ ] لَكَ منها عَنِ أَنْ تَنَالَهُ يَدُ مُتَنَوِّلٍ .

وتأدَّى إلى أميرِ المؤمنينَ - أمتَعَهُ اللهُ ببقائِكَ ، ودافعَ لَهُ عَنِ حَوَائِكِ - نبأَ الحادثةِ بسليكَ الذي اختارَ اللهُ لَهُ كريمَ جوارِهِ ، فأحبَّ لَهُ الانتقالَ إلى محلِّ الفوزِ ومدارِهِ ، فوجدَ لذلِكَ وجوماً مُوفِّراً ، وهماً للسكونِ مُنْفِراً ، وتوزُّعاً تقتضيه المشاركةُ لَكَ فيما ساءَ وسرَّ ، والمساهمةُ الحاصلةُ في كلِّ ما حلا مِنْ الأمورِ وأمرٍ ، وأمرَ عندَ ورودِ هَذَا الخبرِ بالتصدِّي للعزاءِ ، وإعلانِ ما يعلنُ عَنِ مقاسمَتِكَ فِي الضَّرَاءِ - دفعَهَا اللهُ عَنْكَ - والسَّراءِ ، إلى ما أَبَانَ عَنِ انصرافِ الهممِ الإِمَامِيَّةِ إِلَيْكَ فيما خَصَّ وَعَمَّ مِنْ حَالِكَ ، واستجلابِهِ لَكَ

دواعي المسار في حِلِّكَ وتَرَحُّالِكَ ، وكون الأفكار الشريفة موكلة بكل ما حمى من الروائع قلبك ، وأعذب شربك ، وأنت حقيق بمعرفة هذه الحال من طويته لك ونيته ، ورأيه فيك وشفقته ، ورعاية مصلحتك منه بعين كالية ، ورجوعه من المحافظة في حقك إلى ألفه بالصفاء حالية ، وتلقي الرزية التي أرادها الله وقضاها ، وأنفذ مشيئته فيها وأمضاها ؛ بالصبر المأمور به ، والاحتساب والتسليم الموعود عليه بجزيل الثواب ، علماً أنَّ الأقدار لا تُغالب ، وغريمها لا يُطالب ، وأن لا سبيل لأحد من خلقه إلى البقاء ، ولا طريق للخلود في دار الفناء ، ولا دافع لحكمه جلَّتْ عظمته فيما قدره من الآجال ، وسبق في علمه من الروائع في الابتلاء والأوجال ، وما يزال التطلع واقعاً إلى وصول جوابك الدال على السلوة التي هي أليق بك ، والأدعى إلى حصول بغيتك من رضا الله وأربك لتخط الأنسة مع وصوله في رحالها ، وتؤذن بصرف الهموم الجارية لأجلِكَ وارتحالها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك أدام الله تأييدك وأمتع بك إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله .

### [ صورة جواب عن المقتفي ]

وهذه صورة جواب عن المقتفي إلى غياث الدين مسعود السَّلْجُوقي حيث كتب يخبره بعود خارج إلى الطاعة<sup>(١)</sup> :

من عبد الله أبي عبد الله محمد الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى غياث الدين - وساق ما تقدّم من الألقاب ثم قال - :

**أما بعد** - أطال الله بقاءك - : فإن كتابك عُرضَ بحضرة أمير المؤمنين

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٤٤٨/٦ - ٤٤٩ ) .

مُعَرِّباً عَنْ إخبارِ سَعَادَتِكَ ، وَجَرِي الْأُمُورِ عَلَى إِرَادَتِكَ ، وَبَلُوغِ الْأَغْرَاضِ مِنْ الْوَجْهَةِ الَّتِي تَوَجَّهْتَ إِلَيْهَا ، وَالْأَطْرَافِ الَّتِي أَشْرَقَتْ سَعَادَتُكَ عَلَيْهَا ، بِمِيَامِنٍ مَا تُكِنُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَتُضَمِّرُهُ ، وَتَعْتَقِدُهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَتَسْتَشْعُرُهُ ، وَإِنَّ رَكْنَ الدِّينِ مُحَمَّدًا وَمَنْ انْضَمَّ إِلَى جَمَلَتِهِ ، وَانْتَضَمَ فِي سَلَكِ مُوَافَقَتِهِ ؛ لَمَّا ظَفَرُوا مِنْكَ بِذِمَامِ اطمأنوا إِلَيْهِ وَاسْكَنُوا ، وَأَمَانٍ وَثَقُوا بِهِ وَرَكَنُوا .. أَبْصَرُوا الرُّشْدَ فَاتَّبَعُوهُ ، وَاسْتَجَابُوا الدَّاعِيَ إِذْ سَمِعُوهُ ، وَأَذَعْنُوا بِطَاعَتِكَ مُسْرِعِينَ ، وَانْقَادُوا إِلَى مُتَابِعَتِكَ مُهْطَعِينَ ، عَلَى اسْتِقْرَارِ مَسِيرِهِمْ تَحْتَ لَوَائِكَ إِلَى بَابِ [ هَمْدَانِ ] ؛ لِيَكُونَ تَقْرِيرُ الْقَوَاعِدِ الْجَامِعَةِ لِلْمَصَالِحِ عِنْدَ وَصُولِهَا ، وَالتَّوَفُّرُ عَلَى تَحْرِيٍّ مَا تَقَرَّرَ بِهِ الْخَوَاطِرُ مَعَ حُلُولِهَا ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَعَرَفَ مَضْمُونَهُ وَجَدَّدَ ذَلِكَ لَدَيْهِ مِنَ الْابْتِهَاجِ وَالِاغْتِبَاطِ الْوَاضِحِ الْمُنْهَاجِ .. مَا تَقْتَضِيهِ الثِّقَةُ بِوَلَائِكَ ، وَاعْتِمَادُهُ وَتَعْوِيلُهُ عَلَى جَمِيلِ مَعْتَقِدِكَ ، وَاعْتِضَادُهُ مِنْ طَاعَتِكَ بِحَبْلِ لَا تَنْقُضُ الْأَيَّامُ مُبْرَمَهُ ، وَسُكُونُهُ مِنْ وَلَائِكَ إِلَى وَزْرِ لَا تَرُوعُ الْمَخَافُوفُ حَرَمَهُ ، وَوَصَلَ شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا شَهِدَتْ بِهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْعَمِيمَةُ وَالْمَوْهَبَةُ الْجَسِيمَةُ مِنْ إِبْجَاةِ الْأَدْعِيَةِ الَّتِي مَا زَالَتْ جَنُودُهَا نَحْوَكَ مُجَهَّزَةً ، وَوَعْدُهُ - جَلَّتْ عَظَمَتُهُ - بِقَبُولِ أَمْثَالِهَا مُنْجَزَةً ، وَإِمْدَادُكَ مِنْهَا بِأَمْدَادٍ تَسْتَدْعِي لَكَ النُّصْرَ وَتَسْتَنْزِلُهُ ، وَتَسْتَكْمِلُ الْحِظَّ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَتَسْتَجِزِلُهُ ، وَبَلَغَ الْأَمَلُ مِنْكَ فَيَمَنْ هُوَ الْعِدَّةُ لِلْمُلِمَّاتِ ، وَالْحَامِي بِتَقْرِيرِ الْأَنْسِ مِنْ رَوَائِعِ الشَّتَاتِ ، وَمَنْ بِقَاوُهُ يَكْفُفُ عَنِ الْاِمْتِدَادِ أَكْفَ الْخُطُوبِ ، وَيَطْلُقُ وَجْهَ الْمَسَارِّ مِنْ عَقْلِ الْقُطُوبِ ، وَيَأْبَى اللَّهُ الْعَادِلُ فِي حَكْمِهِ وَحُكْمَتِهِ ، الرُّؤُوفُ بِعِبَادِهِ وَخَلِيفَتِهِ .. إِلَّا إِعْلَاءَ كَلِمَةِ الْحَقِّ بِالْهَمِّ الْإِمَامِيَّةِ ، وَالْإِجْرَاءِ عَلَى عَوَائِدِ [ صَنِيعَتِهِ ] الْخَفِيَّةِ ، الْكَافِلَةِ بِصَلَاحِ الْعِبَادِ وَالرَّعِيَّةِ .

وَقَدْ أُقِيمَتِ أَسْوَاقُ التَّهْنِئَةِ بِهَذِهِ الْبَشْرَى ، وَأَفَادَتْ جَدَلًا تَتَابَعُ وَفُودَهُ

تَتَرَى ، لَا سَيِّمًا مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى قُرْبِ الْأُوبَةِ الَّتِي تَدْنِي كُلَّ صَلَاحٍ وَتَجْلِبُهُ ،  
وَتَزِيلُ كُلَّ خَلَلٍ أَتَعَبَ الْقُلُوبَ وَتَذْهَبُهُ .

وَالِى الْبَارِي جَلَّ اسْمُهُ الرِّغْبَةُ فِي اخْتِصَاصِكَ مِنْ عَنَانِيهِ بِأَحْسَنِ مَا عَهَدَتْهُ  
وَأَجْمَلِهِ ، وَصَلَةِ آخِرِ وَقْتِكَ فِي نُجْحِ الْمَسَاعِي [ بِأَوَّلِهِ ] ، وَأَلَّا يَخْلِيَ الدَّارَ  
الْعَزِيزَةَ مِنْ إِخْلَاصِكَ فِي وَلَائِهَا ، وَرَغْبَتِكَ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاهَا وَشَرِيفِ  
آرَائِهَا .

هَذِهِ مَنَاجَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكَ وَأَمْتَعَ بِكَ - جَرَى فِيهَا عَلَى  
عَادَةِ تَكْرِيمَتِهِ ، وَأَعْرَبَ بِهَا عَنِ اعْتِقَادِهِ فِيكَ وَطَوَيْتِهِ ، وَمَكَانِكَ الْأَثِيلِ فِي  
شَرِيفِ حَضْرَتِهِ ، وَابْتِهَاجِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ وَخَيْرَتِهِ ، فَتَأَمَّلْهَا تَأَمُّلاً يَشَاكُلُ  
طَاعَتَكَ الصَّافِيَةَ مِنَ الشَّوَابِ وَالْأَقْدَاءِ ، وَتَلَقَّهَا بِصَدَقِ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَحَسَنِ  
الْإِصْغَاءِ . . تَفَرَّزْ بِالْإِصَابَةِ قَدَاحُكَ ، وَيَقْرُبْ بِالتَّوْفِيقِ مَغْدَاكَ وَمَرَاحُكَ ، إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

### [ جَوَابُ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ أَبِي الْمَيْمُونِ لِلْأَمِيرِ ابْنِ ظَهِيرِ الدِّينِ ]

وَهَذِهِ صُورَةُ جَوَابٍ عَنِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ ، أَحَدِ الْفَاطِمِيِّينَ ؛ حَيْثُ وَرَدَ  
عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ أَحَدِ أَمْرَائِهِ وَكَانَ أَرْسَلَهُ إِلَى الدِّيَارِ الشَّامِيَّةِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ هَذَا  
الْأَمِيرُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ حَسَّنَ لِفَخْرِ الْمَلِكِ التَّوَجُّعَ إِلَى مِصْرَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِحَسَنِ  
اجْتِهَادِهِ فِي قِتَالِ الْإِفْرَنْجِ بِطَرَابُلُسَ وَقَتْلِهِ عَظِيمَهُمْ <sup>(١)</sup> :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ أَبِي الْمَيْمُونِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى الْأَمِيرِ فَلَانٍ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ عَرَضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابُكَ مِنْ يَدِ فَتَاهُ وَوَزِيرِهِ ،

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٤٥٠/٦ - ٤٥١ ) .



وصفيّه وظهيره ، العبد الأجلّ الأفضّل ، الذي بذل نفسه في نصرة الدّين يداً  
ولساناً ، وأوضح الله للدولة الحافظيّة بوزارته حُجّة وبرهاناً ، وأسبغ النعمة  
على أهلها ؛ فإنّه جعله فيهم ناظراً ولهم سلطاناً ، ووفّقهُ في حسن التدبير ،  
والعمل بما يقضي بمصالح الصغير والكبير ، ولما أعاد المملّكة إلى أفضّل  
ما كانت عليه من النضرة والبهجة ، ولم يُخرج المادحين لها إذا اختلفوا عن  
التحقيق وصدق اللّهجة ؛ فقد ساوَتْ سياسته بين البعيد والقريب ، وأخذ  
كلّ منها بأجل حظّ وأوفر نصيب ، وسارَتْ سيرته الفاضلة في الآفاق سيرَ  
المثل ، واستوجب من خالقه أجر من جمع في طاعته بين القول والعمل ،  
وشفع عرّضه من وصفك وشكرك ، والثناء عليك وإطابة ذكرك ، وإنهاء ما  
أنت عليه من الولاء ، وشكر الآلاء ، بما يضاهاى ما ذكرته فيه ، ممّا علّم  
عند تلاوته ، وأصغى إليه عند قراءته ، وقد استقرّ بحضرة أمير المؤمنين  
مكانك من المشايعة ، وموقعك من المخالصة ، وكونك من ولاء الدولة على  
قضية أكسبتك شرفاً تفيّأت ظلاله ، وأفاضت عليك ملبساً جررت أذياله ،  
وسمت بك إلى محلّ لا يُباهى من بلغه ، ولا يُطاوّل من ناله ، وكنت في  
ذلك سالكاً للمنهج القويم ، ومُعتقداً ما عليه أهل بيتك في القديم ؛ لا  
جرم أنّه عاد عليك من حسن رأي أمير المؤمنين بما تقصّر عنه كلّ أمنيّة ،  
ويشهد لك بمخالصة جمعت فيها بين عملٍ ونية ، والله يضاعف أجرك على  
اعتصامك من طاعة أمير المؤمنين بالحبل المتين ، ويوزعك شكر ما منحك  
من الاستضاءة بنور الحقّ المبين .

فأمّا الأمير فخر الملك رواج ، وبعثك له على الوصول إلى الباب ، وحضك  
إيّاه على التعلّق من الخدمة بمحصّد الأسباب . . فما كان الإذن له في ذلك  
إلاّ لأنّ كتابه وصل يلتمّسه ، وعرض فيه نفسه ، وبذل المناصحة والخدمة ،  
وسأل سؤال من يعرف قدر العارفة بالإجابة إليه وموقع النعمة ، فأجيب إلى

ذَلِكَ إِسْعَافاً لَهُ بِمِرَادِهِ ، وَعَمَلاً بِرَأْيِ الدَّوْلَةِ فَيَمَنُ يَرْغُبُ إِلَى التَّحْيِيزِ إِلَيْهَا مِنْ أَقْطَارِهِ وَبِلَادِهِ ، وَإِلَّا . . . فَلَا حَاجَةَ لَهَا إِلَيْهِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَلَهُ الْحَمْدُ - وَفَرَّ حَظَّهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَشْيَاعِ ، وَالْأَنْصَارِ وَالْأَتْبَاعِ ، وَالْعَسَاكِرِ وَالْجِيُوشِ ، وَالْأَجْنَادِ وَالْأَنْجَادِ ، وَالْأَعْوَانِ الْأَقْوِيَاءِ الشَّدَادِ ، وَعَبِيدِ الطَّاعَةِ الَّذِينَ يَتَبَارَوْنَ فِي النَّصِيحِ ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الاجْتِهَادِ وَالْحَرَصِ عَلَى سَعَةِ الْأَمْوَالِ وَعِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَجَمَعَ الرِّجَالِ فِي الْعِزَائِمِ بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ ، وَلَوْ وَصَلَ الْمَذْكُورُ . . . لَكَانَتِ الْمَنَّةُ لِلدَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، وَالْحَاجَةُ لَهُ فِي ذَلِكَ لَا إِلَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

وَأَمَّا تَوَجُّهُهُ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَظَفَرُهُ بِالْعُدُوِّ فِيهَا . . . فَاللَّهُ تَعَالَى يُعِزُّ الْإِسْلَامَ وَيَنْشُرُ لَوَاءَهُ ، وَيَعْلِي مَنَارَهُ [ وَيَخْذُلُ ] أَعْدَاءَهُ ، وَيَنْصُرُ عَسَاكِرَهُ وَأَجْنَادَهُ ، وَيَبْلُغُهُ فِي أَحْزَابِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ مِرَادَهُ ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يُمَتِّعُكَ [ مِنَ الْوَلَاءِ ] بِمَا مَنَحَكَ ، وَيَنْيِلُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ أَمْلَكَ وَمَقْتَرَحَكَ ، فَاعْلَمْ هَذَا ، وَاعْمَلْ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### [ كِتَابُ الصَّابِيِّ عَنِ ابْنِ بُوَيَّةَ إِلَى الْمَطِيعِ لِلَّهِ ]

وَهَذِهِ صُورَةُ كِتَابٍ مِنْ إِنْشَاءِ الصَّابِيِّ ، عَنْ عَزِّ الدَّوْلَةِ أَحَدِ مَلُوكِ ذَلِكَ الْعَصْرِ ، أَنْفَذَهُ إِلَى خَلِيفَتِهِ الْمَطِيعِ لِلَّهِ ، وَقَدْ قَصَدَ أَبَا تَغْلِبَ الْحَمْدَانِيَّ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ إِذْ ذَاكَ ، حَيْثُ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو تَغْلِبَ ، وَفَرَّ هَارِباً (٢) :

لَعَبِدَ اللَّهِ الْفَضْلِ الْمَطِيعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ عَبْدِهِ وَصَنِيعَتِهِ عَزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ مُعَزِّ الدَّوْلَةِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، سَلَامٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ،

(١) سورة الحجرات : ( ١٧ ) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » ( ٤٨٣/٦ - ٤٩٢ ) .

فإِنِّي أَحْمَدُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

**أَمَّا بَعْدُ** - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَدَامَ لَهُ الْعِزَّ وَالتَّأْيِيدَ ، وَالتَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ ، وَالْعُلُوَّ وَالْقُدْرَةَ ، وَالظُّهُورَ وَالنَّصْرَةَ - : [ فَالْحَمْدُ ] لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، الْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ ، الْمُنْفَرِدِ بِالْكِبَرِيَاءِ وَالْمَلَكُوتِ ، الْمُتَوَحِّدِ بِالْعَظَمَةِ وَالْجَبَرُوتِ ، الَّذِي لَا تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ ، وَلَا تَحُوزُهُ الْجِهَاتُ ، وَلَا تَحْصُرُهُ قَرَارَةٌ مَكَانٍ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ مَرُورُ زَمَانٍ ، وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعَيُونُ بِنَوَاطِرِهَا ، وَلَا تُخَيِّلُهُ الْقُلُوبُ بِخَوَاطِرِهَا ، فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَمَا تُظِلُّ ، وَخَالِقِ الْأَرْضِ وَمَا تُقِلُّ ، الَّذِي دَلَّ بِلَطِيفِ صِفَتِهِ عَلَى جَلِيلِ حِكْمَتِهِ ، وَبَيَّنَّ بِجَلَلِي بَرَاهِينِهِ عَلَى خَفِيِّ وَجْدَانِهِ ، وَاسْتَغْنَى بِالْقُدْرَةِ عَنِ الْأَعْوَانِ ، وَاسْتَعْلَى بِالْعِزَّةِ عَنِ الْأَقْرَانِ ، الْبَعِيدِ عَنِ كُلِّ مُعَادِلٍ وَمُضَارِعٍ ، الْمَمْتَنِعِ عَنِ كُلِّ مَطَاوِلٍ وَمُقَارِعٍ ، الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ ، الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ وَلَا يَجُورُ ، الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَضُنُّ وَلَا يَبْخُلُ ، الْحَلِيمِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ وَلَا يَجْهَلُ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، مَنْزِلَ الرَّحْمَةِ عَلَى كُلِّ وَلِيٍّ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ ، وَأَتَمَرَ لِأَوَامِرِهِ ، وَازْدَجَرَ بِزَوَاجِرِهِ ، وَمُحِلَّ النِّقْمَةِ بِكُلِّ عَدُوٍّ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَسَنَّهِ ، وَصَدَفَ عَنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ، وَحَادَّهُ فِي مَكْسَبِ يَدِهِ وَمُسْعَاةِ قَدَمِهِ ، وَخَائِنَةَ عَيْنِهِ وَخَافِيَةَ صَدْرِهِ ، وَهُوَ رَاتِعُ رَتْعَةِ النَّعَمِ السَّائِمَةِ ، فِي أَكْلَاءِ النَّعَمِ السَّابِغَةِ ، وَجَاهِلُ جَهْلِهَا بِشُكْرِ آلَائِهَا ، ذَاهِلُ ذَهُولِهَا عَنْ طُرُقِ اسْتِيفَائِهَا ، فَلَا يَلْبُثُ أَنْ يُنْزَعَ سَرَابِيلُهَا صَاغِرًا ، وَيَتَعَرَّى مِنْهَا حَاسِرًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ ، وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَوْرِدِ الْوَبِيلِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى لِلنَّبِوَةِ أَحَقَّ عِبَادِهِ بِحَمْلِ أَعْبَائِهَا ، وَارْتِدَاءِ

ردائها ؛ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وَعَظَّمَ خَطَرَهُ وَكَرَّم ، فصَدَعَ  
بالرسالة ، وبالغ في الدلالة ، ودعا إلى الهداية ، ونَجَّى مِنَ الْغَوَايَةِ ، ونقلَ  
الناسَ عن طاعةِ الشيطانِ الرجيم ، إلى طاعةِ الرحمنِ الرحيم ، وأعلَقَهُمْ  
بحبائلِ خالقِهِم ورازقِهِم ، وعصمةِ محيِيهِم وممِيتِهِم ، بعدَ انتحالِ الأكاذيبِ  
والأباطيلِ ، واستشعارِ المحالاتِ والأضاليلِ ، والتهوُّكِ في الاعتقاداتِ الذائدةِ  
عنِ النعيمِ ، السائقةِ إلى العذابِ الأليمِ ، فصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مِنْ ناطِقٍ بِالْحَقِّ ،  
ومنقِذٍ لِلخَلْقِ ، وناصِحٍ لِلرَّبِّ ، ومؤدِّ لِلْفَرْضِ ، صلاةً زاكِيَةً ، رائحةً غاديةً ،  
تزيدُ على اختلافِ الليلِ والنهارِ ، وتَعاقِبِ الأعوامِ والأدوارِ .

والحمدُ لله الذي انتخبَ أميرَ المؤمنينَ مِنْ ذَلِكَ السِّنْخِ الشَّرِيفِ ، والعنصرِ  
المنيفِ ، والعترةِ الثابتِ أصلُها ، المُمتدِّ ظلُّها ، الطَّيِّبِ جناها ، الممنوعِ  
حماها ، وحازَ لَهُ موارِيثَ آبائِهِ الطَّاهِرِينَ ، صلواتُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ ،  
واختَصَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ بتطاولِ أمدِ الخلافةِ ، واستحْصافِ حبلِها في يَدِهِ ، وَوَفَّقَهُ  
لإصابةِ الغرضِ مِنْ كُلِّ مَرْمَى يرميه ، ومَقْصِدِ ينتحيه ، وهوَ جَلَّ ثَناءُوهُ الحقيقُ  
بإتمامِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، والزيادةِ فِيهِ لَدِيهِ .

وأحمدُهُ سبحانه حمداً أبتدئُهُ ثُمَّ أعيدُهُ ، وأكرِّرُهُ وأستزيدُهُ ؛ على أن  
أَهْلَ رَكْنَ الدَّوْلَةِ أبا عليٍّ ، وعضدَ الدَّوْلَةِ أبا شجاعٍ ، مولى أميرِ المؤمنينَ ،  
وأَهْلَنِي لِلأَثَرَةِ التي بذننا فيها الأكفاءُ ، وفُقْنَا فيها القرناءُ ، وَتَقَطَّعَتْ دُونُهَا  
أنفاسُ المنافسينَ ، وَتَضَرَّعَتْ عَلَيْهَا أحشاءُ الحاسدينَ ، وإذ أُولَانِي فِي كُلِّ  
مَغزًى فِي خِدْمَةِ أميرِ المؤمنينَ أَغزَوْهُ ، ومنحَى أَنحوهُ ، ورَأَيْتُ أَرأْبُهُ ، وشَعَثِ  
أَلْمُهُ ، وعدَوُ أَرْغَمُهُ ، وزائغِ أَقْوَمُهُ . . أَفْضَلَ ما أَوْلَاهُ عِبَادَةُ السَّليمةِ غُيُوبُهُمْ ،  
النَّقِيَّةِ جُيُوبُهُمْ ، المأمونةَ ضَمائِرُهُمْ ، المشحوزةَ بصائِرُهُمْ ؛ مِنْ تَمَكِينِ يَدِهِ ،  
وتثبِيتِ قَدَمِهِ ، ونَصْرِ رَأْيِهِ ، وإِعْلَاءِ كَلِمِهِ ، وتقريبِ بَغِيَّتِهِ ، وإِنالَةِ أُمْنِيَّتِهِ ،

وكذلك يكون مَنْ إلى أمير المؤمنين اعتزأؤه ، وبشعاره اعتزأؤه ، وعن زناه قدحهُ ، وفي طاعته كدحهُ ، والله ولي ما خوْلنيهِ مِنْ هذه المنقبه ، وسوْغنيهِ مِنْ هذه الموهبة ، وأن يتوحدَ أمير المؤمنين في جميع خدَمهِ الذائدين عن حوزتِهِ ، المنتمين إلى دعوتِهِ ؛ بيمين الطائر ، وسعادة الطالع ، ونجاح المطلب ، وإدراك الأرب ، وفي أعدائهِ الغامصين لنعمتِهِ ، الناقضين موثيق بيعتِهِ ؛ بإضرع الخد ، وإتعاس الجد ، وإخفاق الأمل ، وإحباط العمل .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين ينكرُ قديماً مِنْ فضل الله بن ناصر الدولة أحوالاً حقيقاً مثلها بالإنكار ، ومُستحقاً مَنْ ارتكبها للإعراض ، وأنا أذهب في حفظ غيبهِ ، وإجمال محضرهِ ، وتمحُّل حُجَّتِهِ وتلفيقها ، وتأليف معاذيرهِ وتنميقها . . مذهبي الذي أعمُّ به كل مَنْ جرى في ناشئ دولتِهِ ، ومغتذ بنعمتِهِ ، ومنتسب إلى ولايتِهِ ، ومُشتهر بصنعتِهِ ، وأقدر أن أستصلحه لأمير المؤمنين وأصلحه لنفسِهِ ؛ بالتوقيف على مسالك الرشاد ، ومناهج السداد ، وهو يريني أن قد قبل وارعوى ، وأبصر واهتدى ، حتى رغبتُ إلى أمير المؤمنين فيما شفَّعني مُتفضلاً فيه ؛ مِنْ تقليده أعمال أبيهِ ، والقناعة منه في الضمان بميسور بذله ، وإيثاره به على مَنْ هو فوقهُ مِنْ كبراء إخوتِهِ وأهلِهِ .

فلما بلغ هذه الحال . . أَلطَّ بالمال ، وخاسَ بالعهد ، وطَرَّقَ لفسخ العقد ، وأجرى إلى أمور كرهتها ، ونَفَدَ الصَّبْرُ مِنِّي عليها ، وخفتُ أن أستمِرَّ على الإغضاء عنها والمسامحة فيها ، فيطلع الله مِنِّي على إضاعة الاحتياط في أمر قَلَدني أمير المؤمنين زمامهُ ، وضمَّنني دَرَكَهُ ، وإرجائي لرجل قَبَل في الاعتماد عليه رأيي ، وعَوَّل في أخذه بما يلزمهُ على نظري واستيفائي ، فتناولتُهُ بأطراف العذل مُلَوِّحاً ، ثم بتأنيبه مُفصِّحاً مُصرِّحاً .



ورسمتُ لعبدِ أميرِ المؤمنينِ الناصحِ أبي طاهرٍ أن يُحدِّثَهُ ويدخلَ عليه مِنْ طريقِ المشورةِ والرفقِ إلى أخرى ، وينتقلَ معه بينَ اللَّينِ والخشونةِ طوراً فطوراً ، ففعلَ ذلكَ على رِسمِهِ في التَّائِي لِكُلِّ فاسِدٍ حتَّى يَصْلُحَ ، ولكلِّ أبِيٍّ حتَّى يَسْمَحَ ، ولم يدعِ التَّناهِي في وعظِهِ ، والتمادي في نصيحِهِ ، وتعريفَهُ سوءَ عاقبةِ اللَّجاجِ ، وشنعةَ مَغَبَّةِ الإحراجِ ، وهو يزيدُ طمعاً في الأموالِ وشرهاً ، وعمى في الرأيِ وعمهاً ، إلى أن كادَ أمرُنا معه يخرجُ عن حدِّ الانتظارِ ، إلى حدِّ الرضا بالإصرارِ ، فاستأنفتُ إدراعَ الحزمِ ، وامتناءَ العزمِ ، ونهضتُ إلى أعمالِ الموصِلِ وعندي أنَّه يغنيني عن الإِتبابِ ، ويَتَلَقَّاني بالأعتابِ ، وينقادُ إلى المرادِ ، ويتجنَّبُ طريقَ العنادِ .

فحينَ عرفَ خبرَ مسيري ، وجدي فيه وتشميري . . برزَ بروزَ المخالفِ المكاشفِ ، وتَجَرَّدَ تَجَرَّدَ المواقعِ المواقِفِ ، وهوَ معَ ذلكَ إذا ازدادتُ منه قرباً . . ازدادَ مِنِّي بُعداً ، وإذا دلفتُ إليه ذراعاً . . نكصَ عَنِّي باعاً .

وتوافَّتْ إلى حضرتي وجوهُ القبائلِ مِنْ عَقِيلٍ وشِيبانٍ وغيرِهِما ، في الجمعِ الكثيفِ مِنْ [ صعالِيكِهِما ] والعددِ الكثيرِ مِنْ [ صنادِيدِهِما ] ، داخلينَ في الطَّاعةِ ، مُتَصَرِّفينَ في عوارضِ الخدمَةِ ، فلمَّا شارفتُ الحديثةَ . . انتقضتْ عزائمُ صبرِهِ ، وَتَقَوَّضَتْ دعائمُ أمرِهِ ، وبَطَلَتْ أمانِيَّتُهُ ووساوسُهُ ، واضمحَلَّتْ خواطرُهُ وهواجسُهُ ، [ واضطربَ ] عليه مِنْ ثِقَاتِهِ وغلَمانِهِ مَنْ كانَ بِهِمْ يَعتَصِدُّ ، وعليهِمْ يَعتَمِدُ ، ورأوا خِذلانَهُ ، والأخذَ لِنُفوسِهِمْ ومفارقَتَهُ ، والطلُّبَ لحُظوظِهِمْ ، وحصلَ بحضرتي إلى هذهِ الغايةِ زُهاءُ خمسِ مئةِ رجلٍ ذوي خيلٍ مختارةٍ ، وأسلحةٍ شاكَّةٍ ، فصادفوا عِندي ما أَمَلُوا مِنْ فائِضِ الإِحسانِ ، وغامرِ الامتنانِ ، وذكرُوا عَمَّنْ وراءَهُمْ مِنْ نظرائِهِم الحرصَ على الاستئمانِ ، وأنَّهُمْ يَرُدُّونَ ولا يَتَأَخَّرُونَ ، ويبادرونَ ولا يتوانونَ .

ولمَّا رأى ذلك . . لم يملك نفسه أن مضى هارباً على طريق سنجار ،  
منكشفاً عن هذه الديار ، قانعاً من تلك الآمال الخائبة ، والظنون الكاذبة ؛  
بسلامة حُشاشة هي رهينة غيها ، وصريعة بغيتها .

وكان انهزامه بعد أن فعلَ الفعلَ السَّخيفَ ، وكاد بالكيد الضَّعيفِ . . بأن  
غَرَّقَ سفنَ الموصلِ ، وأحرقَ جسرَها ، واستدَّمَ إلى أهلها ، وتزوَّدَ منهمُ اللعنَ  
المطيفَ به أين يَمَمَ ، الكائنَ معه حيثُ خَيَّمَ .

ودخلتها يومي هذا - أيَّدَ اللهَ أميرَ المؤمنين - دخولَ الغانمِ الظَّافرِ ،  
المستعلنِ الظاهرِ ، فسكَّنتُ من نفوسِ سُكَّانِها ، وشرحتُ صدورَ قُطَّانِها ،  
وأعلمتُهم ما أمرني به أميرُ المؤمنين - أعلا اللهَ أمره - من تأنيسِ وحشيتهم ،  
ونظمِ [ألفتهم] ، وضمِّ نشرهم ، ولمَّ شعثهم ، وإجمالِ السيرة فيهم في  
ضروبِ معاملاتهم وعُلقهم ، وصنوفِ مُتصرِّفاتهم ومعايشهم ، وكثُرَ منهمُ  
الثناءُ والدعاءُ ، واللهُ سامعٌ ما رفعوا ، ومجيبٌ ما سألوا .

وأجلتُ حالَ هذا الجاهلِ - أيَّدَ اللهَ أميرَ المؤمنين - عن أقبحِ هزيمةٍ ،  
وأذلِّ هزيمةٍ ؛ لأنَّه لم يلقَ لقاءَ البائعِ بالطَّاعةِ ، المعتذرِ من سالفِ التفریطِ  
والإضاعةِ ، ولا لقاءَ المُصدِّقِ لدعواه في الاستقلالِ بالمقارعةِ ، المُحقِّقِ لزعمه  
في الثباتِ للمدافعةِ ، ولا كانَ في هذينِ الأمرينِ بالبرِّ التقِّيَّ ، ولا الفاجرِ  
القويِّ ، بل جمعَ بينَ نقيصةِ شقاقه وغدره ، وفضيحةِ جبنه وخوره ، منتهكاً  
للصَّلاحِ ، عادلاً عن الصَّوابِ ، قد ذهبَ عنه الرشادُ ، وضربتْ بينه وبينه  
الأسداً ، وأنزلهُ اللهَ منزلةً مثله ؛ ممَّن أساءَ حفظَ الوديعَةِ ، وجوارِ الصَّنيعَةِ ،  
واستوجبَ نزعهما منه .

وتأمَّلتُ - أيَّدَ اللهَ أميرَ المؤمنين - أمره على التجريبِ ، وتصفحتهُ  
بالتقليبِ ؛ فإذا هو الرجلُ الذي أطاعَ فيه أبوه هوى أمِّه ، وعصى دواعي رأيه

وحزيمه ، وقدمه من ولده على من هو أنسُ رشدًا ، وأكبرُ سنًا ، وأثبتُ جأشًا ، وأجري جنانًا ، وأشجعُ قلبًا ، وأوسعُ صدرًا ، وأجدرُ لمخايلِ النجابهِ وشمائِلِ اللبابةِ .

فلما اجتمعتْ له أسبابُ القدرةِ والثروة ، وأمكنتهُ مناهزُ الغرةِ والفرصةِ . . وثبَ عليه وثبةُ السرحانِ ، في ثلثةِ الضانِ ، وجزأه جزاءً أم عامرٍ لمجيرها ؛ إذ فرتهُ بأنيابها وأظفارها ، واجتمع وأخوه من الأمِّ ، المرتضِعِ معه لبانِ الإثمِ ؛ المكنى بأبي البركاتِ وليسَ بأبٍ لها ، ولا حرٍ بشيءٍ منها ، على أن صرعهُ وعاقاهُ ، وقبضا عليه وأوثقاهُ ، وأقرَّاهُ من قلعتيهما حيثُ يُقرُّ العتاةُ ، ويُعاقبُ الجناةُ ، ثمَّ أتبعهُ ذلكَ باستحلالِ دمه ، وإفاضةِ مهجتهِ ، غيرَ راعيينِ فيه حقَّ الأبوةِ ، ولا حانئينِ عليه حنوَّ البنوةِ ، ولا مُتذمِّمينِ من الإقدامِ على مثلهِ ممَّنْ تقدَّمتْ عندَ سلطانهِ قدمُهُ ، وتوكَّدتْ أواصرُهُ وعصمُهُ ، ولا راحمينِ له من ضَعْفِ شيخوختِهِ ، ولا مصغيينِ إلى وصيةِ اللهِ إياهُما به ، التي نصَّها في محكمِ كتابِهِ ، وكرَّرها في آيهِ وبيِّنَاتِهِ ؛ إذ يقولُ : ﴿ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَايَكَ إِنَّكَ لَمُصِيرٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وإذ يقولُ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَالْخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فبأيِّ وجهٍ يلقي اللهَ قاتلُ والدٍ حدي قد أمرَ ألا ينهره ؟ وبأيِّ لسانٍ ينطقُ يومَ يُسألُ عمَّا استجاره فيه وفعله ؟ وتاللهُ ؛ لو أنَّ بمكانِهِ عدوًّا لَهُمَا قد قارضَهُما الذحولَ ، وقارعَهُما عنِ النفوسِ . . لَقُبِحَ بهما أن يُلؤما ذلكَ

(١) سورة لقمان : ( ١٤ ) .

(٢) سورة الإسراء : ( ٢٣ - ٢٤ ) .

اللَّوْمَ عِنْدَ الظَّفَرِ بِهِ ، وَأَنْ يَرْكَبَا تِلْكَ الْخُطَّةَ الشَّنْعَاءَ فِي الْأَخْذِ بِنَاصِيَتِهِ وَلَمْ يَرْضَ فَضْلُ اللَّهِ بِمَا أَتَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى اسْتَوْفَى حَدُودَ قَطْعِ الرَّحِمِ ؛ بَأَنْ تَتَّبَعَ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ السَّالِكِينَ خِلَافَ سَبِيلِهِ ، الْمُتَبَرِّئِينَ الْمُسْتَبْرِئِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ مَا اكْتَسَبَ ، وَوَحِيمِ مَا احْتَقَبَ ؛ لَمَّا غَضِبُوا لِأَبِيهِمْ ، وَامْتَعَضُوا مِنَ الْمُسْتَحِلِّ فِيهِ وَفِيهِمْ ، فَقَبَضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَغَدْرًا وَمَكِيدَةً ، وَنَابَذَ حَمْدَانَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مُنَابَذَةً خَارَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ؛ بَأَنْ أَصَارَهُ مِنْ فِتْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْعَزِيزِ ، وَالْحَرْزِ الْحَرِيزِ ، وَأَنْ أَجْرَى اللَّهُ عَلَى يَدِهِ الْحَرْبَ الْوَاقِعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ بِكُنْيَتِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، الَّتِي لَقَّاهُ اللَّهُ فِيهَا بِخَسَّةٍ ، وَأَتْلَفَ نَفْسَهُ ، وَصَرَعَهُ بِعَقُوقِهِ وَبَغْيِهِ ، وَقَنَعَهُ بِعَارِهِ وَخَزْيِهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَاكَ لَا يَتَعَطَّى وَلَا يَنْزِعُ ، وَلَا يَنْزَجُرُ وَلَا يَقْلَعُ ؛ إِصْرَارًا عَلَى الْجَرَائِرِ الَّتِي اللَّهُ عَنْهَا حَسِبُهُ ، وَبِهَا طَلِبُهُ ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ مَرَصِدَتَانِ لَهُ بِالْجَزَاءِ الْمَحْقُوقِ عَلَيْهِ ، وَالْعِقَابِ الْمَسْوَاقِ إِلَيْهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ - أَيْدَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - خُطْبًا ، وَأَوْعَرُ مَسْلَكًا وَلِحَبًّا ؛ أَنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عُهْدَ إِلَيْهِ ، وَالْعَقْدِ الَّذِي عُقِدَ لَهُ ، وَالضَّمَانِ الْمُخَقَّفِ مَبْلَغُهُ عَنْهُ ، الْمَأْخُوذُ عَفْوُهُ مِنْهُ : أَنْ يَتَنَاهَى فِي ضَبْطِ الثُّغُورِ ، وَجِهَادِ الرُّومِ ، وَحِفْظِ الْأَطْرَافِ ، وَرَمِّ الْأَكْنَافِ ، فَمَا وَفَّى بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْاسْتِثْنَاءِ بِالْأَمْوَالِ وَاقْتِطَاعِهَا ، وَإِحْرَازِهَا فِي مَكَانِهَا وَقِلَاعِهَا ، وَالضَّنِّ بِهَا دُونَ الْإِخْرَاجِ فِي وَجْهِهَا ، وَالْوَضْعِ لَهَا فِي حَقُوقِهَا ، وَأَنْ تَرَاحَى فِي أَمْرِ عَظِيمِ الرُّومِ مُهْمَلًا ، وَاطَّرَحَ الْفَكْرَ فِيهِ مُغْفَلًا ، حَتَّى هَجَمَ فِي الدِّيَارِ ، وَأَثَّرَ الْآثَارَ ، وَنَكَأَ الْقُلُوبَ ، وَأَبْكَى الْعَيُونَ ، وَصَدَعَ الْأَكْبَادَ ، وَأَحْرَّ الصُّدُورَ ، فَمَا كَانَ عِنْدَهُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ الْقَارِئِ لِكِتَابِ اللَّهِ ؛ إِذْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ﴾

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبِعْكِ الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ .

بل صدف عن ذكر الله لاهياً ، وعدل عن كتابه ساهياً ، واستفسخ ذلك البيع والعقد ، واستنجز الوعيد لا الوعد ، ولاطف طاغية الروم وهاداه ، وأماره وأعطاه ، وصانعه بمال المسلمين الذي يلزمه - إن سلم دينه وصح يقينه - أن ينفقه في مرابطهم ، ويذب به عن حريمهم ، وأبى إلا أن يعكس ويلفته عن وجهته ؛ بالنقل إلى عدوهم ، وإدخال الوهن بذلك عليهم ، وقاد إليه من الخيل العتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيما أتحفه به الخمر التي حظر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وأمره بأن يجتنبها ويجتويها ، وعلبان ذهب صاغها له ، وتقرب بها إليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ، حتى كأنه عامل من عماله وبطريق من بطارقه .

فأما فشله عن مكافحته ، ولهجه بملاطفته .. فضد الذي أمره الله به في قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأما نقله ما نقل من الخيل عن ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم .. فنقيض قوله عز وجل : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٣) .

(١) سورة التوبة : ( ١١١ ) .

(٢) سورة التوبة : ( ١٢٣ ) .

(٣) سورة الأنفال : ( ٦٠ ) .



وَأَمَّا إِهْدَاؤُهُ الْخَمْرَ وَالصُّلْبَانَ . . فخلافاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ  
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

كل ذلك عناداً لرب العالمين ، وطمساً لأعلام الدين ، وضناً بما حامى  
عليه من ذلك الخطام المجموع من الحرام ، المثمر عن الآثام ، المقتطع من  
فيء الإسلام .

وقد فعل الآن بي وبالعساكر التي معي ومن يضم ولاء أمير المؤمنين ،  
الذين هم إخوانه وصحبه إن كان مؤمناً ، وأنصاره وحزبه إن كان موقناً . .  
من تويعر المسالك ، وتغريق السفن ، وتضييق الأقوات ، واستهلاك الأزواد ؛  
ليوصل إلينا الضرر ، ويلحق بنا الجهد ، فعل العدو المبين ، المخالف في  
الدين ، فهل يؤمل في هذا الناد المعاند والشاذ الشارد ؟! وهل يطمع من مثله  
في حق يقضيه ، أو فرض يؤديه ، أو عهد يرهه ، أو [ ذمام ] يحفظه ، وهو لله  
عاص ، ولإمامه مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟!

كلا والله ، بل هو الحقيق بأن تُثنى إليه الأعنة ، وتُشرع نحوه الأسنة ،  
وتُنصب له الأرصاد ، وتُشخذ له السيوف الجداد ؛ ليقطع الله بها دابره ،  
ويجب غاربه ، ويصرعه مصرع الأثيم المليم ، المستحق للعذاب الأليم ،  
أو يفيء إلى الحق إفاءة الداخل فيه بعد خروجه ، العائد إليه بعد مروقهِ ،  
التائب المنيب النازع المستقل ، فيكون حكمه شبيهاً بحكم الراجع عن  
الردة ، المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط  
مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا المرشد ، ووقف بنا على السبيل المنجية لنا ،  
والمقاصد المفضية إلى رضاه ، المؤمنة من سطاؤه .

(١) سورة المائدة : ( ٩٠ ) .

والحمد لله الذي أعزَّ أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لواء القهر ، وجعل أولياءه الغالبين ، وأعداءه السافلين الهابطين ، وهنَّاه الله هذا الفتح ، ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتتبعه ، وأمثال تتلوه وتشفعه ، واصلاً فيها إلى ما وصل إليه فيه ؛ من حيازته مهناً لم يُسفك فيه دم ، ولم يُنتهك مُحَرَّم ، ولم يُنل جهد ، ولم يمسَّ نصب .

أنهت إلى أمير المؤمنين ذلك ؛ ليضيف صنع الله له فيه إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه ، وليجدد من شكره ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد ، مقتضياً للفوز والتأييد ، إن شاء الله تعالى .

### [ كتاب الملك صلاح الدين إلى مَقَرِّ الخلافة ببغداد ]

وهذه صورة كتاب من إنشاء الفاضل ، الذي سلف القول بأنه أوَّل الطبقة الثالثة : عن ملكه صلاح الدين يوسف من مصر إلى مَقَرِّ الخلافة ببغداد ، بالبشارة عن فتح بلد من بلاد النوبة ، وانهزام ملكها وعساكره <sup>(١)</sup> :

صلوات الله التي أعدّها لأوليائه وأدَّخرها ، وتحياته التي قذف بشهبيها شياطين أعدائه ودحرها ، وبركاته التي دعا بها كلَّ مُوحِّد فأجاب ، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن أنجاب ، وزكاته التي هي للمؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعترى الموقنين في ترديده حَصْر ولا لَكْن ، على مولانا عاقد ألوية الإيمان ، وصاحب دور الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ، الذي [ زلزلت ] إمامته قدم الباطل ، وحلَّت خلافته ترائب الدهر العاطل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من كلِّ غريم ماطل ، وأمضت غرْب كلِّ عزم للحقِّ مفلول ، وأطلعت غارب نجم كلِّ هدى آفل ،

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٥١١/٦ - ٥١٥ ) .

وَشَفَعَتْ يَقْضَاتُ اسْتِغْفَارِهِ إِلَى غَافِرِ ذَنْبِ كُلِّ غَافِلٍ ، وَعَلَى آبَائِهِ الْغَايَةِ  
وَالْمَفْزَعِ ، وَالْمَلَاذِ فِي وَقْتِ الْفَزَعِ ، وَالْقَائِمِينَ بِحَقْقِ اللَّهِ إِذْ قَعَدَ النَّاسُ ،  
وَالْحَاكِمِينَ بَعْدَ اللَّهِ إِذْ عُدِمَ الْقِسْطُ ، وَالْمُسْتَضِيَّينَ بِأَنْوَارِ الْإِلَهَامِ الْمُرُوثَةِ  
مِنَ الْوَحْيِ إِذْ أَعْجَزَ الْاِقْتِبَاسُ ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَاسِ ،  
خُزَّانِ الْحِكْمِ وَحُقَاطِهَا ، وَمَعَانِي النِّعَمِ وَالْفَاطِهَا ، وَأَعْلَامِ الْعُلُومِ الْمُنْشُورَةِ  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَكَالْتِي الرُّوحِ الْمُنْتَشِرَةِ بِكَلَاءَةِ يَدِ الْإِمَامَةِ ، وَمَنْ لَا يَنْفُذُ  
سَهْمُ عَمَلٍ إِلَّا إِذَا شُحِدَ بَوْلَايَتِهِمْ ، وَلَا يَتَأَلَّقُ صَبْحُ هَدَايَةِ إِلَّا إِذَا اسْتَصْبَحَ  
السَّارِي بِدَلَالَتِهِمْ .

الْمَمْلُوكُ يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِمَطَالِعِ الشَّرَفِ وَمَنَازِلِهِ ، وَمَرَابِعِ الْمَجْدِ وَمَعَاقِلِهِ ،  
وَمَجَالِسِ الْجُودِ ، [ وَمَحَالِ ] السَّجُودِ ، وَمَخْتَلَفِ أَنْبَاءِ الرَّحْمَةِ الْمُنْزَلَةِ ، وَمَرْسَى  
أَطْوَارِ الْبَسِيطَةِ الْمُنْزَلَةِ ، وَمَفْتَرٍ مِبَاسِمِ الْإِمَامَةِ ، وَمَجَرِّ مَسَاحِبِ الْكِرَامَةِ ،  
وَمَكَانِ جَنُوحِ أَجْنَحَةِ الْمَلَائِكَةِ حَيْثُ يَدْخُلُونَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسَلِّمِينَ ، وَتَتَبِعُهُمْ  
مَلُوكُ الْأَرْضِ مُسْتَسْلِمِينَ ، وَمَشَاهِدُ الْإِسْلَامِ كَيَوْمِ أَنْزَلَ فِيهِ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ  
دِينَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، [ وَيَنْعَقُدُ ] عَلَى الْوَلَايَةِ ؛ فَأَمَّا غَيْرُهُ . . فَلَهُ قَوْلُهُ : ﴿ فَتَلَوُا الَّذِينَ  
يَلُونَكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَيَنَاجِيهَا بِلِسَانِ جَلِيِّ الْإِخْلَاصِ الصَّادِقِ عَقِيدَتُهُ ، وَنَشَاطِ الْوَلَاءِ  
السَّابِقِ عَقِيلَتُهُ <sup>(٣)</sup> ، وَأَرْهَفَ الْإِيمَانِ النَّاصِعُ مُضَارِبُهُ ، وَأَفْسَخَ الْمَعْتَقَدُ النَّاصِحُ  
مَذَاهِبُهُ ، فَأَعْرَبَ عَنْ خَاطِرٍ لَمْ يَخْطُرْ فِيهِ لَغَيْرِ الْوَلَاءِ خَطَرٌ ، وَقَلْبٍ أَعَانَهُ عَلَى  
وَرُودِ الْوَلَاءِ [ أَنْ ] صَفَاءَ الْمَصَافَاةِ فِيهِ فِطْرَةٌ .

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَزِيلُ عَنْهُ فِي شَرَفِ الْمَثُولِ عَوَائِقَ الْقَدْرِ وَمَوَانِعَهُ ، وَيَكْشِفُ

(١) سورة المائدة : ( ٣ ) .

(٢) سورة التوبة : ( ١٢٣ ) .

(٣) فِي « صَبْحِ الْأَعَشَى » ( ٥١٣/٦ ) : ( بِلِسَانِ جَلِيِّ الْإِخْلَاصِ الصَّادِقِ عَقِيدَتُهُ ، وَأَنْشَطِ الْوَلَاءِ السَّابِقِ  
عَقِيلَتُهُ ) .

لَهُ عَنْ قَنَاعِ الْأَنْوَارِ الَّتِي لَيْسَتْ هِمَّتُهُ بِمَا دُونَ نَظَرِهَا قَانَعَةً ، وَكَانَ تَوَجَّهَ  
 مِنْصُورًا بِجَيْشِ دَعَائِهِ قَبْلَ جَيْشِ لَوَائِهِ ، وَبِعَسْكَرِ إِقْبَالِهِ قَبْلَ عَسْكَرِ قِتَالِهِ ،  
 وَبِنَصَالِ سُلْطَانِهِ قَبْلَ نَصَالِ أَجْفَانِهِ ، لَا جَرَمَ أَنَّ كِتَابَ الرَّعْبِ سَارَتْ أُمَامَ  
 الْكِتَابِ ، وَقَوَاضِیَ الْحَذَرِ غَمَضَتْ فِي جَفُونِهَا عِیُونَ الْقَوَاضِیِ ، وَسَارَ أَوْلِیَاءُ  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَتَدَاعَوْا بِلِسَانِ النِّعْمَةِ ، وَتَصَرَّفُوا  
 بَبَدْلِ الْخِدْمَةِ ، وَصَالُوا بِسِیْفِ الْعِزْمَةِ ، مُتَوَاحِیَةً نِیَّاتُهُمْ فِي الْإِقْدَامِ ، مُتَأَلِّفَةً  
 طَوِیَّاتُهُمْ فِي طَاعَةِ الْإِمَامِ ؛ كَالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوصِ انْتِظَامًا ، وَكَالْغَابِ الْمُشْجَرِ  
 أَعْلَامًا ، وَكَالنَّهَارِ الْمَاتِعِ حَدِيدًا وَهَاجًا ، وَكَالْذَلِيلِ الشَّامِلِ عَجَاجًا عَجَاجًا ،  
 وَكَالنَّهْرِ الْمُتَدَافِعِ أَصْحَابًا ، وَكَالْمَشِطِ الْمُطَرَّدِ اصْطِحَابًا ، فَمَا أَبْصَرْتَ رِیَاضَهَا  
 الْمَزْهَرَةَ ، وَغِیَاضَهَا الْمُشْجَرَةَ . . إِلَّا ذَلَّتْ عَلَى أَنَّ السَّحَابَ الَّذِي سَقَاهُمْ  
 كَرِیمًا ، وَالْإِنْعَامَ الَّذِي غَمَرَهُمْ عَظِیمًا ، وَالْدُنْیَا الَّتِي وَسَعَتْهُمْ مِنْ عِزْمَتِهِمْ تَظَعُنُّ  
 وَتَقِیمُ .

وَلَمَّا عَلِمَ الْعَدُوُّ أَنَّ الْخُطْبَ الْمَظْنُونِ قَدْ صَرَّحَ خُطَابُهُ ، وَالْأَمَلَ الْمَخْدُوعَ  
 قَدْ صَفَرَ وَطَابُهُ . . رَاسَلَ وَرَأَى أَنَّ سَلَ السِّیُوفِ یَغْمِدُهُ ، وَمَاكَرَ وَمَا كَرَّ  
 لَعَلِمِهِ أَنَّ الْحَتَفَ یَعْمِدُهُ ، وَانْدَفَعَ هَارِبًا هَائِبًا ، وَخَضَعَ كَائِبًا كَاذِبًا ، فَمَضَى  
 الْمَمْلُوكُ قُدُمًا ، وَحَمَلَهُ ظِلْمُهُ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ، وَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ إِنْ  
 وَطِئَ الْبَسَاطَ بِرِجْلِهِ وَإِلَّا . . وَطِئَهُ بِرَأْسِهِ ، وَإِنْ قَدَّمَ عَلَى الْمَمْلُوكِ بِأَمْلِهِ ،  
 وَإِلَّا . . أَقْدَمَهُ [ بِرَأْسِهِ ] ، وَإِنْ أَظْهَرَ أَثَرَ التَّوْبَةِ ، وَإِلَّا . . أَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ بِسُكْرَةِ  
 الْمَوْتِ مِنْ كَأْسِهِ ، فَلَمْ یَخْرُجْ مِنْ مِرَاوِعَةٍ تَحْتَهَا مِغَاوِرَةٌ ، وَمِكَاشِرَةٌ وَرَاءَهَا  
 مِكَابِرَةٌ .

فَاسْتَخَارَ اللَّهَ فِي طَلَبِهِ ، وَانْتَهَزَ فِيهِ فُرْصَةَ شُغْلِ قَلْبِهِ بِرَبِّهِ ، وَلَمْ یَغْرَهُ مَا  
 أَمْلَى لَهُ فِي الْبِلَادِ مِنْ تَقْلِبِهِ ، وَسَارَ وَلَمْ یَزَلْ مُقْتَحِمًا ، وَیَقْدُمُ أَوَّلَ الْعَسْكَرِ  
 مُحْتَدِمًا ، وَإِذَا الدَّارُ قَدْ تَرَحَّلَ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا ، وَظَعَنُوا عَنْ سَاحَتِهَا فَكَأَنَّهُمْ

ما كانوا ، ولم يبقَ إلَّا مواقدُ نيرانٍ رحلتْ قلوبُهُم بضرامِها ، وأثافي دهمٌ  
أعجلتِ المهابةُ ما ردَّ شقيَّهُم عن طعامِها <sup>(١)</sup> ، وغربانُ بينِ كأنَّها في الدِّيارِ  
ما قُطِعَ مِنْ رؤوسِ بني حامِها ، وعوافي طيرٍ كانتْ تنظرُ مِنْ أشلائِهِم فطرَ  
صيامِها ، وعادتِ الرسلُ المنفذةُ لاقتفاءِ آثارِهِم ، وأدأء أخبارِهِم ، ذاكرةً أنَّهم  
لبسوا الليلَ حداداً على النعمةِ التي خُلِعَتْ ، وغسلوا بماءِ الصُّبحِ أطماعَ  
نفسٍ كانتْ قد تطلَّعتْ ، وأنَّهم طلعوا الأوعارَ أوعالاً والعقابَ عقباناً ،  
وكانوا لمهابِطِ الأوديةِ سيولاً ، ولأعالي الشجرِ قضباناً ، فرأى المملوكُ أنَّ  
الكتابَ قد بلغَ أجلَّهُ ، والعزمَ منهم قد نالَ أملهُ ، والفتكَ بِهِم قد أعملَ  
[مُئَصَّلَه] ، وأنَّ سيوفَ عساكرِ أميرِ المؤمنينَ مُنزَّهةٌ أن تريقَ إلَّا دماءَ أكفائها  
مِنَ الأبطالِ ، وأن تلقى إلَّا وجوهَ أنظارِها مِن الرجالِ ، وأصدرَ هذهَ الخدمةَ  
والبلادُ مِنْ مَعَرَّتِهِم عاريةً ، والكلمةُ بانخفاضِهِم غاليةً عاليةً ، ويدُ اللهِ على  
أعدائِهِ غاديةً ، وأنفسُ المخاذيلِ في وثاقِ مهابتِهِ عانيةً ، فرأى المملوكُ أنَّ  
يُرتَّبَ بعدهُ الأميرُ فلاناً ليبدلَ الأمانَ لسوقَةِ أهلِ البلادِ ومزارعيها ، ويفصلَ  
المحاكماتِ بينَ متابعي السِّلطنةِ ومطاويعِها ويفسحَ مجالَ الإحسانِ لمعاودي  
المواطنِ ومراجيعِها ، فإنَّ مقامَ المملوكِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عساكرَ تمنعُ الشمسَ  
مِنْ مطلعِها ، وتردُّ جريَّةَ البحرِ عن مدفعِها ، ممَّا يضرُّ بالغلal وينسفُها ،  
ويجحفُ بالرعايا ويعسفُها .

فالحمدُ لله الذي جعلَ النصرَ لائذاً بأعطافِ اعتزامِهِ ، وأناملَ الرعبِ  
السائرِ إلى الأعداءِ محركةً عذباتِ أعلامِهِ ، والعساكرَ المناضلةَ بسلاحِ ولائِهِ  
تغني بأسمائِها عن مرهفاتِها ، والكتائبَ المقاتلةَ بشعارِ علائِهِ تقرأ كتبَ  
النصرِ مِنْ حمائِها .

(١) في « صبح الأعشى » ( ٥١٤/٦ ) : ( سَغِيهِم عن طعامِها ) بدل ( شقيهِم عن طعامِها ) .



## [ كِتَابُ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى دِيَوَانِ الْخِلَافَةِ ]

وهذه صورة كتاب من إنشاء العماد الأصفهاني ؛ وهو عصريُّ الفاضل ، ومن مشاهير هذه الطبقة عن السلطان صلاح الدين ، يخبر فيه ديوان الخلافة بالانتصار على الإفرنج ، وإزالتهم عن بعض بلاد الشام حين كان قاصداً أن يجليهم عن بيت المقدس وتلك النواحي <sup>(١)</sup> :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثاليها كرام الصّحائف ، ولم يجادل عن مثليها في المواقف ، في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غرراً وأوضاحاً ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدواً ورواحاً ، ومكن سيوفها في كل مآزق من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حمى الحقائق ، وأنجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملكها هوادي المغارب ومرامي المشارق ، ولا زالت إرادتها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفتاح ، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأظفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء [ وجدّد جدده ] ، وجعل بعد عسر يسراً ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمراً ، وهون الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه صبراً ، وخوطب الدين بقوله : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فالأولى في

(١) انظر « صبح الأعشى » ( ٥١٧/٦ - ٥٢٠ ) .

(٢) سورة الأنبياء : ( ١٠٥ ) .

(٣) سورة طه : ( ٣٧ ) .

عَصِرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ ، وَالْأُخْرَى هَذِهِ الَّتِي عَتَقَ فِيهَا مِنْ رِقِّ الْكَأْبَةِ ، فَهُوَ قَدْ أَصْبَحَ حُرّاً ، وَالزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ اسْتَدَارَ ، وَالْحَقُّ بِبَهْجَتِهِ قَدْ اسْتَنَارَ ، وَالْكَفَرُ قَدْ رَدَّ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَعَارِ ، وَغُسِّلَ ثَوْبُ اللَّيْلِ بِمَاءِ فَجْرِ فَجَرٍّ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ ، وَأَتَى اللَّهُ بَنِيَانَ الْكُفْرِ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَقْرَاقِ مَاءِ الْمَوْرِدَاتِ الْبُورِدِ .

أَنْزَلَ مَلَائِكَةً لَمْ تَظْهَرْ لِلْعَيُونِ اللَّاحِظَةِ ، وَلَمْ تَخَفْ عَنِ الْقُلُوبِ الْحَافِظَةِ ، عَزَّتْ سَيِّمَاتُ الْإِسْلَامِ بِمُسْؤَمِهَا ، وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمَرْدِفِهَا ، وَأَخَذَتِ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، فَتَرَى مَتَرَفِيهَا كَأَن لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ، فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حِيْزُومٌ ، وَرَكُضَ فَاتْبَعَهُ سَحَابٌ عَجَاجٌ مَرْكُومٌ ، وَضَرَبَ فَإِذَا ضَرْبُهُ كِتَابٌ جِرَاحٌ مَرْقُومٌ ، وَإِلَّا . . . فَإِنَّ الْحَرْبَ إِنَّمَا عُقِدَتْ سَجَالاً ، وَإِنَّمَا جُمِعَتْ رَجَالاً ، وَإِنَّمَا دَعَتْ خِفَافاً وَثِقَالاً ، فَمَا سَيْوْفٌ تَقَابُلُ سَيْوَفاً ، وَزُحُوفٌ تَقَاتُلُ زُحُوفاً ، فَيَكُونُ حَدُّ الْحَدِيدِ بِيَدٍ مُذَكَّراً وَبِيَدٍ مُؤَنَّثاً ، وَيَكُونُ السَّيْفُ فِي الْيَدِ الْمَوْحِدَةِ يَغْنِي بِالضَّرْبَةِ الْمَوْحِدَةِ ، وَفِي الْيَدِ الْمُثَلَّثَةِ لَا يَغْنِي بِالضَّرْبِ مُثَلَّثاً ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي فَتْنَتَيْنِ التَّقَاتُ ، وَعَدَوَتَيْنِ لَغَيْرِ مَوَدَّةٍ اعْتَنَقْتَا ، وَإِنَّ هَذِهِ النُّصْرَةَ إِنْ زُوِيَتْ عَنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ . . . جُحِدَتْ كِرَامَاتُهُمْ ، وَإِنْ زُوِيَتْ عَنِ الْبَشَرِ . . . فَقَدْ عُرِفَتْ قَبْلَهَا مَقَامَاتُهُمْ ، فَمَا كَانَ سَيْفٌ تَيَقَّظُ مِنْ جَفْنِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبَهُهُ الصَّرِيخُ ، وَلَا كَانَ ضَرْبٌ يَطِيرُ الْهَامَ قَبْلَ ضَرْبِ يَرَاهُ النَّازِرُ وَيَسْمَعُهُ الْمُصِیخُ ، فَكَمْ ضَرْبَةً كَأَنَّهَا هَجَرَةُ الْمَوْتِ وَبِهَا التَّارِيخُ !! وَكَمْ طَعْنَةً تَخِرُّ لَهَا هَضَابُ الْحَدِيدِ وَلَهَا شَمَارِيخُ !!

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْإِسْلَامَ جَدِيداً ثَوْبُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ جَدِيداً حَبْلُهُ ، مُبْيَضّاً نَصْرُهُ مُخْضَراً نَصْلُهُ ، مُتَّسِعاً فَضْلُهُ ، مُجْتَمِعاً شَمْلُهُ ، وَالْخَادِمُ يَشْرَحُ مِنْ نَبَأِ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ مَا يَشْرَحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَمْنَحُ

الحُبُورَ لكافةِ المسلمينَ ، ويُكْرَرُ البشْرَى بما أنعمَ اللهُ بهِ مِنْ يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرينَ مِنْ ربيعِ الآخِرِ إلى يومِ الخميسِ منسلَخِه ، وتلكَ سبْعُ ليالٍ وثمانيةُ أيامٍ حسوماً ، سَخَّرَها اللهُ على الكُفَّارِ ، فترى القومَ فيها صرعى كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٌ ، ورايتها إلى الإسلامِ ضاحكةٌ كما كانتَ مِنَ الكفرِ باكيةً .

فيومُ الخميسِ الأوَّلُ فُتِحَتْ طبريةٌ ، وفاضَ رِيُّ النصرِ مِنْ بُحيرَتِها ، وفُضَّتْ على جسرِها الفرنجُ فقُضَّتْ نحبُها بِحَيْرَتِها ، وفي يومِ الجمعةِ والسبتِ كُسِرَ الفرنجُ الكسرةَ التي ما لَهُمُ بعدها قائمةٌ ، وأخذَ اللهُ أعداءَهُ بأيدي أوليائِهِ أخذَ القرىَ وهي ظالمةٌ ، وفي يومِ الخميسِ مُنسلَخِ الشهرِ فُتِحَتْ عَكَّا بالأمانِ ، ورُفِعَتْ بها أعلامُ الإيمانِ ، وهي أُمُّ البلادِ ، وأختُ إرمَ ذاتِ العمادِ ، وقد أَصْبَحَتْ كأنَ لم تَغْنِ بالكفرِ ، وكأنَ لم تفتقرَ مِنَ الإسلامِ .

وقد أصدرَ هذه المطالعةَ وصليْبُ الصَّلْبُوتِ مأسورٌ ، وقلْبُ ملكِ الكفرِ الأسيرِ جيشُهُ المكسورُ مكسورٌ ، والحديدُ الكافرُ الذي كانَ في الكفرِ يَضْرِبُ وجهَ الإسلامِ ، قد صارَ حديداً مسلماً يُفَرِّقُ خطواتِ الكفرِ عن الأقدامِ ، وأنصارُ الصَّلِيبِ وكبارُهُ ، وكلُّ مَنْ المعموديةَ عمدتُهُ والديرَ دارُهُ . . قد أحاطَتْ بِهِ يدُ القبضةِ ، وأخذَ رهنًا فلا يُقْبَلُ فيه القناطيرُ المُقنطرةُ مِنَ الذَّهَبِ والفضةِ ، وطبريةٌ قد رُفِعَتْ أعلامُ الإسلامِ عليها ، ونَكَصَتْ مِنْ عَكَّا مِلَّةُ الكفرِ على عقبِها ، وعُمِّرَتْ إلى أنْ شهدتْ يومَ الإسلامِ وهوَ خيرُ يومِها ، بل ليسَ مِنْ أيامِ الكفرِ يومٌ فيه خيرٌ ، وقد غُسلَ عن بلادِ الإسلامِ بدماءِ الشركِ ما كانَ تَخَلَّلَها فلا ضررَ ولا ضيرَ ، وقد صارتِ البيْعُ مساجدَ بها مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ ، وصارتِ المذابحُ مواقفَ لخطباءِ المنابرِ ، واهتزَّتْ أرضُها لوقوفِ المسلمينَ فيها وطالما ارتجَّتْ لمواقِفِ الكافرِ ، وافتَرَّتِ النصرَةُ عن ثغرِ

عَا بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَسَّرَ فَتَحَهَا ، وَتَسَلَّمَتْهَا الْمَلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْأَمَانِ وَعَرَفَتْ فِي هَذِهِ الصَّفَقَةِ رِبْحَهَا ، وَأَمَّا طَبْرِيَّةٌ . . فافْتَرَتْهَا يَدُ الْحَرْبِ فَأَنْهَرَتْ الْحَرْبُ جَرَحَهَا .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا تُضْرَبُ عَلَيْهِ الْحُدُودُ ، وَلَا تُزَكَّى بِأَزْكَى مِنْهُ الْعُقُودُ ، وَكَأَنَّهُ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَدْ دَنَا الْأَقْصَى مِنْ أَقْصَاهُ ، وَبَلَغَ اللَّهُ فِيهِ [ الْأَمَلَ ] الَّذِي عَلِمَ أَنْ يُحْصِيَهُ وَأَحَاطَ بِأَجَلِهِ وَقَضَاهُ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَأَجَلُ الْعَدُوِّ هَذِهِ الْكُتَائِبُ الْجَامِعَةُ ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ ، وَثَوَابٌ مَنْ حَظِيَ بِطَاعَتِهِ جَنَّاتُ نَعِيمِهِ الْوَاسِعَةُ ، وَاللَّهُ الْمَشْكُورُ عَلَى مَا وَهَبَ ، وَالْمَسْئُولُ فِي إِدَامَةِ مَا اسْتَيْقَظَ مِنْ جِدِّ الْإِسْلَامِ وَهَبَ .

### [ عَهْدٌ مِنَ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ مُظَفَّرٌ شَاهٍ ]

وَمِنْ مَشَاهِيرِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ حِجَّةَ ، صَاحِبُ « خَزَانَةِ الْأَدَبِ » ، وَإِنْشَاؤُهُ كَثِيرٌ ، جُمِعَ فِي كِتَابٍ ذِي مُجَلَّدَاتٍ ، مُلَقَّبٍ بِـ « قَهْوَةِ الْإِنْشَاءِ » ، فَمِنْ إِنْشَائِهِ : صُورَةُ عَهْدٍ كَتَبَهُ عَنْ خَلِيفَةِ وَقْتِهِ الْمُسْتَعِينِ لِأَحَدِ سُلَاطِينِ الْهِنْدِ ؛ وَهِيَ هَذِهِ <sup>(١)</sup> :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَثَّقَ عَهْدَ النِّجَاحِ لِلْمُسْتَعِينِ بِهِ ، وَثَبَّتَ أَوْتَادَهُ لِيَفُوزَ مَنْ تَمَسَّكَ مِنْ غَيْرِ فَاصِلَةٍ بِسَبَبِهِ ، وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفَظَهَا ، وَأَفْرَغَ عَلَى أَعْطَافِ الْأَرْضِ حِلَلَ الْخِلَافَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلِمَ أَنَّ فِي خَلْفِهَا الزَّاهِرِ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَاخْتَارَهَا مِنْ بَيْتٍ بَرَاعَةً اسْتَهْلَالِهِ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ، وَسَبَقَتْ إِرَادَتُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ

(١) قَهْوَةُ الْإِنْشَاءِ ( ص ٤٢٨ - ٤٣٤ ) .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ( ٣٠ ) .

أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النَّهْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ سَقَايَةِ الْعَبَاسِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَ هَذِهِ السَّقَايَةَ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ عِلْمَ شَرَفِهَا . . تَمَيَّزَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَخْلَفَ آلَ النَّبِيِّ فِي الْأَرْضِ وَفَضَّلَهُمْ ، وَإِنْ تَحَدَّثَ أَحَدٌ فِي شَرَفِ بَيْتٍ . . فَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْبَيْتَ وَالْحَدِيثَ لَهُمْ ، فَأَكْرَمَ بِهِ بَيْتًا مَنْ أَقَرَّ بِعِبُودِيَّتِهِ كَانَ لَهُ مِنَ النَّارِ عِتْقًا ، وَتَمَتَّعَ بِنَعِيمِ بَرَكَتِهِ الَّتِي لَا يَتَجَنَّبُهَا إِلَّا الْأَشْقَى ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ مِنْهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا ، وَصَفَّى أَهْلَهُ مِنَ الْأَدْنَسِ ، وَأَنْزَلَ فِي حَقِّهِمْ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَأَبْرَزَ عِلْمَهُمُ الْخُلَفَاءَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ شَامَةً ، وَخَصَّهُمُ بِالْتَّقْدِيمِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لِهَذِهِ الْإِمَامَةِ ، وَإِذَا كَانَ النَّسَبُ مُمَدِّحًا وَهُوَ فِي النِّظْمِ وَاسِطَةً الْعُقُودِ . . فَهَذَا هُوَ النَّسَبُ الَّذِي يَلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورٌ وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودٌ ، وَهَذَا هُوَ الرُّكْنُ الَّذِي مَنِ اسْتَلَمَهُ وَاسْتَنْدَ إِلَيْهِ . . قِيلَ لَهُ : فَزَتْ بَعْلُو سِنْدِكَ ، فَقَدْ قِيلَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ ؟ » ، قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ الْأَمْرَ بِي ، وَيَخْتِمُهُ بِوَلَدِكَ » <sup>(٣)</sup> .

فَأَحْبَبَ بِهَا شَجَرَةَ نَسَبٍ زَكَ غَرْسُهَا وَنَمَا ، وَتَسَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَكَيْفَ لَا ؟ وَأَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، فَسَلَامٌ عَلَى خَلْفِهَا الَّذِي مِنْهُ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ ، وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَيْهِ ، وَالْوَاتِقُ بِهِ وَالرَّشِيدُ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

(١) سورة الزمر : (٩) .

(٢) سورة الأحزاب : (٣٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣١٥/١) بنحوه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .



نحمدُهُ حمدَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ النَّبَوِيَّ كَسْفِينَةَ نُوحٍ وَتَعَلَّقَ بِهِمْ  
فَنجَا ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ مَالَ إِلَى الدُّخُولِ تَحْتَ الْعِلْمِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَتَنَصَّلَ مِنْ  
الْخَوَارِجِ فَوَجَدَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا  
شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْحَاكِمِ وَقْتُ الْأَدَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَرَّضَنَا عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَرْشَدَنَا إِلَى طَرِيقِ  
الْهُدَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ وَفَّوْا لَهُ بِالْعَهودِ ، وَأَقَامَتْ  
مَوَاضِي سِيوفِهِمُ الْحُدُودَ ، صَلَاةً يَسْقِي عَهْدَ الرَّحْمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَهْدَهَا ،  
وَيَنْظِمُ فِي سَلَكِ الْعِبُودِيَةِ عَقْدَهَا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

**وبعدُ :** فالحمدُ لله الذي ألهمنا الرشدَ وجعلَ منَّا الخلفاءَ الراشدينَ ،  
وَبَنَسَبَتَنَا إِلَى عِلْمِ الْهُدَى فَضَّلَنَا بِالْأُتَمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ، وَاصْطَفَى مِنْ هَذَا الْخَلْفِ  
الشَّرِيفِ خُلَائِفَ الْأَرْضِ ، وَسَنَّ مَوَاضِيَ الْعُقُولِ الَّتِي قَطَعَتْ أَنَّ طَاعَتَنَا فَرَضٌ ؛  
فَإِنَّ لِعَهْدِنَا الْعَبَّاسِيِّ شَرَفًا لَا يَرْفُلُ فِي حِلَلِهِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ عَهْدًا  
وَأَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ  
الرَّجِيمِ - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ  
فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴾ (١) .

وَلَا يَتَمَسَّكُ بِطَيْبِ هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ . . إِلَّا مَنْ صَحَا إِلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِ  
الطَّاعَةِ ، وَتَرَكَ أَهْلَ الْجَهْلِ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْصُونَ ، وَانْتَضَمَ فِي سَلَكِ مَنْ  
أَنْزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ  
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران : ( ٧٧ ) .

(٢) سورة البقرة : ( ١٧٧ ) .

وهو قبضةٌ مِنْ آثارِ البيعةِ النبويّةِ ، وشعارٌ يَتَشَرَّفُ به مَنْ مشى تحتَ الرايةِ العباسيةِ ، وما أُرْسِلَ هذا العهدُ النبويُّ إلى ملكٍ مِنْ ملوكِ الأرضِ . . إلّا عمّةُ الشرفِ مِنْ جميعِ جهاتِهِ ، واللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاتِهِ ، ولا أُعْلِنُ به على منبرٍ إلّا شَدَتْ أَعْوَادُهُ طرباً ، وأزهَرَتْ رونقاً وأثمرتْ أدباً ، وقالتْ وقد رَنَحَتْها نسماثُ القبولِ مِنْ ساكنِ الروضةِ ، واخضَلَّ نباتُ تلكَ البقاعِ وأينعَ وعمَّ الفرحُ بها كلَّ غيضةٍ .

وكانَ المَقَامُ الأشرفُ العالي - إلى آخرِ الصِّفَاتِ السُّلْطَانِيَةِ - السلْطَانِيُّ ، الملكُ المظفريُّ ، شمسُ الدنيا والدينِ ، والمستعينُ في زيادةِ شرفِ ملكِهِ بعدَ اللهِ بالمستعينِ ، لا زالتْ أيامُهُ الزاهرةُ بشمسِهِ المنيرةِ مشرقةً ، وتوقيعاتُ الرقاعِ بنسخِ صفاتِهِ الشريفةِ مُحَقَّقةً . . مَمَّنْ رَغِبَ في التمسكِ بهذا العهدِ الشريفِ ؛ ليزيلَ عن ملكِهِ الالتباسَ ، واستندَ إليه ليرويَ في سندهِ العاليِ عن ابنِ عباسٍ ، ومشى بعينِ البصيرةِ في هذا المنهجِ القويمِ ، وتلا له لسانُ الحالِ : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وطاولَ بيدَ الخلافةِ الشريفةِ لإقامةِ الحدِّ - علماً بأنَّ يدَ الخلافةِ لا تطاولُها يدٌ - وأخلصَ مَوَدَّتَهُ في التقربِ إلى بيتنا الشريفِ لِمَا شغفَهُ حبّاً ، وتمسكَ بطيبِ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ <sup>(٢)</sup> لأنَّه الملكُ الذي ظَفَّرَهُ اللهُ بأعداءِ هذا الدِّينِ وسمَّاهُ مُظَفَّرًا ، ولَقَّبَهُ بالشمسِ واختارَ له أن يَقرَنَ مِنَ الطَّلَعِ المستعينيّةِ قمرًا ، أينعَ زهرُ العدلِ بحضرةِ [ دِهْلي ] فعطَّرَ الآفاقَ ، وضاعَ نشرُهُ بالهندِ فعادَ الشُّمُّ إلى المزكومِ بالعراقِ ، وصارتْ دمنُ سُمُناتِ عامرةٍ بقيامِ الدِّينِ ، وأيَّدَهُ اللهُ فيها بعدَ القتالِ بالفتحِ المبينِ ، ولم يتركْ للعدوّ في بيتَ بَيْتَ ليلةً ، وأبطلَ ما دَهَرَهُ أهلُ داهِرٍ بحسنِ اليقظةِ وقُوَّةِ

(١) سورة الملك : ( ٢٢ ) .

(٢) سورة الشورى : ( ٢٣ ) .

الصَّوْلَةُ<sup>(١)</sup> ، وأباد الكفرة مَنْ دِيَوَ ولم يقبلْ لَهُمْ دِيَةً ، وفاؤوا إلى غيرِ أمرِ الله فقصمَهُمْ بسيفِهِ الهنديّ ولم تقمْ لَهُمْ فِيهِ ، وفطرَ أكبادَ مَنْ ناواهُ بها فلازموا عن رؤيتها الصومَ ، ونادى منادي عدلِهِ بالبلادِ الهنديَّةِ : لا ظلمَ اليومَ ، ودانتْ لَهُ تلكَ الممالكُ برّاً وبحراً ، وسهلاً ووعراً .

ما نظمَ الأعداءُ على ذلكَ البحرِ المديدِ بيتاً إلّا أبانَ زحافَهُ وأدارَ عليه دوائرَهُ ، وكم نظمَ شملَ الرعايا بالعدلِ ، ونثرَ رؤوسَ الكفرةِ بالسيفِ ، فلا عدمَ الإسلامُ في الحالينِ ناظمَهُ وناثرَهُ . . عربيّ ، وكم كَلَمَ الأعداءَ بلسانِ الهنديّ فأحجمَهُمْ عندَ ملتقاهُ . . عادلٌ تسلسلَ حديثُ فضلِهِ فغداً مرسلًا مع الرواة ، عاطرُ الأرجاءِ ولم ينمَ المِسْكُ إلّا بطيبِ تربتِهِ ، سلطانٌ تتطفّلُ الملوكُ على أواني موائدهِ وتخضعُ لسلطانيَّتِهِ ، سُئِلَتِ الرُّكبانُ في البرِّ عن مناقبِهِ الشريفةِ وعمَّ يتساءلونَ وقد صارَ لها عظيمُ النبا ، وصرّحَ راكبُ البحرِ بعدَ التسميةِ باسمِهِ فاتخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجباً ، فظلَّهُ في البرِّ ظليلٌ ، وعدلُهُ في البحرِ بسيطٌ وطويلٌ .

**هَذَا ؛** ولم يبقَ في تلكَ الممالكِ الهنديَّةِ بقعةٌ إلّا ولم يصغرِ اللهُ بسنابكِ الخيلِ فيها ممشاهُ ، ولا نفسٌ خارجةٌ عن الطّاعةِ الشريفةِ إلّا ماتتْ في رقعةِ الأرضِ بمُظفَرِ شاهٍ ، فلذلكَ رُسِمَ بالأمرِ الشريفِ - إلى آخرِ الصِّفَاتِ الإماميةِ - أن يُفَوَّضَ إِلَيْهِ مِنْ ولايةِ العهدِ وكفالةِ السلطنةِ الشريفةِ بالبلادِ الهنديَّةِ ما هو المعهودُ ؛ ليهطلَ جوْدُ الرحمةِ على تلكَ البقاعِ المباركةِ إن شاء اللهُ ويَجُودُ ، عهداً شريفاً - إلى آخرِ الصِّفَاتِ - وأن يستخلفَ فيما فَوَّضَهُ اللهُ إلينا مِنْ صلاحِ الأُمَّةِ ومصالحِ الخلقِ ، استخلافاً تتحلّى بذكرِهِ الأفواهُ ، وتترنّمُ بِهِ في شعابِ مَكَّةَ الحُدَاةِ ، ويقطعُ بِهِ ويَحْفَظُهُ ربُّ كُلِّ سيفٍ وقلمٍ ، ويعتمدُ عليه

(١) في « صبح الأعشى » ( ١٣٢/١٠ ) : ( دهلِي بحسن اليقظة ) بدل ( داهر بحسن اليقظة ) .

كُلُّ ذِي عِلْمٍ وَعِلْمٍ ، فلا زعيمَ جيشٍ إِلَّا وهذا التفويضُ الشريفُ يَسْعُهُ في بلادِهِ وَيَشْمَلُهُ ، ولا إقْلِيمَ مِنْ أَقَالِيمِهِ إِلَّا وَمَنْ بِهِ يُقْبَلُهُ وَيَقْبَلُهُ ، وَيَتِمَثَّلُ بِهِ وَيَمْتَثِلُهُ ، ولا مَنَبَرٍ إِلَّا وَخُطْبَتُهُ يَتْلُو كتابَ هذا التفويضِ وَيُرْتِّلُهُ .

وَأَمَّا الوصايا . . فعندَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى تَهَبُ نَسَمَاتُ قَبُولِهَا ، وَيُعَرِّبُ عَنْ نَصَبٍ مَفْعُولِهَا ، وهوَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَوْصَايَا هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ نِعَمَ الْقَابِلُ ، فَقَدْ قِيلَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ » <sup>(١)</sup> ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالْوَصِيَّةُ بِالرَّعَايَا وَاجِبَةٌ ، وَقَدْ حَرَّضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَدْلِ فِيهِمْ ، وَحَرَّضَ عَلَيْهِ وَقَالَ : « يَوْمَ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ الْأَرْضُ إِلَيْهِ » <sup>(٢)</sup> .

وَقَالَ ابْنُ عَمِّنَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ( الْمَلِكُ وَالِدَيْنِ أَخَوَانِ ، لَا غِنَى لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، فَالِدَيْنِ أَسُّ وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَسٌّ . . فمهدومٌ ، وما لم يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ . . فضائعٌ ) <sup>(٣)</sup> ، فهذه الحكمةُ بها يعالجُ ما ضَعُفَ مِنْ أَرْكَانِ الْمَلِكِ ، وَهَذَا الْمَشْرَعُ يَجْرِي عَلَى أَجْمَلِ الشَّرَائِعِ ، فليَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَينَهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، علماً أَنَّهُ لَيْسَ يُسْأَلُ فِي غَدٍ عَنْ ذَلِكَ سَوَانًا وَسِوَاهُ ، وَيَرُدُّ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ عَنِ الْهَوَى ، وَلَا يَحْسُنُ لِنَبَاتٍ قَدِّهِ أَنْ يَمِيلَ مَعَ هَوَاهُ ، وَلِيَتْرِكَ الثَّغُورَ بَعْدَلِهِ بِاسْمَةٍ ، وَقَوَاعِدَ الْمَلِكِ بِفَضْلِهِ قَائِمَةً ، وَلِيَجَاهِدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَلِيَلْطَفَ بِالرَّعَايَا وَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ، وَلِيُشْرَحَ لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ صَدْرًا لِيَجْرُوا إِذَا وَقَفَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ أَحْسَنَ مَجْرَى .

وهوَ بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى التَّأَكِيدِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَخُلْ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ( ٦٦٠ ) ، وَمُسْلِمٌ ( ١٠٣١ ) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ بَنُحُوهُ إِلَى قَوْلِهِ : « صَبَاحًا » الْبَيْهَقِيُّ فِي « السَّنَنِ الْكَبِيرِ » ( ١٦٢/٨ ) بِرَقْمٍ ( ١٦٧٢٧ ) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) انْظُرْ « إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ » ( ٦٧/١ ) .

مِصَالِحِ الْأُمَّةِ فَكَّرَ ، وَلَكِنَّهُ تَجْدِيدُ ذِكْرِ عَلَى ذِكْرٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُ بِطَوْلِ بَقَائِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَلَا بَرَحَتْ سَيْوْفُهُ الْهِنْدِيَّةُ تَكْلُمُ أَعْدَاءَ هَذَا الدِّينِ بِالْسِّنَةِ حَدَادٍ ، وَثَبَّتَ مَلِكُهُ بِالْعَدْلِ وَشَيَّدَ أَقْوَالَهُ ، وَخَتَمَ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### [ عَقْدُ نِكَاحِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ فَرَجٍ لِبَعْضِ بَنَاتِ أُمَرَائِهِ ]

وَهَذِهِ صُورَةُ تَسْجِيلِ عَقْدِ نِكَاحٍ : وَيُسَمَّى صَدَاقًا ، وَقَدْ تَزَوَّجَ سُلْطَانُ وَقْتِهِ النَّاصِرُ بَعْضَ بَنَاتِ أُمَرَائِهِ <sup>(١)</sup> :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَيْدَى السَّنَةَ الشَّرِيفَةَ بِقُوَّةٍ وَنَاصِرٍ ، وَأَعَزَّهَا بِعَزِيزِ مِصْرٍ ؛ لِأَنَّهُ شَعَرَ بِبِرْكَتِهَا فَجَعَلَهَا لَهُ مِنْ أَجْمَلِ الشَّعَائِرِ ، سَنَ - خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ - أَسَنَّتْهَا فَصَارَ لَهَا بِهِ مَلِكَةٌ وَسُلْطَانٌ ، وَشَهَرَ سَيْفَهَا لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ فَأَقَامَ بِهِ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ ؛ فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ عَرَّفَنَا بِطَيْبِ هَذَا الْأَثَرِ الشَّرِيفِ وَشَرَحَ لِلتَّمَشُّكِ بِهِ صَدْرًا ، وَوَضَعَ عَنَّا بِهِ وَزَرَ ، وَأَمَدَّنَا بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ بَيْنَنَا نَسَبًا وَصَهْرًا ، وَسَقَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْضَ الْمَصَاهِرَةِ بِمَاءِ الْقُرْبِ فَفَاحَ نَشْرُهَا الْأَرِيحُ ، وَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ ، وَقَرَّبَ بَيْنَ الْبَعِيدِينَ ، فَصَارَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، [ وَهَذِهِ ] نَكْرَةٌ بَغِيرَ قَدْرَتِهِ لَا تَتَعَرَّفُ ، وَأَلْفَ بَيْنَ أَجَانِبَ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ ، فَلَهُ الْمِنَّةُ عَلَى أَنْ جَعَلَ النِّسَاءَ حَرْثًا لَزَرْعِ نَبَاتِهِ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَسَقَى لِهَذَا النَّبَاتِ وَرَعِيًّا .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ تَرَقَّى بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجِ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا يَأْتِينَا عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ بِفَرَجٍ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ

(١) انظر « قهوة الإنشاء » ( ص ٤٣٥ - ٤٣٨ ) .



لَهُ ، شَهَادَةً مَقْبُولَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي قَالَ : « تَنَاجَحُوا تَنَاسَلُوا ؛ فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » <sup>(١)</sup> ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَتَدُوا مِلَّتَهُ ، وَاتَّبَعُوا سُنَّتَهُ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

**وبعدُ :** فَإِنَّ النِّكَاحَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَحَلِيَّةٌ مِنْ شُعَارِ الْأَوْلِيَاءِ ، تَنْتَظِمُ جَوَاهِرُهُ فِي أَسْلَافِ عَقُودِ الشَّمْلِ ، وَتَمْسِي عِرَائِسُ غُصُونِهِ بِبِرْكَةِ هَذَا الْغَرَّاسِ فِي حَمَلٍ ، مَا بَرَحَ نُورُهَا فِي جَبَاهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَتَضَحُّ وَيَتَبَلَّجُ ، وَقَدْ حَرَّضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ؛ مَنْ أَسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ . . فَلْيَتَزَوَّجْ » <sup>(٢)</sup> .

وَكَانَ الْمُقَامُ الشَّرِيفُ الْعَالِي الْمَوْلُويُّ السُّلْطَانِيُّ الْمَلَكِيُّ النَّاصِرِيُّ ، مُؤَيَّدُ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وَنَاصِرُهَا ، وَالْقَامِعُ بِسَيْفِهِ الشَّرِيفِ أَهْلَ الْبَدْعِ وَقَاهِرُهَا ، رَكْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مَبِيدُ الطُّغَاةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِبَاسِهِ صِيْدُ الْمُلُوكِ وَخَضَعَتْ رِقَابُ الْأُمَمِ ، نَازِلُ الْحَرَمَيْنِ ، وَصَاحِبُ وَقْعَةِ الْجَيْتَيْنِ ، وَمَذِيلُ التَّارِيخِ عَلَى النَّاصِرِينَ ، أَبُو السَّعَادَاتِ فَرَجُ بْنُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ السَّعِيدِ الشَّهِيدِ ، الدَّارِجُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْمَجِيدِ ، الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَبِي سَعِيدٍ بَرْقُوقَ ، خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكُهُ ، وَأَعَزَّ سُلْطَانَهُ ، وَجَعَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ أَنْصَارَهُ وَأَعْوَانَهُ .

مُلْكُ إِذَا حَدَّثُوا عَجَائِبَهُ فَإِنَّهَا الْبَحْرُ مَا لَهُ آخِرُ  
وَإِنْ تَقَوَّى بِغَيْرِهِ مَلِكُ فَمَالَهُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرُ <sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » ( ١٠٣٩١ ) عن سعيد بن أبي هلال رحمه الله تعالى مرسلًا بنحوه .

(٢) أخرجه البخاري ( ١٩٠٥ ) ، ومسلم ( ١٤٠٠ ) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) من المنسرح .

سلطان الله أكبر ، كأنَّ المقاديرَ لأوامره الشريفة طائعةٌ ، ما قاومتُه ملوكُ الأرضِ إلَّا ذبحتها عزائمُه على الشرقِ وجاءتُه رؤوسُها إلى الغربِ خاضعةً ، ولا كادُه عدوٌّ إلَّا ردَّ الله كيدهُ في تضليلٍ ، ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ ؟! تتزاحمُ تيجانُ الملوكِ حولَ ركابهِ الشريفِ ، وإنْ ذُكِرَ . . تتزاحمتِ الأسماعُ أكثرَ ، وكيفَ لا وهوَ الملكُ الذي لم يخلُ منِ اسمِهِ الشريفِ درهمٌ ولا دينارٌ ولا عودٌ منبرٍ ؟! إنْ تلاعبتْ كُماثُهُ بعواليها . . لا تسلُ عن تلاعبِ الأشبالِ في الآجامِ ، أو أمالتْ ألفتُ رماحها طاعنةً . . عدلَ نفسهُ صاحبُ كلِّ لامةٍ ولامٍ ، ما قابلَ خميسَ حربٍ إلَّا ولم يَبْقَ منْ جمعةٍ ذلكَ الخميسِ أحدٌ ، ولا سلَّ بيدهِ الشريفةَ سيفاً لامعاً إلَّا فرَّ صاحبُ القوسِ وعلمَ أنَّ الطالعَ بالشمسِ والأسدِ ، ولا خفقتْ أعلامُهُ الصُّفْرُ في سوادِ نفعٍ إلَّا سُلِقَتِ البيضُ منْ زرقٍ لسنَّتِهِ بالسَّنةِ حدادٍ ، وأصابَ كلَّ فؤادٍ ، مُصدِّقاً أبا الطيبِ في قوله<sup>(١)</sup> :

وَقَدْ صُغِتَ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ      فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

[ وقال القاضي الفاضل<sup>(٢)</sup> :

وَهِيَ السَّعَادَةُ فِي السَّمَاءِ فَلَوْ يَشَا      لَأَصَابَ مِنْهَا رَامِحاً بِالْأَعْزَلِ

**هَذَا ؛** وسيوفُ حكمِهِ - خَلَّدَ اللهُ ملكَهُ - ما تضربُ إلَّا صفحاً عن كلِّ آثمٍ ، وما أحقُّه بقولِ القائلِ : لو علمَ الناسُ محبتي بالعفو . . لتقرَّبوا إليَّ بالجرائمِ .

وأما عطاؤُهُ - سبحانه المانع - ما أعطى إلَّا ودَّتْ أغنياءُ الملوكِ أنْ تصيرَ سائلةً كأبناءِ السبيلِ ، وكيفَ يحيا لجعفرٍ خالدٌ ذكرٍ وما جعفرٌ بالنسبةِ

(١) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٦١ ) .

(٢) انظر « ديوان القاضي الفاضل » ( ص ٢٨١ ) .

إلى بحر النيل؟! فلو أدركه الفاضل .. لقال: هذه المناقب الناصريّة ،  
وعبدُ الرحيم عبدُ الرحيم !! وأنشدَ وقد شاهدَ ما قاله عياناً في الناصرِ  
القديم <sup>(١)</sup> :

أَهْلِهِ سَيَّرَ فِي الْمَجْدِ أَمْ سُورٌ      وَهَذِهِ أَنْجُمٌ فِي السَّعْدِ أَمْ غُرُرٌ  
وَأَنْمُلٌ أَمْ بِحَارٌ وَالسُّيُوفُ بِهَا      مَوْجٌ وَإِفْرِنْدُهَا فِي لُجَّهَا دُرُرٌ  
وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ أَمْ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفِي      يَمِينِكَ الْبَحْرُ أَمْ فِي وَجْهِكَ الْقَمَرُ  
يُقْبِلُ الْبَدْرُ تَرْباً أَنْتَ وَاطِئُهُ      فَلِلتُّرَابِ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْأَثَرُ  
نَأَى بِكَ الْمُلْكُ حَتَّى قِيلَ ذَا مَلِكٌ      دَنَا بِكَ الْجُودُ حَتَّى قِيلَ ذَا بَشَرُ  
خَلَائِقٌ فِي سَمَاوَاتِ الْعُلَا زَهْرٌ      لَنَا تُنِيرُ وَفِي رَوْضِ الثَّنَا زَهْرُ

ونعودُ إلى أنّه - خَلَدَ اللهُ ملكَهُ - هُوَ الْمُتَحَلِّي بِشَعَارِ هَذِهِ السُّنَّةِ ،  
وَالْمُتَقَلِّدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ الْمِنَّةِ ؛ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي إِنْ نَصَرَ السُّنَّةَ ..  
فَهُوَ نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَوْ أَبَانَ شَرَفَهَا .. فَقَدْ تَأَيَّدَتْ مِنْهُ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ،  
أَوْ تَرَقَّى إِلَى أَوْجِهَا .. حَلَّ مِنْهَا فِي أَرْفَعِ مَحَلٍّ ، أَوْ عَقَدَ عَلَيْهَا خَنَاصِرَهُ  
الشَّرِيفَةَ .. فَإِنَّهُ صَاحِبُ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ .

رَغِبَ إِلَيْهَا - خَلَدَ اللهُ ملكَهُ - فَسَرَى نَسِيمُ الْقَبُولِ ، وَفَتَحَ طُرُوسَ الْأَوْرَاقِ  
فِي مَسْرَاهُ وَجَرَتْ حُمُرُ الْأَقْلَامِ فِي مِيَادِينِ الطُّرُوسِ ، فَكَتَبَتْ :

بِاسْمِ اللهِ ، هَذَا مَا أَصْدَقَ مَوْلَانَا الْمَقَامُ الشَّرِيفُ الْعَالِي الْمَوْلُويُّ  
السُّلْطَانِيُّ الْمَلِكِيُّ النَّاصِرِيُّ - لَا زَالَتْ أَبْكَارُ الْعُقُودِ وَأَيَاتُهَا بِسُلْكِ الشَّرِيفِ  
مَنْظُومَةً ، وَفَتَحَ لَهُ كُلُّ مَانِعٍ وَكَثُرَتْ الْفَتْوحَاتُ فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ مَعْلُومَةً -  
مَرْغُوبَتُهُ الْجَهَّةُ الْمَصُونَةُ ، الْمُؤْنَعَةُ الْمُحَجَّجَةُ الْمُكْرَّمَةُ ، الْخُونَدَ الْخَاتُونَ ،

(١) انظر « ديوان القاضي الفاضل » ( ص ٢٢١ - ٢٢٢ ) .

دُرَّةَ تاجِ الفخرِ ، وعينِ إنسانِ الخواتينِ ، ویتیمۃَ العقودِ ومُخدَّرۃَ الملوكِ  
والسلاطینِ ، ثالثۃَ القمرینِ ، والممدودَ سترُها الرفیعُ علی مفرقِ الفرقدینِ ،  
ربیبۃَ حجرِ الملكِ ورضیعۃَ لبانِه ، وخلاصۃَ الذهبِ الإبریزِ وقلادۃَ عقیانِه ،  
والنهدَ الذی کبا خلفُه کُلُّ کمیتِ براكِبِه ، وكيف لا ووالدُها کانتِ الشقراءُ  
والشهباءُ مِنْ بعضِ جنائبِه ؟! ذاتِ الستورِ الرفیعۃِ ، والحجبِ المنیعۃِ ، ستَّ  
الملوكِ بنتَ المقرِّ الأشرفِ السیفیِّ المرحومیِّ ، کشبغا بنِ عبدِ اللهِ الحمویِّ  
الظاهریِّ ، البکرَ العاقلَ الصحیحۃَ الأوصافِ ، الخلیۃَ عنِ الموانعِ الشرعیۃِ ،  
أسبغَ اللهَ تعالی ظلالَ خُدورِها ، ومدَّ علی الآفاقِ أطنابَ ستورِها ، أصدقَها  
علی بركةِ اللهِ وعونِه وتوفیقِه وسُنَّۃِ نَبِیِّه محمدٍ صَلَّی اللهُ عَلَیْهِ وَسَلَّم صداقاً  
مبلغُه مِنْ الذهبِ المصریِّ ألفُ دینارٍ ، نصفُها خمسُ مئةِ دینارٍ ، ومِنْ  
الدراهمِ الفضةِ الجیدۃِ المعاملۃِ یومئذٍ عشرونَ ألفَ درهمٍ ، نصفُها عشرةُ  
آلافِ درهمٍ .

وَلِیَ تزویجِها مِنْهُ علی ذلِّکَ بإذنِها الکریمِ مولانا وسیدنا العبدُ الفقیرُ  
إلی اللهِ تعالی ، الشیخُ الإمامُ القدوةُ العلامۃُ ، حُجَّۃُ الإسلامِ والمسلمینِ ،  
حسنۃُ الأيامِ ورحلۃُ الطالبینِ ، عَلَمُ الْمُحَقِّقینِ ، خالصةُ أَمیرِ المؤمنینِ ؛  
أبو حفصِ عمرُ بنُ أبی جرادةَ الحنفیِّ ، الناظرُ فی الحکمِ العزیزِ بالدیارِ  
المصریۃِ وسائرِ الممالکِ الإسلامیۃِ ، أعزَّ اللهُ تعالی أحكامَه ، ونشرَ علی  
الخافقینِ بِالْعِلْمِ الشریفِ أعلامَه ، قبلَ مِنْهُ ذلِّکَ لِنَفْسِهِ الشریفۃِ - عَظَّمَ اللهُ  
تعالی شرفَها - قَبولاً صحیحاً شرعیاً ، بحضرۃٍ مَنْ تَمَّ العقدُ الشریفُ بحضورِه  
شرعاً .

فأکرَمَ بِهِ اتصالاً شریفاً ، اجتمعَ طریقُه وتالدُه ، وأحبَّ بِهِ عقداً ناصريّاً  
والقاضي الفاضلُ عاقدُه ، وتالله ؛ لقد أضحی بنظمِ هاتینِ الجوهرتینِ فی  
عقدِه رفیعِ المنالِ ، وحظي مِنْ تنقُّلِ هَذینِ القمرینِ إلی أَفَقِهِ بِشَرَفِ الانتقالِ ،

وكيفَ لا وقد حصلَ لهُما بهذا العاقدِ الكمالُ ، تَرَقَّتْ إلى أعلى الدرجِ  
 بسيفِ الإسلامِ ، فلسانُ الهَنا على منابرِ الشكرِ خطيبٌ ، وحصلَ لها بالناصرِ  
 وقربِ كاتبِ سِرِّهِ نصرٌ مِنَ اللهِ وفتحٌ قريبٌ ، وأمستْ ستَّ الدِّيارِ المِصريَّةِ  
 وراحتْ بغيضَتِها ستَّ الشامِ ، وأبى اللهُ أن يمتطيَ صهوةَ هذا النهْدِ إلَّا  
 فارسُ الإسلامِ ، جعلَهُ اللهَ عقداً مباركاً ميموناً ، تتجملُ بسوادِ سطورِهِ وبياضِ  
 طُروسِهِ الليالي والأيامِ ، وكما أحسنَ ابتداءً .. يجعلُ مِنْ مسكِ القَبولِ لَهُ  
 حسنَ الختامِ ، إن شاءَ اللهُ تعالى .

### [ تقليدُ قضاءِ القضاةِ بدمشقَ لابنِ الآدميِّ الحنفيِّ ]

وهذه صورةُ تقليدِ قضاءِ القضاةِ بدمشقَ لصدرِ الدِّينِ عليِّ المعروفِ بابنِ  
 الآدميِّ ، سنةَ عشرٍ وثمانٍ مئةٍ <sup>(١)</sup> :

الحمدُ لله الذي أقرَّ عينَ الشامِ وشرحَ بعدَ القبضِ صدرَها ، وأيَّدَها بالإمامِ  
 عليٍّ وأعزَّ بالسُّيوفِ العلويَّةِ نصرَها ، ورفعَها بمنَّ إن تسامى .. فقد دارَتْ  
 على القطبِ دوائِرُهُ ، أو كاثَرُ بالعلمِ .. قلَّ نظيرُهُ وما ألْهأ تكاثُرُهُ .

أحمدُهُ حمدَ مَنْ علمَ أَنَّهُ المُبدِئُ المعيدُ ، وأشكرُهُ شكرًا يَقمعُ بإحكامِهِ  
 كلَّ جَبَّارٍ عنيدٍ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ ، وحدهُ لا شريكَ لَهُ ، شهادةً  
 أرجو أن تكونَ مقبولةً يومَ فصلِ القضاءِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبْدُهُ ورسولُهُ ،  
 الذي سَنَّ سيفَ الشريعةِ ، وأوضحَ أحكامَها ، فقابلَتِها الأُمَّةُ بالطَّاعةِ والرضا ،  
 صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ الذينَ رَضُوا بأحكامِ القضاءِ والقَدَرِ ، صلاةً ينشرُ  
 لها الصَّدْرُ كلَّما وردَ فضلُها وصدَرَ ، وسلَّمَ تسليمًا .

**وبعدُ :** فإنَّ أَوْلَى مَنْ رفلَ في حلِّ إنعامنا الشريفةِ مَنْ وجبَ حَقُّهُ علينا ،

(١) انظر « قهوة الإنشاء » ( ص ٤٣٩ - ٤٤١ ) .



وأعدنا إليه بضاعته التي ربحَتْ تجارتها في أيامنا الشريفة فتلا : ﴿ هَذِهِ  
يَضَعْتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وصدرناه فحسنت به التورية وأصبح صدر الشام ،  
وحكمناه فكان بحمد الله نافذ القضايا والأحكام ، فهو الصدر الذي حصل  
له القبض بعدنا وانشرح بعودنا وابتهج ، وأصبح بعد ضيقه من سلطاننا على  
كلا الحالين في فرج ، أودعناه قديماً سرنا الشريف فكان له نعم الصدر ،  
ونطقت ألسن أعلامه في ثغور الأقاليم بشكرنا فقابلناه بعلو القدر .

وكان المجلس العالي الفلاني الصدري هو الذي نظم في سلك شكره من  
ثنائنا الشريف هذه القلائد ، وعادت عليه صلة برنا فهو يرفل من إنعامنا  
الشريف بين الصلة والعائد ، وضربت بفضلِه الأمثلة فلم يوجد له مثال ،  
وشهد له ابن العديم وناهيك بمن حصل له هذا الكمال .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري  
- لا زالت صدقاته الشريفة تعطي كل مستحق وتمنح ، ولا برح كل صدر يتلو  
في هذه الأيام الشريفة ( ألم نشرح ) - أن يستقر المجلس العالي القضائي  
الصدري في وظيفة قضاء قضاة الحنفية بدمشق المحروسة على عادته في  
ذلك وقاعدته ؛ لأنه بحر العلم الذي ظهرت عجائبه واجتمعت في سلك  
الفضل فرائده ، والخليفة الباقية للفضائل وكيف لا والأمين والدُّه؟! والإمام  
الذي لو أدركه محمد عین الأصحاب .. لا عترف بفضلِه الملي ، واتخذهُ  
صاحباً وقال : ما لمحمد غير علي ، والفاضل الذي إن ألقى درساً .. فهو على  
الحقيقة صدر المدرسين ، أو ذكرت الفتاوى والفتوة .. فما تم بحمد الله  
أفتى من علي في هذا الحين .

أحرز قصبات السبق على فرسان مذهبه فعلمنا أنه فارسُ الشقراء والميدان ،

(١) سورة يوسف : ( ٦٥ ) .

وكم اقتطفنا من رياض علومه زهرة علمنا بها أنه شقيق النعمان !! فلو أدركه صاحب « الدرر » لقلده وانتظم في سلك عقوده ، وكم طما بحر علمه وجوده فعلمنا أنه « مجمع البحرين » من طارفه وتليده !! هذا ؛ وما لابن الساعاتي « دقائقه » ولا ارتفاع هذا المقام ، ولو عاصره صاحب « المختار » ما اختار غيره وقال : عليّ هو الإمام .

فليباشر ذلك على ما عهد من جميل أدواته ، ومحاسنه التي هي كالخيالان على جيد الدهر ونعدها من حسناته ، وليقابل هذه النعمة السابعة بما يجب من شكر الله عليه ، ويحسن كما أحسن الله إليه ، والوصايا كثيرة وهو بحمد الله غير محتاج إلى وصية ؛ لأن الوظائف تتجمل بحسن سيرته العلوية ، والله تعالى يسدّ سهام أحكامه ، ويجعل من مسك الثنا حسن ختامه .

### [ تقليد نظر البيمارستان لأبي الحسن عليّ الحنبلي ]

وهذه صورة تقليد نظر البيمارستان للشيخ أبي الحسن عليّ الحنبلي<sup>(١)</sup> :

الحمد لله الذي رفع قدر من برز في العلم وجعله علياً ، واصطفى من عباده من أرضعه لبان الفضل صغيراً وآتاه الحكم صبيّاً ، وخصّ بالنظر في مصالح هذه الأمة من جعل الحلم شعاره ولم يكن جبّاراً عتياً ، فهو المبدئ المعيد ، والقاصم بسيف عليّ كلّ جبّار عنيد ، أحمدُه حمداً يتقوى به الضّعيف ، وأشكره شكراً وافياً يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة من نظر بنور الله فكان من أهل النظر والبصيرة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أمست الأعين

(١) انظر « قهوة الإنشاء » ( ص ٤٤١ - ٤٤٣ ) .

بحسنِ نظره الشريفِ قريرةً ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً تزيلاً  
قذى العينِ وتُنَوِّرُ الناظرَ ، ومنتصرُ ببركتها على كلِّ معاندٍ وفاجرٍ ، وسلَّمَ  
تسليماً كثيراً .

**وبعدُ :** فإنَّ للوظائفِ الدينيةِ فضلاً أبى أن يكونَ إلَّا لأهله ، وحكمةً أنفَ  
سرُّها أن يُوضَعَ إلَّا في محلِّه ، وكانَ المقرُّ الشريفُ العاليُ الشيخيُّ القدويُّ  
الإماميُّ العلاميُّ الأوحديُّ العامليُّ العالميُّ المفيدِيُّ القضائيُّ العلائيُّ عليُّ بنُ  
المغلي الحنبليُّ . . هو الذي لَمَّ شَمَلَ العلمِ بعدَ شتاتِهِ ، وخطبتهُ عرائسُ  
الممالكِ لنفسِها فأبى إلَّا جبرَ قلبِ حمايته ، ركَبَ الشهباءَ فخضعتْ له أهلُ  
الشقراءِ والميدانِ ، وودَّتْ مصرُ أن تستضيءَ بنوره بعدَ سراجها الذي نَوَّرَ  
الأكوآنَ ، فلو أدركهُ إمامُهُ السابقُ . . لقالَ : هذا المُصَلِّي الذي أزالَ الإبهامَ  
وعليه الخناصرُ تعقُدُ ، وقد علمَ كلُّ أحدٍ أن عليّاً أعلمُ أصحابِ أحمدَ .

فلذلكَ رُسِمَ بالأمرِ الكريمِ العاليِ الفلانيِّ - لا زالَ علمُ الشرعِ الشريفِ  
مشهوراً في أيامِهِ ، ولا برحَ كلِّ منْ ذوي الاستحقاقِ واصلًا في هذه الأيامِ  
الزاهرةِ إلى أقصى مرامِهِ - أن يَسْتَقِرَّ المُشارُ إليه في وظيفةِ نظيرِ البيمارستانِ  
النوريِّ بحماةِ المحروسةِ ، فلقد سَعِدَتْ ببقعتهُ بعدَ الشقاءِ وقالتْ : أهلاً بعيشِ  
أخضرٍ يتجدَّدُ .

(١) وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْبِقَاعِ وَجَدْتَهَا تَشْقَى كَمَا تَشْقَى الرِّجَالُ وَتَسْعَدُ  
وصفتُ مشاربُ الضُّعفاءِ بعدَ الكدرِ وسقاؤهم ربُّهم شراباً طهوراً ، وتلا لِمَنْ  
سعى في ذلكَ وجزى بالخيراتِ : ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ (٢) ،  
ودارَ شرابُ العافيةِ على أهلِ تلكَ الحضرةِ بالطَّاسِ والكاسِ ، وحصلَ لَهُمْ

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » ( ص ١٦١ ) ، والبيت من الكامل .

(٢) سورة الإنسان : ( ٢٢ ) .

البرءُ مِنْ تِلْكَ البراني التي يخرجُ مِنْ بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانُهُ فيه شفاءٌ للناسِ ، وَتَمَسَّتِ الصَّحَّةُ في مفاصلِ ضُعفائِهِ وَقِيلَ لَهُمْ : جُوزِيْتُمْ بما صَبَرْتُمْ ، وامتدَّتْ مقاصيرُهُمْ وَفُتِّحَتْ أبوابُها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها : سلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ، فلقد قامَ بحسنِ نظره الكريمِ في طاعةِ الله ومشيى ، وأعادَ بنورِ طلعتِهِ البهجةَ النوريةَ فقلنا : نورٌ على نورٍ يهدي اللهُ لنوره مَنْ يشا .

فليباشِرْ ذَلِكَ مِنْ غيرِ وصيةٍ ؛ لَأَنَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ قَدْرًا ، فلقد تلتَ جهاتِ الوقفِ المعسرةَ فرحةً بقدومه : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾<sup>(١)</sup> ، وليتناولْ معلومَهُ الشاهدَ بِهِ ديوانَ الوقفِ المبرورِ ، واللهُ تعالى يَحْفَظُ الجهاتِ النوريةَ بنظرِهِ ، ويحرسُهُ بسورةِ ( النورِ ) بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إن شاءَ اللهُ تعالى .

### [ تقليدُ نظرِ المساجدِ لأبي الفتوح ]

وهذه صورةٌ تقليدٍ بنظرِ مساجدٍ<sup>(٢)</sup> :

الحمدُ لله الذي زادَ القائمينَ بشعارِ بيتهِ صلاحاً وجعلَهُمْ مِنْ أَهْلِ النظرِ ، وصَيَّرَ جميلَ ذكْرِهم مبتدأً كُلِّما ذُكِرَ عن أَهْلِ الصَّلاحِ خبرٌ ، نَحْمَدُهُ حمدًا مِنْ عَمَرَ مساجدَ الله بالذِّكرِ وَحَسَنَ في بناءِ هذا التأسيسِ نَظْمُهُ ، ونشكرُهُ شُكْرًا مَنْ انتصبَ لرفعِ بيوتِ أَذْنِ الله أَنْ تُرْفَعَ ويُذَكَّرَ فيها اسمُهُ ، وأشهدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ، شهادةً شاهدٍ علمَ أَنَّه الحاضرُ الناظرُ ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ الذي محى آثارَ الشركِ عن بيتِ الله وقامَ لَهُ بأجملِ الشَّعائِرِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ الَّذِينَ ما برحوا خُدَّامَ هذا البيتِ الشريفِ ، والمتقينَ بظِلِّهِ الوريثِ ، صلاةً نَزادُ بها نظراً وبصيرةً ، وتكونُ لنا يَوْمَ الحسابِ نِعَمَ الذخيرةِ ، وَسَلَمَ تسليمًا .

(١) سورة الشرح : ( ٥ - ٦ ) .

(٢) انظر « قهوة الإنشاء » ( ص ٤٤٣ - ٤٤٥ ) .

**وبعدُ :** فَإِنَّ أَوْلَى ما بَادَرَ إِلَيْهِ أَهْلُ البَصَائِرِ .. النَظَرُ فِي بَيوتِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ القُرْبِ ، ولا يَشْعُرُ بِهَذِهِ الشَّعَائِرِ إِلَّا مَنْ ظَهَرَ صَلاَحُهُ وَلَمْ يَفْصُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَيْرِ فَاصِلَةً ولا سَبَبَ ، وَبَادَرَ إِلَى عِمَارَتِهَا بِالذِّكْرِ وَدَخَلَ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوابِهَا ؛ مُتَمَسِّكاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ (١) .

وَكَانَ المَقَرُّ الكَرِيمُ العَالِي المُولَوِيُّ القَضَائِيُّ الصَّلاَحِيُّ - إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ - مِمَّنْ أَدْرَكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ قَبْلَ إدْرَاكِهِ وَجَبَلَتْ عَلَيْهِ جَبَلَتُهُ ، وَلا يَشْكُ فِي حَسَنِ نَظَرِهِ إِلَّا مَنْ عَمِيَتْ بِصِيرَتِهِ ، إِنْ اتَّسَعَ لِلْفَضَائِلِ مِضْمَارٌ .. كَانَ جَوَادُ فَضْلِهِ هُوَ السَّابِقَ الجَمُوحَ ، أَوْ فُتِحَ لِلخَيْرِ أَبْوابٌ .. فَصَلاَحُ الدِّينِ بِحَمْدِ اللَّهِ أَبُو الفَتْوحِ ، ظَهَرَتْ عَلَيْهِ بِهِجَةُ ذَلِكَ النَجْمِ الَّذِي إِلَى غَيْرِ فِعْلِ الخَيْرَاتِ مَا هَوَى ، وَصَحَبَ أَفْعَالَهُ الجَمِيلَةَ فَتَلَا لِسَانُ الحَالِ : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا عَوَى ﴾ (٢) ، مَا أَطْلَقَ سَهْمَ عَزْمِهِ إِلَى غَرَضٍ خَيْرٍ إِلَّا وَكَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ نَقَازاً ، وَلا أَظْهَرَ فِعْلاً إِلَّا تَلَقَّى النَّاسُ بِالقَبُولِ وَمَا قِيلَ : يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنِ هَذَا ، وَهُوَ ذُو الْيَرَاعِ الَّذِي إِذَا خَطَّ خَطًّا .. أَطَاعَتْهُ المِقَادِيرُ ، وَكَمْ جَرَتْ خَلْفَهُ حُمُرُ الْأَقْلَامِ حَتَّى حَفِيَتْ فَمَا لَحَقَتْ لَهُ غِبَاراً ؛ لِأَنَّهُ حَوَى قِصَبَاتِ السَّبْقِ وَرَفَلَ فِي حُلَلِ التَّحْبِيرِ ، إِنْ سَطَرَ مَرْبَعَةً جَيْشٍ .. ضَرَبَ الْأَخْمَاسَ فِي الْأَسْدَاسِ أَيْمَةً الكُتَّابِ ، أَوْ كَتَبَ كِتَابَ إِنْشَاءٍ .. عَوَّذَنَا بِ ( اَلَمْ ، ذَلِكَ الْكِتَابُ ) .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الكَرِيمِ العَالِي المُولَوِيِّ الفَلَانِيِّ - لا زَالَ كُلُّ مُسْتَحِقٍّ فِي أَيَّامِهِ الزَّاهِرَةِ بِالْغَا أَقْصَى المَرَادِ ، وَلا بَرَحَ يُظْهِرُ لَنَا فِي كُلِّ حِينٍ صَلاَحاً يَزِيلُ عَنَّا الفَسَادَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ المُشَارُّ إِلَيْهِ أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَهُ فِي وَظِيفَةِ نَظَرِ

(١) سورة البقرة : ( ١١٤ ) .

(٢) سورة النجم : ( ٢ ) .



الجامع الكبير الأعلى بحماة المحروسة على العادة في ذلك والقاعدة ؛ لثلا يكون لصالح المسلمين وجه إلا وهو له ناظر ، ولا ينظم للوظائف الدينية عروض إلا وهو بحرؤه الوافر ، خاطبه الجامع بلسان الحال ليكون لشمليه جامعاً ، وجبر قلب المحمديّة وخرّ مأوها ساجداً ودخل عاصيها إلى الجامع طائعاً ، وأمسى على ذلك الصّحن حلاوة ظاهرة ، وتيقّظت مُقلُ مصابيحِه بعد طول الغمض فإذا هم بالساهرة ، واهتزّ طرباً من طيب هذا الثنا المنير وكادت أعوده أن تزهر ، فرحة بهذا الزمن الغضّ والعيش الأخضر ، وضعف نظر الرّسام وأمست مراسيمه غير مقبولة .

**هذا ؛** ولو أدركه ابن كتائب .. لقال : ما أنا من فرسان من كتيبة كل جيش بنظره مشموله ، أو لحقه ابن السمين .. لتحقق ضعفه وضعف أبيه عن القيام بهذا الشعار ، أو عاشره ابن رواحة الأنصاري .. لكان له من جملة الأنصار .

وأمسى جامعنا وهو الأعلى على من قبله وبعده ، وتلا أهل الصلاة وقد حُظُوا بيوسف في السجدة ، وزال محلّ بلاده في هذه الأيام اليوسفيّة ، وأمسى في بسط بعدما طوى بساطه بالكلية ، وزال فسادُه ولله الحمد بهذا الصّلاح ، وأعلن مؤذنه في أعلى منارته بحيّ على الفلاح .

فليباشر ذلك مباشرة ثمر جزيل الثواب ، وليظعن أعداؤه من دعاء كل قائم بالمحراب ، وليحسن إلى حلقة كل علم لينشرح صدرها ، فما لرجال الحلقة غير ناظر الجيش إذا أشكل أمرها ، وليرم من عانده بسهام من الأدعية عن قوس كل راع ، وليتوجه في ذلك إلى الله تعالى وأحسن ما كان التوجه في الجامع ، والوصايا كثيرة ، وهو بحمد الله تعالى في غنية عن ذلك ، والله تعالى يؤيّدُه ويُجملُ به الوظائف الدينيّة ويجعله لأزمته خير

مالك ، ولا برح كُفُّه مبسوطاً للخيرات وتُعَقَّدُ عليه خناصرُ كَفَالِ الممالك ،  
إن شاء الله تعالى .

### [ كتاب وداديّ من ابن حَبَّة الحمويّ إلى القاضي الدمامينيّ ]

وهذه صورة كتاب وداديّ إخواني ، أنفذه من القاهرة إلى الثغر يُخاطَبُ  
فيه القاضي بدر الدّين أبا عبد الله محمد بن الدّمامينيّ المخزوميّ ، يخبره فيه  
بفراره من بلاد الشام لحرب كانت هناك وبما قاساه من الشدائد في البحر<sup>(١)</sup> :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُقْبَلُ الأرض التي سَقِيَ دوحها بنزول الغيث فأثمر الفواكه البدرية ، وطلع  
بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية ، وجرى لسان البلاغة  
في ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد ، وأنشد - لا فِضَّ الله فاه - وقد  
ابتسم عن محاسنه التي لم يُخلَقْ مثلها في البلاد<sup>(٢)</sup> : [ من الوافر ]

لَقَدْ حَسُنْتَ بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ أَبْتِسَامُ  
فأكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام !! ومدينة علم  
تَشَرَّفَتْ بالجناب المحمديّ فعلى ساكنها السلام !! ومجلس حكم ما  
ثبت لمُدَّعي الباطل به حُجَّة !! وعرفات أدب إن وقفت بها وقفة .. صرت  
على الحقيقة ابن حَبَّة !! وأفق معالٍ بالغ في سُمُو بدره فلم يقنع بما دون  
النجوم !! وميدان عربية تجول به فرسان الفصاحة من بني مخزوم ، وتالله ؛  
ما لفرسان الشقراء والأبلق في هذا الميدان مجال ، وإذا اعترفوا بما حصل

(١) انظر « ثمرات الأوراق » ( ص ٣٥٠ - ٣٥٥ ) ، وقوله الآتي : ( ولا ناب ) ، وقوله أيضاً : ( مكرهاً

لا بطل ) على لغة ربعة من حذف تنوين النصب .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » ( ص ٧٧ ) .

للفارسِ المخزوميّ عندهُم مِن الفتح . . كفى الله المؤمنين القتال !!

وينهي بعد أدعية ما برح المملوك منتصباً لرفعها ، وتغريد أثنية ما لسجع المطوّق في الأوراق النباتيّة حلاوة سجعها ، وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك في مصر بالآثار .

(١) وَأَبْرَحَ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

وصول المملوك إلى مصر محتمياً بكنانتها وهو بسهام البين مصاب ، مدعوراً لما شاهده من المصارع عند مقاتل الفرسان في منازل الأحباب ، مكلماً من ثغر طرابلس الشام بالسنة الرماح ، محمولاً على جناح غراب وقد حكم عليه البين ألا يبرح من سفره على جناح .

(٢) وَكَانَ فِي الْبَيْنِ مَا كَفَانِي فَكَيْفَ بِالْبَيْنِ وَالْغُرَابِ

يا مولانا ؛ لقد قرعت سن هذا الثغر بأصابع السهام ، وقلع منه ضرر الأمن ولم يبق له بعد ما سحر به البين نظام<sup>(٣)</sup> ، وكشرت الحرب بين ثناياه عن أنياب ، واقتلنا منه مع أنهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب ، وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق متا الجواد ، ولزمت الروي من دماينا لثلا يظهر لقافيتنا عند نظم الحرب سناد ، وفسد انسجام تلك الأبيات المنظومة على ذلك البحر المديد ، وبذلت جنتها بنار الحرب التي كم نقول لها : هل امتلأت . . فتقول : هل من مزيد ، ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف في ذلك اليوم شهوداً ، واتصل الحكم بقضاة القضاة فلم يسلم منهم إلا من كان مسعوداً ، ووقع غالبنا في القبض

(١) من الوافر .

(٢) من مخلع البسيط .

(٣) في « ثمرات الأوراق » ( ص ٣٥١ ) : ( ما شعر به البين نظام ) بدل ( ما شعر به البين نظام ) .

مِنْ عَرُوضِ حَرْبِهِمُ الطَّوِيلِ ، وَتَبَدَّلَتْ مُحَاسِنُ طَرَابِلِسَ الشَّامِ بِالْوَحْشَةِ فَلَمْ  
نَفَارِقْهَا عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ .

وتالله ؛ لم يدخلها المملوك في هذه الواقعة إلا مكرهاً لا بطل ، وكم  
قلت لسارية العزم لما كشف لي عن ضيق سهلها : يا سارية ؛ الجبل ، ورام  
المملوك أن يتنصل من انتظامه في هذا السلك جملة كافية ، فقال له لسان  
الحال عند نظم هذه الكائنة : جرّتك القافية ، ولم يُطلّق المملوك عروس  
حماته إلا جبراً أظهر به كسره ، والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق  
المُكره .

يا مولانا :

[ من الطويل ]

وَحَقِّكَ تَطْوِي شُقَّةَ أَلْهَمٍ بِالْبَسْطِ	بَوَادِي حَمَاةِ الشَّامِ عَنْ أَيْمَنِ الشَّطِّ
أَهِيْمُ كَأَنِّي قَدْ ثَمَلْتُ بِإِسْفَنِطِ	بِلَادٍ إِذَا مَا دُفْتُ كَوَثَرَ مَائِهَا
تُشَاكِلُهَا قُلْ أَنْتَ مُجْتَهِدٌ مُخْطِي	وَمَنْ يَجْتَهِدُ فِي أَنْ بِلَا أَرْضٍ بُقْعَةٌ
فَإِنَّ أَحَادِيثَ الصَّحِيحِينَ مَا تُخْطِي	وَصَوَّبَ حَدِيثِي مَائِهَا وَهَوَائِهَا
فَمَا الشَّامُ بِالْخُلْخَالِ أَوْ مَضْرُ بِالْقُرْطِ	بِمِعْصَمِهَا إِنْ دَارَ مَلُوي سَوَارِهَا
عُقُوداً لَهَا الْعَاصِي رَأَيْنَاهُ كَالسِّمِطِ	تَنْظَمَ بِالشَّطِّينِ دُرٌّ ثِمَارِهَا
يُسَرِّحُهَا كَفُّ النَّسِيمِ بِلَا مُشْطِ	وَتُرْخِي عَلَيْنَا لِلْغُصُونِ ذَوَائِباً
وَرَاحَ بِنَقْشِ النَّبْتِ يَمْشِي عَلَى بُسْطِ	وَمُذْ مَدَّ ذَاكَ أَلْنَهْرُ سَاقاً مُدْمَلِجاً
وَأَبْدَتْ لَنَا دُوراً عَلَى سَاقِهِ [السَّبْطِ]	لَوَيْنَا خَلَاحِيلَ النَّوَاعِيرِ فَالْتَوَتْ
مُطَنَّبَةً بِالْدَّمْعِ مِنْهَلَّةً النَّقْطِ	سَقَى سَفْحَهَا إِنْ قَلَّ دَمْعِي سَحَابَةٌ
بَصَفَحَتِهَا لَا زَلَّتِ وَاضِحَةً الْخَطِّ	وَيَا أَسْطَرَ النَّبْتِ أَلَّتِي قَدْ تَسْلَسَلَتْ

وَلَا زَالَ ذَاكَ الْخَطُّ بِالطَّلِّ مُعْجَمًا      وَمِنْ شَكْلِ أَنْوَاعِ الْأَزَاهِرِ فِي ضَبْطِ  
لَوَيْتُ عِنَانِي فِي حِمَاهَا عَنِ الْوَرَى      وَهَمْتُ بِهَا لَا بِالْمُحَصَّبِ وَالسَّقَطِ  
وَلَدَّ عِنَاقُ الْفَقْرِ لِي بِفَنَائِهَا      وَفِي غَيْرِهَا لَمْ أَرْضَ بِالْمُلْكِ وَالرَّهْطِ  
مَنَازِلُ أَحْبَابِي وَمَنْبِتُ شُعْبَتِي      وَأَوْطَانُ أَوْطَارِي بِهَا وَرِضَا سُخْطِي  
نَعِمْتُ بِهَا دَهْرًا وَلَكِنْ سُلِبْتُهُ      بِرَغْمِي وَهَذَا الدَّهْرُ يَسْلُبُ مَا يُعْطِي  
وَقَدْ جَاءَ شَرْطُ الْبَيْنِ أَنْتِي أَغِيبُ عَنْ      حِمَاهَا لَقَدْ أَدْمَى فُؤَادِي بِالشَّرْطِ  
وَحَطَّ عَلَيَّ الدَّهْرُ عَمْدًا وَشَالَنِي      إِلَى غَيْرِهَا صَبْرًا عَلَى الشَّيْلِ وَالْحَطِّ  
وَسُبْحَةُ جَمْعِ الشَّمْلِ كَانَتْ لَنَا بِهَا      مُنْظَمَةً لَكِنْ قَضَى الدَّهْرُ بِالْفَرْطِ  
أُمَثِلُ شَوْقًا شَكْلَهَا فِي ضَمَائِرِي      فَتَتَّبِعْ عَيْنِي ذَلِكَ الشَّكْلَ بِالنَّقْطِ  
وَقَدْ صَارَ يَمْشِي أَلْهَمُ نَحْوِي بِسُرْعَةٍ      فَيَا لَيْتَهُ لَوْ كَانَ فِي مَشْيِهِ يُبْطِي  
وَأَصْبَحَ نَظْمِي رَاجِعًا بِي إِلَى وَرَا      كَأَنِّي فِي الدِّيَوَانِ أَكْتُبُ بِالْقُبْطِي

فما هذه المحن التي توالى على أهل الأدب بعد زوال فخرها ، لكن  
أدام الله تعالى مجدها وأنار شهابها وأقمر ليالي بدرها .

يا مولانا ؛ وأبثك ما لقيت من أهوال البحر وأحدث عنه ولا حرج ، فكم  
وقع المملوك من أعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل إلى دوائر  
تلك اللجج ، وشاهدت منه سلطاناً جائراً يأخذ كل سفينة غصباً ، ونظرت  
إلى الجواري الحسان وقد رمت أزر قلوبها وهي بين يديه لقلّة رجالها  
تسبى ، فتحققت أن رأي من جاء يسعى في الفلك جالساً . . غير صائب ،  
واستصوبت هنا رأي من جاء يمشي وهو راكب ، وزاد الظمّ بالمملوك وقد  
اتخذ في البحر سبيله ، وكم قلت من شدّة الظمّ : يا ترى قبل الحفرة هل  
أطوي من البحر هذه الشقة الطويلة ؟!

[ من البسيط ]



وَهَلْ أَبَاكَرُ بَحْرٍ النَّيْلِ مُنْشَرِحاً وَأَشْرَبَ الْحُلُوفِ مِنْ أَكْوَابِ مَلَّاحٍ<sup>(١)</sup>

بحرٌ تلاطمت علينا أمواجه حينَ متنا مِنَ الخوفِ وحملنا على نعشِ الغرابِ ، وقامتْ واواتُ دوائره مقامَ ( مع ) فنصبتنا للغرقِ لَمَّا استوتِ المياهُ والأخشابُ ، وقارنَ العبدُ فيه سوداءَ استرقتْ موالينا وهي جاريةٌ ، وغشيهم في اليمِّ منها ما غشيهم فهل أتاكَ حديثُ الغاشيةِ ؟!

واقعتها الحربُ فحملتْ بنا ودخلها الماءُ فجاءها المَخاضُ ، وانشقَّ قلبُها لفقدِ رجالِها وجرى ما جرى على ذلكَ القلبِ ففاضَ ، وتوشَّحت بالسَّوادِ في هذا المأتمِ وسارتْ على البحرِ وهي مثْلُ .

وكم سُمِعَ منها للمغاربةِ على ذلكَ التوشيحِ زجلٌ !! برجٌ مائيٌّ ولكن تُعربُ في رفعِها وخفضِها عن النَّسرِ والحوثِ ، وتتشامخُ كالجبالِ وهي خُشبٌ مُسنَّدةٌ مَنْ تَبَطَّنْها عُدَّةً مِنَ الْمُصْبِرِينَ في تابوتٍ ، تأتي بالطِّباقِ ولكن بالمقلوبِ ؛ لأنَّ صغيرَها كبيرٌ وبياضُها سوادٌ ، وتمشي على الماءِ وتطيرُ مع الهواءِ وصلاحُها عينُ الفسادِ ، إن نقرَ الموجُ على دفوفِها . . لعبتْ أناملُ قلوبِها بالعودِ ، وترقَّصنا على آلتِها الحدباءِ فتقومُ قيامتنا مِنْ هذا الرقصِ الخارجِ ونحنُ قعودٌ ، تتشاممُ وهي كما قيلَ : أنفٌ في السماءِ وأُسْتُ في الماءِ .

وكم نطيلُ الشكوى إلى قامةِ صاريها عندَ الميلِ وهي الصَّعدةُ الصَّمَاءُ ، فيها الهدى وليس لها عقلٌ ولا دينٌ ، وتتصالبُ إذا هبَّتِ الصَّبا وهي ابنةُ مئةٍ وثمانينَ ، وتوقِفُ أحوالَ القومِ وهي تجري بهم في موجِ كالجبالِ ، وتدَّعي براءةَ الذِّمَّةِ وكم استغرقتْ لهم مِنْ أموالٍ .

**هكذا ؛** وكم ضَعُفَ نحيلُ خصرِها عن ثقالِ أردافِ الأمواجِ !! وكم وجَلَّتْ القلوبُ لَمَّا صارَ لأهدابِ مجاذيفِها على مقلةِ البحرِ اختلاجٌ !! وكم أسبلتْ

(١) البيت لابن نباتة المصري في «ديوانه» (ص ١٠٦) .

على وَجْنِهِ طُرَّةَ قَلْعِهَا فبالغِ الرِّيحُ في تشويشِها !! وكم مرَّ على قريتها العامرة  
فتركها وهي خاويةٌ على عروشِها !! تتعاضَّمُ فتهزلُ إلى أن ترى ضلوعَها من  
السُّقْمِ تُعَدُّ ، ولقد رأيتها بعدَ ذلك قد تَبَّتْ وهي حَمَالَةٌ الحطبِ في جيدها  
حبلٌ من مسدٍ .

وخلَصَ المملوكُ من كَدَرِ المالحِ إلى النِّيلِ المباركِ ، فوجدَهُ من أهلِ  
الصِّفَاءِ ، وإخوانِ الوفاءِ ، وتَنَصَّلَ من ذلكَ العدوِّ الأزرقِ الذي ما برحَ باطنُهُ  
وهو كدُرٌ ، وجمعَ من عذوبةِ النِّيلِ ونضارةِ شطوطِهِ بينَ عينِ الحياةِ والخضرِ ،  
ووصلَ بعدَ عدمِ القرارِ من بحيرتهِ إلى ذاتِ قرارٍ ومعينٍ ، وقُضِيَ الأمرُ وقيلَ :  
بُعداً للقومِ الظَّالِمِينَ ، وتلا لسانُ الحالِ على المملوكِ وأصحابِهِ : ﴿ اَدْخُلُوا  
مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [ءَامِنِينَ] <sup>(١)</sup> .

**وبعدُ :** فالمملوكُ يسألُ الإقالةَ من عثراتِ هذهِ الرسالةِ ، فقد علمَ الله  
أنَّها صدرتْ عن فكرٍ تركهُ البينُ مُشْتَتاً ، والإغضاءَ عن كثرةِ بردها فقد  
خرجتْ من البحرِ عاريةً في أيامِ الشتا ، وليستز عورتها بستائرِ الحلمِ وينظرُ  
إليها من الرحمةِ بعينٍ ، وليكنْ ضربُها بسيفِ النقدِ صفحاً فقد كفى ما  
جُرِحَتْ بسيفِ البينِ .

وتالله ؛ لم يسلكِ المملوكُ هذهِ الجادةَ إلَّا ليجدَ له سبيلاً إلى نهلةٍ من  
عذبِ تلكَ المواردِ ، ويعودَ قلبُهُ الضَّعيفَ الذي قطعَتْ صلاتُهُ من صفيِّ  
هذا المشربِ عائدٌ ، ويصيرَ العبدُ مسعوداً إذا عُدَّ للأبوابِ العاليةِ من جملةِ  
الخُدَّامِ ، ويحصلَ لكبدهِ الحرَّى من ذلكَ النسيمِ الغربيِّ بردٌ وسلامٌ ، واللهُ  
تعالى يَمُنُّ بقربِ المثولِ بينَ يديه ؛ ليحصلَ للملوكِ بعدَ التخلُّصِ من البينِ  
حسنُ الختامِ ، بِمَنِّهِ وكرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى .

(١) سورة يوسف : ( ٩٩ ) .

[ رسالة من ابن حجة في إتمام مقامة استعصت على القاضي الفاضل ]

**حكى ابن حجة :** أن القاضي الفاضل أراد يُعارضُ « مقامات الحريري » ،  
فلما وصل إلى ( المقامة البغدادية ) التي لَمَحَ فيها بأسماء الأعضاء . . أمسك  
عن المعارضة ؛ لاستصعابه ذلك المسلك ، وهذه عبارة المقامة المشتملة  
على ذلك التلميح من كلام نسبه إلى عجوز ، قال <sup>(١)</sup> : إنها وقفت على  
جماعة من الأدباء فيهم الحارث بن همام في صورة سائلة ؛ قالت : ( حيّا الله  
المعارف ، وإن لم يكن معارف ، اعلّموا يا مآل الآمل ، وثمال الأرامل ؛ أني  
من سروات القبائل ، وسريّات العقائل ، لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ،  
ويسIRON القلب ، ويمطون الظهر ، ويولون اليد ، فلما أردى الدهر الأعضاء ،  
وفجع بالجوارح الأكباد ، وانقلب ظهراً لبطن . . نبا الناظر ، وجفا الحاجب ،  
وزهبت العين ، وفقدت الراحة ، وصلد الزند ، ووهنت اليمين ، وضاع اليسار ،  
وبانت المرافق ، ولم يبق لنا ثنية ولا ناب ) .

فتعجب ابن حجة من استصعاب الفاضل ذلك ، وأنشأ هذه الرسالة  
مستوفياً فيها ذكر الأعضاء إلا ما يستحي من النطق به ، واعتذر عن ذلك بما  
سيأتي نقله عنه <sup>(٢)</sup> :

يُقْبِلُ أَرْضاً بِالْعَلَا قَدْ تَجَسَّدَتْ      لِأَرْوَاحِ أَهْلِ الْعِلْمِ رَوْضَةٌ مُشْتَهَى  
وَهَبْتُ بِأَنْفَاسِ الْعُلُومِ قَبُولُهَا      فَلَا زَالَ صَدْرُ الدِّينِ مُنْشَرِحاً بِهَا  
ولا برح هذا الصدر محروساً بـ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ  
وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۞ ﴿ ٣ 》 .

(١) انظر « المقامات » للحريري ( ص ٨٨ - ٨٩ ) ، و « خزانة الأدب » للحموي ( ٤/٢٩٩ - ٤٣٢ ) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي ( ٤/٣٠ ) .

(٣) سورة الشرح : ( ١ - ٣ ) .

صَدْرُ غَدَا رَأْسًا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ      صُورُ الْمَعَانِي تَلْتَقِيهِ بِبَشَرِهَا  
فَإِذَا أَتَى نَحْوَ الشَّامِ مُنَاطِرٌ      فِي كُلِّ عِلْمٍ قَابَلَتْهُ بِصَدْرِهَا

**هَذَا ؛** وكم لهذا الرأس في العلوم من فرقٍ دَقَّ على الأفهام !! وهو كالغُرَّة في جباه الأيام ، لا زال المجدُّ لَهُ حاجباً مقروناً بسعده الشامل ، ولا برح بعلمه عيناً لوجوه المسائل ، فله أهداب معانيه التي هي أسحر من عيون الغزلان ، وأمضى من السيوف إذا برزت من الأجفان ، وأصدغ فضائله التي هي عاطفة على وجنات الوجود ؛ لأنها كالعوارض الماطرة ، وكم أنست عند ذكرها من سالف !! وكم لها في قلوب الأعداء من حدود !! وندى جوده الذي إذا جاءه الشارب .. وجدَّ عنده شفاؤه ، وحلاوة نظمه الذي أنسانا ذكر العذيب وثناياه ، وعنق مكارمه التي ألقت من البديع الالتفات ، وأوصافه التي غدت على جيد الدهر شامات ، حتى تبدلت سيئاته بالحسنات ، كفَّ عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد ، من غير أن يُقالَ لَهُ : ساعد ، وشهدنا بأن أياديهِ بحرٌ يفيضُ بصنائعه ، فأشار النيلُ إلى قبول هذه الشهادة بأصابعه .

فله ندى يمينه الذي لم يزل المملوك به في بلاد الشمال مكفي !! وكم فاض منه قلب النيل وجهد أن يوفيه بالباع والذراع فما قدر يوفي !! جبلت على محبته القلوب فصارت حُبُّه ظاهراً في كل باطن ، وحنَّت إليه الجوارح لما سارت مناقبه إلى كل جانبٍ فحرَّكت كل ساكن .

وينهي بعد أدعيته التي هي إن شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم ، واعتدالٍ للطيف ذلك المزاج ، وأثنيته التي هي كالمناطق على خُصور الحسان وبها لكل خاطر ابتهاج .. أشواق من تقاتلت عليه أرداف النوى ، وأسكنت في وسط قلبه الجوى ، وقدَّه الانقطاع بسيفه الذي زاد في حدِّه ، ولكنه زاد

في قَدِّهِ ، ولو حَصَرَ المملوكُ ما ساقَ ، إليه البعدُ مِنَ الاشتياقِ ؛ إلى تقبيلِ  
الأقدامِ . . لم تَسْعُهُ قائمَةٌ ، وهو يعدُّ القلبَ بالصَّبْرِ ولكنَّ كما ذكرَ كعبٌ عن  
مواعيدِ عُرْقُوبٍ ، فنسأَلُ اللهَ حسنَ الخاتمةِ .

قال ابنُ حَجَّةٍ على أثرِ ذلكَ : ( ولم يبقَ مِنْ هَذَا القدرِ إِلَّا ما تَمُجُّهُ أفواهُ  
الأسماعِ ، وَيَنفَرُ مِنْهُ سَليمُ الطَّباعِ ، وعلى كُلِّ حالٍ فهذهِ صُبابَةُ الحاصلِ ،  
ونسأَلُ اللهَ السَّلامةَ مِنَ الجاهِلِ المتغافلِ ؛ بِمَنِّهِ وَكرَمِهِ ، إن شاءَ اللهُ  
تعالى ) .

إذا قرأتَ مُتأملًا حَقَّ التأملِ ما نقلناه لَكَ مِنْ إنشاءِ ذوي العصورِ  
المتتاليةِ . . عرفتَ كيفَ اختلافُ مذاهبِ الناسِ في الإنشاءِ ، وإذا يسلكُ بكَ  
التوفيقُ إلى اختيارِ طريقةٍ تناسبُ أحوالَ بني وَقتِكَ ، وتوافقُ أفهامَهُمْ ؛ إذا  
دعَتَكَ داعيةٌ للإنشاءِ المصنوعِ .





## [ مِنْ مُنْشَأَتِ الْوَزِيرِ الْأَدِيبِ عَبْدِ اللَّهِ فِكْرِي بَك ]

**هذا ؛** وأنفع ما أراه ينبغي لك أن تتخذَهُ دليلاً يرشدك إلى كلّ وجهٍ جميلٍ مِنْ وجوهِ الفنونِ التي تحاولُ فيها أن تكتبَ الكتابةَ الصِّناعيّةَ المناسبةَ لوقتِكَ ، الذي تأملُ أن تعيشَ في رضا أهلِهِ عنكَ ، واعترافِهِم بظهورِ ما يعودُ منكَ عليهم نفعُهُ . . مُنْشَأَتُ الأميرِ الجليلِ صاحبِ الوقتِ ، الذي لو تقدّمَ به الزمانُ . . لكانَ لَهُ بديعانِ ، ولم ينفردُ بهذا اللقبِ علامُهُ هَمْدَانُ ، **عبدُ الله فِكْري بَك** أطابَ اللهُ أَيْامَهُ ، وأعلَى - كما نرجوه - مِنْهُ تعالى حيثُ كانَ مقامُهُ .

## [ جوابُ تحيةٍ وسؤالٍ ]

**فمنها -** وبِهِ صَدَرْتُ ما سأنقلُهُ لِمَا اشتمَلَ عَلَيْهِ مِنْ نصيحةِ الإخوانِ أن يذهبوا بأنفسِهِم مَذاهِبَ الأفاضلِ ، ولا يقعدوا بها مقاعدَ كلّ وضعٍ خاملٍ ، فيكونوا قد رَضُوا لها بالدُّونِ ، وأنزلوها منازلَ الهُونِ - **ما كَتَبَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ جوابَ تحيةٍ وسؤالٍ ؛ قال :**

كُتِبْتُ والذَّهْنُ فَاتَرْتُ مِنْ وَهْنِ الدَّفَاتِرِ ، والتَّبْيِضِ والتَّسْوِيدِ ، والتَّقْيِيدِ والتَّسْدِيدِ ، والتَّقْيِيدِ والتَّشْدِيدِ ، والترجمةُ وكثرتها ، والهَمَّةُ وفترتها ، والماهيةُ وَقِلَّتِها ، والنَّفْسُ وَذِلَّتِها ، وراتبي لا يكفي أجرَةَ البيتِ ، ولا يفي ثَمَنُ الماءِ والزيتِ ، وبالأُمسِ وعدَ الوكيلِ بالزيادةِ ، واعتذرَ اليومَ بالأصيلِ على العادةِ ، على أَنَّهُ لو حَصَلَتْ زيادةٌ . . فلزيدٍ وعمرو ، إلى آخِرِ الزمرِ ، وللهِ الأمرُ ، أحوالٌ مُتَبَدِّدَةٌ ، ونفوسٌ مُتَبَدِّدَةٌ ، وأشغالٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وإخوانٌ خُوانٌ ، وخِلانٌ غيلانٌ ، ورفاقٌ وما أجملَ الفراقَ !! وقلتُ :

[ من الطويل ]

إِلَامَ أَعَانِي الصَّبْرَ وَالذَّهْرُ غَادِرٌ وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَا لِي عَاذِرُ

وَلَوْ أَنَّنِي أَشْكُو عَظَائِمَ شِدَّتِي لَمِيتَ لَرَقَّتْ لِي الْعِظَامُ النَّوَخِرُ

وسألت عن فلانٍ وفلانٍ ، وهَيَّانَ بنِ بَيَّانٍ ، ممَّن ينتسبُ للعلمِ وأهله ، ويتظاهرُ بشعارِ فضله ، ولو كانَ العلمُ بلحيةِ تعظمُ وتطولُ ، وشواربِ تُحَفُّ وتُستأصلُ ، وعيونِ على ما بها من غمصٍ ورمصٍ تكحلُّ ، وعمامةٍ تعظمُ حتى ترذلُ ، وطيلسانٍ يَلْفُ ويُسَدِّلُ ، وكم يُوسِّعُ ويسبِّلُ !! وأحاديثِ خرافةٍ تُقْصُّ وتُنْقَلُ ، ومحفظةٍ تفعمُ وتثقلُ ، وسواكٍ يظهرُ منَ العمامةِ نصفُهُ ، وكتابٍ يخرجُ منَ الجيبِ طرفُهُ ، ثمَّ بَشْدُقٍ في الكلامِ ، وتبَّأَ لَهُ في المرامِ ، وتَعَسَّفِ في الأفهامِ ، وحرصٍ على الحطامِ ، ثمَّ بقولِ الإنسانِ : حضرتُ درسَ فلانٍ ، وسمعتُ منَ لفظهِ باللسانِ ، وقضيتُ في العلمِ كذا سنةً منَ الزمانِ . . فهمُ أعلمُ منَ أقلَّتُهُ الغبراءُ ، وأفقه منَ أظَلَّتُهُ الخضراءُ ، وإن كانَ للعلمِ غيرُ هذه الآلاتِ . . فما لَهُم سِوَى هذهِ الحالاتِ ، غايةُ الأمرِ أَنَّهُم قَضَوْا أرذلَ العمرِ في كتبٍ معدودةٍ ، وشروحٍ موجودةٍ ، وهُم يُكْرِّرونَهَا ولا يَدْرُونَهَا ، ويُقَرِّرونَهَا ولا يُحَرِّرونَهَا ، ويتداولونها ولا يَتَعَقَّلونها ، ولو صرفَ حماري هذا العمرَ فيها . . لأصبحَ فقيهاً ، وأضحى نبياً .

والذي يُظْهَرُ مِنْهُمْ وشيْنُهُم ، وعلامةُ ما بيننا وبينهم . . أن يُؤمَرَ أحدهمُ برقعةٍ تُكْتَبُ لحاجةٍ معهودَةٍ ، ويُمتَحَنُ بكتابٍ غيرِ هذهِ الكتبِ المعدودةِ ، فيه بعضُ كلامِ العربِ وأشعارِها ، وشيءٌ منَ وقائعِها وأخبارِها ، فإن كَتَبَ فصيحاً ، وقرأَ صحيحاً ، وفهمَ مليحاً . . عرفنا أَنَّهُ شَمَّ عَرَفَ العلمَ ، وذاقَ طعمَ الفهمِ ، وسلَّمنا إليهم ما يَدْعُونَ ، وتركنا لَهُم ما يأتُونَ وما يَدْعُونَ ، وإن ارتَبَكَ للرقبةِ ، ووقفَ حمارُ الشيخِ في العقبةِ . . عرفنا حالَهُ ، وقلنا لَهُ <sup>(١)</sup> :

[من الخفيف]

(١) هما لأبي نواس في «ديوانه» (ص ٤١٩) .

أَيْهَهَا أَلْمُدَّعِي سُلَيْمًا سَفَاهًا      لَسْتُ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةً ظُفْرٍ  
إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمٍ كَوَاوٍ      أَلْحَقْتُ فِي أَلْهَجَاءِ ظُلْمًا بَعْمَرٍ

وقد مررتُ بالأمسِ على أحدهم في الدرسِ يقرأ « القطر » لابنِ هشامٍ ،  
ويلحنُ لحنَ العوامِ ، ومررتُ بآخرَ يدرسُ « الكافي في علمي العروضِ  
والقوافي » ، يُقرِّرُ قوله :  
[ من مجزوء المتدارك ]

قِفْ عَلَى دَارِهِمْ وَأَبْكِيْنَ      بَيْنَ أَطْلَالِهَا وَالْدِّمَنِ  
فلا وربِّكَ ما أقامَ لَهُ وزناً ، ولا عرفَ لَهُ معنىً ، مع سهولةِ مبناهُ ، وظهورِ  
معناهُ ، فَحَطَّمَهُ حَطَمَ الهشيمِ ، وَمَزَّقَهُ تمزيقَ الأديمِ ، فقلتُ : سبحانَكَ اللهم !!  
كَأَنَّ الشاعرَ عناني بهذا الكلامِ ، وعلمَ أَنِّي أقومُ هذا المقامَ ، فأمرني بالبكاءِ  
على العلمِ والدروسِ ، وما جرى على معاهدهِ مِنْ دروسٍ .

يا قومُ ؛ أهذا النحوُ وإعرابهُ ، والصَّرفُ وأبوابهُ ، والعروضُ وأوزانهُ  
وأبحرُه ، والمعاني وإنشأؤه وخبرُه ، والبيانُ وفرائدهُ ، والبدیع وشواهدُه ؟!  
وهذه العلومُ الموضوعَةُ ، والأسفارُ المحمولةُ ، والدروسُ المأهولةُ ،  
والأصواتُ المهولةُ . . لمُجرَّدِ معرفةِ ضربِ زيدٍ وعمرو ، وقتالِ خالدٍ لبكرٍ ،  
وَأَنَّ ( قَالَ ) أصلُها ( قَوْلَ ) ، ثُمَّ لا يدري ما حصلَ ، والطَّوِيلَ مِنْ ( فعولنُ  
مفاعيلُ ) ، ثُمَّ لا يعلمُ كيفَ ينظمُ ، والفصلِ والوصلِ ، ولا أصلَ ولا فصلَ ،  
والحقيقةِ والمجازِ ، وليسَ لهما مجازٌ ، والتوريةِ والجِناسِ ، ممَّا يحفظُ ولا  
يُقاسُ .

إذا ؛ واللهِ تكونُ تلكَ الفنونُ مِنْ أفانينِ الجنونِ ، ويكونُ الميلُ إليها ،  
والإقبالُ عليها ، عملاً حابطاً ، وشغلاً ساقطاً ، وهوساً عاطلاً ، ووسواساً  
باطلاً ، ويكونُ واضعوها أساؤوا الناسَ ، وأخطؤوا القياسَ ، وبنوا على غيرِ  
أساسٍ !!

كلًا ؛ إِنَّمَا وضعوا هذه القواعد ، وشرعوا للناس تلك الموارد ؛ ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت ، ويفهموا من ألفاظها كالذي فهمت ، ويترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت ، وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت ، وقد كانت هذه العرب التي أودع الله الفصاحة لسانها ، وشرف بسيدنا النبي والقرآن العربي مكانها . . تتكلم بهذه اللغة العلية ، على الفطرة الأصلية ، والسجية الجبلية ، من غير هذه القواعد والأصول ، وتلك الأبواب والفصول ، وكانت تعتد البلاغة مبلغ علاها ، وتعتقد الفصاحة من محاسن حلاها .

ثم بعث الله تعالى نبيه الأكرم ، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، أفصحها لساناً ، وأوضحها بياناً ، وأنزل عليه قرآناً ، في أعلى درجات البلاغة ، وأرقى طبقات البراعة في حسن الصياغة ، فاهدوا بقرآنه ، واقتدوا ببيانه ، فازدادوا بسطة في اللسن ، وتوسّعوا في البيان الحسن ، إلى أن اختلطت أنسابهم ، وتقطعت أسبائهم ، وانقرضت دولتهم ، وانقضت مدّتهم ، واختلت ألسنتهم ، وخلت أمكنتهم ، وخيف أن تذهب معهم هذه اللغة المنيفة ، التي هي مدار الشريعة الشريفة ، وخير لغة العالم ، وأبرع لسان تكلمت به بنو آدم .

فقيض الله لحفظها الأئمة الأعلام ، هداة الأنام ، ورعاة الإسلام ، فرتبوا قواعدها ، وشدّوا سواعدها ، وصنّفوا تلك فنون العديدة ، وألفوا هذه الكتب المفيدة ؛ لتسهيل الأرب ، من لغة العرب ، والتكلم بلسانهم ، على بعد أزمانهم ، ومجاراتهم في بيانهم ، على سعة ميدانهم ، والتفنن في أساليب الكلام ، وصوغه على حسب مقتضى المقام ، واستمرّ العمل على ذلك بين الأنام ، وتداولت عليه الأيام والأعوام .

إلى أن خلف هذا الخلف الملوّم ، والخلق المذموّم ، والجيل المشوؤم ،

فَظَنُّوا تِلْكَ الْوَسَائِلَ مَقَاصِدَ ، لَيْسَ بَعْدَهَا غَايَةٌ لِقَاصِدٍ ، وَحَسَبُوا هَذِهِ الْكُتُبُ تَقْصِدُ لَذَاتِهَا ، وَيُكْتَفَى بِالتَّعَبُّدِ بِكَلِمَاتِهَا ، فَوَقَفُوا عِنْدَهَا ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا لِمَا بَعْدَهَا ، وَاتَّخَذُوا الْأَدَبَ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا ، وَجَعَلُوا النِّظَمَ وَالنَّثْرَ شَيْئًا فَرِيًّا ، فَإِذَا كَتَبَ أَحَدُهُمْ رَقْعَةً لِحَاجَةٍ أَرَادَهَا ، أَوْ ابْتُلِيَ بِكِتَابٍ غَيْرِ هَذِهِ الَّتِي اعْتَادَهَا . . . فَلَا تَسْلُ عَنْ الْغَلْطِ الْوَاضِحِ ، وَاللَّحْنِ الْفَاضِحِ ، وَالذَّهْنِ الْغَائِبِ ، وَالْفَهْمِ الْعَائِبِ ؛ فَإِنْ وَقَفْتُهُ عَلَى غَلْطِهِ ، وَعَرَفْتُهُ بَعْضَ سَقْطِهِ . . . قَالَ : مَا نَحْنُ مِنْ أَهْلِ ذَاكَ الشَّانِ ، وَلَا خَيْلُ هَذَا الرَّهَانِ ؛ إِنَّمَا نَحْنُ لِفَهْمِ الْكُرَّاسِ ، لَا يَسْبِقُنَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ .

فِيَا أَنْعَامَ الْأَنَامِ ، وَيَا أَلَامَ اللَّثَامِ ؛ أَيُّ فَائِدَةٍ إِذَا لِلْكُرَّاسِ ، غَيْرِ وَجَعِ الرَّاسِ ؟! وَأَيُّ مَعْنَى لِتِلْكَ الْعُلُومِ ، غَيْرِ سَعَةِ الْحَلَقُومِ ؟! وَمَاذَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ مَنْ لَا يُعْرَبُ عَنِ الْمَرَامِ ؟! وَمَاذَا يَصْنَعُ بِالصَّرْفِ مَنْ لَا يَتَصَرَّفُ فِي أَسَالِيبِ الْكَلَامِ ؟! وَمَاذَا يَغْنِي الْعُرُوضُ عَنْ قَوْمٍ لَا يَشْعُرُونَ ، وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانُ مِنْ قَوْمٍ لَا يَنْظُمُونَ وَلَا يَنْثُرُونَ ؟!

وَقَدْ زَارَنِي أَحَدُهُمْ فِي الدِّيَوَانِ لِبَعْضِ شَانِهِ ، وَأَعْطَانِي رَقْعَةً كَتَبَهَا لِحَاجَةٍ بِخَطِّ بَنَانِهِ ، فَإِذَا رَقْعَتُهُ أُنْمُوذُجُ الرِّقَاعَةِ ، وَتِمَثَالُ الشَّنَاعَةِ ، وَمَجْمُوعُ الْبَلَاهَةِ ، وَيَنْبُوعُ الْعِيِّ وَالْفَهَاهَةِ ، وَهِيَ وَاصِلَةٌ طَيِّ كِتَابِي إِلَيْكَ ، لِتَكُونَ عَلَى مَا قَلْتُ حُجَّةً وَبَيِّنَةً لَدَيْكَ ؛ فَقَدْ عَرَفْتُ قَدَرَ تَظَاهَرِ هَذَا الرَّجُلِ بِالْعِلْمِ ، وَتَفَاخَرِهِ بِحِدَّةِ الذَّهْنِ وَجُودَةِ الْفَهْمِ ، وَسْتَرَى مَا بَهَا مِنْ زَلِيلٍ ، وَخَطَأٍ وَخَطَلٍ ، وَلَفْظٍ بَارِدٍ ، وَمَعْنَى جَامِدٍ ، وَتَرْكِيبٍ فَاسِدٍ ، وَرَسْمٍ خَامِدٍ .

وَقَدْ كَانَ فِي يَدِي « مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ شَرْحُ شَوَاهِدِ التَّلْخِيصِ » ، فَنَاولْتُهُ بَعْضَ وَرَقَاتِهِ ، وَسَأَلْتُهُ فِي فَهْمِ بَعْضِ مَحَلَّاتِهِ ، لَا جَهْلًا بِأَمْرِهِ ، وَلَكِنْ إِظْهَارًا لِعُجْرِهِ وَبُجْرِهِ ، ثُمَّ جَهَدْتُ بِهِ أَنْ يَكْتُبَ مَا فَهَمَهُ بَعْدَ أَنْ مَدَحْتُ لَهُ مَا تَوَهَّمَهُ ،



وكنْتُ أريدُ أنْ أُتَحَفَكَ بغرائبِ أنظارِهِ ، ووساوسِ أفكارِهِ ؛ لتعلمَ أيُّ أطفالٍ في ثيابِ رجالٍ ، وأيُّ حميرٍ تركبُ البغالَ ، إلّا أنَّه لم يسمحْ بكتابةِ ما قالَ ، وفي رقعتِهِ كفايةً ، فهي في الدلالةِ على حالِهِ غايةٌ .

أمّا فلانٌ وأترابُهُ ، وفلانٌ وأضرابُهُ . . فهمُ أعجوبةُ الأيامِ ، وأحدوثُةُ الأنامِ ، أحوالٌ متناقضةٌ ، وأفعالٌ متعارضةٌ ، فكبرٌ وفقرٌ ، وعجزٌ وفخرٌ ، وأنفٌ في السماءِ ، وأسٌ في الماءِ ، وحالٌ تحتَ الترابِ ، ونفسٌ فوقَ السحابِ ، إن صدقتْهم . . كذبوا ، وإن أرضيتْهم . . غضبوا ، وإن تباعدتْ عنهم . . لاموا وعذلوا ، وإن تقربتْ منهم . . سئِموا وملُّوا ، كلابٌ في جلودِ أسودٍ ، وجوهُ بيضٌ وقلوبٌ سودٌ ، صغيرةُ السيئةِ عندهمُ كبيرةٌ ، وكبيرةُ الحسنةِ لديهمُ صغيرةٌ ، عيونٌ منتقدةٌ ، وقلوبٌ متقدةٌ ، والسنةُ جدادٌ ، وأفئدةُ شدادٌ ، وأجسامٌ صحيحةٌ ، وقلوبٌ مريضةٌ ، وجهلٌ طويلٌ ، ودعاوى عريضةٌ ، النصحُ لديهمُ خيانةٌ ، والسوءُ عندهمُ ديانةٌ .

وقد بذلتُ في مرضاتِهِم جهدي ، وأجنيثُهم مَرِي وشهدي ، وقابلتُهم باللطفِ والعنفِ ، وعاملتُهم بالنُّكرِ والعُرفِ ، فلا وأبيكَ ما زادوا إلّا فجوراً ، وعُتوّاً ونفوراً ، ومكراً وشروراً ، وكبراً وغروراً ، ولو وقفتُ عليهم ليلتي ويومي ، وهجرتُ لديهمُ راحتي ونومي ، وفديتُهم بعشيرتي وقومي ، ثمّ أطعمتُهم منْ جسمي ، وآثرتُهم منْ العافيةِ بقسَمي . . لَمّا بلغتُ منْ نفوسِهِم رضاها ، ولا أدّيتُ منْ حقوقِهِم على زعمِهِم مقتضاها ، بل ولو صاحبَهُم جبريلُ ، وخاطبَهُم بالتنزيلِ ، وأهداهمُ الجنةَ في منديلٍ ، وأنزلَ الشمسَ إليهِم في قنديلٍ ، ونظّمَ لَهُم النجومَ عقوداً ، وشقَّ لَهُم منْ المجرةِ بروداً ، وصيَّرَ الإنسَ والجنَّ لَهُم عبيداً ، وجعلَ الملائكةَ لَهُم بعدَ ذلكَ جنوداً ، وأطلعَهُم على غيبِ السماءِ والأرضِ ، وخبَّرَهُم بما كانَ وما يكونُ إلى يومِ العَرَضِ . . لَمّا أصبحَ عندهمُ إلّا مذموماً ، ولا أَمْسَى لديهمُ إلّا ملوماً ، ولكانَ

منسوباً للقصورِ والتقصيرِ ، والإخلالِ بالقليلِ والكثيرِ ، قومٌ هذه طباعُهُمْ ،  
وتلك أوضاعُهُمْ ؛ مَنْ ذا يرضيهم بحالٍ ، ولو فعلَ لَهُمُ المحالَ ؟!

أَمَّا فلانٌ وما أدراكُ . . فهو شركُ الأشرِكِ ، وعارُ العربِ والأترِكِ ، وفضيحةُ  
الزمانِ ، وخزيُّ الكونِ والمكانِ ، صورةٌ كثيفةٌ ، وسيرةٌ أنتنُ مِنَ الجيفةِ .

وَوَجْهٌ لَوْ رَمَيْتَ بِهِ لِكَلْبٍ عَلَى جُوعٍ لَعَافَ الْكَلْبُ أَكْلَهُ <sup>(١)</sup>

وأخلاقٌ أَسْمَجُ مِنَ السماجةِ ، وعقلٌ أَضْلُ مِنَ الدجاجةِ ، وكلامٌ على  
الراسِ ، أَشَدُّ مِنْ قلعِ الأضراسِ ، إِذَا تَجَرَّعَتْهُ الأَذَانُ ، تَقَيَّأَتْهُ الأَذْهَانُ ، فهو  
دَنُوبُ الدُّنُوبِ ، وَعَيْبَةُ العيوبِ ، وقذى النواظرِ ، وأذى الخواطرِ ، وبليَّةُ  
النفسِ ، وآفةُ الأنسِ ، وشَرُّ الجِنِّ والإنسِ ، وهو مِنْ قومٍ تَقَدَّمُوا بأعجازِهِمْ لا  
بإعجازِهِمْ ، وبقيادَتِهِمْ لا بسادَتِهِمْ ، وبالشمولِ لا بالشمائلِ ، وبالفضولِ لا  
بالفضائلِ ، فلا نَعَمَ اللهُ بِالْهَمِّ ، ولا بَلَّغَهُمْ آمالَهُمْ ، فليسوا للنعمةِ أهلاً ، ولا  
للكرامةِ مَحَلًّا .

نَعَمُ اللهُ لَا تُعَابٌ وَلَكِنْ رَبِّمَا أَسْتَقْبَحْتَ عَلَى أَقْوَامٍ  
لَا يَلِيقُ الْغِنَى بِوَجْهِهِ فُلَانٍ لَا وَلَا نُورٌ بِهَجَةِ الْإِسْلَامِ  
وَسِخُ الثُّوبِ وَالْعِمَامَةِ وَالْبِرِّ ذُونِ وَالْوَجْهِ وَالْقَفَا وَالْغُلَامِ <sup>(٢)</sup>

وقد طالَ الكلامُ ، في هؤلاءِ الطَّغَامِ ، وإِنِّي لمأسوفٌ على زمنٍ قطعتهُ  
بأنبيائِهِمْ ، وقرطاسٍ دَنَسْتُهُ بأسمائِهِمْ ، وما كنتُ لأريدُ أن أطيلَ المِقْوَلَ في  
فصولِ هذا الفضولِ ، ولكنَّ حديثَ الأفاعي يطولُ ، وقد نذرتُ للرحمانِ  
صوماً ، فلن أذكرَهُم بعدَ هذا يوماً .

(١) من الوافر .

(٢) من الخفيف .

فهلَمَّ أطارُحَكَ ذَكَرَ الودادِ ، وأبثَّكَ شكوى ما في الفؤادِ ، مِنْ لَاعِجِ البعادِ ،  
 فعندي لَكَ مِنَ الودِّ ، والشوقِ والوجدِ ؛ ما ملأَ الجوانحَ ، وملكَ الجوارحَ ، فلا  
 يبلِيهِ البعدُ ، ولا ينسيهِ طولُ العهدِ ، فاللهُ يديمُ حسنَ رعايتِكَ ، ويسمُعُني ما  
 يَسُرُّ مِنْ ناحيتِكَ ، ويُتِمُّ نعمتهُ عليك بالدَّوامِ ، ويبلغُكَ غاياتِ المرامِ .



### وكتبَ إلى إمامٍ مسقطٍ مِنْ طرفِ الحضرةِ الخديويَّةِ :

ما روضةٌ سحبتَ عليها السَّحائبُ ذُيولَ مطارفِها ، وخلعتَ عليها مِنْ خِلَعِ  
 الربيعِ محاسنَ طرائفِها ، فظَلَّتْ تُثني عليها أدواحُها بما استودعتهُ أرواحُ  
 النسيمِ ، حينَ سرتْ بَلِيلَةَ الأذيالِ عاطرةَ الشميمِ ؛ بأحسنَ ولا أبهى ، ولا  
 ألطفَ ولا أشهى ؛ مِنْ تحيةٍ بهيَّةٍ تعلَّمتْ لطفَها نسماتُ الشمائلِ ، وأثنيةٍ  
 سنِّيَّةٍ استفادتْ مِنْ حسنِ تلكَ الشمائلِ ، وتسليماتٍ زهْيَّةٍ يتلألُ في أرجاءِ  
 المودَّةِ سناها ، ويتفياُ في أنحاءِ الأفئدةِ ظلالُ معناها ، تُقدِّمُ وتُبدئُ ، وتُحِفُّ  
 وتُهدئُ ؛ إلى حضرةِ ذروةِ المجدِ الشامخِ ، وتاجِ هامةِ السعدِ والشرفِ الباذخِ ،  
 حسنةِ الدنيا ، وحليةِ المجدِ والعليا ، بدرِ المفاخرِ الذي أضاءتْ بهِ نواحيها ،  
 ومنارِ المآثرِ الذي اهتدى بِهِ ساريها ، ربِّ الهَمَمِ العوالي ، وسليلِ الأكارمِ  
 الأعالِي ، وبهجةِ الأيامِ والليالي ، وزينةِ المحامدِ والمعالي ، حرسَ اللهُ  
 بهجتهُ ، وأدامَ [ مهجتهُ ] ، وحمى حماهُ ، ورعى رعاياهُ ، ولا زالتْ ثغورُ الآمالِ  
 بوجودِهِ بواسمَ ، ورياحُ الإقبالِ بوفودِهِ نواسمَ .

**وبعدُ :** فقد وصلَ إليَّ كتابُكُم الكريمُ ، وتلقَّيتهُ بما ينبغي لَهُ مِنَ التَّكريمِ ،  
 فملاً العينَ قُرَّةً ، والقلبَ مَسرَّةً ، والنفسَ ارتياحاً ، والصَّدْرَ انشراحاً ، واجتليتْ  
 مِنْهُ روضةً بلاغةٍ أزهرتْ نجومُها ، وسماءَ فصاحةٍ أسفرتْ نجومُها ، واغتنمتُ  
 مِنْ براعاتِ عباراتِهِ الفائقةِ مزيدَ المَسرَّاتِ ؛ بما ابتدئتموه مِنْ حسنِ الميلِ إليَّ

وبديع الالتفات ، وشكرت المولى العظيم ، على صحّة ذلك المزاج الكريم ،  
وهذا المحبّ في صحّة وعافية ، ونعمة من الله وافية ، فنسأله ونبتهل إليه  
سبحانه أن يديم علينا وعليكم إحسانه ، آمين .

### [ مقالة من أهل الصعيد لوليّ النعم الخديويّ السعيد ]

وكتب صورة مقالة تُقدّم من أهل الصعيد لوليّ النعم :

يا ملك الملوك ، وربّ العظمة والجبروت ؛ نحمدك على سوابق  
نعمائك ، وسوابغ آلائك ، ونُصلي ونُسلم على خير أنبيائك ، وواسطة عقد  
أصفيائك ، ونشكرك على ما ألهمته حضرة أمير المؤمنين ، وخليفة رسولك  
الأمين ، وظلك الممدود على مفارق العالمين ؛ من تحويل وراثته مصر إلى  
نسل عزيزها الأفخم ، وتخويل أهلها بهذه المنّة الكبرى جلائل النعم  
والفضل الأعم .

وهذا شيء طالما لهجت به ألسنتنا ، وامتدّت إلى أنظاره أعيننا ، واشتغلت  
به خواطرنا ، واشتملت عليه سرائرنا ، فدلّت عليها ظواهرنا ، وما ذاك إلا  
من فرط حبنا لأوطاننا السعيدة ووليّ أمرها ، وعلمنا بما يترتب على تلك  
البغية الحميدة لهذه الديار من اتساع خيرها ، وامتناع ضيرها وارتفاع قدرها ،  
واستكمال أسباب غناها وفخرها ، وتماديها في التقدّم والتمكّن ، وترقيها في  
درجات حسن التمدّن ، ومعمورية بلدانها ، ورفاهية سكّانها ، إلى غير ذلك  
من ثمرات نافعة ، ومحاسن بارعة ، نرى العزيز - أدام الله بقاءه ، وخلّد في  
ملكه أبناءه - لا يزال آخذاً في أسبابها ، متوصلاً إليها من خير بابها .

ولعلّ الله جلّت حكمته ، وعلت كلمته ؛ ما اختصّ هذا الجناح الخديويّ  
بتلك المزيّة العالية بعد ما تداولته على تمنيها الأعصر الخالية ، وسلّت دون

تعاطيه الأيدي المتناولة ، وقصرت عن ترجيها الهمم المتطاولة .. إلّا لِمَا  
جُبِلَ عليه جنبه الكريم ، وجُعِلَ حلية طبعه السليم ؛ مِنْ حَبِّ الخَيْرِ والنفعِ  
للخاصّةِ والعامةِ ، وبذلٍ في تقدّمِ هذه الأوطانِ مزيدَ الهممِ التامةِ .

ونحنُ لو أردنا بيانَ ما استفدناه مِنَ الشُّرورِ ، والحِظِّ والحُبورِ ، والأنسِ  
والحضورِ ، لهذا الأمرِ المبرورِ .. لوجدنا كلّ عبارةٍ قاصرةً عن المَرَامِ ، وكلّ  
براعةٍ مُقصّرةً عن إيفاءِ حقِّ هذا المَقامِ .

فنسألكَ اللهمَّ لأميرِ المؤمنينَ نصراً على العدا ، وملكاً يبقى أبداً  
سرمداً ، ولا ينتهي إلى مدى ، ونستوهبكَ لعزیزنا الأكرمِ ، ووليِّ نعمتنا  
المُعظَّمِ ؛ طولَ عمرٍ يتمتّع فيه بدوامِ إقباله ، مسروراً بنجاحِ أعماله ،  
وبلوغِ آماله ، وصحةِ أنجاله ، ما تحلّى الأفقُ بحليةِ هلاله ، وتجلّى البدنُ  
في حُلّةِ كماله .

### [ فرمان بتنصيب محافظ ]

وممّا كتبه صورةً فرمانٍ بنصبِ محافظ :

صدرَ هذا فرمانُ المُطاع ، الواجبُ لَهُ القبولُ والاتباعُ ، خطاباً إلى الحُكّامِ  
والعلماءِ ، والقضاةِ والأعيانِ ، والوجوهِ والعمدِ ومشايخِ البلدانِ ، وعمومِ  
الأهاليِ المُتوطنينَ في محافظةِ كذا بجهاتِ الشُّودانِ :

ليكنَ معلوماً لديكم ، بوصولِ هذا المنشورِ إليكم ؛ أَنَّهُ قدِ اقتضتْ إرادتنا  
تنصيبَ فلانٍ محافظاً عليكم ؛ لِمَا تَوَسَّمناهُ فيه مِنَ الدِّرايةِ والاستعدادِ ،  
والسلوكِ في طرقِ الرشادِ ، وبذلِ الهِمّةِ في أمورِ المصلحةِ ومزيدِ الاجتهادِ ،  
فامثلوا أوامرَهُ التي تصدرُ في صالحِ المصلحةِ ، واجتنبوا نواهيَهُ ، واجتهدوا  
فيما يعودُ به عليكم مزيدَ العماريةِ ؛ لتنالوا حسنَ الرفاهيةِ ، واعملوا بقوله



تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ لتفوزوا بزيادة التفاتنا إليكم ، ورضانا عنكم .

وأنت - أيها المحافظ - قد علمت ما لدينا من الشغفِ باتساع دائرة المدنية ، وحصول الخير لجميع أهل هذه الديار الوطنية ، والميل إلى دوام راحة العباد ، وتأمين السبل وتمدين البلاد ، فعليك برعاية ما يلزم لذلك ، واسلك في إدارة أشغال هذه المحافظة أحسن المسالك ، ودم على العدل والإنصاف ، واحذر من الظلم والإجحاف ، وانظر إلى قوله عليه السلام لأُمَّتِهِ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » <sup>(٢)</sup> ، ولتكن مُهْتَمًّا بتحصيل حقوق المصلحة في أوقاتها ، ورؤية جميع الأشغال على أحسن حالاتها ؛ ليدوم حسن أنظارنا عليك ، وتفوز بمزيد التفاتنا إليك ، اعلم ذلك واعمل به ، واحذر من مخالفة موجبه .

[ مِمَّا كَتَبَهُ الْوَزِيرُ فِكْرِي بَك لِبَعْضِهِمْ ]

وَمِمَّا كَتَبَهُ لِبَعْضِهِمْ :

سلام يُعَبِّرُ عن الوداد طيب عبيره ، ويُخَبِّرُ عن إخلاص الفؤاد لطف تعبيره ، وثناء على محاسن تلك الشمائل ، أرق من نسمة الشمائل ، وتحيّة بهيّة تباهي الخمائل بنفحات أورادها ، وأدعية مرضيّة جعلتها الألسنة خير أورادها ، وسؤال عن المزاج الزاهر ، وصحة خاطر الباهر ، لا زلتم محلّ نعمة يتصل على مدى الأيام بقاؤها ، ويزيد على مَرِّ الشهور والأعوام بهاؤها ، ولا برحت ثغور الإقبال إليكم بواسم ، ورياح الآمال لديكم نواسم ،

(١) سورة النساء : ( ٥٩ ) .

(٢) أخرجه البخاري ( ٨٩٣ ) ، ومسلم ( ١٨٢٩ ) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

ولا انفكَّتِ الأيامُ والليالي مُتقلِّدَةً بحلاكم أجياؤها ، والمعالي متسابقةً إلى ساحةِ حماكم جياؤها ، آمين .

**وبعد :** فإنَّ بي مِنَ الأشواقِ ما تَضَعُفُ عن حملِهِ إلى حماكم الأوراقُ ، وَمِنَ التأسَفِ على ما حرَّمْتُهُ مِنْ لِقياكم ، والتلهُّفِ إلى مطالعةِ أنوارِ مُحياكم ، ما يقصُرُ عن وصفِهِ لسانُ اليراعةِ ، ويقصُرُ دونَ وصفِهِ بيانُ البراعةِ ، ويضيقُ عنه نطاقُ العبارةِ ، ولا ينفسُحُ لَهُ ميدانُ الإشارةِ ، وإنَّ في ضميرِكم الأجلَى ، ونورِ فكرِكم الأعلى ، ما يكفي في الدلالةِ ، ويغني عن الإطالةِ في المقالةِ .

وإن تَفَضَّلْتُمْ بالسؤالِ ، فإنَّا بحمدِ اللهِ قد بلغنا الآمالَ ، والجميعُ في صحَّةٍ وعافيةٍ وحسنِ حالٍ ، والكلُّ مشتاقونَ إليكم ، ويُسلِّمونَ عليكم ، وعبدُ اللهِ فكري يُقبِلُ يديكم .

وأيضاً الشوقُ إلى لقياكم ، واجتلاءُ نورِ مُحياكم ، تَضَعُفُ عن نقلِهِ حمائمُ الرسائلِ ، ولا يحتاجُ في إثباتِهِ [ للحججِ ] والدلائلُ ، فاللهُ يطوي شقَّةَ البينِ ، ويقرُّ بكم العينَ ، ويُمَتِّعني ببقائكم ، وطيبِ لقاءكم .

وقد وردَ خطُّكم الكريمُ فسرَّ أنفساً تعرِّفُهُ وتألِّفُهُ ، وأقرَّ أعيناً لا تزالُ تترقَّبُهُ وتتشَوِّفُهُ ، وقد كانَ مرَّ بخاطري وخطرَ لفكري أن أسابقَ سيدي ومولاي برسالةٍ أشكو فيها لواجعِ البعادِ ، وأقضي بها بعضَ الفروضِ الواجبةِ مِنْ حقوقِ الودادِ ، ولكنَّ أبى اللهُ إلّا أن يكونَ سيدي هوَ السابقَ لتلكَ الفضيلةِ ، والبادئَ بهذه المَكْرُمةِ الجميلةِ ، وأن أكونَ المُقَصِّرَ في جنبِ تَطَوُّلِهِ ، والمُفَرِّطَ في جانبِ تَفَضُّلِهِ ، على أنِّي لم أكنْ مُقَصِّراً في دعاءِ يَصْحَبُهُ الحبُّ ويرافقُهُ الإخلاصُ ، وثناءِ على محاسنِ تلكَ الشمائلِ أوجبَهُ مزيدُ الاختصاصِ ، وسؤالٍ عن ذلكَ الخاطرِ الزاهرِ أَسْتَقْبِلُ بِهِ كلَّ واردةٍ ،

وَأَشِيعُ كُلَّ صَادِرٍ ، وَالْأَمَلُ اتِّصَالُ مَا يَطْمَنُّ بِهِ الْفَوَادُ ، مِنْ رَسَائِلِ الْوَدَادِ ،  
حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمَدُ الْبِعَادِ ، ذَلِكَ غَايَةُ الْمَرَادِ .

قَوْلُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ : ( **حَمَائِمُ الرِّسَائِلِ** ) يُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ فِي سَالِفِ  
الزَّمَانِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْحَمَامِ فِي إِيْصَالِ الْكُتُبِ الَّتِي يُرَادُ سُرْعَةُ وَصُولِهَا  
إِلَى الْأَمَكَةِ الْبَعِيدَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا عَرَفُوا فِي الْحَمَامِ خَاصَّةً الْأَلْفَةَ  
لِمَوْضِعِهِ ، وَاهْتِدَائِهِ لَهُ إِذَا أَبْعَدَ عَنْهُ ، وَعَرَفُوا مِنْهُ نَوْعاً قَوِيَّتَ فِيهِ تِلْكَ  
الْخَاصَّةُ . . رَتَّبُوا أَبْرَاجاً بَيْنَ النُّوَاحِي الْمَتَبَاعِدَةِ ؛ كَمَصْرَ وَالشَّامِ وَبَغْدَادَ ،  
وَاتَّخَذُوا لِكُلِّ بَرَجٍ حَمَاماً رَبَّوهُ فِيهِ حَتَّى أَلْفَهُ ، وَكَانُوا يَنْقَلِبُونَ حَمَامَ كُلِّ  
بَرَجٍ إِلَى مَا يَلِيهِ ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَوْصِلُوا الْكِتَابَ . . عَلَّقُوهُ فِي جَنَاحِهِ  
وَأَرْسَلُوهُ ، فَيَتَلَقَّاهُ الْمُوظَّفُونَ لِأَخْذِ الْكُتُبِ مِنْهُ عِنْدَ وَصُولِهِ إِلَى بَرَجِهِ ،  
وَيُعَلِّقُونَهُ فِي جَنَاحِ حَمَامِ الْبَرَجِ الْآخَرِ ، وَهَكَذَا ، فَكَانَ يَصُلُّ الْكِتَابُ إِلَى  
الْمَقْصِدِ فِي زَمَنِ لَا يُمْكِنُ لِلْبَرِيدِ ، وَكَانَ لِلْحَمَامِ دِيْوَانٌ لَهُ رُؤَسَاءُ وَخُدَمٌ ،  
وَكَانَ مِنَ الْمَصَالِحِ الْمُهِمَّةِ ، وَأَغْنَى عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ فِي زَمَانِنَا هَذَا ذَلِكَ  
السُّلُوكُ الْمَمْدُودُ عَلَى ذَلِكَ الْخَشْبِ الْمَنْصُوبِ ، الَّذِي صَارَ شَبَكَةً عَلَى  
الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ .

### [ كِتَابُ مَنْ الْحَضْرَةِ الْخَدْيَوِيَّةِ إِلَى سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ ]

وَكُتِبَ لِسُلْطَانِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْحَضْرَةِ الْخَدْيَوِيَّةِ جَوَاباً عَنْ كِتَابٍ :

قُرَّةُ نَوَاطِرِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ، وَغَرَّةُ مَفَاخِرِ الْمَلِكِ وَالْعَلِيَا ، وَبَدْرُ مَطَالِعِ السَّعْدِ  
الْمَشْرِقَةِ أَزْمَانُهُ بِالْأَلَاءِ ، وَذَخْرُ مَجَامِعِ الْمَجْدِ الْمُرَوِّقَةِ أَفْنَانُهُ بِالْأَلَاءِ ، الْقَائِمُ  
بَأَمْرِ الدِّينِ الْحَنِيفِ ، وَحَامِي حَمَى الْمَلِكِ الْمَنِيفِ ، مَاحِي ظُلْمِ الظُّلَمِ وَمُبَدِّدُ  
مَرَاثِمِهِ ، وَرَافِعُ لَوَاءِ الْعَدْلِ وَمُجَدِّدُ مَعَالِمِهِ ، ذُرْوَةُ هَامَةِ الشَّرَفِ الْأَسْمَى ،  
وَمَنْ تَبَاهَى بِحِلَاةِ النُّعُوتِ وَالْأَسْمَا ، الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ ، السُّلْطَانُ الْمُفَخَّخُ ،

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالذَّيَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ ، دَامَتْ مُحَفُوفَةً بِالرَّعَايَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، مُحَفُوفَةً  
بِالْوَقَايَةِ الْأَحَدِيَّةِ ، مُلْحُوظَةً بِعَيْنِ الْعَنَاءِ الصَّمَدِيَّةِ ، وَلَا بَرَحَتْ أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ  
مُتَبَاهِيَةً بِاسْمِهِ الْكَرِيمِ ، وَأَجْيَادُ الْمَفَاخِرِ حَالِيَةً بِمَجْدِهِ الْقَدِيمِ ، وَلَا زَالَتْ  
سُدَّتُهُ الْكَرِيمَةُ مَحَلَّ إِجْلَالٍ وَتَفْخِيمٍ .

سَلَامٌ يَسْتَتَبِعُ مَزِيدَ التَّكْرِيمِ ، وَيَسْتَجْمِعُ صُنُوفَ التَّجْجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ ،  
وَأَدْعِيَةٌ بِهَيْئَةٍ تَتَمَسَّكُ بِأَذْيَالِ الْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ ، وَأَثْنِيَّةٌ سَنِيَّةٌ تَتَمَسَّكُ بِهَا نَفْحَةُ  
الصَّبَا وَالْقَبُولِ <sup>(١)</sup> ، يُهْدِي لَذَلِكَ الْمَقَامِ الْأَرْفَعَ ، وَالْحَمَى الْأَعْلَى الْأَعَزَّ الْأَمْنَعِ  
- أَدَامَهُ اللَّهُ - مُورِدَ قَبُولٍ وَإِقْبَالٍ ، وَمَعْهَدَ فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ ، وَلَا زَالَتْ أُنْدِيَّتُهُ  
مَعْمُورَةً بِالْعَزِّ وَالتَّمَكِينِ ، وَالْوَيْتَةُ مَنشُورَةً بِالنَّصْرِ الْمَيِينِ .

**وبعد :** فَقَدْ حَظَيْتُ بُورُودَ مُشْرِفِكُمُ الْعَالِي ، وَقَرَّتْ بِمُطَالَعَتِهِ عَيُونُ آمَالِي ،  
وَشَكَرْتُ لِمَا تَفَضَّلْتُمْ بِإِبْدَائِهِ ، وَسُرِرْتُ بِمَا تَطَوَّلْتُمْ بِإِهْدَائِهِ ، وَاعْتَبَطْتُ بِمَا  
تَكْرَمْتُمْ بِحَسَنِ بَيَانِهِ ؛ مِنْ تَأْكِيدِ الْوَدِّ الْقَدِيمِ وَتَشْيِيدِ بَنِيَانِهِ ، وَالتَّهْنِئَةِ بِمَا  
تَجَدَّدَ لَدَيَّ ، مِنْ نَعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ ، فَكَانَ نَزْهَةُ النِّوَاطِرِ ، وَبَهْجَةُ الْخَوَاطِرِ ،  
وَبَغِيَّةُ الْقَرَائِحِ ، وَمَسْرَّةُ الْجَوَانِحِ .

**هَذَا ؛** وَإِنِّي مَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَحَادِيثَ عِلَاقِكُمْ مُتَّصِلَةَ الْإِسْنَادِ ، فَأَطْرُبُ  
عَلَى السَّمَاعِ ، وَأَنْشُرُ مِنْ مَدَائِحِ مُحَامِدِكُمْ مَا تَتَعَطَّرُ بِهِ الْأَفْوَاهُ وَالْأَسْمَاعُ ،  
وَأَعْتَدُ مَوَدَّتِكُمْ غَنِيمَةَ النَّفْسِ وَمَنَاهَا ، وَمُصَافَاتِكُمْ غَايَةَ الْآمَالِ وَنَهَايَةَ مَدَاهَا ،  
فَقَدْ شَاعَ مِنْ مُحَاسِنِ شِمَائِلِكُمُ السَّامِيَةِ ، وَغُرَّرَ مَزَايَاكُمُ الْكَرِيمَةِ وَجَلَائِلِ  
فَضَائِلِكُمُ النَّامِيَةِ ، وَقِيَامِكُمْ بِأَمْرِ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَاهْتِمَامِكُمْ بِتَأْيِيدِ هَذِهِ  
الْمِلَّةِ الْمَنِيفَةِ ، وَنَشْرِ أَنْوَاعِ الْعَدْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَالْقِيَامِ عَلَى أَقْدَامِ الْإِقْدَامِ  
فِي مَنَاهِجِ السَّدَادِ . . مَا تَنَاقَلَتْهُ السُّمَارُ فِي أَسْمَارِهَا ، وَسَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ

(١) الصَّبَا وَالْقَبُولُ : اسْمَانِ لِرَبِيحٍ تَقَابُلِ الدُّبُورِ .

في أسفارها ، وَخَلَدَتْهُ الأَيَّامُ في أسفارها ، وَأَحْجَلَ الشَّمْسُ الضَّاحِيَةَ في  
إسفارها ، حَتَّى أَصْبَحَتِ اللَّيَالِي مُتَبَاهِيَةً بِعَلاهُ ، حَالِيَةً بِحَلاهُ ، وَصَارَ مُصَدِّقُ  
الحَدِيثِ الْوَارِدِ في الطَّائِفَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَأَبْقَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ سَاعِدًا  
وَعُضْدًا ، وَلِلدِّينِ قُوَّةً وَمَدَدًا ، وَلِلْأَنَامِ رِكَنًا وَسِنْدًا ، وَلِلْحَقِّ عِمَادًا وَمُعْتَمَدًا ،  
وَأَدَامَ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْنَا نِعْمَهُ بَاطِنَةً وَظَاهِرَةً ، وَحَفَّنَا وَإِيَّاكُمْ بِعَوْنِهِ وَعَنَانِيَّتِهِ ، في  
الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

### [ كِتَابُ إِلَى سُلْطَانِ زَنْجِبَار ]

#### وَكُتِبَ لِسُلْطَانِ زَنْجِبَار :

الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ ، وَالسُّلْطَانُ الْمُفَخِّخُ ، سُلْطَانُ جَزِيرَةِ زَنْجِبَار ، صَانِهَا اللَّهُ  
تَعَالَى مِنَ الْأَكْدَارِ ، سَلَامٌ يُسْفِرُ عَنْ إِخْلَاصِ الْمَوَدَّةِ سَنَاهُ ، وَثَنَاءٌ يُخْبِرُ عَنْ  
صَدَقِ الْمَحَبَّةِ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ ، وَتَحِيَّةٌ تَتَمَسَّكُ بِنَفَحَاتِهَا الْمُحَافِلُ ، وَتَتَمَسَّكُ  
بَأَذْيَالِهَا نَسَمَاتُ الشَّمَائِلِ ، إِلَى حَضْرَةِ خِلَاصَةِ الْأُمَاجِدِ الْأَكَارِمِ ، وَيَنْبُوعِ  
الْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ ، مَفْخَرِ الْمَلِكِ وَالْعَلِيَا ، وَإِنْسَانِ عَيْنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ،  
مَنْ أَشْرَقَتْ صَفَحَاتُ الْأَيَّامِ بِنُورِ إِقْبَالِهِ ، وَاتَّفَقَتْ كَلِمَاتُ الْأَنَامِ عَلَى شُكْرِ  
خِلَالِهِ ، وَقَرَّتْ بِسَعُودِهِ النُّوَاضِرُ ، وَتَرَنَّنَتْ بِوُجُودِهِ أَعْوَادُ الْمُنَابِرِ ، فَكَأَنَّهَا  
الْغُصُونُ النُّوَاضِرُ ، الْأَجَلُّ الْأَكْرَمُ ، الْأَسْعَدُ الْأَمْجَدُ الْأَفْخَمُ ، الْمُشَارُ إِلَيْهِ  
أَعْلَاهُ ، حَرَسَ اللَّهُ عَلاَهُ .

وَلَا زَالَتْ تُغَوِّرُ الْمَلِكِ بِمَعَالِيهِ بِاسْمَةٍ ، وَرِيَاخُ السَّعْدِ فِي نَوَادِيهِ نَاسِمَةً ،  
وَعَيُونُ الْخُطُوبِ عَنْ سِدَّتِهِ نَائِمَةً ، وَغِيوُثُ الشُّرُورِ فِي سَاحَتِهِ دَائِمَةً ،  
أَمِينَ .

**وبعد :** فَقَدْ وَصَلَ إِلَيَّ مُشْرِفُكُمْ الْكَرِيمُ ، وَتَلَقَّيْتُهُ بِمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ التَّكْرِيمِ ،  
فَحَصَلَ لِي مَزِيدُ الْمَسْرَةِ ، بِصَحَّةِ مِزَاجِ تِلْكَ الْحَضْرَةِ ، وَأَخْبَرَنِي أَيْضًا فَلَانُ



قبودان سفينتنا الإبراهيمية<sup>(١)</sup> ، أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى جَهَةِ مَمْلَكَتِكُمُ الْمَحْمِيَّةِ . .  
 حظيَ مِنْ جَنَابِكُمُ الْعَالِي بِحَسَنِ التَّشْرِيفِ ، وَحَصَلَ لَهُ غَايَةُ الْمُسَاعَدَةِ وَنَهَايَةُ  
 التَّلْطِيفِ ، وَشَرَحَ لَدَيَّ مَا نَالَهُ هُنَاكَ مِنْ صُنُوفِ الْاِلْتِفَاتِ وَالْإِسْعَادِ ، وَأَوْصَلَ  
 إِلَيَّ أَيْضاً مِنْ طَرَفِكُمُ الشَّرِيفِ فَرَسَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ مِنَ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ ، فَأَحَاطَ  
 بِي مِنَ السُّرُورِ وَالْإِبْتِهَاجِ بِمَا أَبْدَيْتُمُوهُ مِنْ مَعَالِي هِمَمِكُمُ ، وَلَا سِيَّما مَا  
 تَكْرَّمْتُمْ بِهِ مِنْ تَشْرِيفِ تِلْكَ السَّفِينَةِ بِقُدُومِ قَدَمِكُمُ ، مَا يَقْصُرُ فِي وَصْفِهِ  
 اللِّسَانُ ، وَيَقْصُرُ عَنْ تَعْرِيفِهِ بِنَاؤُ الْبَيَانِ ، وَيَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ التَّعْبِيرِ ، وَلَا  
 يَنْفَسُحُ لَهُ مَجَالُ التَّقْرِيرِ وَالتَّحْرِيرِ ، فَشَكَرَ اللَّهُ تِلْكَ الْهِمَمَ الْعَوَالِيَّ ، وَأَبْقَاهَا  
 مَا دَامَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي .

وهذا المُحِبُّ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي صَحَّةٍ وَعَافِيَةٍ ، وَنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَافِيَةٍ ،  
 وَلَا زَالَ مَشْمُولَ الْقَلْبِ بِالْمَوَدَّةِ إِلَيْكُمُ ، مَشْغُولَ اللِّسَانِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكُمُ ،  
 مُحَافِظاً عَلَى صَدَقِ الْمَوَالَاةِ وَالْوُدَادِ ، مُوَاضِئاً عَلَى حَسَنِ الْمُصَافَاةِ وَمَزِيدِ  
 الْاِتِّحَادِ ، وَالْمَرْجُوُّ أَنْ يَتَّصَلَ ذَلِكَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ عَلَى الدَّوَامِ ، وَكُلُّ مَا لَزِمَ مِنْ  
 هَذَا الْجَانِبِ فَهُوَ رَهِيْنُ الْإِشَارَةِ وَالسَّلَامِ .

### [ فَرْمَانٌ مِنَ الْحَضْرَةِ الْخَدْيَوِيَّةِ ]

وَمِمَّا كَتَبَهُ فَرْمَانٌ مِنَ الْحَضْرَةِ الْخَدْيَوِيَّةِ :

قَدْ صَدَرَ هَذَا الْفَرْمَانُ الْإِلَازِمُ طَاعَتُهُ ، الْوَاجِبُ امْتِثَالُهُ وَمَتَابَعَتُهُ ، خُطَاباً  
 إِلَى كَافَّةِ الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ ، وَالْمُعَاوَنِينَ وَنُظَّارِ الْأَقْسَامِ ، وَسَائِرِ الْمُعَاوَنِينَ  
 وَالْمَشَايخِ وَالْعَمَدِ وَالْمُسْتَخْدَمِينَ بِمَدِيرِيَّةِ كَذَا زَيْدٍ قَدَرُهُمْ :  
 لِيَكُنْ مَعْلُوماً لَدَيْكُمُ ، بِوُصُولِ أَمْرِنَا هَذَا إِلَيْكُمُ ؛ أَنَّنَا جَعَلْنَا فَلَاناً مُدِيرًا

(١) قبودان السفينة : رُبَّانَهَا ، لَفْظَةٌ تَرْكِيَّةٌ .

عليكم ؛ لِمَا رَأَيْنَاهُ فِيهِ مِنَ الْأَهْلِيَّةِ ، وَالصَّدَاقَةِ وَحَسَنِ الرَّوِيَّةِ ، فامْتثلوا أوامره  
على الأصول المَرَعِيَّةِ ، وبادروا بأداء [ أَشْغَالِ ] المديرية ؛ لتفوزوا بزيادة  
التفاتنا إليكم ، ورضانا عنكم ، وقد علمتم قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

وأنت أيها المدير المومناً إليه ، المَعُولُ في حسن إدارة هذه المديرية عليه ؛  
قد علمت رغبتنا في البرِّ والسَّدادِ ، واتباع سبيل الرشادِ ، وعمارة البلادِ ، وراحة  
العبادِ ، ونشرِ لواءِ الأمنِ والأمانِ ، في جميع القرى والبلدانِ ، وَمَحَبَّتِنَا للعدلِ  
وأهلِهِ ، وكرهاتنا للظلمِ وفعلِهِ ، وشغفنا برفاهية الرعية ، وحسنِ حالِ البرية ،  
الذين هُم وديعةُ ذي الجلالِ والإكرامِ ، في أيدي الولاةِ والحُكَّامِ ، فاعمل أنت  
أيضاً على حَسَبِ ذَلِكَ ، سالكاً في جميع أحوالكِ أحسنَ المسالكِ ، واجتهد  
في حسنِ الإدارةِ ، وتيسيرِ أمورِ الزراعةِ والصَّنَاعَةِ والتجارةِ ، ومزيدِ التمدُّنِ  
والعمارةِ ، وتأمينِ الطُّرُقِ والجهاتِ ، في جميع الحالاتِ والأوقاتِ ، وصيانةِ  
الأجانبِ المُتوطِّنينَ في المديريةِ والمُتردِّدينَ عليها ، والأهالي المقيمينَ  
بها والواردينَ إليها ، وحسنِ نهوِ القضايا وفصلِها ، وتوصيلِ الحقوقِ إلى  
أهلِها ، وأداءِ الأشغالِ الميريَّةِ ، وإدارةِ أمورِ المديريةِ ، على حَسَبِ الأصولِ  
المعتبرةِ ، والقواعدِ المُقرَّرةِ ، ودُمَّ على الاستقامةِ ، والصَّدَاقَةِ التامَّةِ ، والعدلِ  
بينَ الخاصَّةِ والعامةِ ؛ فَإِنَّ العَدْلَ سببُ السلامةِ ، والظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ ،  
فقم على أقدامِ الإقدامِ ، وشمِّرْ عن ساعدِ الاهتمامِ ، في إجراءِ ما شرحناه على  
الدَّوامِ ، باذلاً كُلَّ جهْدِكَ واستطاعتِكَ ، كما هو المأمولُ في حسنِ براءتِكَ ؛  
لتنالَ زيادةَ التفاتنا إليك ، ودوامَ إقبالنا عليك .

وليسلك أيضاً الجميعُ على هذا المنهجِ البديعِ ، وليسْعُوا في إجراءِ ما

(١) سورة النساء : ( ٥٩ ) .

شرحنا ، ويساعدوا في إنفاذ ما أوضحنا ، فبادروا بامثال هذا الواجب ،  
وليبغ الحاضر منكم الغائب ، نسأل الله الإعانة والعناية ، وحسن الهداية في  
البداية والنهاية .

[ كتاب من الحضرة الخديوية إلى من بجزيرة كريد ]

[ من العساكر المصرية ]

وكتب إلى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية ، من طرف الجناح  
الخديوي ليقراً عليهم :

لقد علم لدينا بما ورد إلينا من جرنال الوقعات العسكرية ، وما أوضحه  
أيضاً فلان باشا في معروضاته الشفاهية ؛ ممّا رآه بالعيان ، ورواه بالبيان ..  
تفصيل ما وقع من الحروب والغزوات ، في نواحي أبوقرون وما يليها من  
الجهات ، وأحطنا بما أبدىتم من الإقدام والشجاعة ، وما أدّىتم من الاهتمام  
والبراعة ، وما كان منكم من ثبات الجأش والقلب ، في مواقع الضرب  
ومعاصر الحرب ، وما شاهدته منكم الأعين ، وشهدت لكم به الألسن ؛  
من الهجوم على الجبال الوعرة ، واقتحام المحال العسرة ، وإظهار البأس  
والصولة ، في تأييد الملة والدولة ، وتبديد من لقيتم من جنود العصاة  
البغاة ، وتسخير ما كانوا متمكنين به ومُتحصنين فيه من المحلات ،  
وتبديد ما أحكموا من استحكاماتهم ، وتبديد من أقدموا من طغاتهم ،  
فأحاط بي من السُرور ، وكمال الأنس والحبور ، ومزيد الحظّ الموفور ..  
ما ملأ الجوانح انشراحاً ، والجوارح طرباً وارتياحاً ، وأظهر حسن اعتقادي  
في شجاعتكم القلبية ، وبراعتكم الحربية ، وغيرتكم المليّة ، وحميتكم  
الجبليّة ، وشفقتكم بإعلاء شأن الوطن ، وإبقاء الذكر الجميل والصيت  
الحسن .

وَأَكَّدَ ذَلِكَ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَنَامُ ، مِنْ سَوَالِفِ الْأَيَّامِ ، لِلْعَسَاكِرِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَضَبَاطِهَا الْجِهَادِيَّةِ ؛ مِنْ قَدَمِ الصِّدْقِ فِي الْحُرُوبِ ، وَحَسَنِ السَّابِقَةِ فِي الْخُطُوبِ ، وَثَبَاتِ الْقَدَمِ وَالْجَنَانِ ، إِذَا طَاشَ قَدَمُ الْهَلُوعِ وَطَارَ قَلْبُ الْجَبَانِ ؛ فَإِنَّهُمْ خَلَدُوا فِي أَوْرَاقِ اللَّيَالِي عِلَاهُمْ ، وَقَلَّدُوا فِي أَعْنَاقِ الْمَعَالِي حِلَاهُمْ ، بِمَا لَهُمْ مِنَ الْوَقَائِعِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْمَوَاقِفِ الْمَشْكُورَةِ ، وَقُوَّةِ الْبَاسِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَشِدَّةِ الصَّوْلَةِ وَالْبَسَالَةِ فِي مَوَاقِفِ الْهَيْجَاءِ ، وَمَا بَنَوْهُ مِنْ مَنَارِ الْفَخْرِ وَالْمَجْدِ عَلَى أَسَاسِ الشَّرَفِ وَالْمَظْهَرِ ، وَمَا اجْتَنَوْهُ مِنْ ثِمَرَاتِ النُّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِتَشْيِيدِ مَا بَنَتْهُ إِخْوَانُكُمْ الْأَوَّلُ ، وَتَأْيِيدِ مَا شَاعَ لَهُمْ مِنَ الْفَخْرِ وَالشَّهْرَةِ عِنْدَ جَمِيعِ الدُّوَلِ .

ثُمَّ إِنَّكُمْ إِذَا أَمَعَنْتُمْ الْفِكْرَ الثَّاقِبَ ، وَتَبَيَّنْتُمْ النُّظَرَ الصَّائِبَ ، وَتَفَكَّرْتُمْ فِي أَعْقَابِ الْأُمُورِ وَمَصَايِرِهَا ، وَتَدَبَّرْتُمْ فِي مَوَارِدِ الْأَحْوَالِ وَمَصَادِرِهَا . . عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ إِذَا أَثَبْتُمْ ذَلِكَ الصِّيتَ الْمَمْدُوحَ ، وَاكَتَسَبْتُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى النُّصْرَ وَالْفَتْوحَ . . كَانَ لَكُمْ ذَلِكَ افْتِخَارًا بَيْنَ أَقْرَانِكُمْ ، وَسُرُورًا لِأَهْلِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ ؛ فَإِنَّ الْأَخْبَارَ تَتَنَاقَلُهَا الرُّوَاةُ ، وَتَتَوَاصَلُ بِالْمَكَاتِبَاتِ وَالْأَفْوَاهِ .

ثُمَّ لِيَكُنْ عَلَى بَالٍ مِنْكُمْ ، وَلَا يَغِبْ طَرْفَةً عَيْنٍ عَنْكُمْ : أَنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ الَّتِي أَنْتُمْ لَدَيْهَا ، وَالْجِبَالَ وَالْأَوْدِيَةَ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا وَحَوَالِيهَا . . كَمْ سَبَقَ فِيهَا مِنْ غَزْوَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَوَقْعَةٍ جَسِيمَةٍ ، وَوَقْفَةٍ كَرِيمَةٍ ؛ لِإِخْوَانِكُمُ الْأَوَّلِينَ ، مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَصْرِيِّينَ ، أَبْرَزُوا فِيهَا شَرَفَ الرَّايَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، وَأَظْهَرُوا مَآثِرَ النُّجْدَةِ وَالْحَمِيَّةِ ، وَالْغَيْرَةِ الْوُطْنِيَّةِ ، حَتَّى سَارَتْ بِحَدِيثِ وَقَائِعِهِمُ الرِّكْبَانُ ، وَأَثْنَى عَلَى مُحَاسِنِ بَدَائِعِهِمْ كُلُّ لِسَانٍ ، فَمَا هُنَاكَ مِنْ بَقْعَةٍ إِلَّا وَفِيهَا وَقْعَةٌ ، وَلَا مِنْ مَوْطِئٍ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ أَرِيْقَ دَمٍ ، فَمَضَى مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ فَائِزًا بِالثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، وَعَادَ مَنْ بَقِيَ حَائِزًا لِلْفَخْرِ وَالنُّصْرِ .

وهأنتم من نسلهم وإخوانهم ، ومن أبناء أوطانهم ، وأنتم خير خلف ،  
لأولئك السلف ، كما أن هؤلاء العصاة نسل من كان بها من أهاليها ، وهذه  
الجزيرة التي أنتم بها هي بعينها التي كانوا فيها ، فمهما أقدمتم ونصرتم ،  
واقحمتم وظفرتم .. كان ذلك لمن بقي هنالك من أرواح الشهداء روحاً  
وريحاناً ، وتكرمة وإحساناً ، كما أنه يجعل لكم في جميع الآفاق شرفاً  
وشاناً ، ويمكن لكم بين الرفاق عزة ومكاناً ، ويقيم لكم على الشجاعة  
والبراعة دليلاً وبرهاناً .

ثم إنكم عند عودتكم بعون الله القوي المتين ، حاملين رايات الفتح  
المبين ، رافلين في حلل النصر والتمكين .. يكون لكم ذلك شرفاً سرمداً ،  
وافتخاراً تتحدثون به على المدى ، حتى إذا التقت عليكم المحافل ، واجتمع  
لديكم المستخبر والناقل .. كان لكم بذلك لسان ذلق ، وصوت صهلق ،  
وتجدون حينئذ للبراعة مقالاً ، وللفخر بالشجاعة مجالاً ، وترون لأقوالكم  
من يصدقها ، ولأخباركم من يحققها ، وهذه لذة الرجال ، ومزية الأبطال .

فهل للرجل فخر أعظم من هذا الحال ؟! وهل له فضل على المرأة  
إلا بإقدامه على الخطوب واقتحامه الأهوال ؟! وهل يتميز الشجاع الصنديد  
من الجبان الرعيد إلا في مواقف القتال ، ومواقع الحرب والنزال ؟! وهل  
للعسكري شرف يكتسبه إلا بين البنادق والمدافع ، وهل له فخر يذكره أو  
يذكر به إلا بما يبدية في تلك الوقائع ؟! وهل [ للكريم ] الحر أرب في الحياة  
إلا لفخر يقتنيه ؛ بصعب يرتقيه ، وذكر جميل يبقيه ، بأثر جليل يبدية ؟! فإذا  
العسكري لم يكتسب الفخر في مجال الحروب .. فأني فرصة يترقبها ؟! وأي  
حالة يتطلبها لاستحصال ذلك المرغوب ؟!

وإني ما اخترتكم لهذا الأمر العظيم .. إلا لإعلاء شأن الوطن الكريم ،



وإعلان ما لكم مِنَ الصَّيِّتِ والفخرِ القديمِ ؛ لحسنِ اعتقادي في صغيرِكم وكبيرِكم ، وحسنِ نظري في مأمورِكم وأميرِكم ، وقد لَاحَ مِنْ مساعيكم ، تأييدُ ما أملتُهُ فيكم ، وظهرتْ بحمدِ اللهِ بشائرُ النجاحِ ، وسفرتْ أشائرُ الظَّفَرِ والفلاحِ ، وإنَّما الأعمالُ بخواتيمِها ، وثمراتُ الأمورِ في تميمِها ، ورجائي مِنْ مَنِ اللهِ العظيمةِ ، وألطفِهِ العَميمةِ .

ثمَّ أُملي في طويَّاتِكم السليمةِ ، ومساعيكم القويمةِ ؛ أن تكونَ العاقبةُ خيراً والختامُ حسناً ، وأن تفوزوا بالأجرِ والثنا ، وأن تدوموا على منهجِ السَّدادِ ، والاجتهادِ في الجهادِ ، والقيامِ على أقدامِ الإقدامِ ، وبذلِ الجِدِّ والجهِدِ والاهتمامِ ، حتَّى ينتهيَ الأمرُ ، ويستكملَ النصرُ ، ويزولَ أثرُ الاختلالِ ، وتستقرَّ الأحوالُ ، وتعودوا إن شاءَ اللهُ منصورينَ ، فرحينَ مسرورينَ ، مستبشرينَ بعنايةِ اللهِ العليَّةِ ، في ظلِّ السَّلطنةِ السَّنيةِ .

**واعلموا :** أنَّ جميعَ أخبارِكم تُنقلُ في جرنالِ الوقعاتِ ، فتُعلمُ لديَّ أحوالُكم في جميعِ الحركاتِ والسَّكناتِ ، حتَّى كأني مقيمٌ لديكم ، وحتَّى كأني أراكم وأنظرُ إليكم ، فكلُّ مَنْ فاقَ أقرانهُ في الحروبِ ، وأبدى مِنْ الإقدامِ والحميَّةِ ما هوَ المطلوبُ . . فلهُ ما يَسُرُّهُ مِنَ المكافآتِ ، وحسنِ التلطيفِ ومزيدِ الالتفاتِ .

فاعلموا ذلكَ واعملوا على حَسَبِهِ في كلِّ آنٍ ومكانٍ ، وأدُّوا مِنْ الإقدامِ والاهتمامِ غايةَ الاستطاعةِ ونهايةَ الإمكانِ ، وقد أصدرتُ أمري هذا إليكم إعلاماً بما حواه ، ودُستوراً يُعملُ بمقتضاهُ ، وإعلاناً لِمَسَرَّتِي مِنْ حسنِ صنعِكم ، وإيذاناً بفرحي وابتهاجي بجميِعِكم ، واستفساراً عن خواطرِكم ، وافتخاراً بمفاخرِكم ، أمدَّكم اللهُ بعنايتهِ وعونهِ ، وجعلَكم في حرزِ رعايتهِ وصونهِ ، وأدامَ توفيقِي وإيَّاكم لِمَا يرضاهُ ، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ .

## [ كِتَابُ الْحَضْرَةِ الْخَدِيوِيَّةِ إِلَى مَنْ بَاشَرَ وَاقِعَةَ أَرْقَازِي ]

### [ مِنْ الضَّبَاطِ الْجِهَادِيَّةِ ]

وَكُتِبَ أَيْضاً مِنْ الْحَضْرَةِ الْخَدِيوِيَّةِ إِلَى مَنْ بَاشَرُوا وَاقِعَةَ أَرْقَازِي مِنْ  
الضَّبَاطِ الْجِهَادِيَّةِ ، وَأَفْرَادِ الْعَسَاكِرِ الْمَصْرِيَّةِ :

سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ وَتَسْلِيمٌ ، وَرِضْوَانٌ كَرِيمٌ ، يُهْدَى لِأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ ، وَيُسَدَّى  
لِمَأْمُورِكُمْ وَأَمْرِكُمْ ، لَا زِلْتُمْ مُحْفُوفِينَ مِنَ اللَّهِ بِنَصْرِهِ ، مُحْفُوظِينَ بِأَمْرِهِ ،  
غَالِبِينَ عَلَى عَدُوِّكُمْ بِقَهْرِهِ ، مُتَقَلِّبِينَ فِي نِعْمَتِهِ وَبَرِّهِ ، وَلَا انْفَكَّتْ عَزَائِمُكُمْ  
فِي كُرُوبِ الْحُرُوبِ عَزَائِمٌ ، وَثُغُورُكُمْ فِي قُطُوبِ الْخُطُوبِ بِوَاسِمٍ ، وَأَعْلَامُكُمْ  
لِلنُّجُجِ وَالتَّمَكِينِ عِلَالِمٌ ، وَأَيَّامُكُمْ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ مَوَاسِمٌ ، وَرِيَاخُ الْقَهْرِ وَالذَّمَارِ  
عَلَى عَدُوِّكُمْ سَمَائِمٌ ، وَنَسَمَاتُ النُّصْرِ وَالْفَخَارِ فِي رَوَاحِكُمْ وَغُدُوكُمْ نَوَاسِمٌ .

**وبعد :** فَمَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ مِنْ أَخْبَارِ شَجَاعَتِكُمْ مَا يَسُرُّ الْخَوَاطِرَ ، وَأَتَشَوَّفُ  
مِنْ آثَارِ بَرَاعَتِكُمْ مَا يَقْرَأُ النُّوَاطِرَ ، وَاثْقًا بِعَزَمِكُمْ وَحَزَمِكُمْ فِي الْمَضَايِقِ ، مُبْتَهَجًا  
بِمَا أَبْدَيْتُمُوهُ مِنْ حَسَنِ السَّوَابِقِ ، حَتَّى وَرَدَ وَابُورُ الشَّرْقِيَّةِ ، مِنْ طَرَفِ حَضْرَةِ  
الْبَاشَا نَاضِرِ الْجِهَادِيَّةِ ؛ بِيَوْمِيَّاتِ الْوَقَائِعِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، مُشْتَمِلَةً عَلَى وَقْعَةِ أَرْقَازِي  
وَتَفْصِيلَاتِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ رَسُوخِ أَقْدَامِكُمْ وَثَبَاتِهَا ، وَإِقْدَامِكُمْ فِي جِهَاتِهَا ،  
وَاقْتِحَامِكُمْ مَضَايِقَ حَصُونِهَا وَاسْتِحْكَامَاتِهَا ، وَتَسْخِيرِ مُسْتَعْصِمَاتِهَا ، وَتَدْمِيرِ  
أَشْقِيَاءِ الْعُصَاةِ وَكُفَّاتِهَا ، حَتَّى زُلْزِلَتْ صِيَاصِيهَا ، وَذُلِّلَتْ نَوَاصِيهَا ، وَدَنَا  
لَكُمْ قَاصِيهَا ، وَدَانَ عَاصِيهَا ، فَكَذَا تَكُونُ رِجَالُ الْجِهَادِ ، وَأَبْطَالُ الْجِدَالِ  
وَالْجَلَادِ ، وَهَكَذَا تُفْتَحُ الْحَصُونُ ، وَيَبْرُزُ سُرُّ النُّصْرِ الْمَصُونُ ، وَفِي ذَلِكَ  
فَلِيْتَنَافَسِ الْمَتَنَافِسُونَ .

فَقَدْ أَسْفَرَ لَكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَجْهَ التَّهَانِي ، وَأَثْمَرَ فِيكُمْ بِعَوْنِ اللَّهِ غَرْسُ  
الْأَمَانِي ، وَأَيَّدْتُمْ مَا ثَبَتَ لِلْعَسَاكِرِ الْمَصْرِيَّةِ ، مِنْ حَسَنِ الشَّهْرَةِ فِي الْأُمُورِ

العسكرية ، فحصلَ لي مِنَ الأُنسِ والسُّرورِ بهذهِ البشارة ، ما لم تقدرِ الإنسُ أن تصفَ مقدارَهُ ، ولا يتسعَ لَهُ مجالُ الإشارةِ ، وتأيدَ فيكم حسنُ أنظاري ، وظهرتْ ثمراتُ أفكاري ، وتَحَقَّقَتْ أَنَّكُمْ بعدَ الآنَ بعونِ اللهِ الكريمِ ، لا تزلونَ عن هذا الطريقِ القويمِ ، ولا تزلونَ في تأييدِ ما لَكُمْ مِنَ المجدِ القديمِ .

وقد شاعَ حديثُ نصرِكُم بينَ الأهلِ والديارِ ، وسارتِ الرُّكبانُ بمحاسنِ هذهِ الأخبارِ ، كما نقلتُهُ صُحُفُ الوقائعِ إلى جميعِ الأقطارِ ، فانشرحتْ صدورُ أهليكم وإخوانكم ، وفرحتْ بكم جميعُ أهلِ بلدانكم ، وابتسمتْ تُغورُ أوطانكم ، وافتخرتْ بأحاديثِ شجعانكم ، وارتاحتْ أرواحُ الشهداءِ مِنْ أقرانكم .

والمأمولُ في أُلطافِ اللهِ العليةِ ، وبركاتِ السلطنةِ السنيةِ ، ثمَّ في حميتكم المليَّةِ ، وغيرتكمُ الوطنيةِ .. أن يزولَ حالُ الاختلالِ عن قُربِ ، وينتهي أمرُ القتالِ والحربِ ، ويطيعَ الجميعُ ، ويسهلَ كُلُّ صعبٍ منيعٍ ، وتعودوا لوطننا العزيزِ ، ظافرينَ بالتعزيزِ ، وقد قُربَ حصولُ الأملِ ، ونجاحُ العملِ ، ومضى الأكثرُ وبقيَ الأقلُ ، والحربُ للرجلِ العسكريِّ ، والبطلُ الجريِّ .. سوقُ عظيمٍ ، وموسمٌ كريمٌ ، تُشترى فيه غوالي المعالي ، بأعلى العوالي ، وتُنالُ فيه منازلُ الأكارمِ ، في ظلِّ السيوفِ الصَّوارمِ ، ويُدرَكُ الفخرُ الصَّادقُ ، بمرامي المدافعِ والبنادقِ .

**وقد علمتمُ :** أنَّ الشجاعةَ وإن كانتْ تَبْلُغُ الآمالَ .. لا تُقَصِّرُ الآجالَ ، كما أنَّ الجبنَ وإن كان يُورثُ العارَ .. لا يُؤَخِّرُ الأعمارَ ، وإنَّما هي آجالٌ محدودةٌ ، وأنفاسٌ معدودةٌ ، لا تقبلُ التَّغييرَ ، ولا التَّقديمَ والتَّأخيرَ ، والشجاعةُ صبرٌ ساعةٍ ثمَّ ينكشفُ الغبارُ ، وتُسْفِرُ الأخبارُ ، ويُتناقلُ حديثُ الشجعانِ ، ويخلدُ

في تواريخ الزمان ، فداوموا على إبداء الاجتهاد ، وقوموا بأداء حقوق الجهاد ،  
واثبتوا على الشجاعة والإقدام ، وثبات القلوب والأقدام ، وأنجزوا بمعونة الله  
تعالى هذا المرام ، وكما جودتكم براعة المطلع أحسنوا براعة الختام .

### [ كِتَابُ مِنَ الْحَضْرَةِ الْخَدْيَوِيَّةِ إِلَى مَلِكِ دَارْفُورَ ]

وكتب في أوائل عهد الجناب الخديوي عن حضرته إلى ملك دارفور :

حمداً لمن أَلَفَ بين قلوب المؤمنين ، وجعلهم بنعمته إخواناً في الدين ،  
وصلاة وسلاماً على رسول جنابه ، وسيد أحبابه ، وعلى آله وأصحابه .

من كافل الديار المصرية ، وما والاها من الأقطار السودانية ، إلى حضرة  
صفوف السيادة الأماجد ، الجامع ما تفرق من مكارم المحامد ، غرة جبين  
الشرف الأجل ، وقرّة عين المجد الأعلى ، بحر الفضل الزاخر ، وبدر سماء  
المحاسن والمفاخر ، وفخر الأوائل والأواخر ، الملك المعظم ، السلطان  
المفخّم ؛ محمد بن الحسين المهدي سلطان مملكة دارفور ، حفظه الله  
بدوام السرور والسعد الموفور ، آمين .

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ، ويُخبر عمّا في صميم الفؤاد ؛ من  
صحيح المحبة والاتحاد ، وتحية يحلو على الألسن حسن تكريرها ، ويُعبّر  
عن صدق الولاء طيب عبيرها ، وشوق يقلّ عنه البيان ، ويكلّ دونه البنان ،  
وسؤال عن خاطر العالي أدام الله معاليه ، وحفّ بطوابع السُّعود أيامه ولياليه :  
بينما نحن في انتظار ما يردّ من الرسائل ، والثناء على حسن تلك الشمائل . .  
وردّ لنا خطابكم الكريم ، فقابلناه بمزيد التعظيم ، وسررنا بحسن صحّتكم ،  
وما أبديتموه من لطف مودّتكم ، فالله يرعى تلك الصّحة ويلحظها ، ويدبّر  
هذه المحبة ويحفظها .

وقد أوضحتم أن سلفنا السعيد ، المنتقل إلى رحمة ربّه المجيد ، ضاعف الله حسناته ، وأحلّه أعالي جنّاته .. كان قد جعل فلاناً وكيلاً في رؤية أموركم البهيّة على منهج السداد ، ونحن أيضاً قرّرناه في هذه الوظيفة ، وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلّق بتلك الحضرة الشريفة ، وسيجد منا في ذلك حسن المساعدة ، ودوام التسهيل والمعاودة .

ثمّ ما تكرّمتم بإرساله مع كريم خطابكم ، على يد القاصدين الواردين من عالي جنابكم .. قوبل بقبوله ، عند وصوله ، والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم .. ما هو موضح في البطاقة المطويّة مع هذا الرقيم ، والمرجو أن تتصلّ بيننا روابط الودّ على الدوام ، كما جمعنا علاقة الأخوة في الإسلام ، وصلى الله على سيّدنا محمد بدر التمام ، وعلى آله وأصحابه الأعلام ، غيوث الإفضال ، وغايات الكمال .

### [ بعض المفاكهاة والمداعبات ]

ومما ينبغي ألاّ تقصّر العناية به عن العناية بمقابله : **هذه المداعبات والمفاكهاة الجارية بين الإخوان** ، لِمَا فيها من تأكيد الودّ ، وبسط النفوس ، وإطراح مؤنة التحفّظ ، كما قيل <sup>(١)</sup> :

فِي أَنْقِبَاضٍ وَحُشْمَةٍ فَإِذَا      لَأَقِيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ  
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا      وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ  
وتمثيل ذلك ما صدر عن هذا الأمير على لسان بعض أعيان تجار الوقت ، يُخاطب أحد الأمراء ، **وهو هذا** :

المعروض على ساحة سيدي الأمير - لا زالت عيون الإقبال لحماه نواظر ،

(١) عزاهما في « البيان والتبيين » ( ٣/ ٣٤٨ ) لابن كنانة .



ورياضُ الآمالِ بنداؤه نواضرَ ، ونسائمُ البشائرِ بطيبِ أخبارِهِ خواطرَ ، وسحائبُ  
المفاخرِ بحسنِ آثارِهِ مواطرَ - أُنِّي وإن كنتُ مِنْ قديمِ الزمانِ ، خليعَ العنانِ ،  
أجري مع أبي مُرَّةَ شريكَي عِنانٍ ، وفرسي رهانٍ ، لا أرى صهوةَ خلاعةٍ إلَّا  
كنتُ راكبها ، ولا ذروةَ رقاعةٍ إلَّا تَسَنَّمْتُ غاربها ، ولا مواردَ لذَّةٍ إلَّا استطبْتُ  
مشاربها ، ولا داعيةَ شهوةٍ إلَّا قضيتُ مآربها ، ولا سُوقَ فسوقٍ إلَّا كنتُ  
كنقيبها ، ولا حانةَ مجانيةٍ إلَّا حزتُ أوفرَ نصيبها ، ولا غايةَ عمايةٍ إلَّا كنتُ  
لها مِنْ السابقين المُقَدَّمينَ ، ولا رايةَ غوايةٍ إلَّا تَلَقَّيْتُهَا باليسارِ وباليمينِ .

أي : تَفُوقًا على عرابة الذي يقولُ مادحُه<sup>(١)</sup> : [ من الوافر ]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو      إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ  
إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ      تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ  
إذا حَيَعَلَ داعي الفلاحِ .. قلتُ : حيَّ على الراحِ ، وإذا قاموا للصلاةِ  
والصَّلاحِ .. قمتُ للأقداحِ في أكْفِ الملاحِ ، فما ذُكِرَ الفرحُ إلَّا ذُكِرْتُ ،  
ولا حضرَ القدحُ إلَّا سكرْتُ ، ولا وردَ الطَّربُ إلَّا وردْتُ ، ولا شَهِدَ الخيرُ إلَّا  
شردْتُ .

فلولا أَنَّ إبليسَ وهو إمامُ الخَلاعةِ ، ورئيسُ الجماعةِ في هذه الصِّناعةِ ؛  
وُعِدَ بالخلودِ ، وأنْظَرَ إلى اليومِ الموعودِ .. لَجَعَلَنِي مِنْ بَعْدِهِ وصِيًّا ،  
كما اتخذني صفيًّا ، وكانَ لي وفيًّا ، وبني حفيًّا ، بل لو أنصفَ وخالفَ  
هواهُ ، وتركَ الكِبَرُ وهو أوَّلُ [ بلواهُ ] .. لاتخذني لَهُ مُعَلِّمًا ، وقامَ بينَ يَدَيَّ  
مُتَعَلِّمًا .

إِذَا لَعَلَّمْتُهُ مِنْ أَصْلِ صَنَعَتِهِ      مَا لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَأْتِيهِ عَلَى بَالٍ<sup>(٢)</sup>

(١) تقدم (٤٠٤/٢) .

(٢) من البسيط ، وانظر « عروس الأفراح » ( ٣٣١/١ ) .

هَذَا مِنْ الطِّفِّ أَنْوَاعِ الْحَلِّ وَأَدَقِّهَا ، وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى إِيرَادِ أَمْثَلِهِ لَهُ ،  
وَلَكِنْ اِكْتَفَيْتُ بِالْإِشَارَةِ ، وَفِيهَا لِلْبَيْبِ غِنًى ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مُخْتَلَسٌ مَعْنَاهُ  
اِخْتِلَاسًا أَدَبِيًّا صِنَاعِيًّا مِنْ قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ : [ من الطويل ]

وَكُنْتُ فَتًى مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَأَزْتَقَى      بِي الْحَالُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي  
فَلَوْ مَاتَ قَبْلِي كُنْتُ أَحْدِثُ بَعْدَهُ      طَرَائِقَ فَسُقٍ لَيْسَ يُحْسِنُهَا بَعْدِي  
وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ الْإِطْلَاعِ عَلَى أَنْوَاعِ الْحَلِّ وَالِاسْتِعَانَةَ بِبَسِطِ مَعَانِي الْآيَةِ  
وَالْحَدِيثِ وَالشَّعْرِ . . فَلَابِنِ الْأَثِيرِ فِي ذَلِكَ رِسَالَةٌ ؛ أوردَ فِيهَا تِلْكَ الْأَنْوَاعَ مِنْ  
إِنْشَائِهِ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ بِدَارِ الْكُتُبِ الْكُبْرَى .

رَجَعَ الْقَوْلُ <sup>(١)</sup> :

وَلَكِنِّي الْآنَ قَدْ تَنَسَّكْتُ فَيَمَنْ تَنَسَّكَ ، وَتَمَسَّكْتُ بِطَيْبِ أَذْيَالِ التَّقَى  
فَيَمَنْ تَمَسَّكَ .

وَقُلْتُ لِلْقَلْبِ كُفَّ وَارْجِعْ      وَأَحْذَرْ مِنَ النَّارِ أَنْ تَمَسَّكَ <sup>(٢)</sup>

فَأَنَا الْآنَ بِاسْمِ اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . . بَيْنَ خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ ،  
وَسُجُودٍ وَرُكُوعٍ ، وَصَلَاةٍ وَصَلَاحٍ ، وَنَجَاحٍ وَفَلَاحٍ ، وَأَوْرَادٍ وَأَذْكَارٍ ، وَبَرَكَاتٍ  
وَأَسْرَارٍ ، لَا أَعْنِي أَسْرَارَ الشَّيْءِ ؛ فَقَدْ تَرَكْتُ هَذِهِ الْعَشِيرَةَ ، وَإِنَّمَا هِيَ  
أَسْرَارُ الْأَنْفَاسِ ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَيْضًا لَا تَخْلُو عَنِ الْبَاسِ ، وَالْحَاصِلُ :  
أَنِّي لَزِمْتُ الْخَيْرَ وَالتَّقْوَى ، وَتَمَسَّكْتُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ،  
فَمَنْ رَأَى الْآنَ صِلَاحَ شَانِي . . لَمْ يَشْكْ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ إِنَّمَا قَالَ عَنْ  
لِسَانِي <sup>(٣)</sup> :

(١) أَرَادَ الرَّجُوعَ إِلَى رِسَالَةِ الْأَدِيبِ عَبْدِ اللَّهِ فَكْرِي .

(٢) مِنْ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ .

(٣) انْظُرْ « دِيَوَانَهُ » ( ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ) .

إِزْعَوَى بِاطِلِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي      وَتَبَدَّلْتُ عِفَّةً وَزَهَادَةً  
لَوْ تَرَانِي ذَكَرْتَ بِي الْحَسَنَ الْبَصُ      رِيٍّ فِي حَالِ نُسْكِهِ أَوْ قَتَادَةً  
مِنْ خُشُوعٍ قَرْنَتْهُ بِنُحُولٍ      وَأَصْفِرَارٍ مِثْلِ أَصْفِرَارِ الْجَرَادَةِ  
الْتِّسَابِيحُ فِي ذِرَاعِي وَالْمُضْدُ      حَفُ فِي لَبَّتِي مَكَانَ الْقِلَادَةِ  
فَإِذَا شِئْتُ أَنْ تَرَى طُرْفَةً تَعُ      وَتَفْطُنَ لِمَوْضِعِ السَّجَادَةِ  
فَادْعُ بِي لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي      تُوقِنُ النَّفْسُ أَنَّهَا مِنْ عِبَادَةٍ  
تَرَأْتَهَا مِنْ الصَّلَاةِ بِوَجْهِهِ      لَا شَتْرَاهَا يُعِدُّهَا لِلشَّهَادَةِ  
خَاطَبَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ أَبُو نُوَّاسٍ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ الْوَزِيرَ ،  
وَكَانَ حَبْسَهُ يَسْتَتِيبُهُ .

رجع : فهذه الآن حالي ، وإن كانت تُستغربُ على أمثالي ، ترى  
عليَّ سيما الأبرار ، وعلائم المتقين الأخيار ، السُّبْحَةُ فِي كِلْتَا يَدَيَّ ،  
وَالسِّوَاكُ خَلْفَ أُذُنَيَّ ، وَزَبِيْبَةُ الصَّلَاةِ بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَالدَّرَاوِيْشُ حَوَالِيَّ ،  
وَوَجْهِي مِنْ نَوْرِ الْعِبَادَةِ كَأَنَّمَا دُهْنٌ بِالزَيْتِ ، وَأَنَا مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْجَامِعِ  
وَمِنَ الْجَامِعِ إِلَى الْبَيْتِ ، أَقُومُ اللَّيَالِي إِلَى الْأَسْحَارِ ؛ فِي ذِكْرِ وَاسْتِغْفَارِ ،  
وَأَطُوفُ بِالنَّهَارِ ، عَلَى مَقَامَاتِ آلِ الْبَيْتِ الْأَطْهَارِ ؛ لِيَسْعَفَ اللَّهُ رَجَائِي ،  
وَيَقْبَلَ صَالِحَ دَعَائِي ، فِي حَسَنِ عَوْدَتِكُمْ سَالِمِينَ ، مَعَ الْمَوْكِبِ الشَّرِيفِ  
رَافِلِينَ ، فِي ظِلِّ الْإِقْبَالِ وَالسَّعَادَةِ وَالتَّشْرِيفِ ، فَهَذَا غَايَةُ الْمَسْؤُولِ ، وَنَهَايَةُ  
الْمَأْمُولِ .

وما صدرَ عن السيدِ الشيخِ الفاضلِ الجليلِ عليِّ أبي النصرِ : واتفقَ أنَّه

كَانَ جَالِسًا مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَلَى دُكَّانٍ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ سَلَامٍ مِنْ صَاحِبِ  
لَهُمْ غَائِبٍ ، وَكَانَ عِنْدَ سَفَرِهِ إِلَى طَنْدَاءَ اسْتَعَارَ بَرْدَعَةً وَلِجَامًا ، فَكَتَبَ الشَّيْخُ  
جَوَابَ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، وَهُوَ هَذَا :

سَلَامٌ أَلَدُّ مِنْ أَكْلِ الْبَرَسِيمِ ، وَتَحِيَّةُ الْطِفِّ مِنَ الرَّبَّةِ عِنْدَ الْبَهِيمِ ، وَأَشْوَاقُ  
رَبِيعِيَّةٍ ، وَمَحَبَّةٌ دَائِمًا غَلِيظِيَّةٌ ، إِلَى صَاحِبِ الطَّبِيعَةِ الشَّاخِرَةِ النَّاخِرَةِ ، مَعْدِنِ  
الْأَنْقَاطِ ، الْمَتَكَلِّمِ فِي الْقِمَاطِ ، مَنْ يَعْمَلُ لِلْسَّمَائِكِ الْمَفْرُودِ وَالْمُثْنَى ، أَحَدُ  
إِخْوَانِهِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْحَسَنِيِّ ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّيْفِ أَمَلَهُ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْمَحْرُوسَةِ  
عَلَى عَجَلَةٍ ، آمِينَ آمِينَ ، بِجَاهِ دَرَبِ التَّرَاسِينَ ( مَوْضِعُ فَجُورٍ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ  
كَدَرَبِ الْقَمَرِ ) .

**أَمَّا بَعْدُ :** فَقَدْ وَرَدَ عَزِيزُ جَوَابِكُمُ الشَّرِيفُ ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى أَنْوَاعِ التَّخْرِيفِ ،  
فَعَلِمْنَا أَنَّكُمْ مِنْ حِطِّ الْفَلَاحِينَ فِي قَرَارِ مَكِينٍ ، فَحَمَدْنَا اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ ،  
وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَفْتَحَ لَكُمْ أَوْسَعَ الْمَسَالِكِ ، وَمَنْ عِنْدَنَا جَمِيعَ الْإِخْوَانِ يَشِيرُ إِلَى  
غَفْلَتِكُمْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ ، سَيِّمًا أَخِيكُمْ عَلِيَّ رِضْوَانَ ، التَّائِبِ بَعْدَ غِيْبَتِكُمْ عَنْ  
الْيُونَانِ ( لَقَبْتُ لِلْحَشِيشَةِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ ) ، وَكَذَا سَيِّدِي مُصْطَفَى السِّيُوفِيِّ ،  
فَهُوَ يَخْلَعُ عَلَيْكُمْ نَصْفَ قِيَاسِ مَنْوَفِيِّ ، وَكَذَا سَيِّدِي مُحَمَّدٌ عَرَبِيَّةٌ ، قَدْ أَمَرَ  
لَكُمْ بِبُوظَةِ الدَّاءُودِيَّةِ ، وَكَذَا سَيِّدِي خَضِرُ شُوَيْشُ ، فَقَدْ بَرَّرَ لَكُمْ فِي دَكَائِنِ  
الْحَشِيشِ .

وَمِنْ خُصُوصِ الْبَرْدَعَةِ وَاللِّجَامِ : فَقَدْ رَأَيْنَاكُمْ لَا بَسِيْهَمَا فِي الْمَنَامِ ، فَحَصَلَ  
عِنْدَنَا وَسُوسَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ ، وَتَعَجَّبْنَا فِي طَبِيعَتِكُمُ الْحِمَارِيَّةِ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْقَرِيبَ  
الْمُجِيبَ ، أَنْ يَعِيدَكُمْ إِلَى الْمَحْرُوسَةِ عَنْ قَرِيبٍ .

اذْكُرْ أَيُّهَا الطَّالِبُ قَوْلَ الطُّغْرَائِيِّ <sup>(١)</sup> :

[ مِنْ الْبَسِيطِ ]

(١) انظر « ديوان الطغرائي » ( ص ٣٠٣ ) .

حُلُوْ أَلْفُكَاهَةِ مُرُّ أَلْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ أَلْبَاسٍ مِنْهُ رِقَّةُ أَلْغَزَلِ  
وقولَ البحتريّ<sup>(١)</sup> :

أَلْجِدُّ شِيَمَتُهُ وَفِيهِ فَكَاهَةٌ سَمَحٌ وَلَا جِدُّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

### [ عودٌ لبعضِ مكاتباتِ الأمير ]

ولنعدُ لنقلَ شيءٍ مِنْ جَدِّيَّاتِ ذَلِكَ الأميرِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ :

ما كتبهُ مِنْ بعضِ الأمراءِ إلى الشيخِ العروسيِّ شيخِ الجامعِ الأزهرِ  
رحمَهُ اللهُ :

أهدي مِنْ التحيّةِ أسنانها ، وَمِنْ الأثنيّةِ حسناتها ، إلى حضرةِ شمسِ  
سماءِ المعارفِ ، وظلِّ الفضلِ الوارفِ ، بحرِ الكمالِ وينبوعِ ، ومفردِ المجدِ  
ومجموعِ ، مقتدى الأنامِ ، وشيخِ مشايخِ الإسلامِ ، أطالَ اللهُ بقاءَ حضرتهِ ،  
وسرّنا بأخبارِ صحّتهِ ، آمين .

وبعدَ لثمِ راحتِكُم ، والتماسِ بركاتِ دعواتِكُم : أنهي لحضرتِكُم البهيّةِ ،  
أني لما تشرّفتُ بالُمثولِ لدى الحضرةِ السنيةِ الخديويةِ . . قمتُ عن جنابِكُم  
مقامَ الاعتذارِ عن الحضورِ ، والتهنئةِ بما يسرَّهُ اللهُ مِنْ هَذَا الحُبورِ ، فقبولَ  
ذَلِكَ بما هوَ المأمولُ ، مِنْ حسنِ الإقبالِ والقبولِ ، وظهرَ مِنْ الجنابِ العاليِ  
التأسّفُ على تَوَعُّكِ مزاجِ حضرتِكُم ، والدعاءُ إلى اللهِ تعالى بتعجيلِ شفائِكُم  
وصحّتِكُم ، وقالَ : أرجو مِنْ الألفافِ الإلهيّةِ ، والمكارمِ الربانيّةِ ؛ أنني عندَ  
وصولي لمصرَ المحميّةِ ، يكونُ قد زالَ عن حضرةِ الأستاذِ ما عرضَ مِنْ  
المرضِ ، وحصلَ مِنْ مزيدِ العافيةِ والصحّةِ على الغرضِ ، فأحظيَ بلقائهِ ،  
وأسرُّ بشفائهِ ، فبادرتُ بترقيمهِ إشعاراً بذلكَ لحضرتِكُم ، واستفساراً عن حالِ

(١) هو لأبي تمام . انظر « ديوانه » ( ١٠٢/١ ) .



صَحَّحْتُمْ ، ودمتُمْ في مَسَرَّةٍ وحسنِ حالٍ ، حليةٌ لأجيادِ المعالي وتاجاً لهامةِ  
الكمالِ .

**وكتبَ مولانا الأعزُّ الأكرمُ المُعظَّمُ المُفخَّمُ حفظَهُ اللهُ :**

أهدي بديعَ سلامٍ تَتَكَفَّلُ بشرحٍ تلخيصِ المَحَبَّةِ مبانيه ، وتَتَضَمَّنُ بيانَ  
مُطَوَّلِ الوجدِ والمَوَدَّةِ معانيه ، وأشواقاً يَقِلُّ البَيانُ عندَ تَبَيانِ أطولِها ، وَيَكِلُّ  
البَنانُ عن إيضاحِ مُفَصَّلِها ومُجَمَّلِها ، معَ دعاءٍ يحلو إطنابُهُ وإيجازُهُ ، وينتهي  
بفضلِ اللهِ إلى حقيقةِ الإجابةِ مَجازُهُ .

**وبعدُ :** فَإِنَّ الداعِيَ قد شرَعَ منذُ مُدَّةٍ مِنَ الأيامِ ، في كتابةِ شرحِ « الأطولِ  
على التلخيصِ » للفاضلِ العصامِ ، غيرَ أَنَّ النسخةَ التي عثرنا عليها ،  
ووصلتْ يدُ الأفكارِ إليها .. رأيناها قد هدمَ التحريفُ معمورَ أبياتِها ، وأطفأَ  
التصحيفُ نورَ مشكاتها ؛ بحيثُ لا يَجِدُ الدَّهْنُ لبابِ فهمِها مِفْتَاحاً ، ولا  
يرى الساري في دياجي غلطاتها مِصباحاً ، يقولُ رائيها حينَ يجدُ معاهدها  
تَغَيَّرَتْ وبدا عليها الدُّثُورُ :

هَذِهِ دَارُهُمْ أَقْفَرَتْ      أَمْ زُبُورٌ مَحَثُّهَا أَلْدُحُورُ  
وقد أخبرنا غيرُ واحدٍ أَنَّ عندَكُمْ نسخةٌ صحيحةٌ مِنْ مُخَلَّفَاتِ حَضْرَةِ  
الْأَسْتاذِ الْوَالِدِ ، فالْمَأْمُولُ مِنْ هِمَّتِكُمْ ، وَالْمَسْئُولُ مِنْ حَضْرَتِكُمْ : التَّكْرُمُ  
بِإِرسالِ تَغْيِيرِهِ مِنْ أَوَّلِ الْكِتابِ الْمَذْكُورِ ؛ لِيَكُونَ لَكُمْ بِذَلِكَ جَزِيلُ الثَّوابِ  
وَالْأَجُورِ ، على يدِ أَخِينَا الشَّيْخِ فُلانٍ حَامِلِ هَذِهِ التَّذْكَرةِ ، أَسْبَغَ اللهُ عَلَيْكُمْ  
مِنَ الْإِحْسانِ أَتَمَّهُ وَأَوْفَرَهُ .

**وكتبَ :** سلامٌ يُسْفِرُ عن خالصِ الودادِ ، ويُخَبِّرُ عَمَّا في الفؤادِ ، مِنْ كمالِ

المحبة والاتحاد ، إلى فرع الدوحة العلية المحمدية ، وثمره الشجرة المباركة النبوية ، سلاله الأشراف السادة ، وصفوة أهل المجد والسيادة ، حفظ الله حضرته ، وأدام بهجته ومسرته ، آمين .

**وبعد :** فإن الإطناب في وصف تشوقي إلى حضرة السيد أدام الله علاه ، وزان جيد المعالي بحلا . . من قبيل تحصيل الحاصل ، وتوضيح الواضح بغير طائل ، فحسبي أن أكتفي في هذا الشأن بشهادة ذاك الضمير المنير ؛ فإنه ينظر بنور الله تعالى ما يضيئ عنه نطاق التعبير .

وبينما هذا المحب مشغول اللسان بالثناء على تلك الحضرة ، مشغوف الجنان بما يرد من أخبار المسرة<sup>(١)</sup> . . وردت مكاتبة سيادتكم ، فشكرت المولى على صحة سعادتكم ، وعلمت بفضلكم علينا بالدعوات الخيرية ، في تلك الأماكن العلية ، وهذه منة جلية يجب شكرها ، ومنحة جزيلة لا يجهل قدرها ، ولا بدع ؛ فإنكم بضعة النبوة ، ومعدن الكرم والفتوة ، بكم تستمطر سحائب البركات ، وتستفتح أبواب الخيرات ، وبجدكم يتشفع في يوم المحشر ، وبأسلافكم الأماجد يستسقى من الكوثر ، فلا عدمننا تلك الأخلاق العلية ، ولا حرمننا هذه المكارم الهاشمية .

ثم إنني ببركة دعواتكم أحمد الله على الصحة والسلامة ، وأسأله أن يديم علينا وعليكم إنعامه ، وقد بادرت بتحرير خطابي هذا وأنا أحسده على وصوله لذاك النادي المبارك قبلي ، وأود لو أنني أكون مكانه لأقضي من مشاهدة ذاك المحيا أمني ، وغاية رجائي ألا تنسونا مما عودتمونا من الأدعية الصالحة ، وتلاوة الفاتحة ، بين يدي حضرة سيد الأنبياء المكرمين ، والرحمة العامة للعالمين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه

(١) الشفغ : شدة الحب ، فأحرق فؤاده ، وقيل : أمرضه .

وجميع المنتمين إليه ، ثم في باقي ما تترددون عليه من الأماكن الطاهرة ، والمواطن المُشرّفة الباهرة ، التي لا يمتدُّ كفُّ الثرىّ إلاّ للشمِّ ترابها ، ولا ينحني ظهرُ الهلالِ إلاّ لتقبيلِ أعتابها ، وكلُّ ما يلزمُ لحضرتكم من هذا الطرفِ رهينُ الإشارةِ والإعلامِ ، ومنّي لناديكم الشريفِ مزيدُ التحية والسلام .



**وكتب من الجناب الخديويّ أيام نيابته عن عمه المرحوم سعيد باشا  
صورة فرمان :**

صدرَ هذا فرمانُ الواجب طاعته ، اللازمُ امتثاله ومتابعته ، خطاباً إلى كافّة القضاة والحكام ، والعلماء الأعلام ، والمشايخ والعمد بالأقطار السودانيّة ، من الحكومة العليّة المصريّة .

ليكن معلوماً لديكم ، بوصول هذا إليكم ؛ أنّه قد اقتضت الإرادةُ السنيّةُ الخديويّةُ ؛ بنصب فلانٍ حكمداراً على عموم الأقاليم السودانيّة ؛ لما هو معلومٌ فيه من الصّدّاقة والأهلية ، وحسن الروية والإدارة السياسيّة ، فينبغي أن تطيعوا أحكامه ، وتقابلوا بالسمع والطاعة كلامه ، وتنفذوا لأوامره ونواهيه ، وتمثلوا لما يُبديه ممّا يوافق الأوامر العليّة ، والأصول والقوانين المرعيّة ، وبادروا بأداء كافّة المطالبات الميريّة في أوانها ، وعدم تأخيرها عن أوقاتها ؛ لتفوزوا بزيادة الرضا عليكم ، وحسن النظر والالتفات إليكم .

وأنت أيّها الحكمدارُ ، عليك باتباع التقوى ؛ فإنّها لحصول كلّ خيرٍ هي السببُ الأقوى ، وعاملُ الناس بالعدل والإنصاف ، واجتناب الجور والاعتساف ، واستعمل الرشد والسداد ، وابدل غاية الاجتهاد ؛ في معمورية البلاد ، ورفاهية العباد ، ونجاز الأشغال الميريّة ، وحسن إدارة الحكمداريّة ،

ورؤية جميع المصالح ، على مقتضى الأوامر والأصول والقوانين واللوائح ،  
والاعتناء براحة البرية ، وحسن سياسة الرعية ؛ فإنَّ الخلق في أيدي الحكام  
ودیعة الله سبحانه ؛ فمنَّ أكرمهم .. أكرمهُ ، ومنَّ أهانهم .. أهانهُ ، فاعلم  
ذلك ، واتبع أحسن المسالك ؛ لتفوز بحسن حالك ومالك ، وبلوغ غاية  
آمالك .

تحريراً في كذا سنة ثمانٍ وسبعين ومئتين وألفٍ ، من هجرة المبعوث  
بأحسن وصفٍ ، عليه أكمل الصلاة وأتم السلام ، ما لاح بدر تمام وفاح  
مسك ختام .

### وكتب عن بعض الأحبة في جواب كتاب بوصول هدية :

إنَّ أبدع ما رَقَمَهُ بَنانُ البيانِ ، وأبرع ما نظمَهُ لسانُ الافتتانِ ، وأبهر ما  
سمَعْتُهُ آذانُ الأذهانِ ، وأزهر ما طالعْتُهُ عيونُ الاستحسانِ .. سلامٌ يفوح  
طيبُ الودِّ من نفحِ عبيرِهِ ، ويلوحُ نشرُ الوجدِ من طيِّ تعبیرِهِ ، وثناءٌ يجاري  
نسماتِ الصَّبَا بلطفِ الشمائلِ ، ويباري زهراتِ الرُّبى بِظُرفِ الغلائلِ ، مع  
شوقٍ يَقْصُرُ عن وصفِهِ لسانُ التقريرِ ، وَيَضِيقُ عن نصفِهِ نطقُ التحريرِ ،  
إلى حضرةِ جمالِ الدِّينِ والدنيا ، وتاجِ هامةِ المجدِ والعليا ، الفائزِ من  
الشرفِ الأعلى بالقَدَحِ المُعلّى ، لا زالت تُغورُ السرورِ باسمه إليه ، وظلالُ  
الإقبالِ دائمةً عليه .

**وبعد :** فما روضة رعتِ النساءُ زواهرَ أغصانِها ، ودوحةٌ وشحتِ الغمامُ  
بواهرَ أفنانِها ، فباحَتْ فيها الحمائمُ بترديدِ أشجانِها ، وصدحتِ البلابلُ  
بتغريدِ ألحانِها ، واختالتِ الأشجارُ من دُرِّ زهرها وفضة غدرانِها ، بينَ حلي  
خلاخلها وتيجانِها .. بأبهى منظراً ، ولا أشهى خبراً ومخبراً ، ولا ألطفَ

موقعاً ، ولا أظرف مسمعاً ؛ مِنْ كتابٍ استكملتُ أنواعَ المَسْرَّةِ بوروده ، واقتطفتُ في حدائقِ المودةِ أزهارَ وروده ، قد جرى به ماءُ الفصاحةِ غيرَ آسنٍ ، وجمعَ أشتاتِ الملاحَةِ والمحاسنِ ، مِنْ كلِّ لفظٍ أحلى مِنْ الشَّهيدِ ، وألذَّ مِنْ طيبِ الكَرَى بعدَ طولِ الشُّهيدِ ، وقد وصفَ بعضَ ما أكابدهُ مِنْ آلامِ الفراقِ ، ولواعجِ الأشواقِ ، فكأنَّما عَبَّرَ بِهِ عن لسانِ حالي ، وإن قصرَ دونهُ لسانُ قالي ، ووصلَ معه ما تَفَضَّلْتُمْ بإهدائه ، وتكرَّمْتُمْ بإسدائه ، ممَّا هو أثَرُ الودادِ ، وثمرَةُ محبةِ الفؤادِ .

فاللَّهُ تعالى يُمَتِّعُ بقربِكُمْ ، قلباً يَتَقَلَّبُ في حُبِّكُمْ ، وَيُسِرُّ بدوامِ بقائِكُمْ ، روحاً ترتاحُ لطيبِ لقائِكُمْ ، ثمَّ الرجا أَلَّا تَنْسَوْنَا مِنْ مراسلاتِ الودادِ ، التي يَطمئنُّ بها الفؤادُ ، فذلكَ غايةُ المأمولِ ، ونهايةُ المسؤولِ .

### وكتبَ رسالةً وداديةً تتضمَّنُ التهنئةَ بالعيدِ :

وصلنا إلى المحروسةِ بحمدِ الله تعالى وبركاتِ توجُّهاتِ سعادَتِكُمْ ، وحسنِ أنظارِ سيادَتِكُمْ ، ونحنُ نتلو مِنْ محامدِ إفضالِكُمْ ما يُخجِلُ الدررَ في أسلاكِها ، ونُبْتُ مِنْ محاسنِ خلالِكُمْ ما يزري بالدراري في أفلاكِها ، وقد صدرتْ هذهِ المكاتبةُ عن يدِ مُمتدَّةٍ إلى الله تعالى في الدعاءِ بدوامِ معاليكُم ، وناظرٍ لا ينتظرُ إلَّا لِمَا يَرِدُ مِنْ نحوِ ناديكُم ، وقلبٍ لا يَتَقَلَّبُ إلَّا في محبةِ ذاكَ الجناحِ العالي ، وخاطرٍ لا يَخْطُرُ فيه غيرُ تَذَكُّرِ تلكَ الهممِ العوالي ، فعسى تنوبُ عني هذهِ الرقيمةُ فيما أحسُّها عليه مِنْ المُثولِ بذلكِ الناديِ ، والوصولِ إلى لثمِ تلكَ الأيادي الباهرةِ الأيادي ، والتهنئةِ بالعيدِ السعيدِ المُترقَّبِ قُرْبُ إقبالِهِ ، أبقى الله سيدي إلى آلافِ أمثاليهِ ، مُمتعاً بدوامِ قَبولِهِ وإقبالِهِ ، رافلاً في حُللِ فضلِهِ وكمالِهِ .



ثمَّ إنْ لزمَ لسعادَتِكُمْ خدمةً بهذا الطرفِ . . فإنَّ لنا في قضائِها غايةَ الشرفِ ، والأمرُ أمرُكم .

### وكتبَ تهنئةً بمولودٍ :

سلامٌ على سيدي الأعزِّ سلَّمه اللهُ وأسعدهُ ، وأكثرَ بفضلِهِ عددهُ ، وحفظَ له ما وهبَ مِنْ نعمِهِ ، وخَوَّلَهُ المزيدَ مِنْ فيضِ كرمِهِ .

وقد حظيتُ بكتابه ، المُبشِّرِ والحمدُ لله بصحةِ جنابه ، واستقامةِ الأحوالِ لديه ، وترادفِ نِعَمِ الله سبحانه عليه ، وما منحه مِنْ المولودِ السعيدِ القادمِ عليه ، إن شاء الله بالرزقِ الجديدِ ، والعمرِ المزيدِ ، فاستوفيتُ حظِّي مِنْ هذهِ البشائرِ موفىً موفراً ، ووجبَ عليَّ الشكرُ لله سبحانه وتعالى مضاعفاً مُكرِّراً ، وابتهلتُ إليه تباركَ خيرُهُ ، ولا إلهَ غيرُهُ ؛ في أنْ يدومَ على سيدي مِنْ نعمائه ، ويزيدهُ مِنْ وافرِ عطايائه ، ما يديمُ سرورهُ وسروري لحضرته ، على حَسَبِ حظِّي مِنْ محبته ، واندراجي في جملته ، وأنْ يباركَ على هذا النجلِ النبيلِ ، والنسلِ الأصيلِ ، ويمنحهُ العمرَ الطويلَ ، والخيرَ الجزيلَ ، ويبقيَ سيدي أدامَ الله علاءَهُ ، وأطالَ بقاءَهُ ، حتى يرى الكثيرَ مِنْ أولاده ، والجمَّ الغفيرَ مِنْ أحفاده ، مُمتعاً بالسلامة ، وكمالِ الكرامة .

والمَرَجُوُّ مِنْ سيدي أدامَ الله سرورهُ ، ويسَّرَ أمورهُ . . أنْ يواصلَ تعريفِي بما يتجدَّدُ مِنْ سائرِ أخبارِهِ ، لأشركَهُ فيما يقتضيه ، وإعلامي بما عساهُ يَسْنَحُ مِنْ هذا الطرفِ مِنْ أوطاره ؛ لأفوزَ بالانتهاءِ لغايةِ استطاعتي فيه ، مُوفِّقاً إن شاء الله تعالى .

## وكتب في تعزية :

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَكَاتِبَ سَيِّدِي مُعْزِيًّا ، أَوْ أَلِمَّ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ مُسْلِيًّا ، وَلَكِنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُقَابَلُ بغيرِ التسليم ، وقضاؤه الذي ليسَ لَهُ عِدَّةٌ سوى الصَّبْرِ الكريم ، وقد علمَ مولايَ أَجْمَلَ اللَّهِ صَبْرَهُ ، ولا أَرَاهُ مِنْ بَعْدٍ إِلَّا مَا سَرَّهُ وشرحَ صدرَهُ : أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وتباركَتْ آلاؤُهُ ، إذا امتحنَ عبدهُ فصبرَ . . آجرُهُ وَعَوَضُهُ بِكريمِهِ ، كما أَنَّهُ إذا أنعمَ عليه فشكرَ . . زادهُ وضاعفَ لَهُ مِنْ نعيمِهِ .

وقد عَرِفَ مِنْ حَالِ سَيِّدِي فِي الشُّكْرِ عَلَى السَّرَّاءِ مَا يَسْتَوْجِبُ الْمَزِيدَ مِنْهَا وَالظَّنُّ بِحُزْمِهِ وَعِلْمِهِ أَنْ يَكُونَ حَالُهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى الضَّرَّاءِ يَسْتَجْلِبُ الْأَجْرَ عَلَيْهَا وَالتَّعْوِضَ عَنْهَا .

ثُمَّ نَحْنُ إِذَا أَمَعْنَا فِي التَّفَكُّرِ ، وَوَفَّيْنَا هَذَا الْأَمْرَ حَقَّهُ مِنَ التَّدْبِيرِ . . رَأَيْنَا أَنَّنا وَلَوْ تَأَخَّرَتْ أَجَالُنَا ، وَطَالَتْ آمَالُنَا . . لَسْنَا فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ، وَقَرَارِ الْكِرَامَةِ ؛ حَتَّى نَحْزَنَ عَلَى مَنْ فَارَقَهَا وَزَايَلَهَا ، وَلَكِنَّا فِي سَبِيلِ سَفَرٍ ، وَدَارِ كَدَرٍ ، يَحِقُّ وَاللَّهِ أَنْ نَغِيبَ مَنْ رَحَلَ عَنْهَا وَزَايَلَ غَوَائِلَهَا ، فَأَجْمَلُنَا حَالًا أَسْرَعُنَا ارْتِحَالَ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ الْجَزْعُ لَا يَنْفَعُ وَإِنْ أَغْضَبَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ، وَالصَّبْرُ لَا يَضُرُّ وَإِنْ جَلَبَ رِضْوَانَهُ وَإِحْسَانَهُ ، وَاللَّهُ يُسَهِّلُ لِسَيِّدِي سَبِيلَ الصَّبْرِ ، وَتَحْصِيلَ الْأَجْرِ ، وَيَعِصِمُهُ مِنْ شَوَارِدِ الْوَزْرِ ، وَمَكَايِدِ الدَّهْرِ ، وَيَتَوَلَّى الْمَاضِيَ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِنْعَامِ ، وَالْبَرِّ وَالْإِكْرَامِ ، وَيُحَسِّنَ مَثْوَاهُ فِي دَارِ السَّلَامِ ، وَيُنْعِمَ لَهُ عِنْدَ نَزْوِلِ الْجَمَامِ ، وَانْتِهَاءِ الْأَيَّامِ ، بِحَسَنِ الْخَتَامِ .

## جواب عن كتاب عتاب :

وردَ كتابُ سَيِّدِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ وَأَسْعَدَهُ ، وَلَا زَالَ مَسَاعِدُهُ وَمُسْعِدُهُ ؛ يَشْكُو

مِنْ جَفَائِي ، وَقِلَّةِ وفَائِي ، ما بسَطَ فِيهِ لِسَانُهُ ، وَأَطَالَ بِهِ أَيْدَهُ اللَّهُ بَيَانَهُ ،  
وَأَدَّى حَقَّهُ مِنَ الْبَلَاغَةِ أَدَاءً مُتَفَتِّينَ مُتَمَكِّينَ ، وَذَهَبَ فِيهِ مِنْ سِحْرِ الْكَلَامِ كُلِّ  
مَذْهَبٍ مُمَكِّنٍ وَغَيْرِ مُمَكِّنٍ ، حَتَّى إِنَّنِي لِقُوَّةَ تَخْيِيلِهِ وَتَصْوِيرِهِ ، وَفَرْطَ بَرَاعَتِهِ  
- أَيْدَهُ اللَّهُ - فِي حَسَنِ تَعْبِيرِهِ .. كَدْتُ أَتَوَهُمُ أَنِّي فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ مِنْ  
الذَّنْبِ ، وَأَنَّنِي اسْتَوْجِبْتُ مَا أوردَهُ - أعزَّهُ اللَّهُ - مِنَ الْعَثْبِ .

فَلَمَّا لَفَحَنِي حَرُّ الْمَعَاتِبَةِ ، وَخَشَنَ عَلَيَّ مَلَمَسُ الْمَخَاطِبَةِ ، وَأَخَذَ مِنِّي  
اللُّومَ مَأْخِذَهُ إِيْلَامًا ، وَبَلَغَ بِي مَبْلَغَهُ إِنْكَارًا وَإِعْظَامًا .. أَرَدْتُ أَنْ آخِذَ لِنَفْسِي  
بِالْحُجَّةِ ، وَالدَّلَالَةِ عَلَى سِوَاءِ الْمَحَجَّةِ ، لَوْلَا أَنَّنِي رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ أَنَّ مَوْلَايَ  
أَعَزَّهُ اللَّهُ وَإِنْ رَكِبَ مِنَ الْمِغَالِطَةِ فِي هَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ خِلَافَ رَأْيِهِ ، وَسَلَكَ مِنَ  
الْمُوَارِبَةِ فِي هَذِهِ الْمَعَاتِبَةِ خِلَافَ مَذْهَبِهِ .. إِلَّا أَنَّهُ بِجَلِيلَةِ الْأَمْرِ أَعْرِفُ وَأَعْلَمُ ،  
وَمِنْ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْهِ الْحَالُ بِالْمُحَالِ أَحْزَمُ وَأَحْكَمُ .

وإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، مَعَ كِمَالِ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْحَقِيقَةِ ..  
قَصْدُ الْمَبَالِغَةِ فِي تَبَرُّثِهِ نَاحِيَتِهِ ، وَدَفْعِ اللُّومِ عَلَى أَنْ يُلَمَّ بَعَلِّي سَاحَتِهِ ، وَقَدَّرَ  
أَنَّهُ إِنْ خَلَصَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَةِ كِفَافًا لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ .. فَقَدْ رَجَحَ السَّلَامَةَ بِمَا  
عَسَاهُ أَنْ يَنْجَرَّ مِنَ الْمَلَامَةِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا مَبْلَغَ مَا تَوَخَّاهُ ، مِنْ ذَلِكَ  
الْمُنْحَى الَّذِي نَحَاهُ .. فَأَنَا لَا أَقْنَعُ لَهُ مِنَ النَّصْرِ ، بِذَلِكَ الْقَدْرِ النَّزْرِ ، بَلْ أَحْبُّ  
أَنْ تَكُونَ الْغَلْبَةُ لَهُ كَامِلَةً غَيْرَ مُنْتَقِصَةٍ ، وَنَصْرَتُهُ حِرْسَهُ اللَّهُ مُهَيَّأَةً غَيْرَ مُنْغَصَّاةٍ ،  
فَأَنَا أَخَاصِمُ نَفْسِي مِنْ جَهْتِهِ ، وَأَعَارِضُهَا بِمَحَبَّتِهِ ، وَالزَّمُّهَا أَنْ تَنْزِلَ عَلَى  
حُكْمِهِ ، وَتَنْزِعَ إِلَى سَلَمِهِ ، وَأَعْتَرَفُ لَهُ بِجَمِيعِ مَا أَجْمَلَهُ وَفَصَّلَهُ اعْتِرَافًا يَزِيلُ  
الشَّقَاقَ ، وَيَرُدُّ الْوَفَاقَ .

ثُمَّ أَسْأَلُهُ أَنْ يَعْفُوَ وَيَصْفَحَ ، عَارِفًا بِأَنَّهُ إِذَا مَلَكَ .. أَسْجَحَ ، وَإِذَا قَدَرَ ..  
عَفَا وَأَصْلَحَ ؛ فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ .. فَقَدْ فَازَ مَعَ لَذَّةِ الظَّفَرِ وَالنَّصْرِ ، بِمَا يَرْجُوهُ

على العفو من حسن الثواب والأجر ، وفزت أنا في الجملة بتحصيل رضاه ،  
وعدم الخروج عن موافقة هواه ، وانفصلنا عن القضية وكلنا فائزٌ بسهمه ،  
راضٍ بما حصل في قسمه .

وإن أبى إلا أن يناقشني الحساب ، ويتمادى حرسه الله على ذلك  
العتاب . . فلن يعدم داعيه في معرض الجدل شبهة إذا لم يجد حجة ، وقد  
جاء في المثل : لا تعدم الخرقاء حيلة ، وما أظنه يراني أقل من هذه درجة ،  
فليختر لنفسه ما يراه أقرب إلى الصواب ، وليتفضل على داعيه ومُجِبِّه وراجيه  
بالجواب ، مُوفقاً إن شاء الله تعالى ، آمين ، يا رب العالمين .



### وكتبَ تقريراً لصحيفة الوقائع المصرية حين أصلح أمرها بعدَ سابقِ اختلالِ اعتراضها :

لا ريب أن كلَّ مَنْ عرفَ التمدُّنَ ، وشمَّ عَرَفَ التفنُّنَ ، وأخذَ بنصيبٍ  
منَ الفهمِ والتفطُّنِ . . كانَ أحبَّ شيءٍ إليه ، وأوجبَ أمرٍ لديه ؛ أن يكونَ  
مُطَّلِعاً على وقائعِ مصرِهِ ، عارفاً بما تَجَدَّدَ بينَ بني عصرِهِ ؛ منَ حوادثِ  
الزَّمانِ ، وعجائبِ عالمِ الإمكانِ ، وما هوَ صائرٌ في الممالكِ المُتَمَدِّنةِ ، ودائرِ  
بينَ الملوكِ المُتَمَكِّنةِ ، وما هوَ جارٍ بينَ الدُّولِ المتفكِّةِ ، والمللِ المُتَفَرِّقةِ ؛  
منَ عهودٍ تُجَدَّدُ ، وشروطٍ تُؤكَّدُ ، وآثارٍ تُغيَّرُ ، وصعابٍ تُيسَّرُ ، وما بينهم  
منَ نزاعٍ ومقاتلةٍ ، وخداعٍ ومخاتلةٍ ، وسكونٍ وهدنةٍ ، وحركةٍ وفتنةٍ ، وما  
حدثَ في أحوالِ التجارةِ ، وأمورِ السياسةِ والإدارةِ ، وما أبدتهُ فحولُ العقلاءِ  
في مجامعِها ، وما استبدَّتهُ عقولُ النبلاءِ منَ بدائعِها ، وما ظهرَ منَ روائعِ  
الصَّنائعِ وعوارفِ المعارفِ ، وطرائفِ اللطائفِ ، فتتسعَ دائرةُ إطلاعهِ ، ويمتدَّ  
إلى المعالي طویلُ باعِهِ ، ويعرفَ العوائدَ مذمومَها وممدوحَها ، ويميزَ الآراءَ

راجحها ومرجوحها ، فيجتني ثمرات الأفكار ، ويقتني محاسن الآثار ، ويتمتع وهو مستريحٌ بنتيجة ما تعب فيه غيره الليل والنهار ، ويكون كأنما طاف مشارق الأرض ومغاربها ، وجرب جميع الأمور ودرى عواقبها ، فلا تكاد تنزل بساحته حادثة إلا وقد أحاط علمه بنظيرها ، وعرف غاية مصيرها ، وكيف يفتح باب النجاح في حسن تدبيرها ، إلى غير ذلك من المنافع الجمّة ، وغرر المحاسن المهمّة ، التي يقصّر عن حدّها اللسان ، ويقصّر في عدّها البيان .

ولا مرية في أنّ صحف الأخبار هي الحافلة بهذه المزايا ، الكافلة باستخراج فرائد الفوائد من خبايا الزوايا ، فهي جُهينة الأخبار ، وخزينة ذخائر الأفكار ، وصيقل الأذهان ، ومראה حوادث الزمان ، وهي المجلس الذي تُعجب نوادره ، والأنيس الذي يُطرب حديثه من يسامره ، والخليل الذي لا يستر منك أمراً ، ولا يخبأ عنك خبراً ولا خُبراً ، والنديم الذي لا تُخاف عريته ، والصاحب الذي تُسرك مودته ، وهي السائح الذي يطوف البلاد ، ويأتيك بأخبار العباد ، ويعرفك أحوال زمانك ، وأنت لا تبرح من مكانك .

ثم مؤنته هينة ، ومعونته بينة ، تنتفع منه وتستفيد ، ولا تصرف عليه في العام غير شيء زهيد ، فالنُجباء من الناس لا يفترون عن هذه اللطائف ، ولا يفترون من مطالعة تلك الصحف .

وقد كانت صحف الوقائع المصرية ، في الممالك الإسلامية ؛ من الصحف الأولى ، الراقية من مراتب الإجادة والإفادة إلى الدرجة الأولى ، ثم عادت عليها عوادي الزمان ، فبقيت في حضيض الإهمال تحت ذيل الهجران ، حتى نسجت عليها عنكبُ النسيان ، إلى أن أعادها معيد رسوم المعارف بعد اندراسها ، وباني بيوت المعالي على مُحكم أساسها ؛ بدرّ



فلِكِ الحكومةِ المصريةِ وشمسُ سَمَائِهَا الماحي بِأنوارِ هِمَّتِهِ السنيةِ حنادسَ ظلمائِهَا ، المقتدي بوالدِهِ الماجِدِ وجَدِهِ الكريمِ سَمِيِّ سيدِنَا إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، أبقاهُ اللهُ ذُخْرًا للفضلِ وأهلِهِ ، ولا بَرَحَتْ مِصرُ مُعَطَّرَةَ الأَرْجاءِ بِأريجِ عدلِهِ .

إِلَّا أَنَّ الصَّحيفَةَ المذكورةَ لم تُعَدِّ في النشأةِ الآخرةَ إلى حالِها الأوليَّةِ ، حتَّى لَقِدَ بَقِيَتْ مُدَّةً مِنَ الزَمَنِ خَالِيَةً عَنِ الأَخْبَارِ الأَجْنِبِيَّةِ ، وكَثِيرٍ مِنَ الحَوَادِثِ الدَّاخِلِيَّةِ ، وتَالَلَهُ ؛ لَقَدْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظَرَ المُتَأَسِّفِ ، وَنَنْتَظِرُ إِصْلَاحَهَا انْتِظَارَ المُتَلَهِّفِ ، وَنَرَاهَا بِحَالٍ عَليْلٍ ، كُلُّ مَنْ رَنا إِلَيْهِ رَثَى إِلَيْهِ ، وَكَلَّمَا أَبْصَرَهُ أَهْلُهُ . . تَمَنَّوْا أَنْ يُقْضَى لَهُ الشِّفَاءُ أَوْ يُقْضَى عَلَيْهِ ، وَلَمَّا كَانَ مَا بَها مِنْ تِلْكَ الحَالَةِ عَلى ضِدِّ المَقاصِدِ العَلِيَّةِ الدَّائِرِيَّةِ ، وَلَمْ تَزَلِ العِنايةُ السَّنيَّةُ مُنْعَظَةً لَتَقْدُمِ أَحْوالِ هَذِهِ الدِّيارِ المِصرِيَّةِ ، وَكَانَ مَمَّنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ حَقَّ يَقِينِهِ ، الأَمِيرُ الجَلِيلُ الَّذِي لا يَسْمَحُ الزَمَانُ بِقَرِينِهِ ، العَلَمُ المَفْرَدُ فِي العِلْمِ والأَدَبِ وَمَعَالِي الهِمَمِ ، البارِعُ المُتَقِنُ المُتَفَتِّنُ فِي لُغَةِ العَرَبِ والتَّرِكِ والعِجَمِ ، حَضْرَةُ أَحْمَدَ بِيكٍ خَيْرِي مَكْتُوبِي الجَنابِ الدَّائِرِيِّ . . اهْتَمَّ بِتَحْسينِ هَذِهِ الصَّحيفَةِ وَإِصْلَاحِهَا ، وَأشارَ إلى مَأْمُورِها بِما يَكُونُ فِيهِ حَسَنُ نِجَاحِها ، وَساعَدَ عَلى إِنْفاذِ هَذِهِ النِّيَّةِ السَّنيَّةِ صاحِبُ المَعارِفِ البَاهِرَةِ ، والأَفْكارِ الزاهِرَةِ ، وَالهِمَمِ العَلِيَّةِ ، حَضْرَةُ مُحَمَّدٍ شَرِيفٍ باشا ، نَاطِرُ الأُمُورِ الدَّاخِلِيَّةِ والخارجِيَّةِ ، وَالمَدارسِ المِصرِيَّةِ ، فَعادَتْ كَما بَدَتْ وَأَحْسنَ بِهِمَّةِ المُشارِ إِلَيْها ، وَغَدَتْ بِلِسانِها الفَصيحِ تُثْنِي عَلى الجَنابِ الأَكْرَمِ الخَدِويِّ ثُمَّ عَلَيها .

وَناهيكَ بِإِزالَةِ ما كانَ فِي وَجْهِها مِنَ الخَطِّ الثَقِيلِ ، وَاسْتِبدالِهِ بِما تَراهُ الآنَ مِنَ الخَطِّ الجَميلِ ، الَّذِي صارَ فِي مَطْلَعِها بَراعةُ اسْتِهْلالٍ ؛ لِمَا قَدِ انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ لُطْفِ الأَسْلُوبِ وَحَسَنِ الأَحْوالِ ، فَوَجَبَ عَلى أَهْلِ الوِطَنِ العَزيزِ ،

وأصحاب المعارف والتميز . . أن يشكروا فضل هذه الهِمَمِ الخيرية ، بعد خير الدعاء للحضرة الداورية ؛ فإنَّها الأصلُ الأصيلُ في الإصلاح ، والمرشدُ الدليلُ إلى سبيلِ النجاح .

ونرجو من مُحرِّرِ هذه الصَّحيفةِ ومأمورها ، والقائمين بإدارة أمورها . . ألا تزال راقيةً في مدارج الكمال ، رافلةً في حُللِ الحسنِ متحليةً بحُلِّيِ الجمال ، فائزةً بسلوكِ جادةِ الإجابة ، حائزةً براعةِ العبارة وكثرةِ الإفادة ؛ بحيثُ تكونُ حلاوةً مبانيها ، وطلاوةً معانيها ، ولطفُ أساليبها ، وظرفُ تراكيبها . . أنموذجاً لمن يتعلَّم حسنَ التعبيرِ والتقريرِ ، ومثالاً يقتدي به من يرومُ تحبيرَ التحريرِ ، مع استيفاءِ الأخبارِ الداخلية ، وما يلزمُ من الحوادثِ الأجنبية ، وإنباءِ الإخوان ؛ من أبناءِ الأوطانِ ، بما يعودُ عليهم نفعُهُ ، ويعظمُ لديهم وقعُهُ ، وإرشادِهِم لِمَا يفيدُهُم مزيدَ التقدُّمِ في التمدُّنِ ، وتنبهِهِم على ما يقبُحُ من العوائدِ وما يحسُنُ ، وإنَّما قلْتُ ما قلْتُ وأكثرْتُ في هذا الرجا وطَوَّلْتُ ؛ لأنَّ في مأموري هذه الصَّحيفةِ أهليةً لِمَا أملتُ .

والمأمولُ من سُكَّانِ الدِّيارِ المصريةِ ، ولا سيَّما أهلِ هذه الحاضرةِ البهيةِ . . أن يُقبلوا على صحائفِ الوقائعِ ويلتفتوا إليها ، ويرغبوا في مطالعتها ويحرصوا عليها ، ويتبعوا ما يُنبَهُونَ عليه من الأمورِ النافعةِ والعاداتِ الحسنةِ ؛ ليكونوا من الذين يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَهُ .

أليسَ هذا أولى من الأمورِ العبثيةِ ؟! كالعكوفِ على الملاهي وسماعِ القصصِ الخرافيةِ ؛ مثلَ ما اشتَهَرَ من قصةِ سيفِ بن ذي يزنٍ ، وحكايةِ عنترَةَ والظاهرِ وإبراهيمَ بنِ حسنٍ ، وأمثالِ ذلكِ من الحكاياتِ التي أكثرُها أكاذيبُ وتمويهاتُ .

وأسوأُ من ذلكِ حالاً قومٌ ينتدبونَ للمشاجرةِ فيما شجرَ بينَ الصَّحابةِ ،

ويتجاذبون اختلاف الخلاف فيما ينسبون لبعض هذه العصابة من الخطأ والإصابة !! على أن بعضهم لا يعرف وجه ما يخوض فيه ، ولا يدري على الحقيقة كنه ما يخرج من فيه ، وإنما هو تقليد بلا دليل ، وخبط على غير سبيل ، لا سيما والتواريخ مضطربة الأقوال ، على حسب اختلاف الأغراض والأحوال ، ولا ثمرة للخلاف ، ولم نكن حاضري المصاف ، فيا ليت شعري !! أي معنى في هذا العناء الباطل ؟! وأي طائل وقد نهانا عن الخوض في ذلك أكابر العلماء الأفاضل ؟! وهل ذلك لزعم مثوبة أخروية ، أم لتوهم فائدة دنيوية ؟!

إن كانت الأولى . . فعندنا ما هو أولى ؛ مثل دراسة كتاب الله القديم ، وكلام نبيه الكريم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار ، وصحابته الخيرة الأبرار ، ومثل تعلم أصول الدين وعقائده ، والاشتغال بمعرفة آدابه الشريفة وقواعده ، إلى غير ذلك من الأعمال الفاخرة ، الجالبة خيرى الدنيا والآخرة .

وإن كانت العلة الحاملة حصول الثمرة العاجلة . . فثم مسالك أقرب لذلك ؛ كاجتهاد الإنسان في نحو تجارته [ وزراعته ] ، واهتمامه بازدياد براءته في صناعته ، والتوسل إلى توسيع دائرة المدنية ، بالجِدِّ والجهد في الفنون والمعارف الإنسانية ، وعقد الشركات في الأمور النافعة ، والاستعانة باجتماع الأيدي على اجتناء ثمرات الربح اليانعة ؛ فإنه يتهيأ للاثنين ما ليس للواحد به استطاعة ، وحسبك بما ورد : « يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ » <sup>(١)</sup> .

**وبالجملة :** فإن في الشركة من عظيم الخير والبركة ما تشهد به العينان ، ولا حجة أكبر من العينان ، ألا ترى إلى هذه الشركة المعنونة بالقومبانية

(١) أخرجه الترمذي ( ٢١٦٦ ) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه .

العزیزۃ المصریۃ ، المؤسسۃ فی ظلّ الحضرة الملكية بحسنِ الهمم العلیۃ  
الدوریۃ ؛ کیف نجحتْ أسبابها ، وانتفعتْ بفوائدها أربابها ، وسلکتْ علی  
أحسنِ سبیل ، فی البحرِ المِلحِ وفی نهرِ النیل ، وکیفَ صارتْ عوناً حسناً  
علی التجارة والسیاحة وتسهیل طریقِ الحُجاج ، بعناية الله الذی مرجَ البحرین  
هَذَا عَذْبُ فَرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أُجَاجٍ .

وإنّا لנرجو لها مزیدَ التقدّمِ بجلیلِ همّةِ الجنابِ الخدیویّ وجملِ  
إقدامِهِ ، ونراها کالطّفلِ بآنتِ علائمِ نجابتِهِ قبلَ إِبّانِ فطامِهِ ، لا شکَّ أنّها  
منْ حسناتِ ولیّ النعمِ الخدیویّ الأکرمِ ، الداوریّ الأفخمِ ، الذی تَعَطَّرَتْ  
الأفواهُ بطیبِ ذکرِ سنائِهِ ، وَتَحَلَّتِ الشّفاءُ بِمُکَرَّرِ شکرِ آلائِهِ ، فأدامَ اللهُ دولتَهُ  
السّنیّةَ غُرّةً فی جبهاتِ الأعصارِ ، کما جعلَ حکومتَهُ العادلةَ المرضیةَ قُرّةً  
لعیونِ الأمصارِ .

**هَذَا ؛** والمرجوُّ کلَّ الرجا ، مِنْ حضراتِ أهلِ المعارفِ وأربابِ  
الحِجَا . . ألاَّ یبخلوا علی إخوانِهِمْ ، بما هوَ فی إمکانِهِمْ ؛ مِنْ المقالاتِ  
المفیدة ، والآراءِ السّدیدة ، والأفکارِ الناجحة ، والأخبارِ الصّالحة ؛ لتدرجَ  
عنهُم فی صحفِ الوقائعِ وتُنشَر ، وتُسَطَّرَ فی صفحاتِ الأيامِ وتُذکَر ، فقد  
تَعَهَّدَ مأمورُ الوقائعِ بإعلانِ کلِّ ما یَرُدُّ إِلَیْهِ مِنْ هَذَا القبیلِ ، واللهُ تعالی  
یُوفِّقُنَا جمیعاً للخیرِ والرّشادِ ویهدینا سواءَ السبیلِ ، وقلْتُ مُضْمِناً الشّطرَ  
الأخیرَ :

وَقَائِعُ مِصْرَ الْأَن فَاقَتْ بِحُسْنِهَا      وَبَاهَتْ بِمَا جَادَتْ بِهِ مِنْ بَدَائِعِ  
فَدُونَكَ مِنْ عَذْبِ الْحَدِيثِ وَحُلُوهِ      جَنَى النَّحْلِ مَمْرُوجاً بِمَاءِ الْوَقَائِعِ  
وَقُلْتُ مُضْمِناً أَيْضاً :

يَا أَهْلَ مِصْرَ لَكُمْ زَهَا نُورُ الْمُنَى      وَبَدَا بِكُمْ نُورُ الْمَعَالِي سَاطِعَا

فَقَطَفْتُمْ زَهْرَ الْحَوَادِثِ نَاضِرًا      وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا<sup>(١)</sup>  
ذُلُّكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ الْمَنْهَلُ الصَّافِي ، وَالْمَوْرِدُ الْعَذْبُ النَّمِيرُ الشَّافِي ،  
أَسْأَلُ اللَّهَ لِمَنْشِئِهِ دَوَامَ حَسَنِ عِنَايَتِهِ ، وَإِنَارَةَ بَصَائِرِكُمْ بِأَنْوَارِ هِدَايَتِهِ .

### [ مَوْلَدُ هَذَا الْأَمِيرِ بِحَسَابِ الْجَمَلِ ]

مِنَ الْإِتْفَاقِ الْغَرِيبِ : أَنْ كَانَ جُمْلُ حُرُوفِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ  
ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، تَارِيخَ مَوْلَدِ هَذَا الْأَمِيرِ حَرَسَهُ اللَّهُ ، وَبَلَغَ بِهِ أَقْصَى  
مَنَاهُ .



(١) وقع في هامش الأبيات الأربعة علامة ( م ) في الأصل ؛ إشارة لكونها مُضَمَّنَةً .  
(٢) سورة مريم : ( ٣٠ ) .



## [ خاتمة الكتاب ]

وَأَلْتَمَسُ مِنْ أَذْكَيَاءِ الْإِخْوَانِ - وَكُلُّهُمْ أَذْكَيَاءُ - أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى دِرَاسَةِ **هَذَا الْمَجْمُوعِ** بِغَايَةِ الْإِعْتِنَاءِ ، وَيَتَّخِذُونَهُ مَبْدَأً لِلتَّعْلِيمِ ، وَمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ بَعْدَ . . فَقَدْ عَرَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

**وَقَدْ أَذْنْتُ لِمَنْ وَثِقَ مِنْ نَفْسِهِ** : أَنْ يُوضِّحَ مَا يَرَاهُ مَوْضِعاً لِلإِضَاحِ ، وَأَنْ يُصْلِحَ مَا دَعَا السَّهْوُ فِيهِ إِلَى نَوْعِ إِصْلَاحٍ .

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ لِي وَلَكُمْ نِعَمَ الْمَعِينِ ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَرِضَا عَنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَسَائِرِ التَّابِعِينَ .

## [ خاتمة الطبع ]

يَقُولُ أَسِيرُ الشَّهَوَاتِ ، وَكَثِيرُ الْمَسَاوِي وَالْهَفَوَاتِ ، رَاجِي التَّجَاوُزِ عَنْ زَلَاتِهِ وَأَثَامِهِ ، **حَسَنُ بْنُ الشَّيْخِ [ أَبِي ] زَيْدٍ سَلَامَةَ** ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُمَا بِمَنْهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَأَثَابَهُمَا جَنَّتَهُ بِفَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ ، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ ، بِجَاهِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ :

بَعْدَ حَمْدِ مَنْ جَعَلَ لُغَةَ الْعَرَبِ وَسِيلَةً لِمَعْرِفَةِ فَنُونِ الْأَدَبِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ مُنْتَخَبِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْفَائِزِينَ بِأَعْلَى الرُّتَبِ ، وَالتَّابِعِينَ الْمُتَمَسِّكِينَ مِنَ التَّقْوَى بِأَقْوَى سَبَبٍ : قَدْ تَمَّ بِإِسْعَافِ الْأَلْطَافِ الْجَلِيلَةِ ، **طَبْعُ مَجْمُوعِ لَفَنُونِ الْأَدَبِ وَسِيلَةً** ، حَوِيَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ ، وَاشْتَمَلَ عَلَى نَفَائِسِ دُرَرٍ مُسْتَحْسَنَةٍ ، بَنَاتِ فِكْرٍ اخْتَرَعَتْهَا فِكْرَةُ سَلِيمَةٍ ، وَعَرَائِسِ خَدَرٍ أَبْرَزَتْهَا مُحَاسِنُ كَرِيمَةٍ ، فَهُوَ وَسِيلَةُ الْأَدَبِ ، وَمَبْلَغُ لَتِمَامِ الْأَرْبِ ، جَمْعَةُ الْعِلْمِ

الشهير ، البحرُ الحبرُ النحريرُ ، صاحبُ البيانِ الوفيِّ ، مَنْ بهِ الفؤادُ مِنْ سقامِ  
الجهالةِ يشتفي ، علامُهُ وقتهِ ، وفريدُ عصرِهِ ؛ **الشيخُ حسينُ المَرْصُفيُّ** ، لا  
زالَ ملحوظاً مِنْ الجليلِ بكمالِ العنايةِ ، محفوظاً برعايةِ الكريمِ في البدايةِ  
والنهايةِ ، غوثاً يسحُ وينزلُ ، وبحراً يفيضُ ويسترسلُ .

**والنصحُ لِمَنْ يصلُ هذا المجموعُ إليه :** أن يعضَّ بنواجذِهِ عليه ؛ لينالَ  
غايةَ ما يَتمنَّاهُ ، ويفوزَ بتحصيلِ ما قد حواهُ ، ويخرجَ مِنْ رِبْقَةِ أسْرِ الجهلِ ،  
يفوزَ بدرجةِ أهلِ الفضلِ ، وليلتقَ هذا الجامعُ بحسنِ قَبولِ ، ويرجوَ مِنْ  
الكريمِ إلى فهمِ ما فيهِ الوصولُ .

وكانَ تمامُ طبعِهِ ، وحسنُ ترتيبِهِ ووضعِهِ ؛ **بمطبعةِ وادي النيلِ البهيةِ** ،  
بخطِّ بابِ الشعريةِ مِنْ مصرِ المحميةِ ، في ظلِّ وليِّ العهدِ والتوفيقِ ، أفندينا  
محمدٍ باشا توفيقٍ ، جعلَهُ اللهُ رحمةً على العبادِ ، وغيثاً مريعاً لكلِّ حاضرٍ  
وبادٍ ، وقَوِّمَ بعدلِهِ حالَ الرعيةِ ، وعمَّمَ بفضلِهِ سائرَ البريةِ ، مُصَحِّحاً بمباشرةِ  
هذا العبدِ الفقيرِ ، الكليلِ خاطرِ الكسيرِ ، أوائلَ شهرِ اللهِ رجبِ الأصمِّ  
الأصبِ ، سنةَ ( ١٢٩٦ هـ ) ستِّ وتسعينَ ومئتينَ بعدَ الألفِ ، مِنْ هجرةِ مَنْ  
كانَ يرى مِنْ أَمامِهِ كما يرى مِنْ الخلفِ .

**صَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ** ، وآلِهِ وصحبِهِ وكلِّ منتَمٍ إِلَيْهِ ، ما انتشرَ مسكُ ختامِ  
وفاحِ ، ونادى المؤذِّنُ : حيَّ على الفلاحِ ، **آمِينَ** .





## (١) أهم المصنّادر والمراجع

١ - أباطيل وأسمار ، **لمحمود شاكر** ؛ العلامة شيخ العربية الأديب أبي فهر محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر الجرجاوي المصري (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢ - الإتقان في علوم القرآن ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضير الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية في مجمع الملك فهد ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية .

٣ - الإحاطة في أخبار غرناطة ، **لسان الدين ابن الخطيب** ؛ الإمام المؤرخ الوزير الأديب الفيلسوف لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني اللوشي الغرناطي (ت ٧٧٦ هـ) ، تحقيق محمد عبد الله عنان (ت ١٤٠٦ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٤ - إحياء علوم الدين ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٥ - الآداب ( الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ) ، **لابن شمس الخلافة** ؛

---

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

الأديب الشاعر الأمير الأيوبي مجد الملك أبي الفضل جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار الأفضلي القوسي المصري (ت ٦٢٢ هـ) ، بعناية العلامة الباحثة محمد أمين بن عبد العزيز الخانجي الحلبي (ت ١٣٥٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٦ - أدب الإملاء والاستملاء ، **لابن السمعاني** ؛ الإمام الحافظ محدث خراسان تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي (ت ٥٦٢ هـ) ، عني به ماكس فايسفايلر ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٧ - أدب الدين والدنيا ، **للماوردي** ؛ الإمام الفقيه الأصولي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٨ - أدب الكاتب ، **لابن قتيبة الدينوري** ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط ٢ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٩ - أدب الكُتَّاب ، **لِلصولي** ؛ الإمام الأديب النديم النادرة أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله ابن صول (صول تكين) الصولي البغدادي البصري (ت ٣٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد بهجة الأثري (ت ١٤١٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤١ هـ ، ١٩٢٢ م) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر .

١٠ - إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، **للقسطلاني** ؛ الإمام الحجة المحدث الفقيه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي (ت ٩٢٣ هـ) ، ط ٦ ، (١٣٠٤ هـ ، ١٨٨٦ م) ، طبعة مصورة عن نشرة بولاق لدئ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، **لابن عبد البر** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي



المالكي ( ت ٤٦٣ هـ ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط ١ ، ( ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م ) ، دار  
الأعلام ، عمان ، الأردن .

١٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، **لابن الأثير** ؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة  
عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلي  
الشبباني الشافعي ( ت ٦٣٠ هـ ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد  
عاشور والعلامة محمود عبد الوهاب فايد ( ت ١٤١٨ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩٣ هـ ،  
١٩٧٣ م ) ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر .

١٣ - الإصابة في تمييز الصحابة ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ  
الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني  
الكناني الشافعي ( ت ٨٥٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م ) ، طبعة مصورة  
لدى دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٤ - أطراف الغرائب والأفراد ، **لابن القيسراني** ؛ الإمام الحافظ الجوال الرحال  
الصوفي أبي الفضل محمد بن علي بن أحمد بن طاهر ابن القيسراني المقدسي  
الظاهري ( ت ٥٠٧ هـ ) ، تحقيق جابر بن عبد الله السريع ، ط ١ ، ( ١٤٢٨ هـ ،  
٢٠٠٧ م ) ، دار التدمرية ، الرياض ، السعودية .

١٥ - إعجاز القرآن ، **للباقلاني** ؛ الإمام المتكلم الأصولي القاضي أبي بكر  
محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري البغدادي المالكي ( ت ٤٠٣ هـ ) ،  
تحقيق العلامة السيد أحمد صقر ( ت ١٤١٠ هـ ) ، ط ٥ ، ( ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ) ،  
دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٦ - الأعلام ، **للزركلي** ، الأديب الكبير المؤرخ خير الدين بن محمود بن  
محمد الزركلي الدمشقي ( ت ١٣٩٦ هـ ) ، بدون تحقيق ، دار العلم للملايين ،  
بيروت ، لبنان .

١٧ - الأغاني ، **لأبي الفرج الأصبهاني** ؛ الإمام الراوية الأديب الكاتب أبي الفرج  
علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي ( ت ٣٥٦ هـ ) ،

تحقيق العلامة إبراهيم الأبياري ( ت ١٤١٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م ) ،  
دار الشعب ، القاهرة ، مصر .

**١٨ -** الأمثال السائرة من شعر المتنبي ، **لابن عباد** ؛ الوزير الأديب المتكلم  
أبي القاسم إسماعيل صاحب بن عباد بن العباس الطالقاني الأصفهاني  
( ت ٣٨٥ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد حسن آل ياسين ( ت ١٤٢٧ هـ ) ،  
( ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م ) ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق .

**١٩ -** الأمثال ، **لابن سلام** ؛ الإمام المحدث الفقيه الأديب أبي عبيد القاسم بن  
سلام بن عبد الله الهروي الخراساني ( ت ٢٢٤ هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد  
قطامش ، ط ١ ، ( ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م ) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .

**٢٠ -** أنوار الربيع في أنواع البديع ، **لابن معصوم** ؛ الإمام المؤرخ الأديب الشريف  
علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين ابن معصوم الحسيني الحسنی المدني ( ت  
لعله بعد ١١٠٠ هـ ) ، تحقيق العلامة شاكر هادي شكر ( ت ١٤١٢ هـ ) ، ط ١ ،  
( ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م ) ، مطبعة النعمان ، النجف ، العراق .

**٢١ -** الأوائل ، **لأبي هلال العسكري** ؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال  
الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الأهوازي ( ت بعد ٣٩٥ هـ ) ، تحقيق  
محمد المصري والدكتور وليد إبراهيم قصاب ، ط ١ ، ( ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ) ،  
وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، سورية .

**٢٢ -** أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، **لابن هشام** ؛ إمام العربية واللغة  
المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري  
الشافعي الحنبلي ( ت ٧٦١ هـ ) ، شرح العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد  
( ت ١٣٩٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م ) ، المكتبة العصرية ، بيروت ،  
لبنان .

**٢٣ -** البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ،  
**لابن الملقن ( ابن النحوي )** ؛ الإمام الحافظ الفقيه أعجوبة الزمان سراج الدين  
أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن الأندلسي المصري الشافعي

( ت ٨٠٤ هـ ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، ( ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م ) ،  
دار الهجرة ، جدة ، السعودية .

**٢٤ -** بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ  
البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي  
الخضيري الشافعي ( ت ٩١١ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم  
( ت ١٤٠١ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م ) ، طبعة مصورة لدى المكتبة  
العصرية ، بيروت ، لبنان .

**٢٥ -** البيان والتبيين ، **للجاحظ** ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن  
محبوب الجاحظ الليثي الكناني ( ت ٢٥٥ هـ ) ، تحقيق وشرح العلامة عبد السلام  
محمد هارون ( ت ١٤٠٨ هـ ) ، ط ٧ ، ( ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ) ، مكتبة الخانجي ،  
القاهرة ، مصر .

**٢٦ -** تاج العروس من جواهر القاموس ، **للزبيدي** ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه  
اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد  
الحسيني الزبيدي الحنفي ( ت ١٢٠٥ هـ ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج  
( ت ١٤٠٢ هـ ) وجماعة من أئمة التحقيق ، ط ١ ، ( ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م ) ، وزارة  
الإرشاد والأنباء ، الكويت .

**٢٧ -** تاريخ الطبري ( تاريخ الأمم والملوك ) ، **للطبري** ؛ الإمام المحدث  
المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الأملّي الطبري ( ت ٣١٠ هـ ) ،  
تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ( ت ١٤٠١ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٨٧ هـ ،  
١٩٦٧ م ) ، طبعة مصورة دون ناشر ، بيروت ، لبنان .

**٢٨ -** تاريخ المدينة المنورة ( أخبار المدينة ) ، **لابن شبة** ؛ العلامة المحدث  
المؤرخ أبي زيد عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري ( ت ٢٦٢ هـ ) ، تحقيق  
فهم محمد شلتوت ، ط ١ ، ( ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ) ، نشر على نفقة السيد حبيب  
محمود أحمد رحمه الله ، المدينة المنورة ، السعودية .

**٢٩ -** تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز

بنواحيها من واديتها وأهلها ، **لابن عساكر** ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي ( ت ٥٧١ هـ ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، ( ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٣٠ - التذكرة الحمدونية ، **لابن حمدون** ؛ الإمام الأديب الأخباري بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي ( ت ٥٦٢ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس ( ت ١٤٢٤ هـ ) وبكر عباس ، ط ١ ، ( ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٣١ - تفسير البغوي ( معالم التنزيل ) ، **للبنغوي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي ( ت ٥١٦ هـ ) ، تحقيق الشيخ خالد عبد الرحمن العك ( ١٤٢٠ هـ ) ومروان سوار ، ط ١ ، ( ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٣٢ - تفسير الكشاف ( الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ) ، **للزمخشري** ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي ( ت ٥٣٨ هـ ) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط ٢ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣٣ - التمثيل والمحاضرة ، **للثعالبي** ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ( ت ٤٢٩ هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ( ت ١٤١٤ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ) ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، مصر .

٣٤ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، **للثعالبي** ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ( ت ٤٢٩ هـ ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، ( ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م ) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية .

**٣٥ -** ثمرات الأوراق ، **لابن حجة** ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزاري ( ت ٨٣٧ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ( ت ١٤٠١ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

**٣٦ -** جامع بيان العلم وفضله ، **لابن عبد البر** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي ( ت ٤٦٣ هـ ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط ١ ، ( ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م ) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية .

**٣٧ -** الجامع لشعب الإيمان ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي ( ت ٤٥٨ هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، ( ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

**٣٨ -** جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، **لأبي زيد القرشي** ؛ الإمام النحوي الراوية أبي زيد محمد بن أبي الخطاب البري القرشي ( ت بعد ٣٠٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي ، ط ٣ ، ( ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، دار القلم ، دمشق ، سورية .

**٣٩ -** جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، **للهاشمي** ؛ للأديب المعلم أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري ( ت ١٣٦٢ هـ ) ، عني به لجنة من الجامعيين ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان .

**٤٠ -** حاشية الصبان على « شرح الأشموني » على « ألفية ابن مالك » ، **للصبان** ؛ العلامة الأديب اللغوي أبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي ( ت ١٢٠٦ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، نسخة مصورة عن دار إحياء الكتب العربية لدى انتشارات زاهدي ، قم ، إيران .

**٤١ -** حاشية الصبان على شرح الملوي على السلم المنورق ، **للصبان** ؛ العلامة الأديب اللغوي أبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي



( ت ١٢٠٦ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

**٤٢ -** حاشية العطار على جمع الجوامع ، **للعطار** ؛ الإمام الفقيه الأصولي الأديب شيخ الجامع الأزهر حسن بن محمد بن محمود العطار المغربي المصري الشافعي ( ت ١٢٥٠ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣١٣ هـ ، ١٨٩٣ م ) ، نسخة مصورة عن المطبعة العلمية ، القاهرة لدى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

**٤٣ -** حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، **للشهاب الحلبي** ؛ العلامة الأديب المنشئ الشاعر شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي الدمشقي الحنبلي ( ت ٧٢٥ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٢٩٨ هـ ، ١٨٨١ م ) ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، مصر .

**٤٤ -** حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، **لأبي نعيم الأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي ( ت ٤٣٠ هـ ) ، ط ٥ ، ( ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة ( ١٣٥٧ هـ ) لدى دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .

**٤٥ -** حياة الحيوان الكبرى ، **للدميمري** ؛ الإمام العلامة الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميمري القاهري الشافعي ( ت ٨٠٨ هـ ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، ( ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م ) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية .

**٤٦ -** الحيوان ، **للجاحظ** ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثي الكناني ( ت ٢٥٥ هـ ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون ( ت ١٤٠٨ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٥ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة البابي الحلبي لدى دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

**٤٧ -** خريدة القصر وجريدة العصر ( قسم شعراء الشام ) ، **للعقاد الأصفهاني** ؛ الإمام المؤرخ الأديب الشاعر عماد الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد

الكاتب الأصفهاني الشافعي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق العلامة الدكتور شكري فيصل (ت ١٤٠٥ هـ)، ط ١، (١٣٧٥ هـ، ١٩٥٥ م)، المجمع العلمي العربي، دمشق، سورية.

**٤٨ -** خزانة الأدب وغاية الأرب، **لابن حجة**؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزراي (ت ٨٣٧ هـ)، تحقيق الدكتورة كوكب دياب، ط ٢، (١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

**٤٩ -** خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، **للبيгдаي**؛ الإمام الأديب النحوي اللغوي عبد القادر بن عمر بن بايزيد البيгдаي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ)، ط ٢، (١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

**٥٠ -** الخطط التوفيقية الجديدة لمصر؛ القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، **لعلي مبارك**، المؤرخ النابغة الوزير علي باشا بن مبارك بن سليمان الروجي (ت ١٣١١ هـ)، أعيد نشره وتحقيقه بإشراف مركز تحقيق التراث بدار الكتب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

**٥١ -** خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، **للمحبي**؛ الإمام القاضي الأديب المؤرخ محمد أمين بن فضل الله بن محمد المحبي العلواني الحموي الدمشقي الحنفي (ت ١١١١ هـ)، ط ١، (١٢٨٤ هـ، ١٨٦٤ م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الوهبية لدى دار صادر، بيروت، لبنان.

**٥٢ -** الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، **للسمين الحلبي**؛ الإمام المفسر عالم العربية شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد السمين الحلبي القاهري الشافعي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، ط ١، (١٤٠٦ هـ، ١٩٨٧ م)، دار القلم، دمشق، سورية.

**٥٣ -** الدراية في تخريج أحاديث الهداية، **لابن حجر العسقلاني**؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر

العسقلاني الكناني الشافعي ( ت ٨٥٢ هـ ) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ، ط ١ ، ( دون تاريخ ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

**٥٤ - الدعاء ، للطبراني ؛** الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني ( ت ٣٦٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد سعيد بن محمد حسن البخاري ، ط ١ ، ( ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

**٥٥ - دلائل الإعجاز ، للجرجاني ؛** إمام اللغة والبلاغة والكلام مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي ( ت ٤٧١ هـ أو سنة ٤٧٤ هـ ) ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر ( ت ١٤١٨ هـ ) ، ط ٤ ، ( ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

**٥٦ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، للبيهقي ؛** الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي ( ت ٤٥٨ هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ، ( ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ) ، دار الريان ، القاهرة ، مصر .

**٥٧ - ديوان ابن الخياط برواية تلميذه ابن نصر القيسراني ( ٥٤٨ هـ ) ، لابن الخياط ؛** شاعر الشام الكاتب الأديب أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي الدمشقي ( ت ٥١٧ هـ ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك ( ت ١٣٧٩ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

**٥٨ - ديوان ابن الدمينية ( صنعة ثعلب وابن حبيب ) ، لابن الدمينية ؛** الشاعر الرقيق الفحل أبي السري عبد الله بن عبيد الله بن عمرو بن مالك ابن الدمينية الخثعمي ( ت نحو ١٣٠ هـ ) ، تحقيق العلامة أحمد راتب النفاخ ( ت ١٤١٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٧٩ هـ ، ١٩٥٩ م ) ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، مصر .

**٥٩ - ديوان ابن الرومي ، لابن الرومي ؛** الشاعر العباسي الكبير أبي الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي البغدادي ( ت ٢٨٣ هـ ) ، تحقيق العلامة

الدكتور حسين نصار ( ت ١٤٣٩ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م ) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .

٦٠ - ديوان ابن الفارض ، **لابن الفارض** ؛ سلطان العاشقين العارف بالله شرف الدين أبي حفص عمر بن علي بن مرشد ابن الفارض السعدي الحموي المصري الشافعي ( ت ٦٣٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٦١ - ديوان ابن المعتز ، **لابن المعتز** ؛ الشاعر الأمير المبدع الغالب بالله أبي العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله محمد بن المتوكل العباسي ( ت ٢٩٦ هـ ) ، تحقيق وشرح مجيد طراد ، ط ١ ، ( ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٦٢ - ديوان ابن النبيه ، **لابن النبيه** ؛ الشاعر المنشئ الرقيق كمال الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن ابن النبيه المصري العباسي ( ت ٦١٩ هـ ) ، عني به عبد الغني أفندي فكري ، ط ١ ، ( ١٢٨٠ هـ ، ١٨٦٠ م ) ، نسخة مصورة عن نشرة مطبعة عبد الغني أفندي فكري ، القاهرة ، مصر .

٦٣ - ديوان ابن حيوس ، **لابن حيوس** ؛ الشاعر العباسي الأمير مصطفى الدولة أبي الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الغنوي الدمشقي ( ت ٤٧٣ هـ ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك ( ت ١٣٧٩ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٦٤ - ديوان ابن رشيق القيرواني ، **لابن رشيق القيرواني** ؛ الإمام الأديب النقاد أبي علي الحسن بن رشيق بن عبد الله القيرواني الأزدي المالكي ( ت ٤٦٣ هـ ) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهواري وهدى عودة ، ط ١ ، ( دون تاريخ ) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

٦٥ - ديوان ابن زيدون ورسائله وأخباره ، **لابن زيدون** ؛ الوزير الكاتب الشاعر أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن زيدون المخزومي الأندلسي

( ت ٤٦٣ هـ ) ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني ( ت ١٤١٩ هـ ) ، ط ٣ ،  
( ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م ) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

**٦٦ -** ديوان ابن شرف القيرواني ، **لابن شرف** ؛ الشاعر الأديب أبي عبد الله محمد بن سعيد ( أبي سعيد ) بن شرف الجذامي القيرواني ( ت ٤٦٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور حسن ذكري حسن ، ط ١ ، ( ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر .

**٦٧ -** ديوان ابن نباتة السعدي ، **لابن نباتة السعدي** ؛ شاعر الوقت المجيد أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن أحمد ابن نباتة السعدي التميمي البغدادي ( ت ٤٠٥ هـ ) ، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، ط ١ ، ( ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م ) ، وزارة الإعلام ، بغداد ، العراق .

**٦٨ -** ديوان ابن نباتة المصري ، **لابن نباتة** ؛ الإمام الفقيه الخطيب الأديب جمال الدين أبي بكر محمد بن محمد بن محمد ابن نباتة الجذامي الفاروقي المصري ( ت ٧٦٨ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٢٣ هـ ، ١٩٠٥ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة التمدن لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

**٦٩ -** ديوان أبي الأسود الدؤلي ، **للدؤلي** ؛ التابعي الجليل واضع علم النحو أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني الدؤلي ( ت ٢٩٠ هـ ) ، برواية أبي سعيد الحسن السكري ( ت ٢٩٠ هـ ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ( ت ١٤٢٧ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان .

**٧٠ -** ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، **لأبي الشيص** ؛ الشاعر المطبوع أبي الشيص محمد بن علي بن عبد الله الخزاعي ( ت ١٩٦ هـ ) ، صنعة عبد الله الجبوري ، ط ١ ، ( ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

**٧١ -** ديوان أبي العتاهية ( أبو العتاهية أشعاره وأخباره ) ، **لأبي العتاهية** ؛ رئيس الشعراء المكثر المولد أبي إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد أبي العتاهية العيني العنزي الكوفي ( ت ٢١١ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور شكري



فيصل (ت ١٤٠٥ هـ)، ط ١، (١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م)، دار الملاح، دمشق، سورية.

٧٢ - ديوان أبي الفتح البستي، **للبستي**؛ الشاعر الأديب الكاتب أبي الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي (لشكر كاه، أفغانستان) الشافعي (ت ٤٠٠ هـ)، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، ط ١، (١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م)، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.

٧٣ - ديوان أبي النجم العجلي، **للعجلي**؛ الشاعر الراجز الأموي أبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي البكري (ت ١٣٠ هـ)، شرح وتحقيق الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران، ط ١، (١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م)، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.

٧٤ - ديوان أبي بكر بن دريد الأزدي، **لابن دريد**؛ إمام اللغة والأدب أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ)، عني به السيد محمد بدر الدين العلوي، ط ١، (١٣٦٥ هـ، ١٩٤٦ م)، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، مصر.

٧٥ - ديوان أبي تمام، **لأبي تمام الطائي**؛ أمير البيان وإمام اللغة أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الإمامي (ت ٢٣١ هـ)، بشرح إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٥، (١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

٧٦ - ديوان أبي فراس الحمداني، **لأبي فراس الحمداني**؛ الأمير الشاعر الفارس البليغ أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي (ت ٣٥٧ هـ)، عني به عبد القادر محمد مايو، ط ١، (١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م)، دار القلم العربي، حلب، سورية.

٧٧ - ديوان أبي نواس برواية الصولي، **لأبي نواس**؛ شاعر العراق في عصره أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي (ت ١٩٨ هـ)، تحقيق الدكتور

بهجة عبد الغفور الحديثي ، ط ١ ، ( ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م ) ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي ، الإمارات .

٧٨ - ديوان الأخطل ، **للأخطل** ؛ الشاعر أبي مالك غياث بن غوث بن الصلت الأخطل التغلبي الأموي النصراني ( ت ٩٢ هـ ) ، تحقيق الدكتورة كارين صادر ، ط ١ ، ( ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٧٩ - ديوان الأرجاني ، **للأرجاني** ؛ الإمام القاضي شاعر زمانه ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني التستري الشافعي ( ت ٥٤٤ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفى ( ت ١٤٢٦ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م ) ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العراق .

٨٠ - ديوان الأعشى الكبير ، **للأعشى** ؛ الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى الكبير ( ت ٧ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمود إبراهيم محمد الرضواني ، ط ١ ، ( ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م ) ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، قطر .

٨١ - ديوان البارودي ، **للبارودي** ؛ الأديب الشاعر الأمير محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي الشركسي المصري ( ت ١٣٢٢ هـ ) ، تحقيق العلامة علي الجارم ( ت ١٣٦٨ هـ ) والأديب محمد شفيق معروف ، ط ١ ، ( ١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م ) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

٨٢ - ديوان البحري ، **للبحري** ؛ الشاعر الكبير أحد السلاسل الذهبية أبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي البحري ( ت ٢٨٤ هـ ) ، شرح وتحقيق العلامة الدكتور حسن كامل الصيرفي ( ت ١٤٠٥ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٨٣ - ديوان البوصيري ، **للبوصيري** ؛ إمام المادحين وأعجوبة النثر والنظم شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد المغربي الصنهاجي البوصيري ( ت ٦٩٦ هـ ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ( ت ١٤١٩ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

**٨٤ - ديوان التهامي ، للتهامي ؛** الشاعر الخطيب أبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي ( ت ٤١٦ هـ ) ، تحقيق الدكتور علي نجيب عطوي ، ط ١ ، ( ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان .

**٨٥ - ديوان الحطيئة ، للحطيئة ؛** الشاعر المخضرم أبي مُليكة جُروْل بن أوس بن مالك الحطيئة العبسي ( ت ٤٥ هـ ) ، برواية وشرح ابن السكيت ؛ أبي يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت الدورقي الأهوازي البغدادي ( ت ٢٤٤ هـ ) ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، ط ١ ، ( ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

**٨٦ - ديوان الخنساء ، للخنساء ؛** الصحابية الشاعرة المخضمة الخنساء أم عمرو تماضر بنت عمرو بن الحارث النجدية رضي الله عنها ( ت ٢٤ هـ ) ، بشرح إمام الكوفيين المحدث أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد ثعلب الشيباني البغدادي ( ٢٩١ هـ ) ، تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ، ط ١ ، ( ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ) ، دار عمار ، عمان ، الأردن .

**٨٧ - ديوان الراعي النميري ، للراعي ؛** الشاعر الفحل الوجيه عبيد بن حصين بن جندل الراعي النميري القيسي ( ت ٩٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريفِي ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

**٨٨ - ديوان السري الرفاء ، للسري الرفاء ؛** الشاعر الأديب الوراق أبي الحسن السري بن أحمد بن السري الرفاء الكندي الموصلِي ( ت ٣٦٦ هـ ) ، عني به الأديب كرم البستاني ( ت ١٣٨٦ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

**٨٩ - ديوان السموءل ، للسموئل ؛** الشاعر الجاهلي الحكيم السموءل بن عريض بن عاديء اليهودي ( ت ٦٤ ق هـ ) ، صنعة إمام النحو الفقيه المحدث أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه العتكي الأزدي الواسطي ( ت ٣٢٣ هـ ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ( ت ١٤٢٧ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م ) ، مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق .

٩٠ - ديوان الشاب الظريف ، **للتلمساني** ؛ الشاعر المترق المجيد الشاب  
الظريف شمس الدين محمد بن سليمان بن علي التلمساني الدمشقي ( ت ٦٨٨ هـ ) ،  
تحقيق العلامة شاكر هادي شكر ( ت ١٤١٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ) ،  
عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

٩١ - ديوان الشريف الرضي ، **لشريف الرضي** ؛ الإمام الفقيه شاعر الطالبين  
ونقيبهم أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الرضي العلوي الموسوي الحسيني  
البغدادى ( ت ٤٠٦ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس ( ت ١٤٢٤ هـ ) ،  
ط ١ ، ( ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٩٢ - ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، **لشماخ** ؛ الشاعر المخضرم الصحابي  
أبي سعيد الشماخ ( معقل ) بن ضرار بن حرملة المازني الذبياني الغطفاني  
رضي الله عنه ( ت ٢٢ هـ ) ، شرح وتحقيق صلاح الدين الهادي ، ط ١ ، ( ١٣٩٧ هـ ،  
١٩٧٧ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٩٣ - ديوان الصبابة ، **لابن أبي حجلة** ؛ الإمام الفقيه الكاتب الزاهد شهاب الدين  
أبي العباس أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التلمساني الحنفي ( ت ٧٧٦ هـ ) ،  
تحقيق العلامة الدكتور محمد زغلول سلام ( ت ١٤٣٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٠٧ هـ ،  
١٩٨٧ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٩٤ - ديوان الطغرائي ، **للطغرائي** ؛ الوزير الكاتب العميد المنشئ الكيميائي  
مؤيد الدين أبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الطغرائي الدؤلي الأصبهاني  
( ت ٥١٥ هـ ) ، تحقيق الأديب الدكتور علي جواد الطاهر ( ت ١٤١٧ هـ ) والدكتور  
يحيى الجبوري ، ط ١ ، ( ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م ) ، وزارة الإعلام ، بغداد ، العراق .

٩٥ - ديوان العباس بن الأحنف ، **لابن الأحنف** ؛ الشاعر العذري أبي الفضل  
العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي النجدي البصري ( ت حوالي  
١٩٤ هـ ) ، تحقيق الدكتورة عائكة الخزرجي ( ت ١٤١٧ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٧٣ هـ ،  
١٩٥٤ م ) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

٩٦ - ديوان العباس بن مرداس رضي الله عنه ، **لابن مرداس** ؛ الصحابي الشاعر

الفارس أبي الهيثم العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي المضري ابن الصحابية الشاعرة الخنساء رضي الله عنهما (ت نحو ١٨ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

**٩٧ - ديوان العرجي ، للعرجي ؛** شاعر الغزل الكبير عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الأموي (ت ١٢٠ هـ) ، رواية أعجوبة الزمان وإمام العربية والنحو ابن جني أبي الفتح عثمان الأزدي الموصلي الحنفي (ت ٣٨٢ هـ) ، شرح وتحقيق الأديب خضر بن عباس الطائي (ت ١٤٠٠ هـ) والأديب الدكتور رشيد بن عبد الرحمن العبيدي (ت ١٤٢٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٦ م) ، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ، بغداد ، العراق .

**٩٨ - ديوان الفرزدق ، للفرزدق ؛** الشاعر النبيل الأموي أبي فراس همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق الدارمي التميمي (ت ١١٠ هـ) ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان .

**٩٩ - ديوان القاضي الفاضل ، للقاضي الفاضل ؛** إمام الكتّاب الوزير البليغ محيي الدين أبي علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيسانى العسقلاني المصري القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) ، تحقيق الدكتور العلامة أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م) ، دار المعرفة ، القاهرة ، مصر .

**١٠٠ - ديوان القطامي ، للقطامي ؛** الشاعر الفحل الرقيق أبي سعيد وأبي غنم عمير بن شسيم بن عمرو التغلبي الأموي (ت ١٠١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الربيعي ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .

**١٠١ - ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، للكميت ؛** الشاعر الراوية المقدم أبي المستهل الكميت بن زيد الأسدي الكوفي الاثني عشري (ت ١٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريف ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .



١٠٢ - ديوان المتلمس الضبعي ، **للمتلمس الضبعي** ؛ الشاعر الجاهلي جرير بن عبد العزى ( عبد المسيح ) الضبعي ( ت نحو ٥٠ ق هـ ) ، رواية أبي الحسن الأثرم ( ت ٢٣٢ هـ ) وأبي عبيدة عن الأصمعي ( ت نحو ٢٠٩ هـ ) ؛ تحقيق العلامة الدكتور حسن كامل الصيرفي ( ت ١٤٠٥ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م ) ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مصر .

١٠٣ - ديوان المتنبي ، **للمتنبي** ؛ الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي الجعفي الكندي الكوفي ( ت ٣٥٤ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٤٢ هـ ، ١٩٢٣ م ) ، مطبعة هندية ، القاهرة ، مصر .

١٠٤ - ديوان المرقشين ، **للمرقش الأكبر والمرقش الأصغر** ؛ الشاعر الفارس المرقش الأكبر عمرو بن سعد بن مالك البكري الوائلي اليمني النجدي ( ت ٥٧ ق . هـ ) ، والشاعر الفارس المرقش الأصغر عمرو بن حرملة بن سعد البكري الوائلي النجدي ( ت ٥٠ ق . هـ ) ، تحقيق الدكتورة كارين صادر ، ط ١ ، ( ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٠٥ - ديوان النابغة الجعدي ، **للمنابغة** ؛ الشاعر المفلق الصحابي قيس بن عبد الله بن عدس الجعدي رضي الله عنه ( ت نحو ٥٠ هـ ) ، جمع وتحقيق الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، ( ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٠٦ - ديوان النابغة الذبياني ، **للمنابغة** ؛ الشاعر الجاهلي زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ( ت نحو ١٨ ق . هـ ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ( ت ١٤٠١ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٠٧ - ديوان النمر بن تولب العكلي رضي الله عنه ، **للعكلي** ؛ الصحابي الشاعر المخضرم أبو ربيعة النمر بن تولب بن زهير العكلي ( ت نحو ١٤ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريفي ، ط ١ ، ( ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٠٨ - ديوان الهذليين ، **لابن التلاميذ** ؛ العلامة المحدث اللغوي الأديب محمد محمود ولد أحمد ابن التلاميذ التركي العشمي الشنقيطي المدني المكي

( ت ١٣٢٢ هـ ) ، عني به الأديب أحمد الزين ( ت ١٣٦٦ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م ) ، دار الكتب والوثائق المصرية ، القاهرة ، مصر .

**١٠٩ -** ديوان امرئ القيس ، **لامرئ القيس** ؛ شاعر المجون واللهو الملك الضليل امرئ القيس أبي الحارث حندج بن حجر بن الحارث الكندي ( ت ٨٠ ق هـ ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ( ت ١٤٠١ هـ ) ، ط ٥ ، ( ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

**١١٠ -** ديوان أمية بن أبي الصلت ، **لابن أبي الصلت** ؛ الشاعر الجاهلي الحكيم أبي الحكم أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي ( ت ٥ هـ ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، ط ٣ ، ( ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م ) ، نشره محققه ، دمشق ، سورية .

**١١١ -** ديوان أوس بن حجر ، **لأوس** ؛ شاعر مضر الجاهلي الحكيم أبي شريح أوس بن حجر بن مالك المازني التميمي ( ت نحو ٢ ق هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد يوسف نجم ( ت ١٤٣٠ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

**١١٢ -** ديوان بشار بن برد ، **لبشار بن برد** ؛ الشاعر المولد الخطيب أبي معاذ بشار بن برد بن بهمن الفارسي العقيلي البصري ( ت ١٦٧ هـ ) ، تحقيق وشرح العلامة محمد الطاهر ابن عاشور ( ت ١٣٩٣ هـ ) ، وتعليق محمد رفعت فتح الله والعلامة محمد شوقي أمين ( ت ١٤١١ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة لجنة التأليف والترجمة والنشر لدئ وزارة الثقافة ، الجزائر .

**١١٣ -** ديوان بهاء الدين ، **للعاملي** ؛ الإمام الفقيه الفيلسوف الأديب الملا بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني الجعبي ( ت ١٠٣١ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد ألتونجي ، ط ١ ، ( ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ) ، المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ، دمشق ، سورية .

**١١٤ -** ديوان تأبط شرأ وأخباره ، **لتأبط شرأ** ؛ الشاعر الصعلوك ثابت بن فؤاد بن حامد بن جابر تأبط شرأ التهامي الكناني ( ت نحو ٥٣٠ م ) ، شرح وتحقيق علي

ذو الفقار شاکر ، ط ٢ ، ( ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١١٥ - دیوان جمیل ( شاعر الحب العذري ) ، **لجميل بثينة** ؛ الشاعر المطبوع الراوية العاشق أبي عمرو جميل بن عبد الله بن معمر ( جميل بثينة ) العذري القضاعي ( ت ٨٢ هـ ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج ( ت ١٤٠٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م ) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر .

١١٦ - دیوان حسان بن ثابت ، **لحسان رضي الله عنه** ؛ الصحابي الجليل وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بن المنذر النجاري الخزرجي ( ت ٤٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ط ١ ، ( ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١١٧ - دیوان دريد بن الصمة ، **لابن الصمة** ؛ الشاعر الجاهلي الفارس دريد بن الصمة ( معاوية الأصغر ) بن الحارث الجشمي ( ت ٨ هـ ) ، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول ، ط ١ ، ( ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١١٨ - دیوان ديك الجن الحمصي ، **لديك الجن** ؛ الشاعر عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي الحمصي ( ت ٢٣٦ هـ ) ، تحقيق مظهر الحجی ، ط ١ ، ( ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م ) ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية .

١١٩ - دیوان ذي الرمة ، **لذي الرمة** ؛ الشاعر الفحل الأموي أبي الحارث ذي الرمة غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي ( ت ١١٧ هـ ) ، بشرح الإمام الأديب أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي ( ت ٢٣١ هـ ) تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، ط ٤ ، ( ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٧ م ) ، دار الرشيد ، دمشق ، سورية .

١٢٠ - دیوان سحيم ، **لسحيم** ؛ الشاعر المخضرم سحيم ( حية ) عبد بني الحسحاس الحبشي أو النوبي الحجازي ( ت ٤٠ هـ ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي ( ت ١٣٩٨ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م ) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

١٢١ - ديوان سويد بن أبي كاهل الشكري ، **لسويد** ؛ الشاعر المخضرم المقل أبي سعد سويد بن أبي كاهل غطيف بن حارثة الذبياني الكناني الشكري (ت بعد ٦٤ هـ) ، جمع وتحقيق الأديب شاكر عاشور كاظم العاشور ، ط ١ ، (١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ، العراق .

١٢٢ - ديوان صفى الدين الحلبي ، **للحلي** ؛ الشاعر الأديب المجيد صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن نصر الحلبي الطائي النسبي (ت ٧٥٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، طبعة مصورة لدى الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، لبنان .

١٢٣ - ديوان عبد الصمد بن المعذل ، **لابن المعذل** ؛ الشاعر العباسي أبي القاسم عبد الصمد بن معذل بن غيلان بن حكم البختري العبدي (ت نحو ٢٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٢٤ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، **لابن قيس الرقيات** ؛ شاعر قریش الأموي عبيد الله بن قيس بن شريح الرقيات (ت نحو ٧٥ هـ) ، رواية الحسن السكري عن ابن حبيب ، تحقيق العلامة الدكتور محمد يوسف نجم (ت ١٤٣٠ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٢٥ - ديوان عدي بن الرقاع العاملي برواية ثعلب ، **لابن الرقاع** ؛ الشاعر الأموي أبي داود عدي بن زيد بن مالك ابن الرقاع العاملي القضاعي الدمشقي (ت نحو ٩٥ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور نوري حمودي القيسي (ت ١٤١٥ هـ) ، والعلامة الدكتور حاتم صالح الضامن (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق .

١٢٦ - ديوان عدي بن زيد ، **للعبادي** ؛ الشاعر الجاهلي الداهية الفارس عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي (ت نحو ٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد جبار المعبيد (ت ١٤٢٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، العراق .

١٢٧ - ديوان عفيف الدين التلمساني ، **لعفيف التلمساني** ؛ الشاعر الصوفي عفيف الدين أبي الربيع سليمان بن علي بن عبد الله الكومي العابدي التلمساني ( ت ٦٩٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور يوسف زيدان ، ط ١ ، ( ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م ) ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .

١٢٨ - ديوان علقمة بن عبدة ، **لعلقمة الفحل** ؛ الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة التميمي ( ت نحو ٢٠ ق . هـ ) ، قدم له سعيد نسيب مكارم ، ط ١ ، ( ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٢٩ - ديوان علي بن الجهم ، **لابن الجهم** ؛ الشاعر العباسي الأديب أبي الحسن علي بن الجهم بن بدر السامي البغدادي الحنبلي ( ت ٢٤٩ هـ ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك ( ت ١٣٧٩ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٣٠ - ديوان عمر بن أبي ربيعة ، **لابن أبي ربيعة** ؛ الشاعر الرقيق أبي الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة المخزومي ( ت ٩٣ هـ ) ، عني به الدكتور فايز محمد ، ط ٣ ، ( ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٣١ - ديوان عمرو بن كلثوم ، **لابن كلثوم** ؛ الشاعر الجاهلي المعمر المجيد أبي الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي ( ت ٣٩ ق هـ ) ، تحقيق الدكتور علي أبو زيد ، ط ١ ، ( ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م ) ، دار سعد الدين ، دمشق ، سورية .

١٣٢ - ديوان عنتره ، **لعنتره العبسي** ؛ الشاعر الجاهلي والفارس العربي أبي المغلس وأبي عبلة عنتره بن شداد بن عمرو العبسي ( ت نحو ٣٢ ق هـ ) ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، ط ١ ، ( ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٣٣ - ديوان قيس بن الخطيم ، **لابن الخطيم** ؛ الشاعر الجاهلي الفارس الصنديد أبي يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي ( ت نحو ٢ ق هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد ( ت ١٤٣٦ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .



**١٣٤ -** ديوان كثير عزة ، **لكثير عزة** ؛ الشاعر الأموي المتيّم المشهور كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني ( ت ١٠٥ هـ ) ، جمع وشرح العلامة الدكتور إحسان عباس ( ت ١٤٢٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م ) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

**١٣٥ -** ديوان كشاجم ؛ للشاعر الأديب المنشئ أبي الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي كشاجم ( ت ٣٦٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، ( ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

**١٣٦ -** ديوان ليلى الأخيلى ، **ليلى الأخيلى** ؛ الشاعرة الأموية المجيدة ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد الأخيلى ( ت نحو ٨٠ هـ ) ، جمع وتحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية ( ت ١٤١٩ هـ ) والدكتور جليل إبراهيم العطية ، ط ١ ، ( ١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٧ م ) ، دار الجمهورية ، بغداد ، العراق .

**١٣٧ -** ديوان مجنون ليلى ، **لمجنون ليلى** ؛ شاعر الغزل قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري ( ت ٦٨ هـ ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج ( ت ١٤٠٢ هـ ) ، ط ١ ، ( دون تاريخ ) ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر .

**١٣٨ -** ديوان محمد بن هانئ الأندلسي ، **لابن هانئ** ؛ الشاعر الكبير أبي القاسم محمد بن هانئ المغربي الأندلسي ( ت ٣٦٢ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد اليعلاوي ( ت ١٤٣٦ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٨ م ) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

**١٣٩ -** ديوان محمود الوراق ، **للوراق** ؛ الشاعر الواعظ المجيد أبي الحسن محمود بن الحسن الوراق العباسي ( ت نحو ٢٢٥ هـ ) ، تحقيق الدكتور وليد قصاب ، ط ١ ، ( ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م ) ، مؤسسة الفنون ، عجمان ، الإمارات .

**١٤٠ -** ديوان مهلهل بن ربيعة ، **للزير سالم** ؛ الشاعر الجاهلي الفارس المهلهل الزير سالم أبي ليلى عدي بن ربيعة بن مرة التغلبي ( ت نحو ١٠٠ ق . هـ ) ، قدم له طلال حرب ، ط ١ ، ( ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٤١ - ديوان مهيار الديلمي ، **لمهيار** ؛ الشاعر الكبير المبتكر أبي الحسن مهيار بن مزرويه الفارسي الديلمي ( ت ٤٢٨ هـ ) ، ضبط وشرح أحمد نسيم ، ط ١ ، ( ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

١٤٢ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، **لابن بسام** ؛ الإمام الأديب المؤرخ أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني التغلبي الإشبيلي ( ت حوالي ٥٤٢ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس ( ت ١٤٢٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٤٣ - ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، **للزمخشري** ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي ( ت ٥٣٨ هـ ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ( ت ١٤٠٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م ) ، طبعة مصورة لدى دار الذخائر ، قم ، إيران .

١٤٤ - الرحيق المختوم ( بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ) ، **للمباركفوري** ؛ الشيخ الداعية صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد أكبر المباركفوري الأعظمي الهندي ( ت ١٤٢٧ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤٣١ هـ ، ٢٠١١ م ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

١٤٥ - الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام ، **للسهيلي** ؛ الإمام الحافظ المبدع أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي الأندلسي ( ت ٥٨١ هـ ) ، بعناية عمر عبد السلام السلامي ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٤٦ - الزهد ، **لهناد الدارمي** ؛ الإمام الحافظ الثقة الزاهد أبي السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي الكوفي ( ت ٢٤٣ هـ ) ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، ( ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م ) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

١٤٧ - زهر الأكمل في الأمثال والحكم ، **لليوسي** ؛ الإمام الفقيه الأديب النظار نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي ( اليوسفي ) المالكي

( ت ١١٠٢ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد حجي ( ت ١٤٢٣ هـ ) والدكتور محمد الأخضر ، ط ١ ، ( ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م ) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .

**١٤٨ - الزهرة ، لابن داود ؛** الأديب المناظر الفقيه الشاعر أبي بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني الظاهري ( ت ٢٩٧ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور إبراهيم السامرائي ( ت ١٤٢٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ) ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .

**١٤٩ - سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، للبكري ؛** الإمام المؤرخ الجغرافي الموسوعي الوزير أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأونبي الأندلسي ( ت ٤٨٧ هـ ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي ( ت ١٣٩٨ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م ) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، مصر .

**١٥٠ - سنن ابن ماجه ، لابن ماجه ؛** الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربيعي القزويني ( ت ٢٧٣ هـ ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، ( ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م ) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدى دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

**١٥١ - سنن أبي داود ، المسمى : « كتاب السنن » ، لأبي داود ؛** الإمام الحافظ الثبت أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني ( ت ٢٧٥ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٣ ، ( ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م ) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

**١٥٢ - سنن الترمذي ( الجامع الصحيح ) ، للترمذي ؛** الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي ( ت ٢٧٩ هـ ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر ( ت ١٣٧٧ هـ ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي

( ت ١٣٨٨ هـ ) والشيخ إبراهيم عطوة عوض ( ت ١٤١٧ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

**١٥٣ - السنن الكبرى ، للنسائي ؛** الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني ( ت ٣٠٣ هـ ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

**١٥٤ - السنن الكبير ، للبيهقي ؛** الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجري البيهقي الشافعي ( ت ٤٥٨ هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، ( ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م ) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر .

**١٥٥ - سير أعلام النبلاء ( مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ) ، للذهبي ؛** الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي ( ت ٧٤٨ هـ ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ( ت ١٤٣٨ هـ ) ، ط ١١ ، ( ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

**١٥٦ - السيرة النبوية ، لابن هشام ؛** الإمام المؤرخ راوي السيرة جمال الدين أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري الشافعي ( ت ٢١٨ هـ ) ، تحقيق العلامة مصطفى السقا ( ت ١٣٨٩ هـ ) والعلامة إبراهيم الأبياري ( ت ١٤١٤ هـ ) وعبد الحفيظ شلبي ، ط ٢ ، ( ١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي لدى دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

**١٥٧ - شذا العرف في فن الصرف ، للحملوي ؛** العلامة اللغوي الرائد أحمد بن محمد بن أحمد الحملوي البليسي الحسيني الشافعي ( ت ١٣٥١ هـ ) ، تحقيق الشيخ علاء الدين عطية ، ط ٤ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م ) ، مكتبة دار البيروتي ، دمشق ، سورية .

**١٥٨ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لابن عقيل ؛** إمام النحاة والبيان

الفقيه بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عقيل الهاشمي الباسي الحلبي الشافعي (ت ٧٦٩ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق ، القاهرة ، مصر .

**١٥٩ -** شرح أشعار الهذليين : أبو خراش ، **للسكري** ؛ العلامة الأديب الراوية أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار العروبة لدى مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .

**١٦٠ -** شرح أشعار الهذليين : شعر أبي ذؤيب الهذلي ، **للسكري** ؛ العلامة الأديب الراوية أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار العروبة لدى مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .

**١٦١ -** شرح الأشموني على « ألفية ابن مالك » ، **للأشموني** ؛ الإمام الفقيه النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني الشافعي (ت بعد ٩٠٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، نسخة مصورة عن دار إحياء الكتب العربية لدى انتشارات زاهدي ، قم ، إيران .

**١٦٢ -** شرح التصريح على التوضيح ، **لخالد الأزهري** ؛ الإمام النحوي زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر الوقاد الجرجاوي الأزهري الشافعي (ت ٩٠٥ هـ) ، ط ٢٨ ، (١٣٠٥ هـ ، ١٨٨٥ م) ، طبعة مصورة عن النشرة المصرية لدى دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

**١٦٣ -** شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، **للزرقاني** ؛ الإمام المحدث الحجة الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت ١١١٢ هـ) ، عني به محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .



**١٦٤ -** شرح المعلقات العشر ، **للخطيب التبريزي** ؛ إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي ( ت ٥٠٢ هـ ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط ٢ ، ( ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م ) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .

**١٦٥ -** شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، **للقرافي** ؛ الإمام الأصولي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي البهنسي المالكي ( ت ٦٨٤ هـ ) ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط ١ ، ( ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر .

**١٦٦ -** شرح ديوان أبي الطيب المتنبى ( معجز أحمد ) ، **للمعري** ؛ الشاعر الفيلسوف الحكيم أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري ( ت ٤٤٩ هـ ) ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد المجيد دياب ، ط ٢ ، ( ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

**١٦٧ -** شرح ديوان الحماسة ، **للخطيب التبريزي** ؛ إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي ( ت ٥٠٢ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد ( ت ١٣٩٢ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٨ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة حجازي لدى عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .

**١٦٨ -** شرح ديوان الحماسة ، **للمرزوقي** ؛ الإمام العلامة النحوي الأديب أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ( ت ٤٢١ هـ ) ، تحقيق الأديب أحمد أمين ( ت ١٣٧٣ هـ ) والعلامة عبد السلام محمد هارون ( ت ١٤٠٨ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م ) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

**١٦٩ -** شرح ديوان جرير ، **لابن حبيب** ؛ الإمام الأديب النسابة الأخباري أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي ( ت ٢٤٥ هـ ) ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، ط ٤ ، ( ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٧٠ - شرح ديوان صريع الغواني ، **لمسلم بن الوليد** ؛ الشاعر المداح المفوه صريع الغواني أبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري البغدادي ( ت ٢٠٨ هـ ) ، برواية وشرح العلامة الأديب المؤدب أبي العباس الوليد بن عيسى بن الحارث الطبيخي الأموي الأندلسي ( ت ٣٥٢ هـ ) ، تحقيق الأديب الدكتور محمد سامي الدهان ( ت ١٣٩١ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٧١ - شرح ديوان طرفة بن العبد ، **للأعلم الشنتمري** ؛ الإمام عالم العربية واللغة أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري الأندلسي ( ت ٤٧٦ هـ ) ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، ط ١ ، ( ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .

١٧٢ - شرح ديوان كعب بن زهير ، **للسكري** ؛ العلامة الأديب الراوية النحوي اللغوي أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن العتكي السكري ( ت ٢٧٥ هـ ) ، تحقيق عباس عبد القادر ، ط ٤ ، ( ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م ) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .

١٧٣ - شرح ديوان لبید بن ربیعۃ العامري ، **للبيد رضي الله عنه** ؛ الشاعر الفارس الصحابي لبید بن ربیعۃ بن مالك العامري رضي الله عنه ( ت ٤١ هـ ) ، تحقيق وشرح العلامة الدكتور إحسان عباس ( ت ١٤٢٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢ م ) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

١٧٤ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، **لابن هشام** ؛ إمام العربية واللغة المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري الشافعي الحنبلي ( ت ٧٦١ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد ( ١٣٩٢ هـ ) ، وسمى تحقيقه : « منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب » ، ط ٨ ، ( ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر .

١٧٥ - شرح شعر زهير بن أبي سلمى ، **لثعلب** ؛ إمام الكوفيين المحدث أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد ثعلب الشيباني البغدادي ( ت ٢٩١ هـ ) ،

تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط ١ ، ( ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان .

**١٧٦ -** شرح مقصورة ابن دريد ، **لابن خالويه** ؛ فريد دهره الإمام الفذ النحوي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني البغدادي الحلبي الشافعي ( ت ٣٧٠ هـ ) ، تحقيق محمود جاسم محمد ، ط ١ ، ( ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

**١٧٧ -** شرح نهج البلاغة ، **لابن أبي الحديد** ؛ الإمام الأديب المؤرخ عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد المدائني البغدادي المعتزلي ( ت ٦٥٦ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ( ت ١٤٠١ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م ) ، طبعة مصورة لدى دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

**١٧٨ -** شروح سقط الزند « ضوء السقط - شرح التبريزي - شرح ابن السيد البطليوسي » ، **للمعري** ؛ الشاعر الفيلسوف الحكيم أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي ( ت ٤٤٩ هـ ) ، بشرح : إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي ( ت ٥٠٢ هـ ) ، وعلامة اللغة والأدب عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ( ت ٥٢١ هـ ) ، والعلامة الفقيه القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي المعروف بـ صدر الأفاضل ( ت ٦١٧ هـ ) ، تحقيق العلامة مصطفى السقا ( ت ١٣٨٩ هـ ) وعبد الرحيم محمود والعلامة عبد السلام محمد هارون ( ت ١٤٠٨ هـ ) وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد ، ط ١ ، ( ١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ م ) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر .

**١٧٩ -** شعر ابن طباطبا العلوي ، **لابن طباطبا** ؛ الشاعر المفلق الناقد الأديب أبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد ابن طباطبا الهاشمي القرشي الأصفهاني الحسني ( ت ٣٢٢ هـ ) ، جمع وتحقيق ودراسة الأديب الدكتور محمد سلمان ( محمد علي علوان محمد سلمان ) ، ط ١ ، ( ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .

١٨٠ - شعر ابن ميادة ، **لابن ميادة** ؛ الشاعر الرقيق الهجاء أبي شراحيل

( أبي حرملة ) الرماح بن أبرد بن ثوبان ( ابن ميادة ) السلمي المري ( ت ١٤٩ هـ ) ،  
تحقيق العلامة الدكتور حنا جميل حداد ( ت ١٤٣٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٠٢ هـ ،  
١٩٨٢ م ) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .

١٨١ - شعر أبي حية النميري ، **لأبي حية** ؛ الشاعر المجيد المخضرم ( الأموي

العباسي ) أبي حية الهيثم بن الربيع بن زرارة النميري القيسي ( ت بعد ١٥٨ هـ ) ،  
تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، ( ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ) ، وزارة الثقافة  
والإرشاد القومي ، دمشق ، سورية .

١٨٢ - شعر الأحوص الأنصاري ، **للأحوص** ؛ الشاعر الهجاء عبد الله بن

محمد بن عبد الله الأحوص الضبيعي الأنصاري ( ت ١٠٥ هـ ) ، تحقيق الدكتور  
عادل سليمان جمال ، ط ٢ ، ( ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،  
مصر .

١٨٣ - شعر البعيث المجاشعي ، **للمجاشعي** ؛ الشاعر الخطيب المجيد

البعيث أبي مالك ( أبي يزيد ) خدّاش بن بشر بن خالد المجاشعي التميمي  
البصري ( ت ١٣٤ هـ ) ، تحقيق الدكتور عدنان محمد أحمد ، ط ١ ، ( ١٤٣٠ هـ ،  
٢٠١٠ م ) ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، سورية .

١٨٤ - شعر الشنفرى الأزدي ( ت ٧٠ ق .هـ ) ، **للسدوسي** ؛ الإمام اللغوي النسابة

الشاعر أبي الفيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي البصري ( ت ١٩٥ هـ ) ،  
تحقيق الأستاذ الدكتور علي ناصر غالب ، ط ١ ، ( ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، دار  
اليمامة ، الرياض ، السعودية .

١٨٥ - شعر العكوك ، **للعكوك** ؛ شاعر العراق المجيد أبي الحسن علي بن

جبله بن مسلم العكوك الخراساني ( ت ٢١٣ هـ ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد  
عطوان ، ط ٣ ، ( ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٨٦ - شعر دعبل بن علي الخزاعي ، **لدعبل** ؛ الشاعر المتكلم الهجاء

الرّواية أبي علي دعبل ( حسن ) بن علي بن رزين الخزاعي الكوفي البغدادي

( ت ٢٤٦ هـ ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الكريم الأشتر ( ت ١٤٣٢ هـ ) ، ط ٢ ،  
( ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .

**١٨٧ -** شعر زياد الأعجم ، **للأعجم** ؛ الشاعر المجيد الجزل أبي أمامة زياد بن  
سليم ( سليمان ) الأعجم العبدي الأصفهاني الخراساني ( ت بعد ١٢٥ هـ ) ،  
تحقيق الدكتور يوسف حسين بكار ، ط ١ ، ( ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ) ، وزارة الثقافة  
والإرشاد ، دمشق ، سورية .

**١٨٨ -** شعر عروة بن أذينة ، **لابن أذينة** ؛ الشاعر الفقيه المحدث الناسك  
أبي عامر عروة بن أذينة يحيى بن مالك الليثي المدني الكناني ( ت حوالي  
١٣٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، ( ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م ) ، مكتبة  
الأندلس ، بغداد ، العراق .

**١٨٩ -** شعر عمرو بن معديكرب ، **لعمر بن معديكرب رضي الله عنه** ؛ فارس  
اليمن الشاعر أبي ثور عمرو بن معديكرب ( وجه الفلاح ) بن عبد الله الزبيدي  
اليمني ( ت ٢١ هـ ) ، جمع وتنسيق العلامة مطاع الطرايشي ، ط ٣ ، ( ١٤١٤ هـ ،  
١٩٩٤ م ) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

**١٩٠ -** شعر مروان بن أبي حفصة ، **لابن أبي حفصة** ؛ الشاعر المخضرم  
ورأس الشعر ذو الكمر أبي السمط ( أبي الهيثم ) مروان بن سليمان بن يحيى بن  
أبي حفصة يزيد بن عبد الله الأموي ( ت بعد ١٨٢ هـ ) ، جمع وتحقيق الدكتور  
حسين أحمد عطوان ، ط ٣ ، ( ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ،  
مصر .

**١٩١ -** شعر نصيب بن رباح ، **لأبي المحجن نصيب** ؛ الشاعر الفحل  
أبي المحجن ( الحجناء ) نصيب بن رباح الأسود النوبي الكناني الأموي  
( ت ١٠٨ هـ ) ، جمع وتقديم الأستاذ الدكتور داوود سلوم ( ت ١٤٣١ هـ ) ، ط ١ ،  
( ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م ) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، العراق .

**١٩٢ -** شعراء عباسيون منسيون ، **للدكتور إبراهيم النجار** ؛ ، ط ١ ، ( ١٤١٨ هـ ،  
١٩٩٧ م ) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .



**١٩٣ -** الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، **للقاضي عياض** ؛  
الإمام الحافظ الأوحد القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي  
الأندلسي المالكي ( ت ٥٤٤ هـ ) ، تحقيق عبده علي كوشك ( ت ١٤٣٦ هـ ) ،  
ط ١ ، ( ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م ) ، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء ، دمشق ، سورية .

**١٩٤ -** شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، **للترمذي** ؛ الإمام الحافظ العلم  
الفقيه أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي ( ت ٢٧٩ هـ ) ،  
تحقيق محمد وائل الحنبلي ، ط ٢ ، ( ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م ) ، دار البيروتي ،  
دمشق ، سورية .

**١٩٥ -** الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية  
بدار العلوم ، **لعبد الجواد** ؛ الأستاذ الأديب اللغوي محمد عبد الجواد ، ط ١ ،  
( ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

**١٩٦ -** صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، **للقلقشندي** ؛ الأديب المؤرخ البحثة  
شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري  
الشافعي ( ت ٨٢١ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م ) ، طبعة مصورة لدى  
المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، مصر .

**١٩٧ -** الصحاح ( تاج اللغة وصحاح العربية ) ، **للجوهرى** ؛ أعجوبة الزمان  
وأحد أئمة اللسان واللغة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي  
( ت ٣٩٣ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،  
لبنان .

**١٩٨ -** صحيح البخاري ( الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ) « الطبعة السلطانية اليونانية » ، **للبخاري** ؛  
إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن  
المغيرة الجعفي البخاري ( ت ٢٥٦ هـ ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر  
الناصر ، ط ٣ ، ( ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م ) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ،  
السعودية . بيروت ، لبنان .

١٩٩ - صحيح مسلم ( الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ، **لمسلم** ؛ حافظ الدنيا المجود الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ( ت ٢٦١ هـ ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، ( ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م ) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .

٢٠٠ - الصمت وآداب اللسان ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي ( ت ٢٨١ هـ ) ، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري ، ط ١ ، ( ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٠١ - الصناعتين الكتابة والشعر ، **للعسكري** ؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الأهوازي ( ت ٣٩٥ هـ ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي ( ت ١٣٩٩ هـ ) والعلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ( ت ١٤٠١ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م ) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .

٢٠٢ - طبقات الشافعية الكبرى ، **للتاج السبكي** ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي ( ت ٧٧١ هـ ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي ( ت ١٤١٩ هـ ) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ( ت ١٤١٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

٢٠٣ - الطبقات الكبير ، **لابن سعد** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري ( ت ٢٣٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢٠٤ - الطبقات الكبير ، **لابن سعد** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي عبد الله

محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري ( ت ٢٣٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

**٢٠٥ -** طبقات فحول الشعراء ، **لابن سلام** ؛ الإمام النحوي المؤرخ الأديب أبي عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي البصري ( ت ٢٣١ هـ ) ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر ( ت ١٤١٨ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق لدى دار المدني ، جدة ، السعودية .

**٢٠٦ -** الطرائف الأدبية ، ويضم قصائد من « ديوان الأفوه الأودي » و« ديوان الشنفرى » و« ديوان إبراهيم الصولي » ، **للجرجاني** ؛ إمام اللغة والبلاغة والكلام مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي ( ت ٤٧١ هـ أو سنة ٤٧٤ هـ ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي ( ت ١٣٩٨ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٧ م ) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر .

**٢٠٧ -** عروس الأفراح في شرح « تلخيص المفتاح » ، **بهاء الدين السبكي** ؛ الإمام الفقيه المحدث بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي ( ت ٧٧١ هـ ) ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

**٢٠٨ -** العقد الفريد ، **لابن عبد ربه** ؛ الإمام الأديب شاعر الأندلس شهاب الدين أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأموي القرطبي ( ت ٣٢٨ هـ ) ، تحقيق الأديب أحمد أمين ( ت ١٣٧٣ هـ ) والأديب أحمد الزين ( ت ١٣٦٦ هـ ) والعلامة إبراهيم الأبياري ( ت ١٤١٤ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م ) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر .

**٢٠٩ -** العمدة في صناعة الشعر ونقده ، **لابن رشيق** ؛ الإمام الأديب النقاد أبي علي الحسن بن رشيق بن عبد الله القيرواني الأزدي المالكي ( ت ٤٦٣ هـ ) ،

تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، ( ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢١٠ - عمل اليوم والليلة ، **لابن السني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري ( ت ٣٦٤ هـ ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون ( ت ١٤٣١ هـ ) ، ط ٣ ، ( ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م ) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

٢١١ - عيون الأخبار ، **لابن قتيبة الدينوري** ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ( ت ٢٧٦ هـ ) ، تحقيق ثلة من أهل العلم ، ط ١ ، ( ١٣٤٣ هـ ، ١٩٣٠ م ) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

٢١٢ - العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، **للدمايني** ؛ الإمام الفقيه الأديب النحوي بدر الدين أبي بكر محمد بن أبي بكر بن عمر الدمايني الإسكندري المالكي ( ت ٨٢٧ هـ ) ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، ط ٢ ، ( ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢١٣ - الفردوس بمأثور الخطاب ، **للديلمى** ؛ الإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمداني ( ت ٥٠٩ هـ ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، ( ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢١٤ - الفلاكة والمفلكون ، **للدلجي** ؛ الإمام الفيلسوف الاقتصادي شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الدلجي الصعيدي المصري ( ت ٨٣٨ هـ ) ، بعناية خليل صادق ، ط ١ ، ( ١٣٢٢ هـ ، ١٩٠٤ م ) ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، مصر .

٢١٥ - فوات الوفيات والذيل عليها ، **للكتبي** ؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي الداراني الدمشقي ( ت ٧٦٤ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس ( ت ١٤٢٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

**٢١٦ -** فيض القدير شرح الجامع الصغير ، **للمناوي** ؛ الإمام الحجة الفقيه الثبت زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري الشافعي ( ت ١٠٣١ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م ) ، طبعة مصورة عن المكتبة التجارية الكبرى لدى دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

**٢١٧ -** القاموس المحيط ، **للفيروزابادي** ؛ الإمام الكبير بحر اللغة وشيخ الإسلام مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي الشيرازي الشافعي ( ت ٨١٧ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

**٢١٨ -** القسطاس المستقيم في علم العروض ، **للزمخشري** ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي ( ت ٥٣٨ هـ ) ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني ( ت ١٤٢٧ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٩ هـ ، ١٩٧٠ م ) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، العراق .

**٢١٩ -** قهوة الإنشاء ، **لابن حجة** ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزرازي ( ت ٨٣٧ هـ ) ، تحقيق رودولف فيسيلي ، ط ١ ، ( ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م ) ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت ، لبنان .

**٢٢٠ -** قواعد الإملاء ( المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية ) ، **للهوريني** ؛ العلامة المحقق اللغوي الأديب أبي الوفاء نصر بن نصر الهوريني الوفايي الأزهري الشافعي رئيس التصحيح بالمطبعة الأميرية ( ت ١٢٩١ هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب محمود الكحلة ، ط ١ ، ( ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

**٢٢١ -** الكامل ، **للمبرد** ؛ إمام النحاة والعربية أبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد البصري البغدادي ( ت ٢٨٥ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط ٣ ، ( ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

**٢٢٢ -** الكتاب ، **لسيبويه** ؛ إمام اللغة ورئيس النحاة أبي بشر عمرو بن



عثمان بن قنبر (سيبويه) الفارسي الحارثي (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ)، ط ٣، (١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

**٢٢٣ -** كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، **للعجلوني**؛ محدث الشام العلامة المفسر أبي الفداء إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ)، ط ٣، (١٣٥١ هـ، ١٩٣٢ م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

**٢٢٤ -** لباب الآداب، **لابن منقذ**؛ الأمير الشجاع الأديب المؤرخ مجد الدين مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي ابن منقذ الكناني الشيزري (ت ٥٨٤ هـ)، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ)، ط ١، (١٣٥٤ هـ، ١٩٣٥ م)، المطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر.

**٢٢٥ -** اللباب في تهذيب الأنساب، **لابن الأثير**؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلية الشيباني الشافعي (ت ٦٣٠ هـ)، ط ٣، (١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

**٢٢٦ -** المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، **لابن الأثير**؛ الإمام الأديب النابغة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلية الشيباني الشافعي (ت ٦٣٧ هـ)، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ)، ط ١، (١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

**٢٢٧ -** مجمع الأمثال، **للميداني**؛ الإمام الأديب اللغوي الكاتب أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)، تحقيق الدكتور جان عبد الله توما، ط ١، (١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

**٢٢٨ -** محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، **للدراغب الأصبهاني**؛

الإمام اللغوي الحكيم أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق الدكتور رياض عبد الحميد مراد، ط ٢، (١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

**٢٢٩ -** المحاضرات في الأدب واللغة، **لليوسي**؛ الإمام الفقيه الأديب النظار نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (اليوسفي) المالكي (ت ١١٠٢ هـ)، تحقيق وشرح العلامة الدكتور محمد حجي (ت ١٤٢٣ هـ) والعلامة الأديب أحمد الشرقاوي إقبال (ت ١٤٢١ هـ)، ط ٢، (١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

**٢٣٠ -** المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، **للسري الرفاء**؛ الشاعر الأديب الوراق أبي الحسن السري بن أحمد بن السري الرفاء الكندي الموصلية (ت ٣٦٦ هـ)، تحقيق مصباح غلاونجي، ط ١، (دون تاريخ)، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.

**٢٣١ -** محك النظر، **للغزالي**؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ)، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ١، (١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

**٢٣٢ -** مختصر شرح لامية العجم، **للدميمري**؛ الإمام العلامة الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميمري القاهري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ)، عني به محمد شادي عربش، ط ٢، (١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

**٢٣٣ -** مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، **للطناحي**؛ العلامة الدكتور المحقق محمود بن محمد بن علي بن محمد الطناحي المنوفي المصري (ت ١٤١٩ هـ)، ط ١، (١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤ م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

**٢٣٤ -** مرقاة المفاتيح شرح «مشكاة المصابيح»، **لملا علي القاري**؛ الإمام

المحدث الفقيه نور الدين أبي الحسن ملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي  
المكي الحنفي (ت ١٠١٤ هـ)، تحقيق جمال عيتاني، ط ٢، (١٤٢٢ هـ،  
٢٠٠١ م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

**٢٣٥ -** المزهر في علوم اللغة وأنواعها، **للسيوطي**؛ الإمام الحافظ البحر  
جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري  
الشافعي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق العلامة محمد أحمد جاد المولى (ت ١٣٦٣ هـ)  
والعلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) والعلامة محمد أبو الفضل إبراهيم  
(ت ١٤٠١ هـ)، ط ٣، (١٣٧٨ هـ، ١٩٥٨ م)، طبعة مصورة عن نشرة دار إحياء  
الكتب العربية لدئ دار الفكر، بيروت، لبنان.

**٢٣٦ -** المستدرك على الصحيحين، **للحاكم**؛ الإمام الحافظ الناقد شيخ  
المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم الطهماني  
النيسابوري الشافعي (ت ٤٠٥ هـ)، وبهامشه تعليقات الأئمة: البيهقي والذهبي  
وابن الملقن وابن حجر العسقلاني، ط ١، (١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م)، دار الميمان،  
الرياض، السعودية.

**٢٣٧ -** المستطرف في كل فن مستظرف، **للأبشيهي**؛ الإمام الأديب الخطيب  
بهاء الدين أبي الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي الشافعي  
(ت ٨٥٤ هـ)، عني به إبراهيم صالح، ط ١، (١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م)، دار صادر،  
بيروت، لبنان.

**٢٣٨ -** مسند الإمام أحمد ابن حنبل، **لابن حنبل**؛ إمام أهل الدنيا الحجة  
الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ)،  
تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، ط ١،  
(١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

**٢٣٩ -** مسند البزار (البحر الزخار)، **للبزار**؛ الإمام الحافظ الكبير أبي بكر  
أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (ت ٢٩٢ هـ)، تحقيق الدكتور  
محفوظ الرحمن زين الله (ت ١٤١٨ هـ) وعادل سعد وصبري عبد الخالق،

ط ١ ، ( ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية .

٢٤٠ - مسند الدارمي ( سنن الدارمي ) ، **للدارمي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي السمرقندي الدارمي ( ت ٢٥٥ هـ ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، ( ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ) ، دار المغني ، الرياض ، السعودية .

٢٤١ - مسند القضاء ( شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب ) ، **للقضاعي** ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاء الشافعي ( ت ٤٥٤ هـ ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي ( ت ١٤٣٣ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٢٤٢ - مصارع العشاق ، **للسراج القارئ** ؛ الإمام الحافظ الأديب أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ البغداد الشافعي ( ت ٥٠٠ هـ ) ، ط ١ ، ( دون تاريخ ) ، طبعة مصورة لدى دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٢٤٣ - المصنف ، **لعبد الرزاق** ؛ الإمام الحافظ الثقة عالم اليمن أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني ( ت ٢١١ هـ ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ( ت ١٤١٢ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٢٤٤ - مطالع البدور في منزل السرور ، **للغزولي** ؛ العلامة الأديب الأريب علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي البهائي التركي المملوكي ( ت ٨١٥ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

٢٤٥ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، **للعباسي** ؛ الإمام المحدث الأديب الشريف أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ( ت ٩٦٣ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد ( ت ١٣٩٢ هـ ) ،

ط ١ ، ( ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٧ م ) ، طبعة مصورة عن نشرة المكتبة التجارية الكبرى لدى عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

**٢٤٦ - معجم الأدباء ( إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ) ، لياقوت الحموي ؛** العلامة المؤرخ الأديب الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي ( ت ٦٢٦ هـ ) ، قدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط ١ ، ( ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ) ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان .

**٢٤٧ - المعجم الأوسط ، للطبراني ؛** الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني ( ت ٣٦٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، ( ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .

**٢٤٨ - المعجم الكبير ، للطبراني ؛** الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني ( ت ٣٦٠ هـ ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي ( ت ١٤٣٣ هـ ) ، ط ٢ ، ( ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

**٢٤٩ - معجم المطبوعات العربية والمعربة ،** وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ( ١٣٣٩ ) الموافقة لسنة ( ١٩١٩ ) ميلادية ، **لسركيس** ، الأديب الكاتب يوسف بن إليان بن موسى سركيس الدمشقي ( ت ١٣٥١ هـ ) ، بدون تحقيق ، طبعة مصورة لدى مكتبة المرعشي النجفي ، قم ، إيران .

**٢٥٠ - معيار العلم ، للغزالي ؛** الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي ( ت ٥٠٥ هـ ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، ( ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

**٢٥١ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ؛** إمام العربية واللغة



المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري الشافعي الحنبلي (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق الدكتور العلامة مازن المبارك والعلامة محمد علي حمد الله (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

**٢٥٢ -** مفتاح العلوم ، **للسكاكي** ؛ إمام العربية والأدب سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندawi ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

**٢٥٣ -** المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، **للسخاوي** ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغماري (ت ١٤١٣ هـ) وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

**٢٥٤ -** مقامات الحريري ، **للهريري** ؛ الإمام البارع ذو البلاغتين أبي محمد القاسم بن علي بن محمد البصري الحرامي الحريري الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، مصورة عن طبعة بولاق لدئى دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

**٢٥٥ -** مقدمة ابن خلدون ، وهي مقدمة كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » ، **لابن خلدون** ؛ الإمام المؤرخ نادرة العصر ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٦ م) ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، مصر .

**٢٥٦ -** مقدمة الأدب ، **للمزمخشري** ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظائر جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، ط ١ ، (١٨٤٣ م) ، مطبعة ابن قنيسل ، لايبزيغ ، ألمانيا .

**٢٥٧ -** المقدمة الجزرية ( منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه ) ، **لابن الجزري** ؛ الإمام الحجة المحقق شيخ الإقراء شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي العمري الشافعي ( ت ٨٣٣ هـ ) ، تحقيق الشيخ أيمن رشدي سويد ، ط ٧ ، ( ١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٧ م ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

**٢٥٨ -** مكارم الأخلاق ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي ( ت ٢٨١ هـ ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون ( ت ١٤٣١ هـ ) ، ط ١ ، ( ٢٠٠٢ م ) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

**٢٥٩ -** مناقب الشافعي ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي ( ت ٤٥٨ هـ ) ، تحقيق العلامة السيد أحمد صقر ( ت ١٤١٠ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م ) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .

**٢٦٠ -** المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي ( ت ٥٩٧ هـ ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط ١ ، ( ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

**٢٦١ -** ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، **للذهبي** ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي ( ت ٧٤٨ هـ ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي ( ت ١٣٩٩ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٣ م ) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

**٢٦٢ -** النشر في القراءات العشر ، **لابن الجزري** ؛ الإمام الحجة المحقق شيخ الإقراء شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي العمري الشافعي ( ت ٨٣٣ هـ ) ، عني به شيخ عموم المقارئ المصرية العلامة

نور الدين علي محمد الضباع ( ت ١٣٨٠ هـ ) ، ط ١ ، ( دون تاريخ ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة التجارية الكبرى لدى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

**٢٦٣ -** نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، **للمقري** ؛ الحافظ المؤرخ الأديب شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني المالكي ( ت ١٠٤١ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس ( ت ١٤٢٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

**٢٦٤ -** نفحة اليمن بما يزول بذكره الشجن ، **للشرواني** ؛ العلامة الأديب أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشرواني اليمني الشافعي ( ت ١٢٥٣ هـ ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، ( ١٣٢٤ هـ ، ١٩٠٦ م ) ، مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة ، مصر .

**٢٦٥ -** النكت في إعجاز القرآن ، **للرمانى** ؛ الإمام النحوي المتكلم أبي الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرمانى البغدادى المعتزلى ( ت ٣٨٦ هـ ) ، العلامة الدكتور محمد زغلول سلام ( ت ١٤٣٤ هـ ) ومحمد خلف الله أحمد ، ط ٦ ، ( ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م ) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

**٢٦٦ -** نهاية الأرب في فنون الأدب ، **للنويرة** ؛ المؤرخ الباحثة شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويرى القرشى التيمى البكرى ( ت ٧٣٣ هـ ) ، بعناية مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، ( ١٣٤٢ هـ ، ١٩٢٣ م ) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

**٢٦٧ -** همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيرى الشافعي ( ت ٩١١ هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوى ، ط ١ ، ( دون تاريخ ) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر .

**٢٦٨ -** الوافي بالوفيات ، **للففدي** ؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكى الصفدى دمشقى الشافعي

( ت ٧٦٤ هـ ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ٢ ، ( ١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢ م ) ،  
دار فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ألمانيا .

**٢٦٩ -** الوساطة بين المتنبي وخصومه ، **للجرجاني** ؛ الإمام الحافظ الفقيه  
القاضي الأديب أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسين الجرجاني الثقفي  
الشافعي ( ت ٣٩٢ هـ ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ( ت ١٤٠١ هـ ) ،  
والعلامة علي محمد البجاوي ( ت ١٣٩٩ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م ) ،  
المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

**٢٧٠ -** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، **لابن خلكان** ؛ الإمام المؤرخ قاضي  
القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي  
الإربلي الدمشقي الشافعي ( ت ٦٨١ هـ ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس  
( ت ١٤٢٤ هـ ) ، ط ١ ، ( ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

**٢٧١ -** يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، **للثعالبي** ؛ إمام اللغة والأدب  
أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ( ت ٤٢٩ هـ ) ،  
تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، ( ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٣ م ) ، دار الكتب  
العلمية ، بيروت ، لبنان .



## محتوى المجلد الرابع

### فن نقد الشعر

٧

- الناس في نقد الشعر وسائر الكلام صنفان ..... ٩
- نقد الإمام الباقلاني لمعلقة امرئ القيس ..... ١٠
- إنصاف المعلقة مما ورد عليها من الانتقاد ..... ٣١
- نقد لبعض قصائد البحري ..... ٣٨
- ذكر قصيدتين مستجادتين للبحري ..... ٦٤
- \* القصيدة الأولى : ( أهلاً بذلكم الخيال المقبل ) ..... ٦٤
- \* القصيدة الثانية : ( في الشيب زجر له لو كان ينزجر ) ..... ٦٨
- أقسام الشعر أربعة ..... ٧٢
- فصل : في صناعة الشعر ووجه تعلمه ..... ٧٤
- الشعر ديوان علوم العرب ..... ٧٥
- مراد أهل صناعة الكلام بالأساليب ..... ٧٦
- حد المؤلف للشعر ..... ٨٠
- كيفية عمل الشعر ..... ٨٢
- معنى كلمة ( الذوق ) عند ابن خلدون ..... ٨٥
- نبذة من أشعار البارودي في محاكاة بعض قصائد السابقين ..... ٩٢
- \* قصيدة لأبي نواس يمدح فيها أمير مصر ..... ٩٢



- \* الأمير البارودي يحاكي أبا نواس في قصيدته ..... ٩٧
- \* قصيدة لأبي نواس يمدح الأمير محمد بن الرشيد ..... ١٠٢
- \* محاكاة الأمير البارودي لأبي نواس في قصيدته ..... ١٠٤
- \* قصيدة للشريف الرضي في مدح آل البيت ..... ١٠٧
- \* محاكاة الأمير البارودي للشريف الرضي في قصيدته ..... ١١١
- \* قصيدة أبي فراس الحمداني يشتكي فيها إلى سيف الدولة ..... ١١٦
- \* محاكاة الأمير البارودي لأبي فراس الحمداني في قصيدته ..... ١١٨
- \* قصيدة النابغة الذبياني ..... ١٢١
- \* محاكاة الأمير البارودي للنابغة الذبياني في قصيدته ..... ١٢٣
- \* خوض البارودي حربين ضد جزيرة أفریطش وروسيا ..... ١٢٧
- \* قصيدة البارودي يصف سفره للحرب وتشوقه إلى مصر ..... ١٢٧
- \* قصيدة من البارودي للمؤلف أثناء حرب الروس ..... ١٢٩
- \* قصيدة أخرى من البارودي للمؤلف ..... ١٣٠
- قصائد منتخبة لمشاهير الشعراء حسب طبقاتهم ..... ١٣٩
- الطبقة الأولى** ..... ١٤٠
- المفاضلة بين امرئ القيس وعلقمة الفحل في صفة جري الفرس ..... ١٤١
- قصيدة امرئ القيس ..... ١٤١
- شرح وضبط قصيدة امرئ القيس ..... ١٤٤
- قصيدة علقمة الفحل ..... ١٥٤
- مرثية محمد بن كعب الغنوي في أخيه ..... ١٥٩
- قصيدة من مختار شعر عُمير بن شُييم القطامي ..... ١٦٣

- من شعر جرير والفرزدق ..... ١٦٧

الطبقة الثانية ..... ١٧٢

- من شعر أبي نواس في مدح هارون الرشيد ..... ١٧٣

- من خمريات أبي نواس ..... ١٧٧

- قصيدة لمسلم بن الوليد في مدح ابن المهلب مع شرحها ..... ١٨٣

- قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم بالله ..... ٢٠٣

- قصيدة لابن نباتة السعدي في مدح ابن بويه ..... ٢٠٩

- من شعر الشريف الرضي في النسيب ..... ٢١٣

- من شعر مهيار الديلمي ..... ٢١٦

- من شعر الوزير الطغرائي في مدح أبي الفتح السلجوقي ..... ٢٢٣

- مرثية أبي الحسن التهامي في ابن له ..... ٢٢٩

- من شعر التهامي في مدح الأمير أبي نصر بن مروان ..... ٢٣٤

- قصيدة للأرجاني في مدح المسترشد بالله ..... ٢٤٠

الطبقة الثالثة ..... ٢٤٤

- قصيدة لابن نباتة المصري في مدح النبي ﷺ ..... ٢٤٤

- قصيدة أخرى لابن نباتة المصري في تهنئة ملك وتعزيته ..... ٢٤٩

- قصيدة للحلي في مدح الناصر بن قلاوون ..... ٢٥٣

الجهة الثانية : في عشرة أصول يعتمدها الكاتب في المكاتبات ..... ٢٥٩

الأصل الأول : حسن الافتتاح ..... ٢٥٩

الأصل الثاني : براعة الاستهلال ..... ٢٦١

- الأصل الثالث :** المقدمة المشتملة على المقاصد الجليلة للموضوع ..... ٢٦٣
- الأصل الرابع :** معرفة مراتب الألفاظ ومواقعها ..... ٢٦٥
- الأصل الخامس :** معرفة مراتب الأدعية ومواقعها ..... ٢٧٠
- الأصل السادس :** معرفة الألقاب وصفاتها ومقدار من يكتب إليه ..... ٢٧٩
- الأصل السابع :** مراعاة مقاصد المكاتبات ..... ٢٨١
- الأصل الثامن :** معرفة طبقات المخاطبين ورتبهم ..... ٢٨٤
- تنبيه :** في أن المراد بالفصيح عند الخاصة ..... ٢٨٧
- الأصل التاسع :** مراعاة رتبة المكتوب عنه وإليه في الخطاب ..... ٢٨٨
- الأصل العاشر :** مراعاة مواقع الآيات والسجع في الكتب ..... ٢٩٣



- الجهة الثالثة : في ذكر أمثلة معينة لفهم هذه الصناعة** ..... ٣٠١
- كتاب رسول الله ﷺ لقيصر الروم ..... ٣٠١
  - كتاب رسول الله ﷺ لكسرى ملك الفرس ..... ٣٠١
  - كتاب رسول الله ﷺ لأكيدر صاحب دومة الجندل ..... ٣٠٢
  - كتاب رسول الله ﷺ لوائل بن حُجْر رضي الله عنه مع تفسير ألفاظه ... ٣٠٤
  - كتاب رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه ..... ٣٠٧
  - كتاب رسول الله ﷺ للمنذر بن ساوى ..... ٣٠٧
  - كتاب سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لأهل الردة ..... ٣٠٨
  - كتاب سيدنا عمر بن الخطاب لعَمرو بن العاص رضي الله عنهما ..... ٣١٠
  - جواب سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ..... ٣١١
  - كتاب سيدنا عثمان لسيدنا علي رضي الله عنهما ..... ٣١٢

- كتاب سيدنا علي رضي الله عنه للأشتر النخعي ..... ٣١٣
- نصيحة الأمير عبد الملك بن صالح لمعلم الصبيان ..... ٣٢٩
- وصية أبرويز أحد الأكاسرة لكاتبه ..... ٣٣١
- وصية أكثم بن صيفي لقومه ..... ٣٣٢
- نصيحة أردشير بن بابك إلى الملوك من بعده ..... ٣٣٣
- كتاب الإسكندر إلى الحكيم أرسطو ..... ٣٤٠
- جواب الحكيم أرسطو إلى الإسكندر ..... ٣٤١
- كتاب من عبد الملك بن مروان للحجاج مع جوابه ..... ٣٤٤
- كتاب آخر من أمير المؤمنين عبد الملك للحجاج مع جوابه ..... ٣٥٢
- كتاب من سليمان بن عبد الملك للحجاج مع جوابه ..... ٣٥٨
- تقسيم ابن خلدون الإنشاء إلى طبقات ..... ٣٦١
- تقسيم طبقات الإنشاء إلى ثلاث ..... ٣٦٣
- وصية عبد الحميد بن يحيى للكتاب بمحاسن الآداب ..... ٣٦٥
- أمثلة للطبقة الثانية ..... ٣٧١
- كتاب المعتصم إلى نواحي بلاد المسلمين ..... ٣٧١
- كتاب الخليفة الطائع إلى أبي كيجار بن بويه ..... ٣٧٦
- تعزية الخليفة المقتفي للسلطان مسعود بوفاة ابنه ..... ٣٧٧
- صورة جواب عن المقتفي إلى مسعود السلجوقي بعود خارج عن ..... ٣٧٩
- الطاعة ..... ٣٧٩
- جواب الحافظ لدين الله أبي الميمون للأمير ابن ظهير الدين ..... ٣٨١
- كتاب الصابئ عن ابن بويه إلى المطيع لله ..... ٣٨٣

- كتاب الملك صلاح الدين إلى مقر الخلافة ببغداد ..... ٣٩٣
- كتاب السلطان صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ..... ٣٩٧
- عهد من المستعين بالله إلى الملك العادل مظفر شاه ..... ٤٠٠
- عقد نكاح السلطان الناصر فرج لبعض بنات أمراءه ..... ٤٠٦
- تقليد قضاء القضاة بدمشق لابن الآدمي الحنفي ..... ٤١١
- تقليد نظر البيمارستان لأبي الحسن علي الحنبلي ..... ٤١٣
- تقليد نظر المساجد لأبي الفتوح ..... ٤١٥
- كتاب ودادي من ابن حجة الحموي إلى القاضي الدماميني ..... ٤١٨
- رسالة من ابن حجة في إتمام مقامة استعصت على القاضي الفاضل ... ٤٢٤
- من منشآت الوزير الأديب عبد الله فكري بك ..... ٤٢٧
- \* جواب تحية وسؤال ..... ٤٢٧
- \* مقالة من أهل الصعيد لولي النعم الخديوي السعيد ..... ٤٣٥
- \* فرمان بتنصيب محافظ ..... ٤٣٦
- \* مما كتبه الوزير فكري بك لبعضهم ..... ٤٣٧
- \* كتاب من الحضرة الخديوية إلى سلطان المغرب ..... ٤٣٩
- \* كتاب إلى سلطان زنجبار ..... ٤٤١
- \* فرمان من الحضرة الخديوية ..... ٤٤٢
- \* كتاب من الحضرة الخديوية إلى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية ..... ٤٤٤
- \* كتاب الحضرة الخديوية إلى من باشر واقعة أرقازي من الضباط الجهادية ..... ٤٤٨
- \* كتاب من الحضرة الخديوية إلى ملك دارفور ..... ٤٥٠
- \* بعض المفاكهات والمداعبات ..... ٤٥١



\* عود لبعض مكاتبات الأمير ..... ٤٥٦

\* مولد هذا الأمير بحساب الجُمَّل ..... ٤٧١



خاتمة الكتاب ..... ٤٧٢

خاتمة الطبع ..... ٤٧٢

أهم المصادر والمراجع ..... ٤٧٥

محتوى المجلد الرابع ..... ٥٢١

